



السيرة الذاتية لأجاثا كريستي

بوكلاود

السيرة الذاتية لأجاثا كريستي

للكاتبة: أجاثا كريستي

ترجمة: محمود أحمد عبد القادر القليعي

درويش أحمد درويش

رقم الإيداع: 2024 / 17818

الترقيم الدولي: 978-977-8781-62-5

جميع حقوق النشر محفوظة، ولا يحق لأي شخص أو مؤسسة أو جهة إعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل من الأشكال، أو وسيلة من وسائل نقل المعلومات، ولا يجوز تداوله إلكترونياً نسخاً أو تسجيلاً أو تخزيناً، دون إذن خطي من المؤلف.

جميع الآراء الواردة في الكتاب تعبر عن رأي كاتبها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي بوكلاود.

السيرة الذاتية لأجاثا كريستي

للكاتبة

أجاثا كريستي

ترجمة

محمود أحمد عبد القادر القليعي

الشهرة / محمود الفرعوني أبو مصري

درويش أحمد درویش

بُوكْلَوْد

إهداء المترجم

إلى روح أمي (تحية عبد الحكم رضوان)، حفيدة اياح
حنب التي علمتني ما لم تعلمني إياه الجامعات،
علمتني أن أنظر كل ليلة إلى المرأة لأرى ما إذا كنت
جرحت أو كرهت إنساناً، وأن الحب هو أسمى ما وهبه
الله في قلب كل إنسان، وأن التغيير والتنوع هما ينبوع
الحياة، بينما الجمود لا يعني سوى الموت حتى لو
ظلت الأجساد حية.

مدين لها أنا ب "أنا".

علمتني كيف أحب وأبتلع الحياة.

إلى ابني (مصري) وكل أبناء أمتنا المصرية، أمة فجر
الضمير الإنساني، أهدي ترجمة هذا الكتاب.



نبذه عن الكتاب : كلمة المترجم

على مدار العقود الثلاثة منذ وفاتها في ١٢ يناير ١٩٧٦، ظل العديد من قراء أجاثا كريستي ونقاد كتبها يؤكدون على أنّ أكثر كتبها أهمية ما زال أقلهم شهرة. ألا وهو سيرتها الذاتية الصادقة، التي كتب معظمها في الستينات، وفيها نرى تواضعها وتجاهلها لحقيقة أنّها كانت قد أصبحت الروائية الأكثر شهرة في التاريخ ونراها تُركّز على حياتها الخاصة السّاحرة. من الطفولة المبكرة في نهاية القرن التاسع عشر، من خلال زواجين وحربين عالميتين وتجاربها ككاتبة وكمشاركة في البعثات الاستكشافية للبحث عن الآثار مع زوجها الثاني ماكس مالوان وتعرض علينا فيه أجاثا تفاصيل حياتها المختلفة والمعقدة أحياناً بعاطفة وانفتاح حقيقي.

وفي عام ٢٠٠٨، يكتشف حفيد أجاثا كريستي اكتشافاً مذهلاً. فبينما كان يُنظفُ بيتها القديم استعداداً لافتتاحه لزيارة الجمهور، عثر على صندوق به الأشرطة القديمة التي تحتوى على تسجيلات أجاثا وهي تملأ سيرتها الذاتية لمساعدتها التي كانت تقوم بعملية النسخ والطباعة. وليست هذه التسجيلات الرائعة مثالاً نادراً بشكل مدهش على صوت أجاثا منذ ما يزيد على أربعين سنة فحسب، ولكنّها أيضاً تبين الطبيعة الجذابة في سيرتها الذاتية فهذه التسجيلات تكشف لنا عن مكنون صدر أجاثا التي كانت عادة تميل إلى العزلة وهي تخبرنا بقصة حياتها الخاصة بحيوية وعاطفة لا نشعر بها في السيرة الذاتية المطبوعة.

وتأتى الآن هذه الطبعة الجديدة الكاملة مع قرص مدمج به بعض المقتطفات من هذه الأشرطة الثمينة التي تتحدث فيها أجاثا كريستي عن نفسها، مما يتيح الفرصة للملايين من محبي أجاثا لسماع صوت ملكة قصص الجريمة، ولإعادة اكتشاف قصة حياتها الرائعة مرة ثانية في هذه الطبعة الخاصة من كتبها، التي نشرها حفيدها ماثيو بريتشارد الذي عثر على الأشرطة.

أجاثا كريستي (١٨٩٠-١٩٧٦) كاتبة معروفة في جميع أنحاء العالم كملكة لقصص الجريمة. كتبت أكثر من مائة رواية ومسرحية ومجموعة قصص قصيرة،

بيع منها مليار نسخة باللغة الإنجليزية ومليار نسخة بمائة لغة أجنبية أخرى. وقد أصبحت الروائية الأكثر شهرة ورواجاً في التاريخ؛ وما زالت تجذب ملايين القراء الجدِّ حول العالم. تمت إعادة افتتاح بيتها العائلي في جرينواي بديفون لزيارة الجمهور في ٢٠٠٩ تقديرًا لدورها وأعمالها.

أكثر لغزٍ يشدُّ الانتباه كتبته أجاثا كريستي ألا وهو قصّة حياتها الخاصة غير العادية. بصوتها المسجل: تحكى فيه عن قصص الحب الرومانسية الأولى، وزواجها (السعيد) الذي لم يستمر وأحداث غريبة حدثت لها في رحلتها حتى وصلت إلى طريق النجاح المدوي".

إنه كتاب رائع- كتبَ باستمتاع باستخدام أسلوب الكشف التدريجي عن أحداث خمس وسبعون سنة من خلال عيون سيدة كبيرة مسنة وكاتبة استثنائية. باختصار فإن هذا الكتاب سيرتها الذاتية أروع ما كتبته الروائية أجاثا كريستي بمكنون صدرها.



مقدمة

بقلم / ماثيو بريتشارد

كانت جدتي تخبرنا دائماً بأنّها تعتبر أن كتابة سيرتها الذاتية بالنسبة لها بمثابة حلم. وأعتقد أن كتابة الجزء الأول من الكتاب على وجه الخصوص كان من الأشياء المحببة إلى قلبها. فقد عاشت أجاناً طفولة سعيدة جداً لم تفارق خيالها أبداً وقد أحبّت كثيراً أن تكتب عن تلك الفترة إلى حدّ أنّها لم تكن تستطيع أن تتوقّف عن الكتابة. بيد أن الناشرين بطبيعة الحال كانوا يلحون عليها من أجل الانتهاء من كتابة الرواية التي ينتظرونها قبل أعياد الميلاد كل عام "رواية كريستي لعيد الميلاد" كما كان ناشروها يطلقون على رواياتها؛ وحين تنتهي من كتابة الرواية التي ينتظرونها تشعر أنها غير قادرة على كتابة أي شيء آخر.

وكانت فترة الخمسينات؛ ذلك الوقت الذي كانت فيه جدتي تؤلف سيرتها الذاتية؛ وهي فترة من فترات الانشغال والإنتاج الغزير جداً لجدتي. فلم تكن تلهيها عن الكتابة الأحداث الكبيرة والهامة مثل عرض مسرحية المصيدة؛ ولا عرض مسرحية شاهد الإدعاء على مسرح لندن أو حملات الدعاية لقصصها المشهورة للغاية؛ مثل حملات الدعاية لكتايب الخمسون؛ إعلان عن جريمة الذي نشر عام ١٩٥٠. فقد كانت كلّ هذه الأحداث تدور من حولها؛ لكنها رغم ذلك كانت تهتمّ بكتابة عدة آلاف كلمة من قصة حياتها في كلّ سنة وبعد ذلك قد تركت كتابة قصّة حياتها جانباً بعد تردّد لتبدأ في ما تسميه "العمل الحقيقي" ثانية. لذا فقد استغرقت كتابة قصّة حياتها مدة طويلة- وعملاً مضنياً. وأعرف الكثير من الناس الذين أعجبوا بهذه السيرة الذاتية لدرجة أنهم كانوا لا يستطيعون أن يتوقفوا قبل الانتهاء من قراءتها- وقد يستغرق ذلك منهم ما يزيد عن أسبوعين؛ إلا أن جدتي قد استغرقت خمسة عشرة سنة في كتابتها.

وعندما أقول " تكتب "; فإنه من المفترض أنني كنت أعلم بأنها كانت تملئ سيرتها الذاتية دائمًا؛ لكنني لم أكن أعرف كيف كانت هذه العملية تتم. إلا أنه بعد ذلك؛ عندما كنا نخلي بيت جدي جرينواي في ديفون بعد فترة قليلة من وفاة أمي؛ وجدت بين الكتب والمخطوطات والصُحف التي كانت في الغرفة التي كنا نسميها غرفة الفاكس في أعلى السلم؛ صندوقاً كرتونياً قديماً كان يحتوي على جهاز إملاء ماركة جروندج ميموريت كما وجدت الكثير من الأشرطة في الصناديق الكرتونية الصغيرة التي من الواضح أنها كانت مرسلةً ذهاباً وإياباً بين جدي وسكرتيرها. كان ظني في البداية أن هذا الجهاز وهذه الأشرطة لن تكون ذات نفع أو فائدة لأنهم لم يستخدموا ربما منذ خمسون أو ستون سنةً على الأقل وقد لا نستطيع تشغيل الجهاز مرة ثانيةً.

لكنني على أية حال كنتُ أعلم تمامًا أن هناك تسجيلات قليلة للغاية لصوت أجاثا كريستي. ومن التسجيلات القليلة التي كان من المعروف أنها سجلتها- مقابلة أجرتها مع إذاعة البي بي سي ١٩٥٥ ومقابلة سجلت في أرشيف متحف الحرب الإمبراطوري وكانت حول الخبرات التي مرت بها في الحرب العالمية الأولى عندما كانت تعمل في الصيدلية في توزيع الأدوية على الجرحى والمصابين؛ حيث تعلّمت كثيراً عن السموم التي تناولتها لاحقاً في كُتُبها. ولم أظن ولو للحظة بأنه يمكن أن أجد أي شخص يُمكنه أن يبعث الحياة في هذا الصندوق القديم المليء بالأشرطة التسجيلية. لكن لحسن الحظ قام صديق لي يدعى **يريون براون**؛ وهو عبقري في الإلكترونيات بجمع كل شيء وأخذهم لكي يحاول أن يقوم بتشغيل الأشرطة وتحويلها إلى مادة مسموعة. وبعد أن مضت بضعة أسابيع ولم أكن قد سمعت أي شيء منه؛ اتصل بي في صباح يوم جمعة وقال "أعتقد أنني قد شغلت الجهاز!" لذا توجهت مسرعاً إلى **كامبريدج** وبعد خمسون أو ستون سنةً سمعت صوت جدي ثانيةً.

لا أَسْتَطِيعُ إخباركم بشعوري في تلك اللحظة. فقد كُنْتُ أحب جدتي حبًّا جما؛ وصوت صوتها كَانَ شيئًا لم أَكُنْ أَتَوَقَّعه ولا خطري ببال. كَانَ لجدتي لزمة خفيفة؛ مثل سعال طفيف للغاية في منتصفِ الجُمْلِ والتي كنت قد نَسِيتُها – بعد مرور ما يزيد عن ثلاثين عامًا على وفاتها؛ ولكنني ساعمتها تذكرت كُلَّ شيء دفعة واحدة. وفي منتصفِ بعضِ مِنْ تلك الأشرطة التسجيلية تَسْمَعُ فجأة صوت كلها الصَّغِير! وهو يَنْبُحُ كما كان يفعل في والينجفورد وهو يجرى خلفي.

قمت بتشغيل عدد مِنْ تلك الأشرطة لكثير من الأشخاص الذين كانوا يعرفون أجاثا كريستي عندما كَانَتْ على قيد الحياة وكانوا جميعًا يَقُولون نفس الشيء: إن الاستماع إلى صوتها المسجل يؤدي إلى المزيد من الاستمتاع بسيرتها الذاتية. وأعتقد أن الكثير مِنْ الناسِ يُندهشونَ عندما يَسْمَعُونَ صوتها المسجل المشبع بالعاطفة والروحانية. في الحقيقة؛ كان ابني جيمس وأحدًا من أوَّل من قمت بتشغيل بعض هذه الأشرطة لهم؛ وكان ابني جيمس صغيرًا جدًّا ولم أَكُنْ أَتَوَقَّع أنه يستطيع أن يَتَذَكَّرَ جدَّة والده. ومع أنني لا أَظن أن ابني يتميز بشخصية عاطفية بصورة خاصة؛ إلا أنه قال لي "يا الهي؛ إنني لا أَظن أنك تُدركُ أهمية ما لديك!".

لقد أصبحت معتادًا على سماع هذه التسجيلات الآن؛ بعد مرور سَنَةٍ أو أكثر منذ أن سمعتها لأول مرة. لكنَّ الأمر المحزن لدرجة ما هو أنَّ جدتي لم تكن تَسْتَطِيعُ أَنْ تحتفظ بِكُلِّ الأشرطة التي تسجلها. فيما أنها كانت من الشخصيات المقتصدة؛ أَظن أنه قد كان لديها عدد معيَّن من الأشرطة التسجيلية وعندما كانت مساعدتها تنتهي من نسخ وطباعة الكلام الموجود على الأشرطة كانت تعيدها ثانية إلى جدتي وكان من الواضح أن جدتي كانت تستعملها مرة ثانية؛ لذا كانت تضطر إلى مُحوِ الفصول السابقة؛ ولهذا السبب ليس لدينا سوى التسجيلات الخاصة بالرُّبْع الأخير من الكتاب فقط.

لذا أنا مسرورٌ لأن استرجاع هذه الأشرطة قد مَكَّننا من إعادة نُشْرُ سيرة حياة جدتي الذاتية كاملة مع بعض الصور الملونة التي لم تُظْهِر من قبل إلا في الطبعة

الأولى؛ وسعيد أيضاً لأنني قد استطعت القيام بإتاحة الفرصة لجمهورٍ عريض من القراء أن يطلعوا على أهم ما جاء بهذه الأشرطة. فالقرص المدمج الذي يُرافق هذا الكتابِ يحتوي على بعض المقتطفاتِ التي تتحدث فيها أجاثا بشكل رئيسي عن حياتها ككاتبة؛ ومن سخرية القدر أنه من المحتمل أن تكون هذه المقتطفات أكثر أهمية بالنسبة لنا من أهميتها بالنسبة لها. لكن الاستماع إليها وهي تتحدث بتلقائية عن سيرتها الذاتية شيءٌ خاص؛ على الرغم من أن التسجيلات قد تمت على أجهزة منزلية ولم يكن مقصوداً منها أبداً إنتاج تسجيلات أرشيفية احترافية. وعلى الرغم من قدم هذه الأشرطة وضعف جودة الصوت؛ أتمنى من كل قلبي أن تستمتعوا بسماعها- وأنا متأكد أنكم سوف تقرأون كتاب "سيرة ذاتية" بشكل مختلف. فهو كتاب مثله مثل العديد من الأشياء في الحياة؛ التي تحسّنُ بمرور الأيام.

ماثيو بريتشارد

بوليراتش

ديسمبر ٢٠٠٩



تمهيد

بدأت أجاثا كريستي كتابة هذا الكتاب في أبريل من عام ١٩٥٠؛ وانتهت منه بعد ما يقرب من خمسة عشر عامًا تقريبًا حيث كانت في الخامسة والسبعون من العمر. إن أي كتاب أُؤلف في هذه الفترة حمل بالتأكيد تكرارًا كثيرًا وعدم تناسق ولكنها رتبت بإحكام. فلم يحذف أي شيء مهم فلا يزال هذا الكتاب سيرة ذاتية عن حياتها كما كانت تحب أن يكون.

لقد انتهت من هذا الكتاب في عمر الخامسة والسبعون لأن هذا السن كما ذكرت "هو اللحظة المناسبة للتوقف لأن هذا كل ما يقال وفق إرادة الحياة". وقد شهدت آخر ١٠ سنوات من حياتها انتصارات ملحوظة- فيلم **جريمة قتل في قطار الشرق السريع**؛ و**المصيدة**. وتزايدت مبيعات مؤلفاتها العام تلو الآخر بشكل ضخم، ففي الولايات المتحدة وصلت إلى قمة أفضل الكتب مبيعًا والتي ظلت من نصيبها في بريطانيا ودول الكومنولث حيث عُينت كسيدة للإمبراطورية البريطانية عام ١٩٧١. لم تكن كل هذه الأشياء في نظرها إلا تكريم إضافي لإنجازاتها ولم يحمل ثقلًا بالنسبة لها. ففي عام ١٩٦٥ استطاعت أن تكتب بصدق وتقول... "إنني راضية لاستطاعتي فعل ما أريد".

على الرغم من أن هذا العمل يعد سيرة ذاتية، والسير الذاتية يجب أن تُستهل بالبدايات وتستمر حتى توقفها عن الكتابة بيد أن أجاثا لم ترضى أن تحصر نفسها داخل عباءة التاريخ. إن متعة هذا الكتاب يكمن جزء منه في الطريقة التي تمشى بها أجاثا حسب ما يوجهها خيالها تتوقف لتتأمل العادات المهمة لخدمات البيوت أو تعويض كبار السن وتقذف إلى هناك لأن بعض سمات طفولتها تذكرها بوضوح بحفيدها. لم تُجبر على كتابة ما لم تشأ ذكره. بعض الحلقات التي قد يعتقدها البعض مهمة-مثل الاختفاء المعلن- لم تذكر على الرغم من أن هذه الحالة على الأخص تمثل مرجع لمجرى الأحداث عندما أصيبت بفقدان الذاكرة المبكر. بالنسبة

لبقية الأحداث فقد قالت "حسب ما اعتقد فقد تذكرت ما أريد تذكره" ما تريده أجاثا عادةً هو تذكر الأجزاء الممتعة والمسلية من حياتها وعلى الرغم من ذلك فقد وصفت انفصالها عن زوجها الأول. إن القدرة على استخلاص أكثر الأحداث يعد بالنسبة للقليل من الناس متعة في حياتهم ويعد هذا الكتاب ترتيبه من مبهجات الحياة.

لو كانت حية ل ترى نسخة مطبوعة من هذا الكتاب لتمنت بلا شك الامتنان بفضل كثر ساعدوها في الإحساس بهذه البهجة وبالأخص زوجها ماكس وعائلتها. ولكننا لازلنا نملك الفرصة- نحن الناشرون لأعمالها- في أن نوضح امتنانها هذا. لقد أمتعتنا وجعلتنا نشعر بالعنف والاستئساد على مدى خمسين عامًا؛ فإصرارها على التمسك بأعلى المعايير في كل مجال للنشر كان تحديًا ثابتًا؛ حسها الفكاهي وحماسها تجاه الحياة بعثت الدفء إلى حياتنا حيث رسمت لنا المتعة في كتابتها وبدا ذلك واضحًا في هذه الصفحات. ما لم يبدو واضحًا هو الطريقة التي ربطت بها هذه المتعة مع عملها مما يجعل نشر أعمالها ممتع دائمًا. من المؤكد أن أجاثا كريستي كشخص ومؤلف ستبقى فريدة دائمًا.



استهلال

نمرود؛ العراق. ٢ أبريل/نيسان ١٩٥٠.

نمرود هو الاسم الحديث للمدينة القديمة كالحو، العاصمة العسكرية للدولة الأشورية. منزل رحلتنا الاستكشافية كان مبنى بالطوب اللبن ويقع في الجانب الشرقي من التل. يحتوي المنزل على مطبخ وغرفة معيشة وغرفة للجلوس ومكتب صغير وغرفة عمل وغرفة لصنع الخزف ومخزن كبير - وجميعنا كان ينام في خيام. ولكن هذا العام أضيفت حجرة أخرى إلى البيت مساحتها ثلاثة أمتار مربع تقريباً. لها أرضية ملساء وحصيره وزوجين من السجاد الخشن ذوى ألوان مبهجة. وهناك لوحة على الحائط رسمها فنان عراقي ذات تكعيبات معقدة وألوان مشرقة بها حمارين يمشيان في السوق. والنافذة تطل ناحية الشرق على جبل كردستان الذي يغطي قمته الثلوج. وخارج الباب هناك مربع حجري مكتوب عليه بالحفر المسماري "بيت أجاثا" بالعربية.

فهذا 'بيتي' والفكرة هنا أنني أتمتع فيه بخصوصية كاملة مما يهينني جداً للكتابة. عندما تُستكمل أعمال الحفر لا يكون هناك وقتاً للكتابة. فالآثار المستكشفة تحتاج للتنظيف والإصلاح. وسيكون هناك تصوير وتصنيف وجدوله وتعبأه. لكن في أول أسبوع أو عشرة أيام سيكون هناك وقت فراغ نسبي.

صحيح أنه سيكون هناك عائق للتفكير. ففي السقف فوق يقفز العمال العرب، يصبحون بسعادة لبعضهم البعض ويبدلون السلالم غير الآمنة. وتجد الكلاب تعوي والديوك تكرر كما تسمع صليل سلاسل خيول الشرطة، الأدوار والشبابيك ترفض البقاء مغلقة فتسمعك صوت صفعاتها وهي تفتح. أجلس على منضدة خشبية مثبتة بإحكام وبجانبي صندوق مدهون بألوان مبهجة يستخدمه العرب في انتقالاتهم، رأيت أن أضع بداخله نسخ مطبوعة من المؤلفات التي أكتبها وأستخدمها لحفظ ما أنتهي من كتابته.

كان من المفترض أن اكتب رواية بوليسية ولكن تبعًا لحافز الكاتب الطبيعي لكتابة أي شيء إلا ما ينبغي كتابته، كنت لطالما أذهب لكتابة سيرتي الذاتية بشكل غير متوقع على الإطلاق. قيل لي أنه يومًا ما ستدركني هذه الفكرة عاجلاً أم آجلاً، لقد استحوذت علي فجأة. ولكن هذا الحافز سرعان ما تجاوزني.

كإعادة نظر، فإن السير الذاتية أكبر بكثير من الكلمات. فهي تشير إلى دراسة هادفة لمجمع حياة الفرد. وهي تتضمن أسماء وتواريخ وأماكن في ترتيب زمني دقيق. ما أريده هو أن أغمس يدي في الكتابة وأخرج بذكريات مرتبة.

من وجهة نظري، الحياة تتكون من ثلاث أجزاء: الحاضر الممتع عادة والذي يندفع دقيقه بدقيقه بسرعة البرق؛ والمستقبل الغامض وغير الواضح والذي لأجله يستطيع المرء وضع العديد من الخطط الشيقة التي كلما كانت غير متوقعة وأكثر طيشًا كلما كانت أفضل، وبما أنه لا شيء يحدث كما تتوقع أن يكون، فقد تجد متعة التخطيط في أي مكان وقد تستحضر الماضي والذكريات والحقائق؛ وثالث شيء هو الماضي والذكريات والوقائع التي هي أساس الحاضر، فتتذكر الماضي من رائحة عطر، أو شكل تل، أو أغنيه قديمه وحتى بعض الأمور التافهة التي تجعلك فجأة تقول 'لقد تذكرت...' وأنت تشعر بمتعه غريبة لا يمكن شرحها.

هذا هو احد التعويضات التي يمنحنا إياها العمر ولكنه من التعويضات الأكثر متعةً لتذكرها.

للأسف تتمنى دائماً ليس فقط التذكر بل أيضاً الحديث عن ما تتذكره. وعليك دائماً إخبار نفسك أن مثل هذه الأشياء قد تكون مملة للآخرين، لماذا عليهم الاستمتاع بما يخصك وليس ما يخصهم؟ عندما كانوا شباباً وتبعاً لاعتقادهم كان لديهم من وقت لأخر فضول تاريخي معين.

'حسب اعتقادي' فبالنسبة لفتاه مثقفة ستقول باهتمام 'هل تتذكرين كل شيء عن حياتك؟'

ما يَألم فعلاً إجابتي بأنني لست كبيرة في السن لهذه الدرجة. أنا أيضاً أنكر مشاركتي في العصيان الهندي. ولكنى أعتز بتذكر حرب البور الأولى - وعلى تذكرها لأن أخي حارب فيها.

أول المشاهد التي تستحضر ذاكرتي هي صورة واضحة لي وأنا أتمشى مع أمي على طول شوارع مدينة دينارد في يوم السوق. كان هناك صبي بيده سلة ممتلئة بالأشياء موجهة تجاهي لتكشط جلد ذراعي وتطيح بي أرضاً. موقف مؤلم جعلني أبكي وكنت حينها في السابعة.

عنفتني أمي - التي كانت تفضل عدم الاحتكاك في الأماكن العامة وقالت 'فكرى في المحاربين الشجعان في جنوب أفريقيا.

'فصحت مجيبة 'لا أريد أن أكون محاربة شجاعة. أريد أن أكون جبانة!'

ماذا يحكم اختيار المرء من الذكريات؟ الحياة كالجلوس في قاعة سينما. لحظة! يأكل فيها الطفل الإكلير في عيد ميلاده. لحظة بعدها! يمر عامين وأنا جالسة في حضن جدي أضحك كالفرخة بعد رجوعي من فيلم **مستر ويتلي**، أضحك بهستيرية.

مجرد لحظات وتمضى شهور أو حتى سنوات. ويأتي السؤال: أين كنت إذن؟ تحضر إلى البيت فتصل إلى سؤال من أسئلة **بير جينت**: 'أين كنت أنا، الرجل الكامل، الرجل الحقيقي؟'.

لن نعرف أبداً الرجل الكامل ولكننا في لحظات سريعة قد نتعرف على الرجل الحقيقي. اعتقد عن نفسي أن ذكريات الواحد منا تعيد استحضار اللحظات التي قد تبدو بلا أهمية على الرغم من أنها تمثل داخلنا كما هو كائن.

فأنا حالياً نفس الشخص، نفس البنت الصغيرة ذات الضفائر المجددة. البيت التي تقبع فيه الروح وتنمو، وتتطور فيه الغرائز والأذواق والمشاعر والقدرات

العقلية ولكنني مازالت أنا- أجاثا. إنني لا أعرف أجاثا الكاملة ولذلك أؤمن أن الله وحده هو الذي يعلم أجاثا الكاملة.

لذلك نحن هناك.. جميعنا، أجاثا ميللر الصغيرة وأجاثا ميللر الكبيرة وأجاثا كريستي وأجاثا مالوان، جميعنا يكمل في الطريق الذي لا نعرف أين هو؟ وعدم معرفته يضيف نوع من الإثارة في الحياة. لطالما اعتقدت ومازلت أعتقد أن الحياة مثيرة.

ولأننا لا نعرف إلا القليل- فقط الجزء الصغير- فالفرد كالممثل الذي ليس لديه غير بعض السطور ليلقيها في مسرحية ولديه نص مكتوب وهذا كل ما يستطيع إدراكه. فهو لا يقرأ كل المسرحية، لماذا عليه ذلك؟ لا عليه غير القول 'مدام؛ التليفون لا يعمل' ثم يختفي في الظلام.

ولكنه سيسمع المسرحية عندما يرفع الستار وسيكون هناك ليصنف بجانب غيره ليأخذ دوره.

أن تكون جزء قليل من شيء كبير حسب اعتقادي هو من أكثر الأشياء خداعًا عن الحياة.

أحب الحياة وقد أمر بأكثر المواقف إحباطًا ويأسًا. مواقف قد تبكيني ولكنني مازلت أيقن أن مجرد العيش حيًا هو شيء عظيم.

لذلك اخطط دائمًا للاستمتاع بجمال الذاكرة- لا أتعجل في كتابة بعض الوريقات من وقت لآخر مما يوحي أن مهمة الكتابة قد تتطلب سنين. ولكن لماذا اسمها مهمة؟ هي إشباع لمتعة داخلية. وجدت في يوم لوحة صينية أحبها وبها رجل عجوز جالس تحت شجرة يلعب في مهد قط. وكانت تسمى 'رجل عجوز يستمتع بمتعة التسكع'. لم أكن لأنساها يومًا.

وعاهدت نفسي لإمتاعها؛ أو بالأحرى أبدأ. وعلى هذا لا أتوقع القدرة على الحفاظ على الاستمرارية التاريخية، أستطيع على الأقل أن أبدأ من البداية.



الجزء الأول أشفيك



آه يا بيتي العزيز، يا عشي، ويا موطني، يا مسكني.. آه يا بيتي العزيز

إن من اسعد الأشياء التي قد تحدث لك في حياتك هي أن تمر بطفولة سعيدة. لقد نعمت بطفولة سعيدة للغاية. كان لدى بيت وحديقة أحبها ومربية صبورة وحكيمة وكذلك أمي وأبي الذين أحبوا بعضهم البعض باعتزاز ليساعدوا أنفسهم على نجاح زواجهم ونجاح دورهم الأبوي.

عندما استعيد ما فات أشعر أن بيتنا كان ناجحاً حقاً. وكل هذا بفضل أبي فلقد كان رجل مرن. لا أحد يسأل هذه الأيام عن هذه الصفة، فهم يميلون بالأحرى للسؤال عن المهارة والاجتهاد وعن مشاركة الرجل في الحياة الاجتماعية بشكل لائق أو عن "ثقله المجتمعي". ولكن تشارلز ديكنز أوضح الأمر في روايته "ديفيد كوبرفيلد" عندما سئل:

‘هل أخوك رجل مرن يا بيجوتي؟’ كنت أتساءل بحذر.

فتعجب بيجوتي قائلاً ‘ما هو الرجل المرن!’

اسأل نفسك هذا السؤال وأسأل أغلب أصدقائك ومعارفك، وفي الغالب ستفاجأ أن أغلب إجاباتكم ستكون كإجابة بيجوتي.

بالمقاييس الحديثة على الأرجح أن أبي لم يكن ذات ثقل اجتماعي. فقد كان كسولاً لديه دخل ثابت وهذا يعنى أنه لم يكن يعمل. وكنت على شبه يقين أن أبي لم يكن يجيد أي مهنة.

لقد كان يترك منزلنا في توركاى كل صباح ليذهب إلى ناديه ثم يعود إلينا في تاكسي للغداء، ثم يذهب للنادي مرة أخرى في المساء ليلعب ورق الهويست طوال الليل ويرجع في النهاية ليتناول العشاء. ويقضى أيامه خلال الموسم في نادي كريكييت الذي كان يرأسه. يلعب بعض الأدوار المسرحية في المناسبات ولكنه غير بارع، لديه

أصدقاء كثير وهو يحب أن يسلمهم. يصنع لهم أسبوعيًا حفلة عشاء كبيرة في منزلنا ويذهب مرتين أو ثلاث للعشاء مع أمي كل أسبوع.

أدركت مؤخرًا كم كان رجل محب. فبعد رحيله وفدت إلينا الخطابات من جميع أنحاء العالم، في الداخل كان التجار وسائقي التاكسي والموظفون القدامى. ودائمًا ما كان يأتيني أحد من كبار السن ويقول لي: 'آه. أتذكر السيد ميللر جيدًا ولن أنساه أبدًا. فأمثاله قليلون اليوم'.

يقولون هذا وليس لديه خصائص مدهشة. لم يكن متوقد الذكاء. اعتقد أن لديه قلب محب ورقيق، وكان يهتم برفاقه حقًا. كان خفيف الظل وسهل عليه إضحاك الناس من حوله. لم يكن حقييرًا ولا حاقدًا وكان كريمًا بشكل غريب. كان لديه سعادة وسكون بالفطرة.

أمي كانت على النقيض. غامضة وذات شخصية لافتة للنظر - أقوى من أب - لديها أفكارًا خلاقية بشكل مذهل، خجولة وغير واثقة من نفسها - في اعتقادي - كانت ذات طبيعة تميل للكآبة.

كان يطيعها الخدم والأطفال، فأقل كلمة لها تطاع. كانت طالبة من المستوى الرفيع. أيًا كان ما تخبرك به يصبح شيئًا ممتعًا ومهمًا. كانت تتمثل من الرتبة لدرجة أنها تخرج من موضوع لأخر بطريقة تجعل حديثها مربك. وكان أبي دائمًا ما يخبرها أنها لا تملك أي حس للدعابة فتزد على ذلك الاتهام بصوت مجروح: 'ذلك لأنني لا أرى أي من قصصك مسليًا يا فرد...' فينفجر أبي من الضحك.

وأمي تصغر أبي بعشر سنوات تقريبًا ويبدو أنها أحبته من صغرها بإخلاص. كان رجلًا دائم المرح ودائم التنقل بين نيويورك وجنوب فرنسا، أما أمي فكانت فتاة خجولة هادئة تجلس في البيت تفكر فيه. كتبت له قصيدة في 'ألبومها' وزخرفت كتاب للجيب من أجله. احتفظ أبي بذلك الكتاب طيلة حياته - يشبه الكتاب - مصادفة - قصة حب فيكتوريًا بالمعنى الحرفي ولكن وراءها ثراء في المشاعر العميقة.

أنا مهتمة بوالدي، ليس لأنهم والداي فحسب ولكن لأنهم أنجزوا هذا العمل الشديد الندرة ألا وهو الزواج السعيد. حتى الآن لم أرى غير أربع زيجات ناجحة بالكامل. هل هناك صيغة معينة للنجاح؟ لم يمكني اعتقاد ذلك. من الأمثلة الأربعة: بنت في السابعة عشر متزوجة من رجل يتجاوزها بخمسة عشر عامًا. كان يتحدى أن تفهم عقليته. ولكنها ردت بأنها تعرفه جيدًا وصممت على الزواج منه بعد ما يقارب ثلاث سنوات! كانت حياتهم الزوجية معقدة لإقامة الحماية (والدة الزوج)- الأمر المدمر لأغلب الزيجات. تمتعت الزوجة بهدوء قوى. كانت تذكرني قليلاً بأبي ولكنها لم تكن بنفس تألقها واهتماماتها الفكرية. كان لديهم ثلاث أبناء مقيمون في الخارج. استمرت علاقتهم بشكل جيد طوال ٣٠ عامًا ولازالوا مخلصين لبعضهم. والزوجة الأخرى كانت لشاب متزوج من امرأة تكبره بخمسة عشر عامًا- كانت أرملة، رفضته لأعوام ووافقت في النهاية وعاشوا سعداء حتى وفاتها بعد ٣٥ عامًا من زواجهم.

مرت أمي كلارا بوهيمر بطفولة بائسة. كان والدها موظف في شركة ارجيل هايلندرز وذات مرة وقع من على حصانه وأصيب إصابة بالغة وترك جدتي أرملة جميلة وشابة في عمر السابعة والعشرون، تركت بدون شيء إلا معاش الأرملة. ووقتها كتبت إليها أختها الكبيرة المتزوجة حديثًا من أمريكي ثري كزوجة ثانية له تطلب منها أن تتبنى أحد أبنائها وتربيته كابنها.

كانت الأرملة الشابة القلقة تعمل خياطة لإعالة وتعليم أربع أبناء، لم يكن العرض ليرفض. من ٣ أولاد وبنت اختارت هي البنت، إما لأنها كانت ترى أن الأولاد يستطيعون أن يشقوا طريقهم في الحياة بينما البنت تحتاج للعيشة السهلة أو لأنها كانت تهتم أكثر بالأولاد حسب اعتقاد أمي. تركت أمي جيرسي لتذهب إلى شمال انجلترا في بيت غريب. اعتقد أن الرثاء الذي شعرته أمي، الجرح العميق جراء الشعور بأنها غير مرغوبة هو الذي خيم على سلوكها في الحياة. ذلك جعلها عديمة الثقة في نفسها وترتاب من عواطف الآخرين تجاهها. كانت خالتها امرأة حنونة

وخفيفة الظل وكريمة ولكنها لم تكن حساسة تجاه مشاعر الأطفال. كانت لأمي كل مميزات البيت المريح والتعليم الجيد- ما فقدته ولا يمكن تعويضه هو راحة البال مع أخوتها في بيتهم. غالبًا ما كنت أرى في عمود الرسائل أناس قلقين يسألون ما إذا كان عليهم ترك أولادهم للآخرين بحجة 'المميزات التي سيحصل عليها أبناءهم وهم لا يستطيعون توفيرها- مثل التعليم المميز'. وكنت لطالما أصرخ قائلة: لا تتركوا أولادكم فيبيتهم وأهلهم وحبهم والشعور بأمان الانتماء- ماذا يعنى أفضل التعليم مقابل كل هذا؟.

لقد كانت أُمي شديدة اليأس في حياتها. كانت تجبر نفسها على النوم كل ليلة فقد نامت ذات مرة وهى هزيلة وشاحبة الوجه وفى النهاية مرضت للدرجة التي دفعت خالتها لاستدعاء الطبيب. لقد كان كبيرًا وذو خبرة، فبعد أن تحدث مع البنت الصغيرة ذهب إلى خالتها وأخبرها أن الطفلة لديها حنين لبيتها. لقد ذهلت خالتها ولم تكن لتصديق هذا وقالت 'آه لا، من المؤكد أن الأمر ليس كذلك. كلارا طفلة هادئة جدًا فلم تكن لتسبب أي مشكلات وكانت سعيدة جدًا'. مما جعل الدكتور الكبير يعود إلى الطفلة ليتكلم معها مرة أخرى. ألدَى الطفلة أخوات صبية؟ كم عددهم؟ وما هي أسماءهم؟ حينها انفجرت الطفلة في البكاء وبدأت كل القصة.

اكتشاف المشكلة يسهل حلها، ولكنها دائمة الشعور بأنها 'غير مرغوبة'. اعتقد أنها حاولت إخفاء ذلك عن جدتها حتى يوم وفاتها. لقد تعلق كثيرًا بزواج خالتها الأمريكي. وقد أصبح عجوزًا في هذا الوقت ولكنه كان يحب كلارا الصغيرة الهادئة ولقد اعتادت هي أن تقرأ له من كتبها المفضلة، **ملك النهر الذهبي**. ولكن عزاءها الحقيقي في الحياة تلك الزيارات الدائمة لأبن زوج خالتها- **فرد ميلر**- وكانت تدعوه 'أبن العم فرد'. كانت حينها في العشرين، وكان ودود جدًا معها. في ذات يوم عندما وصلت هي للحادية عشر قال لزوجته أبيه:

‘ما أجمل عيون كلارا!‘

‘كلارا، التي لطالما اعتقدت أنها بنت عادية ذهبت لتحقق إلى نفسها في مرآة خالتها الكبيرة. ربما أن عيناها كانت جميلة.. مما جعلها تشعر بالسعادة. ومن وقتها بدأ قلبها يخفق لفرده.

في أمريكا قالت عائلة قديمة للصبي الصغير، ‘يومًا ما ستتزوج تلك البنت الصغيرة قريبتك.

فرد رد بدهشة: ‘كلارا؟ إنها مجرد طفلة.’

ولكنه يملك حس خاص تجاه الطفلة العاشقة. لقد احتفظ بخطاباتها الطفولية والقصائد التي كانت تكتبها له، وبعد سلسلة طويلة من الغزل مع الجميلات والبنات اللطيفة في نيويورك (من بينهم جيني جيروم، التي أصبحت فيما بعد زوجة لـ راندولف تشرشل ذهب إلى بيته في وطنه بإنجلترا ليطلب يد قريبته الصغيرة.

ولكن أمي رفضته بشكل قاطع.

ولقد سألتها يومًا ‘لماذا؟‘

فأجابت ‘لأنني كنت قصيرة وسمينة.’

شيء غريب ولكنها رأت أنه سببًا وجيئًا.

لم يكن أبى ليستسلم. رجع إليها مرة أخرى وفي هذه المرة تغلبت أمي على هواجسها ووافقت على الزواج منه ولكن بارتياح، تملكها الهواجس بأنه سيصبح ‘محبطًا منها’.

وتزوجا بعد ذلك ومعني صورة لها في فستان الفرح يظهر فيها وجه جميل وشعر غامق وعيون بنية فاتحة.

قبل ميلاد أختي ذهبوا إلى توركاى، وبعدها إلى منتج شتوي رائع واخذوا غرفة مفروشة هناك ليستمتعوا بجمال الريفيرا. كان أبي مفتوناً بتوركاى وبحرها. ولديه أصدقاء عدة هناك وآخرون أمريكيون يأتون في الشتاء. ولدت أختي ماج- في توركاى وبعدها بقليل سافرت أمي وأبى إلى أمريكا مخططين لامتلاك بيت لدوام العيش هناك. لقد كان أجداد أبي لا يزالون أحياء وتولوا تربيته في ريف إنجلترا بعد موت أمه في فلوريدا. كان مرتبطاً بهم كثيراً. وقد كانوا يتوقعون لرؤية زوجته وبنته الصغيرة. كان أخي قد ولد وهم لا يزالوا في أمريكا. وبعدها بقليل قرر أبي العودة إلى إنجلترا. ولم يلبث أن رجع مرة أخرى إلى نيويورك بسبب مشاكل في العمل. واقترح حينها على أمي أن تستقر في توركاى حتى يرجع.

ذهبت أمي للبحث عن بيت تقيم فيه في توركاى. وجاءت بالبشرى: 'اشتريت بيتاً يا فرد!'

شعرا بى وقتها بالإحباط فلم يزل يتوقع العيش في أمريكا.

وسأل أمي 'لماذا فعلت ذلك؟'

ففسرت قائلة: 'لأن هذا البيت كان يروق لي.'

لقد رأت ٣٥ منزلاً ولكن لم يعجبها إلا واحد، وكان المنزل للبيع فقط فأصحابه لا يريدون تأجيره. كان رأسمال أمي صغير فلقد ترك لها زوج خالتها ٢٠٠ جنية إسترليني، تركتهم مع خالتها وعلّمها شراء البيت حالاً.

تأوه أبي 'ولكننا سنبقى فيه لعام واحد' على الأكثر.

فردت أمي، التي لطالما اعتقدنا أن لديها قدرة الاطلاع على المستقبل، بأنها تستطيع بيع البيت في أي وقت شاءت. ربما أنها تخيلت عائلتها تعيش في هذا البيت لسنوات قادمة.

وقالت بإصرار 'لقد أحبت البيت بمجرد الدخول فيه. وجدت فيه جو من السلام الرائع.'

ذلك البيت كان مملوكًا لبعض الناس من عائلة تدعى براون وكانوا من الكويكرز. عندما حاولت أمي بتردد أن تواسى مدام براون على ترك البيت الذي عاشوا فيه سنوات عديدة، ردت عليها المرأة العجوز بلطف قائلة:

‘أنا سعيدة للتفكير فيه وفي الأولاد الذين يقطنون فيه يا عزيزتي.’

فردت أمي قائلة أن هذا الأمر أشبه بنعمة.

نعم أنا مؤمنة أن هذا المنزل مبارك. لقد كانت فيلا عادية، لا تقع في مكان رائع في توركاى أو وربرى أو لينكومبس- ولكنها تقع في ركن بعيد من المدينة، ذلك الجزء القديم من تور موهان. وفي ذلك الوقت كان الطريق المؤدي إلى المنزل يعبر من خلال ريف ديفون بممراته وحقله الغنية. أسم المنزل كان أشفيلد وهو منزلي طيلة حياتي تقريبًا.

ولكنه لم يكن كذلك بالنسبة لأبي، فقد جعل بيته في أمريكا. ولكنه أحب توركاى لدرجة أنه قرر ألا يغادرها. فاستقر في ناديه ومع أصدقائه ومع لعبته الهويست المفضلة. كانت أمي تكره أن تعيش قرب البحر وهي لا تحب التجمعات الاجتماعية ولم تكن تعرف أي لعبة من لعب الورق. ولكنها سعدت بالعيش في أشفيلد، وعمل حفلات العشاء وحضور النشاطات الاجتماعية، وفي المناسبات الهادئة المقامة في البيت كانت تسأل أبي بشغف عن أحداث النادي خلال اليوم.

ويرد هو بسعادة ‘لا شيء’.

‘ولكن من المؤكد أن أحدًا قال شيئًا مثير للاهتمام؟’

‘يحاول أبي بشكل لطيف أن يخرج شيئًا من رأسه، ولكن لا يوجد شيء. ثم يذكر أن السيد س.. يعتاد كل صباح شراء الجرائد ويأتي إلى النادي لقراءتها ثم يصبر على سردها للآخرين. ‘رفقائي.. هل أحد منكم رأى ذلك في حدود الشمال الغربي..‘ وهكذا. إنه يجعل الكل مستاء ولكنه واحد من أغنى أعضاء النادي.

لم يكن هذا كافياً بالنسبة لأمي التي سمعت كل هذا الكلام مراراً. وكان أبي سعيداً بذلك. يتكأ على كرسيه مُمدّاً رجليه في اتجاه المدفأة ثم يحك رأسه برفق (لهو ممنوع).

فتسأله أمي 'فيما تفكر يا فرد؟'

يرد هو بمنتهى الثقة 'لا شيء'.

'لا يمكن أنك لا تفكر في شيء؟'

'دائماً يحير هذا الموقف أمي. فبالنسبة إليها ليس هذا بالشيء المعقول. إذ أن الأفكار تتدافع في ذهنها سريعاً. بعيداً عن التفكير في أي شيء، فهي عادة ما تفكر في ثلاثة أشياء بالتزامن.

وكما أدركت بعدها بسنوات أن أفكار أمي كانت دائماً تتمركز حول تباين الحقيقة. فقد كانت ترى الكون بألوان براقة أكثر مما هي عليه في الحقيقة وترى الناس بأحسن أو أسوأ مما هم عليه. ربما كان ذلك نتيجة أنها كانت في طفولتها هادئة منطوية ومشاعرها دائماً غائرة تحت السطح مما جعلها تميل لرؤية العالم بشكل درامي أو ميلودرامي. خيالها الإبداعي قوياً لدرجة أنها لم تكن ترى الأشياء بشكلها العادي أو الممل. وكان لديها لحظات حدس غريبة- تعرف فيها ماذا يفكر الناس. عندما كان أخي صغيراً في الجيش ومر بضائقة مادية لم يشأ أن يخبر عنها والديه، فاجأته ذات مساء بالنظر إليه وهو جالس عبوس الوجه وقلق وقالت له 'لماذا أنت في حاجة لمن يقرضك يا مونتي؟ جمعت تبرعات لوصية جدك؟ لم يكن عليك فعل ذلك ومن الأفضل أن تذهب لأبيك وتخبره بهذا الأمر'.

كانت مقدرتها على فعل هذا النوع من الأشياء تدهش العائلة. قالت أختي ذات مرة: 'إذا أردت أن لا تعرف أمي أمراً لا أحاول حتى التفكير فيه حتى وإن كانت في غرفتها'.

يصعب معرفة أول شيء قد يخطر على ذهن الفرد من ذكرياته. أتذكر عيد ميلادي الثالث بوضوح. مشهد اهتمامي بنفسي. كنا نتناول الشاي في الحديقة- في ذلك الجزء الذي أصبح فيما بعد شبكة معلقة بين شجرتين.

وُضعت هناك طاولة الشاي مغطاة بالكيك-كيك عيد ميلادي-المغطى بالزبدة والسكر وفي منتصفه الشمع. والحدث المثير هو ظهور عنكبوت أحمر صغير- صغير لدرجة أنني أراه بالكاد، كان يجرى تجاه لون الملابس البيضاء. وحينها قالت أمي: 'عنكبوت محظوظ لعيد ميلادك يا أجاثا...' ولم استطع تذكر شيء بعدها عدا بعض الذكريات المتفرقة عن جدل لا منتهى عن كمية الإكلير المسموحة لأخي بأكملها.

عالم الطفولة المثير والأمن والجميل. ربما تكون الحديقة من أكثر الأشياء المتذكّرة. كانت تعني لي الكثير عامًا بعد عام. كنت على علم بكل شجرة بها وكل واحدة تحمل معنى خاص. كنت أقسم الحديقة في ذهني إلى ثلاث أجزاء.

ومن وقت بعيد كنا نملك مطبخ حديقة ملتصق بحائط عالي يجاور الطريق. لم يكن هذا الجزء ممتعًا بالنسبة لي إلا فيما يتعلق بالتوت البري والتفاح الأخضر حيث كنت أتناولهم بشراهة. كانت مطبخ الحديقة ولا شيء آخر تتوافر به مقومات جمال.

ثم تأتي الحديقة ذاتها- ذات امتداد منحدر. شجر الهشية والسيدار والولينجتونيا (طويل بشكل مثير). وشجرتي شوح مرتبطتين ببعضهم الشيء الذي لا يفهم سببه أخي وأختي. شجرة مونتي التي لك أن تتسلقها (وهذا يعني أن تحاول رفع نفسك حتى ثلاث أغصان). أما شجرة ماج يمكن أن يحفر فيها المرء مكان بحذر ويتخذه مقعدًا، غصن مقوس ومغرى حيث يمكنك الجلوس والنظر على العالم حولك دون أن يلاحظك أحد. وتجد في الحديقة أيضًا شجرة أسميها الترينتينة وهي

تفرز مادة صمغية لزجة نفاذة الرائحة أحاول بعناية أن أجمعها في ورق شجر فني "بلسم له قدره". وأخيرًا- تاج العظمة شجرة الزان- أكبر أشجار الحديقة لها ثمر أحب أكله. يوجد أيضًا في الحديقة شجرة زان نحاسية ولكن لبعض الأسباب لم أعدها يومًا في عالمي الشجري.

ثالثًا، الخشب في مخيلتي الخاصة أنه مازال يبدو كالغابة الجديدة حقًا. يتكون بشكل أساسي من خشب الدردار ويخترقه ممر متعرج. الخشب هو كل ما يتعلق بالخشب، الغموض والرعب والأسرار الخفيفة وما يصعب الوصول إليه وكذلك المسافة.

يقود الطريق المتعرج إلى ملعب التنس أو الكروكيت في أعلى الضفة الموجودة بجانب غرفة الطعام. وعند وصولك هناك يختفي الجمال. فتعود إلى الحياة الروتينية اليومية من جديد فترى السيدات وهن يلعبن الكروكيت ويربطن الجونلات أو يرتدين قبعات من القش عند لعبهم التنس.

الممتع في اللعب في الحديقة أنني أرجع إلى نورسي، حيث أجدها في مكانها الذي لا يتغير أبدًا، ربما لأنها كبيرة السن ومصابة بالروماتيزم وأنا ألعب حولها وبجانها وليس معها. وأعتقد على قدر ما أتذكر أنني كنت اصطحب رفقاء متنوعين حسب ما اختار. أول مجموعة التي لا استطيع تذكر منها إلا الأسماء، كانت 'عائلة كيتي'. لا أعلم من كانوا 'عائلة كيتي' وما إذا كنت أنا من هذه العائلة أم لا ولكنني أتذكر الأسماء: كلوفروبلاكي وثلاثة آخرون. كانت أمهم تدعى السيدة بنسون.

كانت نورسي حكيمة بدرجة كافية للتحدث معي عنهم. أو حتى محاولة الهمس عن محادثاتهم، ربما أنها كانت ممتنة أنني استطيع تسلية نفسي بسهولة.

صدمت ذات يوم عندما صعدت من الحديقة لتناول الشاي لأسمع سوسن الخادمة تقول:

‘لا يبدو أنها تهتم للعرائس كثيرًا، صحيح؟ بماذا تلعب إذن؟’

فردت عليها نورسي:

‘إنها تلعب مع عائلة كيتي على أنها واحدة منهم.’

لماذا هناك طلب غريزي خاص بخصوصية عقل الطفل؟ معرفة أي شخص - حتى نورسي - عن عائلة كيتي يضايقني لأبعد مدى. من اليوم فصاعدًا لن أسمح لنفسني بالتمتمة بصوت عالي عند لعبي. عرائس كيتي تخصني أنا فقط. يجب ألا يعرف أحد عن ذلك.

وبالتأكيد يلزم أن يكون لي عرائس. وحقًا كان لي كثير منهم عندما كنت طفلة ولكنني لا أتذكر أي منهم فيما عدا صندوق بالخرز أتذكره قليلًا؛ كنت اصنع به العقود. وأتذكر قربة لي كانت كبيرة السن وتصير على غيظي عندما تدعى أن قبعتي الزرقاء ليست بهذا اللون ولكنها خضراء والخضراء لونها أزرق. كانت مشاعري تشبه مشاعر إقليدس: ‘السخيفة’ ولكنني كنت أعارضها بأدب. أصبح المزاح سخيف.

أتذكر بعض الدمى الخاصة بي: فوبي، التي لم أكن اهتم بها كثيرًا وأخرى تدعى روزلين أوروzy. كان لديها شعر طويل ذهبي اللون وكنت أحبها كثيرًا ولكنني لم ألعب معها كثيرًا فقد كنت أفضل عرائس كيتي. كانت عائلة بنسون فقيرة جدًا وهو شيء محزن. كان أبهم قبطان ومات غرقًا وكان هذا السبب لبقائهم في مثل هذا الفقر. لقد أنهى ذلك قصة الأعمال البطولية لعائلة كيتي ماعدا أن وجودهم الباهت في ذاكرتي أوجد نهاية عظيمة تحيل دون موت القبطان بنسون ورجوعه يومًا بثروة ضخمة بعدما أصبح اليأس يخيم على العائلة.

وانتقلت من كيتي إلى عائلة جرين. لدى السيدة جرين مئات الأطفال وأهمهم باودل وسكيرل وترى. تلك الثلاث كانوا يلزامني في كل أعمالي البطولية في الحديقة. ولم يكونوا بالأطفال الهادئين ولا الكلاب الهادئين بل كانوا مخلوقات بين الاثنين.

في أحد الأيام كعادة كل الأطفال ذهبت للتمشية. الشيء الذي لا يستهويني وخصوصاً لأنني اضطر قفل زرائر معطفي- كضرورة أولى. تباطأت وتلعثمت قدمي والأمر الوحيد الذي كان يهون علي هو حكايات نورسي. كان لديها ستة حكايات كلها تتركز على أطفال من عائلات عاشت معهم. لا أتذكر أي منهم الآن ولكنني أعرف أن واحدة منهم كانت عن نمر في الهند وواحدة عن قردة وأخرى عن ثعبان. كانت حكايات مثيرة وكان لي أن اختار ما أود سماعه. كانت نورسي تكرر تلك الحكايات مراراً وتكراراً دون أي إحساس بالتعب.

كنوع من الإحسان، كنت أسمح لنفسني لإزالة قبعة نورسي البيضاء المكشكشة، فهي بدونها تنسحب إلى حياتها الخاصة وتتخلص من الرسمية. ومع فرط الاهتمام كنت اربط شريط ستان أزرق حول رقبته- بعناء شديد يحتاج لالتقاط الأنفاس لأن وردة عنق من طفلة لديها ٤ سنوات ليس بالأمر الهين. ثم أتراجع بعدها وأتعجب: 'أنت جميلة يا نورسي!'

وعندها تبتسم وتقول بصوت لطيف:

'أنا جميلة!'

وبعد الشاي، أرتمي لباس قطني وأنزل إلى أمي في غرفة الرسم لألعب معها.

إذا كان جمال حكايات نورسي في أنها متشابهة حيث تمثل نورسي بالنسبة لي حجر التوازن في حياتي، فإن جمال أمي كان في أن حكاياتها مختلفة بحيث أننا لم نكن نلعب نفس اللعبة مرتين. أتذكر إحدى القصص التي تحكى عن فأريدى بريث أيز. كان لبريت أيز مميزات عدة وذات يوم أفزعني أمي فجأة عندما صرحت لي بأنه لا يوجد مزيد من الحكايات عن بريث أيز. كنت أوشك على النحيب قبل أن تخبرني أمي قائلة: 'لكني سأحكى لك قصة الشمعة الغريبة.' كان لدينا جزأين من قصة الشمعة الغريبة التي في اعتقادي كانت نوعاً من الروايات البوليسية التي تعطلت هي وألعابنا عندما جاء بعض الزائرين ليبحثوا معنا. طلبت من أمي تكملة الحكاية

بعدها ذهب الزائرون والتي توقفت عند أكثر اللحظات تشويقاً عندما كان الوغد يفرك السم في الشمعة وحينها بدت أمي عاجزة عن التفكير ولم تتذكر شيئاً عن الأمر. مازالت تلك السلسلة اللامنتهية تتملك ذهني. ومن اللعب الممتعة الأخرى كانت 'البيوت' وفيها كنا نجمع فوط الحمام من كل مكان في المنزل وتسدلهم على الكراسي والمناضد فنجعلهم مقار لإقامتنا.

أتذكر قليلاً فيما يخص أخي وأختي، اعتقد أنهم كانوا بعيداً في المدرسة. كان أخي في مدرسة هيرو وأختي في بريتون في مدرسة السيدة لورنس والتي أصبحت بعد ذلك رودين. كانت تنوى أمي إرسال ابنتها إلى مدرسة داخلية وكان أبي متحرر ليسمح لها بذلك ولكن أمي كانت تبتهج للتجارب الجديدة.

تجارب أمي كانت في الدين. كانت على ما أظن لها طريقة تفكير صوفية. كان لديها نعمة الصلاة والتأمل ولكن إيمانها الغيور وورعها جعل اختيار شكل للعبادة أمر صعب. معاناة أبي الطويلة سمحت له بتقبل هذا الأمر، الآن هناك مكان آخر للعبادة.

أغلب مثل هذه العبادات الدينية كانت قبل مولدي. تم قبول أمي تقريباً في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، وارتدت عنها لتصبح من الموحدين، الشيء (الذي لم يعطى الفرصة لأخي ليعمد كمسيحي). ثم أخذت تؤمن بالغيبيات ولكنها نفرت بعيداً عندما سمعت مدام بيسنت تلقى محاضرة عنها. وبعد اهتمام قليل ولكنه حي تجاه المجوسية رجعت أكثر إلى دين أبي- إلى الملاذ الأمن لكنيسة إنجلترا مع تفضّلها الكنائس 'الكبرى'. كانت تضع صورة للقديس فرانسيس فوق سريرها وكانت تقرأ كتاب الاقتداء بالمسيح ليلاً ونهاراً وتضعه دائماً جانب سريرها.

كان أبي رقيق القلب، مسيحي أرثوذكسي يؤدي صلواته كل مساء ويذهب إلى الكنيسة يوم الأحد. كان إيمانه يقيني دون بحث قلبي ولم يكن لديه مانع في تقبل اتجاهات أمي. كان كما قلت، رجل مرن.

ولكنني اعتقد أنه ارتاح لرجوع أمي لكنيسة إنجلترا كفرصة لي لأعمد في كنيسة أبرشية. سُميت ماري بعد أسم جدتي وكلا رسا بعد أسم أمي، وكان أسم أجاثا بعد ذلك كاقترح من أحد أصدقاء أمي ونحن في طريقنا للكنيسة قائلة إنه أسم لطيف.

اعتنقت اعتقاداتي الدينية بشكل أساسي من نورسي وهي مسيحية إنجيلية. لم تكن تذهب إلى الكنيسة ولكنها تقرأ الكتاب المقدس في البيت. كان مهمًا بالنسبة لها اخذ السبت أجازة للعبادة فهو شيء مهمين في نظر الإله التعامل مع الحياة في ذلك اليوم. لم أكن احتمل رضائي عن عقدة أنني واحدة من 'المخلصين'. كنت أرفض اللعب أو الغناء أو اللعب على البيانو يوم الأحد وكان لدي مخاوف رهيبة من الخلاص النهائي لأبي الذي كان يلعب الكروكيت دون اكتراث ويلقى النكات الشاذة عن القديسين وحتى الأسقف في ظهيرة أيام الآحاد.

بينما كانت أمي المتحمسة بشغف لتعليم البنات تدير نفسها في الاتجاه المقابل. لا يجب السماح للأطفال بالقراءة حتى يصلوا الثامنة: هذا أفضل للحفاظ على أعينهم وعقولهم.

ومع ذلك فإن الأشياء لا تتم وفق المخطط. عندما كانت تقرأ لي قصة وتعجبني كنت أسأل على الكتاب وأتدارس صفحاته. كنت أسأل نورسي عندما نخرج سويًا ما الكلمات المكتوبة أعلى المحلات أو في الإعلانات. لذلك وجدت نفسي في ذات يوم أقرأ لنفسي بنجاح كتاب يدعى ملاك الحب. كنت أحاول إسماع نورسي.

'مدام، إنني قلقة. الأنسة أجاثا تستطيع القراءة' تقولها نورسي معذرة لأمي في اليوم التالي.

كانت أمي حزينة جدًا. لم أتجاوز الخامسة وفتح لي عالم الكتب. ومن حينها كنت أطلب الكتب في أعياد ميلادي وعيد الكريسماس.

فقال أبي بما أنني استطيع القراءة فعلي أن أتعلم الكتابة. ولم يكن الأمر باليسار. كتب غير موثوقة مليئة بالتعقيدات أو سطور من أغاني فكنت أواجه صعوبة شديدة في تمييزها بالنظر إلى الكلمات وليس بقراءة حروفها، منذ أن تعلمت القراءة.

وبعدها قال أبي أنني احتاج تعلم الحساب فكنت أجلس كل صباح بعد الفطور بجوار الشباك في غرفة الطعام لأمتع نفسي لأبعد حد مع الأرقام بدلاً من حروف الهجاء الصعبة.

كان أبي مسروراً وفخوراً بتقديمي. تطورت لأتعامل مع كتاب صغير 'للمسائل'. أحب 'المسائل'. وعلى الرغم من أنها مجرد مسائل جمع متنكرة إلا أن بها نكهة الخداع. 'كان لجون خمس تفاحات ولجورج ستة، إذا أخذ جون تفاحتين من جورج كم تفاحة ستكون مع جورج في نهاية اليوم؟'. عندما أفكر في هذه المسألة هذه الأيام ينتابني إحساس عاجل بالرد: 'هذا يعتمد على درجة حب جورج للتفاح!' ولكنني وقتها كتبت ٤ وانتابني الشعور كأن شخصاً حل قضية مستعصية، وأضفت من عندي 'وجون سيملك ٧'. حبي للحساب أثار استغراب أمي التي لم تكن لها تعامل مع الأرقام وكان لديها مشكلة مع حسابات الخادومات التي تولى مسئوليتها أبي.

أما بالنسبة للإثارة الثانية في حياتي فكانت إهدائي عصفور الكناري. كان أسمه **جولدي** وأصبح أليف يسعى إلى الرعاية، وهو يجلس أحياناً على قبعة نورسي أو على أصبعي عندما أناديه. لم يكن طائري وحسب بل كان بداية لقصص بطولية سرية. كانت الشخصيات الرئيسية هي ديكى وديكسمسترس. كانوا يجوبون كل المدينة (الحديقة) على فرس، كان لديهم مميزات عدة ووسائل قليلة للهرب من السارقين.

وذات يوم حدثت كارثة عظيمة. اختفى جولدي. كان الشباك مفتوحاً وكذلك باب القفص. يبدو أنه هرب. لازلت أتذكر طول هذا اليوم المرعب والمجهد. ذهبت في

كل مكان. وبكيت وبكيت وبكيت. وُضع القفص خارج الشباك مع قطعة سكر على العارض. ذهبت أنا وأمي حول الحديقة منادين 'ديكى، ديكى، ديكى'. وأمي هددت الخادمة بالطرد لتجبرها على الكلام 'قد يكون أكله القط' وبدأت في البكاء مجددًا.

وعندما ذهبت إلى السرير لاستلقي، ظللت حزينة ممسكة بيد أمي ووقتها سمعت زقزقة ضعيفة مبهجة كانت قرب عمود الستارة، **مستر ديكى** طار حول حجرتي في مرة ودخل قفصه. ما هذه السعادة! طوال ذلك اليوم البائس الذي لا ينتهي- كان ديكى على عمود الستارة.

وحاولت أمي تحسين الموقف فقالت:

'أرئيتي، كم كنت سخيفة؟ وما لزوم هدر كل هذه الدموع؟ لا تبكى على الأشياء دون يقين'.

فعاهدتها أنني لن أفعل ذلك مجددًا.

كان هناك شيئًا آخر بجانب فرحتي برجوع ديكى، إنه قوة حب أمي وتفهمها عند حدوث مشكلة. في أكثر الأيام سوادًا كان إمساك يدها هو راحتي. كان هناك شيئًا ساحرًا ومواسيًا في لمستها. لم يكن مثيلها معي في مرضى، فهي قادرة على منحى قوتها وحيويتها.

كانت نورسي أكثر شخصية بارزة في صغرى، ويحيط بنا عالمنا الخاص- حجرتي- يمكنني رؤية ورق الحائط الآن- زهور السوسن البنفسجية تتسلق الحائط في نموذج مفتوح. اعتدت الاستلقاء على السرير في المساء لأنظر إلى ضوء النار أو إلى الضوء الخافت لمصباح نورسي الزيتي. اعتقد أنه كان جميلًا. في الحقيقة كان لدى شغف تجاه اللون البنفسجي طوال حياتي.

تجلس نورسي بجوار المنضدة لتحريك الملابس أو تصلحها. وكان بجانب سريرى ستارة ومن المفترض أن أنام ولكنني كنت دائمًا مستيقظة، أتأمل تضافر زهرات السوسن وأفكر في مغامرات جديدة مع عرائس كيتي. في التاسعة والنصف صباحًا تحضر نورسي صينية الطعام من الخادمة سوزان. كانت سوزان شابة رائعة، متقلبة وغريبة في حركتها مما يعرض الأشياء التي تحملها للوقوع. ووقتها يدور حديث هامس بينها وبين نورسي وبعد أن تنصرف سوزان تأتي نورسي لتلقى بنظرة خلف ستارة سريرى.

‘اعتقد أنك لم تكوني نائمة. وافترض أنك جائعة!’

‘آه، فعلاً.’

ووجدت في فمي لقيمة صغيرة من اللحم المليء بالعصارة. لا اصدق أن نورسي كانت تعد اللحم كل ليلة للعشاء ولكن في ذاكرتي يبقى اللحم هو اللحم.

ثاني أكثر الأشخاص أهمية في البيت كانت جان طباختنا والتي كانت تدير المطبخ بفوقية ملكة هادئة. لقد أتت إلى أُمي عندما كانت فتاة نحيفة في التاسعة عشر. استمرت معنا لمدة ٤٠ عامًا وزادت في الوزن بما يقل عن ١٥ كيلو. لم تظهر أي عاطفة طوال فترة عملها ولكن عندما جمعت أغراضها لتذهب في خدمة أخوها في مقاطعة كورنوال، تساقطت كرات الدمع على خديها في صمت. أخذت معها

صندوق ملابس واحد- والأرجح انه ذات الصندوق الذي أتت به لمنزلنا. وطوال تلك السنوات كلها لم تدخر لنفسها شيئاً. كانت طباحة ممتازة بمقاييس اليوم، ولكن أمي كانت تشكوا دائماً أنها لم تملك الخيال.

‘عزيزتي، ما الحلوى التي ستقدمينها لنا الليلة؟ أليدك اقتراح يا جان’

‘ما رأيك في باودينج الحجر يا مدام؟’

كان ذلك هو الاقتراح الوحيد الذي تتكرم به جان، ولكن لأسباب معينة كان لدى أمي نفور من الفكرة فتدب لا نحن لا نريد هذا، من الممكن أن نتناول شيئاً آخر. لازلت حتى اليوم لا اعرف ما هو باودينج الحجر- ولا حتى أمي تعرف-هي فقط تقول إنه يبدو غير لطيف.

أول مرة أقابل فيها جان كانت ضخمة-أسمن امرأة رأيتهما على الإطلاق. كان لديها وجه هادئ وشعر مقسوم من المنتصف وجميل، كان شعرها غامق اللون به موجة طبيعية وكانت ترجعه للوراء وتلفه. كان فكها يتحرك طوال الوقت لأنها دائماً ما كانت تأكل- قطعة من السنبويك أو الخبز المحلى أو كعك الكوكيز-كان الأمر أشبه ببقرة لطيفة دائمة مضغ طعامها المرتجع.

يدخل إلى المطبخ طعام رائع. بعد إفطار كبير في الحادية عشر صباحاً تحضر لنا جان مشروب الكاكاو اللذيذ وطبق من كعك الكوكيز والخبز المحلى أو ربما فطيرة ساخنة بالمرى. أما وجبة الظهر فتجهز عندما ننتهي، وتبعاً لقواعد الإتيكيت لا ينبغي ذكر كلمة غداء قبل الثالثة. وعلمتني أمي ألا أتدخل في أعمال المطبخ نهائياً خلال وقت الغداء. هذا وقتهم الخاص ولا ينبغي مقاطعتهم.

إذا حدث بالمصادفة- وألغى دعوة أحد الضيوف على الغداء مثلاً- يجب أن توصل الرسالة وعلى أمي أن تعتذر لمقاطعتهم وبفعل القانون العام لا يقف أحد من الخدم قبيل دخولها إذا كانوا جالسين على المنضدة.

يقوم الخدم بكم هائل من الأعمال. تقوم جان بالطبخ ٥ مرات للعشاء ل ٧ أو ٨ أفراد كروتين يومي. لحفلات العشاء الكبيرة التي تحوى ١٢ فرد أو أكثر، هناك بدائل لكل وجبة- طبقين للشوربة ووجبتين للأسماك وهكذا. تنظف الخادومات ما يقرب من ٤٠ إطاراً لصور فوتوغرافية وغيرها، كانوا يستعملون الحوض لذلك (كان لدينا حمام ولكن أُمي كانت ترى أن استخدام حمام يستخدمه الآخرين فكرة مقززة) وكانت تحضر الماء الساخن لغرف النوم أربع مرات يوميًا، وتوقد نار التدفئة في غرف النوم في الشتاء وتصلح الملابس الكتانية وغيرها كل مساء. كان على خادمة الضيوف أن تنظف كم غير معقول من الفضة وتغسل الأكواب بحرص شديد في حوض من معجون الورق، وعليها رصهم بشكل جميل على المنضدة.

وبرغم تلك المهام الشاقة كانت الخادومات حسب اعتقادي ناشطين وسعداء وذلك لأنهم على علم بنظرتنا لهم كخبراء يقومون بعمل محترف. وكان لديهم شيء غريب- وجاهة- كانوا يحتقرون عاملات المحال وأمثالهم.

إذا كان هناك ما سأفتقده إذا ما كنت صغيرة هذه الأيام فعلى الأرجح هو غياب الخادومات. بالنسبة للطفل هم أكثر شيء مبهج طوال اليوم. تمدك الحاضنات بالمرح بينما الخادومات بالدراما والتسلية وكل الأشكال التي تحدد ولكنها معرفة ممتعة. بعيدًا عن كونهم عبيد إلا أنهم ضغاة. فهم يعرفون حدودهم كما ذكرت لكن معرفتهم لا تعنى التبعية لكنها الاعتزاز والفخر بالمهنية. كان الخدم في أوائل التسعينيات على درجة عالية من المهنية. خدم الضيافة يجب أن يكونوا طوال القامة ليبدون بمظهر جيد ومدربين على مستوى عالي، وينبغي معرفتهم طبقة الصوت المناسبة للتمتمة: 'هوك أم شيرى؟' يفعلون المعجزات للحفاظ على ملابس أسيادهم.

أشك في وجود أمثال هؤلاء الخدم الحقيقيين هذه الأيام. على الأرجح أن يتعب القليل منهم عند سن ما بين السبعين والثمانين، وغير ذلك يكون مجرد

خادمت باليومية والنادلات هؤلاء يكونوا 'مجبّرين' للمساعدة في أعمال المنزل، ومدبرات شئون المنزل والشابات الفاتنات اللاتي يردن دخل إضافي بعدد ساعات عمل إضافية تناسبهم وتناسب احتياجات أطفالهم. هم هواه لطفاء ويصبحون في الأغلب أصدقاء.

ولم يكن وجود الخدم في البيت مجرد ترف- فهو أمر لا يتعلق بالأغنياء ولكن الفرق كان في أن الأغنياء لديهم عدد أكبر. كان لديهم رئيس للخدم ومدبرات شئون المنزل وخادمت للضيافة وخادمت لمختلف المهام وخادمت للمطبخ وهكذا. وإذا ما كنت منحدرًا من مثل هذا العصر فستصل إلى ما تم وصفه بعناية في تلك الكتب الممتعة الخاصة بباري بان، إليزا وزوجها.

كان خدمنا الكثيرين أقرب لي من أصدقاء أمي أو حتى من المعارف. كل ما علي هو أن أغلق عيني لأرى جان تتحرك بجلال في مطبخها مع صدرها الضخم ووسطها العريض وهي ترتدي ملابس ضيقة تحدد خصرها. لم يكن يبدو أبدًا عن وزنها مشكلة لديها ولم تشكو يومًا من قدمها أو ركبها أو رسغ قدمها وإذا كان لديها مشكلة في ضغط الدم فهي في الغالب ليست على علم بها. حسب ما أتذكر لم تكن تمرض يومًا. فقد كانت أوليمبية. لم تكن لتبدى مشاعرها قط، لم تكن تسرف لا في الحب ولا حتى في الغضب، توردت خجلًا مرة عندما تمت خطبتها في حفل عشاء كبير. ما يستلزم وصفه حقًا هو الهدوء الشديد في شخصيتها فهي 'قليلة الانزعاج'- يحمر وجهها قليلًا وشفتيها محكمتي الغلق، ولا يبدو إلا عبوس قليل على جبهتها. كانت تلك هي الأيام التي حرمت فيها من الدخول إلى المطبخ بقرار. ليس لدى وقت اليوم آنسة أجاثا- فأنا مشغولة. سأعطيك بعض الزبيب وبعدها عليك الانصراف إلى الحديقة ولا تأتي لترعجيني مرة أخرى. غادرت على الفور وأنا محرّجة كالعادة من كلمات جان.

كان من سمات جان الرئيسية الكتم والعزلة. كنا نعلم أن لديها أخ ولا نعرف الكثير عن عائلتها. لم تكن تتحدث عنها أبدًا. وهي من مدينة كورنوال وكانت تدعى

السيدة راو' لكن هذا اللقب كان نوعًا من الاحترام. وككل الخادومات المخلصين كانت تعرف حدودها. وحدودها هي إعطاء الأوامر لذلك كانت توضح لمن يعمل في البيت أنها المسئولة.

يحق لجان أن تفخر بالأطباق الرائعة التي تطبخها ولكنها لم تظهر ذلك أو تتكلم عنه أبدًا. كانت تقبل الإطراء على العشاء في صباح اليوم الثاني دون أن تظهر أي سرور، على الرغم من أنني اعتقد أنها كانت تشعر بالسعادة قطعًا عندما يأتي إليها أبي في المطبخ ويشكرها.

كان في منزلنا منادية واحدة من الخدم، فتحت لدي نظرة أخرى تجاه الحياة. وكانت منادية أبي من مجموعة الأخوة بليموث المسيحية، تعي الذنوب جيدًا وكيفية التخلص منها. 'اللعنة على كل الأبدية التي يجب أن أكون عليها لا شك في ذلك؛' تقولها بنوع من الابتهاج.

'ما قول أبي إذا علم أنني ذهبت إلى قداس كنيسة إنجلترا والأكثر من ذلك أنني استمتعت. استمتعت بعظة فيكارفي الأحد الأخير والإنشاد أيضًا.

ذات مرة سمعت أُمي بنت جالسة بجوارها تقول إلى خادمة الضيوف باحتقار: 'أنت مجرد خادمة!' 'لا تجعليني أسمعك تتحدثين مع خادمة بهذه الطريقة مرة أخرى.

يجب أن يعامل الخدم بأقصى درجات الأدب. فهم يقومون بعمل محترف لا يستطيعين أنت القيام به على الأرجح دون تدريب طويل. وتذكرني أنهم لا يستطيعون رد الإساءة إليك. عليكي أن تكوني مهذبة طوال الوقت مع الذين لا يسمح وضعهم أن يكونوا وقحين معك. إذا لم تكوني مهذبة سيحتقرونك فأنت لا تتصرفي تصرف سيدة'.

حتى تصبحين سيدة صغيرة' كان شيء واجب تعلمه. وكان يتضمن بعض البنود الغريبة.

يبدأ بالتأدب مع من يخدمونك ويأخذنا إلى مثل هذه الأشياء: 'اتركي شيئاً في الطبق وهذا هو أدب السيدات'. 'لا تشربي وفمك كله مفتوحاً' تذكرني أن لا تضعي طوابع على جواب بقيمة نصف فلس إذا لم تكن لتاجر' وبالطبع 'ارتدى ملابس داخلية نظيفة عند ذهابك إلى رحلة بالقطار السريع فلربما حدث حادث'.

وقت تناول الشاي في المطبخ كان لم شمل اجتماعي. كان ل جان عدد لا يحصى من الأصدقاء وكان لديها واحد أو اثنان من الأصدقاء يأتون إليها كل صباح تقريباً. تأتي صواني كعك الكوكيز من الفرن. ولم أذق يوماً كوكيز مثل ما تصنعه جان. كان الكعك مقرمش ومستوي ويحوي الزبيب ومذاقه وهو ساخن يفوق الخيال. كانت جان حازمة بأسلوبها الناعم الهادئ إذا قام أحد من على الطاولة يأتي صوت ليقول: 'لم انتهى بعد يا فلورنس' فيخجل فلورنس ويعود للجلوس مرة أخرى متمماً 'التمسي لي عذراً يا سيدة راو'.

دائماً ما كانت الطباخات لأي عائلة كبيرة يطلق عليهن سيدات. من المفترض أن لعاملات البيت ولخدمات الضيافة أسماء مناسبة-مثل: جان، ماري..الخ الأسماء مثل فايلوت تعتبر غير ملائمة، وكانت تخبر الخادمة بحزم 'طوال فترة خدمتك هنا سيكون أسمك "ماري". أما بالنسبة لخدمات الضيوف فإذا كانت كبيرة بدرجة كافية كانت تدعى باسمها الأخير.

كان الاختلاط بين غرفة الأطفال والمطبخ غير شائع، ومع ذلك كانت نورسي تؤكد على حقوقها وكانت مسالمة ومحترمة ومستشارة للخدمات الصغار.

لدى صورة لك يا نورسي العزيزة- وأنت تتأرجحين في منزلنا ب ديفون. رسمها نفس الفنان الذي رسم بقية عائلتي وهو رسام معروف في ذلك الوقت- إن أتش جي بارد. كانت أمي ناقدة للوحات بارد، كانت تشتكى وتقول: 'يجعل الكل يبدو متسخاً' 'جميعكم تبدوون كما لو أنكم لم تغتسلوا منذ أسابيع!.

ولعلها محقة في بعض ما قالته. الأزرق القاتم والظلال الخضراء في الألوان الخفيفة لوجه أخي كانت تشير إلى الحاجة في استخدام الماء والصابون. وكذلك اللوحة التي تخصني عندما كنت في السادسة عشر تشير إلى مظاهر بزوغ شارب متسخ لم أكن يومًا أعانى منه. كانت لوحة أبي وردية جدًا وبيضاء ومشرقة وكأنها إعلان عن صابون. أشك أن أمي لم تشجع السيد بارد المسكين على الرسم وقهرته بقوة شخصيتها. كانت لوحات أمي وأخي متشابهة إلى حد ما وأنت لوحة أبي صورة حية له ولكنها بعيدة عن كونها صورة شخصية ملونة.

كانت لوحة نورسي عمل أنجزه السيد بارد بكل سرور، أنا واثقة من ذلك. كان الملمس الكتاني الشفاف لقبعتها غير المزينة ومربتها شيء لطيف كذلك التصوير الممتاز لوجهها المجعد البالغ مع عمق عينها- التي ترى فيها كل الأحداث الماضية لبعض الفلمنكيين القدامى.

لا أعرف ماذا كان عمر نورسي عندما أتت إلينا أو لماذا اختارت أمي امرأة عجوز كنورسي ولكنها كانت تقول دائمًا: لم أصبح قلقة بشأنك من وقت مجيء نورسي فأنا أعرف أنك في أيدي أمينة زكثير من الأطفال مرت على هاتين اليدين وكنت أنا آخرهم.

عندما أتى موظفي التعداد السكاني لم يسجل أبي كل الأسماء والأعمار الموجودة في البيت.

وقال في اكتئاب 'إنه عمل شاق؛' 'لا يحب الخدم سؤالهم عن عمرهم. وماذا عن نورسي؟'

حاولت نورسي استجماع قواها ووقفت أمام أبي واضعة ذراعيها على صدرها وواقفة منتصبه تسأله بعينها اللطيفة الكهلة.

قال أبي موضحًا التعداد السكاني 'أترين! علي أن أدون عمر كل واحد منهم. ما عمرك؟'

فردت عليه نورسي في أدب 'اكتب ما تراه سيدي'

رد عليها قائلاً 'موافق ولكن علي أن اعرف'.

لم تكن نورسي بمثل هذا النفور من قبل 'اكتب ما تراه أفضل يا سيدي'.

ولكنه قدر عمرها ٧٥، مخمناً في امتعاض 'التاسعة والخمسين، أو شيئاً من هذا القبيل؟.

ظهر الحزن على وجهها المجعد

وسألت في حزن: 'هل أبدو بهذا الكبر يا سيدي؟'

فقال: 'لا لا، ولكن ما عساي أن أقول؟'

فرجعت لتقول بإجلال

ما تراه صحيح يا سيدي؛'

وعليه قدر أبي عمرها بالرابعة والستين.

كان لتصرف نورسي تأثيره على وقتنا الحاضر. لاقى زوجي ماكس نفس رد الفعل عندما كان يتعامل مع الطيارين البولنديين واليوغسلاف أثناء الحرب.

'العمر؟'

قام الطيار بتلويح يده في لطف قائلاً: 'اكتب ما يرضيك- عشرون أو ثلاثون أو أربعون- أمر ليس بالمهم'.

'وأين ولدت؟'

'أي مكان تحبه. كركوف أو وأرسو أو بلغراد أو زغرب- كما تحب'

متعّب هذا الإهمال السخيف لتلك التفاصيل.

والعرب يميلون إلى ذلك الفعل كثيرًا.

‘أوالدك بخير؟’

‘نعم ولكنه طاعن في السن’

‘كم عمره؟’

‘كهل قد يكون في التسعين أو الخامسة والتسعين’

هكذا تبدو الحياة. عندما تكون صغيرًا فأنت شاب وإذا كنت بصحة جيدة فأنت ‘شخص قوي’ وعندما تبدأ قوتك في الفتور تصبح عجوزًا. وإذا كنت كبيرًا فعليك أن تكون كبيرًا بالقدر المحتمل.

أهدوا لي جرّوا في عيد ميلادي الخامس. كان من أكثر الأشياء المحبطة التي تحدث لي شيء لا يوصف لدرجة أنني لم استطع النطق بكلمة. عندما قرأت إحدى العبارات المعروفة أدركت أنها حقيقة. كنت في ذهول- لدرجة أنني لم استطع قول شكرًا. كنت بالكاد انظر إلى كلبتي العزيز وبدلاً من ذلك التفت مبتعدة عنه. أنا في حاجة ملحة لأبقى وحدي لأنكيف مع هذه السعادة غير المعقولة. (كنت أفعل نفس الشيء عادة خلال مراحل حياتي المتأخرة. لم المرء شديد البلاهة؟) اعتقد أن الحمام كان الملجأ- مكان ممتاز للتأمل الهادئ حيث لا يمكن ملاحظتك. كانت الحمامات مريحة في هذه الأيام. كنت أغلق فاتحة المراض وأجلس عليها محدقة في خريطة توركاى المعلقة على الحائط وأعطى لنفسى فرصة للإدراك.

‘لدى كلب.. هو كلبتي.. كلبتي أنا.. إنه من نوع يوركشير تيرير.. كلبتي.. كلبتي أنا..’

‘أخبرتني أمي لاحقاً أن أبي مستاء من أسلوب استقبالي لهديته

وقال ‘كنت أتصور أن هديتي ستروق للطفلة ولكنها لا تبدو مهمة بالأمر على

الإطلاق.’

ولكن أُمي كانت تستوعب دائماً وقالت إنها تحتاج لمزيد من الوقت. 'إنها لم تعتاده بعد'.

كان ذلك الكلب ذو الأربعة أشهر يتجول في الحديقة وهو مكظوم حيث يتعلق بالجنائني الذي يعمل في حديقتنا، وهو رجل متدمر يدعى ديفي. تربي الكلب على يد الجنائني وعند رؤيته لمجرة الأرض تنغرس بها كان يشعر أنه المكان الذي يمكنه فيه الشعور كأنه في بيته. كان يجلس على ممر الحديقة يشاهد الحفر في الهواء المنعش.

في الوقت المناسب تعارفنا امتلك كلانا الخجل لذلك اقتربنا قليلاً من بعضنا البعض. ولكن مع نهاية الأسبوع كنا أنا وتوني متلاصقان. كان أسمه الرسمي الذي أطلقه أبي عليه هو جورج واشنطن، أما توني فكان اختصار من تأليفي. كان توني كلب ممتاز بالنسبة لطفل- كان ذو طبيعة طيبة، محب ويترك نفسه مع كل خيالاتي. كان لدى توني شريطته وزينته وتقبلهم كعلامة على الترحيب وأحياناً ما كان يأكل جزء منهم بجانب نصيبه في النعال. كان له الحق في الدخول إلى قفصي السري الجديد. ارتبطا **ديكسمسترز وديكي** (الكناري الذهبي) باللورد توني.

أتذكر القليل عن أختي في هذه السنوات الأولى مقارنة بما أتذكره عن أخي. كانت أختي لطيفة معي بينما أخي كان يدعوني بالكاد وكان متكبراً- لذلك لم أكن أتقرب منه إلا عندما يسمح هو بذلك. الحقيقة التي أتذكرها عنه كانت أنه يحتفظ بفئران بيضاء. كنت في ذلك الوقت قد تعرفت على السيد والسيدة **وسكرز وعائلتهم** وهو ما لم يُرق لنورسي. فقد قالت أن رائحتهم تفوح وقد كانوا ذلك بالفعل.

كان بالفعل لدينا كلب آخر في المنزل من نوع داندى دينموند، كان عجوزاً ويدعى سكوتي وكان يخص أخي، كان أخي أسمه **لويس مونتانت**، ولكن بعد أن قابل أبي أعز أصدقائه في أمريكا أطلق عليه **مونتي**، وكان هو وسكوتي لا ينفصلان. كانت

أمي تهمهم تلقائياً قائلة: 'لا تضع وجهك في الأرض وأجعل الكلب يلعقلك يا مونتي'. كان أخي مونتي ينبطح أرضاً على سلة سكوتي حاضناً رقبتة بلطف دون أن يلقي أي اهتمام. وكان سكوتي يبلغ حوالي خمسة عشر عاماً، كان أبي يقول أن للكلب رائحة فظيعة! ولكن المحب للحيوانات لا يعترف بالاتهامات. وكان يتمتم مونتي بحب 'هذه أزهار! تلك هي رائحة الأزهار'.

حدث لسكوتي حادث مأسوي. كان يتمشى معي أنا ونورسي ومع عبورنا الطريق تحطمت عربة تاجر على جانب الطريق ودهست سكوتي. أحضرناه في تاكسي واستدعينا البيطري ولكن سكوتي توفي بعد بضع ساعات. وقتها كان مونتي يبحر مع بعض أصدقاءه. اضطربت أمي عند تفكيرها في إبلاغ مونتي. وظلت منتظرة رجوعه داخل غرفة الغسيل وللأسف بدلاً من مجيئه في المنزل مباشرة كالعادة ذهب إلى غرفة الغسيل ليحضر بعض الأدوات التي يحتاجها فوجد جثة كلبه سكوتي. تراجع وظل يتجول على الأقدام ولم يعد إلى المنزل إلا قرابة منتصف الليل. كان أبواي متفهمين بدرجة كافية حتى لا يخبراه عن موت سكوتي. ولكنه ذهب يحفر قبر سكوتي بنفسه في جانب الحديقة حيث لكل عائلة مكان مخصص عليه حجر مكتوب فيه أسم كلهم.

كان أخي يسخر مني كما سبق وذكرت، واعتاد مناداتي بـ 'الفرخة المهزولة'. كنت انفجر في البكاء في كل مرة. لماذا هذه النعوت الحانقة التي لا أفهمها. اعتدت الذهاب لأمي واخبرها متشنجة، 'هل أنا فرخة مهزولة، أنا هكذا يا أمي؟' كانت أمي تشوش على الأمر وتقول: 'إذا كنت لا تحبين أخوك أن يغيظك لم تتبعيه دائماً؟'

لم يلقي إجابة، ولكن شيء ساحر في أخي يجعلني لا أستطيع الابتعاد عنه. كان في سن تجعله يحترق الأخوات الصغار وكان يلقي مني إزعاج كامل. أحياناً كان ودوداً معي ويتقبل أن أدخل 'ورشته' حيث المخرطة، كما كان يسمح لي بحمل قطع الخشب والأدوات لمناولته. ولكن عاجلاً أو أجلاً كان يطلب من الفرخة المهزولة الخروج.

وقمة عطفه كانت تقبله لي للخروج معه في قاربه. كان لديه زورق صغير يبحر به إلى تورباي. على الرغم من دهشة الجميع فقد سُمح لي أن أذهب معه. كانت نورسي ترافقنا لكنها معترضة على فكرة الرحلة الاستكشافية معتقدة أنني قد أتبلل أو أوسخ ثيابي أو أمزقها أو أعض أصابعي وبالطبع من الممكن أن أغرق. 'الشباب الصغير لا يمكنه الاعتناء بطفلة'.

ولكن أُمي كانت ترى أنني واعية بحيث لا أقف على متن القارب وتعتبر أن هذه الرحلة بمثابة تجربة. وفي اعتقادي أن أُمي كانت تتمنى التعبير عن تقديرها لفعل مونتي غير الاعتيادي وعدم أنانيته. وبذلك ذهبنا إلى وسط المدينة ودخلنا ممر، فأحضر مونتي القارب إلى درجات الممر وأنزلتني نورسي إليه. شعرت أُمي بتأنيب الضمير في اللحظات الأخيرة فقالت لمونتي:

'عليك الحذر، بل الحذر الشديد يا مونتي. ولا تتأخر كثيرًا. واعتنى بأختك'.

اعتقد أن مونتي شعر بالندم على عرضه اللطيف وقال باختصار 'ستكون بخير' ثم قال لي: 'اجلسي حيث أنت ولا تتحركي ولأجل السماء لا تلمسي أي شيء'.

ثم قام بعدة أشياء بالحبال. أخذ المركب زاوية جعلت من المستحيل أن أظل جالسة ولا أتحرك وكنت خائفة جدًا ولكن بعدما انطلقنا في الماء عادت لي الحياة وكنت انتقل في سعادة.

وقفت أُمي ونورسي على نهاية الممر محدقين عن كثب وهم يشبهون التماثيل في مسرحية إغريقية. وكادت نورسي أن تبكي لما تتوقعه وأُمي تحاول أن تسكن مخاوفها موضحة في النهاية ما كانت عليه من سوء كبحارة 'لا اعتقد أنها ستود الذهاب مرة أخرى فالبحر متقلب جدًا'.

كان تصريحها حقيقي فقد رجعت بعد فترة وجيزة ووجهي يمتلئ بالخضرة ومعى السمك أطعمه حيث وضعه لي أخي ثلاث مرات. أنزلني من القارب ممتعضًا معلقًا أن النساء كلهن واحد.

٤

أول مرة اشعر بالخوف كانت قبل بلوغي الخامسة. خرجنا أنا ونورسي يوم الربيع. عبرنا شريط السكك الحديدية وذهبنا في مسار سيفاي لنقطف زهرة الربيع من سياج الشجيرات حيث ينمو بكثرة هناك.

دخلنا من باب مفتوح لنقطف الزهر. وحين امتلأت السلة وجدنا صوت يصرخ في غضب:

‘ماذا تعتقدون أنكم فاعلون؟’

كان رجلاً ضخماً وغاضباً ذو وجه محمر.

فقالت نورسي إننا نقطف زهر الربيع ولم نتسبب في أي ضرر.

‘اخرجوا من هناك وإذا لم تخرجوا من تلك البوابة خلال دقيقة سأغليكم أحياء.. أتفهمون؟’

شدت على يد نورسي ولم تستطع نورسي الرحيل بأسرع مما كانت عليه وفي الحقيقة إنها لم تحاول فزاد خوفاً. واستطعت أن ارتاح عندما وصلنا إلى أقرب مكان آمن في المسار. لاحظت نورسي فجأة أنني كنت شاحبة ومتعبة فقالت لي:

‘عزيزتي؛ لا تفكرين في كلامه على أنه صحيحاً أليس كذلك؟ لا يوجد غلى ولا أي شيء’

أومأت بغباء وكنت قد تخيلت المشهد، كثير من البخار يخرج وأنا أدفع دفعاً داخله صارخة رعباً، كان المشهد حياً في مخيلتي.

تكلمت نورسي معي وذكرت لي أن هناك طريقة لبعض الناس تعتبر نوع من إلقاء النكات، إنه ليس بالرجل اللطيف فهو في غاية الوقاحة ولكنه لم يعنى ما قاله، فقد كان مزاحاً.

لم تكن مزحة بالنسبة لي، وحتى الآن عندما أذهب لأي حفل ينتابني بعض من الرهبة. منذ ذلك اليوم وحتى يومنا هذا لم أرى رعب حقيقي مثلما حدث في هذا الموقف.

حتى في كوابيسي لم أكن أعيش مثل هذه التجربة. للأطفال كوابيسهم ولكنني لا أدري إذا كانت نتيجة لمعاملة الحاضنات أو أشياء أخرى تخيفهم أو شيئاً يحدث في الحقيقة. كان كابوسي يتمحور حول رجل أسميته 'المسلح'. لم أقرأ قصة يوماً عن مثل هذا النوع من الرجال. أسميته كذلك لأنه يحمل سلاحاً وليس لأنني كنت خائفة أن يطلق علي النار أو لأي سبب يتعلق بالسلاح. كان السلاح جزءاً من مظهره والذي يبدو لي الآن كرجل فرنسي يرتدى قلنسوة ذات لونين أزرق ورمادي وذو شعر مصطف فوقه قبعة ثلاثية وكان سلاحه أشبه ببندقية قديمة. كانت مجرد رؤيته تخيفني. لم يكن الحلم مرتب- حفلة شاي أو السير مع مجموعة متنوعة من الناس كأنه احتفال بسيط وفجأة يأتي شعور بعدم الراحة. هناك من يجب ألا يكون هناك- إحساس بشع بالخوف ثم أراه جالساً على طاولة الشاي، يتمشى على شاطئ البحر ويشارك في اللعب. عندما كانت عيناه الزرقاوان الشاحبتان تقابل عيني كنت استيقظ صارخة 'المسلح، المسلح!'

كانت نورسي تبلغ بصوتها الهادئ 'رأت الآنسة أجاثا أحد أحلامها مع المسلح في الليل'

فتسأل أمي 'لماذا كان مربعاً يا عزيزتي؟ ماذا كنت تعتقدين أن يفعل بك؟'

لم أكن أعرف لماذا كان مربعاً. واختلف الحلم بعدها. لم يكن المسلح دائماً في هيئته المعتادة. أحياناً كنا نجلس على طاولة الشاي وأنا أنظر تجاه صديقتي أو أحد أفراد عائلتي فاكشف فجأة أن من أجلس معه ليس دورسي أو فيلس أو مونتي أو أمي أو أي كان. تقابل العيون الزرقاء الباهتة عيناوي في مظهر مألوف. إنه فعلاً المسلح.

وقعت في الحب في عمر الرابعة. كانت تجربة رائعة ومحطمة للقلب. سبب إحساسي كان جندي غرّ في دارتموث، وهو أحد أصدقاء أخي. ذو شعر أشقر وعيون زرقاء أغرى كل مشاعري الرومانسية. لم تكن لديه أي فكرة عن المشاعر التي أحبسها داخلي، غير مكترث بأخت صديقه- الطفلة، لربما كان يقول انه لا يروق لي هذا إذا كان يسأل أصلاً. ازدياد العاطفة لدي جعلتني عندما أرى مجيئه أتعمد وجودي في المقابل له. وعندما نجلس على طاولة الطعام أصمم على غض بصري بعيدة عنه. ثم تأخذني أمي بلطف لتعلمني.

أعلم أنك خجولة ولكن عليك التزام الأدب. من الوقاحة أن تديري وجهك بعيداً عن فيليب طوال الوقت، وعندما يتحدث إليك تكتمين بالتمتمة. حتى إن كنت تكرهينه فعليك معاملته بأدب

أكرهه! ما اقله ما يدركه المرء. عندما أفكر في هذا الآن، ما أسى فرح الحب الأول- فهو لا يتطلب شيئاً لا نظرة ولا كلمة. هو عشق نقي، يمشى المرء في الهواء ويبني في خياله الخاص أحداث بطولية عما سيفعله لخدمة المحبوب. الذهاب إلى مخيم كوارث لرعايته أو حمايته من النيران أو تجنبه رصاصة قاتلة. في الحقيقة أي شيء قد يوجه الخيال إلى اختلاق قصة. لا يوجد أبداً نهاية سعيدة في هذه المخيلات، فأنت تحترق حتى الموت أو تسلم نفسك للابتلاء. فالبطل لا يعترف حتى بالتضحيات العظيمة التي تقدمها له. كنت أجلس في أرض غرفتي ألعب مع توني ولكن في داخل رأسي دوامة كبيرة من التخييلات. مضت الشهور ليصبح فيليب ضابط صف بحري ويترك بريطانيا. ظلت مخيلته تأتي وتذهب لفترة، الحب يختفي. بعدها بثلاث سنوات كنت أهوى بلا أمل ضابط بحري شاب وأسمر وطويل والذي طلب يد أختي.

كانت أشفيلد موطني وقبلتها على هذا، ومع ذلك كانت مقاطعة إيلنج ممتعة. كان بها كل رومانسية البلد الأجنبي. واحدة من المتع الرئيسية بها كان الحمام. كان

لقواعد حمامتها نوع من الخشب الصلب الرائع. الجلوس عليه أشبه بملكة جالسة على عرشها. وسرعان ما حولت ديكسمسترس إلى الملكة مارجريت وديكي إلى أبنها، الأمير جولدي، وريث العرش. فهو يجلس على يمينها في حلقة صغيرة. وكنت أتراجع في الصباح اجلس مطأطئة الرأس مستعدة للاستماع وأمد يدي منتظرة قبلة حتى أستفز الآخرين متمنين الدخول. كان على الحائط خريطة ملونة لمدينة نيويورك وأشياء أخرى تهمني. كان بمنزلنا العديد من السمات الأمريكية. وكان لدي حب عميق تجاه المطبوعات الملونة الموجودة في غرفة النوم الإضافية. واحدة منهم كانت تسمى 'رياضات الشتاء' كانت تصور رجل ذو مظهر بارد يقف على لوح من الثلج ويحاول إقحام سمكة في فتحة صغيرة. كانت بالأحرى كآبة وليست رياضة. وعلى الجانب الآخر ترى صورة جواد مندفع بسرعة في دائرة رمادية مثيرة.

وبما أن أبي تزوج من بنت أخت زوجة أبيه الأمريكي (زوجته الإنجليزية الثانية) وبينما كان يدعوها بأمي، كانت أُمي تدعوها بـ لقب عمّة، وكانت تدعى رسميًا باسم العمّة جراني. قضى جدي سنوات عمره الأخيرة ذهابًا وإيابًا بين عمله في نيويورك وبين فرعه الآخر في مانشستر وكان واحداً من 'أنجح قصص' أمريكا. ولد فقيرًا من عائلة في ماساتشوستس جاء إلى نيويورك وعرف على أنه ساعي مكتب وارتقى حتى أصبح شريك في الشركة. من شاب لا يملك شيئًا إلى مالك في الشركة في غضون ثلاثة أجيال. صنع جدي ثروة طائلة ضيعها أبي بثقته في معارفه، وأخي كان يجري وراء ما تبقى كالبرق.

اشترى جدي منزلًا في تشيشير قبل وفاته بفترة وجيزة ومرض بعدها حتى أصبحت زوجته أرملة على الرغم من صغر سنّها. عاشت فترة في تشيشير وبعدها اشترت منزلًا في مقاطعة إيلنج وكانت وقتها جزء من المدينة. كما كانت تقول في الغالب إنه مكان يملئه الحقول. في الوقت الذي ذهبت لزيارتها لم أكن أصدق، صفوف من البيوت المنمقة في كل اتجاه.

كان لمنزل جراني وحديقته واقع سحري. قمت بتقسيم غرفتي إلى مجموعة من 'الأقاليم'. بني الجزء الأمامي ليصبح نافذة بارزة وعلى الأرض سجادة يدوية مقلمة وجميلة. سميت الجزء الأول غرفة موريل (ربما كان ذلك لأنني كنت مولعة بمصطلح النافذة البارزة) أما الجزء الخلفي من الغرفة فمغطى بسجاد من النوع بروسيلس وكان يمثل صالة الطعام. خصصت العديد من الحصر وقطع المشمع لوضعها في غرف مختلفة. أتحرك في البيت كأنني مشغولة ومهمة من حجرة إلى أخرى متممة بصوت خافت بينما نورسي تحيك الملابس في هدوء كعادتها.

شيء آخر كان يبهمني هو سرير العمة جراني، كان من خشب المهاجوني بأربع عمدان مطوقة بستائر من الدامسك الأحمر. كان السرير محشو بالريش فكنت أتي في الصباح قبل تغيير ملابسي لأرتعي عليه. تستيقظ جراني نحو السادسة وترحب بي. كانت غرفة الرسم في الأسفل وممتلئة بالأثاث المطعم والبورسلين من نوعية دريسدن الصيني ولكنه كان يوحى بالكآبة بسبب الزجاج المنتصب في الخارج. وحجرة الرسم كانت لا تستخدم إلا في الحفلات. وكانت غرفة الجلوس بجوار حجرة الرسم حيث كان الخياطة الذي لا يتغير. وقتها فكرت في أهمية وجود الخياطة. فقد كانت الخياطات شيء ضروري لربة المنزل. فجميعهن متشابهات، فكلهن دقيقات وذوات ظروف مادية صعبة ويعاملن بأدب شديد من قبل سيدة المنزل وعائلتها، بينما يعاملهن الخدم بامتهان عند إرسالهن لمائدة الطعام - وعلى ما أتذكر - لم يقوموا بعمل أي قطعة ملابس مناسبة. كل الأشياء إما ضيقة جدًا من كل مكان أو واسعة للغاية. كانت الإجابة الدائمة على أي شكوى: 'آه صحيح لكن السيدة جيمس تواجه حياة بائسة'.

وبهذا تجلس السيدة جيمس في غرفة الجلوس تحيك الملابس وأمامها ماكينة الخياطة.

رحلت العمة جراني جالسة في غرفة الطعام في سعادة. كان الأثاث من المهاجوني الثقيل وهناك منضدة وكراسي في كل مكان. كانت النوافذ مغطاة بستائر

مزرکشة من النوتهم. كانت جراني تجلس إما على منضدة بكرسي مزين وذو خلفية من الجلد لتكتب الخطابات أو على كرسي مخملي كبير قريب من المدفأة. أخذت المناضد والكنب وبعض الكراسي مع كتب كان ينبغي بقائها وكتب أخرى نجت في طرود غير ملفوفة بإحكام. كانت جراني دائمة شراء الكتب سواء لنفسها أو لتقديمها كهدايا، وفي النهاية أصبحت الكتب كثيرة لدرجة أنها نسيت لمن يجب إرسالها. أو أنها اكتشفت أن الابن الصغير للسيد بينيت التي لم تلحظه وصل للثامنة عشر ولم يعد مناسباً له قراءة أولاد القديس جولدريد أو مغامرات النمر تيموسي.

وكرفيقة متسامحة معي، كانت جراني تستلقي بجانب الخطاب الذي تكتبه (وبجانها أكوام هائلة من المذكرات الورقية) وتبدأ تمضية الوقت مع الدجاجة القادمة من السيد وايتلي. ولا حاجة للقول أن هذه الدجاجة كانت أنا. اختارني جراني لأنني كنت صغيرة ولطيفة ويمكنها اصطحابي للمنزل وتضمن إلزامي البيت ومساعدتها في تجهيز طاولة الطعام وسن السكين وفجأة تفيق الدجاجة وتقول 'هاأنذا - وأكررها بارتجال'.

أحد أحداث الصباح كانت زيارة جراني للبرادة التي تقع بجوار باب الحديقة. كنت أظهر فجأة وتتعجب جراني 'ماذا تريد الطفلة هنا؟' فانتظر على أمل نظرة إلى الاستراحة. رفوف من حاويات المربى والطعام المحفوظ. علب بلح وفواكه محفوظة وتين وبرقوق فرنسي والكرز والانجيلكا وعلب زبيب ومشمش وزبد وأكياس سكر وشاي ودقيق. كل ما تحتاجه ربة البيت هناك وكنت أذهب كل يوم معها لشراء الطلبات اليومية. ونقوم بتذكر ما تم فعله بحصة اليوم السابق. وبقدر ما كانت جراني تبقي على طاولة للجميع إلا أنها كانت تشك كثيراً في تبديد أشياءها، فكانت تقول أن ربة المنزل تحتاج الاطمئنان لذلك كانت تقوم بإحصاء جميع ما تملكه كل يوم، وكانت جراني تفتح حاوية البرقوق الفرنسي وكنت أملئ يدي وأذهب إلى الحديقة.

ما غرابة هذا، عندما أتذكر أيام الماضي يبدو الجو كأنه نفسه في بعض الأماكن. في غرفتي في **توركاوي** كان الجو دائماً إما شتاء أو خريف بعد الظهر، كانت النار مشتعلة في قطع الفحم والملابس تجف على المجفف الموجود فوق حاجز عالي من الأسلاك وأوراق الشجر تلف في دوامات وأحياناً أرى الثلج بالمكان. في حديقة إيلنج كان الجو دائماً صيف- وبالتحديد صيف حار. استذكر بسهولة رائحة الهواء الحار الجاف والأزهار التي يفوح عطرها حول الباب الجانبي. تلك الساحة الصغيرة ذات العشب الأخضر المحاطة بأشجار الورد لم تبدو صغيرة بالنسبة لي. مرة أخرى، لقد كان عالم كامل، أولاً الأزهار وهي شيء هام كانت تقلم يومياً وتقطع بعض الأزهار لترتب في عدد من الزهريات الصغيرة. كانت جراني فخورة بزهورها 'سماد سائل- لا يوجد مثيل له! لا أحد يملك من الأزهار مثلي'.

اعتادت جدتي الأخرى وعادة مع اثنان من أخوالي المجيء أيام الأحد للغداء. وكان يعد يوماً رائعاً. كانت جراني بوهيمر والمعروفة بجراني ب جدتي لامي تصل في حدود الحادية عشر وهي تلهث لأنها بدينة أكثر حتى من العمة جراني. أول فعل لها بعد اخذ عدة قطارات متلاحقة وحافلة عمومية من لندن هو خلع حذاءها المربوط. واعتادت الخادمة هارت المجيء معها في هذه المناسبات. كانت هارت تسبق جراني ب بالركوع لتساعدتها في خلع الحذاء وإبدالهم بزوج مريح من النعال الصوفية. وبعد تنهيدة عميقة لجراني ب كانت تجلس على طاولة الطعام وتبدأ الأختان عمل صباح الأحد الذي يتكون من حسابات طويلة ومعقدة. كانت جراني ب تقوم بالتسوق للعملة جراني في أسواق الجيش والبحرية في شارع فيكتوريا. فالجيش والبحرية كانتا محور العالم بالنسبة للأختين. قوائم وأرقام وحسابات مفصلة وتمتع كلا منهما. نقاشات نوعية البضائع المشتراه 'أنت لن تعني بها يا مارجريت. بضائع سيئة الخامات وخشنة- ليسوا كالبرقوق المشتري آخر مرة ذو اللون البنفسجي' كانت العمة جراني تحضر شنطتها الكبيرة كنت أنظر إليها بدهشة واعتبرها دلالة على الثروة الطائلة. كان لدي الكثير من الجنيئات الذهبية أضعها في صندوق متوسط الحجم

والباقي كان على شكل عملات من نصف كراون وست بنسات وخمس شلنات. قامت الأختان بتحديد المشتريات الصغيرة والإصلاحات. كان لمتاجر الجيش والبحرية حساب مقدمًا بالطبع واعتقد أن العمة جراني كانت تضيف للحساب دائمًا تحسبًا للوقت والأزمات. كلا الأختان كانوا مولعان ببعضهما البعض وكل منهما ترى محاسن الأخرى. جراني ب كانت هي الجمال الموجود في العائلة. وكانت العمة جراني دائمًا ما تنكر هذا. كانت تقول 'ربما يكون لماري (أو كما كانت تدعوها بولي) وجه جميل ولكنها لا تملك شخصية مثلي. والرجال تحب ذوات الشخصية'.

على الرغم من افتقاد بولي للشخصية (يمكنني القول أنها توفرت لها فيما بعد-وكان لديها صدر أنثوي لم أرى مثله قط) إلا أن نقيب من كتيبة البلاك واثش وقع في حبها وهي في السادسة عشر. وعندما رأت العائلة صغر سنها على الزواج، أشار إلى أنه ذاهب خارج البلاد مع الفوج التابع له وقد لا يعود إنجلترا لفترة وأنه يرغب في إتمام الزواج في أقرب فرصة. وبهذا تزوجت بولي في السادسة عشر. واعتقد أن هذا الحدث كان بداية للغيرة بين الأختان. لقد كان زواج حب. كانت بولي جميلة وشابة وزوجها صنف كأوسم نقيب في الفوج.

كان لبولي خمسة أبناء توفي أحدهم. تركها زوجها أرملة في السابعة والعشرين حيث سقط من على جواده. ولم تتزوج العمة جراني حتى وقت متأخر من حياتها. وقعت في حب ضابط بحرية صغير، ولكنها لم تستطع الزواج منه لفقره الشديد مما دعاه للذهاب لأرملة غنية. وهي في المقابل تزوجت أمريكي ثري ولديه ولد واحد. أحيانًا ما كانت تشعر بالإحباط ومع ذلك لم يفارقها طبعها الجميل وحبها للحياة. لم يكن لديها أطفال وتُركت أرملة غنية جدًا. وعلى الجانب الآخر بعد وفاة زوج بولي كانت تبذل قصارى جهدها لإطعام أولادها وكساءهم. لم يكن لديها إلا معاش صغير وأتذكر جلوسها طوال النهار في شباك منزلها تحيك وتصنع أشغال يدوية رائعة، فهي تزين الصور والغرابيل. كانت بارعة في استخدام الإبرة وتعمل بلا توقف، على ما اعتقد كانت تتخطى الثماني ساعات عمل في اليوم. لذلك كانت كل واحدة منهن

تحسد الأخرى على شيء تملكه. واعتقد أن كلاتهما كانتا تستمتع بشجارهما الروحي. أصوات غاضبة تجتاح الأذن.

‘شيء لا طائل منه يا مارجريت، لم اسمع في حياتي قط عن مثل هذا الهراء! حقًا مارى جعلتني أخبرك-‘ وهكذا. حاول بعض رفاق زوج بولى الضباط التودد إليها وعرض الزواج منها ولكنها كانت ترفض الزواج مرة أخرى. قالت أنها لا تستطيع تخيل أحد مكان زوجها وأنها تحب أن تدفن معه في مقبرته بجيرسي عندما يحين قدرها.

انتهت حسابات يوم الأحد ودُونت مهمة الأسبوع القادم وحن مجيء الأحوال. كان الخال ارنست في مكتب البيت والخال هاري سكرتير متاجر الجيش والبحرية. كان الخال فرد وهو الأكبر في الهند مع الفوج التابع له. تم تجهيز طاولة الطعام وأصبح غداء الأحد جاهزًا.

وصلة عظيمة تتبع الغداء عادة ما تكون تورتة الكرز والكريم وعدد كبير من قطع الجبنه وأخيرًا التحلية في أحلى أطباق-فقد كانت وما زالت جميع تلك الأطباق روعة في الجمال: لازلت احتفظ بهم، ثماني عشرة قطعة من أصل أربع وعشرين وهو رقم جيد بالنسبة لستين عامًا. ولا أعلم ما إذا كانوا من نوعية كولبورت أو من أوعية صينية فرنسية- كانت الحواف بالأخضر اللامع مصنوعين بشكل الإسكالوب المطعم بالذهب وفي قلب كل طبق نوع مختلف من الفاكهة- كان الطبق المفضل لدي ولا يزال هو طبق التين، تين أرجواني اللون. (بينما كانت ابنتي روزلن تحب عنب الثعلب) نوع غريب وحلو المذاق. وكان هناك المشمش والكشمش الأبيض والأحمر وكذلك التوت البرى والفراولة وغيرهم الكثير. كانت أجمل اللحظات عندما يوضع الطعام على المائدة وعليها المفارش ذات الورق الرطب، وكل واحد في دوره يخمن ما الفاكهة الموجودة على طبقه. لا اعرف سبب الشعور بالارتياح تجاه ذلك الفعل ولكنها كانت لحظة مثيرة وعندما تنجح في التخمين تشعر كأنك قمت بشيء يستحق التقدير.

وبعد وجبة عملاقة يكون النوم. وتعود العمدة جراني إلى كرسىها الثاني الكائن بجوار المدفأة- كبير ومنخفض. كانت جراني بترتاح على الكنب، كان يغطي الكنب جلد أحمر داكن وعليه سجادة أفغاني تغطي ظهرها الذي يشبه طياته طيات الجبل. لا أعرف ماذا حدث للأخوال. لعلهم ذاهبون للتمشية أو عادوا إلى غرفة الرسم على الرغم أن استخدامها القليل. من المستحيل استخدام غرفة المعيشة لأنها تجلس بها الآنسة جراند والتي تقوم بمساعدة الخياطة والقياس لها. تتمتع جراني لأصدقائها 'يا لها من مسكينة، إنها حقًا حالة موجهة. مخلوق فقير ومشوه'. لطالما جذبتني هذه العبارة لأنني لم أكن أفهمها. وما الذي جعلني أدخل عبر الممر لأتي؟.

بعدما يخلفني الجميع أنام ساعة- وتعودت أن أرجح نفسي في الكرسي الهزاز كنا نلعب مدير المدرسة. يضع الخالين-هاري وارنست القواعد ونجلس في صف وأي منا يكون المدير، يمشى في خطوات هادئة ويلقى علينا الأسئلة بصوت متعطر: 'ما تاريخ اختراع الإبرة؟' 'ما اسم الزوجة الثالثة لهنري الثامن؟' 'كيف لاقى وليم روفس حذفه؟' 'ما الأمراض التي يسببها القمح؟' من يملك الإجابة الصحيحة يرتقى لمنزلة أعلى ومن لم يجاب الإجابة يفقد منزلته. اعتقد أنها كانت مقاربة لبعض الأحاجي التي تستمتع بلعبها هذه الأيام. اعتقد أن الأخوال قد اختفوا بعد ذلك بعدما قاموا بواجبهم مع أمهم وخالتهم. جراني ب تذكرت وأخذت تتقاسم الشاي مع كيك الماديرا، ثم تأتي اللحظة الصعبة عندما تبدأ الخادمة هارت في إلباسها الحذاء، إنه شيء صعب على المشاهدة وصعب على الاحتمال. مسكينة العمدة جراني ب تورمت قدماها على نهاية اليوم، فأصبحت كالباوندنج. إلباسها الحذاء بمساعدة كلاب يتضمن كم كبير من الألم يدفعها للبكاء. آه! ما هذه الأحذية ذات الأزرار. ما دافع أي شخص لارتداها؟ هل موصى عليها من الأطباء؟ ماذا كان ثمن الموضة؟ أعرف أن الأحذية الطويلة مقوى لكاحل الأطفال، ولكن من الصعب أن يتطابق هذا مع سيدة مسنة في السبعين. وأخيرًا ارتدت جراني ب الحذاء الطويل ومازالت تعاني الشحوب جراء الألم. عادت جراني ب إلى أدراجها في بيسواتر بالقطار والأنوبيس.

في ذلك الوقت كان لإيلينج نفس مواصفات شيلتينهام أو منتج ليمنجتون، وكان البحارة والعسكريين يأتون بأعداد كبيرة إلى إلينج من أجل 'هواءها النقي' وميزة قربها من لندن. كانت جراني اجتماعية على كافة المستويات. دائماً ما كان بيتها مليء بالضباط والجنرالات القدامى، تشغل لهم الأغاني وتحيك لهم جوارب الليل: 'أتمنى أن لا تمنع زوجتك' كانت تقولها وكأنها تهديهم تلك المشغولات. يرد الرجال الكبار بأناقة 'لا أود التسبب في أي متاعب!' ثم ينصرفوا شاعرين بالانتشاء والسعادة بالإعجاب برجولتهم. طالما ما كانت أناقتهم تشعرني بالخلج، لم تكن تبدو نكاتهم التي يلقونها لتسليتي ممتعة وتصرفاتهم التعبيرية كانت تثير عصبيتي.

وبماذا ستحلي الأنسة الصغيرة؟ حلويات للأنسة الصغيرة الحلوة أو مشمش؟ أو برقوق ذهبي لتتماشى مع تجعيدات شعرها الذهبي؟

أحمر خجلاً وأتمتم بأنني أريد البرقوق

وأي نوع من البرقوق؟ اختاري الآن

أرد وأنا أضحك 'أريد الأكبر والأحسن؛ من فضلك.'

لم يكن أحد يدرك أنني ألقى نكتة.

وبعد ذلك أخبرتي نورسي قائلة 'لا يجب أن تسألي عن الأكبر أبداً، فهذا يعد طمعاً'

وكنت أقبّل فكرة أن الأمر فيه نوع من الطمع ولكن لماذا كان مضحكاً؟

وكانت نورسي تستمتع بنصحي فهي مرشدة اجتماعية لي.

'عليك الانتهاء من غداك أسرع، افترضني أنك تتناولين الغداء في منزل الدوق عندما تكبرين.

'لا شيء غير مألوف، ولكنني أقبّل الاحتمالات.

‘سيكون هناك رئيس للخدم والعديد من الوصفاء وفي اللحظة المناسبة سيأتون ليأخذوا صحنك، سواء انتهيت من الأكل أم لا.

‘شحبت من المشهد وعزمت على الانتهاء من طبقى بسرعة.

كانت شفتي نورسي تتفوه دائماً بمواقف ارسقراطية مما أجج الطموح لى، أريد كل ما فى الدنيا أريد أن أكون السيدة أجاثا يوماً ما. ولكن معرفة نورسي الاجتماعية كانت صارمة فقالت

هذا ما لا يمكن أن تكونى عليه أبداً

فرددت مذعورة ‘أبداً؟’

فردت بواقعية صارمة ‘أبداً. إذا أردتى أن تكونى السيدة أجاثا، يجب أن تولدى هكذا. يجب أن تكونى أبنة دوق أو ماركيز أو أحد النبلاء. وإذا تزوجتى من دوق ستصبحين دوقة ولكن ليس هذا لأنك هكذا بالفعل بل لأجل لقب زوجك. إنه أمر لم تولدى به

وكانت هذه أول مرة اصطدم بالواقع المحتم والذي لا يمكن تحقيقه. من المهم والجيد لك إدراك هذه الأمور مبكراً. هناك بعض الأمور التى لا يمكن الحصول عليها- تجعد شعرك، لون عيناك السوداويتين (أو زرقاوتان إذا كنت عينيك كذلك) أو لقب السيدة أجاثا.

فى الإجمال اعتقد أن غطرسة الطفولة أو الميلاد أكثر تقبل من الأنواع الأخرى للخطرسة: كخطرسة الثروة والفكر. ويبدو أن غطرسة الفكر تربى اليوم شكل معين من الحقد والغل. يقرر الوالدين إبراز ذريتهم فى صورة ماهرة. ‘قمنا بتضحيات عدة لتنال تعليمك’ فيحترق الولد شاعراً بالذنب إذا لم يحقق آمالهم. والكل متأكد أن الأمر كله متعلق بالفرصة وليس بالاستعداد الفطري.

أدركت مؤخراً أن الوالدان الفيكتوريان كانوا أكثر واقعية ولديهم من الاعتبار لأطفالهم ما يجعل حياتهم سعيدة وناجحة وكانت الغيرة الاجتماعية أقل بكثير.

كثيرًا ما أشعر هذه الأيام أن إرادة الأطفال الناجحين وجاهة اجتماعية للوالدين. ينظر الفيكثوريين نظرة محايدة إلى ذريتهم محاولين تنمية عقولهم حسب قدراتهم (أ) سيكون 'الأجمل' و(ب) 'الأكثر مهارة' و(ج) هو العادي وقطعًا ليس لديه قدرات ذهنية عالية، فالحرف المتقنة ستكون أحسن فرص ل (ج).. وهكذا. بالطبع يخطأوا في بعض الأحيان ولكن ينجح الأمر في الإجمال. وتظهر راحة عظيمة عندما يكون متوقعًا منك إظهار شيئًا لا تملكه.

على عكس الكثير من أصدقائنا، لم نكن ميسوري الحال، كان أبي يعتبر 'ثرى' على أساس أنه أمريكي على فرض أن كل الأمريكيين أثرياء. في الواقع كان حال أبي فوق المتوسط ولم يكن ميسور فلم يكن لديه رئيس خدم أو وصيف أو عربة بأحصنة أو حتى سائق لتلك العربة. كان لدينا من الخدم ثلاث وهو الحد الأدنى وقتها. إذا أردت الذهاب لتناول الشاي مع صديق في يوم ممطر عليك أن تمشي ميل ونصف في المطر مرتديًا حذائك المطاطي ومعطف المطر. لم يكن 'التاكسي' يُطلب أبدًا للصغار إلا إذا كانوا ذاهبين إلى حفلة مرتدين فستان.

وعلى الجانب الآخر كان الطعام الذي يقدم للضيوف في منزلنا فاخر مقارنة بهذه الأيام - وبمقاييس اليوم- في الحقيقة قد يكون عليك تعيين طبّاخ ومساعد له لتقديمه! وقع في يدي قائمة طعام لواحدة من حفلات الغداء لدينا (لعشرة أشخاص) بدأت باختيارين شوربة ثخنة أو خفيفة. وبعدها سمك توبت المغلي أو فليه دى سول. وبعد ذلك يأتي الماء المثلج يتبعه لحم الضأن. ثم بعد ذلك وهو غير المتوقع، مايونيز الكابوريا. الحلويات هي باودينج دبلوماتيك وشارلوت روز ثم بعدها التحلية. وكانت جان هي من تصنع كل ذلك بمفردها.

بالطبع في مثل هذه الأيام إذا كان لأسرة دخل مماثل فينبغي امتلاكهم لسيارة وربما زوج من الخدم وأي حفلة كبيرة تقام ستكون في الغالب في مطعم أو معدة من قبل ربة البيت.

في عائلتنا كانت أختي المصنفة على أنها 'الأمهر' وقد حثتها مديرة مدرسة بريتون أن عليها الذهاب إلى جيرتون. كان أبي حزينًا وقال 'لا نستطيع أن نحول ماج إلى امرأة ذات مستوى تعليمي رفيع. من الأفضل إرسالها إلى باريس لتتم تعليمها' لذلك ذهبت أختي إلى باريس بكامل رضاها حيث لم يكن لديها رغبة معينة تجاه الذهاب إلى جيرتون. كان لديها كل ذكاء العائلة. كانت ماهرة ومسلية وسريعة البديهة وناجحة في كل شيء تسعى لفعله. كان لأخي الذي يصغرها بعام سحر شخصي هائل فقد كان محبًا للأدب ولكنه غير متوقد الذكاء. اعتقد أن أمي وأبي أدركوا أنه سيكون 'الأعند'. كان لديه حب تجاه الهندسة. تمنى أبي أن يدخله في عالم الصرافة ولكن أخي لم يكن لديه رغبة في النجاح. اتجه إلى الهندسة ولكن لم يستطع النجاح مرة أخرى حيث أحبطته الرياضيات.

أما أنا فصُنفت على أنني 'الأبطأ'. كانت ردود أفعال أمي وأختي سريعة بشكل غير عادي- لم أكن أستطيع مجاراتهم. وكنت غامضة، كان يصعب علي دائمًا التعبير عما أريده بالكلمات. كانوا دائمًا يقولون 'أجاثا بطيئة جدًا' وهذه حقيقة كنت أعرفها وأتقبلها. لم تكن هذه العبارة تزعجني أو تقلقني. كنت أود التخلص من أن أكون دائمًا 'الأبطأ'. لم يحدث ذلك إلا عند العشرين حيث أدركت أن مقاييس بيتنا كانت مرتفعة بشكل غير عادي وأني سريعة أو أسرع من المتوسط. عدم القدرة على التعبير كان هو الصفة الملزمة لي. وربما كان ذلك أحد الأسباب التي جعلتني كاتبة.

أول حزن حقيقي انتابني في حياتي كان الابتعاد عن نورسي. فقد حثها أحد أبناءها من الرضاعة والذي لديه عقار في سومرست على التقاعد. عرض عليها بيت صغير في عقاره لتقضى فيه هي وأختها ما تبقى من عمرها. وأخيرًا اتخذت قرارها بترك العمل.

افتقدتها بشكل لا يوصف. كنت أكتب لها كل يوم رسالة صغيرة ضعيفة الصياغة والتهجأة حيث دائمًا ما كانت الكتابة صعبة بالنسبة لي. كانت رسالاتي

تخلو من الابتكار. فقد كانت جميع الرسائل متشابهة: 'عزيزتي نورسي. افتقدك كثيرًا وأتمنى أن تكوني بخير أصيب توني بالبراغيث، الكثير من الحب والقبلات من أجاثا'.

كانت أمي تضع طابعًا على الخطابات، وبعدها بقليل تتحول إلى المعارضة الخفيفة فتقول:

'اعتقد أنك لست بحاجة للكتابة كل يوم. مرتين في الأسبوع قد يكون كافيًا'

وأرد عليها في فزع'

ولكنني أفكر بها كل يوم'

فكانت دائمًا لا تعترض ومع هذا فهي لم تتوقف عن الاقتراح اللطيف. ومضت عدة أشهر حتى استجبت إلى اقتراح مراسلتها مرتين أسبوعيًا ولكنها كانت بالحكمة لتشجعني على إخلاصي العنيد. حتى نورسي نفسها لم تكن تجيد الكتابة. كانت تراسلني مرتين شهريًا برسائل إنجيلية خفيفة. اعتقد أن أمي كانت مزعجة من فكرة أنني لا أستطيع نسيانها. وأخبرتني لاحقًا أن أتناقش مع أبي في هذا الأمر ولكنه رد بتلميح غير متوقع: 'حسنًا، تذكريني بإخلاصي عندما كنت صغير وذهبت إلى أمريكا' فردت أمي أن هذا أمر مختلف تمامًا.

فسألها 'هل كنت تعتقدين أنني سأعود وأتزوجك يومًا ما عندما تكبرين؟'

فقالت 'بالطبع لا' ثم ترددت واعترفت أنها كانت تحلم بذلك. وكانت لحظة عاطفية فيكتورية مثالية. كان على أبي الاندهاش ولكنه كان زواجًا غير سارًا. فقد كان محبطًا بعد موت زوجته وبعدها عاد ليلحق كلارا. كانت زوجته مريضة ولا أمل من شفاءها وكانت تباركه مع أنها كانت تلفظ أنفاسها الأخيرة. وضحكت عندما أخبرته 'أترى من المفترض أن لا أبدو بدينة وقصيرة تستلقي على الكنبه مغطاة بغطاء صوفي ناعم وجميل'

كان الموت والمرض غير القابل للشفاء وقتها له عادات أكثر رومانسية من القسوة البادية هذه الأيام. فلا توجد سيدة صغيرة في ذلك الوقت تتباهى بأن صحتها جيدة. كانت جراني تخبرني دائماً بإعجاب عن مدى رقتها عندما كانت صغيرة قائلة 'لم أكن يوماً أمل في الخلود' فقد كانت يدي تتخبط وأنا لعب غير مبالية وأصاب بالإغماء. وعلى الجانب الآخر كانت جراني ب تقول عن أختها: 'كانت مارجريت قوية دائماً وأنا كنت الرقيقة'.

عاشت العمة جراني إلى سن الثانية والتسعين أما جراني ب فتوفت في السادسة والثمانين وأنا شخصياً أشك في أن أي منهما كانت رقيقة على الإطلاق ولكن كان لكليهما حساسية شديدة وكانتا رشيقات ومولعات بالموضة من صغرهما. في الحقيقة كانت جراني مشبعة بفكرة أن تنقل للشباب مدى رقتي وضعفي الأنثوي وصغر سني. عندما كنت في الثامنة عشر كان غالباً ما يقول لي أحد عاشقيني 'هل أنت متأكدة أنك لم تصابي بالبرد؟ لقد أخبرتني أمك كم أنك حساسة!' كنت وقتها امقت هذه الصحة الوقحة التي كنت أتمتع بها، ويرجع الوجه القلق إلى طبيعته. ثم يأتي السؤال 'ولكن لماذا تقول جدتك أنك حساسة؟' وكان علي توضيح أن جراني كانت تبذل جهدها في الولاء لتجعلني أبدو ممتعة. أخبرتني جراني أنها عندما كانت صغيرة كانت الأنسات غير قادرات إلا على تناول اليسير من الطعام إذا كانوا في حضرة الرجال. أما الأطباق الرئيسية فكانت تنقل إلى غرف النوم لاحقاً.

حتى كتب الأطفال كانت لا تخلو من الأمراض والموت المبكر، كان أفضل كتي كتاباً يدعى زهرة البنفسج البيضاء. زهرة بنفسج صغيرة، في الصفحة الأولى مرضت بمرض غير قابل للشفاء وماتت محاطة بعائلتها وهي تنوح على فقدانها في الصفحة الأخيرة. ظهرت المشاكل بسبب أخواتها الأشقياء، بوني وفركن، اللذان لا يكفان عن خلق المشكلات لأنفسهم. قصة أخرى هي المرأة الصغيرة، وهي قصة مبهجة في العموم. موت نل الصغيرة في محل التحف القديم يجعلني أشعر بالبرد والاشمئزاز، أما في أوقات ديكنز كانت كل الأسرة بالطبع تبكي متأثرة.

كانت مقالة الأثاث المنزلي، الكنبه أم الأريكة، مرتبطة بشكل أساسي بالدكتور النفسي هذه الأيام ولكن في الحقبة الفيكتورية كانت رمزاً للموت المبكر والتدهور الصحي والرومانسية. وأنا أميل إلى الاعتقاد أن الزوجة الفيكتورية والأم كانتا مستغلين لهذا الموقف جيداً فهو يعفيها أعمال المنزل الشاقة. كانت المرأة تتمسك بهذا الفعل في أوائل الأربعينات وتقضى وقت ممتع يخدمها فيه زوجها معطي إياها كل الرعاية هو وأبنائها. يتدافع الأصدقاء لزيارتها وكان صبرها ولطفها محبب من الجميع. هل كانت حقاً مريضة؟ على الأرجح لا. ولا شك أنها كانت تشعر بالآلام الظهر وتعانى من قدمها مع تقدم العمر كأغلبنا.

الكتاب الآخر من المفضلين لدي كان البنت الألمانية الصغيرة (كانت كسيحة منذ الولادة) مستلقية طوال اليوم تنظر من وراء الشباك، شابة محبة لذاتها وسعيدة تتعجل المسير. يتطور مرضها إلى أن توفت. ندم ساحر وحضور محبوب بوجهها الأبيض والحزن المسيطر عليها. كنت أقرأ كل هذه الكآبة برضا كبير.

وكنت أقرأ كذلك حكايات العهد القديم من صغرى. كان الذهاب إلى الكنيسة واحداً من أبرز الأحداث الأسبوعية. كانت الكنيسة الأبرشية لتورموهن أقدم كنيسة في توركاى. كانت توركاى نفسها مهمل حديث ولكن تورموهن مكان عبادة رئيسي لأماكن كثيرة. كانت الكنيسة القديمة صغيرة. وكان القرار هو الاحتياج إلى كنيسة أكبر للأبرشية. بُنيت هذه الكنيسة وقت مولدي وتبرع أبى بمبلغ من المال على أسمى وبذلك كنت مؤسسة للكنيسة. في آخر الأمر أخبرني أبى وشعرت وقتها بالأهمية. كان طليبي الدائم 'متى استطيع الذهاب للكنيسة؟' وأخيراً يأتي اليوم العظيم. كنت أجلس بجوار أبى في مقعد بالقرب من المقدمة ونتابع الطقوس التي تتلى من كتاب الصلوات. كان أبى يخبرني مسبقاً أن بإمكانى التسكع قبل بدء العظات إذا وددت ذلك، ولكن عندما يأتي الوقت ويهمس في أذني قائلاً 'أتودين الذهاب؟' أحرك رأسي بقوة وأظل مكاني. كان يمسك بيدي وأجلس منتشية محاولة أن لا أتملل.

كنت أحب طقوس الأحد الدينية جدًا. كان يسمح لي من قبل بقراءة قصص معينة أيام الأحد فقط وكنت أحب قصص العهد القديم. لا شك أن قصص العهد القديم من وجهه نظر طفلة صغيرة كانت جيدة الصياغة. فقد كان بها التأثير الدرامي المثير لخيال الطفل: كنت أجد هذا في حكايات مثل حكاية يوسف وعلاقته بإخوته، ورداؤه متعدد الألوان، وقصة صعوده إلى قمة السلطة في مصر، والنهاية الدرامية المثيرة لصفحه عن أشقائه الأشرار. أيضًا قصة موسى والغابة المحترقة من قصصي المفضلة، وقصة داوود وجولياث.

من بضعة سنوات وقفت على جبل نمروود ورأيت خيال المقاتل. عندما لاحظت دقة هدفه وسلاحه القاتل أدركت فجأة ولأول مرة أن خيال المقاتل كان جولياث ضد من يقع في المصيدة. كان داوود في منزلة عالية من البداية- رجل لديه سلاح طويل المدى ضد رجل لا يملك شيئًا. ولن يستمر الحال كثيرًا حتى تصارع التابع الصغير ضد الكبير-العقل ضد العضلات.

كان يتوافد على بيتنا الكثير من الناس الصالحون أيام صغرى، ومما يرثى له أنني لا أتذكر أي منهم. كل ما أتذكره عن هنري جامس، هو شكوى أمي أنه دائمًا ما يطلب الكثير من السكر المكسر للشاي- وكان هذا تظاهره في كالعقدة الصغيرة التي كانت تختلقها عند مجيء روديارد كيبلينج، ومرة أخرى فإن ما أتذكره هو حديث أمي مع صديقة لها عن سبب عدم زواجه بالسيدة كيبلينج. تُنهي صديقة أمي حديثها 'أعرف السبب فهم متكافئين'. أخذ الكلمة على أنها مجاملة حيث اعتقد أن ما قالتها كان تعليق غامض. ولكن عندما أوضحت لي نورسي في يوم ما أن طلب الرجل الزواج منك يعتبر قمة الشناء التي قد يقدمها رجل لفتاه، وقتها بدأت أفهم.

على الرغم من حضوري حفلات الشاي بالمسيلين الأبيض والستان الأصفر لم يكن أحد يتذكرني. الأناس الذين خلقوا في مخيلتي كانوا أكثر حقيقة ممن قابلتهم. أتذكر جيدًا صديقة أمي المقربة الآنسة تاور لأنني كنت أبذل جهد مضني لأتجنبها.

كان لها حاجبين سوداوين وأسنان بيضاء لامعة وكنت اعتقد شخصيًا أنها تشبه الذئب تمامًا. كانت تحب الانقضاض علي وتقبيلي بعنف متعجبة 'يمكنني أكلك!' كنت اعتقد أنها قد تفعل ذلك. كنت أتجنب طوال حياتي الاندفاع نحو الأطفال وتقبيلمهم دون سؤالهم. مساكين هؤلاء الأطفال ما هي وسائل دفاعهم؟ عزيزتي الآنسة تاور كانت طيبة ولطيفة ومحبة للأطفال-ولكنها لم تكن تعي مشاعرهم.

كانت السيدة ماكجريجور مرشدة اجتماعية في توركاى وكنا على وفاق فقد كانت تقترب منى عندما كنت صغيرة جدًا وتسألني إذا كنت أعرف من تكون؟ وكنت أرد بصدق أنني لا أعرف. فتقول 'أخبري أمك أنك قابلتي السيدة سنوكس اليوم' وبمجرد أن تتركني تأتى نورسي للاعتناء بي'هذه هي السيدة ماكجريجور وأنت تعرفينها حق المعرفة' ولكن بعد ذلك كنت أناديهما دائمًا بلقب السيدة سنوكس وكانت هذه مزحتنا الخاصة.

كان اللورد ليفورد هو الأب الروحي ذو الروح المرحية ويعقبه كابتن هيوت. وذات يوم جاء إلى المنزل وسمع السيد والسيدة ميللر خارجين تجاهه ويقولان ببهجة'آه؛ هذا مناسب سآتي لانتظارهم' وهم يدفعون خادمة الضيوف أمامهم. أما خادمة الضيوف فتصفع الباب في وجهه وتندفع على السلالم لتكلمه من شباك الحمام. ولكنه ينجح في النهاية في إقناعها أنه صديق العائلة-خصوصًا أنه قال 'وأنا أعرف أنك تتحدثين إلي من الحمام' كان هذا الدليل الوصفي مقنعًا لها لذلك سمحت له بالدخول ويملئها الخجل من معرفته أنها كانت تتحدث إليه من الحمام.

كان هناك حساسية تجاه الحمامات في تلك الأيام. كان شيء رهيب أن تُرى داخلًا أو خارجًا من أحد غير أفراد عائلتك وكان الأمر أصعب في بيتنا حيث أن الحمام في دور علوي وواضح للصالة. والأسوأ بالطبع أن تدخل وتسمع أصوات في الأسفل. مستحيل أن تفكر في الخروج. عليك البقاء مسجونًا بالداخل حتى يتسع لك المجال.

لا أذكر كثيرًا من أصدقاء الطفولة.

كانت دورسي ودولسي أصغر مني، كانا ذات خنف ومتبلدي الحس فكنت أراهم أغبياء كنا نتناول الشاي في الحديقة ونتسابق جريًا حول شجرة الهشية ونأكل كريمة الديفونشير المغطية لكيكة الكوكيز. لا استطيع تخيل سبب سعادتنا بذلك. كان والدهم السيد ب صديق أبي العزيز. بعد فترة وجيزة من سكننا في توركاى قام السيد ب بإخبار أبي أنه مقدم على الزواج. وصف امرأته بأنها رائعة وقال 'وتخيفيني يا جو- شيء جيد أن تخيفني كم تحبني هذه المرأة!'-كان أصدقاء أبي دائمًا ما يدعوه بجو.

وبعدها بفترة جاءت إحدى صديقات أمي لتمكث معنا، هي فعلاً مزعجة. تلاقى مع أمراه شابة جميلة تتحدث بصوت عالي مع صديقاتها في ساحة الفندق. قالت منتشية 'قبضت على طائري يا دورى. وصل أخيرًا إلى مبتغاة وهو يفعل ما يحلوه'

قامت دوري بهنتتها وقامت بالنقاش في ترتيبات الزفاف بحرية. ووقتها ذكر أسم السيد ب حيث إنه الزوج المنتظر.

كانت تجرى مشاورات عظيمة بين وأبي وأمي. ماذا كان سيحدث بهذا الشأن؟ هل ستركوا السيد ب المسكين يتزوج بهذه الطريقة المشينة من أجل ماله؟ هل فات الأوان؟ هل سيصدقهم إذا أخبروه عما سُمع بالصدفة.

وأخيرًا أخذ أبي قراره. لا ينبغي إخبار السيد ب بأي شيء. نقل الحكايات بين الناس عمل دنيء والسيد ب ليس بالطفل الجاهل. لقد اختاروه في كامل وعيه.

سواء كانت السيدة ب تزوجته من أجل ماله أم لا فهي تجتهد لتكون زوجة ممتازة ويبدو أنهم سعداء معًا. فلديهم ثلاث أطفال ولا ينفصلون عن بعضهم ولا توجد حياة كاملة. مات السيد ب المسكين أخيرًا بسرطان في اللسان وكانت زوجته

ترعاه وتمرضه بإخلاص خلال فترة معاناته الطويلة مع المرض. وذات مرة قالت أمي إن هذا درس يجب تعلمه وهو أن لا يعتقد الفرد أنه أجدر في معرفة ما ينفع غيره. عندما يخرج المرء مع عائلة السيد ب للغداء أو للشاي لا يكون الكلام إلا عن الأكل.

‘برسيفال هو حبي والمزيد من الضأن، كم هو لذيذ وخفيف النضج’
كما ترين عزيزتي إيدث. أريد شريحة أخرى فقط. دعيني أتمرر عليك صلصة الكابر مصنوعة بعناية. دورسي حبيبتي أتودين المزيد من الضأن؟
‘شكرًا يا بابا’

‘دولسي؟ أتودين شريحة أخرى صغيرة من ورك الخنزير كم هو لذيذ!’
شكرًا أمي. لا أريد’

كان لدي صديقة أخرى تدعى مارجريت. يمكن نعتها بالصديقة نصف الرسمية. لم تكن نزور بعضنا البعض (كانت والددة مارجريت حمراء الخدين ولها شعر برتقالي لامع. أشك الآن أنها اعتبرت ‘لعوب’ مما دفع أبي لعدم السماح لأمي بالاتصال بها) ولكن كنا نتمشى سويًا وأصبحت كلا مربيتنا أصدقاء. كانت مارجريت محدثة لبقة وكانت معتادة على إحراجي. كانت قد فقدت أسنانها الأمامية فأصبح كلامها غير واضح لدرجة أنني لم أكن أميز ما تقوله. وكنت أظن أنه من غير المناسب ذكر ذلك، لذا كنت أجيها عشوائيًا ومع الوقت انفصلنا تدريجيًا، وأخيرًا عرضت علي مارجريت أن تقص لي قصة تحكى عن ‘بيت الحلوى المسممة’ ولكن ماذا حدث لهم لا أعرف مطلقًا. لقد أصبحت غامضة من زمن بعيد وكانت مارجريت تنتهي دائمًا بسؤال ‘ألا تعتقدين أن هذه قصة رائعة؟’ كنت أوافقها على مضض. ‘ألا تعتقدين أن كان عليهم...’ وقتها كنت أشعر أن سؤالي عن القصة سيكون بالكثير علي لاحتماله. فاتخذت قرار وقلت لها ‘والآن سأخبرك أنا بقصة يا مارجريت’

والواضح أن هناك نقاط في قصة الحلوى المسببة التي كانت ترغب في مناقشتها، ولكنني كنت اختفى.

وكنتم ارتجل بصعوبة قائلة 'إنها عن بذرة الخوخ، جنية تعيش في بذرة الخوخ' فترد قائلة 'أكملي'

أكملت وكنتم اخترع التفاصيل حتى أرى بوابة بيت مارجريت.

وفي النهاية ترد علي مارجريت 'إنها قصة رائعة حقًا، من أي كتاب حكايات جئت بها؟'

لم أكن قرأتها من أي كتاب. فقط اختلقتها ولا اعتقد أنها كانت جيدة من الأساس ولكنها كانت تحميني من غلظة لومي لها لفقد أسنانها. وكنتم أخبرها أنني لا أتذكر في أي كتاب من كتب الحكايات كانت هذه القصة.

عندما كنتم في الخامسة رأيت أختي عائدة من باريس بعدما 'أنهت دراستها' أتذكر الفرحة التي انتابتنى لرؤيتها وهي تنزل من تاكسي. كانت ترتدي قبعة جميلة من القش وإيشارب أبيض مطعم بالنقط السوداء فبدت لي مختلفة تمامًا. كانت لطيفة جدًا معي واعتادت أن تقص علي القصص. كانت تسعى إلى مساعدتي في دراستي، فتعلمني الفرنسية من كتاب يدعى LE Petit Precepteur. اعتقد أنها لم تكن معلمة جيدة لدرجة أنها جعلتني أكره الكتاب. أخفيت الكتاب مرتين بين الكتب الأخرى ولم يطل الوقت حتى ظهر إلى النور مرة أخرى.

رأيت أنني علي أخفاء الكتاب. كان هناك صندوق زجاجي كبير في جانب من جوانب الغرفة يحوى نسرًا محنطًا كان هو فخر أبي ومجده وكنتم أدس الكتاب خلفه من الجانب غير المرئي وكانت طريقة ناجحة فلم يستطع الصياد العثور عليه لأيام.

ومع هذا فقد أحبطت أُمي مجهودي بسهولة، لقد أعلنت عن جائزة من الشيكولاته لمن يجد الكتاب وحيث أن طمعي لا ينتهي وقعت في الفخ وأجريت بحثًا

دقيقًا حول الغرفة وأخيرًا صعدت على كرسي أحرق وراء النسر وهتفت بصوت مندهش: 'لماذا إنه موجود هنا!' وتلى الحدث الجزاء، استنكروا فعلي وأرسلوني إلى السرير باقي اليوم. تقبلت ما حدث كجزاء عادل ولكني رأيت أنه من الظلم أن لا أحصل على الشيكولاتة فلقد قالوا أن الجائزة ستكون لأي شخص يجد الكتاب وأنا وجدته.

كان لدى أختي لعبة تخيفني وتهزني في ذات الوقت. اللعبة هي 'الأخت الكبرى' فكرة اللعبة أن لعائلتنا أخت كبرى أكبر مني ومن أختي، هي مجنونة وتعيش في كهف في رأس كوربن ولكنها تأتي منزلنا أحيانًا. لم تكن تحمل ملامح أختي ولا تشبهها إلا في الصوت. كان الصوت مخيف صوت أملس وناعم.

هل تعلمين من أنا يا عزيزتي؟ أنا أختك ماج. أنت لا تعتقدين أنني أحد آخر، صحيح؟ أنت لا تعتقدين ذلك؟

كنت أخاف بدرجة لا توصف، بالتأكيد كنت أعلم أنها ماج ولكنها تحاول التظاهر-ولكن هل الأمر كذلك؟ أليس من الممكن أن يكون الأمر حقيقة؟ ذلك الصوت-تلك العيون اللامعة الماكرة. هذه هي أختي أنا!

اعتادت أُمي الغضب. 'لا أريدك أن تخيفي الطفلة بهذه اللعبة السخيفة يا ماج'

فترد عليها ماج بعقلانية قائلة: 'ولكنها هي التي تطلب ذلك'.

'أنا فعلاً كنت أطلب منها القيام بذلك. كنت أسألها: 'هل ستأتي الأخت الكبرى قريباً؟'

فترد قائلة 'لا أعرف هل تودين منها الحضور؟'

وكننت أجاب ب نعم.

هل فعلاً كنت أريد ذلك؟ اعتقد ذلك.

كنت متطلبة ولا أرضى بسهولة. ربما يومين بعدها ويطرق باب غرفتي فيقول الصوت:

‘هل لي بالدخول يا عزيزتي؟ أنا أختك الكبرى....

‘ظلت ماج تستخدم صوت الأخت الكبرى لسنوات وكنت ارتجف خوفاً.

هل كنت أحب الإحساس بالخوف؟ ما هي الغريزة التي في حاجة إلى الخوف لتشبع؟ حقاً لماذا يستمتع الأطفال بالحكايات عن الدببة والذئاب والساحرات؟ هل ذلك لأن شيئاً ما يثور داخل الفرد ضد الحياة الآمنة؟ هل هناك قدر من الخطر مهم لحياة الجنس البشري؟ هل الكثير من الأخطار الصغيرة اليوم تساهم في الكثير من الأمان فيما بعد؟ هل يحتاج المرء غريزياً إلى شيء ليقاقله ويتغلب عليه؟ كأن الإنسان يريد أن يثبت نفسه لنفسه؟ تخلص من الذئب وسترى كل الأطفال مستمتعين؟ وعلى أي حال حب كل الأشياء التي تخيفك قليلاً ولكن لا ترعبك.

كانت أختي تحصل على مكافأة عظيمة لقصصها القصص. كان أخوها الصغير يدفعها قصصها علي مرة أخرى

‘لا أريد ذلك’

‘احكها/ احكها!’

‘لا أنا لا أريد’

‘أرجوك سأفعل أي شيء لأجلك’

‘هل ستتركني أعض أصابعك؟’

‘نعم’

‘سأعضها بشدة وربما حالاً’

‘لا يهمني’

أجبرت ماج على قص الحكاية مرة أخرى. ثم التقطت صباعه وقضمته، فصرخ أخي مونتي فأتت أمي وعاقبت ماج.

ولكنها قالت غير آسفة 'كان اتفاقاً بيننا'

أتذكر جيداً أول قصة كتبتها، كانت من نوع الميلودراما وقصيرة جداً حيث كانت الكتابة والتهجأة متعبة بالنسبة لي. كانت تتحدث عن السيدة ماج الخيرة والسيدة أجاثا الشريرة وكانت الحبكة الدرامية تدور على ميراث قلعة.

جعلت אחتي تقرأها واقتрحت عليها أن نمثلها، وعلى الفور قالت אחتي أنها تفضل أن تكون السيدة الدموية أجاثا وأنا أكون السيدة النبيلة ماج.

وكنت أسألها مصدومة 'ألا تريدان أن تكوني الخيرة؟' وكانت ترد علي بقول لا، كانت تعتقد أن الأمر سيكون أكثر طرافة إذا كانت دموية. كنت أسعد بذلك، لم يكن الأمر إلا أدب حتى تنسب النبالة إلى السيدة ماج.

أتذكر أن أبي كان يضحك من فعلي ولكن بشكل لطيف، أما أمي فقالت أنه ربما من الأفضل أن لا استخدم كلمة دموي لأنها كلمة غير لطيفة. ولكنني شرحت قائلة: 'ولكنها كانت دموية، لقد قتلت الكثير من الناس. إنها تشبه ماري الدموية التي كانت تحرق البشر في محرقة الجثث'

لعبت كتب القصص دوراً عظيماً في حياتي. أعطتني إياهم جراني بمناسبة عيد ميلادي والكريسماس. كتاب الحكايات الأصفر وكتاب الحكايات الأزرق وغيرهم. أحبهم جميعاً وقرأتهم عدة مرات. وهناك أيضاً مجموعة من قصص الحيوانات تتضمنهم قصة عن أندروكلس والأسد وهي أيضاً من تأليف أندرو لانج.

وبعدها بدأت أركز مع السيدة ميلزورس، وهي كاتبة رائدة في الكتابة للأطفال. واستمرت قصصها معي لسنوات عدة. واعتقد أنه بإعادة قراءتهم الآن سيكونون ممتعين. بالتأكيد سيرى أطفال هذا الجيل أنها قصص بالية ولكنهم يحملون

حكايات جيدة ويحووا الكثير من الشخصيات الروائية. يوجد الكاروتس وهو مجرد طفل صغير ويوجد هار بابي للأطفال الصغار والكثير من الحكايات. استطيع إعادة قراءة الساعة كوكو والغرفة المزركشة. وأمتع القصص على الإطلاق هي المزرعة ذات الأربع اتجاهات، لا أجدها الآن مسلية وأتعجب من قدر حي لها سابقاً.

أرى أن قراءة الحكايات مهم لتوجه المرء للفضيلة. لم يكن يسمح لي بالقراءة قبل الغداء. من المفترض أن تسعى لعمل شيء مفيد في الصباح. وحتى وقتنا هذا ينتابني شعور بالذنب إذا حدث وجلست لأقرأ رواية بعد الإفطار. وينطبق نفس الشيء على لعبة الكوتشينة يوم الأحد. تربيت على استنكار نورسي للعب الورق لأنها 'الكتب المصورة للشياطين' ولكن لعب الورق يوم الأحد كان ممنوعاً في البيت كقاعدة. ومع مرور سنوات لا استطيع الهروب من الشعور بالانزعاج عندما لعب أي لعبة من ألعاب الورق يوم الأحد.

قبل رحيل نورسي ذهب أبي وأمي إلى أمريكا ومكثوا هناك لبعض الوقت. ذهبت أنا ونورسي إلى إلينج ومكثنا بضعة شهور وكنا سعداء للغاية. كان لجراني طبخة عجوز تدعى هناء. كانت رفيعة بقدر ما كانت جان سمينة، امرأة بشعة من نحافتها لها وجه رفيع وكثفان منحنيان. كانت تطهو ببراعة وتصنع خبز بيتي ثلاث مرات في الأسبوع وكان يسمح لي بدخول المطبخ للمساعدة وعمل الخبز الكوخي أو المجدل. شعرت بالخجل منها ذات مرة عندما سألتها ما هو الجبليت (الأحشاء). الجبليت هي أشياء تخص الأنسات ولا يسأل عنها. كنت أحاول إغاضتها بالجري ذهاباً وإياباً من وإلى المطبخ قائلة؛ 'ما هو الجبليت يا هناء للمرة الثالثة يا هناء ما هو الجبليت؟' وهكذا. كانت نورسي تبعدني مستنكرة؛ أما هناء فلا تكلمني لمدة يومين. وبعد ذلك كنت أكثر حرصاً على انتهاك قواعدها.

كان علي أثناء إقامتي في إلينج الذهاب إلى دايمون جوبلي لاستلام جواب من أمريكا موقع باسم أبي. كان أسلوب الكتابة كأسلوب هذه الأيام، فلم يكن يشبه كلمات أبي وكأنه يصنع ما يكتبه لقد كان حديث أبي مرح وقليل الفظاظ.

"يجب أن تتعاملني بأدب مع العمدة جراني يا أجاثا وتذكري كم هي لطيفة معك وسلوكها معك طيب. سمعت أنك ذاهبة لمشاهدة العرض الرائع، إنه عرض لا ينسى وهو حدث لا يراه المرء غير مرة واحدة في حياته. عليك إخبارها كم أنت ممتنة. كنت أتمنى لو أنني معكم وكذلك أمك نفس الشيء. أدرك أنك لن تنسى ذلك أبدًا.

كان أبى يفتقد القدرة على التكهن بمدى شقاوة الأطفال. عندما ارجع إلى الماضي ماذا أتذكر؟ بعض الأشياء السخيفة عن الخياطة والخبز المجدل الذي أصنعه في البيت ورائحة عطور. وماذا نسيت تذكره؟ نسيت مشهد من يصرف الكثير من المال حتى يجعلني أرى وأتذكر. غضبانه من نفسي. ما هذه الطفلة الجاحدة الفظيعة!

يذكرني ذلك بما اعتقدته صدفة وهو أن الفرد يميل إلى قول أن هذا لا يمكن أن يحدث. كان الحدث الأكبر هو جنازة الملكة فيكتوريا. ذهبت العمدة جراني وجراني ب لرؤيتها. كانوا يأخذون نافذة في منزل ما بالقرب من بادنجتون ليلتقوا سويًا في اليوم العظيم. تستيقظ جراني في الخامسة حتى تضمن أن لا تتأخر، في الوقت المناسب تذهب إلى محطة بادنجتون وهذا يعطيها ثلاث ساعات مناسبة حتى تلحق بمكان مشاهدة متميز وفقًا لحساباتها. وكانت تحمل معها بعض أعمال الإبرة مع بعض الطعام والاحتياجات التي تساعد على تمضية ساعات انتظارها. ولحسرتها! لم يكن الوقت الذي حسبته كافيًا فقد كانت الشوارع متكدسة. وبعد مضي بعض الوقت من مغادرتها محطة بادنجتون لم تستطع التقدم للأمام، أنقذها من الزحام اثنان من رجال الإسعاف وأكدوا لها أنها لن تستطيع المسير. بكت جراني والدموع تتساقط على وجهها وقالت 'ينبغي علي التقدم، لكن ينبغي.. لقد وجت مكاني، لي مقعد أول كرسيين في النافذة الثانية على الأرض، هكذا استطيع أن أرى كل شيء. ينبغي علي! 'لا يمكنك ذلك فالشوارع مكتظة، لم استطع أحد المسير من نحو نصف ساعة'. انتحبت جراني أكثر من سماع ذلك. فقال لها رجل الإسعاف في لطف؛ 'لا يمكنك رؤية أي شيء سيدتي ولكن سأخزك لنهاية الشارع حيث توجد

عربة الإسعاف التي نعمل عليها ويمكنك الجلوس هناك وسيحضرون لك كوبًا لطيفًا من الشاي' ظلت جراني تنتحب ولكنها ذهبت معهم. كان بجوار العربة شخصية لا تشبهها ولكنها كانت مثلها تنتحب، كانت شخصية لا تنسى ترتدي الصوف الغامق القريب من السواد وملابسها مطعمه بالخرز. كانت الشخصيات الأخرى رافعة أنظارها إلى السماء ومنهم اثنان ييكيان ببشاعة: 'مارى!' 'مارجريت!' سلام عميق من صديقين حميمين التقيا.

أفكر مرارًا في أكثر الأشياء التي منحتني السعادة في طفولتي. طوقي، قبل كل شيء. مسألة بسيطة بالتأكيد كم تكلف؟ ستة بنسات؟ شيلن؟ بالتأكيد ليس أكثر من ذلك.

ويا لها من نعمة لا تقدر بثمن لدى الوالدين والمربين والخدم. في الأيام المناسبة، تخرج أجاثا إلى الحديقة ومعها طوقها فلا تسبب مشكلات لمن حولها حتى يأتي وقت الطعام أو بمعنى أدق حتى يقرصها الجوع.

كان يمثل لي طوقي حصان ووحش البحر وقطار سكة حديد بالتعاقب. كنت ألف بطوقي حول مسارات الحديقة، فكنت مثل الفارس في بذلته العسكرية زاهبة في رحلة بحث، فتاه الساحة تدرب حصاني الصغير والشبندر (الخاص بالكيثي) يهرب من الحبس- أو ما هو أقل رومانسية، أنني كنت سائقة وحارسة أو مسافرة على ثلاثة من السكك الحديدية الخاصة بي.

فقدت رفيقة اللعب عندما فارقتني نورسي. كنت أتجول وأنا حزينة القلب حتى جاء الطوق وحل مشكلتي. ككل الأطفال كنت أذهب باحثة عن أناس للعب معهم. أولًا كانت أمي ثم الخدم. ولكن في هذه الأيام لا يوجد أحد وظيفته اللعب مع الأطفال فعلى الأطفال اللعب مع أنفسهم. كان الخدم ذوى طبيعة طيبة ولكن لديهم عملهم الكثير- وبالتالي كان الأمر على شاكلة: 'أذهبي الآن يا آنسة أجاثا علي التركيز فيما أفعل'. كانت جان تجيد إعطائي بعض العنب مع التأكيد الصارم على ذهابي للحديقة لأكلهم.

لذلك فقد صنعت عالي ورفقائي في اللعب بنفسي. اعتقد أنه كان شيء جيد. لم أمر في حياتي يومًا من المعاناة من ملل 'ليس لدى ما أفعله' وهو الشيء الذي تمر به أغلب السيدات، فهن يعانين من الوحدة والملل. إنه كابوس أن يملك

المرء الوقت ولا يستمتع بالمتعة. إذا كانت الأشياء تحدث دومًا لإسعادك فمن الطبيعي أن تتوقعها. وعندما لا يحدث لك شيئًا فأنت خاسر.

افترض حدوث ذلك لأن هذه الأيام الأطفال يذهبون للمدرسة وهناك جدول مرتب لهم، الأمر الذي لا يجعل الأطفال قادرين على خلق أفكارهم الخاصة في أوقات الأجازات. وكنت دائمًا ما أذهل عندما يقول لي الأطفال: 'ليس لدينا ما نفعله' فأشير إليهم وأنا في حالة من الإحباط:

'ولكن لديك الكثير من الألعاب؛ أليس كذلك؟'

'الأمر ليس كذلك.'

'لكن لديك قطارين وشاحنات ومكان للرسم ومجموعة مكعبات ألا يمكنك اللعب ببعضهم؟'

'ولكن لا يمكنني اللعب بهم بمفردي'

فأرد 'ارسم صورة للطائر ثم قصها واصنع كهفًا من قطع المكعبات وضع فيها الطائر'

تذهب الكأبة ويحل محلها الطمانينة لعشر دقائق.

كلما أعود للماضي يزداد لدى التيقن من شيء واحد. وحواشي تذكرني بنفس الشيء. ما أَلعب به في صغرى هو ما أَميل إلى التعامل معه في حياتي فيما بعد.

فمثلاً، البيوت

كان لدي كمية معقولة من اللعب: سرائر العرائس مع ملاياتها الحقيقية والبطاطين ثم يأتي وقت ليرثهم أختي وأخي الأكبر. كنت أخترع لنفسي الكثير من اللعب. كنت أقص الصور من المجلات المصورة وألصقها في سجل القصصات المصنوع من الورق البني وأقص ورق الحيطان وألصقه على الصناديق. كانت عملية طويلة.

ولكن مصدر تسلّقي الأساسي في البيت كان بيت العرائس. كان من النمط العادي مع واجهة دوّارة تُفتح على المطبخ وغرفة الجلوس وتقع الصّالة في الأسفل، يوجد في الطابق العلوي من البيت غرفتين للنوم وحمام. هكذا يبدأ الأمر. جُمع الأثاث قطعة قطعة. كان المحل يحوي عدد ضخم من أثاث العرائس وأسعارها كانت رخيصة. وكان مصروفي أكبر من هذه الأشياء بتقدير تلك الأيام، كان مصروفي عبارة عن عدد من العملات النحاسية يعطيني إياها أبي كل صباح. كنت أذهب إليه في غرفة الملابس وألقى عليه تحية الصباح، ثم اذهب إلى الميّنة لأرى نصيبي عن هذا اليوم. بنسين؟ خمس بنسات؟ ومرة أحد عشر بنسًا! وبعض الأيام لا عملات على الإطلاق. عدم الثبات على مبلغ معين يجعل الأمر أكثر إثارة.

كانت مشترياتي تتضمن بعض الحلوى- حلوى الباولد، النوع الوحيد الذي كانت أمي تعتقد أنه صحي-نشتره من محل السيد والي في تور، كان يصنع حلوى منزلية وبمجرد دخولك المحل تعرف ما هي حلوى اليوم. الرائحة الغنية لتوفي البيولنج، والرائحة النفاذة في حلوى النعناع ورائحة الأناناس المربكة والبارليشوجر (ممل) والذي لم يكن له رائحة على الإطلاق وتقريبًا الرائحة الغالبة عندما تدخل حبات الكمثرى في عملية التصنيع.

كان السعر واحد ثماني بنسات للأوقية. كنت أنفق أربع بنسات في الأسبوع- فلس واحد لأربع أنواع مختلفة. وكان يدفع فلس كتبرع للمتشردين (في حصالة على الطاولة) ومن سبتمبر ندخر البنسات لهدايا الكريسماس التي نشترها ولا نصنعها. والباقي يذهب لتجهيز بيت العرائس.

لازالت أتذكر سحر الأشياء التي نشترها، الطعام كمثال. طبق كبير من الورق المقوى يحوي فراخ مشوية، وبيض ولحم مقدد، وكعكة زفاف، وفخذ خروف، وتفاح وبرتقال، وسمك وترفل، وباودينج البرقوق. كنا نضع سلة بها الأطباق والسكاكين والشوك والملاعق ومجموعة من الأكواب الصغيرة والملحقات المناسبة. كانت غرفة الرسم بها كراسي من الستان الأزرق وأضفت إليهم كنية وكُرسى مذهب

بذراعين. كانت تحوى مزينة ومرايات وطاولات غداء مستديرة ولامعة ومفرش برتقالي. كان يوجد مصابيح وطاولات زينة وقانيات للزهور. ثم تجد الأدوات المنزلية من فرش ومجارف ومقشرات ودلو وقدر.

وبمرور وقت يسير أصبح بيت العرائس يشبه المخزن.

هل لي في امتلاك بيت عرائس آخر؟ تعتقد أمي أنه لا ينبغي لأي طفلة امتلاك بيتين للعرائس. ولكن لماذا لا؟ اقترحت علي الحصول على خزانة. وبهذا حصلت على خزانة وكان هذا شيئاً عظيماً. غرفة كبيرة في أعلى البيت، بناها أبي ليضيف غرفتين نوم لبيتنا. كانت الحوائط ممتلئة بالكتب والخزانات بينما الوسط كان خالياً. كان لي خزانة من أربعة أرفف مبنية كجزء من الحائط. وجدت أمي العديد من ورق الحائط الذي يمكن لصقه على الرفوف كسجاد. أما بيت العرائس الأصلي فكان قابعاً أعلى الخزانة وبذلك كان لدى منزل من ستة طوابق.

بالتأكيد يحتاج بيتي لعائلة تعيش فيه. اكتسبت أبوين وطفلان وخادمة، كانوا من نوعية العرائس التي لها رأس مثل الصينيين وأطراف قابلة للطي. حاكت أمي لهم بعض الملابس من بعض قطع القماش التي كانت لديها وثبتت باللاصق شارب أسود ولحيه لوجه الأب. أب وأم وطفلان وخادمة. كان شيئاً رائعاً. لا أتذكر لهم أي شخصية فهم لم يتجسدوا لي أبداً فهم موجودون فقط لشغل البيت. ولكن المشهد كان يبدو متكاملًا عندما تجلس العائلة على طاولة الغداء. تُقدم في الوجبة الرئيسية الأطباق والأكواب والدجاج المشوي والباودينج الوردي الغريب.

كان الانتقال من المنزل متعة إضافية أخرى. كان شاحنة نقل الأثاث عبارة عن صندوق من الورق المقوى، ووضع الأثاث داخله ثم رُبط بالخيط وبعدها نُصل إلى البيت الجديد (كان هذا يحدث مرة في الأسبوع على الأقل).

استطيع أن أرى بوضوح أنني لازلت ألعب لعبة البيوت من وقتها. انتقل عبر عدد لا حصر له من البيوت واشترت بيوت وغيرتهم بآخرين وفرشتهم وصنعت ديكوراتهم وبنيت بدائل معمارية داخل البيوت! بارك الرب البيوت!.

ولكن بالرجوع إلى الذاكرة. حقًا ما غرابة الأشياء، عندما يجمع الفرد كل ذكريات حياته، فمرة يتذكر الأحداث السارة وأخرى يتذكر الأكثر حيوية، اعتقد أنه يتذكر الخوف. من الغرابة بمكان أن تكون الأحداث المؤلمة وغير السعيدة هي العصية على الاسترجاع. وأنا لا أعني أنني لا أتذكرها-استطيع تذكرهم ولكن دون الشعور بهم. أتذكر في المقام الأول بأي شأن كانوا. أنا أقول 'كانت أبحاثًا في حالة حادة من الحزن. كانت أسنانها تألمها' ولكني لا اشعر بالحزن أو بألم الأسنان. وعلى الجانب الآخر، فجأة رائحة شجر الدبق أرجعتني إلى الماضي في مرة وفجأة تذكرت يوم قضيته بالقرب من أشجار الدبق والسعادة التي جعلتني ألقى بنفسي على الأرض، ورائحة الزرع الساخن وإحساس الصيف الجميل، شجر السيدر القريب والنهر الذي ورآه، الشعور بأنك في وقت ما من حياتك ورجوع اللحظات الماضية إليك. ليس فقط تذكر الحدث ولكن أيضًا الشعور المصاحب للحدث.

أتذكر بشدة حقل به نبات مزهر. من المؤكد أنني كنت في سن أقل من الخامسة حيث كنا نتمشى أنا ونورسي. كان هذا الحدث عندما كنا في إلينج مع العمدة جراني. وقتها صعدنا على تل بالقرب من كنيسة القديس ستيفن. لم يكن من شيء سوى الحقول، واتيينا إلى حقل معين مليء بنبات الحوزان الذهبي. وكنا نذهب إليه كثيرًا. لا اعرف إذا ذاكرتي عن هذا المكان كانت لأول مرة ذهبت هناك أم مرات لاحقة، ولكنني أتذكر جماله وشعوري وقتها. يبدو لي أنني لم أرى في حياتي حقل لنبات الحوزان مثله. لعلني رأيت بعض أزهار منه في حقل وهذا كل شيء. كنت أملك حقل رائع من الحوزان الذهبي في بداية الصيف وهو لا زال معي حتى الآن.

ما هي أكثر الأشياء متعة للإنسان؟ استطيع القول إن ذلك يختلف من شخص لآخر. فيما يعني، فإن التذكر والتأمل عادة دائمة للحظات كل يوم في الحياة. هذه اللحظات هي أسعد لحظات مرت علي. نورسي الجميلة ذات الشعر الرمادي الذي يكسوه هالة من الزرقعة، اللعب مع توني، الاحتفال، العدو على ما شعرته على أنه حصان حقيقي ينطلق بي عبر النهر للعب بطوقي ومحطات القطار في

سكك حديد توبلار، الألعاب السعيدة التي العيها مع أمي. وبعدها قراءة أمي لي بعض من روايات لديكتز لكي أدخل في النوم، ومشهد تساقطها في غفوة وطأطأة رأسها إلى الأمام، ولكني كنت أقول في صوت مزعج. 'ستغفلين يا أمي' فتد علي بجلال 'لا شيء كهذا يا عزيزتي. أنا لست نعسانة حتى!' وبعدها بدقائق تدخل في النوم. أتذكر الشعور بمدى سخافة رؤيتها بهذا الوضع وكم كنت أحبها في تلك اللحظة.

إنه تفكير غريب، عندما ترى الناس في منظر سخي، وقتها ستدرك فقط مدى تحبهم! قد يعجب أي شخص بإنسان لكونه وسيم أو مسلي أو جذاب، ولكن هذه الفقاعة سريعاً ما ستنفجر عندما تظهر السخافات. لذلك نصيحتي لكل من يبحث عن الزواج: 'تخيلي الآن أن لديه مشكلة مع البرد، وأنه مضطر للتحدث من أنفه ويشخر وتدمع عيناه. ماذا ستشعرين حيال ذلك؟' إنه اختبار جيد حقاً. ما تحتاجه المرأة من الزوج هو الحب الرقيق المكون للعاطفة، وهذا النوع هو الذي سيهتم بمسائل البرد والسلوكيات التي على هذا النحو. وبالنسبة للعشق فهو أمر مسلم به.

ولكن الزواج يعني أكثر من حب- وأنا أتبنى وجهة نظر قد تكون بالية وهي أن الاحترام مهم. ويجب عدم خلط الاحترام بالإعجاب. شيء ممل أن تشعرين بالإعجاب تجاه رجل ما طوال كل حياتك الزوجية. عليك تقبل الآخر على ما هو عليه. ولكن الاحترام شيء ليس عليك التفكير فيه، لأنك تعلمين أنه موجود. وكما قالت السيدة الايرلندية عن زوجها 'هو يحس بي' ذلك ما تريده المرأة فيما اعتقد. فهي تريد أن تشعر من زوجها أن هناك نوع من التكامل بحيث تستطيع الاعتماد عليه واحترام حكمه، والشعور بالطمأنينة عندما تترك له القرار في المواقف الصعبة.

من العجيب محاولة الرجوع إلى الوراء للمرور على شريط الحياة، وخلال كل الأحداث والمشاهد المختلفة التي مضت كالنثرات الكثيرة في حياتنا. ماذا يهم؟ ماذا

يقبع وراء اختيارات الذاكرة لنا؟ ماذا يدفعنا إلى اختيار من نختار أن نتذكره؟ الأمر أشبه برجل ذهب إلى صندوق السيارة الممتلئ بالخردة في علبة وغمس يده في الداخل وقال 'سأختار هذه وهذه'.

اسأل ثلاثة أو أربعة أشخاص عما يتذكرونه عن رحلة إلى خارج البلاد وستسمع ما يدهشك من الإجابات المختلفة. أتذكر ولد في الخامسة عشر ابن صديق لنا اصطحبوه إلى باريس كجزء من أجازة الربيع. عندما عاد قال بعض أصدقاء العائلة السخفاء بلهجة مرحة موجهة للطفل 'حسنًا يا بني، وما أكثر شيء أعجبك في باريس؟ ماذا تتذكر عنها؟' فرد الولد على الفور، 'المصطلى. المصطلات الموجودة هناك مختلفة تمامًا عن مثيلتها الموجودة في بيوت إنجلترا'.

من وجهة النظر هذه، مثلت العبارة ملاحظة في غاية الإدراك. وبعد عدة سنوات تعلم الصبي الفن، فلقد كانت هذه تفصييلة بصرية أعجبتة حقًا جعلت باريس مختلفة عن لندن في نظره.

وشيء آخر للتذكر، كان ذلك عندما جاء أخي من شرق أفريقيا مريضًا. وقد أحضر معه خادماً يدعى شيباني، وهو أفريقي الأصل. كان مقلقًا أن يرى أفريقي بسيط عظمة لندن. تأجر أخي سيارة وذهب هو وشيباني يجوبون كل شوارع لندن. أخي أراه وستمنستر وقصر دوكنجهام والمؤسسات البرلمانية والجيلتهول وحديقة هيد بارك.. الخ. وبعدما وصلوا البيت أخيرًا، قال لشيباني 'ما رأيك في لندن' رفع شيباني رأسه عاليًا ثم قال 'إنها رائعة، باوانا مكان جميل. لا اعتقد أنني قد رأيت مكانًا مثله'. أوماً أخي رأسه كنوع من الموافقة. وقال 'وما أكثر شيء أبهرك؟' وجاء الرد دون لحظة تفكير 'باوانا، محال مليئة باللحم. إنها محال رائعة، يعلق فيها اللحم على خطافات عظيمة في كل مكان ولا أحد يسرقها. لا أحد هناك يتدافع أو يتزاحم مع الآخرين، فهم يمرون بطريقة منظمة. كم هم أغنياء، كم هي بلد عظيمة لتملك كل هذه اللحوم المعلقة في محال مفتوحة في الطريق العام. نعم، حقًا إن إنجلترا مكان رائع. ولندن بلد رائعة'

وجهة نظر. وجهة نظر طفل. أتذكر رؤية حفيدي ماثيو. لم يكن يعلم أنني موجودة.. كنت أراقبه من أعلى السلم، كان يمشى بحذر شديد نازلاً السلم. وكان هذا إنجازاً في ذاته وهو كان فخوراً بذلك ولكنه إلى حد ما كان خائفاً. وكان يتمتم محدثاً نفسه: 'هذا هو ماثيو ينزل السلم. هذا هو ماثيو، ماثيو ينزل السلم. ماثيو ينزل السلم'.

أتسأل ما كنا جميعاً نبدأ حياتنا بالتفكير في أنفسنا، وبمجرد ما نفكر في أنفسنا نكون شخص منفصل عمن نلاحظه. هل قلت لِنفسي مرة 'هذه هي أجاثا مرتدية وشاحها ونازلة لغرفة الطعام؟' هذا كان جسد تقطن أرواحنا فيه ولأول مرة يصبح غريباً عنا. إنه الكيان، نعرف اسمه ونحن في انسجام معه ولكننا لا نستطيع تعريفه بشكل كامل. نحن أجاثا وذاهبين للتمشية، ماثيو ينزل السلالم. نحن نرى أنفسنا أكثر مما نشعر بها.

في يوم ستأتي المرحلة الأخرى من الحياة. ولكنها لن تبقى 'هذا هو ماثيو وهو ينزل السلالم'. ستصبح فجأة أنا انزل السلالم. تحقيق 'أنا' هو الخطوة الأولى في التقدم نحو الحياة الشخصية.





الجزء الثاني

بنات وأولاد يأتون للعب



من الصعب على المرء إدراك النظرة غير الاعتيادية للعالم في مخيلة طفل إلا إذا رجع إلى الماضي. فرؤية الطفل للعالم تختلف بصورة كلية عن رؤية الكبار.

فالأطفال لديهم المقدرة علي التقييم الفطن لما يجري حولهم وقدرة جيدة على الحكم علي الشخصيات الموجودة. ولكن كيفية حدوث الأشياء وأسباب حدوثها لا يفكر بها الأطفال مطلقاً.

أتذكر وأنا في الخامسة من عمري عندما أصبح أبي قلقاً بشأن الأمور المادية. وقد كان أبي ابناً لرجل ثري واعتبر أن وجود الدخل المادي الجيد بالنسبة له أمراً مفروغاً منه. لقد تراكمت على أبي سلسلة من الديون والتي بدأتاً نشعر بها عندما توفي. فقد كان هناك أربعة من الأوصياء، كان أحدهم عجوز واعتقد انه تقاعد من أي ارتباط بعمل تجاري، والأخر ذهب إلى مستشفى الأمراض العقلية، والرجلان الآخران وكانوا في عمر أبي توفيا بعد ذلك. وقد نجح شخص ما في نقل وتحويل الأشياء إلى ملكية أبي ولكنني لا اعرف هذا الشخص. وعلي أية حال فإن الموقف أصبح يبدو أكثر سوءاً.

لقد أصبح أبي محبباً ومكتئباً ولكونه لم يكن لديه خبرة بشئون التجارة فهو لم يعرف ماذا يفعل. فقد أرسل إلى أشخاص كثيرين وأرسلوا إليه إما لكي يطمئنوه أو أن يوقعوا اللوم على حالة السوق أو لانخفاض العملة أو أشياء أخرى. وفي هذا الوقت أتى لنا ميراثاً بوصية لإحدى قريباتي العجوز وأتخيل تركه لعام أو اثنان بينما المال الذي كان يجب أن يدفعه لم يأتي أبداً.

وقد بدأت صحته في ذلك الوقت في التدهور. وكثيراً ما كان يعاني من النوبات القلبية وهو مرض غامض انتشر كثيراً في ذاك الوقت. وبالطبع كان القلق المادي له تأثير على صحته. وكان الحل يتمثل في أننا يجب أن نقتصد أكثر في حياتنا. وكانت

الطريقة الوحيدة والمعروفة في ذلك الوقت لتحقيق ذلك هي السفر إلى الخارج والإقامة هناك لفترة من الوقت. وهذا على عكس هذه الأيام، حيث أن ضريبة الدخل كانت حوالي شلن لكل إسترليني-ولكن تكلفة المعيشة كانت أقل كثيرًا في الخارج. ولذلك كان الاتجاه وقتها هو أن نترك المنزل بالخدم وبإيجار جيد ونتجه إلى الخارج إلى جنوب فرنسا حيث أقمنا في فندق يعد اقتصادي إلى حد ما من الناحية المادية.

وحدثت مثل هذه الهجرة للخارج عندما كنت في السادسة. وقد تم ترك اشفيلد للأمريكان الذين كانوا يدفعون كثيرًا لها-وذهبنا إلى باو في جنوب فرنسا. وكنت بالطبع مندهشة جدًا لهذه الفكرة. وقد أخبرتني أمي أننا سنذهب إلى أماكن تواجد الجبال. وتساءلت العديد من الأسئلة التي تتعلق بذلك. هل هذه الجبال عالية جدًا؟ هل هي أعلى من برج كنيسة ماري؟ فقد تساءلت باهتمام شديد فقد كانت أعلى شيء عرفتته. نعم؛ فقد كانت الجبال أعلى كثيرًا من ذلك. فقد كانت أعلى مئات وآلاف الأقدام. وذهبت إلى الحديقة مع توني وقمت بمضغ كمية من الخبز الجاف بصوت عالي أخذتها من جان في المطبخ لأتناولها وأنا أفكر في شكل مثل هذه الجبال الشاهقة وأتخيلها. وحملت عينا في السماء وأنا أقول لنفسي-إن شكل الجبال مثل هذه السماء العالية إنها عالية جدًا حتى تتلاشي في السحاب. وقد كانت أمي تحب الجبال كثيرًا. ولم تعني أبدًا بالبحر حيث أخبرتني بذلك. وكانت الجبال واحدة من أعظم الأشياء في حياتي كلها.

كان هناك شيئًا واحدًا فقط محزنًا في ذهابي إلى الخارج وهو بعدي عن توني. إن توني بالطبع لم يكن مؤجرًا للمنزل فقد كان مستقلًا مع خادمة تدعى فرودي. هذه الخادمة كانت متزوجة من نجار وكانت تسكن قريبًا وكانت مستعدة لاستقبال توني. وقد قبلت توني واستجاب هو بمبادلة القبلات والأحضان بشدة في وجهي ورقبتي وذراعي ويدي.

وبالنظر إلى الماضي الآن، فإن ظروف السفر إلى الخارج أصبحت تبدو غير عادية. فلم يكن بالطبع هناك جوازات سفر أو أي شكل من أشكال الاستثمارات التي تتطلب ملئها. فأنت تشتري التذاكر وتقوم بالحجز فقط وكان هذا كل ما عليك القيام به لكي تسافر. إن السفر كان بسيط في حد ذاته ولكن بالنسبة لتعبئة الحقائب كانت مختلفة (كانت الحروف الكبيرة فقط هي التي توضح معنى التعبئة) ولا أعرف مما تتكون منه باقي أمتعة الأسرة ولكني لدي ذاكرة إلى حد ما جيدة عما كانت أمي تأخذه معها من أشياء. فكنا نبدأ بثلاثة صناديق مستديرة للثياب. وكان أكبرها ارتفاعه حوالي أربعة أقدام وبه صينيتين بالداخل. كما كان هناك أيضًا صناديق أخرى على شكل حقائب مربعة كبيرة وثلاثة أخرى تسمى الخزانات والتي كانت تلاحظ في ذلك الوقت في ممرات الفنادق. والتي وكانت ضخمة وأتخيلها أنها كانت أيضًا ثقيلة في وزنها.

وقبل الرحيل بأسبوع على الأقل كانت أمي محاطة بصناديقها في غرفة نومها. ولأننا لم نكن أثرياء فلم يكن لدينا خادمة في المنزل. وحزمت أمي الحقائب بنفسها. كان لدينا دواليب ضخمة والتي كانت تستغلها أمي في تخزين الأشياء منها الورود المجففة الصناعية ومجوهراتي وغيرها من الأشياء. فجميع هذه الأشياء تتطلب ساعات لتنظيمها قبل أن تحزم في الصناديق العديدة.

إن المجوهرات لم تكن مثلما هو الحال تتكون من قطع صغيرة. إن تقليد أو تزيف المجوهرات كان غير مقبول باستثناء ما كان يعرف بالدبوس الزيني الذي كلن يلتصق في الملابس. وكانت مجوهرات أمي الثمينة تتكون من إزيبي الماس والهلال الماسي وخاتم خطوبتها الماسي. وباقي القطع حقيقية وغير باهظة الثمن. ومع ذلك كانت ذات قيمة ثمينة بالنسبة لنا. وكانت هناك قلادتي الهندية وقلادتي الفينيسية. كما كان هناك ستة من الدبابيس الذهبية الزينية وهي ذات اهتمام شخصي كبير لي ولأختي. ومن بين هذه الدبابيس الزينية الستة خمسة على شكل سمكات ودبوس زيني على شكل زهرة بمجموعة من الأوراق الماسية حولها. وكانت

جميع هذه المجوهرات محددة من قبل أمي ومميزة. وكانت أختي ماج تفضل الزهرة البنفسجية والهلل الماسي. وأنا أفضل الورد والإيزيم الماسي. كان هذا التخصص في المجوهرات جيداً من قبل عائلتي.

وفي أشفيلد كان المنزل كله مزدحمًا بالدهانات الزيتية أو اللوحات الزيتية التي اشتراها أبي. وكانت موضحة هذا الوقت أن تملأ الحائط بقدر الإمكان بالعديد من اللوحات الزيتية قدر المستطاع. وكانت إحدى هذه اللوحات تعبر عن البحر وامرأة شابة تمسك بغلام داخل شبكة. وكان هذا أفضل فكرة لي عن الجمال وأنا طفلة، وكم كان من الحزن الشديد الذي انتابني عندما حان الوقت لترتيب هذه اللوحات الزيتية لكي أبيعها. ولم احتفظ بأي منها حتى من أجل العاطفة. وكنت مجبرة لأن أعرف أن ذوق أبي في اللوحات كان سيئاً. ومن ناحية أخرى فإن كل قطعة أثاث اشتراها كانت تعد جوهرة. فقد كان لديه إحساس قوي نحو التحف القديمة والأثاث الانتيكي ومقاعد الشيراتون والكراسي التي اشتراها حتى التي كانت بأسعار منخفضة، حيث في ذلك الوقت كان الخشب الخيزراني هو المسيطر وكان يعد فرحة كبيرة لكي تقتنيه وتملكه ويتم تقديره جيداً من قبل الناس ولذلك استطاعت أمي أن تبيع الكثير من قطعه بعد وفاة أبي بأسعار باهظة.

كان لدى أبي وأمي وجدتي عاطفة ورغبة نحو تجميع الصيني. وعندما أتت جراني لكي تعيش معنا اشترت مجموعتها والعديد من الخزائن التي ملئت بهذه المجموعات في أشفيلد. في الواقع فإن الخزائن الكبيرة كانت تصنع للاحتفاظ بهذه الأشياء داخلها. ولا شك أننا كنا أسرة نجحت في تجميع هذه الأشياء وأنا أيضاً ورثت هذه السمات. والشيء الوحيد السيئ هو إذا ورثت مجموعة جيدة من الصيني والأثاث فلا يكون لديك أي عذر في أن تبدأ في تكوين مجموعة جديدة خاصة بك. ويجب أن يتم إشباع رغبة الشخص الذي يقوم بالتجميع وفي حالتي أنا فقد قمت بتجميع مجموعة جيدة ولطيفة من الأشياء الصغيرة التي لا تضاهي مجموعات أبواي.

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

وعندما أتى يوم الرحيل كنت مندهشة للغاية لدرجة أنني شعرت أنني مريضة وكنت صامتة تمامًا. فعندما كنت اهتز بفعل أي شيء كنت أجرد من القدرة على التحدث. وكانت ذاكرتي الأولى للذهاب إلى الخارج عندما توجهت إلى المركب في فولكستون. وكانت أمي وماج من البحارة السيئين واتجهوا مباشرة إلى صالون السيدات لإغلاق أعينهم آملين أن يعبروا المياه إلى فرنسا دون أن يحدث مكروه. وبالرغم من خبرتي في قوارب التجديف الصغيرة إلا أنني كنت مقتنعة بأنني بحارة جيدة. وشجعني أبي على هذا الاعتقاد ولذلك بقيت على ظهر المركب معه. وكنت أتخيل عملية عبور هادئة للمياه. ووصلنا إلى بولوني وكنت مسرورة أن اسمع أبي وهو يصيح "إن أجاتنا بالفعل بحارة جيدة".

وكانت المتعة الثانية هي التوجه إلى النوم في القطار. وكنت أشارك أمي في كرسي في القطار. وكانت أمي دائمًا لها عاطفة نحو الهواء المنعش وحرارة بخار العربة. فكنت مستيقظة طوال هذه الليلة لأرى أمي تنظر من النافذة وهي تتنفس كميات كبيرة من هواء الليل المنعش.

وفي صباح اليوم التالي وصلنا إلى باو. وكان أتوبيس فندق بيوسيجور منتظرًا لنا وحملنا أمتعتنا التي كانت تبلغ ثمانية عشر قطعة بصورة منفصلة ووصلنا في الوقت المناسب إلى الفندق. وكان هناك حديقة كبيرة خارج الفندق على الجانب الأخر من مدينة البرانس.

وقال أبي "هناك.. انظروا؟ جبال الجليد"

فنظرت وكانت إحدى المرات التي أتححر فيها من الوهم، وهو خيبة أمل لم أنساها أبدًا. فأين تلك الارتفاعات الشاهقة التي كنت احلم بها عالية في السماء- شيء ما وراء تأمل البشر؟ فبدلاً منها- رأيت مسافة بعيدة في الأفق تشبه صقًا من الأسنان التي تقف أعلى من السهل التحتي. أين تلك الجبال؟ فلم اقل شيئًا ولكنني حتى الآن ما زلت اشعر بخيبة أمل شديدة وفظيعة.

لقد كان علينا أن نقضي حوالي ستة أشهر في باو. والتي كانت بمثابة حياة جديدة كاملة بالنسبة لي. وسريعًا ما انشغل كل من أبي وأمي وماج في العديد من الأنشطة. فقد كان لدى أبي العديد من الأصدقاء الأمريكيين المقيمين هناك، وتعرف على المزيد من الأصدقاء في الفندق كما أحضرنا أيضًا العديد من خطابات التقدم إلى الأشخاص في فنادق عديدة وفنادق عائلية.

وقد اعتادت أُمي الاعتناء بي من خلال نوع من التمريض اليومي الذي كانت تمارسه معي- بالفعل فتاة انجليزية-والتي عاشت في باو كل حياتها ولكنها تتحدث الفرنسية بسهولة كالانجليزية أو أفضل. وكانت الفكرة هي أنني يجب أن أتعلم الفرنسية منها. إن هذه الخطة لم تسير كالمتوقع. فقد كانت الأنسة ماركام تأتي لي يوميًا كل صباح وتأخذني للتمشية. وقد جذبت انتباهي إلى العديد من الأشياء المختلفة والتي كانت تكرر أسمائها بالفرنسية مثل "منزل-حديقة..الخ. وكنت اكرر هذه الكلمات ولكنني عندما كنت أرغب في أن أوجه لها أي سؤال كنت اسأل بالانجليزية وكانت ترد هي الأخرى بالانجليزية. وبقدر ما أتذكر فقد شعرت بملل خلال يومي هناك في رفقة الأنسة ماركام التي كانت تتسم بأنها لطيفة وحنونة.

وقررت أُمي سريعًا أنني لا يجب أن أتعلم الفرنسية مع الأنسة ماركام وأنني يجب أن احضر دروس الفرنسية المنتظمة من سيدة فرنسية والتي كانت تأتي كل ظهيرة. وكانت المعلمة الجديدة تدعي الأنسة ماهورات. وكانت ضخمة وترتدي الكثير من الأغطية بنية اللون.

وكانت جميع الغرف في تلك الفترة مزدحمة جدًا، وبها الكثير من الأثاث داخلها والعديد من قطع الزينة وغيرها. وكان من عادة الأنسة ماهورات أنها تتخبط في الحجرة وتهز أكتافها وتشير بأيديها، وبين الحين والآخر كانت تأخذ أي قطعة زينية

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

من على المنضدة وتحطمها. وأصبحت هذه الطريقة دعابة الأسرة. وقال أبي "فهي تذكرني بهذا الطائر الذي لديك يا أجانا".

وكانت الأنسة ماهورات مليئة بالتدفق الذي كان يجعلني اشعر بالخجل. وقد وجدت أنه من الصعب أن استجيب لصرخاتها الحادة وهي تتحدث بالفرنسية ببعض الكلمات منها "عزيزتي-هذا جميل...") وكنت انظر إليها بأدب وبرود. ثم أتلقي نظرة شديدة من أمي وكنت اهمس قائلة بالفرنسية "نعم - شكرًا) وكان هذا كل ما تعلمته بالفرنسية في هذا الوقت.

واستمرت دروس الفرنسية وكنت فيها مطيعة قابلة للتعليم. بينما كانت أمي التي كانت تحب النتائج السريعة غير راضية بتقدمي.

وقد اشتكت لأبي قائلة "هي لا تتقدم كما يجب يا فرد"

فقال أبي "حسنًا فلتعطي لها وقتًا يا كلارا، إن المعلمة هنا منذ عشرة أيام فقط".

ولكن أمي كانت تتعجل النتائج ولم يكن لديها أي صبر لتعطي أي شخص وقته في التعلم. وقد حانت الذروة عندما أصابني مرض طفولي طفيف. فقد بدأ هذا المرض بأنفلونزا عادية وأدى إلى نزلة شديدة. وأصبت بالحمى وفي مرحلة النقاهة لم استطع تحمل رؤية الأنسة ماهورات.

فكنت ارجوها قائلة "من فضلك أرجوك لا تعطني درسًا اليوم، فأنا لا ارجب في أي دروس".

وكانت أمي حنونة جدًا عندما يكون هناك سبب حقيقي لتعذري عن الدروس. عندما وصلت الأنسة ماهورات أوضحت لها أمي أنني أعاني من حرارة عالية ومن الأفضل ألا تعطيني درسًا هذا اليوم. وكانت الأنسة ماهورات تقص علي قصصًا وهي تحمق بنظرات شديدة نحو أمي.

ولم استطع تحمل النظرات الحادة من الآنسة ماهورات وكان صوتها صاخباً
لم أتحملة وقلت لامي: "فلتأخذني بعيداً. من فضلك خذني بعيداً" ووجهت أُمي
الآنسة ماهورات بشدة نحو الباب.

وقالت "اعتقد أن أجاثا عليها اليوم أن تستريح وأشارت للآنسة ماهورات نحو
الخروج ثم استدارت ونظرت إلي قائلة "حسنًا، ولكن لا يجب عليك أن تظهرني بهذا
الوجه العبوس".

ثم تساءلت "الوجه العبوس؟

نعم الذي كنت تنظرين به، لاحظت الآنسة ماهورات رغبتك في أن تخرج من
غرفتك"

وكنتم منزعجة فلم اقصد أن أكون غير مهذبة.

فقلت "ولكن يا أُمي لم تكن هذه الوجوه التي أظهرتها وجوهاً فرنسية فقد
كانت وجوهاً انجليزية"

وكانت أُمي مندهشة كثيرًا وأوضححت لي أن تعبيرات الوجه تعد نوع من اللغة
الدولية التي يفهمها الناس في جميع أنحاء العالم. وأخبرت أبي أن الآنسة ماهورات
لم تحقق معها الكثير من النجاح. وذكر أبي أنه سيكون من الأفضل ألا نفقد المزيد
من القطع الزينية الصينية. وقد قال "إذا كنت أنا مكان أجاثا فكنت سأجد هذه
المرأة لا تطاق مثلما شعرت أجاثا تمامًا".

وبعيداً عن دروس الآنسة ماهورات والآنسة ماركام بدأت أمتع نفسي
بالإقامة في الفندق مع السيدة سيلون وهي أرملة وزوجة ابن أخ الأسقف سيلون
وابنتيها دوروثي وماري. وكانت دوروثي تكبرني بعام وكانت ماري أصغر مني بعام.
وأصبحنا أصدقاء سريعاً.

وكنتم طفلة مطيعة وجيدة وحسنة التصرف ولكني في رفقة أي أطفال آخرين
كنت أتصرف تصرفات صبيانية أخرى. وبالتحديد نحن الثلاثة أزعجنا حياة

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

الأشخاص الذين كانوا يأكلون على منضدة الفندق. ففي إحدى الأمسيات استبدلنا الملح بالسكر في كل الأواني. وفي يوم آخر قمنا بتقطيع قطع من البرتقال وقشره ووضعناها في أطباق الجميع عند التقديم.

وكان هؤلاء المقدمين للخدمة في الفندق من أطيب الرجال الفرنسيين الذين عرفتهم في حياتي. وبالتحديد كان منهم فيكتور النادل المخصص لنا. كان قصيرًا ذو انف طويل. وبالرغم من كل الحيل التي لعبناها عليه إلا أنه لم يظهر أي مكروفي الواقع كان لطيفًا معنا. ولم نقع أبدًا في أية مشكلات لما نفعله لان فيكتور المخلص لم يشكي قط من تصرفاتنا للإدارة أو لأبائنا.

إن صداقتي مع دار وماري كانت تعني الكثير بالنسبة لي أكثر من صداقات سابقة كونتها. فقد كنت في عمري سمح للتعاون الذي يكون أكثر إثارة من القيام بأي شيء بمفردي. فكنا نستيقظ على مجموعة من الأفعال السيئة التي نقوم بها معًا وكنا نستمتع مع بعضنا البعض خلال أشهر الشتاء. وبالطبع غالبًا ما كنا نقع في العديد من المشكلات من خلال مزاحنا.

وكانت أُمي تجلس مع السيدة سيلون تتحدثان بسعادة عندما كانت تأتي رسالة من الخادمة. "ومع الشكاوي التي كانت تأتي من السيدة بلجيان التي كانت تسكن في الطابق الثاني في الفندق. هل السيدة سيلون والسيدة ميللر تعرفان أن أطفالهما كانوا يمشون حول الطابق الرابع؟"

تخيل شعور السيدتان وهما يتجهان إلى الخارج في الفناء ينظران لأعلى للأطفال الثلاثة المرحين والذين يضعون أنفسهم في متراس يبلغ حوالي قدم في اتساعه ويمشون عبره. إن فكرة أن يلحق بنا أي أذى لم تأت إلى عقولنا أبدًا. لقد قمنا بالعديد من التصرفات لمضايقة الخادمة ونجحت في استدراجنا إلى إحدى الخزانات وأغلقت الباب علينا بالمفتاح. فكنا نتساءل ماذا يمكننا فعله؟ وكان هناك نافذة صغيرة وقالت دار أننا يمكننا الخروج من هذه النافذة عبر المتراس إلى

الخارج. وقد نفذنا سريعًا. قامت دار بالخروج أولاً ثم تبعتها أنا ثم ماري. ووجدنا أنه كان من السهل أن نمشي عبر المتراس. وكنت انظر إلى الطوابق الأربعة وانظر إلى الحافة بكل خوف.

في هذه الحالة لم يكن علينا أن نذهب بعيدًا. إن النوافذ الثلاثة الأولى أغلقت على قدر ما أتذكر ولكن النافذة التي كانت تؤدي إلى إحدى الحمامات العامة كانت مفتوحة. وخرجنا من هذه النافذة لكي نتقابل بطلب واحدة منا" فلتأتي أسفل إلى غرفة الاستقبال الخاصة بالسيدة سيلون. وكانت الأمهات الاثنان غاضبتان. ولم نستطع أن نفهم السبب في ذلك. فاتجهنا جميعًا إلى الفراش لأخذ قسطًا من الراحة باقي اليوم. ولم يتم قبول دفاعنا ببساطة. وكانت هذه هي الحقيقة.

وقد قلنا "أنكما لم تخبرانا أبدًا أن لا نسير إلى الحاجز"

واتجهنا إلى الفراش بشعور قوي بالظلم.

وفي الوقت ذاته كانت أمي ما زالت تفكر في مشكلة تعليمي. وكانت هي وأختي قد ذهبا إلى إحدى الخياطات لتفصيل بعض الملابس لهما في المدينة وذات يوم انجذبت أمي بمساعدة خياطة شابة مهنتها الأساسية أن ترتب وتنظم قطع الملابس وتضع الدبابيس للخياطة الأولى. والأخرى هذه كانت تتسم بأنها حادة المزاج وهي سيدة في منتصف عمرها ولاحظت أمي أن هذه السيدة المساعدة للخياطة تتسم بالظل الخفيف، وقد قررت أن تكتشف الكثير عنها. فراقبتها خلال عملية تجربة الثوب الثانية والثالثة وأخيرًا دخلت معها في مناقشة. وكانت تدعي ماري ساي وكان عمرها ٢٢ عامًا وكان أبها يمتلك مقهى صغير وكان لها أختًا أكبر في مهنة الحياكة أيضًا وشقيقان وأخت صغيرة. ثم سألت أمي السيدة الشابة إذا كانت تود المجيء إلى انجلترا.

وقالت أمي "يجب أن أتحدث أولاً إلى أمك فربما لا ترغب في أن تبعد ابنتها

عنها بعيدًا"

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

وتم ترتيب موعد ما وقامت أمي بزيارة السيدة ساي وتحدثوا في الموضوع بكل جدية.

وتحدثت أمي مع أبي بشأن هذا الموضوع. واحتج أبي قائلاً "إن هذه الفتاة ليست مربية أطفال أو شيء من هذا القبيل".

وأجابت أمي أن ماري هي الشخص الذي تحتاج إليه. "هي لا تعرف الانجليزية على الإطلاق ولا كلمة منها وأجاثا يجب أن تتعلم الفرنسية فهي بالفعل فتاة جيدة ومحبوبة وخفيفة الظل من عائلة محترمة وترغب في المجيء إلى انجلترا ويمكنها القيام بالكثير من أعمال الحياكة لنا".

وسأل أبي قائلاً "ولكن هل أنت واثقة من هذا يا كلارا؟"

وكانت أمي دائماً واثقة. وكانت هذه هي إجابتها المفضلة والدائمة.

ولأن هذه كانت إحدى النزوات الواضحة لأمي والتي أثبتت أنها كذلك. فإذا أغلقت عيناى يمكنني أن أراها هناك. فهي ذات وجه مستدير وردي وانف أفطس وشعر اسود. وقد دخلت غرفتي في الصباح الأول واعدت نفسها لتعلم العبارات الانجليزية لتحيني بها "صباح الخير يا آنسة أتمنى أن تكوني بخير" ولسوء الحظ بسبب لهجة ماري فلم افهم أية كلمة وبدأت أحملق فيها بشدة. وكنا في اليوم الأول مثل زوج من الأشخاص التافهين نتعرف على بعضنا البعض ولم نتحدث كثيراً ولكننا نظرنا إلى بعضنا البعض. وقامت ماري بتمشيط شعري وكان مرتب وجميل في تموجات، وكنت خائفة من أنها لا تستطيع أن تمشط شعري أو أن تضع الفرشاة في شعري مطلقاً. وأردت أن أوضح لها أنها يجب أن تمشط شعري بطريقة أصعب من هذه ولكن بالطبع كان هذا مستحيلاً لأنني لم أعرف الكلمات الصحيحة لكي أخبرها بها.

وفي اقل من أسبوع كان بإمكانى أنا وماري أن نتحدث سويًا. إن اللغة المستخدمة كانت الفرنسية. كلمة هنا وكلمة هناك ويمكنني من خلالها أن افهم.

علاوة على ذلك ففي نهاية الأسبوع أصبحنا صديقتين. إن الخروج مع ماري كان فعلاً متعة. كما أن القيام بعمل أي شيء مع ماري كان يمثل متعة. فقد كانت هذه بداية صداقة سعيدة.

وفي بداية الصيف كان الطقس حاراً في باو وقد غادرنا لقضاء أسبوع في أرجليه وأسبوع آخر في لورد ثم اتجهنا إلى كوتيريه والتي كانت بقعة جميلة في أحضان الجبال. فقد ذهب شعوري بخيبة الأمل السابق عن الجبال. فكل صباح كنا نتمشى عبر الجبال في الطريق الذي يؤدي إلى المنتجع الصحي حيث كنا نحتسي أكواباً من المياه الرديئة. وكان شراب أمي المفضل هو بذر الياسون والذي لم أكن أحبه. وفي الطرق المتعرجة بجوار الفندق اكتشفت رياضة جميلة. من خلال الانزلاق لأسفل من الأشجار على ركبتي. ورأت ماري هذا ولكن من المدعاة للأسف أن أقول إن ماري من البداية لم تكن قادرة على بذل أي جهد أو الشعور بالثقة أكثر مني. فقد كنا أصدقاء وزملاء في اللعب ولكن فكرة أن تقوم هي بما تخبرني عنه لم أفكر بها أبداً.

إن الثقة تعد شيئاً غير عادي. إن أمي كان لديها الثقة الكاملة. فهي لم ترفع صوتها إلا نادراً ولكنها كانت تلفظ بأمر ما برفق وينفذ في الحال. وكان غريباً بالنسبة لها أن الآخرين ليس لديهم هذه الموهبة. ثم بعد ذلك عندما كانت تجلس معي بعد زواجي الأول وطفلي الأول اشتكيت لها كم أن الأطفال الصغار متعبين، هؤلاء الأطفال الذين كانوا يقطنون في المنزل المجاور والذين كانوا يأتون من سياج الأشجار. وبالرغم من أنني أمرتهم أن يذهبوا بعيداً إلا أنهم لم يذهبوا.

وقالت أمي "كم يبدوا هذا غير عادياً. لماذا لم تخبرهم فقط أن يذهبوا بعيداً؟"

فقلت لها "حسناً فلتجربي وفي هذه اللحظة أتى الغلامان وكانا يظهران كالمعتاد لكي يقولوا "نحن لن نذهب ونرمي حجارة على الزجاج وبدا إحداهما في الصراخ، أدارت أمي رأسها وقالت"

رونالد، هل هذا اسمك؟

فأجاب رونالد بأنه اسمه فعلاً.

فقالت أمي "من فضلك لا تلعب هنا فأنا لا أحب أن أزعج، فلتذهب بعيداً قليلاً"

ونظر رونالد إليها وهو يصفر إلى أخيه ورحلا في الحال.

فقالت أمي "أرأيت يا عزيزتي إن هذا سهل جداً"

كانت أمي قادرة على السيطرة على أي مجموعة من الصبيان المنحرفين دون صعوبة.

وكان هناك فتاة أكبر في الفندق تدعى سايليل وكانت أمها صديقة للسيدة سيلون. وكنت أعجب بقوامها المشوق الجميل. وكان من أهم علامات تلك الفترة هو الاحتضان لإظهار المودة أو لتحية الناس بعضهم البعض. وكانت جدتي وخالتي الكبرى عندما يتقابلان لابد من أن يحتضنان كنوع من المودة. وكانت سايليل في الرابعة عشر وفي كم من الوقت علي أن انتظر حتى أنمو أنا نمواً كاملاً؟ ثمانية أعوام؟ فكم أتوق لهذه العلامات من الأنوثة الكاملة. حسناً، إن الصبر هو الشيء الوحيد. يجب أن أصبر وفي فترة سبعة أو ثمانية أعوام إذا كنت محظوظة فإن صدري سيتشكل صدر نسائي مستدير وجميل. فما علي سوى الانتظار.

إن عائلة سيلون لم تكن في كوتيريه معنا. فقد ذهبوا بعيداً وكان لدي اختيار اثنان من الأصدقاء الأخريات: فتاة أمريكية صغيرة وهي مارجريت برستيلي وأخرى وهي مارجريت هوم وهي فتاة انجليزية. وكان أبي وأمي أصدقاء في ذلك الوقت مع والدي مارجريت وكانا يأملان أن اذهب أنا ومارجريت معاً لشراء بعض الأشياء من الخارج. وكما هو العادي في هذه الحالات فقد كان لدي تفضيل قوي لصحبة مارجريت برستيلي والتي اعتادت أن تلفظ لي كلمات غير عادية وكلمات غريبة لم

اسمها من قبل. واخبرنا بعضها قصصًا أخرى وكان هناك إحدى القصص
لمارجريت والتي تضمنت الأخطار التي يتم مواجهتها عند مقابلة عقرب والذي أزعني
كثيرًا.

ولكن ما هو العقرب؟ فقد تساءلت.

إن مارجريت التي لها ممرضة تدعي فاني قد أعطتني وصفًا موجزًا عن هذا
المخلوق المخيف. ولقد سئلت ماري ولكنها لم تسمع أبدًا عن هذا المخلوق. وأخيرًا
تحدثت بصراحة مع أبي الذي كان لديه صعوبة إلى حد ما في البداية أيضًا ولكن
بعد ذلك قال:

"أنا أتوقع ماذا تعنيه بهذا المخلوق"

إن العقرب لا يبدو مخيفًا بهذه الصورة.

وقد دخلت أنا ومارجريت في منازعات ومناقشات حول هذا الموضوع. وقد
أكدت لي مارجريت أن الأطفال الرضع يأتون من خلال الملائكة. وهذه كانت هي
المعلومات والبيانات عن التمرّض. ومن ناحية أخرى، أكدت مارجريت لي أن
الأطفال يعدون جزءًا من مهنة الأطباء ويتم ولادتهم من خلال الأطباء داخل حقيبة
سوداء. وعندما أصبحت مناقشاتنا حول هذه الموضوع ساخنة، قامت فاني
بتلطيف الموضوع وتهدئته. فقالت:

"لماذا؟ فإن هذه الطريقة يا عزيزتي هي المعروفة. إن الأطفال الأمريكيين
يولدون داخل حقيبة سوداء وأن الأطفال الانجليز يولدون من خلال الملائكة"

ولذلك فقد هدئت النزاع بشكل مرضي وجميل.

قام أبي مع ماج بالكثير من الرحلات القصيرة أو التنزهات علي ظهر الحصان
وفي إحدى الأيام اخبرني أنني اليوم التالي في الصباح سوف يسمح لي أن اصطحبهم

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

واذهب معهم وقد اندهشت لذلك. إن أمي كان لها بعض الهواجس القليلة ولكن سرعان ما سيطر أبي ووافقت.

فقد قال "نحن معنا مرشد وهو معتاد على الأطفال وسوف يرى أنهم لن يقعوا"

ووصلت الثلاثة خيول في صباح اليوم التالي وذهبنا جميعاً. وسرنا في طرق متعرجة في الممرات ومتعت نفسي كثيراً على قمة الحصان الرائع الذي كان يبدو لي في البداية على أنه حصاناً ضخماً. وذهب المرشد معنا وكان بين الحين والآخر يلتقط مجموعات من الزهور ويعطيها لي لأضعها في المجموعة التي كانت في يدي. وكان كل شيء جيداً ولكن عندما وصلنا إلى أعلى القمة وبدأنا نستعد لتناول العشاء، أتى المرشد. أتى يجري وهو يحضر معه فراشة رائعة امسك بها وقال بصوت عالي "إن هذه الفراشة للأنسة الجميلة" وثبت الفراشة في قبعتي بدبوس. حسناً! ما لهذه اللحظة من مرعبة. إن شعوري بالفراشة وهي ترتعش مع الدبوس كان مفرعاً. وكان هناك لحظة ابتهاج مفاجئة لي والفراشة مثبتة في قبعتي. بالطبع لم استطع أن أقول أي شيء. وكان هناك العديد من الأفكار في عقلي. وكان هذا نوع من اللطف من المرشد. فقد احضر الفراشة لي وكانت نوع خاص من الهدايا. فكيف اجرح هذا الإحساس بقولي أنني لا أحبها؟ فكيف أريده أن يخلعها من قبعتي؟ وكانت طوال الوقت تطير في قبعتي بشكل رائع وجميل. ويبقى شيئاً واحداً يمكن للطفل أن يقوم به في مثل هذه الظروف. فقد بكيت وصرخت.

كلما سألني شخص ما أية أسئلة، كنت غير قادرة علي الرد.

فقد سألني أبي "ماذا حدث؟"

وسألني أختي قائلة "هل تشعرين بألم؟" ربما تشعرين ببعض الألم وأنتي تركبين الحصان؟"

فقلت لا. أنا لم أخاف ولا اشعر بأي ألم.

ثم قال أبي "هل أنتي متعبة؟"

فقلت لا.

ثم قال مرة أخرى "وماذا بك؟"

ولكنني لن استطع قول أي شيء. بالطبع لم استطع. فقد كان المرشد يقف هناك يشاهدني بوجه مستيقظ وعيناه تحمقان.

قال أبي: "هي ما زالت طفلة فلا يجب أن نحضرها إلى مثل هذه المشاهد أو الأحداث".

واستمررت في البكاء ولكني قلت لنفسي بالتأكيد لقد أفسدت اليوم لأبي ولأختي وكنت اعرف أنني بالفعل أقوم بذلك ولكن لم يمكنني التوقف. كان كل ما أتمناه وقتها أن يعرف أبي وأختي ما حدث. بالتأكيد هم سينظرون إلى هذه الفراشة الجميلة ويرونها ومن الممكن أن يقولوا "ربما أنني لا أحب هذه الفراشة في قبعتي" فإذا قالوا هذا فسيكون جيد. ولكنني لم استطع إخبارهم. وكان يوما فظيئاً، وقد رفضت أن أتناول أي غذاء وجلست وبكيت وكانت الفراشة تتطير. وفي النهاية توقفت الفراشة عن الارتعاش وهذا جعلني اشعر أنني أفضل. ولكن في ذلك الوقت دخلت في حالة من اليأس أنه ليس هناك أي شيء يمكن أن يشعرني بأنني أفضل.

وركبنا مرة أخرى وكان أبي سيء المزاج وأختي مزعجة بالطبع ولكن المرشد كان ما زال جيداً ولطيفاً وما يزال يحملق بي ولحسن الحظ لم يفكر في إعطائي فراشة أخرى لكي يبهجنني بها. ووصلنا ودخلنا إلى غرفة الاستقبال حيث كانت أمي هناك.

وقد قالت "عزيزي ماذا حدث؟ هل أجاثا جرحت أصابعها؟"

فأجاب أبي "لا اعرف ماذا حدث لها أعلم أنها تشعر بالألم أو شيء كهذا. فهي كانت تبكي في وقت الغذاء ولم تتناول أي شيء"

وسألتني أمي "ماذا حدث يا أجاثا؟"

ولم استطع أن أخبرها فقد نظرت إليها فقط والدموع ما زالت تتساقط من عينيائي علي وجنتائي. ونظرت إلي بشدة لبعض من الدقائق ثم قالت "من وضع هذه الفراشة في قبعتها؟"

وقد أوحى أختي أنه المرشد في الرحلة.

فقالت أمي " فهمت " ثم قالت لي "ألم تحبها أليس كذلك؟ فهي حية وأنت تعتقدين أنها تؤذيك؟"

حسنًا، الراحة الرائعة والشعور الرائع بالراحة عندما يعرف شخص بما يدور بخلدك دون أن تتكلم ويخبرك به حتى تتحرر في النهاية من الصمت. واندفعت إليها ووضعت ذراعي حول رقبتها وقلت "نعم نعم فهي كانت تتطاير وترتعش ولكنه كان لطيفًا وقد قصد أن يكون لطيفًا"

وقد فهمت أمي بالفعل وهدأتني. ثم قالت لي:

"أنني أفهم ماذا شعرت به -أنا اعرف، ولكنه انتهى الآن ولن نتحدث عنه بعد ذلك.

وفي ذلك الوقت أصبحت أختي لديها تخيلًا غير عاديًا للشباب في منطقتها. فقد كانت أكثر فتاة جذابة في المنطقة وكانت جميلة وقد ورثت من أبي الذكاء السريع وسرعة البديهة وكم هي رائعة في أن تتحدث معها. علاوة على أنها كانت تملك مفاتن جنسية، فقد كان الشباب يقفون أمامها في وضع يشبهون لعبة الزجاجات الخشبية. وقد كنت قرأت أنا وماري قبل ذلك كتابًا عن المعجبين المختلفين. وقد تناقشنا معًا في الفرص الكثيرة.

فقد سألتني ماري "ما رأيك في السيد بالمر؟"

وقد أجبت أنه له نفس عمر ماج تقريبًا ولكن ماري أكدت لي أنه اكبر كثيرًا.

فقالت ماري "اعتقد أنه السيد امبروز".

وقد اعترضت على ذلك "فهو اكبر منها بسنوات عديدة" لكن من الطبيعي أن يكون الزوج أكبر من الزوجة كما قوات أن السيد امبروز من الجيدين والذي تقبله أي عائلة وترحب به.

وقد قلت "أمس وضعت وردة في معطف السيد برنارد ولكن ماري لا تفكر كثيرًا في السيد برنارد. فقد قالت أنه ليس ولدًا جادًا.

وقد علمت الكثير عن عائلة ماري وعرفت عادة قطتهم وكيف كانت قادرة علي المشي بين الكؤوس في المقهى دون أن تكسر أي واحدة من هذه الكؤوس. وعرفت أن أختها برث كانت أكبر منها وهي فتاة جادة وان أختها الصغرى إنجيل كانت هي المدللة لدى الأسرة. وعرفت جميع الحيل التي لعبها الغلامان وكيف دخلا في مشكلات. كما ذكرت أيضًا ماري لي سر العائلة أن اسمهم كان شاي بدلًا من ساي. وقمت بتهنئة ماري على هذه السلسلة الجيدة من النسب.

وكانت ماري بين الحين والآخر تقرأ لي الكتب الفرنسية كما كانت تفعل أمي معي. ولكن ذات يوم كنت سعيدة عندما تذكرت بعض الذكريات ووجدت الصفحات التي كنت قادرة على قراءتها جيدًا مثلما كان أي شخص آخر يقوم بقراءتها لي. وقد هنئي الجميع بشدة وليس أمي فقط. وأخيرًا عرفت الفرنسية جيدًا واستطعت قراءتها. وكنت بين الحين والآخر احتاج فقط إلى شرح وتوضيح بعض الصفحات الأكثر صعوبة ولكن على وجه العموم تمكنت من معرفة اللغة.

وفي نهاية أغسطس تركنا كوتيريه واتجهنا إلى باريس. وأتذكر أنه كان واحدًا من أسعد مواسم الصيف التي عشتها في حياتي. بالنسبة للأطفال في عمري فهي بها كل شيء-(فالأشجار تعد عاملاً متكررًا من المتعة والإثارة خلال حياتي كلها) وكان هناك أشياء عديدة منها الممرات والطرق التي كنا نستكشفها. والمتعة مع العائلة وصديقي الأمريكية مارجريت. إثارة مكان أجنبي أو غريب عنك "إنه حقًا شيئًا غريبًا ونادرًا"

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

فكيف عرف شكسبير. ولكنها ليست هذه الأجزاء التي تجمعت معاً وتم إضافتها تلك التي تتعلق بذاكرتي. انه **كوتيريه-المكان** -الوادي الطويل بالسكك الحديدية والمنحنيات الخشبية والتلال العالية.

فلم أعود إلى هناك أبداً. وأنا سعيدة بهذا. فمنذ عام أو عامين تخيلنا أن نقضي أجازة صيفية هناك. وقلت: "أحب أن ارجع" وكان هذا صحيحاً. ولكني فكرت أنني لا أستطيع الرجوع. فلا يمكنك الرجوع إلى المكان الذي يتواجد في مخيلتك. فلا تراه بتنفس العين-حتى مع افتراض أنه يبقى نفس المكان الذي رأيته في مخيلتك. فما تعرفه هو ما تعرفه. "الطرق السريعة التي ذهبت عبرها والتي لن تأتي مرة أخرى..."

إن المكان الذي تذهب إليه وتشعر بفرحة يبقى حياً، فإذا رجعت إليه فستجده محطماً.

وهناك العديد من الأماكن التي قاومت الذهاب إليها. منها ضريح الشيخ عادي في شمال العراق. وذهبنا هناك في زيارتي الأولى إلى الموصل، وكان هناك صعوبة في الدخول حيث عليك أن تحصل على تصريحاً بأن تقف عند البريد في عين سيفني تحت صخور جبل مكلون.

وتم اصطحابي من هناك بأحد رجال الشرطة وسرنا عبر طريق ما وكان طريقاً أخضر ملئ بالزهور البرية طوال الطريق. كما كان هناك انهياراً عبر طرق الجبال ومررنا بأطفال كثيرين في الطريق ثم وصلنا إلى ضريح يزيد. والضريح به أشكال عديدة من الرسومات منها صورة لثعبان اسود منحوت على جدار الضريح. وهناك أيضاً فناء مظلم جلسنا فيه تحت شجرة. وجلسنا هناك لفترة طويلة. ولم يقدم لنا أي شخص أي معلومات. وعرفت أن عائلة **ليزيد** كانوا من عبدة الشيطان وان الملوك **لوسيفر** هو هدف عبادتهم. ويبدو دائماً من الغريب أن عبدة الشيطان من

أكثر الطوائف الدينية المسالمة في هذا الجزء من العالم. وعندما بدأت الشمس في الغروب غادرنا المكان وكان المكان هادئًا جدًا.

الآن اعتقد أن هناك العديد من الرحلات السياحية تتجه إلى هذا المكان. إن "احتفالات الربيع" تعد احتفالات جاذبة للسياحة ولن أنسى هذه الاحتفالات.

٣

اتجهنا إلى باريس من البرانس ثم إلى دينارد. وكل ما أتذكره في باريس هو غرفة نومي في الفندق المدهونة في جدرانها بلون الشيكولاتة والتي من الصعب للغاية أن ترى عليها أي بعوض.

وكان هناك أعدادًا كبيرة من البعوض. والتي كانت تتطاير كل ليلة وكانت وجوهنا وأذرعنا مغطاة بلدغات الحشرات. (باستثناء بعض اللدغات البسيطة لأختي ماج التي كانت معنية ببشرتها كثيرًا في ذلك الوقت) وقضينا أسبوعًا في باريس وكنا نقضي طوال الوقت في محاولة لقتل البعوض. وأخيرًا وبعد جدال طويل مع إدارة الفندق التي تقول أنه لا يوجد أي بعوض استخدمنا شبكة البعوض التي ما زالت لها أهمية كبيرة. وكنا في أغسطس والطقس حار جدًا ومع استخدام هذه الشبكة للناموس يكون الجو أكثر حرارة.

وأعتقد أنني رأيت بعض المناظر في باريس ولكن جميعها لم تترك أي أثر في عقلي. وبالفعل أتذكر أنني ذهبت إلى برج إيفل ولكنني أتخيل الحال مثلما كنت أتخيل الجبال في البداية والتي لم تكن على مستوى توقعاتي. وفي الواقع فإن التذكار الوحيد لإقامتنا هناك هو كنيّة جديدة لي وهي Moustique.

لا، فأنا مخطئة. فقد تعرفت على رواد العصر الميكانيكي العظيم. وكانت شوارع باريس مليئة بتلك العربات الجديدة التي كانت تسمى "أوموبيل" والتي كانت تندفع بشدة (ربما تعد بطيئة إلى حد ما بمعايير اليوم ولكنها لا تتنافس إلا مع

سرعة الحصان) وكان يقودها الرجال ومليئة بمعدات المحركات. وقد قال أبي أن هذه السيارات ستكون متاحة للجميع قريبًا. ولم نصدقه حينها، ولم أعير لهذه السيارات أي اهتمام فقد كان اهتمامي الوحيد بالقطارات بجميع أنواعها.

وتعجبت أُمي بحزن "وأسفاه؛ إن مونتي ليس هنا فهو يحب هذه السيارات كثيرًا"

وكان يبدو من الغريب بالنسبة لي أن انظر إلى هذه المرحلة في حياتي، وكان أخي قد اختفى تقريبًا من حياتي في تلك الفترة. فقد كان يأتي إلى المنزل في الأجازات من هارو ولكنه لم يعد يتواجد بيننا بعد ذلك، والإجابة هنا تتلخص في أنه لاحظني ملاحظة طفيفة في تلك الفترة. وقد عرفت فيما بعد أن أبي كان قلقًا بشأنه. وكان أخي غير قادر على اجتياز اختباراتهِ. واعتقد أنه ذهب أولًا إلى بناء السفن وبعدها اتجه إلى الشمال إلى لينكونشير. وكانت تقارير تقدمه مخيبة للآمال. وقد تلقي أبي بعض البيانات عنه "أتري فهو لن ينجح في الرياضيات، فأنت تريه أي شيء عملي وسوف يكون جيدًا فهو رجل عملي وسوف يكون أفضل في المجال الهندسي".

من الطبيعي أن تجد في كل أسرة شخص ما يكون مصدر الإزعاج والقلق فيها. وكان أخي مونتي هو ذلك الشخص في عائلتنا الذي يمثل مصدر الإزعاج والقلق. فحتى يوم وفاته كان يتسبب في مشكلات وصداع لشخص مار وكنت غالبًا ما أتعجب وأتساءل هل يوجد أي موضع لائق في الحياة يكون أخي ملائمًا فيه. فأنا أراه جالسًا في مسرحه الخالي يستمتع بأغاني الأوبرا فقط. وكان موسيقي يتمتع بصوت جيد وكان يعزف على آلات عديدة من الصفارات والفلوت وغيرها من الآلات الموسيقية، ولم يكن لديه أبدًا القابلية كي يكون محترفًا في أي شيء ولا اعتقد أن الفكرة أتت إلى رأسه. فقد كان جيد الأخلاق وساحرًا جدًا وكان طوال حياته محاطًا بأشخاص تواقين لمضايقته. وكان هناك شخص ما دائمًا مستعدًا لإقراضه الأموال. وعندما كان طفلًا في السادسة كان يأخذ مصروف جيبه هو وأختي من أبي، وقد

انفق مونتي مصروف جيبه في اليوم الأول. ثم بعد ذلك دفع بأختي إلى محل ما سريعاً وطلب بعض الحلوى ثم نظر إليها محملاً كي تدفع المبلغ المطلوب. وكانت ماج دائماً تحظي باحترام الأسرة. وكانت تتشاجر معه بصوت عالي بشأن هذا وكنا يتشاجران كثيراً وكان مونتي يعطيها واحدة من الحلوى.

وكان هذا الموقف أحد المواقف التي اتبعها في حياته. وكثيراً ما قالت العديد من النساء لي "أنت بالفعل لم تفهمي أخيك مونتي. فما يحتاج إليه هو التعاطف" والحقيقة يهمننا أن يكون أخيك جيداً. وكان من المستحيل ألا نشعر بالتعاطف من أجله. وقد اعترف بأخطائه الشخصية بكل صراحة وكان واثقاً بأن كل شيء سيكون مختلفاً في المستقبل. واعتقد انه كان الولد الوحيد في هارو الذي سمح له بأن يحتفظ بالفئران البيضاء. وكان المدرس المشرف عليه قد أخبر أبي قائلاً " يبدو أن لديه حباً عميقاً للتاريخ الطبيعي للدرجة التي يتم بها منحه امتياز" وكان رأي العائلة أن مونتي لا يحب التاريخ الطبيعي مطلقاً. هو فقط كان يحب الاحتفاظ بالفئران البيضاء!

وبالنظر إلى الماضي اعتقد أن مونتي كان شخصاً شيقاً. مع بعض التغيير الطفيف فقط يكون رجلاً رائعاً. فهو يفتقد شيئاً ما فقط. النسبة؟ التوازن؟ الاندماج؟ لا اعرف.

إن اختيار المهنة بالنسبة له تم بعد ذلك. وبعد فترة اندلعت حرب البور وتم استدعاء جميع الشباب الذين نعرفهم- وكان أخي مونتي بينهم. وكان في ذلك الوقت قد نزل مع بعض الجنود في المعركة مع النقيب داشوود. كما أن أبي أخبره أن الجيش لابد أن يمنحه مهمة ما للقيام بها في ذلك الوقت وخاصة أن مهامه الهندسية في تلك الفترة كان مشكوك فيها.

وكانت حرب البور هي آخر الحروب التي يمكن وصفها بالحروب القديمة، والحروب التي لا تؤثر بالفعل على المدينة أو الحياة. فقد كانت قصصاً بطولية

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

وحروبًا يقودها جنود شجعان وشباب جيدين. ويبدو من الغريب اليوم أن الفتيات يستمررن في التعلق بالشباب الذين يعتبرونهم أبطال بالموت من أجل بلادهم.

وأذكر القليل عن الحرب الإفريقية الجنوبية. والتي لم يتم اعتبارها حربًا هامة. واستغرقت أسابيع قليلة وفي عام ١٩١٤ سمعنا هذه العبارة "كل شيء انتهى بحلول عيد الميلاد".

ولذلك فما أتذكره هو جو من البهجة—أغنية ذات نغمة ولحن جيد- الشباب يأتون من بليموث لقضاء بعض الأيام القليلة. وقد احضر أخي مونتي صديقًا معه من بليموث حيث كانوا مقيمين فيها في تلك الفترة. وصديقه هذا يدعى ينست ماكينتوش تم استدعائه من قبلنا لبعض الأسباب والذي كنا نناديه ب بيلي. وكان بيلي يمثل بالنسبة لي صديقًا حميمًا مثل أخي مونتي طوال حياتي. فقد كان شابًا وسيماً. ومثلما هو الحال مع باقي الرجال أو الشباب الذين كانوا حولنا فقد كان بيلي عاشقًا لأختي. وارتدي الرجلان زيهما. ووضعنا لفافات السيقان حول رقابهما ولعبا جميع أنواع الحيل. ومعى إحدى الصور الفوتوغرافية لهما وهما يجلسان واللفافات حول عنقهما. وقد حولت بطولتي النسائية إلى بيلي ماكينتوش. وهناك صورة فوتوغرافية له بجوار فراشي.

ومن باريس اتجهنا إلى دينارد في بريتاني.

وكان الشيء الذي أتذكره في دينارد هو تعلني السباحة هناك. ويمكنني تذكر كبرائي الشديد وسروري عندما وجدت نفسي قادرة علي القيام بحوالي ستة ضربات في الماء دون أن أغرق.

وثاني الأشياء التي أتذكرها هي ثمار التوت التي لم أرها في أي مكان أخروي هي ثمار كبيرة الحجم وجميلة. وقد اعتدت أنا وماري أن نخرج ونقتطف سلال ثمار التوت ونأكل كميات كبيرة منها في نفس الوقت. والسبب هو أن السكان الأصليين في المنطقة كان لديهم اعتقاد بأن هذه الثمار من التوت سامة ومميتة. ولم يكن لدى

ماري ولا أنا مثل هذه الموانع لكي نتناول هذه الثمار وكنا على حد قول هؤلاء الناس نسلم أنفسنا كل ظهيرة بتناول هذه الثمار من التوت.

وذات مرة وأنا في دينارد ذهبت أول مرة إلى المسرح. إن أبي وأمي كان لهما غرفة نوم كبيرة بنافذة كبيرة جدًا والتي كانت تنسدل منها الستائر. وكانت هذه طبيعة الأداء المسرحي. وقد رأيت فيها في عيد الميلاد بعض التمثيليات الصامتة وكنا نحضر عروضاً ليلية للعديد من القصص المتنوعة الجميلة. فقد كنت اختار الشخصية التي تروق لي وماري تختار أية شخصية أخرى.

وبالرجوع إلى الوراء؛ أدين بكل الامتنان لعطف أبي وأمي الكبير. وأتخيل أنه لم يكن هناك شيء أكثر من أننا كنا نأتي كل مساء بعد تناول العشاء ونجلس لنصف ساعة نشاهد ونصفق بينما كنت أنا وماري نختال ونتخذ أوضاعاً خاصة في أزيائنا التمثيلية. وقمنا بالعديد من المسرحيات منها سندريلا وغيرها. وكنت مغرمة بالشخصية الرئيسية وكنت استعير جوارب أختي في محاولة لإظهار الرداء المحكم وكان الأداء بالطبع دائماً بالفرنسية حيث أن ماري لم تكن تتحدث الانجليزية. يا لها من فتاة طبيعية وجيدة. وقد تشاجرنا لكي يتخذ كل منا دور سندريلا. حقيقة لا يمكنك أن تتخيل سندريلا بتسريحة لشعرها أعلى رأسها! وهناك الشخصيات الكثيرة منها الطيبة والشريرة التي كانت تخيف النساء. وكانت ماري فجأة رافضة أن تجسد دور سندريلا.

فسألتها " ولم لا يا ماري؟ إنه دور جيد إنه دور البطولة. إنها سندريلا التي تدور المسرحية بأكملها حولها".

فقالت ماري من المستحيل أن تجسد دور سندريلا. فمن المستحيل أن تظهر وشعرها مفقود أمام الرجل! فتلك كانت هي المشكلة المحيرة. فحتى تظهر بشعرها مفقود أمام الرجل فقد كانت تلك هي القضية بالنسبة لماري.

وأذكر واحدة من أطفال صديقاتي وهي فتاة صغيرة جميلة ومرحة. وقد وصلت ممرضة فرنسية حتى تعني بها وكانت المشكلة الطبيعية موجودة وهي هل

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

هذه الطفلة الصغيرة سوف تندمج معها أم لا واتضح أن كل شيء على ما يرام. وقد ذهبت إلى الخارج مع الطفلة للتمشية والحديث. وكان كل شيء جيد. ولكن فقط عندما حان وقت النوم ظهرت بعض الدموع عندما رفضت جوان بشدة أن تترك مادلين تعطى الحمام. وقد تحيرت أمها وكانت مدركة أن الطفلة لا تكون في هدوء مع أحد من الغرباء عن المنزل. ولكن هذا الرفض استمر ليومين أو ثلاث. وبعد ذلك كان كل شيء هادئًا وجميلاً وتحولت العلاقة إلى صداقة حتى يأتي وقت النوم والحمام. واستمر حتى اليوم الرابع حتى كانت جوان تبكي وتدفن رأسها في عنق أمها قائلة "أنت لا تفهمي يا أمي، لا يبدو أنك متفهمة فكيف اظهر جسدي إلى سيدة أجنبية؟"

وكان هذا هو الحال مع ماري فلم تستطع أن تكشف جسدها في العديد من الأدوار أو أن تظهر فاقدة لشعرها أمام أي رجل.

وأنا أتخيل أداؤنا المسرحي الذي كان ممتعًا بشدة ومضحكًا وكان أبي يشعر بالكثير من الاستمتاع- ولكن هذا الأداء أصبح مملًا. ومع ذلك فإن والداي أخبراني بصراحة أن الأداء المسرحي لنا جيد في كل ليلة. وكنا في بعض المواقف يوضحان لنا أن أصدقائهما في تناول العشاء وأنهم غير قادرين على صعود السلالم لمشاهدة العرض المسرحي.

وخلال شهر سبتمبر الذي قضيناه في دينارد، كان أبي سعيدًا لإيجاد بعض من أصدقائه القدامى هناك-مارتن بيرى وزوجته وولديه الذين كانوا على وشك الانتهاء من أجازاتهم. كان أبي ومارتن بيرى صديقين منذ أيام المدرسة وكنا صديقين حميمين وقتها. وكانت زوجة السيد مارتين هي ليليان بيرى واحدة من أبرز السيدات والشخصيات التي عرفتها في حياتي. فقد كانت تتسم بصوت جميل وواضح وملامح رقيقة وعينين زرقاوين. وكانت حركات أيديها دائمًا جميلة. واعتقد أنني رأيتهما أول مرة في دينارد ولكن من وقتها رأيتهما على فترات منفصلة بعد ذلك حتى توفت في عمر الثمانين. وكان إعجابي بها واحترامي لها يتزايد طوال هذا الوقت.

وقد كانت واحدة من النساء القليلات اللاتي قابلتهن لها عقل شيق وجذاب. وكانت منازلها جميعاً مزخرفة بطريقة جميلة. وقد صممت أفضل الصور ولم يكن هناك كتاب أو قصة لم تقرأها أو تراها وكان دائماً هناك شيء ما داخلها تود أن تخبرك إياه عن هذه القصص أو الكتب.

وكان الشباب والفتيات يندفعون دائماً إلى منزلها وكانوا في غاية السعادة للحديث معها. وقضاء ظهيرة ما معها، حتى عندما تعدت السبعين كانت تمثل شيء رائع بالنسبة لهم. واعتقد أنها كانت تتميز بتخصيص بعض الوقت للاستجمام أو الراحة. فقد تجدها تجلس على كرسي في غرفتها الجميلة عادة مشغولة ببعض أعمال الحياكة من تصميمها الخاص أو قراءة بعض الكتب الشيقة. فقد كان لديها استعداد للحديث معك طوال اليوم أو طوال الليل. وكان صوتها الجميل هو الذي جذبني كثيراً. فمن النادر أن تجد صوتاً هادئاً يشبه صوتها. وكنت دائماً لدي حساسية عالية للأصوات. إن الصوت القبيح يسبب لي انقلاب بينما الوجه القبيح لا.

وكان أبي مسروراً كي يرى صديقه مارتن مرة أخرى. وقد انشغلت أمي هي والسيدة بيرى في المناقشة عن الفن الياباني. وكان لديهما ولدين الأول هو هارولد والثاني هو ويلفريد. وأصبح ويلفريد بعد ذلك واحداً من أهم أصدقائي وأعزهم ولكن كل ما أتذكره عنه من دينارد هو أنه كان يقال عنه أنه الغلام الذي كان يضحك بصوت عالي عندما كان يرى فاكهة الموز. فهذا جعلني انظر إليه باهتمام شديد. وبصورة طبيعية لم يهتم أي من الولدين بي. إن الأولاد في مدارسهما لم يهتموا بفتاة مثلي في السابعة من عمرها.

وانتقلنا من دينارد إلى جيرنزي حيث قضينا هناك معظم الشتاء. وفي عيد ميلادي كان لدي هدية من ثلاثة طيور ملونة. وكانت هذه الطيور تسمى: كيكي، توتو، بيبي. وبعد وصولنا إلى جيرنزي ماتت كيكي التي كانت طائراً رقيقاً. أما بيبي

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

الذي كان طائرًا مغردًا وصغيرًا فكان هو المفضل لدي من بين الطيور الثلاث- ولكنني استمتعت بهم جميعًا. وعندما توفي الطائر كيكي وضعت أمي داخل صندوق من الكرتون. وتم توضيح الطقوس الخاصة بمثل هذه المواقف عند توفي أي نوع من الطيور. وتم دفن الصندوق مع مجموعة من الزهور التي وضعت فوقه. فكان كل هذا بالطبع مرضيًا وأصبح كيكي من الأشياء المفضلة لدي.

إن الإثارة الكبرى في سان بيتر بورت بمدينة جيرنزي كان سوق الزهور أو معرض الزهور. وكان هناك العديد من الزهور الجميلة من جميع الأنواع وبسعر منخفض. وطبقًا لرأي ماري فإنه كان أكثر الأيام برودة وأكثرها مطرًا بعدما سألنا "أين سنذهب اليوم للتمشية يا ميس؟" وأجابت ميس "سنذهب لزيارة قبر كيكي" وبعدها سمعنا تهديدات من ماري. ومشينا لمسافة ميلين وكانت الرياح باردة. وأخذتها إلى السوق حيث اشترينا مجموعة ساحرة من زهور الكاميليا والعديد من الزهور الأخرى وسرنا الميلىن فى المطر والرياح الباردة ووضعنا باقة الزهور على قبر كيكي.

كم كانت هذه المشاهدة ممتعة جدًا في باريس مع جميع العائلات التي كانت تحضر وتزور أضرحتها ويكون يومًا جميلًا للزيارة. إن تشريف الموتى يعد في الواقع من العبادات المقدسة. فهل يوجد خلفها أي وسائل أخرى لتجنب الحزن والاهتمام بالاحتفالات الخاصة بالموتى؟ اعرف أن أي عائلة مهما كانت فقيرة فربما يكون أول شيء يفكرون به هو جنازتهم. وأتذكر كلام أحد الأصدقاء القدامى وهو رجل عجوز حيث قال "حسنًا، إنها أوقات صعبة يا عزيزتي ولكن هناك شيء واحد هو أنني سوف أموت ونحن جميعًا. ولدي أموالًا قد ادخرتها لدفني ولن ألمس هذه الأموال مطلقًا حتى إذا تعرضت للجوع لأيام طويلة!.

٤

أحياناً أفكر في أنه إذا كانت نظرية التناسخ صحيحة، فربما أصبح أنا كلباً. فلدي العديد من سمات الكلاب الجميلة. فإذا تعهد أي شخص شيئاً ما أو ذهب إلى أي مكان فأنا أرغب دائماً في الذهاب معه. وبنفس الطريقة عند العودة إلى المنزل بعد هذا الغياب الطويل أتصرف تماماً مثل الكلب. إن الكلب عادة ما يجري حول المنزل يحاول أن يفحص كل شيء ويشم هنا ويشم هناك ويكتشف من خلال أنفه ماذا يجري، ويزور جميع البقاع والأماكن الموجودة. وأنا أقوم بنفس الشيء تماماً. فأدور حول المنزل ثم إلى الحديقة وازور البقع الموجودة بها: وانظر إلى الطريق الخارجي في مكان مختفي. واجد خاتمي وأتفحص حالته واقضي حوالي ساعة في محاولة لإرضاء نفسي بأن كل شيء على ما يرام وأن كل شيء هو بالفعل كما كان من قبل.

إن التغير الكبير قد حدث لكلبي توني. إن توني كان صغيراً ونحيلاً، ولكنه الآن بفضل الوجبات الكبيرة التي كانت تعدها فرودي له والعناية به أصبح سمياً مثل البالون. إن فرودي تحب الكلب بشدة وعندما ذهبت أنا وأمي كي نحضره معنا إلى المنزل أعطتنا فرودي مناقشة طويلة عن كيفية نومه وما يجب أن تغطيه به ومذاقه في الطعام وما الوقت الذي يجب الخروج فيه للتمشية. وفي حديثها عن توني كانت في الأوقات أو الفترات المنفصلة تقطع حديثها معنا كي تتحدث إليه. وقالت فرودي إنه لن يأخذ منك أي لقمة إلا إذا أعطتها إليه بيديك، أوه فعلي أن أقدم له كل قطعة من الطعام بنفسبي وببيدي؟

ولاحظت نظرة في عين أُمي وأنا أفكر في أن توني لن يتلقى هذه المعاملة الهادئة في المنزل. وأخذناه معنا إلى المنزل في تاكسي مع باقي الأشياء التي تخصه. وكان توني مسروراً لرؤيتنا وكان يلعقني من فرحته. وعندما أعددنا له العشاء، فإن تحذيرات فرودي كانت صحيحة. فنظر توني إلى العشاء ونظر أعلى إلى أُمي ولي وتحرك

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

خطوات قليلة بعيداً وجلس منتظراً حتى يتم تناوله كل لقمة من الطعام باليد وقمت بإعطائه قطعة وقبلها بفرحة ولكن أُمي أوقفت هذا.

وقالت "إن هذا ليس جيد" سوف يتعلم أن يتناول عشاءه بمفرده. اتركي هذا العشاء هنا وهو سيذهب ويتناوله في الحال"

ولكن توني لم يتناول أي طعام وقد جلس بعيداً. ينظر بعينه الكبيرة بنية اللون الحزينة إلى جميع أفراد الأسرة ثم ينظر مرة أخرى إلى طبقه. وكان يقول بوضوح "أنا أريده ألا ترى؟ أريد عشاءي. فلتعطني إياه" وبالرغم من هذا فإن أُمي كانت صارمة وحاسمة.

وقد استمرت قائلة "حتى إذا لم يتناوله اليوم، سوف يتناوله غداً"

وقد قلت لها "ألا تعتقدين أنه سيجوع؟"

نظرت أُمي بتفكير عميق إلى ظهر توني وقالت:

"قليل من الجوع سوف يوفر له عالماً جيداً"

ولم يمضي حتى المساء التالي حتى تخلى توني عن كبرائه وتناول عشاءه بنفسه عندما كان وحيداً في الغرفة. وبعد ذلك لم يكن هناك أية مشكلات أخرى. وانتهت الأيام التي كان يتم معاملته فيها على أنه دوق عظيم. وقبل توني الواقع بكل سهولة. ولكنه ما زال يتذكر أنه كان لمدة عام كامل العزيز المحبب والمفضل لدى أسرة أخرى بمنزل آخر. وكان عندما يصادف أية مشكلة كان يتوجه في الحال إلى منزل فرودي ويشكو لها أنه لا يتم تقديره بشكل جيد. واستمرت هذه العادة من جانبه لفترة طويلة.

وأصبحت ماري الآن هي الممرضة لتوني بالإضافة إلى مهامها الأخرى. وكان من الجميل أن ترى ماري تأتي عندما كنا نلعب في المساء وهي مرتدية وقاء حول

خصرها وهي تقول بكل أدب "السيد توني يحاول أن ينزل من على الكنبه حيث أن لديه رأي عن الحمام الأسبوعي".

يجب أن أوضح الآن أن الكلاب لا تلتصق بها البراغيث هذه الأيام بصورة كبيرة مثلما كانت في الماضي. بدلاً من الحمامات، من الممكن أن نمشط شعر الكلب ونتغلب على هذا. في الواقع أن جميع الكلاب لدينا تبدوا مليئة بالبراغيث. ربما كانت تتجه الكلاب إلى الإستابلات كثيرًا وتلعب مع كلاب أخرى. ومن ناحية أخرى فإن الكلاب قديمًا لم تكن تذهب للأطباء البيطريون مثل هذه الأيام. ولا أتذكر أن توني كان مريضًا أبدًا فقد كان دائمًا في حالة جيدة وكان يتناول وجباته والتي كان يتم أخذها من عشائنا وكان هناك فوضى قليلة عن صحته.

ولكن هذه الأيام فإن هناك الكثير من الفوضى التي يتم إثارتها عن الأطفال. إن درجات الحرارة إذا لم تكن مرتفعة لا يهتم أو يلتفت إليها. وحرارة مثلاً مثل ١٠.٢ درجة لتتحمل لمدة ٢٤ ساعة وتتطلب زيارة من الطبيب ولكن أي درجة حرارة أقل من تلك الدرجة لا يتم الاهتمام بها. وبعد تناول كميات كبيرة من التفاح الأخضر فإنها تسبب مشكلة ولا يحلها إلا علاج ٢٤ ساعة من الجوع والبقاء في الفراش. إن الطعام كان جيد ومتنوع؛ واعتقد أن الأطفال الصغار يتم تغذيتهم على اللبن لفترة طويلة ولكنني أتذكر منذ صغرسني أنني كنت أتغذى على شرائح اللحم المفروم التي ترسل مع الممرضة وكان اللحم البقري المشوي واحدًا من وجباتي المفضلة. كما كانت الكريمة جيدة أيضًا ويتم تناولها بكميات، واعتادت أُمي أن تقول أنها كانت أفضل من زيت الزيتون. وأحيانًا كنا نتناولها مع الخبز وأحيانًا بملعقة. وآسفًا! إنك لا ترى الكريمة في هذه الأيام- فلم تعد كما كانت في مذاقها. ولا شك أن طعامي المفضل كان وسيظل هو الكريمة.

إن أُمي التي اعتادت أن تنوع في الطعام وفي كل شيء من وقت لأخر كانت في بعض الأوقات تتعرض لمواقف ضعف. وكانت في إحدى الفترات لديها شعارًا "هناك

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

تغذية اكبر في عمر ما" وبناء على هذا الشعار كان لدينا البيض في كل وجبة حتى أعلن أبي تمرّدًا. كما كان هناك فترة مليئة بالأسماء. وكنا كلما نوعنا في طعام ما، كانت أمي دائماً تعود إلى الطبيعي.

وكان من المرضي أن نعود إلى منزلنا ونجد كل شيء على طبيعته. وكان هناك تغييرًا جيدًا للأفضل. إن ماري الآن موجودة معنا.

وأذكر أنني حتى وقت أن وضعت يدي داخل حقيبة الذكريات عن ماري- أن ماري كانت جزء من حياتي. بالنسبة لطفل ما فإن العالم ببساطة يمثل ما يحدث له: وهذا يشمل الناس من حوله الذي يحبهم أو يكرههم وما جعلهم سعداء وما يجعلهم حزانى. وكانت ماري المبهجة المرحمة المبتسمة دائماً تعد عضواً مقبولا جداً بالنسبة لأهل المنزل.

ما أتعجب وأتساءل عنه الآن هو ماذا يعني بالنسبة لها؟ اعتقد أنها كانت سعيدة خلال الخريف والشتاء الذي قضيناه في فرنسا. وكانت ترى أماكن مختلفة وكانت حياة الفنادق بالنسبة لها جيدة. وبالطبع أحب أن أفكر أنها كانت تحبني ولكن ماري كانت مغرمة بالأطفال بشكل كبير وكانت تحب الاعتناء بأي طفل. ولم أكن مطيعة بقدر كبير بالنسبة لها، ولا اعتقد أن الفرنسية لها القدرة على إلزام الطاعة. فقد تصرفت في الكثير من المواقف معها بشكل مخزي. فقد كنت أكره التوجه إلى الفراش وكنت اخترع لعبة الدوران حول الأثاث وأتسلق أعلى الخزانات واقفز من قمة الأدراج لأكمل دائرة داخل الغرفة دون أن ألمس الأرضية. وكانت ماري تقف عند الباب وتزأر "مدام أوه" ولم أكن أفهم ما تقوله وكانت ترفع حواجبها إلى أعلى وتقول "أجاثا لماذا لا تذهبين إلى فراشك؟" وفي خلال ثلاث دقائق كنت أتوجه إلى الفراش دون أن انطق بكلمة. ومن ناحية أخرى-إذا لم أكن أطيعها في موقف ما-فكنت أظهر لها حيي فقد أحببتها كثيراً بالفعل.

وفي إحدى المرات أتذكر أنني أزعتها فعلاً. وحدث هذا بعد أن عدنا إلى انجلترا في غضون مناقشتنا حول موضوع ما. وفي النهاية، في محاولة لإثبات وجهة

نظري كنت أقول "لا ولكن..." وفي هذه اللحظة انفجرت ماري بالبكاء. وبدأت أحملق إليها. ولم يكن لدي فكرة عما حدث. ثم أخذت أفكر "نعم هي فتاة فقيرة" وكان والديها فقراء وليسوا أثرياء. وكان لديهم مقهى حيث كان يعمل به جميع الأبناء والبنات. ولكن لم يكن من الجيد أن توبخها ليس بفقرها.

ولكني قلت لها "ماري أنا لم أعني هذا على الإطلاق" وكان يبدو من المستحيل أن أشرح لها أنه لم تأت إلي أي فكرة عن الفقر عندما تحدثت إليها فقد كنت فقط أعبّر عن عدم صبري على شيء ما. إن ماري المسكينة قد جرحت مشاعرها واستغرقت على الأقل حوالي نصف ساعة من الاعتراضات والتهدة قبل أن تصمت. وبعد هذا تم تسوية كل شيء بيننا. وكنت حريصة في المستقبل ألا استخدم هذا التعبير المحدد الذي استخدمته من قبل وجرح مشاعرها.

واعتقد أن ماري عندما كانت تمكث معنا في منزلنا في توركاوي كان لديها حنين إلى الرجوع لوطنها. مما لا شك فيه أننا حينما مكثنا في الفنادق كان هناك العديد من الخدمات الأخرى والمرضات وغيرهن. ولم تشعر هي بالانفصال عن والديها أو عائلتها. ولكن هنا في انجلترا أصبحت على اتصال بالفتيات الذين في نفس عمرها. وكان لدينا في هذا الوقت خادمة جديدة في المنزل وخادمة أخرى في الثلاثينات من عمرها. ولكن وجهات نظرهما كانت مختلفة عن نظرة ماري لدرجة أن هذا جعلها تشعر بأنها غريبة. وقد نقدا بساطة ملابسها وحقيقة أنها لم تنفق أية أموال على شراء أي قفازات أو أشرطة زينية أو حلي مبهجة أو أي شيء من هذا القبيل.

إن ماري كانت تتلقى ما كان يمثل بالنسبة لها أجرًا جيدًا. وكانت تطلب من أبي كل شهر أن يتفضل شاكرًا ويرسل راتبها الشهري إلى أمها في باو. وكانت تحتفظ بمبلغ بسيط لنفسها، وكان هذا بالنسبة لها طبعي وملائم. وكانت تدخر لنفسها طوال الوقت من هذا المبلغ الصغير مثل جميع الفتيات الفرنسيات في هذا الوقت—وهو يكون بمثابة شبكة لها—أو ضرورة للمستقبل—لأن فقدان هذا المال ربما

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

يجعلهن لا يتزوجن بسهولة. ولكنها فكرة جيدة من وجهة نظري. ففي هذه الأيام في انجلترا فإن الشباب يرغبون في شراء منزل ولذلك فإن كلا من الشاب والفتاة يدخرون الأموال لتحقيق هذا. ولكن في الوقت الذي أتحدث عنه فإن الفتيات لم يدخرن الأموال من أجل الزواج- فقد كان هذا هدف الرجل فقط. فيجب أن يمد زوجته بمنزل وأن يوفر لها الطعام والملابس وأن يعتني بها. ولذلك فإن الفتيات من الخادومات والطبقة الدنيا من فتيات المحلات يعتبرون المال الذي يكسبونه مالههم الخاص لاستخدامه في الأشياء المفضلة في الحياة. وقد كانوا يشترون قبعات جديدة وبلوزات ملونة وعقود جميلة أو دبابيس زينية. وأعتقد أن هؤلاء الفتيات استخدمن أجورهن كمال للإغراء- من أجل جذب رجل ملائم. ولكن هنا ماري بمعطفها الصغير الأسود وجونلتها وبلوزتها البسيطة لم تضيف أبدًا إلى خزانة ملابسها أي شيء ولم تشتري أي شيء غير ضروري. واعتقد أن الخادمتين لم يقصدا أن يكونا غير حنونين معها ولكنهما كانا يسخران منها ويحتقرانها وهذا ما جعلها غير سعيدة.

إن حب أمي لها وعطفها عليها هو ما جعلها تصبر في أول الأربعة أو الخمسة أشهر الأولى. فقد كانت تشعر بالحنين للرجوع إلى وطنها ومنزلها. وقد أرادت أن ترجع إلى منزلها ولكن أمي كانت تتحدث إليها وتهديها وتخبرها أنها فتاة حكيمة وتفعل الشيء الصحيح وأن الفتيات الانجليزيات ليسوا مؤدبات مثل الفتيات الفرنسيات. كما تحدثت أيضًا مع الخادومات ومع جان قائلة إنهما تسببا في أن تكون هذه الفتاة الفرنسية غير سعيدة. فقد كانت بعيدة جدًا عن موطنها ومنزلها ويجب عليهما أن يفكران في وضعهما إذا كانا في مكان بعيد وفي بلد غريب. ولذلك بعد شهر أو اثنان شعرت ماري بالبهجة.

إن أي شخص لديه صبر في قراءة ما أكتبه هنا سيسأل "وهل تعلمتي شيء من هذه الدروس؟"

والإجابة هي بالنفي

اعتقد أنني كنت في التاسعة من عمري وقتها وكان معظم الأطفال في عمري لديهم مربيات في المنزل. وما تتعلمه يعتمد كثيرًا على الطريقة التي تقدمها لك هؤلاء الخادmates.

وأنا أتذكر مربية أو اثنتان في منزل أحد أصدقائي. واحدة كانت تعمل بكل إخلاص في منزل الطبيب برور. وكان هناك بعض من التساؤلات التي كان يتم توجيهها منها مثلًا "ما هي الأمراض الثلاثة التي تصيب القمح؟" الصدا- العفن الفطري-السخام. وبقيت أتذكر هذه التساؤلات طوال حياتي بالرغم من أنها لم يكن لها أي أهمية أو قيمة أو استخدام عملي بالنسبة لي "ما هو التصنيع الرئيسي في مدينة ريديتش؟ الإبر" ما هو تاريخ معركة هاستينغز؟" ١٠٦٦.

وهناك مربية أخرى أتذكرها قامت بتعليم طلابها التاريخ الطبيعي. وكان هناك بعض الأوقات التي يتم فيها قطف الأوراق والتوت والزهور البرية. وقد أكدت لي صديقتي الصغيرة قائلة "أنا اكره بالفعل جميع هذه الطرق لقطف الأزهار وقطعها" وقد وافقتها بشدة. وبالفعل فإن كلمة "علم النبات" جعلتني اشعر بالخجل وجعلتني اشعر كالحصان العصبي.

وقد ذهبت أُمي إلى المدرسة في شبابه إلى مؤسسة ما في تشيشير. وأرسلت أختي ماج إلى مدرسة أخرى ولكنها اقتصت بوجهة نظر أن أفضل طريقة لتربية الفتيات هو أن تجعلهن على طبيعتهم وأن تعطيهم طعامًا جيدًا وهواء نقيًا وألا تجبر عقولهن بأي طريقة (لا شيء من هذه الأشياء بالطبع يطبق على الأولاد، حيث أن الأولاد يجب أن يتلقوا تعليم تقليدي).

وكما ذكرت من قبل، بأنها كان لديها نظرية أنه لا يجب أن يسمح لطفل ما أن يقرأ حتى يبلغ الثامنة. إن هذا كان محبطًا جدًا حيث أنه سمح لي بالقراءة كما أشاء وقد انتهزت كل فرصة للقراءة. إن غرفة الفصل الدراسي بالمدرسة كانت كبيرة في الحجم وكانت أعلى قمة المنزل ومليئة بالكتب. وكان هناك أدراج لكتب الأطفال. من

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

هذه الكتب "في بلاد العجائب وغيرها من الحكايات الفكتورية التي ذكرتها قبل ذلك منها مثلاً "البنفسجة البيضاء. بالإضافة إلى مجموعة من الكتب الدراسية والروايات وكتب أخرى. وكنت اختار أي كتاب يلفت نظري وأقرأ الكثير من الأشياء التي لا أفهمها ولكنها فقط تلفت نظري.

وأثناء قراءتي الكثيرة وجدت مسرحية فرنسية اكتشفها أبي لقراءتها. وقد سألتني "ما رأيك في هذه المسرحية؟ إنها واحدة من سلسلة المسرحيات والروايات الفرنسية التي كان يحتفظ بها عادة بحرص شديد في غرفة التدخين للكبار لكي يقرأونها.

وقد أجبته قائلة "أنها كانت في غرفة المدرسة"

فقال أبي "لا يجب أن تكون هناك فيجب أن تكون في خزانتي أنا"

وجدت بعض الصعوبة فيما أخبرني به. وقد اعتدت قراءة بعض الأعمال الأدبية بالفرنسية.

واعتقد أنني كان يجب أن احضر بعض الدروس باللغة الفرنسية ولكن ليس لدي معلمة. واستمررت في تعلم الرياضيات مع أبي والتي أمر فيها ما بين الكسور العادية والكسور العشرية.

إن أختي ماج أصبحت في مكان آخر وحضرت العديد من الحفلات والعديد من الزيارات إلى لندن وغيرها من الأماكن. وهذا جعل أُمي مشغولة ولم يكن لديها الكثير من الوقت لي. وأحياناً كنت أشعر بالغيرة وأشعر بأن ماج كان لها كل الاهتمام والحنان من أُمي. إن أُمي نفسها كانت تعيش حياة طفولية مملّة. وبالرغم من أن خالتها كانت سيدة ثرية، وبالرغم من أن كلارا كانت تسافر هنا وهناك عبر المحيط الأطلسي معها، إلا أنها لم تحضر الحفلات الاجتماعية. إن أُمي كانت مثل أية فتاة صغيرة تتوق أن يكون لديها ملابس جميلة وفساتين أكثر مما كان لديها. أما خالتي

جراني فقد كانت تحتفظ لنفسها بأعلى الملابس وأكثرها جمالاً عند أفضل الخياطات في باريس ولكنها كانت دائماً تعتبر أن كلارا طفلة. وقررت أمي أن بناتها يجب أن يكون لديهن أفضل وأجمل ما في الحياة وأن تحقق لبناتها ما لم تستطع أن تحققه لنفسها. ولذلك فقد كان لها اهتماماً كبيراً بملابس ماج وملابسي أنا أيضاً.

إن الملابس كانت متنوعة في هذه الأيام في الخامة وفي التصنيع أيضاً. وكان هناك مجموعة متنوعة من الطرق الفنية في الحياكة، منها الرتوش والكشكشة والأربطة وأيضاً الأغطية والمعاطف والأربطة المصنوعة من الريش.

كما كان هناك تصفيف الشعر في تلك الفترة. وكان يتم من خلال طرق متنوعة منها مثلاً الموج الخفيف أو الموج تموجات شديدة أو المضفر. فإذا كانت فتاة ما ذاهبة إلى حفلة رقص فعليها أن تصفف شعرها قبل الذهاب للحفلة بساعتين على الأقل حيث أن تصفيف شعرها يستغرق حوالي ساعة ونصف والنصف ساعة الأخرى لترتدي ملابسها وجواربها.

إن هذا لم يكن بالطبع هو عالمي. فهو عالم الكبار الذي بقيت بمعزل عنه. وبالرغم من هذا فقد تأثرت به. فقد قمت أنا وماري بمناقشة حول أدوات الزينة الخاصة بالأنسة وما نفضل منها.

في منطقتنا التي كنا نعيش فيها لم يكن هناك أطفال في نفس عمري. ولذلك تعرفت على مجموعة من الأصدقاء الجدد يصغرونني في السن. وهذه المرة قمت بالتحدث عن المدرسة. وهذا ليس لأنني لدي رغبة في الذهاب إلى المدرسة. لا اعتقد أن المدرسة قد شكلت خلفية ما يمكنها أن تكون ملائمة لي. ولم يكن للمدرسة أسماً- فقد كانت فقط المدرسة.

وكانت أولى الفتيات التي وصلت هي ايثيل سميث واني جراي. وكانت ايثيل سميث في الحادية عشر أما اني جراي فقد كانت في التاسعة. وكانت ايثيل سمراء

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

وشعرها جميل. وكانت ماهرة في الألعاب ولها صوت عميق وذات مظهر ذكوري إلى حد ما. أما اني جراي فقد كانت على النقيض تمامًا لها شعر ذهبي اللون وعينان زرقاوين وكانت خجولة وعصبية وبسهولة تنفجر في البكاء. وكانت تتجه إلى ايثيل التي كانت تحمها في كل موقف. وقد أحببتها معًا ولكني كنت أفضل ايثيل الشجاعة والقوية والنشيطة.

وبعد ايثيل أضفت اثنان من الفتيات الأخريات هما: إيزابيل سيلفان التي كانت ذات شعر ذهبي وعينان بنيتان وكانت جميلة في الحادية عشر. وفي الواقع لم أحبها- فقد كنت أكرهها. فقد كانت فتاة دنيوية (كلمة دنيوية كانت كلمة كبيرة في القصة التي كانت موجودة في ذلك الوقت) وقد كانت إيزابيل مثالاً للدنيوية. كانت فخورة لكونها ثرية وكانت ترتدي ملابس باهظة الثمن وغير ملائمة لطفلة في مثل عمرها. وكانت ابنة خالها تدعى اليزي جرين وكانت إيرلندية وتتسم بشعرها الأسود وعيناها الزرقاوات وكانت مرحة وتضحك كثيرًا. وكانت علاقتها جيدة مع إيزابيل. وكانت اليزي فقيرة وترتدي ملابس إيزابيل كثيرًا ولم يكن هذا يمثل أية مشكلة في ذلك الوقت.

وتعاملت مع هؤلاء الأصدقاء الأربعة لفترة. وقد سافروا بالقطار وكانوا يركبون خيولًا ويلعبون لعبة الكروكية كثيرًا. واعتدت أن انظم العديد من الألعاب والمباريات. وكان أمني الكبير هو أن إيزابيل لا تفوز. وقد قمت بعمل كل شيء حتى لا تفوز. فقد لعبت مرة بسرعة ومرة أخرى دون اهتمام. وكلما لعبت بدون اهتمام كلما كانت إيزابيل محظوظة كثيرًا في اللعب. وكانت تضرب الكرة من اليمين عبر المرج وعادة ما كان ينتهي اللعب وهي فائزة. وكان هذا مزعجًا لي.

وبعد وقت ما اعتقدت أنه من اللطيف أن العب مع بعض الفتيات الأصغر. وأضفت اثنان يبلغان من العمر ستة أعوام وهما، ايلوايت وسوديفيرت. ايلوا كانت واعية ومملة. وكان لها شعر كثيف وجيدة في الدروس. وقد لعبت مباراة جيدة في

لعبة الكروكية. وكانت الأخرى سوديفرت ذات بشرة شاحبة وعينان زرقاوين. وكانت هي وايللا من الأصدقاء المقربين لي. ولكن بالرغم من أنني عرفت ايللا مثل ظهر يدي، فبقيت سو مرنة. اعتقد لأن سو كانت تشبني كثيرًا عندما كنت أتحدث مع الآخرين، فقد كنت عندما أتحدث إلى الآخرين أشبه سو فلم أكن أجاثا في هذا الوقت. ولذلك فإن كلا من سو وأجاثا أصبحا وجهان لشخص واحد. وكانت الفتاة السابعة التي أضيفت إلى المجموعة أخت سو ولكنها لم تكن شقيقتها فقد كانت ابنة زوج أمها وكانت تدعي فيرا ديفيرت. وكانت في الثالثة عشر من عمرها. وفي ذلك الوقت لم تكن جميلة ولكنها أصبحت جميلة في المستقبل وكان لها شعر ملون وعيون زرقاء.

وكان هناك نسخًا عديدة من صور الأكاديمية الملكية التي كانت جدتي من أمي تحتفظ بها في المنزل في ايلينج. وقد وعدتني أن هذه النسخ من الصور ستكون لي في يوم ما واعتدت قضاء ساعات طويلة انظر إليها. وكان هناك كتاب ما تم منحي إياه كهدية في عيد الميلاد كتبه الفنان والتر كرين كان يمثل صور الزهور بالشكل البشري.

وبقيت هؤلاء الفتيات أصدقائي لمدة أعوام عديدة وبشكل طبيعي كانوا يغيرون شخصياتهن مثلما كنت افعل. وقد كانوا يشاركوني في الموسيقى ويمثلون في الأوبرا ويجسدن أدوارًا في المسرحيات والمسرحيات الكوميديّة. حتى عندما كبرت كنت أفكر بهن بين الحين والآخر وكنت أكرس لهن ملابس متنوعة من دولابي. كما صممت لهن أيضًا العديد من الموديلات في عقلي. فقد كانت ايثيل ما زلت أتذكرها جميلة في فستان ما من التل الأسود الغامق ببعض من الورود على احد الكتفين. أما اني المسكينة فلم تعطي الكثير كي ترتدي منه. وكنت عادلة مع إيزابيل وكنت أعطيها بعض الثياب الجميلة الرائعة. حتى هذه الأيام عندما أضع فستان ما في دولابي أقول لنفسي "نعم إنه سيناسب اليزي حيث كان اللون الأخضر هو لونها المفضل" أما ايللا فقد كانت تبدو جيدة في الواقع في رداء يتكون من ثلاث قطع.

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

ولكن الفتيات كانوا ما زالوا صغيرات فلم أتخيل أي واحدة منهن تتعدى الثالثة والعشرين على الأكثر.

وفي غضون الوقت أضفت أربعة شخصيات أخرى: اديلاذ التي كانت الكبيرة وكانت طويلة وجميلة؛ وبياتريس كانت جميلة إلى حد ما وكانت الصغرى، وأختين روز وايرس، وكنت متعاطفة مع الأختين. وكانت ايرس تتعلق بشاب لطيف يكتب لها شعراً وكانت روز تلعب الكثير من الحيل على الجميع. وبالطبع تجدهم قد تزوجوا في الوقت المناسب. وايثيل لم تتزوج أبداً وعاشت في كوخ صغير مع اني الرقيقة.

بعد عودتنا من الخارج فتح أمامي عالم الموسيقى من خلال فرولينادر. وكانت هذه المعلمة سيدة ألمانية قصيرة ورائعة. ولا اعرف لماذا كانت تدرس الموسيقى في توركاوي ولم اعرف أي شيء عن حياتها الخاصة. وظهرت أمني يوماً ما داخل غرفة التعليم مع المعلمة موضحة لها رغبتها في أن تبدأ أجاثا في تلقي دروس البيانو.

ردت المعلمة بالألمانية بالرغم من أنها كانت تتحدث الانجليزية جيداً. "علينا الآن أن نتجه إلى البيانو في الحال" إلى البيانو في غرفة التعليم بالطبع وليس في غرفة الرسم الكبيرة.

أمرتني المعلمة قائلة " قفي هناك" ووقفت إلى اليسار من البيانو كما أمرتني. ثم أشارت بأصبعها نحو النوتة الموسيقية بصوت عالي قائلة "هذه هي المرشد أفهمين؟ هي النوتة الموسيقية. الآن علينا أن نتوجه ونبدأ العزف أفهمين؟

فقلت نعم ففي الواقع كنت اعرف بالفعل ما قالته لي.

"الآن عليك الوقوف هناك بحيث لا تري النوتة وسوف اعزف النوتة ج ثم اتجه إلى أخرى وسوف تخبريني ما هي النوتة التالية.

وقد عزفت ج وعزفت أخرى بنفس القوة. وقد سألت "ما هذه؟

"أجبتها "إنها هـ"

"حسنًا هذا جيد منك سوف نحاول مرة أخرى

"ثم بدأنا في مجموعة أخرى وهي تشجعي وتقول جيد إن هذه الطفلة لها أذن موسيقية.. نعم أنت لديك أذن موسيقية.

وبالفعل وصلنا إلى بداية جيدة. وللأمانة لم أكن اعرف ما تبقى من النوت الموسيقية الأخرى. ولكن على أي حال فإن البدء على هذه الخطوط يعد جيد. وقد استمتعت بدروس موسيقية كثيرة. وكان أبي وأمي يعزفان البيانو. وعزفت أُمي العديد من الأغنيات الشهيرة وأجزاء أخرى متنوعة تعلمتها في صباها. وعزفت بطريقة جيدة ولكنها لم تكن محبة للموسيقى. وقد كان أبي موسيقي بشكل طبيعي. وكان يمكنه عزف أي شيء من خلال أذنه كما عزف العديد من الأغاني الأمريكية الجميلة وأغنيات أخرى. وكنت أتدرب لأكثر من ساعة أو ساعتين في اليوم. وتقدمت من مقطوعة إلى أخرى وأحببتها كثيرًا. وعندما تقدمت حتى أصبحت قادرة علي عزف أغنية بير جاينت مورجان كانت تغمرني السعادة. وكانت المعلمة الألمانية مثل باقي المعلمات الألمانيات ممتازة في مادتها. ولم نكن نعزف الأغاني المرححة فقط بل كل الأنواع وقالت لي "يجب عليك أن تكوني قادرة على عزف جميع الألحان وهذه التدريبات هي الواقع والألحان تشبه الورود وهي تتفتح ويجب أن يكون لديك الجذور والجذور القوية والأوراق" ولذلك بدأت في أن اعرف الجذور القوية والأوراق في زهرة ما أو اثنين من الألحان وكنت سعيدة بالنتيجة أكثر من أي شخص أخبر بالمنزل والذين كانوا يعتبرون أن التدريب الكثير يكون شيء سيء..

وكان هناك أيضًا دروس الرقص والذي كنت احضرها مرة بالأسبوع. وكان يجب علي أن اذهب إلى دروس الرقص مبكرًا في الخامسة أو السادسة لان نورسي كانت ما تزال هناك وكانت تأخذني معها مرة بالأسبوع. وعندما كنت أعود إلى المنزل كنت انزعج بماج قليلاً التي كانت تقول إن طريقي في الرقص ليست جيدة وكانت

تقول لي "يجب عليك أن ترفعي إحدى القدمين ثم الأخرى بجوارها ثم الأولى مرة أخرى" مثل هذه الحركة". وأنا أحملق بها ولكنها هذه كانت هي فكرة معلمة الرقص الأنسة هكي وهي أن تحقق إيقاع الأغنية قبل أن تقوم بعمل الخطوات.

وأذكر أن الأنسة هكي كانت شخصية رائعة وكانت طويلة ذات شعر رمادي اللون ومرتب بصورة جميلة وجونلات طويلة. وكان لديها من الطلاب واحدة في الثامنة عشر أو التاسعة عشر والأخرى في الثالثة عشر تدعي ايلين. وكانت ايلين فتاة جميلة أحببناها كثيرًا. والكبرى هي هيلين وكانت مخيفة إلى حد ما وكانت تلاحظ الراقصين الآخرين بشكل شديد.

وتابعت دروس الرقص، وبدأت بالحركات والتدريبات التي تخص الصدر والأذرع. فأنت تقوم بمد هذه الأجزاء لنصف ساعة. وكانت الفتيات الأكبر في الفصل الدراسي يرقصن مع الأصغر "فهل رأيتني قبل ذلك ارقص البولكا؟ كانت البولكا رقصة مريحة لكنها غير جذابة" عليك أن تتجه في منتصف الغرفة ثم إلى الجوانب وفي أماكن متعددة. ويكون معك زملائك. وبشكل طبيعي كان الجميع يتمني أن يكون هو المشارك في الرقصة. وبعد الرقصة الأخرى اتجه الصغار إلى الغرفة الرئيسية حيث تعلموا خطوات البولكا الأخرى. ورقص الكبار رقصتهم الخاصة تحت إشراف الأنسة هكي في الغرفة الكبيرة. وكانت هذه الرقصة تتكون من الرقص الاسباني وغيره.

وبالحديث عن رقص الفان ذكرت ذات مرة لابنتي روزلن وصديقتها سوزان عندما كانا في الثامنة عشر أنني اعتدت رقص الفان في شبابي وقد حيرني ضحكهم ونظرتهم إلي ذلك الوقت.

'لا يمكن أن تفعلي ذلك يا أمي أليس كذلك؟ رقصتي رقصة الفان! أمي رقصت رقصة الفان يا سوزان! هل يمكن أن يصدق ذلك!

قالت سوزان 'آه، لطالما اعتقدت أن الفيكتوريين مميزون جدًا.

‘اتضح الأمر سريعاً وهو أننا لم نغنى برقص الفنان ما يبدو من الأمر.

وبعدها جلس الكبار وبدأ الصغار في الرقص. كان رقصهم من نوع البحار هارنبيب أو شيئاً من الرقصات الفلكلورية المرحية وهي ليست صعبة. وأخيراً دخلنا في تعقيدات رقصة اللانسرس. تعلمنا أيضاً رقص الريف السويدي، ورقص سير روجر دى كوفلى. آخر اثنين كانوا مفيدين لأننا لم نشعر بالخجل من ذهابنا إلى الحفلات لأننا لم نكن نجهل مثل هذه الأنشطة الاجتماعية.

في توركاي جميعنا فتيات. ولكن عندما ذهبت إلى دروس الرقص في إلينج كنت أجد عدد من الصبية. كان هذا مخجلاً وكنت وقتها في التاسعة ولازلت غير معتادة على الرقص. جاء لي فتى جذاب ربما كان أكبر منى بعام أو اثنين يطلب منى أن أشاركه في رقصة اللانسرس. قلت له بضيق أنني لا أعرف. بدا لي الأمر صعباً. لم أرى فتى بجاذبيته، كان شعره أسود وعيونه مبهجة، وشعرت للحظة أنه سيكون رفيق روجي. جلست حزينة عند بداية اللانسرس وسرعان ما جاءت لي مندوبة السيدة واردوارس. ‘لا يمكننا ترك أحداً دون المشاركة الآن يا أجاثا’.

‘لا أعرف كيف أرقص اللانسرس يا سيدة واردوارس’

‘لا يا عزيزتي، ستمكنين من ذلك سريعاً. علينا أن نجد من يشاركك’.

لاحظت ولد ذات أنف أفطس وشعر أصفر، كما أن لديه زوائد أنفيه وجدنا وليم خلال الرقصة كنت أحاول تجنب حيي الأول وشريكته. فكان يهمس لي غاضباً: ‘لم توافقي على الرقص معي فانظري على ما حصلت. لم يكن لطفاً منك فعل ذلك’ حاولت أخبره أنني لم أكن أقصد رفضه لأنني كنت معتقدة أنني لن استطيع رقص اللانسرس ولكن السيدة واردوارس أخبرتني أن علي التعلم ولم يكن لدي الوقت لأشرح لك. ظل ينظر لي نظرة تأنيب حتى انتهى الدرس. تمنيت لقاءه في الأسابيع التالية ولكنني لم أره للأسف: إنها أحد قصص الحب المحزنة.

كانت الفالزهي الرقصة الوحيدة التي تعلمتها وكانت أكثر الرقصات فائدة في حياتي ولم أكن أحبها يومًا. لم يعجبني الإيقاع ودائمًا ما كنت أشعر بدوار شديد خصوصًا عند تكريم الأنسة هكي. كانت متقنة للرقصة بشكل رائع، تجعلك تنهر بأدائها وتنتهي مترنحًا تستطيع الوقوف بالكاد. ولكن علي الاعتراف أن هذا المنظر يشدك لمشاهدتها.

اختفت فراولين أودير من حياتي، لا أعرف متى ولا أين؟ لعلها عادت إلى ألمانيا. واستبدلت لاحقًا بشاب يدعى السيد تروتر على ما أتذكر. كان عازف الأرغن في أحد الكنائس. كان معلم محبط وكان علي تعلم أسلوب مختلف تمامًا معه. كان علي أن استلقى على الأرض مع رفع يدي لأتمكن من الوصول إلى مفاتيح البيانو ويدار كل شيء من خلال الرسخ. أما طريقة فراولين أودير فعليك فيها الجلوس منتصبًا والتحرك من خلال المرفق. كنت أحاول الاتزان على البيانو حتى أستطيع الضغط على المفاتيح بكل قوة. كم أن الأمر مرضيًا!



بعد عودتنا من جزر القنال الإنجليزي، بدأت تظهر علامات المرض على أبي. لم يكن في حالة جيدة في الخارج وذهب إلى الطبيب مرتين. قال الطبيب الثاني أن هناك اشتباه في مرض كلوي. بعد عودتنا من إنجلترا استشار طبيبنا الخاص الذي لم يتفق مع هذا التشخيص وأرسله إلى متخصص. بعدها شعرت بحس الطفل باقتراب كارثة.

يبدو أن الطب ليس ذا نفع كبير. ذهب أبي إلى اثنان من المتخصصين أو ثلاثة. قال الأول أن لديه أزمة قلبية. لا أتذكر تفاصيل الأمر الآن، كل ما أتذكره هو ما سمعته من أمي وأختي عندما تناقشا عن الأمر وكلمات مثل 'التهاب في الأعصاب المحيطة بالقلب' بدا الأمر مخيفًا للغاية بالنسبة لي. قال طبيب آخر أن الأمر يتعلق بمشاكل في المعدة. هاجم الألم أبي بعد فترة قصيرة وأصيب بتقطع في النفس خلال النوم. كانت أمي تقف بجانبه تعدل من جلسته وتناولته الأدوية الموصى بها من قبل آخر طبيب.

كالعادة لم يكن هناك ثقة في كلام الطبيب الأخير الذي استشرناه ولا في النظام الغذائي أو العلاج الذي اتبعناه. الإيمان والابتكار والشخصية النشطة يصنعون تأثيرًا من الطبيب ولكنهم في النهاية لا يمكن أن يتعاملوا مع المشكلات العضوية الموجودة داخل الإنسان.

كان أبي يبهج نفسه أغلب الوقت كعادته، ولكن جو بيتنا العام تغير. استمر في الذهاب إلى النادي يقضى أيام الصيف في الكريكت ثم يعود إلينا بقصص مسلية، ظل بشخصيته اللطيفة كما هو. لم يكن ليعارض أو يهتاج أبدًا ولكن ظلال التفاهم ظلت موجودة- فقد كانت محاولات أمي الشجاعة في طمأنته وإخباره أنه على ما يرام تريحه.

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

في نفس الوقت تزايدت المشكلات المادية. أموال وصية جدتي لأبي استثمرت في ملكية بيت في نيويورك، ولكن المبنى كان مؤجرًا بعقد يسمح باستمرار ملكيته بعقد إيجار وليس تملك. وبهذا كان لديهم أرض قيمة في جزء من المدينة في حين أن المباني التي عليها لا تساوي شيئًا في الحقيقة. كانت مالكة الأرض سيدة غير متعاونة في السبعين من عمرها توقف أي تطوير أو تحديث. دائمًا ما كان يذهب الدخل الأتي من البيت في التصليحات والضرائب.

أحاول تجميع أجزاء من الحديث الذي يبدو ذو أهمية كبيرة لي، صعدت إلى أعلى وأعلنت لمارى بأفضل طريقة فكتورية ذكرت في القصص يومًا أننا ننهار. لم تبدو ماري حزينة بالدرجة التي تصورتها ومع ذلك حاولت ماري مواساة أمي التي أتت لي متضايقه بعض الشيء.

‘علينا يا أجاتا أن لا نلغو في بعض الأمور، لأن أمور حياتنا لم تنهار بالشكل الذي تصورينه. كل ما في الأمر أن أمورنا ساءت بعض الشيء وعلينا أن نقتصد لمواكبة الأمور’

قلت وأنا في قمة الانزعاج ‘لم ننهار؟’

فردت أمي مؤكدة ‘لم ننهار’

على الاعتراف أنني كنت محبطة. في الكثير من الكتب التي قرأتها كان الانهيار يأتي ويعالج بالشكل الصحيح- فعلاً. هناك مخاطر قد تطير العقل، بطلا تترك منزل ثرى خرب، وهكذا.

قالت أمي ‘نسيت حتى أنك في الحجرة، ولكنك تفهمين أنه لا مجال للإفصاح عما سمعتي’

قلت أنني لن أذكر شيئًا ولكنني شعرت بالألم حيث أنها المرة الثانية التي انتقد فيها لما سمعته وأن علي عدم الإفصاح عن شيء.

كنت جالسة أنا وتوني ذات ليلة تحت طاولة الطعام قبل الغداء. كان مكانًا مفضلًا لنا فهو مناسب للعب مغامرات في السرداب ومغامرات في السجون ومثل ذلك من الألعاب.

كنا نتنفس بالكاد لكي لا يسمعنا السارقين الذين قاموا بحبسنا-ولم ينطبق هذا الأمر على توني الثمين الذي كان يلهث عندما تأتي بارتر- خادمة تساعد خادمة الردهة في تحضير الطعام- بسلطانية الشربة التي تضعها تحت المائدة. كانت ترفع الغطاء وتضع المغرفة في السلطانية ثم تخرج المغرفة ممتلئة لترتشفها. تأتي لويس خادمة الردهة وتقول: 'سأرن الجرس' ثم تتوقف وتتعجب قائلة 'لماذا تفعلين ذلك يا لوي، أيًا كان ما تفعلين؟'

قالت بارتر وهي تضحك من القلب 'أحاول فقط أن أيقظ نفسي، ليس بالحساء السيئ' ثم ترتشف رشفة أخرى.

تقول لويس وهي مصدومة 'الآن، عليك إرجاع المغرفة مكانها وإعادة الغطاء' حقًا!

تضحك بارتر في سرها وقد أرجعت المغرفة كما كانت وأعادت الغطاء ثم غادرت إلى المطبخ لتحضر أطباق الحساء ووقتها نظهر أنا وتوني.

كنت أتساءل باهتمام بينما أحاول الخروج من تحت المنضدة 'هل هذا الحساء جيدًا؟'

'آه: أنا أبدًا! أنسة أجاثا، لقد أخفتيني حقًا'

كنت أتفاجأ إلى حد ما ولكنني لم أذكر ذلك إلا بعد عامان. تكلمت أُمي ذاكرة بارتر خادمتنا السابقة مع ماج. وفجأة قاطعت الحديث قائلة 'أتذكر بارتر. كانت تعتاد شرب الحساء من السلطانية في غرفة الطعام قبل مجيء أحد منكم إلى الغداء.

'كان كلامي يجذب انتباه أمي وماج. وسألتني أمي 'ولكن لماذا لم تخبريني عن هذا الأمر؟'

فكنت أصدق بها حيث أنني لا أفهم مغزى الأمر. قلت 'حسنًا' كنت مترددة- أحاول استجماع قوتي وصرحت قائلة 'لا اهتم بمشاركتك هذه المعلومة'.

'وبعدها سخرُوا مني كالعادة. 'أجائنا لا تحب مشاركة ما لديها من معلومات مع الآخرين' وكان هذا حقيقياً، لم أفعل. حتى إذا حاولوا أخذ معلومات مني عن شيء كنت أخفي المعلومات التي تأتي إلي واقفل عليهم وكأنهم في ملف داخل عقلي. كان هذا الأمر غير مفهوم لعائلي حيث كان جميعهم يحبون الانفتاح في الكلام. وإذا طلبت من أحدهم حفظ سر ما فلن يتذكروا أبداً فعل ذلك! هذا الأمر جعلهم مسليين أكثر مني.

مثلاً إذا ذهبت ماج إلى حفلة أو للرقص، عندما تأتي يكون لديها الكثير من الأشياء المسلية لتحكمها. في الحقيقة كانت أختي مسلية على جميع المستويات-أيما ذهبت تظهر المواقف. حتى بعدما كبرت عندما كانت تذهب إلى القرية لشراء المستلزمات كانت تأتي بحوادث غير عادية-قد يكون بعضها حدث معها والبعض الآخر قد سمعته من آخرون. كانت هذه الحوادث حقيقة-كانت تحمل قاعدة عريضة من الحقيقة، ولكنها كانت تعدل من قبل ماج لإعطائها النكهة.

أما أنا فكنت على العكس، في هذا الوضع أتحدث بعد أبي، فعندما كنت أسأل عن شيء مسلي لأحكيه، كنت أرد في الحال قائلة 'لا شيء' 'ماذا كانت السيدة فلانة الفلانية ترتدي في الحفل؟' 'لا أتذكر' 'سمعت أن السيدة س أعادت دهان حجرة الطعام لديها؛ ما هو لونها الآن؟' 'لم أنظر إليها؟' 'آه يا أجائنا، أنت بالفعل غير نافعة فأنت لا تلاحظين أي شيء.

'كنت أحافظ على هذا النمط لأبقى خططي سرية. لا اعتقد أنني قصدت أن أكون كتومة. كنت أرى أن أغلب الأشياء ليست ذات أهمية-فلماذا استمررت التحدث

عنها؟ أو كنت مشغولة بإدارة الحوارات وحل المشاجرات بين 'البنات' وخلق المغامرات لي ولتوني مما جعلني لا انشغل بالأمر الصغير التي تجرى من حولي. ومع ذلك قد يحثني فعلياً أشياء معينة كالكلام عن الانهيار مثلاً. لا شك أنني كنت طفلة مملّة بالدرجة التي تجعلني من كل الزوايا من نوع الشخصيات التي يصعب عليها الاندماج بشكل جيد في حفلة.

لم أكن لطيفة في الحفلات يوماً، ولا استمتع بهم كثيراً. أتصور أن أيامي كانت تقام حفلات للأطفال ولكنني لا اعتقد أنها كانت بالكثرة الموجودة حالياً. أتذكر جيداً أنني كنت أذهب في حفلات شاي مع أصدقائي وهم كانوا يأتون إلي في حفلات الشاي التي أعدها لهم. وكنت عن حق مستمتعة بذلك ولازلت حتى الآن. أعتقد أن إقامة الحفلات في صباي كانت تتم أيام الكريسماس فقط. قد أتذكر أن كان لي فستان تنكري أو اثنين وكانوا ممتعين.

أعتقد أن أمي كانت ضد الحفلات، فهي مع الرأي الذي يقول أن الأطفال يكونون شديدي التحمس والإثارة وكثيري الأكل وغالباً ما يعودون إلى البيت وهم مرضى. كانت محقة في اعتقادها. كنت استنتج نفس الشيء في كل حفلة من حفلات الأطفال التي كنت أحضرها أيّاً كان حجمها، أن ثلث الأطفال على الأقل لا يكونوا مستمتعين فعلاً.

كان قانون الطبيعة يتحكم في أي حفلة يدعى فيها أكثر من اثني عشر أو أكثر، كان دخول المرحاض هو المتحكم! الأطفال التي تريد دخول المرحاض ولا تريد الإفصاح عن ذلك، تترك هذا الأمر لأخر دقيقة والباقية معروفة. إذا كانت المرحاض غير مناسبة لاستيعاب العدد الكبير من الأطفال الذين يريدون استعمالها في وقت واحد فستحدث فوضى قد ينتج عنها حوادث مؤسفة. أتذكر أن أم أخذت ابنتها ذات العامين إلى حفلة من الحفلات على غير نصيحة مربيتها. 'انيتا بنت لطيفة ويجب أن تأتي الحفلة. أنا على ثقة أنها ستستمتع وجميعنا على استعداد لرعايتها

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

رعاية فائقة' وبمجرد أن وصلوا إلى الحفلة أخذتها أمها إلى البوتي لتؤمن نفسها. قالت الأم في أمل 'أه، حسنًا ربما أنها لا تود الذهاب' نزل الاثنين وعندما بدأ الساحر في إظهار الأشياء المختلفة من أذنيه وأنفه مما جعل الأطفال يضحكون ملتفين حوله وهم يصرخون ويصفقون حدث ما هو أسوأ. قالت عمّة كبيرة 'عزيزتي، لم ترى شيء كهذا في حياتك-طفلة مسكينة. هنا في منتصف الأرض! كان هذا أشبه بما تفعله الأحصنة!'

تركنا ماري قبل وفاة أبي بوقت قصير- ربما بعام أو عامان. كانت متعاقدة على عامين تقضيها في انجلترا ولكنها مكثت ما لا يقل عن ذلك. كان لديها حنين لعائلتها وأعتقد أنها كانت عاقلة وعملية وأدركت أن الوقت قد حان لتفكر في الزواج بطريقة فرنسية جادة. استطاعت أن توفر من أجراها القليل من المال وبذلك غادرت ماري وتركنتني وحيدة.

وعلى الرغم من ذلك، اتفقنا معها قبل رحيلها حول موضوع زوج أختي المستقبلي. وكما قلت كان ذلك واحدًا ممن نتطلع لارتباطها بواحد منهم. بالتأكيد كان اختيار ماري هو 'السيد بلوند'

كان لأمي صديقة مدرسة تحبها كثيرًا بحكم أنها كانت تعيش مع خالتها في تشيشير. عندما تزوجت اني براون من جيمس وات وتزوجت أمي من ابن أخو زوج أمها فردريك ميللر اتفقت كلا البنيتين أنهم لن ينسوا بعضهم وأن عليهم تبادل الخطابات والأخبار. وعلى الرغم من أن جدتي لأمي تركت تشيشير ذاهبة إلى لندن، إلا أن البنيتين لم يتوقفا عن التواصل. لدى اني وات خمسة أطفال-أربعة أولاد وبنت-أما أمي فلديها ثلاثة بالتأكيد. كانوا يتبادلون صور أبنائهم في أعمارهم المختلفة، وبيعون إليهم الهدايا في الكريسماس.

لذلك عندما كانت أختي ذاهبة لزيارة أيرلندا لتأخذ قرار تجاه خطبتها بشاب كان غير حازم من فكرة الزواج بها، ذكرت أمي رحلة ماج إلى اني وات، واني كانت

ترجو ماج أن تأتي وتمكث في ابني هول في تشيشير بعد عودتها من هولمهد. فقد كانت انى تتوق لرؤية واحدة من أبناء أُمي.

لذلك قضت ماج وقت ممتع في أيرلندا وفي النهاية قررت أنها لا تريد الارتباط بتشارلي بي، فقطعت رحلتها عائدة إلى عائلة وات. كان جيمس في أكسفورد وهو الابن الأكبر وذو شعر أشقر، وكان وقتها في الحادية والعشرين. كان يتمتع بصوت خفيض وناعم وكلامه كان قليلاً. وكان يولى اهتماماً أقل مما يفعله باقي الشباب تجاه أختي. وقد وجدت هي أن ذلك غير عادي مما أثار اهتمامها. كانت تثير الكثير من المشاكل مع جيمس ولكنها لم تكن واثقة من الانطباع الذي ستركه فيه. على أي حال بعد عودتها إلينا حدث بينهما انسجام غير ثابت.

في الحقيقة أن جيمس وقع في غرام ماج من أول لحظة ظهرت أمامه ولكنه لم يعتاد إظهار مشاعره. كان خجولاً ومتحفظاً. وجاء ليقضى الصيف التالي معنا. ملت إليه من أول لحظة. كان لطيفاً معي ودائماً يعاملني بجدية فلم يكن يلقي علي نكات سخيفة أو يتكلم معي بكوني صغيرة. كان يتعامل معي كأنني فرد مستقل فبدأت أحبه. كذلك مارى كانت تفكر بإيجابية تجاهه. لذلك كنا نناقش باستمرار 'السيد بلوند' في غرفة الحياكة.

'لا أعتقد أن كلاهما يهتم لشأن الأخرى مارى'

'آه، إنه يفكر فيها ويراقبها عندما تنشغل. نعم، إنه الحب. سيكون هذا الزواج ناجحاً وبه الكثير من المشاعر. سمعت أن لديه طموح جيد مما يجعله زوجاً رائعاً. أما ماج فهي مرحة وذكية ولطيفة سيناسبها أن تتزوج من رجل هادئ ومنظم وهو سيقدرها لأنها مختلفة عنه'

كان أبى لا يحبه على ما أعتقد، ولكنني مقتنعة أن هذا الأمر موجود في كل الآباء الذين لديهم بنات فائنات-فهم دائماً يتمنون لبناتهم أفضل رجل. يفترض أن

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

تشعر الأمهات بنفس الشيء تجاه أزواج أولادهم وحيث أن أخي لم يتزوج قط لذلك لم تكن أُمي متأثرة إلى هذا الحد.

علي القول أن أُمي لم تعتبر أن أزواج بناتها كفاء لهن بالدرجة المرضية، ولكنها كانت تعترف لنفسها أن الخطأ يقع على عاتقها وليس عليهم. قائلة 'بالطبع لا أعتقد أن أي رجل في العالم سيكون كفاء لأي من بناتي'.

كان المسرح المحلي واحدًا من أكبر المتع في الحياة. كانت العائلة بأكملها محبة للمسرح. كانت ماج ومونتي يدخلون المسرح كل أسبوع وكان يسمح لي عادة بالذهاب معهم. وبعدما كبرت أصبح هذا الأمر يتكرر بشكل أكبر. كنا دائمًا نجلس في المقاعد الأمامية للمسرح-وكانت المقاعد 'قاسية'. كان المقعد يتكلف شلن وكانت مكونة من صفيين في الأمام، هناك عشرة صفوف من المقاعد كانت تجلس بهم عائلة ميللر لتستمع بكل أنواع التسلية المسرحية.

لا أتذكر أول مسرحية رأيتها ولكن بالتأكيد أن من بين أول مسرحيات كانت القلوب هي الراحبة، وهي نوع من الميلودراما ذات النمط السيئ. كان في المسرحية شخصية شريرة امرأة كريهة تدعى السيدة وينيفرد، وبنت جميلة ذات حظ عاثر. أطلقت المسدسات. واستطيع أن أتذكر آخر مشهد بوضوح، عندما ظهر شاب من جبال الألب ممسكًا في جبل ومات باسلاً للدفاع عن البنت التي أحبها أو الرجل الذي كانت تحبه البنت التي أحبها. أتذكر أنني تابعت هذه المسرحية فقرة فقرة. قلت 'أفترض أن الأسوأ هو القلب الأسود'-كان أبي لاعب صامت رائع، دائمًا ما كنت أسمعه يتحدث عن لعب الورق- وتأملت قائلة 'والتي ليست بسيئة هي الوردية. أعتقد أن السيدة وينيفرد كانت تمثل القلب الأسود-لأنها كانت امرأة متسلقة- وكذلك الرجل الذي قطع الجبل في الجبل. والألماس-وقلت في نغمة فرض فيكتورية 'إنه موجود في كل العالم'.

كانت أفضل مناسبات العام سباق يخوت توركاوي، والذي كان يحدث في آخر اثنين وثلاثاء في أغسطس. كنت أبدأ في الادخار لهذه المناسبة من مايو. عندما أقول

أنني أتذكر سباق اليخوت فأنا لا أعنى سباق اليخوت قدر ما أعنى المهرجان الذي يقام فيه السباق. كانت ماج تذهب بالطبع مع أبي إلى هولدن بير لمشاهدة المراكب الشراعية، وعادة ما كنا نقوم بعمل حفلة منزلية في المساء للاحتفال بالسباق. اعتاد أبي وأمي وماج الذهاب إلى نادي سباق اليخوت لشرب الشاي بعد الظهيرة، ولتمتع بكل النشاطات المتعلقة بالإبحار. لم تكن ماج تبحر في عمق لا تستطيع التحكم فيه أبدًا لأنها لم تكن بحارة ماهرة يومًا. وعلى الرغم من ذلك كان الشغف يأخذها لتجربة يخوت أصدقائنا. كانت هذه السباقات تتضمن حفلات ونزهات ولكن هذا الجانب الاجتماعي من سباقات اليخوت لم يكن مناسبًا بالنسبة لي لصغري.

كل ما كنت أطمح إليه من مرح كان المهرجان. الأرجوحة الدائرية التي تتركب فيها على أحصنة تدور بك، ونوع من الدراجات التي تنحدر إلى أعلى وأسفل. اثنين من الآلات ذات موسيقى صاخبة تعمل عندما تتحرك الأحصنة تراكب فيها النغمات لتحث أصوات مزعجة. وتأتي بعد ذلك العروض-السيدة السمينة، مدام أرنسيكي، والتي تتنبأ بالمستقبل. وهناك الرجل العنكبوت وهو يخيفك عندما تنظر إليه، ومعرض التصويب الذي كانت ماج وتوني يقضون فيه أغلب الوقت ويسرفون بسببه قدر كبير من المال. اعتاد مونتي أن يحصل على كم كبير من جوز الهند من لعبة ضرب جوز الهند ثم يحضره في البيت لأجلى. كنت أحب جوز الهند. وكان الرجل المسئول عن اللعبة يسمح لي بإلقاء بعض الضربات على جوز الهند وأحيانًا كنت أنجح في ضرب بعضهم. كانت اللعبة سهلة على أيامي، ولكن هذه الأيام أصبحوا يرتبون جوز الهند بطريقة دائرية تشبه صحن الفنجان ويمزجونها بطريقة يصعب بها النجاح في ضرب واحدة. فلكل ستة ضربات قد تصيب واحدة، واستطاع مونتي أن يصيب خمسة من جوز الهند في مرة.

لم تكن وصلت إلينا بعد الألعاب مثل الهوبلايس والبونتر وعرائس الكيويباي. كنا نجد عدة أكشاك لبيع الأغراض المختلفة. كان شغفي الأكبر يذهب تجاه لعبة تسمى القرد ببني. كانت تتكلف بنس واحد وهي عبارة عن مجسمات ناعمة لقرود

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

مثبتة على دببائيس طويلة توضع في الملابس. كنت اشترى منهم ستة أو ثمانية كل عام، وأضيفهم إلى مجموعتي- وردى وأخضر وبني وأحمر وأصفر. بمرور السنين أصبح من الصعب إيجاد ألوان أو أشكال مختلفة.

كنت أجد هناك النوجا المشهورة والتي لم تكن تظهر إلا في المهرجان. كنت أجد رجلاً واقفاً أمام طاولة يقطع النوجا من قالبين أمامه أحدهما أبيض والآخر وردى. كان يصيح ويصرخ ليدلل على بضاعته. 'والآن يا أصدقاء، من يريد قطعة رائعة مقابل ستة بنسات! حسناً، نقطعها إلى اثنين، الآن ما رأيك في بيع القطعة بأربع بنسات؟' وهكذا... الخ ويمكن شراء علبة صغيرة جاهزة مكونة من قطعتين مقابل بنسين ولكن الاستمتاع الحقيقي يكون في دخول المزاد الذي يقوم به البائع. 'هناك؛ لهذه الأنسة الصغيرة. نعم، أبيعها لك مقابل بنسان ونصف بينى.

'بدأ ظهور لعبة السمكة الذهبية في سباق اليخوت عندما كنت في الثانية عشر. وكان حدثاً عظيماً. كل كشك يحوى واحدة وعليك إلقاء الكرات عليهم. عليك تصويب الكرة على فم السمكة لتصبح السمكة ملك لك. كانت اللعبة أشبه بلعبة جوز الهند وبالتالي كان اللعب سهلاً. حصلنا على أحد عشر سمكة في أول مرة، كنا فرحين وحملناهم معنا إلى البيت ليعيشوا في الحوض. ولكن سعر الكرة الواحدة زاد بعد فترة قصيرة من بينى للكرة إلى ستة بنسات للكرة الواحدة.

كنا نستمتع بالألعاب النارية في المساء. وحيث أننا لم نكن نستطيع أن نراهم من منزلنا أو حتى من على الصخور العالية-كنا نقضى المساء مع بعض الأصدقاء الذين يسكنون على طول الميناء. كانت الأمسية تبدأ بحفلة عند الساعة التاسعة يقدم فيها مشروب الليمون والأيس كريم والبسكويت. كانت هذه الأمسيات من الأشياء المبهجة التي تخص تلك الأيام والتي افتقدها كثيراً. لم تكن حفلات الحديقة من الحفلات التي تقدم فيها الكحوليات.

كانت الحفلات التي تقام قبل عام ١٩١٤ من الأشياء التي تستحق التذكر. كان الجميع يتألق في ملابسهم وترتدي النساء الأحذية ذات الكعب العالي،

والمعاطف ذات الأحزمة الزرقاء في المنتصف والقبعات الكبيرة المصنوعة من القش ويجملونها بالورود. دائمًا ما تجد أيس كريم الفراولة والفانيليا والفسدق ومياه البرتقال ومياه التوت هو الاختيار المعتاد-وتجد كل أصناف كيك الكريمة وكل أصناف السندوتشات والاكليز والخوخ والعنب المسكى والدراق. استنتجت من هذا أن حفلات الحداث كانت تقام في شهر أغسطس تقريبًا. لا أتذكر أي توت أو كريمة.

بالطبع كنت أواجه بعض الجهد للذهاب هناك، فمن لا يملك عربة حصان عليه أن يستعين بعربة مؤجرة إذا كان عجزًا أو مُقعد، أما الشباب فجميعهم كان يأتي من مختلف أنحاء توركاى ماشيًا مياً ونصف أو ميلين، قد يكون البعض محظوظًا ويعيش بالقرب من الحفل والآخرين دائمًا ما يكونوا بعيدين بقدر كبير لأن توركاى بُنيت على سبعة تلال. لا شك أن صعود التلال مع ارتداء الأحذية ذات الكعب العالي ورفع التنورة باليد اليسرى والشمسية باليد اليمنى يمثل محنة. ولكن الذهاب إلى حفلة الحديقة كان يستحق العناء.

توفي أبى عندما كنت في السابعة. بدأت تتدهور حالته الصحية ولم يستطع الأطباء تشخيص مرضه بدقة. لا شك أن المشاكل المالية أضعفت من مقاومته لأي مرض من أي نوع.

كان في إلينج مع زوجة أبيه لمدة أسبوع ورأى العديد من الأصدقاء في لندن الذين بإمكانهم مساعدته لكي يجد عملاً ما. لم يكن إيجاد عمل شيء من السهل حدوثه في تلك الأوقات. سواء كنت محام أو طبيب أو حتى تملك عقارًا أو مقدم خدمات أو محامى في المحكمة العليا، لا يقدم عالم العمل لك الفرصة التي تتوقعها كما يحدث في هذه الأيام. كان هناك الكثير من البنوك مثل بيربونت مورجن وغيرها، وكان لأبى معارف هناك ولكن جميعهم كانوا من المحترفين-إما أن تكون منتعياً للمؤسسة البنكية من صغرك أو لن يكون لك الفرصة للدخول هناك. كان أبى مثل الكثيرين ممن يعملون في الوظائف المؤقتة، لا يملك الخبرة لعمل بعينه.

الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب

كان لديه معرفة عظيمة بالعمل التطوعي وأشياء أخرى قد توفر له وظيفة بأجر ولكن الأمر كان صعبًا جدًا وقتها.

كان وضعه المالي معقد، والحقيقة أنه اتعب منفذي وصيته بعد موته. كانت المشكلة في أين اختفى المال الذي تركه جدي. كان أبي يعيش بشكل جيد بالدخل المخصص له. كان مذكورًا في الورق ولكنه لم يكن موجودًا في الحقيقة، دائمًا ما كانت تظهر أعدار معقولة تشرح هذا العجز وتثبت أن هذا التقصير مؤقت- كل المسألة تتعلق بتصيلحات خاصة. بلا شك أن العقار لم يكن يدار بشكل صحيح من الأوصياء وورثتهم ولكن الوقت كان متأخرًا لعلاج الأمر.

كان أبي قلقًا والجو باردًا فأصيب بالبرد وتدهور الأمر إلى التهاب رئوي. استدعت أمي إلى إيلنج ولحقنا بها أنا وماج. وحينها كان المرض قد اشتد عليه. لم تتركه أمي ليلاً أو نهاريًا. كان لدينا ممرضتين في البيت. كنت أتجول حزينه وخائفة. أصلى من أجل أن يتعافى أبي.

ظلت صورة واحدة مرسومة في عقلي. كانت بعد الظهر. كنت واقفة حينما انفتح باب حجرة نوم أبي وأمي. جاءت أمي في عجلة كان يداها موضوعتان على عينيها. هرعت من غرفة النوم إلى الغرفة المجاورة وأغلقت الباب ورائها. جاءت الممرضة لتتحدث مع جراني التي كانت صاعدة على السلم. قالت 'لقد انتهى الأمر' عرفت حينها أن أبي توفي.

بالطبع لم يأخذوني للجنائز لأنني كنت طفلة. ظللت أتجول حول البيت في حالة غريبة من الهياج. حدث شيئاً رهيب، حدث شيئاً لا يمكنني تخيله. أسدلت ستائر البيت وأضفت الأنوار. كانت جراني جالسة في غرفة الطعام على كرسيها الكبير تكتب خطابات لا تنتهي بأسلوبها المميز. كانت تهز رأسها في حزن من وقت لآخر.

ذهبت أمي إلى الجنائز ولم تخرج بعدها من غرفتها. عرفت أنها لم تتناول أي طعام لمدة يومين لأنني سمعت هناء تعلق على هذا الأمر. أتذكر هناء وأنا مسرورة.

عزيزتي هناء العجوز ذات الوجه المنهك المجعد. كانت تدعوني للمطبخ وتخبرني بأنها تحتاج إلى أحد يساعدها في عجن السنبوسك. دائمًا ما كانت تقول 'إنهم مخلصان لبعضهما البعض، لقد كان زواجًا ناجحًا'.

حقًا لقد كان زواجًا ناجحًا. وجدت خطابًا بين العديد من الأشياء القديمة كتبه أبي لأمي قبل موته بثلاث أو أربعة أيام تقريبًا. كتب يقول: "كم أنه يتوق للعودة إليها في توركاي، لم يستطع ترتيب أي شيء مرضي في لندن ولكنه شعر أنه قد ينسى كل شيء عندما يعود إلى حبيبته الغالية **كلارا**". قال لها أنه كثيرًا ما أخبرها من قبل كم تعنى له ولكنه يريد إخبارها نفس الشيء مرارًا وتكرارًا. قال لها 'أنتي من صنع الفارق في حياتي، لا يوجد رجل على الأرض لديه زوجة مثلك. كل عام يمر على زواجنا أحبك أكثر. شكرًا لك على عاطفتك وحبك وعطفك علي. بارك الرب فيك يا حبيبتي، سنجتمع سويًا مرة أخرى قريبًا'.

وجدت هذا الخطاب في كتاب جيب مزخرف. كان كتاب الجيب ذلك هو الذي صنعته أمي لأبي عندما كانوا صغارًا وأرسلته له في أمريكا. كان يحتفظ به دائمًا. وحفظ فيه قصيدتين كانت أمي قد كتبتهم له. وضعت أمي الخطاب مع الكتاب.

كان بيت إلينج مخيفًا في تلك الأيام. كان به الكثير من الأقارب-جراني ب والأعمام وزوجات الأعمام والسيدات التي تأتي للمجاملة وأصدقاء جراني القدامى- كان جميعهم يتهاشم ويتنهد ويهز رأسه. وكان الجميع يرتدى السواد بالكامل-حتى أنا كنت ارتديه. علي أن أقول أن ثياب العزاء كان هو الترفية الوحيد بالنسبة لي في ذلك الوقت. عندما ارتديت الثياب السوداء شعرت أنني مهمة وذات قيمة وجزء من الأحداث.

وقتها سمعت همسات أكثر تقول 'على كلارا أن تبدأ بالتحرك والتفاعل من جديد مع الحياة' في المنتصف تقول جراني 'أتودون قراءة هذا الخطاب الذي وصلني من السيد "ب" أو السيدة "س"؟' إنه حقًا خطاب مواساة جيد أعتقد أنكم ستتأثرون لقراءته' فترد أمي بقوة 'لا أريد رؤيته'.

كانت تفتح الخطابات التي تخصصها ولكنها تلقي بهم بعيداً في الحال. خطاباً واحداً فقط هو الذي عاملته بطريقة مختلفة. سألت جراني 'أهذا الخطاب من كاسي؟'. فطويته أُمي لتضعه في حقيبتها وترد 'نعم، إنه من كاسي. إنها تتفهم الأمر' ثم تخرج من حجرتها.

كانت كاسي أُمي الروحية في أمريكا يا سيدة سوليفيان. رأيتها وأنا طفلة صغيرة ولكنني أتذكرها فقط عندما أتت إلى لندن من عام مضى. كانت ذات شخصية رائعة: كانت امرأة صغيرة ذات شعر أبيض ووجه من ألطف وأبهج الوجوه التي من الممكن تخيلها، متوقدة الحيوية. كانت مرحة بطريقة عجيبة-على الرغم من أنها تعيش حياة في غاية الحزن. توفي زوجها التي كانت تحبه وهو شاب. كان لديها ولدين وتوفيا هما الآخران بعد إصابتهم بالشلل. قالت جدتي 'كان ينبغي على مربية الأطفال أن تضعهم على عشب رطب' حقا كنت اعتقد أنها حالة شلل أطفال- والتي لم تكن معروفة وقتها-كانت تدعى وقتها حتى روماتزمية ناتجة عن الرطوبة وتتسبب في شلل تعجيزي. على أي حال توفي ولديها الاثنان. واحد من أولاد أختها، والذي كان مقيماً في نفس البيت، كان يعاني هو الآخر من الشلل وظل عاجزاً طوال حياته. على الرغم من كل ذلك، كانت كاسي مشرقة ومرحة ولديها من التعاطف ما يفوق أي شخص آخر عرفتة في حياتي. كانت هي الشخص التي تتوق أُمي لرؤيته في ذلك الوقت. كانت متفهمة أن من الجيد ذكر عبارات مواساة للأشخاص ذوى الحاجة إلى ذلك.

وأذكر أنني كنت في تلك الفترة من حياتي يأخذني شخص ما ربما تكون جراني أو ربما واحدة من خالاتي جانباً وتهمس لي أنني يجب أن أكون المعزية لامي وأني يجب أن اذهب إلى الغرفة التي تمكث بها وأوضح لها أن أبي سعيداً الآن وأنه في السماء وأنه في السلام والهدوء. وقد ذهبت بشعور غامض والذي يشعر به الأطفال عندما يقومون بعمل شيء ويخبرهم الآخرون أنهم يفعلون الشيء الصحيح وما يعرفون هو صحيح ولكن ما يشعرون هم أنفسهم به هو أنه شيء خاطئ. واتجهت

إلى غرفة أمي ولمستها" أمي إن أبي الآن في أمان وهو سعيد وبالتأكيد أنتي لا ترغبين في أن يعود هنا للشقاء أليس كذلك؟

وفجأة ارتفعت أمي عالية في فراشها بإيماءة عنيفة تحمق بي وهي تقول لي "نعم وصرخت بصوت منخفض. نعم أنا أرغب في عمل أي شيء في العالم حتى يعود لي مرة أخرى. أي شيء- أي شيء علي الإطلاق. اجبره على العودة إلينا إذا استطعت. أنا أريده أنا أريده أن يعود إلينا الآن في هذا العالم معي".

واتجهت بعيداً وأنا اشعر بالخوف. وقالت أمي "حسنًا يا عزيزتي.. حسنًا. يا عزيزتي. فأنا لا اشعر أنني في صحة جيدة. شكرًا لمجيئك وقبلتني وخرجت إلى خارج الغرفة وأنا مواسية لها.





الجزء الثالث نضوجي



لقد اتخذت الحياة شكلاً جديداً مختلفاً تماماً بعد وفاة أبي. خرجت من عالمي الطفولي حيث عالم الأمن وعدم تحمل المسؤولية ودخلت إلى حافات عالم الواقع. واعتقد أنه لا يوجد مجال للشك بأن استقرار البيت وأمنه وأمانه ينبعث من رجل الأسرة أو بالأحرى من الأب. فقد كنا نضحك ونسخر من العبارة التي كانت دائماً تثار "أبيك يعرف أكثر منك" ولكن هذه العبارة تمثل بالفعل ملامح الحياة الفيكتورية المتأخرة. فالأب يعد بمثابة الصخرة التي يرتكز عليها البيت. إن الأب يحب وجبات الطعام بانتظام ولا يكون قلقاً بعد تناول العشاء، كما أن الأب يرغب في أن تلعب معه الألعاب الثنائية. فجميع هذه الألعاب تقبلها بلا شك. إن الأب يسعى لإمداد الأسرة بالوجبات ويسير المنزل بوجوده بطريقة منتظمة كما أنه يمد الأطفال بدروس الموسيقى.

وكان الأب فخوراً وسعيداً برفقة ماج وهي تنمو وتكبر. واستمتع بجاذبيتها وذكائها وخفة ظلها حيث كانا رفيقان ممتازان لبعضهما البعض. واعتقد أن أبي وجد فيها ما كان يفقده في أمي من الابتهاج وروح الدعابة. ولكن كان بقلبه مكاناً رقيقاً لفتاته الصغيرة- الفكرة المتأخرة- أجاثا الصغيرة. وقد كان لنا شعراً مفضلاً نغنيه سوياً:

أجاثا...بجاثا...كتكوتتي الصغيرة

تعد البيض للرجال

أعدت ستة وأعدت سبعة؛

وذاث يوم أعدت إحدى عشر!

فقد كنت أنا وأبي شغوفين جداً بهذه الدعابة المحددة.

ولكنني اعتقد أن مونتي كان هو المفضل لدى أبي. فقد كان حبه لأبنيه أكثر مما يشعر به تجاه أي ابنة. فقد كان مونتي غلامًا حنونًا رقيقًا وكان يحمل الكثير من الحب والحنان لأبيه. ولكنه كان للأسف غير راضيًا عنه من ناحية النجاح في الحياة وكان الأب قلقًا باستمرار بشأن هذه النقطة. واعتقد أن أكثر الأوقات سعادة بالنسبة له كانت بعد الحرب الجنوبية الإفريقية. وقد حصل مونتي على عمولة ما في مناسبة منتظمة واتجه مباشرة من جنوب أفريقيا مع تنظيمه إلى الهند. وكان من الواضح أنه بحالة جيدة وأنه مستقرًا في حياته العسكرية. وبالرغم من مشاكل الأب المالية، فإن مونتي كان يمثل واحدة من تلك المشاكل التي أزيلت في ذلك الوقت.

وقد تزوجت ماج من جيمس وات بعد وفاة أبي بحوالي تسعة أشهر، بالرغم من أنها كانت كارهة قليلًا لترك أمي. وكانت أمي نفسها قلقة وملحة لفكرة إتمام الزواج وأنه لا يجب عليهما أن ينتظران أكثر من ذلك. فقد ذكرت أنه سيكون من الأكثر صعوبة بالنسبة لها أن تتخلي عن ماج مع مرور الوقت مع الاقتراب أكثر في علاقتهما ببعضهما. وكان والد جيمس قلقًا عليه من أن يتزوج صغيرًا. فقد كان وقتها تارگًا لأكسفورد متجهًا في طريقه لممارسة العمل التجاري وقد ذكر أنه يكون من الأكثر سعادة له إذا استطاع الزواج من ماج والاستقرار معًا في منزلهما الشخصي. وكان السيد وات سيبني منزلًا لابنه في جزء من معارضه الخاصة وكان يمكن للزوجين الصغيرين أن يمكثا هناك. ولذلك كانت الأمور تسير جيدًا وكانت مرتبة لهم.

وكان منفذ وصية أبي الأمريكي أوجست مونتانت قد أتى من نيويورك ومكث معنا لمدة أسبوع. كان رجلًا يتسم بالشجاعة، كما كان لطيفًا للغاية وكان رقيقًا مع أمي. وقد أخبرها بصراحة شديدة أن شئون أبي كانت في حالة سيئة وأنه كان طائشًا جدًا بالتعامل مع المحامين وأشخاص آخرين تظاهروا بأنهم ينوبون عنه. وكان هناك الكثير من المبالغ المالية التي صرفت بعدم تعقل وعلى نحو سيئ في محاولة لتحسين ممتلكات نيويورك. وذكر أنه من الأفضل أن يتم التنازل عن جزء

كبير من الملكية أو الممتلكات بصورة كلية لتوفير الضرائب. وقد كان الدخل الذي كان يتبقى صغيراً جداً. فقد اختفت العزبة الكبيرة التي تركها جدي هبه. وكانت شركة اتش بي كلافن. وهي الشركة التي كان جدي شريكاً فيها ما زالت تمتد بدخل جراني وهي أرملة الشريك وكان هناك أيضاً دخلاً محدداً لامي بالرغم من أنه كان محدوداً. وكنا نحن الأطفال الثلاثة في ظل وصية جدي يحصل كل منا على ١٠٠ دولار كل عام. وكان باقي المبلغ المالي الكبير من الدولارات في الممتلكات أيضاً مهملاً غير مستعمل وقد تم بيعه أيضاً في الماضي.

ويثار التساؤل الآن هل أُمي تتحمل أن تعيش في اشفيلد. اعتقد أن رأي أُمي كان أفضل من أي رأي آخر. فقد اعتقدت أنه من المؤكد أنه يكون من الأشياء السيئة أن تبقى هناك. إن المنزل في حاجة إلى إصلاحات وسيكون من الصعب تحقيق ذلك مع الدخل المحدود الصغير—إنه ممكناً ولكن صعباً. وسيكون من الأفضل أن تباع المنزل وتشتري منزلاً آخر أصغر في مكان آخر في ديفونشاير، ربما يكون قريباً من إكسستر والتي ستتكلف أقل في الانتقال وسيبقى كمية محددة من المال لعملية الصرف لإضافتها إلى الدخل. وبالرغم من أن أُمي لم يكن لديها أي نوع من الخبرة أو المعرفة التجارية. إلا أنه كان لديها إلى حد كبير الكثير من التعقل والمنطق.

وعلي أية حال، فقد وجدت أطفالها معترضين. فقد كنا أنا وماج وأخي محتجين علي بيع اشفيلد وتوصلنا إليها ألا تقوم بعملية البيع وأن تحتفظ به. وقد ذكرنا أن هذا منزلنا ولا نستطيع أن نتحمل مغادرته. وقد ذكر زوج أختي أنه سيوفر لأمي مبلغ صغير إضافي من المال إلى دخلها. فإذا أتى هو وماج في الصيف فإنه يمكنهما المساعدة في النفقات والمصاريف. وأخيراً فإن أُمي قد شعرت بحبي الشديد لاشفيلد. وقد ذكرت أنه يمكننا المحاولة علي أي حال.

وأشك في أن أُمي نفسها لم تهتم أبداً بتوركاوي كمكان للإقامة. فقد كان لها شغفاً وحباً نحو المدن الكاتدرائية وكانت شغوفة بمدينة إكسستر. وكانت أحياناً هي

وأبي يتجهون في الأجازات لزيارة المدن الكاتدرائية المختلفة لإسعادها هي وليس لإسعاد أبي. فقد كانت تستمتع بفكرة الإقامة في منزل أصغر بالقرب من مدينة إكسيتر ومع هذا فقد كانت شخص غير أناني وكانت شغوفة بالمنزل نفسه ولذلك- فإن اشفيلد استمرت في أن تبقى منزلنا واستمرت في حيي لها.

ولم يكن من الحكمة أن نحفظ به. فأنا أدرك ذلك الآن. كان يمكننا أن نبيعه ونشتري منزل أفضل. ولكن بالرغم من إدراك أُمي لذلك، فأنا اعتقد أنها كانت قانعة بما حدث. إن اشفيلد كانت تعني الكثير بالنسبة لي للعديد من الأعوام فقد كان هناك ملجئي وملاذي والمكان الذي أنتهي إليه فعلاً ولم أعاني قط من غياب الأصول. فقد منحتني بالفعل شعوراً بأن هناك شيء ما اقدره، وهو كنزاً من الذكريات. كما منحتني أيضاً الكثير من القلق والنفقات الباهظة والصعوبات أيضاً- ولكن بالتأكيد كما هو الحال فإن عليك أن تدفع ضريبة لأي شيء تحبه؟

توفي أبي في نوفمبر وتزوجت أختي في سبتمبر التالي. وكان حفل زواجها هادئاً دون أي احتفالات بسبب وفاة أبي. وكان حفل زفاف جميل وتم في كنيسة قديمة. ومع أهمية أول زفاف للعروس فقد استمتعت به على نحو ممتاز. وكانت جميع العرائس ترتدي الفستان الأبيض مع الأكاليل البيضاء من الزهور على رؤوسهن.

وحدث الزفاف في الحادية عشر صباحاً وتناولنا طعام الإفطار في اشفيلد. وتم مباركة الزوجين السعيدين ليس فقط بالعديد من هدايا حفل الزفاف الجميلة ولكن أيضاً بكل الوسائل المتاحة. وتم ربط الأحذية الحريية ونقلها إلى العربة المنتظرة وتم فحص مؤخرة العربة جيداً للتأكد من أن كل شيء على ما يرام. وقد توجهوا لقضاء شهر العسل في إيطاليا.

وتوجهت أُمي إلى فراشها وهي تبكي، وتوجه كلا من السيد والسيدة وات إلى الفندق وكانت السيدة وات تبكي أيضاً. وهذا هو تأثير حفلات الزفاف على الأمهات حيث تجعلها تبكي لفراق بناتها. وفي البداية كان هناك شيء كبير من التنافر بيني

وبين نان وات. ولكن مع مرور الوقت وفي غضون اليوم تم إلقاء بعض الخطب الرنانة عن الآخرين من خلال عائلتنا. وأصبحت نان التي كانت فتاة صاخبة تتصرف بكل أدب وهدوء. وكانت نان لها نفس أخلاقي المحتشمة والجدية في الحديث. ونظرنا نحن الاثنان إلى بعضنا مع وجود لكثير من النية السيئة.

ومضت نصف ساعة أخرى وفي النهاية نظمنا شيء يشبه برج الكنيسة حول المدرسة وقمنا بعمل بعض القفزات من على الكراسي. وكنا جميعاً نضحك ونصبح ومضينا وقتاً رائعاً. وقد راجعت نان رأيها عني كما تراجعت عن رأي فيها، وتحدثنا كثيراً مع الكبار. وبعد ذلك تناولنا وجبة سريعة وذهبنا إلى المسرح إلى "قراصنة بنزانس" ومنذ ذلك الوقت استمرت الصداقة لفترات طويلة في حياتنا. والآن أصبحت نان واحدة من الأصدقاء التي افتقدها كثيراً. فمعها كنت أستطيع التحدث عن كل من ببلي واشفيلد وعن الأيام القديمة والفتيان والألعاب التي كنا نلعبها والشباب والتمثيل المسرحي الذي كنا نقوم به نحن وباقي زملائنا.

وبعد رحيل ماج بدأت المرحلة الثانية من حياتي. وكنت ما زلت طفلة ولكن انتهت المرحلة الأولى من طفولتي. كانت هناك سمات لحياتي الطفولية منها بريق الفرحة، كانت هذه الأشياء هي علامات مميزة لحياتي في الطفولة. وكان معهم الأمان التام والنسيان الكامل للتفكير في الغد. ولم نعد عائلة ميللر-فنحن الآن مجرد شخصان تعيشان معاً: سيدة في منتصف العمر وفتاة ساذجة. وبدأت الأشياء متشابهة ولكن كان الجو المحيط مختلفاً.

وكانت أمي تعاني من أزمات قلبية منذ وفاة أبي. وكانت هذه الأزمات القلبية تفاجئ أمي دون أية إنذارات ولم يساعدنا الأطباء في أي شيء. فقد عرفت للمرة الأولى في حياتي معنى الشعور بالقلق على الأشخاص المقربين، بينما كنت مازلت طفلة ولذلك فقد كان قلقي متضاعف بشكل طبيعي. وقد اعتدت أن استيقظ في الليل وقلبي يخفق واثقة بأن أمي توفت. اعتقد أن الثانية عشر أو الواحدة بعد

منتصف الليل وقتاً طبيعياً للقلق وعدم الاطمئنان. وذات يوم كنت قد استيقظت وتسللت عبر الممر وركعت على ركبتي بجوار باب أمي وكانت رأسي على مفصلة الباب محاولة أن اسمع صوتها وهي تتنفس. وطمئنت نفسي سريعاً مرة أخرى بسماعي صوتها وهي تغط في نومها. إن أمي كان لها نوع خاص من الغطيط أثناء نومها حيث يبدأ على نحو بسيط ثم يعلو بعد ذلك بشدة حتى الانفجار. ويلى ذلك فترة من الهدوء وعدم تكرار للغطيط لمدة ثلاثة أرباع ساعة أخرى.

وبقيت علي هذه الحال كلما اسمع صوت غطيط لامي في غرفتها كنت اتجه إلى فراشي وأطمأن ولكن في الوقت الذي يكون فيه هدوء كنت أبقى هناك في حالة سيئة. وكان من الأفضل وقتها أن أفتح باب غرفتها للتأكد من أن كل شيء علي ما يرام وأطمئن نفسي ولكنني لم أقم بذلك، حيث أن أمي كانت دائماً تغلق باب غرفتها من الداخل في الليل.

في الواقع لم اخبر أمي عن تلك النوبات من القلق التي كانت تنتابني ولا اعتقد أنها كانت تخمن تلك النوبات. كما اعتدت على الشعور بالمخاوف عندما كانت تتجه إلى الخارج أو لأي مكان. ويبدو كل ذلك سخياف الآن أو غير ضروري، واستمر ذلك لعام أو اثنان. ثم بعد ذلك نمت في غرفة أبي بعيداً عن غرفة نوم أمي حيث كان الباب مفتوح قليلاً حتى يمكنني أن أكون قريبة منها إذا فاجأتها إحدى النوبات القلبية في أي وقت أكون رافعة رأسها محضرة إياها بعض من شراب البراندي المسكر. وفي لحظة الاطمئنان عليها كنت أبعد تماماً عن الشعور بالقلق الذي كان ينتابني في مخيلتي- في الواقع فقد ساعدني هذا كثيراً في مهنتي حيث كان هو الأساس لعمل الكاتب-ولكنه يمكن أن يمنحك تجارب في مجالات أخرى.

وتغيرت ظروف حياتنا بعد وفاة أبي. وتوقفت المناسبات الاجتماعية. ورأت أمي بعض من الأصدقاء القليلين القدامى وكانت ظروفنا المادية محدودة وكان علينا أن نقتصد بكل طريقة. وكان كل ما يمكننا فعله هو أن نحفظ ب أشفيلد. فلم

تعد أُمي تهتم بحفلات العشاء. وكان لديها خادمتين بدلاً من ثلاث. وحاولت أن تخبر جان أننا متعسرين مادياً ولا نستطيع الاحتفاظ بأكثر من خادمتين صغيرتين ولكنها أكدت علي أن جان تتميز بالطبخ الرائع وأنها تحصل على مرتب ضخيم ويجب أن تحصل عليه. وساعدت أُمي جان في الحصول علي مكان ما وتحقيق أجراً كبيراً وأيضاً خادمة صغيرة تعمل بمساعدتها حيث قالت أُمي لها: "أنتي تستحقها بالفعل".

ولم توضح جان أي تعبيرات على وجهها حيث كانت تتناول الطعام كالمعتاد. وقد أمأت برأسها ببطء مستمرة في المضغ وقالت: "حسنًا. سيدتي مثلما ذكرت. فأنت تعرفين أكثر مني.

ثم ظهرت مرة أخرى في المساء التالي وأخبرت أُمي: "أرغب في التحدث إليك يا سيدتي فقد فكرت في الأمر وأنا أفضل البقاء هنا، فهمت ما ذكرته وقد أعددت نفسي لذلك من البداية.

قالت أُمي "هذا جميل منك جدًا" وقالت جان "سيكون ملائماً وتحركت من الغرفة.

وكان هناك عائقاً واحداً لهذه التنظيمات. إن جان كانت قد اعتادت الطبخ بطريقة معينة لسنوات عديدة ولذلك لا يمكنها التوقف عن استخدام هذه الطريقة. فإذا كان لدينا مناسبة ما، فيكون هو اللحم المشوي الهائل. وتجهز مجموعة من الأصناف على المائدة منها فطائر شريحة لحم البقر الجميلة والفطائر الكبيرة وحلويات البخار. وكانت أُمي تقول "تذكرني يا جان أنها كافية لشخصين فقط أو لأربعة فقط" ولكن جان لم تكن تتفهم الأمر، حيث أن جان كان عندها معايير لكرامة الضيافة باهظة الثمن لأفراد المنزل، حيث كان كل يوم يأتي سبعة أو ثمانية من أصدقائها إلى المنزل لتناول الشاي وتناول الحلويات والكيكات والفطائر وتورنات المربي. وفي النهاية ذكرت أُمي أن الأمور قد تغيرت الآن حيث أن جان يمكنها

استقبال أصدقائها يومًا واحدًا في الأسبوع حيث أن هذا يمكن أن يساهم في توفير مبالغ من المال وتوفير الكثير من كميات الطعام المطبوخة. وكانت جان تقوم بعمل الاجتماعات والمقابلات في يوم الأربعاء فقط.

وقد اختلفت وجباتنا الآن عن زى قبل. وتم إلغاء العشاء كلية وكنت أنا وأمي نتناول في المساء وجبة مكونة من جبنة المكرونة أو أرز كالبودنج أو ما شابه ذلك. ومن المؤسف أن هذا قد حزن جان. وأيضا شيئًا فشيئًا نجحت أُمي في تجهيز الطلب الذي كانت جان تجهزه سابقًا. وكان ذلك من الأشياء المبهجة لأصدقاء أبي عند إقامتهم في المنزل أن يسمعون جان تطلب الطعام من خلال الهاتف: "ارغب في ستة من سرطانات البحر ودجاجة ولحم الخنزير لا يقل عن....." حتى أصبحت هذه عبارة مفضلة في أسرنا. "لا يقل عن....." والتي لم يتم استخدامها فقط من قبل جان ولكن أيضًا من خلال طبخة أخرى وهي السيدة باوتر.

ولكن جان كانت تتحدث دائمًا "ولكني أصدرت الطلب باثني عشر قطعة من شرائح اللحم وهي تنظر بضيق". في الواقع أن حقيقة أنه لا يوجد أشخاص كافيين في المنزل لتناول كل هذه الكمية من الطعام من شرائح اللحم لم تكن جان مقتنعة بها.

ولم ألاحظ أي من هذه التغييرات. الاقتصاد في المصاريف أو البذخ يعني لك القليل عندما تكون صغيرًا بمعنى أنك صغيرًا ولا تدرك مثل هذه الأمور في طفولتك. فإني إذا اشتريت بعض من الحلوى بدلًا من الشيكولاتة فالفرق لا يكون ملحوظًا. وكان سمك الاسقمري البحري دائمًا هو المفضل حيث أنني اعتقد أنه نوع من الأسماك المفضلة والمقبولة من الكثيرين.

ولم تتغير حياتي الشخصية كثيرًا. وقرأت أعداد كبيرة من الكتب حيث أنني تعاملت مع روايات هينتي وستانلي وإيمان (يا لها من روايات تاريخية رائعة) وقرأت "القلعة الداخلية" في اليوم التالي واعتقد أنها كانت من الروايات الجيدة.

كانت رواية "سجين زندا" هي بدايتي إلى الرومانسية مع روايات كثيرة أخرى. فقد قرأتها مرات عديدة ووقعت بشدة في الحب ليس مع *رودلف راسنديل* كما كان يتوقع ولكن مع الملك الحقيقي الذي سجن في زنزانته وهو بيكي. وقد أتوق إلى أن أساعده وأتعاطف معه لإنقاذه لتأكيد له أن *فلافيا* أحبته وليس *رودلف راسنديل*. كما قرأت العديد من الروايات الأخرى منها روايات ل *جول فيرن* بالفرنسية وهي "رحلة إلى مركز الأرض" وكانت هذه الرواية المفضلة لي لحوالي أشهر عديدة. وقد أحببت التناقض بين ابن الأخ الحكيم وبين العم الواثق من نفسه. وكان أي كتاب أحبه أقرأه على فترات متباعدة بشكل دوري وعند مرور عام أختار كتاب آخر يكون مفضل لي.

كما كان هناك كتب "ال تي ميد" للفتيات والتي لم تحبها أمي حيث ذكرت أن الفتيات فيها تتسم بالابتذال والسوقية ولا يفكرن في شيء سوى الثراء وأن يكون لديهم ملبسًا أنيقًا. ولكنني أحببتهم في الرواية. وهناك بعض من الروايات التي تم قراءتها بصوت عالي لي. كما قرأت "الأيام الأخيرة لبروس" التي أعجبتنا معًا. ومن خلال قراءاتي العديدة تعرضت لكتاب يسمى "الأحداث العظمى في التاريخ" والتي كان علي أن أقرأ فصلًا منه وأجيب على التساؤلات المحددة في شكل ملاحظات في نهاية الكتاب. وكان هذا كتابًا جيدًا. فقد علمني الكثير من الأحداث التي وقعت في أوروبا وفي أماكن أخرى والتي يمكن ربطها بتاريخ ملوك انجلترا بداية من آرثر الأصغر وغيره. وكان هذا الكتاب يتميز بنوع من الحقيقة. وقد عرفت تواريخ ملوك انجلترا وأسماء جميع زوجاتهم وبيانات عنهم-والتي لم تكن لها أهمية بالنسبة لي من قبل.

وكان كل يوم علي أن اعرف كيف أتهجى صفحات من الكلمات. وبعض التدريبات أفادتني كثيرًا ولكنني كنت ما أزال في مستوى سيء من الهجاء وبقيت كذلك حتى الوقت الحالي.

وكانت من أهم دواعي سروري هي الأنشطة الموسيقية التي مارستها مع عائلة *هوكسلي*. إن د. *هوكسلي* كانت له زوجة غامضة ولكنها ماهرة. وكان لديه خمسة

فتيات: ميدرد وسيبي وميريل وفيليس وايندي. وأصبحت ميريل صديقتي المفضلة. وكان لها وجهًا طويلاً وشعرًا ذهبيًا شاحبًا وكانت تضحك كثيرًا. وقد التحقت بهم في البداية في فصولهم الأسبوعية للغناء وكان هناك حوالي عشرة من الفتيات اللاتي شاركن في هذه الفصول في ظل توجيه أستاذ الغناء السيد كرو. وكنت أنا وميريل نعزف على آلة المندولين وكان كل من سيبيل وكوني تعزفان علي الفيولين وكانت ميريد تعزف على الكامنجا الكبيرة.

وبالنظر إلي الوراء إلى يوم الاوركسترا، اعتقد أن عائلة هيكسلي كانت عائلة مغامرة. إن الأفق الضيق لسكان توركاوي كان يبدو شاذًا إلى حد ما وكان ينتابه الشك بالنسبة لفتيات هيكسلي، لأنهم كان يمارسن عادة السير كثيرًا. وكانت الفتيات الثلاثة الأولى تسير يدًا في يد في مركز التسوق وكانت هذه الفتيات تضحك معًا ولا يرتدين القفازات. وكانت هذه الأشياء إساءات اجتماعية في ذلك الوقت. وبالرغم من أن د.هيكسل الأكثر أناقة في توركاوي وزوجته، إلا أن الفتيات تم اعتبارهم أيضًا مقبولات اجتماعيًا.

وكان هذا نموذجًا اجتماعيًا غريبًا، وأنا افترض من ناحية أخرى أن هناك نوع من التكبر الواضح. فالأشخاص الذين اظهروا الارستقراطية في محادثاتهم لم يتم قبولهم في الغالب وتم السخرية منهم. وهناك ثلاثة مراحل نجحت خلال فترة حياتي. في البداية كانت التساؤلات كالتالي: من هي؟ ومن الأشخاص؟ بالطبع كانوا بالنسبة لي بغضاء. وكانت العبارة الثالثة مختلفة مرة أخرى. "حسنًا يا عزيزي، هل هم مدهشين؟" نعم بالطبع ولا أحد يعرف ما هي بلدهم، ولكنهم كانوا مدهشين جدًا. وبعد هذا الاستطراد رجعت إلى الفرقة الموسيقية مرة أخرى.

هل قمنا بعمل ضوضاء صاخبة؟ فأنا أتعجب؟ على أية حال فإن هذا قد جعلنا نستمتع كثيرًا وزاد من معرفتنا الموسيقية. وقد أدى هذا إلى شيء أكثر إثارة وهو أداء كلا من جليبرت وسلفانا.

وكان الأداء التالي هو مساعد الحارس، في الواقع أتعجب من أن والديهم لم يمنعوه. ولكن كانت السيدة هيكسل نموذجًا رائعًا وأعجب بها كثيرًا. وقد شجعت أطفالها على الحصول على أي شيء يحبونه وتساعدهم عندما يحتاجون إلى المساعدة. وكان لي صوتًا قويًا عاليًا مع العزف.

وكان لدينا صعوبة قليلة مع أمي التي كانت على طراز قديم في وجهات نظرها فيما يتعلق بملابس الفتيات عند ظهورهم للعامة. وبالنسبة لي فالظهور في حفلات عامة مثل هذه الفتيات كان يعد غير لائقًا أو غير محتشمًا بالنسبة لامي. اعتقد أنني كنت في الثالثة أو الرابعة عشر من عمري وقتها. وللأسف لم يكن هناك أية علامات للصدر الممتلئ لي الذي تمنيته وقتها عندما كنت في كوتيريه. وكان هناك خادمًا صغيرًا مرتديًا زي حارس وجيدًا في مظهره. وكانت طريقة ارتداء البنطلونات وقتها مثل فترة إليزابيث والتي تبدو لي الآن سخيفة في شكلها. علي أية حال أعجبت أمي بهذه البنطلونات وذكرت أنها جيدة ولكن يجب أن ارتدي عباءة حاجبة ملقاة فوق أحد أكتافي. ولذلك فإن العباءة كانت من قطعة من القماش الفيروزي الأزرق موجودة بين قطع قماش جراني. (تم الاحتفاظ بهذه القطع من القماش في أدراج مختلفة وكانت تشمل جميع أنواع المنسوجات الجميلة الغنية التي تم شرائها في العديد من الاوكازيونات والتخفيضات خلال الخمس وعشرين سنة الأخيرة) إنه من الصعب أن تمثل وأنت ترتدي العباءة وهي ملقاة فوق أحد الأكتاف بطريقة تجعل أحد السيقان غير مرئية للجمهور.

وعلي قدر ما أتذكر وقتها لم اشعر بأي خوف من المسرح. وكان من الغريب بالنسبة لفتاة خجولة تشعر بالخجل عند دخولها إلى إحدى الحفلات الكبرى وكان هناك نشاطًا واحدًا لم اشعر فيه أبدًا بالعصبية وهو الغناء. ثم بعد ذلك عندما درست البيانو والغناء في باريس، فقدت أعصابي تمامًا عندما كان علي أن اعزف على البيانو في حفلات المدرسة الموسيقية ولكن عندما كنت اغني لم أكن اشعر بالعصبية إطلاقًا. وربما يرجع هذا إلى الربط المنطقي المبكر لي "هل الحياة هبة؟ ولم

يكن هناك أي شك في أن مساعد الحارس كانت واحدة من العلامات المضئية لوجودي. ولكنني كنت أفكر أننا لن نقوم بعمل أية حفلات أوبرالية بعد ذلك-وهي إحدى الخبرات التي تستمتع بها جيداً والتي لا تتكرر أبداً.

وواحدة من الأشياء الغريبة في النظر إلى الوراء بينما أنت تتذكر كيف تحدث الأمور فلا تعرف أبداً كيف أو لماذا تختفي تلك الأشياء أو تتوقف. ولا يمكنني تذكر العديد من الأحداث التي شاركت فيها مع عائلة هيكسل بعد هذا الوقت. وبالرغم من هذا، فأنا واثقة أنه لم يكن هناك أية توقف في الصداقة. وفي وقت من الأوقات كنا نتقابل كل يوم ثم وجدت نفسي اكتب إلى لالي في اسكتلندا. ربما يكون د. هيكسلي غادر لممارسة عمله في مكان آخر أو استقال من عمله؟ فلا أتذكر أي شيء محدد. ولكنني أتذكر أن صداقة لالي كانت محددة بشكل واضح، فقد أوضحت لالي الأمر قائلة "لا يمكن أن تكوني صديقتي المفضلة، لأن هناك الفتيات الاسكتلنديات. فهن كانوا دائماً أصدقائنا المفضلين. إن برندا هي صديقتي المفضلة وجان هي الصديقة المفضلة لفيلي ولكن يمكنك أن تكوني صديقتي الثانية المفضلة ولذلك فقد كنت مسرورة أن أكون الصديقة الثانية المفضلة لالي. وكان هؤلاء الأصدقاء يتم مقابلتهم على فترات منفصلة.

اعتقد انه كان هناك وقتًا في مارس لاحظت فيه أمي أن ماج سيكون لديها طفلًا رضيعًا. وبدأت بالحديث إليها ماج سيكون لديها طفلًا! فقد كنت مندهشة فلا أتصور هذا مطلقًا ولكن الأمور تكون دائمًا مندهشة. وقد قبلت زوج أختي وهو يدعي **جيمس أو جيبي** كما كنت دائمًا أناديه بحماس. والآن فإن هناك شيئًا مختلفًا تمامًا.

والمعتاد معي، فقد مررت ببعض الوقت أثناء ذلك. وكنت أجلس وفي مفتوح لدقيقتين أو أكثر. ثم أقول "حسنًا، إن هذا سيكون مثيرًا" متى سيأتي؟ الأسبوع القادم؟

ذكرت أمي "ليس قريبًا" وقد افترضت تاريخًا في أكتوبر.

وقد تحدثت أنا وأمي "أكتوبر"؟ هل سننتظر كل هذا الوقت. لا أتذكر بوضوح موقفني بالنسبة للجنس في ذلك الوقت- فقد كنت بين الثانية والثالثة عشر ولكنني لا اعتقد أنني كنت اقبل نظريات الأطباء. وبذلك أدركت أنها عملية فيزيائية ولكن دون الشعور بالفضول أو الاهتمام. وقد استنتجت الكثير من الأمور. إن الطفل سيكون الآن بداخلك ثم بعد ذلك يخرج في الوقت المناسب. ثم ركزت على الآلية واستقرت عند السرة كنقطة تركيز. فلا أعلم تلك الفتحة المستديرة التي تقع في منتصف معدتي ولذلك فإن هذا الجزء يجب أن يكون من أجل إنجاب طفل رضيع.

وقد أخبرتني أختي بعد ذلك أن لديها أفكارًا محددة وأنها كانت تعتقد أن سرتها عبارة عن فتحة وأن هناك شيء ما يشبه مفتاحًا لها يلائمها والذي يتم الإمساك به عن طريق الأم والذي تعطيه قبل ذلك إلى زوجك والذي يقوم بفتحه في ليلة الزفاف. وكانت جميع الآراء معقولة إلى حد كبير لدرجة أنني لم أعجب من نظريتها كثيرًا.

وقد خرجت إلى الحديقة وأخذت أفكر كثيرًا. إن ماج في طريقها لانتظار طفل. إنه حقًا لشيء رائع وكلما فكرت فيه أكثر كلما أعجبت أكثر بالفكرة. إنني سأصبح خالة وهذا يبدو هامًا جدًا. سأتركه يلعب بالعابي وسأكون حريصة أن كريستوفر قطتي الصغيرة لن تخدشه بالمصادفة. وبعد حوالي أسبوعًا توقفت عن التفكير فيه وانشغلت في الأحداث اليومية المختلفة. فكان علي أن انتظر حتى أكتوبر وقتًا طويلًا.

وفي أغسطس تلقت أُمي برقية. وذكرت أنها ستذهب لتمكث مع أختي في تشيشير. وكانت عمتي جراني تمكث معنا في ذلك الوقت. ولم يدهشني رحيل أُمي المفاجئ كثيرًا ولم أتوقع له، فأُمي كانت دائمًا تفاجئني بتصرفاتها التي تقوم بها دون أية إنذارات أو إعداد لها. وكنت في الحديقة بالخارج في مكان لعب التنس أنظر إلى شجر الكمثري لأرى إذا ما كان يمكنني أن أجِد ثمار الكمثري الناضجة. وفي ذلك الوقت أتت إليس لتناديني. فقد ذكرت: "لقد حان وقت الغذاء وعليك المجيء يا أنسة أجاثا، فإن هناك خبرًا في انتظارك".

وذكرت أنا: "أي الأخبار هذه؟"

فقالت إليس أصبح لديك ابن أخت.

فتعجبت قائلة ابن أخت!

ولكن سأنتظره في أكتوبر القادم؟

فردت قائلة "نعم ولكن لا تسير الأمور دائمًا كما تريدين، فعليك بالدخول

الآن"

ودخلت إلى المنزل ووجدت جراني في المطبخ وهي تمسك بيدها برقية. ووجهت إليها الكثير من التساؤلات. ماذا يبدو شكل الطفل؟ لماذا ولد الآن بدلًا من أكتوبر؟ وأجابت جراني على هذه التساؤلات. واعتقد أنها كانت في منتصف محادثة غامضة مع جان عندما دخلت لأنهما اخفضا أصواتهما وهمسا بشيء ما وكان كل ذلك يبدو

غامضًا لي وشيقًا في الوقت نفسه. وكان عقلي يركز بشكل كبير على ابن أختي. فعندما كانت جراني تقوم بتقطيع لحم الضأن قلت:

"ماذا يبدو شكله؟ وما لون شعره؟

فمن المحتمل أن يكون أصلع. إن الأطفال غالبًا ما تولد بهذا الشكل.

"قلت ذلك وأنا محبطة؛ هل وجهه أحمر اللون؟

من المحتمل.

كم يبلغ وزنه؟

وتوقفت جراني عن التقطيع وقاست المسافة الموجودة على سكين التقطيع.

وقالت: "مثل هذا" وتحدثت بكل التأكيد المطلق. وكان لدي انطباعًا بكل الثقة أنه عندما يوجه إلي سؤالًا من قبل طبيب وقد أعطاني الكلمات الرئيسية "طفل: فسوف أجيب مباشرة "بسكين تقطيع". وأنا أتعجب كيف وضعت الإجابة على طريقة التعقيد الفرويدية لعالم النفس فرويد.

وكنت مسرورة بابن أختي. وقد جلبته ماج للإقامة في اشفيلد بعد حوالي شهر وعندما بلغ عمره شهرين تم إحضاره إلى الكنيسة لتعميده. ولأن أمه الروحية نورا هويت لم تكن هناك، فقد سمح لي أن امسك به وأفوض من أجلها. وتوقفت بالقرب من الينبوع بينما تأرجحت أختي بالقرب من ذراعي حتى لا أسقطه من يدي. وكان السيد يعقوب وهو الكاهن لدينا والذي تعرفت عليه جيدًا، له أيدي رائعة مع الأطفال عند الينبوع وكان يحمل الماء المتناثر في حركة تمايل خفيفة والتي عادة كانت توقف الطفل الرضيع عن الصراخ. وقد تم تعميده وتسميته جيمس وات مثل والده وجده. وكان يسمي جاك في العائلة. وكنت في عجلة شديدة أن يكبر ويصبح في عمر استطيع اللعب معه، حيث أنه كان معظم الوقت يغط في النوم.

وكان من اللطيف أن استقبل ماج في زيارة منزلية طويلة. وقد اعتمدت عليها في إخباري قصصًا وإمدادي بالكثير من سبل التسلية والاستمتاع في حياتي. وكانت ماج هي التي أخبرني بأول قصة لي "شارلوك هولمز"؛ وغيرها من القصص. وكان من بين قصصي المفضلة: العقيق الأزرق-العقيق الأحمر والتي استمتعت بهم جميعًا، وكانت ماج راوية قصص رائعة.

وكانت قبل زواجها تكتب قصصًا بنفسها. والعديد من قصصها القصيرة مقبولة. وكانت القصص التافهة تعد في هذه الأيام من الانجازات الأدبية وكان أبي فخورًا بها إلى حد كبير.

وكتبت سلسلة من القصص التي تعلقَت جميعًا بالرياضة منها: مسرحيات كايسي الكروكيه والعديد من القصص الأخرى. وكانت جميع هذه القصص مسلية وشيقة. وقمت بإعادة قراءتها منذ عشرين عامًا وأدركت وقتها كيف قامت بكتابة هذه القصص. وتعجبت كثيرًا كيف كانت ستستمر في الكتابة إذا لم تتزوج. فلا اعتقد أنها ترى نفسها كاتبة بشكل جاد. فقد فضلت أن تكون رسامة. فهي تعد واحدة من الأشخاص الذين لديهم القدرة على رسم أي شيء يأتي في مخيلتهم. ولم تقم بكتابة أي قصص قصيرة على قدر ما أتذكر بعد زواجها ولكن بعد مرور عشرة أو خمسة عشر عامًا بدأت في ممارسة الكتابة مرة أخرى وكانت في هذه المرة تكتب أعمالًا مسرحية. وتم إنتاج مسرحية المطالب أو المدعي للمسرح الملكي. وكتبت مسرحية أو مسرحيتين أحرتين ولكن ليس بإنتاج لندن. وقد كانت أيضًا ممثلة جيدة في الدراما. فليس هناك أدنى شك بأن ماج كانت العضو الموهوب في عائلتنا.

شخصيًا لم يكن لدي أي طموح. وقد عرفت أنني لا أجد شيء. فقد استمتعت بلعب التنس والكروكية ولكن لم أكن محترفة. وكم سيكون شيقًا إذا ذكرت أنني كنت أتوق إلى أن أصبح كاتبة وكنت أصر على أنني يومًا ما سأنجح ولكن بأمانة فإن هذه الفكرة لم تأتي إلى رأسي مطلقًا.

ومثلما حدث وظهرت الطباعة في عمر الحادية عشر. وفي ذلك الوقت أتت عربات الترام إلى ايلينج وحدث شيء مروع في المكان الذي كان يتسم بشوارعه العريضة والمنازل الجميلة وأصبحت عربات الترام تتجه أعلى وأسفل في هذه المنطقة. إن كلمة تقدم تم النطق بها ولكن لم تطبق فكتب الجميع إلى الصحافة، إلى كل شخص يعتقد أنه من المفيد كتابة أي شيء وتقديمه إليه. إن عربات الترام كانت شائعة وصاخبة ومسببة للمعاناة للجميع. كما كان هناك خدمة ممتازة للأتوبيسات حمراء اللون اللامعة وكلمة ايلينج مطبوعة عليها بالحروف الكبيرة والتي كانت تسير من ايلينج إلى شيرد بوش وأتوبيس آخر مفيد جدًا بالرغم من تواضع شكله، فإنه كان يسير من هانويل إلى اکتون. كما كان هناك سكك حديدية على الطراز القديم.

ولم يكن هناك حاجة إلى عربات الترام. وقامت أجاثا بنشر أول أعمالها الأدبية وكانت قصيدة قمت بكتابتها في اليوم الأول من تشغيل عربات الترام. وكانت مكونة من خمسة بيوت شعرية، وقامت جراني بإقناع أحد الحراس الخصوصيين والضباط من رتبة فريق أول بزيارة الجريدة المحلية واقتراح أن القصيدة شيقة. وأنا ما زلت أتذكر البيت الشعري الأولي بالقصيدة:

عندما سارت عربات الترام الكهربائية للمرة الأولى؛

بتألقها قرمزي اللون؛

كانت جميلة جدًا وجيدة؛

ولكن قبل أن ينتهي اليوم؛

كانت قصة أخرى.

وكانت عربات الترام تقف بعد مرور بعض الوقت. وكنت مبتهجة لرؤية نفسي في الصحافة ولكن لا يمكنني القول بأن هذا دفعني إلى تأمل نفسي في مهنة أدبية.

في الواقع، فقد تخيلت شيء واحدًا فقط -زواجا سعيدًا. فقد كان لدي ثقة كاملة في نفسي مثلما هو الحال مع جميع أصدقائي. فقد كنا مدركين لكل السعادة التي كانت في انتظارنا، وكنا نتطلع إلى الوقوع في الحب وأن يعتني بنا من أشخاص آخرين. وأن يعجب بنا وكنا في نية للسير في طريقنا بالنسبة للأمور المهمة لنا بينما في الوقت نفسه نضع حياة أزواجنا وأعمالهم ونجاحهم قبل كل ذلك. فنحن نمتلك الفرحة والسعادة في الحياة كما كان لدينا أيضًا إحباطاتنا الشخصية - لحظات من الحزن ولكن على مستوى الحياة كلها كان المرح. وربما يكون هذا المرح هو من أجل الفتيات في هذه الأيام ولكن بالتأكيد ليس كما ينبغي أن يكون. ربما يكون هناك بعض الأشخاص يستمتعون بالكآبة. وربما يتمتعون بالآزمات العاطفية التي تبدو دائمًا مؤلمة بالنسبة لهم. وربما يتمتعون أيضًا بالقلق. وهذا ما نشعر به بالتأكيد هذه الأيام - "القلق". إن رفقائي كانوا جميعًا في حالة مادية سيئة ولم يمتلكوا ربع الأشياء التي كانوا يرغبونها. فلماذا إذن كنا نشعر بمثل هذه المتعة؟ هل هذا نوعًا من الشعور بالحيوية التي كانت تثار داخلنا والتي توقفت عن الإثارة الآن؟ هل خنقنا كل هذا بالتعليم والقلق وأشياء أخرى؟

فقد كنا مثل الزهور المتألقة-وكنا جميعًا نكبر في تألق ومرح وفي معظم الأماكن المشنومة كنا نصر على الاستمتاع مع بعضنا في ضوء الشمس حتى يأتينا أي شخص. وهذه الأيام للأسف تبدو الحياة سيئة فليس لدينا فرصة للإيقاظ مرة أخرى. ويبدو أن هناك أشخاصًا يتسمون بأنهم "غير ملائمين للحياة" ولم يخبرنا أي شخص بأننا من بين هؤلاء الأشخاص غير الملائمين للحياة. فإذا أخبرنا أحد بذلك، فلم نصدق في ذلك الوقت. إن القاتل فقط هو الذي يعد غير ملائم للحياة. وهذه الأيام فإن القاتل هو الوحيد الذي لا يجب أن تقول أنه غير ملائم للحياة.

إن الحياة تعد بمثابة مغامرة رائعة. فأنت لا تعرف ما سيحدث لك - فهذا ما يجعل امرأة ما مثيرة جدًا. فليس هناك قلقًا فيما يتعلق بما تفعله أو ما يجب أن تفعله. فأنت تنتظري رجل ما وعندما يأتي هذا الرجل يغير حياتك كلها. فيمكنك أن

تقولي ما ترغب في فيه. إن هذه نظرة مثيرة لكي تتمسكي بها على عتبة الحياة. ماذا سوف يحدث؟ ربما أتزوج من شخص في الخدمة الدبلوماسية. أو أسافر إلي الخارج وأرى أماكن كثيرة. أو اعتقد أنني لا أحب الزواج من بحار مثلاً وأنت مثلاً ترغبين في قضاء الكثير من الوقت في الحياة في الشواطئ أو ربما أتزوج أنا من شخص ما يقوم ببناء الكباري أو مستكشف ما". إن العالم بأكمله يعد مفتوحاً لك وليس مفتوح لاختيارك ولكن مفتوحاً لما يحمله لك القدر. وربما تتزوجي من أي شخص. فربما تتزوجي من شخص سكير أو تكوني حزينة. وآخرون لا يتزوجون المهن ولكن يتزوجون الأشخاص.

أتذكر عندما كنت صغيرة وأنا أرى واحدة من بين أصدقاء أمي الجميلات والتي تساعدني في ارتداء ملابسها لحضور حفلات الرقص من خلال هناء العجوز وهي طبخة جراني. قالت هناء: "تم الانتهاء من ارتداء الملابس وربط الخصر الآن يا آنسة فيليس. ثم استطردت قائلة: ضعي قدمك أمام الفراش واضطجعي للخلف- وسوف اسحب. فلتلتقطي أنفاسك"

آه يا هناء لا يمكنني تحمل هذا، لا يمكنني حقيقة ولا استطيع التنفس"

"الآن يمكنك أن تتنfyي يا صغيرتي جيداً ولن تكوني قادرة على تناول الكثير من الطعام في العشاء وهذا يعد شيء جيد لأن الفتيات الصغيرات لا يجب أن تأكل كثيراً، إن هذا لا يعد رقيقاً أو لطيفاً. ويجب عليك أن تتصرفي كأنسة جميلة صغيرة. فأنت بخير، فسوف أقوم بإحضار شريط القياس. فأنتي حوالي ١٩ ونصف".

ثم ذكرت قائلة "تسعة عشر ونصف سيكون جيداً"

همست الأخرى. فسوف تكوني سعيدة عندما تكونين هناك، وافترض أن هذه الليلة من الممكن أن يأتي فيها السيد رايت. فأنت لا تحبي أن تظهر في هناك بخصر سميك وتدعيه يراك بهذا الشكل؟

إن السيد رايت كان أنيقًا جدًا، فلا اعتقد أنني ارغب في الذهاب إلى هذه الحفلة الراقصة فعلاً"

"حسنًا، نعم فأنت فعلاً لا ترغبين يا عزيزتي- فلتفكري ربما تقابلي مصيرك هناك"

وهذا بالفعل ما يحدث في الحياة. فالفتيات يذهبن إلى شيء ما يرغبون الذهاب إليه أو لا يودون الذهاب إليه، فلا يهم ذلك- ولكن قدرهم سوف يقع حتمًا"

بالطبع إن الفتيات هم من يعلنون دائمًا أنهم لن يتزوجوا، وعادة يكون هذا لبعض الأسباب النبيلة. فهم يرغبون في أن يصبحوا راهبات وأن يقمن بعمل شيء ما هام وهو يعد نوع من التضحية بالذات. وأنا اعتقد أن هذه مرحلة ضرورية. فالفتاة المتحمسة ترغب في أن تكون راهبة ويتضح هذا أكثر في الفتيات البروتستانت أكثر من الكاثوليك. ففي الفتيات الكاثوليك يكون بلا شك أكثر مهنية- ويتعرف عليه على أنه واحدًا من الطرق المتبعة في الحياة، بينما بالنسبة للبروتستانت يكون هناك اتجاهًا نحو الغموض الديني الذي يجعله مرغوبًا جدًا. إن ممرضة المستشفى كانت أيضًا تعد طريقة بطولية للحياة بكل المركز الاجتماعي للأنسة ناينتنجيل ولكن الزواج كان الموضوع الأساسي، من ستتزوجين؟ هذا هو السؤال الكبير في الحياة.

وعندما كنت في الثالثة أو الرابعة عشر شعرت بنفسي أتقدم في العمر وفي الخبرة أيضًا. فلم اعد أفكر في نفسي على أن يتم حمايتي من قبل شخص آخر. فأنا لدي مشاعري الخاصة الواقية لي. وقد شعرت بالمسؤولية تجاه أمي، كما أيضًا بدأت في محاولة أن اعرف نفسي وأي نوع من الأشخاص أكون، وما يمكنني محاولته بنجاح وأيضًا الأشياء التي لم اعد جيدة فيها وألا يجب أن أضيع الوقت بها. وقد عرفت أنني فطنة ويجب أن أعطي لنفسي وقتًا كافيًا للنظر في مشكلة ما بحرص قبل أن أقرر كيف أقوم بالتعامل مع هذه المشكلة.

وبدأت أن اقدر الوقت. ولا يوجد شيء أكثر روعة في حياة الإنسان أكثر من الوقت. ولا أصدق أن الناس لديهم الكثير من الوقت الآن. فلقد كنت محظوظة في طفولتي وشبابي لأنني كان لدي الكثير من الوقت الكافي. فأنت تستيقظ صباحًا وحتى قبل أن تستيقظ تقول لنفسك: "الآن ماذا سأقوم بعمله اليوم؟ إن لديك الاختيار، هنا في هذا المكان-أمامك-ويمكنك التخطيط كما ترغب. فأنا لا أعني أنه لم يكن هناك الكثير من الواجبات التي يجب علي فعلها-بالطبع كان هناك الكثير من المهام. هناك الكثير من المهام التي يتم القيام بها في المنزل: الأيام التي نظفت فيها إطارات الصور الفضية والأيام التي أرتب فيها جواربي والأيام التي تعلمت فيها فصلًا من فصول رواية "الأحداث العظيمة في التاريخ" والأيام التي كان علي أن اذهب إلى المدينة وادفع جميع الفواتير. والخطابات والملاحظات التي دونتها والجدول والتدريبات ولكنها كانت جميعًا تقع في اختياري وأرتبها كما أشاء. وكان يمكنني أن اخطط ليومي ويمكنني أن أقول "اعتقد أنني يمكنني ترك جواربي حتى فترة الظهر، وسأذهب إلى وسط المدينة في الصباح وأعود من الطريق الآخر وأرى إذا ما كانت الشجرة قد أزهرت أم لا.

وكنت دائمًا عندما استيقظ، كان لدي شعورًا وهو شيء طبيعي لأي إنسان وهو استمتاعنا بالحياة. وأنا لا أقول أنك تشعر واعيًا- لا- ولكن الحقيقة أنك حيًا وتفتح عيناك وهنا يوم آخر وخطوة أخرى في رحلتك لمكان غير معلوم. إن هذه رحلة مثيرة وهي رحلة حياتك. وستكون مثيرة لك لأنها حياتك. وهذا أحد الأسرار الكبرى للوجود والاستمتاع بهبة الحياة التي تم منحك إياها.

وليس بالضرورة يكون كل يوم ممتعًا. فبعد الشعور السعيد باليوم التالي وكم هو رائع! فأنت تتذكر أن عليك الذهاب إلى طبيب الأسنان في العاشرة والنصف، وأن هذا ليس جيد. وبشكل طبيعي فإن هناك الكثير أو تقريبًا كل شيء يعتمد على الحالة المزاجية للشخص. فأنت شخص سعيد أو أنك شخص حزين وتعاني الكثير من الحزن. فأنا لا اعرف أنك تستطيع أن تفعل أي شيء. واعتقد أن هذه الطريقة

التي يتم بها القيام بهذا- فأنت سعيد حتى يحدث شيء ما يجعلك غير سعيد أو العكس فأنت تشعر بالحزن والكآبة حتى يحدث لك شيء ما يخرجك من هذه الكآبة. وبشكل طبيعي فإن الأشخاص السعداء يمكن أن يكونون غير سعداء وهؤلاء غير السعداء يمكنهم أن يتمتعون أنفسهم. ولكنني مثلاً إذا اخترت أن أهدي هدية ما إلى طفل فإن هذا ما اختاره بشكل طبيعي لكي يسعدني.

وهذا يبدو لي افتراضاً غريباً أن هناك شيء ما يستحق التقدير عن العمل. لماذا؟ في العصور القديمة كان الإنسان يتجه للصيد لإطعام نفسه والحفاظ على الحياة. ثم بعد ذلك اتجه إلى الزراعة واعتمد عليها وبذر الحبوب الزراعية وحرثها لنفس السبب. وهذه الأيام يستيقظ مبكراً ويلتحق بقطار الثامنة والربع ويجلس في مكتبه طوال اليوم-أيضاً لنفس السبب. فهو يقوم بهذا لإطعام نفسه وإذا كان محظوظاً وماهراً في حياته يشعر ببعض الراحة والاسترخاء والاستمتاع.

إن هذا يعد اقتصادي وضروري ولكن لماذا يستحق التقدير؟ وهناك مثل قديم يقول أن "اليد البطالة نجسة" إن جورج ستيفنسون كان يتمتع بالكسل عندما لاحظ غطاء أبريق الشاي الخاص بأمه يرتفع ويقع. ولا يقوم بعمل أي شيء في تلك اللحظة، فبدا في تلقي الأفكار عن هذا....

لا اعتقد أن الحاجة هي أم الاختراع- ففي رأيي الشخصي هي تنشأ مباشرة من التعطل والكسل أيضاً. فهذا يعد السر الكبير الذي اتجه بنا مئات بل آلاف السنين، بداية من أدوات التقطيع إلى تشغيل ماكينة غسيل الأطباق.

إن مهمة النساء قد تغيرت بالتأكيد للأسوأ. نحن النساء قد تصرفنا مثل المغفلون. لقد تدمرنا كي يسمح لنا بالعمل كالرجال. الرجال ليسوا أغبياء وقد ولعوا بالفكرة. فلماذا يعولوا الزوجة؟ وما الخطأ في زوجة تعول نفسها؟ ومثلما ذكر جولي فهي يمكنها فعلاً القيام بهذا!

إنه يبدو من السيئ أننا حددنا أنفسنا بشكل واضح على أننا "الجنس الأضعف". فبذلك نكون مثل القبائل البدائية التي تعمل طوال اليوم في الحقول

والتي تسير أميالاً لتجمع شيء ما للوقود وتحمل الأواني والطاسات وجميع الأدوات المنزلية والأواني على رؤوسهن بينما يكون الرجل مستعداً للدفاع عن امرأته وهو يحمل السلاح في يده.

ويعود هذا إلى الفترة الفيكتورية والنساء في تلك الفترة فهم يوضحون رقتهم وحساسيتهم وحاجتهم المستمرة إلى الحماية والملاذ. هل عانوا من حياة يملؤها البؤس والقمع والاضطهاد؟ إن هذا ليس انطباعي عنهم في الواقع. إن جميع أصدقاء جدتي كانوا ناجحات في معرفة هدفهم وطريقهم المحدد. فقد كانوا خشنين ولكن على قدر كبير من المعرفة والاطلاع.

وقد كانت النساء يعجبن برجالهم إلى حد كبير. وكانوا يعتقدون أن الرجال مشرقين وعظماء. وفي الحياة اليومية تعرف المرأة طريقها أثناء عملها وخدمتها للرجال حتى تحظى برضا زوجها.

وكانت الصيغة الرسمية "أبيك يعرف أكثر يا عزيزتي"، وردت قائلة "أنا واثقة بأنك على حق جداً يا جون ولكن أتعجب من.....".

فقد كان الرجل ذو سلطة عليا. وكان يعد رب البيت. إن المرأة عندما تتزوج وتقبله كقدرها وتقبل طريقته في الحياة. وهذا يبدولي هو أساس السعادة. فإذا لم يمكنك مواجهة طريق زوجك في الحياة، فلا تأخذي هذه المهمة-أو بمعنى آخر، لا تتزوجي هذا الرجل. فمثلاً هناك نموذج لتاجر الاجواخ وهو من الرومان الكاثوليك وهو يفضل سكن الضواحي ويلعب الجولف ويرغب في قضاء الأجازات في الشواطئ. فهذا النموذج مثلاً هل ستزوجين منه. فعليك أن تستعدي لذلك وأن تحبي هذا النموذج ولا يكون هذا صعباً إذا استعددت لذلك.

إنه من المذهل هو كيفية أن تستمتع بكل شيء حولك. إن هناك أشياء قليلة أكثر رغبة من أن تكون مستمتعاً بها. فيمكن أن تحب أو تستمتع بأي نوع من الطعام أو نمط الحياة. فيمكنك الاستمتاع بحياة الريف أو الكلاب أو المدن أو

الضوضاء مثلاً أو تجمعات الناس. في الواقع فإن هناك وقتاً للشرب أو للتطيرز أو للحياكة والشعور بالسعادة لنمو الأشياء. وفي المسارح الأخرى أو المعارض الفنية أو الحفلات الموسيقية يمكنك أن تستمتع بكل شيء من حولك.

وذات مرة كنت مسافرة إلى سوريا بالقطار، كنت مستمتعة مع إحدى المسافرين معي.

وقد ذكرت قائلة: "يا عزيزتي إذا كان هناك أي شيء لا تحببته، دائماً قولي لنفسك" من سيكون هو المتحكم أنا أم رغبتى (معدتي)؟

"ولكن ماذا بالفعل يمكنك عمله؟ لقد سألت بكل فضول.

أي رغبة يمكن أن تدرب. مثلاً أصبحت لا أتناول البيض أو يتسبب لي في المرض وأيضاً الجبن المحمص يتسبب لي في آلام شديدة. ولكن فقط ملعقة أو ملعقتين من البيض المسلوق أو ثلاث مرات في الأسبوع يكون جيداً. والآن يمكنني تناول أي كمية من البيض. ونفس الشيء مع الجبن المحمص. وتذكر أن معدتك هي بمثابة خادم لك ولكنها تعد أيضاً سيِّداً سيئاً.

وقد تأثرت جداً بإتباع نصيحتها وقد فعلت هذا-بالرغم من أن هذا لم يمثل لي الكثير من الصعوبات، فأصبحت معدتي بالتأكيد في خدمتي.

عندما سافرت أُمي إلى الخارج مع ماج إلي جنوب فرنسا بعد وفاة أبي بقيت في اشفيلد لمدة ثلاثة أسابيع وقد اكتشفت وقتها لعبة جديدة وأصدقاء جدد.

وكانت لعبة التزحلق على الدحروجة من الألعاب المسلية. كان سطح الرصيف صلب ومن السهل أن تقع عليه ولكنها متعة كبيرة. وكان في نهاية الرصيف غرفة تشبه غرف الموسيقى لا تستخدم في الشتاء بالطبع. كما كان هناك مكانًا لحفلات الرقص وكان هذا من الفصول المفضلة ولكن كان معظمنا يفضل الرصيف والدحروجة. وكان عليك أن تدفع بنسين لكي تتركب الدحروجة وتزحلق على هذه اللعبة. لا يمكن لعائلة هيكسل أن تلتحق بي في هذه اللعبة لأنها كانت مشغولة مع مربية أطفالهم خلال فترة الصباح. وكان الأشخاص الذين اعتدت مقابلتهم هناك من عائلة لوسي. وبالرغم من أنهم كانوا أكبر مني إلا أنهم كانوا ودودين معي وكانوا يعرفون أنني وحيدة في اشفيلد لأن الطبيب نصح أُمي بالسفر إلى الخارج لأخذ قسط من الراحة والاستجمام.

وبالرغم من أنني كنت اشعر أنني كبيرة في داخلي إلا أن هذا الشعور يعد قلقًا. وقد استمتعت بطلب الوجبات الغذائية. وكنا دائمًا نطلب للغذاء ما كانت تفكر به جان. وكنت أسألها "هل من الممكن أن نطلب بطة مشوية وحلويات؟ فقد كنت اسأل وكانت جان تجيب بنعم ولكنها لم تكن واثقة من طلب البطة والحلويات- فلا يوجد بيض الآن، ربما يكون علينا الانتظار حتى يومًا ما آخر ولكن كانت عزيزتي جان لبقة وبارعة. وكانت تناديني آنسة أجاثا وقد سمحت لي بأن اشعر بأنني في وضع مهم.

وقد اقترحت عائلة لوسي أن أتزحلق معهم على الرصيف. وعلموني أن أقف على المزلاج وأحببت اللعبة. وكانت هذه العائلة أحد ألطف العائلات التي عرفتھا. وقد أتوا من مقاطعة ووريكشير وكان لديهم منزلًا جميلًا ينسب إلى عم لوسي. وقد

أخذ زوج ابنته اسم **فيرفاكس لوسي**. واعتقد أن الأسرة كلها كانت حزينة لأن المنزل لم ينسب إليها بالرغم من أنهم لم يذكروا أي شيء عن هذا إلا سرًا. وكانت الابنة الكبرى ذات جمال استثنائي وكانت أكبر قليلًا من أختي وتزوجت قبلها. أما الابن الأكبر **ريجي** فكان في الخدمة العسكرية ولكن الابن الثاني كان في المنزل- وكان تقريبًا في عمر أخي- أما الابنتين الأخرتين **مارجريت** و**ميريل** فكانوا كبارًا وكان يتم ندائهما بـ **مارجي** و**نوني**. وكان لهما صوتًا جذابًا. ولم يكن يعني الوقت لهما شيء.

وبعد الترحلق لبعض من الوقت، نظرت **نوني** إلى ساعتها وقالت "حسنًا هل تنظري إلى الوقت الآن. إنها الواحدة والنصف بالفعل".

فقلت: "يا عزيزتي سيأخذ الطريق مني إلى المنزل عشرون دقيقة على الأقل"

ثم ذكرت **اجي** قائلة: حسنًا، من الأفضل ألا تذهبي إلى المنزل فلتأتي معنا إلى منزلنا لتناول الغذاء ويمكننا الاتجاه إلى اشفيلد.

ولذلك ذهبت إلى المنزل معهم ووصلنا في حوالي الثانية والنصف ورحب بنا سام وكانت الوجبة في انتظارنا ساخنة وجاهزة لتناولها. ثم قالوا "حسنًا، سنذهب إلى غرفة الفصل ونلعب على البيانو ونغني أغنية. وأحيانًا كنا نتفق أن نتقابل في محطة **توور** ونأخذ قطار معين. وكانت عائلة **لوسي** دائمًا تتأخرو يفوتنا القطار. وكان يفوتهم جميع القطارات وعربات الترام وكان يفوتهم كل شيء. وكانوا يقولون "حسنًا، ماذا يهم؟ سيكون هناك قطارًا آخر. وكان جواً رائعًا.

إن المتعة في حياتي كانت تتمثل في زيارات **ماج**. فكانت تأتي كل أغسطس. وكان **جيبي** يأتي معها لقضاء بعض الأيام ثم كان عليه أن يذهب لإكمال عمله، ولكن **ماج** بقيت حتى نهاية سبتمبر ومعها **جاك**.

فقد كان **جاك** بالطبع يعد مصدرًا غير منتهي من الاستمتاع بالنسبة لي. كان غلامًا ذات خدودًا وردية وشعر ذهبي اللون وكان جيد المظهر. وكان يتسم

بالضوضاء ولم يعرف معنى للهدوء. فقد كان يتحدث طوال الوقت وكان له مزاجًا ناريًا وكان وجهه احمر اللون عندما يتحدث ثم يتحول إلى اللون البنفسجي حتى تعتقد أنه سينفجر ثم تحدث العاصفة!

وكان جاك متابعًا لعائلة ناني بمواقفها الغريبة. وكانت ناني عجوز ذات شعر رمادي اللون غير منظم. وكانت تقريبًا الشخص الوحيد الذي كان يرهب جاك عندما يكون هناك شجار بينهما. وذات يوم كان ينادي بصوت عالي "أنت يا أبله، أيها الأبله، أيها الأبله" مندفعًا إلى جميع الأشخاص الموجودين دون أي سبب. وقد أخبرته ناني بأنه إذا قال ذلك مرة أخرى فسيعاقب "يمكنني إخبارك ما سأقوم بعمله بالنسبة لك" ورد جاك "عندما أموت سأذهب إلى السماء وسأتجه مباشرة إلى الإله قائلًا "أيها الأبله، أيها الأبله، أيها الأبله"، ثم توقف لاهثًا ليرى ما يحدث. وتوقفت ناني عن عملها وهي تنظر إليه وقالت دون اهتمام كبير: "أنفترض أن الإله سينتبه لما يقوله غلامًا صغيرًا تافهًا مثلك؟ وقد انكمش جاك كلية.

وقد كان مع ناني فتاة صغيرة تدعي إيزابيل. وكانت معنية بإلقاء الأشياء من النافذة دون سبب. وكانت تهمس قائلة: "حسنًا. أُلقي هذه المقصات على العشب يا جاك" وحاول جاك مساعدتها قائلاً: "هل أُلقيها من النافذة يا إيزابيل؟ وقد سألت باهتمام كبير. وكان مثل جميع الأطفال يعشق أمي. وكان يأتي إلى فراشها مبكرًا في الصباح وكنت اسمعهما يتحدثان معًا. وأحيانًا كانا يتناقشان في أحوال الحياة وأحيانًا أخرى كانت أمي تقص عليه رواية ما. وكان واحدًا من هذه الروايات تدعي "بيتس جين والأخري ساري ان". وكانت واحدة منهما جيدة والأخرى مغرورة. وكانت الأشياء التي تحدثوا عنها جعلت جاك في حالة من الضحك طوال الوقت. وكان دائمًا يحاول أن يشارك في المحادثة. وذات يوم عندما أنت عائلة فيكار لتناول الغذاء كان هناك توقفًا ملحوظًا. فقال جاك فجأة "أنا اعرف قصة مضحكة عن أسقف كان له علاقات كثيرة. ولم يكن يعرف أن جاك لا يتأثر بما يسمعه بالمصادفة من أي شخص".

وقد تعودنا أن نقضي الكريسماس في تشيشير، وكان جيمي عادة ما يقضي أجازته في ذلك الوقت وقد تعود هو وماج الذهاب إلى سان موريتز لقضاء ثلاثة أسابيع. كان متزحلّقًا بارعًا ويقضي أجازته بهذا الشكل في هذه الألعاب. وقد تعودت أنا وأمي أن نذهب إلى تشيدل وكان هناك بيتًا مبنياً جديداً يدعى مانور لودج ولكنه لم يكن جاهزاً بعد وكنا نقضي الكريسماس في ابني هول مع عائلة وات وأطفالهما الأربعة ومع جاك. وكان بيتاً رائعاً لقضاء الكريسماس، فلم يكن فقط مبنياً على الطراز الفيكتوري ذات غرف عديدة وسلالم خلفية ولكنه كان أيضاً يحتوي على سلالم أمامية وعلى كل شيء يرغبه أي طفل. وكان يحتوي على ثلاثة من أجهزة البيانو المتعددة التي يتم العزف عليها. فقد كان المنزل يحتوي على كل شيء باستثناء ضوء النهار حيث كان يتسم ببعض الظلمة باستثناء غرفة الرسم ذات الجدران الخضراء ونوافذها الكبرى.

وأصبحت أنا ونان وات أصدقاء بسرعة. ولم نكن مجرد أصدقاء بل كنا رفقاء في تناول الشراب- فقد أحببنا نفس المشروب والكريمة. وبالرغم من أنني كنت أكل كمية هائلة من كريمة الديفونشاير عندما كنت في ديفونشاير، إلا أن الكريمة الخام كانت هي المفضلة لي. وعندما مكثت نان معي في توركاوي اعتدنا أن نزور أحد مصانع الزبد والجبن، حيث كان يمكننا تناول كوب من اللبن نصفه لبن والنصف الآخر كريمة. وعندما مكثت معها في ابني هول اعتدنا أن نذهب إلى المزرعة وأن نشرب الكريمة. وقد بقينا على هذه العادات لفترات طويلة في حياتنا وما زلت أتذكر وأنا اشتري كرتونه من الكريمة واذهب إلى نادي الجولف لألعب الدورة هناك ونمكث خارج النادي منتظرين أزواجنا لكي ينهوا لعبة الجولف ويتناول الجميع هذه الكريمة اللذيذة.

وكان منزلنا في ابني هول يعد بمثابة قطعة من الجنة وكان للسيدة وات غرفتها الخاصة، وهي عبارة عن مكان يشبه منزلاً وهو مثل الكنز الجميل الذي يحتوي على الأشياء الثمينة. فكان هناك ثلاثة مداخل له، وبه أرفف مغطاة برسومات أنيقة.

أحدها يحتوي على صناديق من الشيكولاتة وأخرى من كريمة الشيكولاتة. بالإضافة للبسكويت والخبز والفاكهة المحفوظة والمربى وغيرها.

وكان الكريسماس هو الاحتفال الاسمي والأكبر، فقد كان شيئاً لا ينسى أبداً. كانت جوارب الكريسماس على الفراش. وكان طعام الإفطار معداً للجميع. ثم يخرج الجميع إلى الكنيسة ثم يعودون للبيت. وفي الثانية مساءً كان طعام العشاء يعد مع الأضواء والزينات. وكان العشاء يتكون من الحساء والديك الرومي المشوي ولحم البقر المشوي. ويتبع هذا الباونج والفطائر وغيرها. ثم تأتي أنواع عديدة من الحلويات. وفي إحدى القصص "شئون الكريسماس" وصفت مثل هذه الاحتفالات التي نقوم بها في الكريسماس. إنها واحدة من هذه الأشياء التي أثق تمامًا أنها لا تنسى أو ترى ثانية في هذا الجيل، وفي الحقيقة اشك أن يتم الاحتفال هذه الأيام بهذه الطريقة.

وكنت عادة أتنافس في تناول الطعام مع هامفري وات. وكان ابن وات يقارب جيمس في السن. اعتقد أنه كان في الحادية أو الثانية والعشرين عندما كنت أنا في الثانية أو الثالثة عشر. وكان شاباً وسيماً وممثلاً جيداً ومسلماً رائعاً وراوي للقصص أيضاً. وكان جيداً أيضاً مثلي تماماً في الوقوع في قصص الحب مع الآخرين ولا اعتقد أنني وقعت في حبه-بالرغم من أن هذا كان مثيراً بالنسبة لي. وكنت مغرمة بالعديد من الشخصيات المسرحية في ذلك الوقت منها قس لندن-الملك الفونس ملك اسبانيا والعديد من الممثلين الآخرين. وقد عرفت أنني وقعت في الحب مع هنري انلي عندما رأيته في باوندمان.

وكنت أنا وهامفري نأكل معاً في عشاء الكريسماس. وقد نافسني في تناول الحساء. تناولنا أولاً الديك الرومي المشوي ثم الديك الرومي المسلوق وأخيراً تناولنا أربعة أو خمسة قطع من اللحم البقري. وكان الكبار من أصدقائنا يتناولون نوع واحد فقط من الديك الرومي، ولكن بقدر ما أتذكر فإن السيد وات الكبير تناول

قطعاً من لحم البقر وأيضاً الديك الرومي. ثم تناولنا بعد ذلك الباودنج والفطائر ثم بعضاً من الكحوليات. ثم كان هناك بعضاً من الفاكهة منها العنب والبرتقال والبلح والفاكهة المحفوظة. وأخيراً، خلال فترة الظهيرة تم إحضار كميات كبيرة من الشيكولاتة من غرفة التخزين لتناولها. هل أتذكر أنني مرضت اليوم التالي؟ لا لم أمرض أو أتعب. إن نوبات المرض العديدة التي أصابتنى أتذكر أنها أصابتنى بعد تناولى للتفاح غير الناضج في سبتمبر. فقد كنت أتناول التفاح غير الناضج يومياً وقد كنت قد بالغت في تناول الكثير منه.

وما كنت أتذكره جيداً عندما كنت في السادسة أو في السابعة من عمري وتناولت عيش الغراب. فقد استيقظت بعدها بألم شديد في الحادية عشر مساءً واندفعت إلى غرفة الرسم حيث كان أبي وأمي يستمتعون في حفل مع بعض الأصدقاء وقد أعلنت بصوت عالي "سوف أموت، فقد تسممت من عيش الغراب" وهدأتني أُمي وأعطتني كمية من الدواء الموضوع في الخزانة في هذه الأيام وطمأنتنى بأنني لن أموت وقتها.

على أية حال، لم أتذكر أبداً أنني كنت مريضة في حفلة من حفلات الكريسماس. وكانت نان وات مثلي تماماً حيث كان لها معدة رائعة. وفي الواقع، عندما أتذكر هذه الأيام فإن الجميع يبدو أنهم كان لديهم معدة قوية. وكنت افترض أن الناس كانوا يعانون من أمراض معوية وقرحة الأثني عشر ولذلك يجب أن يكونون حريصين في تناولهم الطعام ولكني لا أتذكر أي من هؤلاء الأشخاص كان يعيش على رجين السمك واللبن. ولك أن تتخيل الكميات الهائلة من الطعام التي كنت أتناولها وأنا في صغري ولم أتخيل أن أظل نحيفة بعدها.

بعد قضاء فترة الظهيرة الرائعة في الكريسماس، قام الصغار بقراءة بعض الكتب والنظر إلى هداياهم وتناول المزيد من الشيكولاتة وغيرها-كما كان هناك بعض الأكواب من الشاي مع الكيك الثلجي الرائع الذي يجهز في الكريسماس

وأخيرًا، كان هناك عشاء متأخر مكون من ديك الرومي البارد وبعض الفطائر الساخنة. وحوالي التاسعة كانت شجرة الكريسماس جاهزة بالعديد من الهدايا المعلقة عليها. كان يومًا رائعًا وأظل أتذكره في حفل الكريسماس حتى العام التالي.

وقد بقيت في ابني هول مع أمي في أوقات أخرى من العام وكنت سعيدة بها. وكان هناك نفقًا في الحديقة وقد وجدته مفيدًا في استغلاله في تجسيدي للأدوار التي أرغب في تمثيلها في الدراما. لم أفكر أبدًا في كتابة أي شيء من روايتي في هذا المكان أسفل النفق-وكنت مختلفة تمامًا لما يتوقعه البستانيون عني. فقد كنت أمشي من وقت لآخر أهمس مع نفسي في بعض الروايات.

وكانت قدراتي الخلابة معنية أيضًا بتطريز مساند الأريكة. كانت المساند منتشرة في تلك الأيام وبالتحديد المطرزة. وقد اتجهت إلى فترة من فترات التطريز في أشهر الخريف. واعتدت شراءها وكمها وكانت من الستان وكنت أبدأ في تطريزها بمهارة. وبدأت التقط صورًا لبعض الزهور من بعض الفازات التي كانت لدينا وتبعت هذه الزهور وكنت أرسمها وأحاول نسخها بالألوان بقدر الإمكان. وكانت جراني ب مسرورة عندما رأت هذا وقد قضت الكثير من حياتها في التطريز وقد كنت سعيدة لأكمل ما بداته هي في التطريز. ولكنني في الواقع لم أصل إلى ما كانت تقوم به من تطريز ولم أقم أبدًا بتطريز المناظر الطبيعية أو الأشكال مثلما كانت تفعل هي. ولدي اثنين من قماشها الآن واحدة تمثل راعية والأخرى لفستان راعي تحت شجرة وكانت الراقية ترسم قلبًا في الفستان. وكم كان هذا رائعًا ومقنعًا بالنسبة للفتيات في الأشهر الطويلة للشتاء.

وكان السيد وات -والد جيمس شخصًا دائمًا ما أخجل منه. واعتاد أن يناديني ب "طفلة الأحلام". ويقول لي "ماذا تفكر فيه طفلة أحلامنا؟ وعندما كنت أسمع هذا كان وجهي يحمر خجلًا، واعتاد أن يجعلني العب واغني له أغاني عاطفية. وكنت أستطيع أن أقرأ الموسيقى ولذلك كان غالبًا ما يأخذني إلى البيانو وكنت اغني

أغانيه المفضلة. لم أكن أحبها كثيرًا ولكنها كانت مفضلة بالنسبة له. فقد كان فنانًا وكان يرسم المناظر الطبيعية في الصباح وغروب الشمس. كما كان جامعًا عظيمًا للأثاث وبالتحديد خشب البلوط. بالإضافة إلى أنه هو وصديقه فليتشر موس كانا يلتقطان الصور الفوتوغرافية ونشر العديد من الكتب لبيوت مشهورة. وأتمنى أنني لو لم أكن خجولة ولكنني كنت بالطبع في سن يجب أن تكون فيه الفتاة حريصة أو لديها وعي ذاتي.

وكننت أفضل السيدة وات كثيرًا التي كانت مبهجة بدرجة كبيرة. وكانت نان التي كانت تكبرني بعامين تصرخ وفي بعض الأحيان تكون وقحة وتستخدم ألفاظًا مبتذلة. وكان هذا يزعج السيدة وات من ابتها. كما كانت تنزعج من ابتها أيضًا عندما كانت تستدير لها وتقول: "حسنًا لا تكوني بهذه الحماسة يا أمي" وهو من الأشياء التي لا يتصور أبدًا أن تقال من ابنة إلى أمها.

وفي يوم الهدايا كنا دائمًا نذهب لمشاهدة التمثيلية الصامتة في مانشستر- وكانت هذه التمثيليات رائعة. وكنا نعود في القطار ونغني جميع الأغاني. كما كان هناك الأغاني الكوميديّة منها مثلًا "ولدت يوم الجمعة.. ولدت يوم الجمعة" و"شاهدوا القطارات تأتي شاهدوا القطارات تأتي". وكان هامفري يغني أغانيه المفضلة كنوع من الأغاني الحزينة.

ولم تكن التمثيلية الصامتة في مانشستر هي الأولى التي حضرتها. الأولى التي رأيته كانت في دروري لين وقد كنت مع جراني فما زلت أتذكر هذه التمثيلية الصامتة. وقد حلمت بعدها بأسابيع بدان لينو واعتقد أنه كان من أكثر الأشخاص روعة ممن رأيتهم في حياتي. كما كان هناك حادثة مثيرة في تلك الليلة. فقد كان الأميرين الصغيرين في الصندوق الملكي. الأميرادي الذي حلمت أن أتزوجه ذات مرة. وقد حلمت ذات مرة أن هذا الأمير ينزف ومنحته من دمي وتم معاملتي مثل سيدة نبيلة أو زوجة الكونت.

وقد رتب ابن أختي جاك ذات مرة حفلاً لزواج ملكي في عمر الرابعة وقال: "افترضي يا أمي أنك ستتزوجين الملك ادوارد فسنصبح أسرة ملكية" وقد رتب جاك الأمور "افترضي أن الملكة توفت وافترضي أن أبي لم يكن هناك وافترضي أن الملك ادوارد أتى لرؤيتك وترك الباقي لخياله...

وكانت الكنائس الرومانية بالتحديد تعجب بجاك ولم يتغير ذوقه أبداً وقرأ المزيد من القصص التاريخية أكثر من أي شخص وعندما كان في الثلاثين التحق بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

وكانت جراني نموذجاً جيداً للبروتستانت وكانت تستمتع كثيراً بعطلات نهاية الأسبوع. فقد كانت تخفض صوتها وتقول: "جميع هذه الفتيات الجميلات المختلفة في الأديرة لا ترى مرة أخرى" وأنا واثقة أنها كانت مقتنعة بأن جميع القساوسة يختارون فتياتهم الجميلة من أديرة خاصة.

فقد كان الجميع يهتمون كثيراً بالعقيدة. وكان هناك الكثير من المنازعات والمناقشات التي تثار بشأن هذا. وواحدًا من أصدقاء ابن أختي قال له ذات مرة: "ألا تعتقد يا جاك لماذا لا يمكنك أن تكون مهرطقاً مبهجاً مثل أي شخص آخر إن هذا سوف يكون أكثر سلمية".

إن آخر شيء على وجه الأرض يمكن لجاك أن يتخيله هو أن يكون مسالماً أو هادئاً. وكما ذكرت مربية الأطفال عنه في إحدى المرات عندما كانت تفتش عنه في إحدى المرات قائلة: "لماذا يرغب جاك في الذهاب إلى الكنائس، فأنا لا أتخيل هذا إن هذا يبدو لي شيئاً مضحكاً بالنسبة لطفل مثله". وبشكل شخصي اعتقد أنه يجب أن يكون مجسداً لشخصية رجل دين من العصور الوسطى. فقد كان له وجه رجل ديني في الكنيسة وليس وجه ناسك وبالتأكيد فإن لديه شبه لرجل ديني قادر على التعرف على نفسه جيداً في مجلس ما-بمعني أن لديه القدرة على تحديد شخصيته وماذا يجب أن ينادى به.

٤

إن السباحة كانت تعد بالنسبة لي أحد متع الحياة وقد ظلت كذلك حتى الآن. وفي الواقع ما زلت استمتع بها في كل مواقف حياتي باستثناء بعض الصعوبات التي من الممكن أن تقابل شخص ما في الماء.

وعندما بلغت الثالثة عشر حدث لي تغيرًا اجتماعيًا كبيرًا. فقد بعدت قليلًا عما كنت أحبه أو اهتم به. وكان هناك شاطئًا صغيرًا تستحم به الفتيات وهو شاطئ صغير حجري يقع إلى اليسار من صالون الاستحمام الذي كنت استحم به. وكان بهذا الشاطئ ثمانية من آلات الاستحمام تعلو وتهبط في المساء لتسهيل مهمة السباحة والاستحمام. وتدخل إلى آلة الاستحمام الخاصة بك والأبواب مندفعة وتبدأ في خلع ملابسك ببعض من الحرص لأنه في أي وقت يمكن للشخص المسئول عن الاستحمام أن يخبرك أن دورك أتى لكي تهبط إلى الماء. وفي هذه اللحظة كان هناك صخرة شديدة-وتتحرك آلة الاغتسال ببطء بسبب هذه الصخرة-وهي تحرك من جانب إلى جانب آخر داخل الماء. في الواقع كانت حركة الآلة داخل الماء تشبه حركة السيارة الجيب هذه الأيام أو عربة تنقل الصخور في الصحراء.

كانت آلة الاستحمام تتوقف فجأة كما تبدأ فجأة. وأنت تتقدم بعد خلع ملابسك وتستعد للدخول إليها بملابس الاستحمام، وهي عبارة عن ثوب عادة من قماش مأخوذ من حيوان الألبكة من اللون الأزرق الداكن أو الأسود مع العديد من الجونلات ذات الأهداب التي تصل إلى أسفل الركبة وأعلى المرفق. وحيث نزلت بها إلى الماء تدفع الباب بقوة. وإذا كان الرجل العجوز رقيقًا معك، فتستطيع أن تدخل إلى مستوى معقول من الماء. وقد نزلت حتى يبلغ الماء إلى خصرك. ثم تبدأ بعد ذلك في العوم. ومع المد المنخفض يكون الوضع مختلف ومع المد المرتفع يمكنك السباحة جيدًا. وحيثما بدأت في الاستحمام وبدأت في الاستمتاع بها يمكنك المجيء مرة أخرى

إلى الشاطئ. ولكنهم يجدون صعوبة معي في الرجوع لأنني اعشق السباحة وأتجه بعيداً في الاتجاه المقابل عندما يخبروني أن أعود إلى الشاطئ.

لم يكن بالطبع هناك شيئاً ممتعاً مثل الاستحمام في ضوء الشمس على الشاطئ. وحيث تركت الماء واتجهت إلى آلة الاستحمام فيكون هناك نفس المفاجأة التي بدأت بها. وحتى مع بعض حالات الإرهاق والمواقف الصعبة التي كانت تحدث لي في الاستحمام، فإن هذا كله لم يسبب لي أي أذى وكنت اشعر بالدفع مرة أخرى في خلال ثلاثة أرباع ساعة حتى لو كان بارداً. ثم مكثت على الشاطئ وتناولت فطيرة. وكانت جراني التي دائماً تمتعنا بالعديد من القصص والحكايات الشيقة، توضح لي كيف أن ابن السيدة فوكس الصغير قد توفي بسبب عدم إطاعة الكبار وإبقائه في البحر فترة طويلة. وكنت أجيب على جراني بطريقة مهيبة "لا يا جراني لن ابقى فترة طويلة في الماء المرة القادمة. ولكن بالفعل يا جراني فإن الماء دافئ وجميل".

فترد جراني "حقيقة أن الماء دافئ إذن فلماذا ترتعشي من رأسك حتى قدميك؟ ولماذا أصابعك زرقاء اللون؟".

إن من مميزات الاصطحاب بشخص كبير مثل جراني في الماء هو أن نعود بتاكسي مثلاً وليس سيراً على الأقدام لمسافة ميل ونصف. وكان نادي اليخت يقع فوق الشاطئ المخصص للفتيات. وبالرغم من أن الشاطئ كان غير مرئي من نوافذ النادي، إلا أنه كان هناك العديد من الرجال يقضون أوقاتهم بنظراتهم وهم يشاهدون ويتمتعون برؤية الفتيات وهن يرتدين ملابس الاستحمام. واعتقد أننا لم نكن معجبين جنسياً بهذه الأنواع من ملابس الاستحمام.

وكان الشاطئ المخصص لاستحمام الرجال يبعد قليلاً عن الساحل. فهناك الرجال يمكنهم الاستمتاع بالسباحة كثيراً ولا توجد أنسة واحدة قادرة على رؤيتهم من أي نقطة في أي مكان. ومع هذا، فإن الظروف تغيرت، حيث أن الاستحمام المختلط بدأ يدخل في جميع أنحاء إنجلترا.

إن الاستحمام الأول المختلط كان يتميز بالعديد من الملابس المخصصة. حتى السيدات الفرنسيات كانت تستحم مرتدين الجوارب حتى لا يتم رؤية سيقانهن أو أرجلهن. ومما لا شك فيه أن الفتيات الفرنسيات كانت لديهن القدرة على ارتداء الملابس التي تغطي من الرقبة إلى المعصم مع جوارب حريرية جميلة ناعمة والتي تغطي أرجلهم الجميلة. حقيقة لا اعرف لماذا تعد الأرجل غير ملائمة، وفي قصص تشارلز ديكنز كانت هناك العديد من الحكايات عن أي سيدة تصرخ إذا كشف كاحلها أو لاحظته أي شخص. إن الكلمة تعد جريئة في حد ذاتها. وهناك واحدة من الحقائق البديهية التي كان ينطق بها إذا ذكرت هذه الأجزاء التشريحية: "تذكر ملكة اسبانيا أنه لم يكن لديها أرجل" إنها كان لديها سيقان فنحن نسميها سيقان، إن الأذرع والأرجل نسميها أطراف".

وهناك إحدى القصص عن واحدة من صديقات بنت أختي تخبرنا عن إحدى تجاربها الخاصة وهي فتاة صغيرة، فقد تم إخبارها بأن أباه الروحي قد أتى لرؤيتها. ونظرًا لأنها لم يكن لديها مثل هذه التجربة من قبل فقد أثارتها العبارة. ففي تلك الليلة حوالي الواحدة صباحًا تحدثت في الظلام:

"ناني، أنا لدي أب روحي"

وقد أجاب عليها صوت لا يمكن وصفه "ممممم"

ثم قالت ثانية "ناني، أنا لدي أب روحي".

"نعم يا عزيزتي.. رائع"

"نعم يا عزيزتي، فلتستديري وتذهبي لكي تنامي"

استمرت ملابس الاستحمام تتسم بالاحتشام حتى وقت زواجي الأول. وبالرغم من أن الاستحمام المختلط كان مقبولًا وقتها، بيد أنه مازال يعتبر مريبًا من قبل الفتيات الكبار والعائلات المحافظة. ولكن حدث تقدم كبير حتى بالنسبة لأمي، فكنا

غالبًا ما ننظر إلى البحر في مثل هذه الشواطئ مع العديد من الأجناس المختلطة. ولأن الشواطئ كانت مزدحمة فلم نكن نذهب إلى أي شاطئ. ثم بعد ذلك تم السماح بإدخال الاستحمام المختلط في الشواطئ الأكثر ارسقراطية. وكان هذا الشاطئ يبعد حوالي عشرين دقيقة لذلك فإن شاطئ ميدفوت كان أكثر جاذبية من شاطئ الفتيات حيث كان أكبر وأوسع ومع أن به صخور يمكنك الاستحمام بسهولة. وبقيت شواطئ الفتيات مقدسة بعيدة عن أي مشكلات من الرجال. وبقدر ما أتذكر فإن الرجال لم يكونوا قلقين من أن يتحدثوا عن الاستحمام المختلط. إن بعض من هؤلاء الرجال كانوا مندهشين لرؤية صديقات أخواتهم في شاطئ ميدفوت في حالة ما زالوا يعتبرونها نوع ما يشبه العرى.

فكانت القاعدة في البداية أنني يجب أن ارتدي الجوارب عندما استحم. ولم أكن أعرف كيف أن الفتيات الفرنسيات كانت ترتدين جواربهن: فلم أكن قادرة علي القيام بهذا. فلم أكد أقوم بعمل ثلاثة أو أربعة من الحركات العنيفة في الماء حتى أجد أن جواربي قد تدلت إلى أن تصل إلى أصبع قدمي، فإما أن يتم خلعها كلية أو أن يتم لفهما حول كاحلي. واعتقد أنه ذات مرة رأيت الفتيات الفرنسيات وهن يسبحن وكانوا يسبحون برقة نحو الشاطئ ونحو البحر مرة أخرى.

وكان هناك حكاية تم فيه إثارة التساؤل عن الاستحمام المختلط والذي تم الحصول على موافقته أخيرًا. وقد ذكر أحد أعضاء المجلس وهو كبير السن قائلًا:

"وكل ما أقوله يا سيد مايور هو أنه قبل أن يتم تنفيذ الاستحمام المختلط كان هناك أقسام مستقلة في ماكينات الاستحمام".

وكانت ماج تأتي كل صيف مع جاك إلى توركاوي وكنا نستحم يوميًا حتى مع المطر. وفي الواقع حتى في الأيام الصعبة كنت استمتع بالاستحمام في البحر كثيرًا.

وقد أدخلت تجديدات عربات الترام بعد فترة قصيرة. فيمكنك أن تلتحق بترام في طريق برتون الذي يذهب إلى الميناء، ومنه سيرًا عشرين دقيقة تصل إلى

شاطئ ميدفوت. وعندما كان جاك في الخامسة بدأ يشكو "لماذا لا نأخذ تاكسي من الترام إلى الشاطئ؟ أجابته أختي "بالتأكيد لا. فقد جئنا طوال الطريق في الترام أليس كذلك؟ الآن فسوف نسير إلى الشاطئ".

فتهد ابن أختي قائلاً "على الجانب القارص مرة أخرى!

وبينما كنا نسير في الطريق الذي يتميز بوجود الفيلات المنشأة على الطراز الايطالي، لم يتوقف ابن أختي عن الحديث للحظة واحدة ثم تقدم وهو يغني أغنية من تأليفه تتكون من تكرار جميع أسماء المنازل التي مررنا بها في الطريق: فيلا - زالمز-بينتريف-هارتي جورج-مارجريت" وبينما كان الوقت يمر، كان يضيف أسماء الأشخاص الذين يقطنون هذه المنازل منها مثلاً: لانكا- درجي-ريفورد-بينتريف-دكويك-فيلا مارجريتا-مدام كافالين- زالوريس. وأخيراً فقد صرخت به ماج أو أنا أن يكف عن الحديث ويسكت.

لماذا؟

لأننا نريد أن نتحدث ولا يمكننا الحديث مع بعضنا إذا بقيت تتحدث طوال الوقت وتقاطعنا"

فأجاب جاك "أوه حسنًا. ثم سكت" وكانت شفاهه تتحرك في همس بالأغنية التي كان يرددها بصوت عالي. وكنت أنا وماج ننظر إلى بعضنا البعض ونحاول التفكير في شيء ما لنقوله.

وفي إحدى أيام الصيف كنت قد قمت أنا وجاك بالسباحة في يوم صعب وذهبنا إلى شاطئ الفتيات ولم يكن جاك وقتها كبيرًا بدرجة كافية لجعل الفتيات هناك في حالة ارتجاف إذا شاهدوه. فلم يكن يستطيع السباحة في ذلك الوقت، كان بإمكانه فقط عمل ضربات قليلة ولذلك كنت اصطحبه معي إلى الطوافة على ظهري. وفي هذا الصباح بدأنا كالمعتاد ولكنه كان نوع غريب من البحار-نوع من

التأرجح المختلط-ومع وزن إضافي على كتفي، وجدت أنه من غير الممكن أن يكون أنفي وفي أعلى الماء. وكنت أسبح وكانت الطوافة مغلقة جيداً ولكن كنت أتقدم بشكل بطيء داخل الماء وكنت قادرة على اخذ نفس واحد كل ثلاثة ضربات.

وفجأة أدركت أنني لا يمكنني الاستمرار. ففي أي لحظة ساخنق. وقلت "جاك اخلع ملابسك وتعال إلى الطوافة، فأنت اقرب إليها من الشاطئ" فقال جاك "لماذا؟" لا ارغب في العوم" فقلت له "من فضلك تأتي إلى الماء". ولحسن الحظ أتى جاك إلى الطوافة بالرغم من معارضته في البداية. وفي ذلك الوقت كنت ألاحظ ما يقوم به الجميع في الماء. فقد كان يتم إخباري بأنني عندما أتعرض لموقف غرق في الماء فإن كل حياتي الماضية تعرض أمامي في مخيلتي وقد أخبرت أيضاً أنني اسمع موسيقى جميلة في أذني عندما أموت. ولم يكن هناك أي موسيقى ولم يمكنني التفكير في أي شيء من الماضي، ولم استطع التفكير في أي شيء سوى كيف يمكنني التنفس في الماء. فقد كان كل شيء أسود أمامي كما عرفت الإحساس بألم شديد وأنا في الماء. وبعد أن اندفعت في المركبة قمت بعمل حركات قليلة إلى الطوافة وانتزعت جاك الذي قال بصوت عالي "لا أريد الذهاب." ارغب في أن أبقى هنا. أريد أن لعب علي الطوافة. لن أتى!" وأتت أختي إلى الشاطئ وهي تضحك وتقول "ماذا كنت تفعلين؟" وما كل هذه الفوضى؟

قال الرجل العجوز "فقد أغرقت أختك نفسها. أذهبي وخذي هذا الطفل" وقد افترضت أنهم أعطوني بعض اللكمات للإفاقة بالرغم من أنني لم أكن فاقدة للوعي تماماً.

"لا اعتقد أنها تغرق. فلماذا لم تصرخ من أجل المساعدة؟

"لأنك إذا اتجهت إلى أسفل الماء لا يمكنك الصراخ بصوت عالي"

إن العالم الخارجي كان متغيراً كثيراً. فأمي كان لها صديقة واحدة أو اثنتين من الصديقات المقربات إليها التي كانت تراهما. ولكنها كانت في ضائقة مالية والتي لم تمنحها فرصة للقيام بالاحتفال بأصدقائها. فلم تكن أُمي من النساء اللاتي اعتدن

الخروج من المنزل كثيرًا للعشاء أو الغذاء. وأصبحت قليلة الخروج بسبب نوبات القلب التي تنتابها. وكنت أقوم بالسباحة في الصيف والتزلج في الشتاء وأيضًا أقرأ العديد من الكتب. وهناك كنت بالطبع أقوم بعمل العديد من الاستكشافات. واعتادت أُمي أن تقرأ لي روايات تشارلز ديكنز بصوت عالي واستمتعنا معًا بهذه الروايات الرائعة. وبدأت القراءة بصوت عالي مع السيد والتر سكوت. وكانت واحدة من رواياتي المفضلة وهي "التعويذة". وأيضًا كنت أقرأ رواية "سيدة البحيرة" ولكنني اعتقد أنني أنا وأُمي كنا سعداء عندما كنا ننقل من روايات والتر سكوت إلى روايات تشارلز ديكنز. ولم تتردد أُمي كالمعتاد من الانتقال من رواية إلى أخرى حيث كانت تقول: "جميع هذه الحالات من الوصف" في نقاط عديدة في روايات والتر سكوت وهي تكمل "بالطبع فهي روايات جيدة جدًا وأدبية".

وكانت أول رواية لي من روايات ديكنز هي نيكولاس نيكلي وكان شخصيتي المفضلة هي السيد العجوز. وكان أيضًا من بين قصصي المفضلة التي كتبها الروائي تشارلز ديكنز هي بيت كتيب وما زالت هي المفضلة لي.

ومن وقت لآخر كنا نقرأ روايات وليم ثاكري للتغيير حيث قرأنا فانتلي فير وقد ذكرت أُمي "نحن نحب هذه الروايات" وقد ذكر الجميع أنها روايات محبوبة للجميع. ولكن في الواقع لم أكن أبدًا قادرة على حب روايات **ثاكري** كالآخرين.

وبالنسبة لقراءتي لأعمال الكاتب ألكسندر دوماس بالفرنسية فقد أبهجتني كثيرًا. وكان هناك ثلاثة من أهم الروايات التي اعشقها له وهي علي التوالي: الفرسان الثلاثة -بعد عشرين عامًا- دي مونت كريستو. وكانت المفضلة لي هي المجلد الأول وكانت القصة كلها مبهجة وشيقة. كما كان لي علاقة رومانسية أيضًا مع موريس هيوليت. كما أن روايات أحباء الغابة كانت من الروايات التاريخية الجيدة.

وكانت أُمي لها أفكار فجائية. أتذكر يومًا ما عندما كنت اقتطف ما تسقطه الريح من ثمر من شجرة التفاح أنها وصلت من المنزل سريعًا وقالت: "سوف نذهب إلى إكستير"

قلت بدهشة "نذهب إلى إكستير لماذا؟

وردت قائلة "لأن السيد هنري إيرفينج يعزف هناك وربما لا يعيش طويلاً ويجب أن نراه وما زال لدينا وقت لنلحق بالقطار فقد حجزت غرفة في الفندق" فذهبنا إلى إكستير وكان في الواقع أداءه رائعاً والذي لن أنساه أبداً.

كما كان المسرح جزءاً منتظماً في حياتي. فعندما كنا في ايلينج، اعتادت جراني أن تأخذني إلى المسرح مرة بالأسبوع على الأقل وأحياناً مرتين. فقد ذهبنا إلى حضور جميع المسرحيات الكوميديّة. وفي ايلينج لحسن الحظ كان البيانو في غرفة الرسم ولذلك فلم أزعج أي شخص بعزف البيانو لساعات طويلة.

وكانت غرفة الرسم في ايلينج رائعة. فلم يكن بها أي مساحة للتحرك، وكانت تحتوي على سجادة رائعة من الطراز التركي على الأرض ومجموعة من الكراسي، كما كان بها اثنان أو ثلاثة من الخزائن ومصابيح من الزيت وبعض المناضد وبعض من الأثاث الفرنسي الملكي. وكان الضوء القادم من النافذة يحجبه مستنبت زجاجي من الطراز الفيكتوري. وكانت الغرفة باردة جداً والمدفأة تشعل عندما يكون هناك حفلة فقط ولم يكن هناك العديد من الأشخاص يرتادونها. وكنت ادخل إلى الغرفة واجعل البيانو في وضع الاستعداد ثم أبدأ في العزف وكنت اعزف وقتها مقاطع موسيقية "بلد البنات" وأحياناً أخصص أدواراً للفتيات وأحياناً كنت اغني بنفسي.

وقد اعتدت أن أعزف هذه المقطوعات في المساء في اشيفلد في غرفة المدرسة. كنت اعزف واغني وكانت أمي تذهب إلى الفراش مبكراً لتنام بعد الثامنة مساءً بعد تناول العشاء. وكنت أظل اعزف حتى وقت متأخر من الليل حتى تستيقظ أمي على صوتي الذي لم تعد تتحمله وكانت تأخذ عموداً طويلاً لتدفع به النافذة أعلى وأسفل. وتظل هكذا حتى اترك البيانو واقلع عن العزف.

كما قمت أيضاً بتأليف قطعة موسيقية اوبرالية تسمى مارجوري، ولكن لم أقم بتأليفها كلية ولكني كنت أغنيها في الحديقة. وكان لدي بعض الأفكار الغامضة

بقدرتي على تأليف الموسيقى يومًا ما. فلا يمكنني تذكر القصة كلها ولكنها كانت بأكملها مأساوية. كان هناك شابًا صغيرًا وسيماً ذو صوت رقيق رائع قد أحب فتاة تدعى مارجوري والتي لم تبادله الحب. وفي النهاية تزوج من فتاة أخرى ولكن في اليوم التالي لزوجاه وصله خطاب من مارجوري من مدينة بعيدة تقول إنها تموت وأنها أدركت أخيرًا أنها كانت تحبه. وترك عروسه واندفع إليها، ولم تكن ميتة تمامًا عندما وصل إليها فقد كانت ما تزال حية وقد رفعت نفسها وبدأت تغني أغنية رائعة للحب والموت معًا. وأتى والد العروس وهو منزعج لابنته المهجورة ولكنه تأثر بمنظر حزن الأحباب وضم صوته إلى صوتهما في الغناء وكانت واحدة من الثلاثية الشهيرة التي كتبت للأوبرا.

كما كان لدي شعورًا أيضًا بأن اكتب رواية تدعى اجاني. وأتذكر أن هذه الرواية كانت بها البطلة لها أربعة من الأخوات وهن: البطلة وهي الأخت الكبرى ذات شعر ذهبي اللون وجميلة وبعد ذلك أختين توأمين سمراوات اللون وأخيرًا اجاني التي كانت خجولة. ولكني نسيت الكثير من أحداثها الآن وما يمكنني تذكره هو أن قيمة اجاني الحقيقية واحترامها تم تقديره من قبل رجل رائع ذو شارب اسود اللون والذي أحبته كثيرًا في سرية لسنوات عديدة.

ومن أهم أفكار أُمي المفاجئة هو أنني لم اخذ قسطًا وافيًا من التعليم وأنه كان من الأفضل لي أن أتعلم بصورة أفضل من ذلك. وكان هناك مدرسة للفتيات في توركاوي تملكها الأنسة جاير ورتبت أُمي الأمر كي اذهب إلى هذه المدرسة مرتين أسبوعيًا وأن أدرس مواد معينة. اعتقد أن إحدى هذه المواد كانت الحساب والأخرى هي النحو والقواعد. كما استمتعت كثيرًا بالحساب وبدأت أيضًا في دراسة الجبر. أما القواعد فلم افهمها مطلقًا. ولم اعرف لماذا هناك أشياء معينة تسمى حروف الجر أو الأفعال وكل هذه الأشياء كانت غريبة بالنسبة لي كلغة أجنبية، وكنت أنتقد دائمًا بشدة. كما أتذكر فصل الخريف بالتحديد مع الأوراق الذهبية والبنية اللون التي كانت تتساقط من الأشجار وذات مرة في إحدى الغابات تقابلت

مع شخص ما يحاول جمع البلوط في الغابة. وكان هناك العديد من الحفلات والمغامرات التي كان يقوم بها هذا الشخص مع أصدقائه.

وفي مخيلتي واحدة من المعلومات ولكن لا يمكنني تذكر أسمها. كانت قصيرة القامة وأتذكر في أحد الأيام في حصص الحساب انفجرت في الحديث عن الحياة والعقيدة حيث قالت: "إن جميعكم -لابد أن يأتي عليه يومًا يواجه فيه اليأس. وإذا لم تواجهي اليأس أبدًا فلن تصبحي مسيحية أو لن تعرفي أي شيء عن الحياة المسيحية. حتى تكوني مسيحية لابد أن تواجهي وتقبلي الحياة التي عاشها وواجهها المسيح. ولابد أن تتمتع بالأشياء كما تمتع هو بها. وأن تكوني سعيدة كما كان. وأن تعرفي السلام والسعادة التي عرفها هو مع ألاب وإرادة ألاب. ولكن يجب أيضًا أن تعرفي كما عرف هو ماذا يعني أن تكوني وحيدة في **بستان جثسيماني**. وأن تشعرين بأن جميع أصدقائك قد هجروك. وأن هؤلاء الذين أحببتهم ووثقت بهم قد تركوك وحيدة وبعثوا عنك. وأن إله نفسه قد تركك. وأن تعرفي وتعتقدي أن هذه ليست النهاية. فإذا أحببت سوف تعاني. وإذا لم تحبي لن تعرفي معنى الحياة المسيحية".

ثم انتقلت إلى الحديث عن أشياء أخرى ولكن من الغريب أن كلماتها القليلة هذه كانت بالنسبة لي أكثر من عظة وبقيت معي وتذكرتها بعد سنوات عديدة، وقد أمدتني بأمل في وقت قد يُست فيه كثيرًا. فكانت شخصية ديناميكية ومعلمة جيدة وأتمنى أن أظل أتعلم منها الكثير والكثير.

وأحيانًا أتعجب ماذا كان يحدث إذا استمررت في تعليبي. كنت قد تقدمت وبالتحديد في الرياضيات وهي المادة التي سحرتني كثيرًا. فكان من الممكن أن تكون حياتي مختلفة تمامًا وكان من الممكن أن أكون معلمة رياضيات ماهرة واحي حياة سعيدة. ولكن ما كتبت أي كتب، حيث أن الرياضيات والموسيقى كانوا كافيين لإسعادي.

وأحيانًا يأتيك الخيال فتقول لنفسك "إذا كان حدث هذا وذاك، فكنت قد فعلت كذا وكذا" وإذا تزوجت من كذا، فكان من الممكن أن أعيش حياة مختلفة

كلية. يكون لديك نموذجًا في الحياة لتعيشه وأنت تتبعه-فإذا أتبعته ستعرف حياة الانسجام والراحة.

ولا اعتقد أنني كنت في مدرسة الأنسة جاير لأكثر من عام ونصف، وبعد هذا كان لأمي فكرة أخرى. فقد أوضحت لي بأفكارها الفجائية أن علي أن أذهب إلى باريس. وأنها ستترك اشيفلد في الشتاء وأني لابد أن ابدأ في المنحة الدراسية مثل أختي وأنها واثقة أنني سأحبها.

وسار كل شيء وفقًا لترتيبات أُمي. فقد كانت دائمًا تنفذ خططًا بمهارة وكفاءة وكان الجميع يخضع لإرادتها. وقد أعددتنا أنا وأمي كل شيء وحزمنا أمتعتنا واستقرينا في فندق في باريس.

وقد تتابعت على أُمي العديد من الخطابات عن المدارس والمعلمين من جميع النواحي. وقد اقترحت علي تجربة بعض المعلمين هناك وتغيير المدرسة. إن تغيير المدرسة بالنسبة لأُمي كان يشبه تغيير أي مطعم جديد في هذه الأيام. فإذا نظرت إلى مطعم من الداخل لا يمكنك معرفته جيدًا فيجب أن تجربه أولاً وإذا لم تحبه يكون من الأفضل أن تغادره إلى تجربة جديدة.

وبدأت مع المعلمة مداموزيل وبقيت هناك لحوالي شهرين حتى نهاية الفصل الدراسي. وكنت في الخامسة عشر. وكانت أختي متميزة من بين الفتيات في أنها كانت تحب القفز من النافذة. ولذلك تعجبت مداموزيل بقولها ما هؤلاء الفتيات الانجليزيات! وكانت متعجبة من تصرفاتهن.

وفي اليوم الثالث كنت محبطة وأشعر بالحنين إلى الوطن. وفي السنوات الأربعة الأخيرة أو الخمسة كنت متعلقة بأُمي لدرجة أنني في المرة الأولى التي غادرت فيها منزلي كنت اشعر بالحنين. وكان الشيء الغريب هو أنني لم اعرف ماذا بي. فلم تكن لدي الرغبة في تناول الطعام. وطوال الوقت كنت أفكر في أُمي وأبكي والدموع تنهمر على خدودي. وأتذكر أنني مرة نظرت إلى إحدى البلوزات التي صممها أُمي ولم

تكن ملائمة لي وهذا ما جعلني أبكي أكثر. وقد نجحت في إخفاء تلك المشاعر وكنت ابكي فقط في المساء على وسادتي. وعندما أتت أُمِّي لتحضرني الأحد التالي قمت بتحيتها كالمعتاد ولكن عندما عدنا إلى الفندق انفجرت في البكاء ووضعت أذري حول رقبتها. فأنا سعيدة لأنني لم اطلب منها أن تأخذني بعيداً، فأنا اعرف جيداً أنني كان علي أن أتوقف هناك. بالإضافة إلى أنه مجرد رؤيتي لأُمِّي جعلتني اشعر أنني لن أعاني من الحنين للرجوع إلى الوطن مرة أخرى، وقد عرفت في هذه المرة ماذا اشعر به.

ولم يكن لدي تكرار في الشعور بالغربة. في الواقع، كنت استمتع بأيام مع مداموزيل. كان هناك فتيات فرنسيات وأمريكيات والعديد من الاسبانيات والايطاليات والقليل من الانجليزيات. وقد أحببت صحبة الفتيات الأمريكيات فلديهن طريقة شيقة للحديث وتذكرتي بأصدقائي.

وأعتقد أنه من الطبيعي بدرجة كافية في ظل تلك الظروف أن أكون على هذا المستوى. وقد اعتدت أن أتحدث الفرنسية كما اسمعها وكنت أتهجأها بالصدفة. وفي بعض المواد الفرنسية منها الأدب وغيره كنت في القمة، أما في القواعد الفرنسية والهجاء كنت في القاع. وهذا ما جعلني اشعر بالخجل من معلمتي في الفصل. كما تعلمنا أيضاً أسماء الأشهر خلال الثورة الفرنسية. وقد تعجبت المعلمة المسئولة من أخطائي في الإملاء بالفرنسية لدرجة أنها لم تكن تصدقها.

وكانت تعلمني دروس البيانو معلمة كبيرة تدعي مدام ليجراند. وكانت طريقتها المفضلة لتعليم البيانو هو العزف مع الطلبة. وقد أصرت أن الطلاب الذين يعزفون البيانو يجب أن يقرؤوا الموسيقى. ولم أكن سيئة في قراءة الموسيقى. وقد جلسنا معاً على المقعد المخصص لعزف البيانو وبدأت تدربي على العزف. وكانت تعزف باستخدام مرفقيها في التحريك.

وقد نجحت في عزف الكثير من المقطوعات. وقد استطاعت مدام ليجراند عمل هذا لأنها كانت تتمتع بأدائها الشخصي في الموسيقى. وقد حاولت أن اعزف

مثل هذه النوتات الموسيقية. وكانت معلمتي أثناء العزف ترفع يداها إلى أعلى في الهواء وتتعجب. وكنا نبدأ مرة أخرى وكانت تلاحظ فقداني للتنسيق. وكانت مدام ليجراند تصدر أصوات عالية أثناء العزف وكانت ساحرة.

وكان هناك حفلة موسيقية تقام في أواخر الفصل الدراسي وكان من أهم خطط الجدول أن اعزف مقطعتين موسيقيتين، الأولى **لبيتهوفن** والأخرى تدعى **سيرينيد دراجونا**. وقد وجدت صعوبة غير عادية في عزفها. ولا اعرف لماذا. وكانت هذه القطعة أسهل من قطعة بيتهوفن بالتأكيد. وبالرغم من أن أدائي في مقطوعة بيتهوفن كان جيدًا، إلا أن عزفي في سيرينيد دراجونا كان ضعيف. وقد تدرت كثيرًا عليها وأصبحت أكثر عصبية، حيث كنت استيقظ في الليل وأفكر أنني اعزف وكان يحدث لي جميع الهواجس والأفكار. إن نوتات البيانو كانت تلتصق ببعضها وكنت أفكر بأنني اعزف على آلة الأرغن وليس على البيانو أو كنت أتأخر في الوصول أو أن تحدث الحفلة الموسيقية الليلة السابقة. ويبدو جميع هذا سخيًا عندما يتذكره المرء.

وقبل إقامة الحفل الموسيقي بيومين كنت أعاني من حمى شديدة. ولم يجد الطبيب أي سبب لهذه الحمى. ومع هذا فقد ذكر أنني سأكون في حالة أفضل بكثير إذا لم أحضر الحفل الموسيقي. ويكون أيضًا من الأفضل أن أغادر المدرسة ليومين أو ثلاثة حتى تنتهي الحفلة الموسيقية. ولا يمكنني إخبارك كم كانت سعادتي وقتها بالرغم من أنه في الوقت نفسه انتابني شعورًا لشخص فشل في أداء شيء ما طلب منه انجازه.

وأذكر الآن أنني في إحدى اختبارات الرياضيات في مدرسة الآنسة جاير كنت قد حققت نتيجة سيئة بالرغم من أنني كنت في قمة الفصل في البداية. ولكن عندما قرأت الأسئلة في الاختبار أغلق عقلي ولم أكن قادرة على التفكير. وهناك الكثير من الأشخاص الذين بإمكانهم أن يجتازوا الاختبارات ويحصلون على أعلى

الدرجات بعد أن يكونوا في مستوى منخفض في الفصل الدراسي. كما أن هناك بعض الأشخاص الذين يؤدون أمام الجمهور أفضل مما يكونون مع أنفسهم وهناك أشخاص أيضًا العكس. ومن الواضح أنني اخترت المهنة الصحيحة، ولكن الشيء المقدس عن كونك مؤلفًا هو أنك تقوم بالكتابة سرًا وفي وقتك المناسب لك والذي يسمح. فهذه المهنة يمكن أن تقلقك أو تزعجك أو تسبب لك صدامًا ويمكنك أن تذهب لترتب خططك ثانية بالطريقة المناسبة لك ولكن ليس عليك أن تقف وتصنع من نفسك مهرجًا أمام الآخرين.

وأحاول أن أرى الآن إذا كنت استطيع عزف مقطوعة سيرينيد دراجونا. فبالأكيد قد عزفتها أفضل مما كنت عليه من قبل. واستمررت في تعلم باقي مقطوعة بيتهوفن مع مدام ليجراند التي كانت ما تزال لطيفة معي ومشجعة لي وقالت أن لي حاسة جيدة للموسيقى.

كان الشتاءين والصيف الذين قضيتهما في باريس من أكثر الأيام سعادة في حياتي كلها. فجميع الأشياء الجميلة حدثت لي في تلك الفترة، فقد كان هناك بعض من صديقات جدي الأمريكيات وكان لهن ابنة تغني غناء اوبرالي. وقد ذهبت لأسمعها هناك على أنها **مارجريت في فاوست**. وأنا لم أفهم أبدًا في باريس لماذا كانت مارجريت فجأة في سجنها. فكنت أتساءل هل سرقت المجوهرات؟ بالتأكيد فإنني لم أمر في حياتي بتجربة الحمل ووفاة الجنين أبدًا.

وكنا نذهب إلى الأوبرا الكوميدية. وكان هناك العديد من المسرحيات الكوميدية منها: لافيباوهيم- كارمن- ورثر- ثايس التي كنا نحضرها، ولكن كانت ورثر هي المفضلة بالنسبة لي.

وأخذني أمي بعد ذلك إلى العديد من الخياطين وبدأت اقدر الملابس للمرة الأولى. وكان لدي فستانًا للمساء رمادي اللون والذي كان يملأني فرحة. وكنت حزينة وقتها لأنه لم يكن لي صدر كبير وكان علي أن أضع الكثير من الكشاكيش على صدر

الفيستان. ولكنني كنت آملة أنني يومًا ما سوف يكون لي صدرًا نسائيًا مستديرًا وجميلًا. كما كانت هذه النظرة المستقبلية جميلة ومتفائلة لنا. فأنا الآن أتخيل نفسي امرأة في الخامسة والثلاثين ولي صدر كبير مستدير.

ومن خلال العديد من الاستعدادات التي قامت أُمي بعملها دخلنا إلى المجتمع الفرنسي. وكان من المقبول لأبناء الفرنسيين من الذكور أن يتزوجوا الفتيات الأمريكيات الأثرياء. وبالرغم من أنني كنت بعيدة كل البعد عن الثراء فإن أبي كان معروفًا بأنه أمريكي وكان من المفترض أن جميع الأمريكيين لديهم بعض من الأموال. فقد كان مجتمعًا فضوليًا محتشمًا. وكان الفرنسيين الرجال الذين قابلتهم مهذبين. ومع هذا فقد تعلمت الأسلوب والعبارات الفرنسية التي تتسم بالأدب. كما تعلمت أيضًا الرقص مع شخص يدعي السيد واشنطن لوب. كما تعلمت استخدامات عديدة للمجتمع العالمي. "افترض الآن أنك ستجلس بالقرب من سيدة عجوز فكيف تجلس؟" فكننت انظر إلى السيد واشنطن لوب وأقول "يجب أن اجلس".

وكان لديه بعض المقاعد وكان يريد مني أن أوضح له كيف اجلس. وقد جلست على إحدى المقاعد وأحاول أن اخفي ساقى بقدر الإمكان تحت الكرسي.

"لا لا هذا مستحيل، إن هذا ليس جيد" قال السيد واشنطن لوب "فأنت تستديري ببطء لمسافة قصيرة وأثناء جلوسك تتكئ قليلاً إلى اليمين حتى تثني ركبتيك اليسرى قليلاً كما تكون انحناءة قليلة وأنت تجلسين" ولذلك كان علي أن أتدرب على هذا كثيرًا من المرات.

إن الأشياء الوحيدة التي كنت اكرهاها فعلاً هي دروس الرسم. وكانت أُمي معنية بهذا الشأن فقد كانت تقول لي: "إن الفتيات لابد أن يكونوا قادرين على الرسم بألوان الماء".

ولذلك فقد كان يتم استدعائي مرتين أسبوعياً لتلقي حصص الرسم من معلمة شابة (حيث أن الفتيات كانوا لا يذهبون وحدهم في باريس) ويتم نقلي بالمترو

أو الأتوبيس إلى مكان يقرب من محلات الزهور. والتحق هناك بفصل من فصول الفتيات الصغيرات ويرسمون زهور البنفسج في كاسات زجاجية مليئة بالماء. وكان هناك أصوات عالية عندما تدخل المعلمة وهي تقول لي: "أولاً يجب أن تبدئي بالظلال: ألا تري؟ هنا وهنا وهنا في كل مكان يجب أن تبدئي بالظلال".

ولكني لم أرى أبداً الظلال، فكل ما أراه هو بعض من زهور البنفسج في كأس بها ماء. وكانت الزهور البنفسجية لونها بنفسجي زاهي ويمكنني أن أوفق اللون البنفسجي الزاهي في كأس التلوين وارسم زهور البنفسج باللون البنفسجي الزاهي. وكنت أوافق تماماً أن النتيجة لن تكون مجموعة من زهور البنفسج مع بعضها داخل كأس زجاجية من الماء ولكن النتيجة كانت تعطي شيء آخر. وكان يوماً ما لكي اشعر بالراحة واخرج من الاكتئاب والشعور بالضيق من دروس الرسم قمت برسم أرجل المنضدة وكروسي غريب والذي أبهجن كثيراً ولكنه لم يعجب معلمتي.

وبالرغم من أنني قابلت العديد من الرجال الفرنسيين الساحرين، إلا أنه من الغريب أنني لم أقع في حب أي منهم. بيد أنني أخفيت أحاسيسي نحو موظف الاستقبال في الفندق وهو يدعي السيد ستريل. وكان رجل طويل ورفيع ذو شعر أشقر ذهبي. وحقيقة لم يمكنني فهم ما أعجبني فيه. ولم يكن لدي أبداً الشجاعة للتحدث إليه، بالرغم من أنه كان يقول لي أحياناً: "صباح الخير يا آنسة" أثناء مروري من الصالة. وكان من الصعب أن يكون لديك بعض التخيلات نحو السيد ستريل. وقد تخيلت نفسي أحياناً وأنا أمرضه ولكني كنت أبذل الكثير من الجهد للحفاظ على هذا التخیل. وبينما يأخذ نفسه كان يهمس "آنسة أنا دائماً أعجب بك في الأيام التي قضيناها معاً في الفندق" ولكن عندما كنت ألاحظه وهو يكتب خلف المقعد اليوم التالي وهو في مكان عمله في الفندق فكان يبدو لي أنه من الصعب أن يقول مثل هذا الكلام حتى ولو كان على فراش الموت.

وقضينا أعياد الفصح في العديد من الأماكن المتنوعة ثم أعلنت أمني بتوقعاتها المفاجئة دائماً أنني لا يجب أن أعود إلي مداموزيل. وقالت:

"لا اعتقد أنك يجب أن تعودني إلى هذا المكان، فلا يوجد هناك تدریسًا شيقًا، سأعود إلى انجلترا وقد رتبت أنك سوف تعودين إلى مدرسة آنسة هوج.

ولا أتذكر وقتها شعوري بأي شيء أكثر من المفاجأة الكبرى التي أدهشتني. فقد استمتعت في هذه المدرسة ولكني لا أريد أن أعود ثانية إليها. وفي الواقع فإنه من الشيق أن تذهب إلى مكان جديد. ولا اعتقد وقتها أن هذا التصرف كان من الحماسة مني أم من اللطف والأدب- وأنا أحب بالطبع أن يكون الأخير-ولكني كنت دائمًا أعد نفسي لأحب الشيء التالي.

ولذلك ذهبت إلى لامارونيير وهي مدرسة جيدة ولكنها كانت انجليزية بحتة. وقد استمتعت بها ولكني وجدتها مملة. وكان بها معلمة للموسيقى جيدة ولكنها لم تكن ممتعة لي مثل مدام ليجراند. ولأن الجميع كان يتحدث الانجليزية طوال الوقت، فلم يتعلم أي شخص بها الفرنسية إلا قلة.

ولم يكن هناك تشجيع للأنشطة في المدرسة، ولذلك فأخيرًا استطعت أن أحرر نفسي من حضور دروس الرسم والتلوين. وكان الشيء الوحيد الذي كنت افتقده هو المرور بجوار محل الزهور الذي كان بالفعل مثل الجنة. ولم يكن من المفاجئ لي في نهاية موسم الصيف عندما أخبرتني أمي أنني لن أعود إلى لامارونيير. فقد كان لديها فكرة جديدة لتعليمي.

كان لدى طبيب جراني وهو دكتور بيرود زوجة أخ لديها مؤسسة للتعامل مع الفتيات في باريس. وكانت تأخذ فقط الفتيات في أعمار من اثني عشر إلى خمسة عشر وكانوا جميعاً يدرسون الموسيقى أو يحصلون على دورات تعليمية في معهد موسيقي الكونسيرفاتوار أو السوربون. فسألتي أمي: كيف أحببت هذه الفكرة؟ فقلت إنني أرحب بالأفكار الجديدة. في الواقع فقد كان لي شعاعاً يقول "جرب أي شيء مرة واحدة" ولذلك ففي الخريف ذهبت إلى مؤسسة الأنسة دريدن.

وفي مؤسسة الأنسة دريدن شعرت أن ما نقوم بعمله شيق بالفعل. وكانت الأنسة دريدن ذات شعر أبيض وانف حمراء وكانت تمسحها بعنف عندما تكون في حالة غضب. وكان لها أسلوب جاف مزعج. وكانت المساعدة لها مدام بيتي الفرنسية. وكانت سيدة فرنسية عاطفية.

وكنا نشبه كما لو كنا نعيش أسرة واحدة ولكن كان هناك موقفاً صارماً يتم أخذه تجاه دراستنا. وكان هناك تأكيداً على الموسيقى ولكن كان لدينا الكثير من الفصول الشيقة في كل المجالات. وكان لدينا أشخاصاً من المدرسة الفرنسية الكوميديّة وأيضاً مغنيين من الكونسيرفاتوار الذين قاموا بغناء الكثير. وكان لدينا فصلاً للدراما. وكانت أخطائي الإملائية بسيطة غير ملحوظة وكنت أتحدث الفرنسية أفضل من الكثيرات من زميلاتي.

واعتقد أننا جميعاً تمتعنا في فصل الدراما. وكنا نذهب إلى المسرحيات الكوميديّة الفرنسية ونرى الدراما الكلاسيكية والعديد من المسرحيات الحديثة. ورأيت مسرحية سارة برنار والتي كانت فيها أحد أهم أدوارها الأخيرة. وكانت البطلة عجوز ذات صوت رائع وكانت أيضاً ممثلة عظيمة تجذبك بإحساسها. وكانت أيضاً من أهم المسرحيات الأكثر إثارة من هذه مسرحية ريجان. والتي رأيته في مسرحية

حديثاً، وكان لها قابلية على أن تجعلك تشعر بطريقة صعبة. ويمكنني أن اسمع الآن صوتها إذا جلست دقيقة واحدة أو دقيقتين مغلقة عيني وأرى وجهها في الكلمات الأخيرة من المسرحية " Pour sauver ma fille, j'ai tué ma mère, " قبل إسدال الستار.

وكان يبدو لي أن التدريس يمكن أيضاً أن يكون مرضياً إذا أيقظ بعض الاستجابة بداخلي. إن المعلومات المجردة ليست جيدة فهي لا تضيف إليك شيئاً أكثر مما تعرفه من قبل. وشعرت أن هناك عالماً جديداً فتح أمامي عالم أكون فيه قادرة على الحياة للأبد.

وكانت دراستي الواقعية بالفعل هي الموسيقى والغناء والبيانو. ودرست البيانو مع معلم نمساوي يدعي تشارلز فورستر كان يأتي إلى لندن. وكان معلماً جيداً ولكنه مخيفاً. كانت طريقته في التدريس التجول في الغرفة وأنت تعزف. وكان ينظر من النافذة ويشم رائحة زهرة ما ولكن فجأة وأنت تعزف البيانو كان يتفوه بشيء ما ويصرخ بصوت عالي حتى يجذب انتباهك، وكان هذا غريباً ولكن مع الوقت تعودنا عليه. وقد علمت أنني أحسن من خلال طريقته في التدريس وهذا ما جعلني سعيدة. كما تعلمت مقطوعة السوناتا لبيتهوفن. وتدربت بإصرار حوالي سبعة ساعات يومياً. واعتقد أنه كان هناك أمنية داخلية - ولا اعرف أنني سأعطيها الفرصة لكي تأتي إلى الوعي عندي أو الشعور - إنني من الممكن أن أصبح عازفة بيانو ويمكنني العزف في الحفلات الموسيقية. إن هذا يستغرق مني الكثير من الوقت والجهد ولكني علمت أنني أحسن سريعاً.

وبدأت دروسي في الغناء قبل هذه الفترة. وكان معلمي هو الأستاذ بو والمعلمة جين وكانا من المفترض أنهما معلما الغناء في هذا الوقت في باريس. كان بو معلم اوبرالي وعاش في شقة في الدور الخامس العلوي دون مصعد. واعتدت أن أصل إلى الدور الخامس وأنا الهث. وكانت الشقق جميعاً تشبه بعضها لدرجة أنك لا تعرف

عدد الدرجات التي تصعدها ولكنك تعرف أنك أصبحت قريب من شقة السيد يو لوجود ورق الحائط على السلالم. وفي الاستدارة الأخيرة كان هناك علامة من الشحم تشبه رأس الكلب.

عندما وصلت وجهت التحية لي. لماذا في كل مرة الهث من صعود السلم؟ فإن أي شخص في عمري من السهل أن يصل دون إرهاق. إن النفس هو كل شيء" إن النفس يعتمد عليه الغناء كله، فيجب أن تعرفي هذا، وهو يشير إلى شريط القياس الذي كان دائماً في يده ويحسب المسافة بين القياسين ويقول "هذا جيد. لديك صدرًا ممتازًا. فإن كان لديك تمددًا كبيرًا. فلن تعاني من أي هزال أو ضعف. إنه شيء سيء للمطربين أن يكون لديهم هزالًا ولكنك لن تعاني منه. فأثناء تدريبك فإن نفسك يكون ممتاز. وقد سئلت هل تحبي شرائح اللحم البقري؟ فقد كنت مغرمة بها "هذا يعد أفضل طعام لمغني. فلا يمكنك تناول الوجبات الكبيرة ولكني أقول لمغنيين الأوبرا ستتناول في الظهيرة شريحة من لحم البقر ولا تتناول شيء بعده حتى نغني في التاسعة مساءً.

ثم تقدمنا بعد ذلك لحضور درس الغناء. وقد قال إن صوت الغناء كان جيد جدًا وطبيعي وملاحظات الغناء لدي لم تكن سيئة. وفي فترات الراحة كان يتعامل مع ما أطلق عليه "الوجوه الانجليزية والتي ليس لها تعبيرات فهي لا تتحرك. إن الجلد الذي حول الفم لا يتحرك والصوت والكلمات وكل شيء يأتي من خلف منطقة الزور وهذا سيء جدًا. إن اللغة الفرنسية تأتي من أعلى الفم ومن كبرى الأنف. فأنت تتحدثين الفرنسية جيدًا وبطلاقة بالرغم من أنك ليس لديك اللهجة الانجليزية ولكنك لديك لهجة ميدي.

فكرت لدقيقة ثم قلت "ربما لأنني تعلمت الفرنسية من سيدة فرنسية أتت من باو.

ثم قال "حسنًا إن هذا يفسر الموضوع. نعم إنها اللهجة التي تعلمتها، كما قلت فأنت تتحدثين الفرنسية بطلاقة ولكنك تتحدثينها كما لو كانت انجليزية لأنك

تحدثنيها من خلف منطقة الزور لديك فيجب أن تحركي شفاهك. وإن تكون أسنانك قريبة من بعضها البعض وحركي شفاهك"

ثم اخبرني أن امسك بقلم رصاص في جانب في والفظ بقدر الإمكان بينما اغني دون أن ادع القلم يسقط. وكان هذا صعباً في البداية. بعد ذلك تحركت شفاهي لتخرج الكلمات بحرية.

وقد طلبت من معلمي أن يساعدني في أغاني الأوبرا لأنني أحبها جداً. وقال لي: "ما هذا الذي معك؟" وهو ينظر إلى المقطوعة الموسيقية التي كانت معي. ما هذا؟

فقلت إنني لدي نسخة من صوت أعلى.

فصاح غاضباً "ولكن دليلة ليست صوت عالي. ألا تعرفين انك إذا غنيت أغاني هوائية اوبرالية فيجب أن تغنيها من المفتاح الذي كتبت فيه؟ فإذا قمت بما أقوله لك فستتعلمينه جيداً.

لم أجزأ على أن أغني مثل هذا مرة أخرى.

فقد تعلمت كميات كبيرة من الأغاني الفرنسية وقد تناقشت معه لفترة طويلة كيف تعلمت هذا وكيفية نطقي لللاتينية "إن الانجليز ينطقون اللاتينية بالطريقة الايطالية، أما الفرنسيين فلهم طريقتهم الخاصة بهم، ولأنك انجليزية فمن الأفضل أن تنطقها بالاطالية"

كما غنيت أيضاً مجموعة من الأغاني الألمانية. إن هذا لم يكن صعباً وقمت بالغناء بالاطالي وبعد ستة أشهر من التدريب والدراسة سمح لي بأن اغني وكان في الواقع وقتاً سعيداً.

وأحياناً بعد زيارة لمتحف اللوفر، كنا نذهب لنحتسي الشاي في رومبلماير. وكان من أهم الأشياء التي أحبها الكيكات الرائعة بالكريمة التي لا تقارن.

ثم بعد ذلك كنا نذهب للتنمشى في بويز وهو مكان رائع. ويومًا ما تذكرت عندما كنا نذهب للتنمشية أتى رجل من خلف بعض الأشجار- ورأيناه جميعًا ولكننا تصرفنا بطريقة كما لو لم نرى أي أحد حتى الآنسة معلمتنا نفسها في هذا اليوم كأنها لم ترى أحد وأبحرت وحدها وتبعناها. وافترضت أن الرجل الوسيم ذو الشعر الأسود ورابطة العنق الأنيقة هو الذي كان هناك هذا اليوم ليلفت نظر الفتيات ليضيف لهن عن حياتهم في باريس. وأنا أعلم أنه لا واحدة منا فكرت في هذا الحدث ولا أي من الفتيات الأخرى فكنا جميعًا خجولين في هذا الوقت.

وكنا نحضر حفلات عند الآنسة دريدن وفي إحدى المرات كانت واحدة من تلاميذها وهي امرأة أمريكية متزوجة الآن من فرنسي وصلت مع ابنها رودي. وكان ابنها في الواقع فرنسي ولكنه في مظهره كان طالب جامعة أمريكي.

وأعلن بصوته الجميل "لقد أنهيت عملي قبل أن أتى إلى هنا" وقابلنا جميعًا رودي اليوم التالي في مكان نتعلم فيه الترحلق. وتزحلق مع بعض الأصدقاء. وكنت غير محظوظة في هذه الموضوعات. فقد بدأت أن أتعلم فقط. ودخلت في بعض المناقشات مع معلمي في هذه اللعبة.

وهناك شيء ما حدث لي عندما رأيت رودي. وكنا لا نراه إلا في مناسبات قليلة. فكل الحب الرومانسي الذي شعرت به لأشخاص واقعيين أو غير واقعيين أو في الكتب -انتهى في هذا الوقت. فلم يعد لدي القدرة على الغرام أو التضحية من أجل الآخرين. فمنذ ذلك اليوم بدأت في التفكير في الشباب فقط كشباب-علي أنهم مخلوقات مثيرة استمتع برؤيتهم ومن بينهم يومًا ما سأجد زوجًا لي. فلم أقع في حب رودي- منذ ذلك الوقت فإن صورة قديس لندن البطل الأخير الذي رأيته عيناى قد تلاشت. فأنا أود مقابلة أشخاص واقعيين.

وبقيت في مدرسة الآنسة دريدن حوالي ثمانية عشر شهرًا ولم تفكر أمة بعدها في أية خطط تعليمية لي، ربما لأنها لم تسمع أي شيء أثارها. ولكنى اعتقد أنها

عرفت وقتها أنني وجدت ما يرضيني. فكنت أتعلم الأشياء التي تبني نفسها داخلي كنوع من الاهتمام في الحياة.

وهناك أحد أحلامي الخاصة اختفي قبل مغادرتي باريس. كانت آنسة دريدن معنية بأحد الطلاب الذي كان يعزف للبيانو. وكان يعلم مجموعة من الفتيات كنت واحدة منهن. وكنت بطبعي أتعصب، وبمجرد جلوسي على البيانو لأعزف أعزف النوتات خطأ وأجد نفسي في عبث.

ولم يكن أي من الأشخاص أكثر رقة من السيدة لييميرك. تحدثت إلي بعد ذلك وذكرت أنها أدركت كم كنت عصبية وأنا أعزف. وكنت أشعر بالامتنان تجاه كلماتها الرقيقة.

واستمررت في الدراسة وقبل أن أصل البيت سألت المعلم: هل من الممكن يومًا ما من خلال التدريب الجيد أن أصبح عازفة بيانو محترفة؟ وكان حنونًا وأخبرني صراحة أنه يعتقد أنني لست على قدرة للعزف أمام الجمهور وكنت أعلم أن كلامه صحيح. وكنت ممتنة بإخباره الحقيقة لي.

فإذا كان الشيء الذي تسعى ورائه يفوق قدراتك، من الأفضل أن تسعى للأمام وتحاول في أشياء أخرى. وقد ساعدني هذا في المستقبل. فقد علمني أنني ليس لدي موهبة طريقة العرض أمام الجمهور. فيمكنني وصف ذلك بأنه لا يمكنني التحكم في رد فعلي الطبيعي.





الجزء الرابع

مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

(خدعة شائعة من العصر الفيكتوري)



بعد عودتي من باريس أصاب أمي مرض عضال. وكعادة الأطباء تم تشخيصه على أنه التهاب الزائدة الدودية، بارا تيفود، حصى في المرارة. ومرات عديدة كادت على وشك أن تنقل إلى العمليات. لم يفيد العلاج في تحسين حالتها- بل بالعكس كانت تنتكس باستمرار مع اقتراح إجراء العديد من العمليات المختلفة. كانت أمي طبيبة بالهواية فعندما كان أخوها إرنست طالبًا في كلية الطب كانت تساعد بحماسة متقدة لدرجة أنها قد تصبح طبيبة أكثر منه مهارة. وفي نهاية المطاف أضطر إلى الاستغناء عن الفكرة برمتها بحجة انه لا يستطيع تحمل منظر الدماء. في تلك الأثناء كانت أمي قد حصلت تقريبًا على نفس التدريب الذي حصل عليه- ولم يكن لديها مانع لاستقبال الدماء والجروح وغيرها من المناظر التي تأبى العين رؤيتها. فكنت ألاحظ انه في كل مرة نذهب سويًا إلى طبيب الأسنان أجدها تغض الطرف عن طائر الثرثار، وسريعًا ما تمتد يداها إلى المشرط أو المجلة الطبيّة البريطانية إذا وجدتھا على المنضدة.

وفي النهاية عندما ضاقت بالأطباء ذرعًا قالت: "لا أظن أنهم يعرفون-أنا أعرف نفسي-أرى أنه من الأفضل أن نفلت من بين أيادي الأطباء".

لقد حالها الحظ في أن تجد طبيبًا آخر- من يمكنك اعتباره من النوع الطيع- الذي استطاع سريعًا أن ينصح بأشعة الشمس مع الإقامة بمناخ دافئ وجاف. "سنذهب إلى مصر في الشتاء" أخبرتني أمي بذلك.

ومرة أخرى شرعنا في تأجير مسكننا. وكان الحظ حليفنا حيث كانت نفقات السفر منخفضة إلى حد ما في تلك الأيام، ونفقات المعيشة في الخارج التي اشتملت على الإيجار العالي لآشفيلد. كانت **توركاي** في تلك الفترة لا تزال منتجعًا شتويًا. لا أحد يذهب إلى هناك أثناء الصيف. أما عن سكان هذا المكان فكانوا دائمو السفر

هربًا من "الحرارة الشديدة" (لا أستطيع أن أتخيل مقدار هذه الحرارة الشديدة: وفي الوقت الحالي غالبًا ما أجد ديفون الجنوبية شديدة البرودة في فصل الصيف). لقد اعتادوا الصعود إلى الأرض البور واستئجار منازل هناك. لقد فعلها أبي وأمي مرة وأحده، لكنهما وجدا الأرض البور شديدة الحرارة مما جعل أبي يستأجر عربة للكلاب ليعود بها إلى توركاى ليجلس في الحديقة الخاصة به في عصر كل يوم تقريبًا. على أية حال كانت توركاى بعد ذلك تعد شاطئ الريفيرا في إنجلترا، وكانت الإيجارات كبيرة بالنسبة للفيلات المؤثثة هناك أثناء موسم شتاء مليء بالمرح، بالإضافة إلى الحفلات الموسيقية في المساء والمحاضرات والرقصات وغيرها من الأنشطة المجتمعية الأخرى.

والآن أصبحت مستعدة للخروج. كان شعري "للأعلى" والذي كان يعنى في ذلك الوقت أنه مصفف على الأسلوب الإغريقي مع عقد كبيرة من التموجات أعلى مؤخرة الرأس وعصابة للرأس حولها. لقد كان حقًا مظهرًا جذابًا يلاءم حفلة للسهرة. كان شعري طويل جدًا- حيث كان بإمكانني الجلوس عليه بكل سهولة. وكان ذلك يعتبر لسبب أو لآخر مدعاة للفخر بالنسبة للمرأة ومع ذلك كان معناه الحقيقي أن شعرك لا يمكن السيطرة عليه ودائم الانسيابية. ولمواجهة ذلك أبتكر مصففو الشعر ما يعرف بالبوستيك- عقدة مستعارة من الضفائر، حيث يثبت الشعر على الرأس بقدر الإمكان ثم يثبت البوستيك بها.

وكان "الخروج" شيئًا من الأهمية بمكان في حياة أية فتاة. وإذا كنت ميسورة الحال يسمح لك بالرقص. من المفترض أن تختار أحد الفصول في لندن. بالطبع كان هذا الفصل هو الكرنفال التجاري شديد التنظيم كما صار حاله في العشرين أو الثلاثين سنة الأخيرة. كان من تطلبهم للرقص وكذلك من يدعونك لذلك من أصدقائك الشخصيين. كان هناك دائمًا صعوبة طفيفة في استبعاد عدد كافٍ من الرجال، لكن الرقصات كانت في مجملها أمورًا شكلية، بالإضافة إلى الحفلات الخيرية والتي تأخذ معك إليها مجموعة كبيرة.

بالطبع قد لا يكون هناك شيئاً كهذا في حياتي. ذهبت ماج إلى نيويورك حيث حضرت الحفلات والرقصات هناك لكن والدي لم يستطع توفير المال لها لقضاء موسم لندنى. وبالطبع لم يكن هناك مجالاً بالنسبة لي للاستمتاع لمقابلة أحد الشباب، لكن أمي كانت حريصة على أن أحصل على ما كان يعتبر حق ولادة للبنات الصغيرة بمعنى آخر أنها يَجِبُ أَنْ تظهرَ مثل الفراشة مِنْ تلميذة مدرسة إلى شابة تقابل غيرها من البنات والعديد من الشبان. ولأكون صريحة-إعطائها الفرصة لأن تجد الشريك المناسب.

الجميع يسعون للتقرب إلى الفتيات يدعونهن إلى الحفلات المنزلية ويرتّبوا أمسيات المسرح اللطيفة لهن. بإمكانك الوثوق بأصدقائك عند التجول. لم يحدث أن مس شيئاً ما النظام الفرنسي في حماية الفتيات والسماح لهن فقط بمقابلة مجموعة قليلة مختارة من الأشخاص ممن قد يكونوا أزواجاً مناسبين في المستقبل، بعد أن ارتكبوا الحماقات وأقلعوا عن كل ما يشين فترة شبابهم، هؤلاء الذين لديهم من المال والأموال ما يسمح بالإنفاق على شريكة الحياة. كان هذا النظام كما أعتقد نظاماً جيداً حيث نتج عنه بالتأكيد نسبة لا بأس بها من الزيجات السعيدة. وكان الاعتقاد الانجليزي القائل بأن الفتيات الفرنسيات يجبرن على الزواج من كبار السن الأغنياء غير صحيح بالمرة. كان من حق الفتاة الفرنسية الاختيار لكنه كان بالطبع اختياراً محدوداً. كان محرم على الشاب اللاهي ذا الحياة البرية وذاك الشاب الوسيم ممن تكون لهما الأفضلية بالنسبة لها بدون شك مجرد التفكير في الاقتراب منها.

لكن في إنجلترا كان الأمر مختلفاً. حيث كانت الفتيات تخرج إلى الحفلات الراقصة ويقابلن مختلف الشباب. أمهاتهن كُنَّ هناك أيضاً يجلسُن متعبات كوصيفات، ولكن كُنَّ عاجزات عن فعل شيء. بالطبع كانت الأسر حذرة إلى حد معقول بشأن الشباب الذين يسمحوا لبناتهم بمقابلتهم لكن لا يزال هناك مجال واسع من الاختيار. واشتهرت الفتيات بتفضيل الشباب غير المرغوب، بل ووصل

الحد إلى الارتباط بهم أو التوصل إلى ما كان يسمى بـ "تفاهم". في الواقع كان هذا التفاهم مفيداً. فعن طريقه تفادى الآباء ما ينتابهم من شعور سيء عند رفض ما اختارته بنتهم. "عزيزتي" إنك لا زلت صغيرة، نحن متأكدين من أن هيو شاب وسيم لكنه أيضاً لا يزال صغيراً ولم يؤسس نفسه بعد. أنا لا أمانع من التفاهم والالتقاء به من حين لآخر لكن بدون خطابات أو خطوبة رسمية. بعدها تعمل الأسر من وراء الكواليس لمحاولة إيجاد شاب مناسب حتى يمكنه سحب السيطرة على عقل الفتاة من الشاب الأول. كان ذلك يحدث دائماً. حيث أن الاعتراض المباشر بالطبع من شأنه أن يجعل الفتاة شديدة التعلق باختيارها الأول، لكن عدم الاعتراض المبدي عليه يقلل بعض الشيء من حدة الموقف. وحيث أن أغلب الفتيات لديهن القدرة على التصرف بعقلانية تجدهم غالباً ما يغيرون رأيهم.

وبالنظر إلى حقيقة واقعنا المالي السيئ، رأت أمي أنه سيكون من الصعب بالنسبة لي دُخول المجتمع بالشروط العادية. كان اختيارها للقاهرة كمكان دافئ ملائم لنقاهتها في اعتقادي لمصلحتي في الأساس بالإضافة إلى كونه اختياراً جيداً. فإنها كما أعتقد رأت أنه مكان ملائم أيضاً بالنسبة لفتاة مثلي للاندماج مع التجمعات العامة، وكان اختيارها موفقاً. كنت فتاة خجولة اجتماعياً ورأت أنها فرصة لأكون أكثر ألفة مع الاختلاط ببعض الشباب وارتياح المراقص كروتين يومي مما يمنحني الخبرة القيمة.

كانت القاهرة من وجهة نظري كفتاة صغيرة حلماً بهيجاً. لقد أمضينا ثلاثة أشهر هناك، وكنت أذهب إلي الرقص خمسة مرات أسبوعياً. أتاحت لي فرصة الذهاب إلى المراقص في كل الفنادق الكبرى. هناك ثلاثة أو أربعة من الأفواج المتمركزة في القاهرة من الأجانب الذين أتوا إلي القاهرة للنزهة أو ضمن قوات الجيش البريطاني، وهناك استمتعت بلعب البولو كل يوم. وكان العيش والنزهة بتكلفة معقولة تمكن من العيش في فندق جيد. مكان ملائم للغاية لكثير من الناس لقضاء فصل الشتاء هناك. كنت خجولة في هذه السن وما زلت خجولة علي نحو ما،

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

ولكنني كنت مولعة بحماس للرقص، وكنت أرقص بشكل جيد. كما أنني أعجبت بالشباب وبحماسهم وسرعان ما وجدت أنهم يبادلوني الإعجاب، إذًا كل شيء علي ما يرام. كنت مجرد فتاة عمرها سبعة عشر عامًا- القاهرة كمدينة لم تكن شيئًا بالنسبة لي، الفتيات بين الثامنة عشر والحادية والعشرين نادرًا ما يفكرون في أي شيء عدا الشباب الصغير، خصوصًا الشباب اليافع الوسيم.

انتهي فن الغزل هذه الأيام. في الماضي كانت الرومانسية وفن الغزل في أوجها. كانت الرومانسية كما يقول الشعراء «نهر متدفق من العطاء» وكان الحب مقدمة جيدة للعاطفة. والرومانسية في هذه السن المبكرة كما أراها الآن جزء مهم من وسائل تعلم شيء من الحياة دون الحاجة إلى دفع ثمن باهظ. بالتأكيد لا أتذكر حالة أي طفل غير شرعي ظهر بين صديقاتي أو أي من أفراد أسرهم. لا، إنني على خطأ، لم تكن كلها قصص جميلة، تذكرت الآن قصة سيئة عن فتاة ذهبت لقضاء عطلة مع صديق أبوها، وكان رجل مسن سيئ السمعة تحرش بها.

قد يكون الدخول في علاقات جنسية صعبًا نظرًا لأن الشباب كانوا يحسنون الظن بالفتيات والرأي العام المضاد كان سيؤثر عليهم وكذلك على الفتيات. كان الرجال يحصلون على متعتهم الجنسية مع نساء متزوجات إلى حد كبير أكبر منهم في السن، أو مع القليل من الأصدقاء في لندن والذي لا يفترض أن يعلم أحدًا عنهم شيء. أتذكر إحدى الحوادث عندما كنت جالسة في إحدى الحفلات المنزلية في أيرلندا فيما بعد، كانت هناك فتاتان أو ثلاثة فتيات أخريات بالإضافة إلى وجود شباب معظمهم من الجنود. وفي صباح يوم ما غادر أحد الجنود فجأة وقال أن هناك تلغراف له من انجلترا وكان ذلك غير صحيح بالمرة. لم يعرف أحد السبب لكنه وثق في فتاة أكبر منه بكثير والتي كان يعرفها جيدًا واعتبرها الأقدر على تقدير ما هو فيه من مأزق. يبدو أنها طلبت منه اصطحاب إحدى الفتيات إلى حفل راقص على مسافة بعيدة بعض الشيء والتي لم يدعى إليه الباقون. أدى مهمته في توصيلها لكن بالكيفية التي اقترحتها الفتاة، حيث يجب أن يتوقفا عند أحد الفنادق ويقوما

بحجز غرفة. "سنصل إلى الحفلة متأخرين نوعًا ما" قالت "لكن لا أحد يلاحظ، لقد وجدت نفسي أفعلها دائمًا". كان الشاب مذعورًا جدًا بعد أن رفض الاقتراح وأحس أنه من المستحيل أن يقابلها ثانية في اليوم التالي ومن ثم مغادرته غير المتوقعة.

"لا أكاد أصدق أذناي، حيث بدت كفتاة جيدة النشأة، حقًا صغيرة أبواها طيبين، ذلك النوع من الفتيات الذي يشعر المرء برغبته في أن تصبح زوجته".

لا تزال تلك أيامٌ عظيمةٌ بالنسبة لنقاوة الفتيات. لا أظن أننا شعرنا بأي قمع. لقد أرضتنا العلاقة الرومانسية، مشبعة بالتأكيد بالجنس أو إمكانيةه. مع ذلك، تعتبر الملاحظة مرحلة أساسية عند الحيوان. الذكر يتبخر ويغازل، أما الأنثى تتظاهر بعدم الانتباه لكنها تكون مسرورة بداخلها. حتى الآن لا يوجد شيء حقيقي، ولكنه دربا من دروب التدريب والتمرن على الصنعة. كان الشعراء المتجولون محقين تمامًا عندما ألفوا أغانيهم عن "الأرض العطاء". بإمكانني أن أقرأ "أوكاسين ونيكوليت" مرارًا وتكرارًا لسحرها وطبيعتها ومصادقيتها.. لم يحدث ثانية بعد انقضاء فترة شبابك أن شعرت بهذا الإحساس: حماس الصداقة مع رجل: ذلك الإحساس بالاتصال والإعجاب بالأشياء ذاتها، وبأن يقول الطرف الثاني ما كنت تفكر فيه بالفعل، بالطبع الجزء الأكبر منه وهم-ولكنه وهم رائع-وأعتقد انه يجب أن يكون له نصيبه في حياة كل امرأة. بعدها يمكنك أن تبتسي لنفسك قائلة: "لقد كنت حقًا صغيرة حمقاء".

ومع ذلك، في القاهرة لم أحصل حتى على أي قدر ولو طفيف من الحب والرومانسية. كان عليّ الكثير لأقوم به، وكان هناك الكثير والعديد من الشبان الذين يتمتعون بالجاذبية والأناقة لكن من حرك قلبي كانوا رجالًا تجاوز عمرهم الأربعين، كانوا يمرحون بالرقص مع طفلة صغيرة مثلي مرة أو مرتين، كان من الممكن في بعض الأحيان تمتد إلى ثلاث. لكن حينها ستكون أعين الشعراء المتجولون مصوبة تجاهك.

كان ارتداء فستان جديد في الليلة الأولى بالقاهرة فرحة كبيرة، كان فستان بلون أخضر فاتح مع قليل من زخارف الدانتيل والحبر الأبيض، كان مصنوعاً علي ذوق الجدات حيث يغطي الصدر تماماً، كان فستاناً رائعاً، ولكن بسبب التخزين سنوات عديدة لم يتمكن من الصمود أمام المناخ المصري، وخلال الرقص تمزقت تنورته وأجزاء من الأكمام والرقبة، وفي اليوم التالي ذهبنا إلي خياط في شرق القاهرة للحصول علي فستان جديد، ولكن اتضح أن صنع فستان في مصر مكلف للغاية، فساتيني التي ابتعتها من لندن كانت أكثر رخصاً بصورة كبيرة.

كان لفساتين السهرة الأوائل بالتأكيد بهجة كبيرة. كَانَ لدي فستان من النسيج الحريري الأخضر الشاحب، برتوش الرباط الصغيرة وفستان حريري بسيط الصنع وفستان آخر رائع مصنوع من التفتة ذات اللون الفيروزي الغامق، والتي أخرجت جراني المادة الخام المصنوع منها من إحدى خزاناتها السرية. لقد كانت قطعة رائعة، لكن وآسفا! نظراً لأنها كانت مخزنة لسنوات عديدة لم تتحمل المناخ في مصر. وفي إحدى الليالي أثناء الرقص انفصلت التنورة فسقطت الأكمام وما حول الرقبة واضطرت إلى أن أجرى مسرعة إلى حمام السيدات.

في اليوم التالي ذهبنا إلى إحدى الخياطات الشرقيات في القاهرة. ثم حصلت على فستان جميل وكان لامع ووردي اللون وكان به فرع من الزهور الوردية على كتف واحد. لقد أردت في الحقيقة فستاناً أسود. جميع الفتيات يرغبن في ارتداء فساتين سوداء في المساء لأنها تجعلهن يظهرن أكثر نضجاً وجمالاً، ولكن جميع الأمهات رفضن السماح لهن بذلك.

كان شاب بسيط يدعى تريلاوني وصديق له كلاهما في سلاح البندقية هما شريكاي الرئيسيان. أحد الرجال الأكبر سنًا النقيب كراك الذي كان مرتبط بفتاة أمريكية لطيفة، أعادني إلى أمي بعد رقص إحدى الليالي وقال: "ها هي ابنتك، لقد تعلمت الرقص. في الحقيقة إنها ترقص ببراعة، الآن عليك أن تحاولي تعليمها الكلام". لقد كان توبيخه مبرراً. فلأسف لا أجيد الحوار.

كنت جميلة الشكل بطبيعة الحال. تضحك عائلتي الآن كلما قلت إنني كنت فتاة جميلة. ابنتي وصديقاتها حاليًا يقولون لي انظري إلى صورك البشعة القديمة. أعتقد بالفعل أن بعض الصور الفوتوغرافية في تلك الفترة كانت سيئة بصورة رهيبة، لكن أعتقد أن رأيهم يرجع بصورة كبيرة إلى الملابس القديمة. كنا نرتدي قبعات وحشية الطراز مصنوعة من الخوص مرتبطة بشريط أسفل الذقن وعلمها زهور ضخمة وحجاب شفاف يخفي جزء من الوجه، وكثيرًا ما كنا نرتدي مثل تلك القبعات في استوديوهات التصوير. كانت لي صورة قديمة التقطت في القاهرة مع إحدى هذه القبعات الكبيرة زرقاء اللون مع زهرة وردية اللون، استدارتها جعلت من ملامح وجهي ملائكية وجذابة، لم تكن قبعة محملة بأشرطة كثيرة وكانت مع فستان مزخرف.

سرعان ما أصبحت مفتونة بلعبة البولو، كنت أذهب لمشاهدتها بعد ظهر كل يوم. حاولت أُمي توسعة ذهني باصطحابي أحيانًا إلى المتحف المصري. واقترحت أن نذهب إلى رحلة علي سطح نهر النيل ومشاهدة آثار الأقصر، لكنني احتججت بشدة وبكيت بالدموع رافضة أن نذهب بعيدًا عن القاهرة في الوقت الحالي، قلت لها إنني لا أستطيع تفويت حفل راقص يوم الاثنين المقبل، ووعدها بمصاحبتها في نزهة إلى سقارة يوم الثلاثاء وهلم جرا. آثار العصور القديمة كانت آخر شيء اهتم برؤيته وأنا سعيدة أنها لم تجذبني في تلك المرحلة العمرية. الأقصر، الكرنك، جمال مصر كانت أمور قد سحرتني بشكل رائع بعد العشرين.

سيكون أمرًا مزعجًا لي أن أشاهد هذه الروائع وقتها بعيون غير مهتمة ومقدرة لقيمتها. من أكبر الأخطاء في الحياة مشاهدة أشياء أو الاستماع إلى أشياء في الوقت غير المناسب. شكسبير أصبح مكروهًا لكثير من الناس بسبب معرفتهم له لأول مرة ضمن المنهج الدراسي. يجب مشاهدة أعمال شكسبير في المكان الذي كتبت من أجله، على المسرح. حينها يمكنك أن تتذوقه صغيرًا قبل أن تستوعب جمال الكلمات والأشعار. لقد قمت باصطحاب حفيدي ماثيو إلى مسرحية ماكبث و"زوجات ونسور

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

المرحات" في ستانفورد عندما كان في الحادية أو الثانية عشر. لقد كان شديد التقدير لكلاهما على الرغم من أن تعليقه كان غير متوقعًا. حيث التفت إلي ونحن خارجان وقال لي بصوت مرهوب: "لولم أكن أعرف مسبقًا أن ذلك كان شكسبير لاستحال علي تصديقه. من الواضح أن ذلك كان تذكية لشكسبير وهو ما فهمته أنا.

بعد أن أتى ماثيو على ماكبث انتقلنا إلى زوجات ونسور المرحات. كان آخر تمثيل لزوجات ونسور المرحات رأيته عام ١٩٦٥ إنتاجه ضعيف لدرجة أنك تشعر أنك سافرت بعيدًا عن شمس الشتاء في متنزه قديم. حتى سلة الغسيل لم تعد مليئة بالملابس القذرة، لقد كانت مجرد رمز مصنوع من ألياف النخيل! لا يستمتع المرء بتمثيل المسرحية الرمزية. لن تحقق حيل مساحيق التمثيليات الصامتة إثارة عاصفة من الضحك طالما وضع المسحوق على الوجه! أو أن تؤخذ قطعة كرتون عليها مسحوق على شكل طيور وينقر عليها "وجنة"- حسنًا-ربما تكون الرمزية موجودة لكن التمثيل الهزلي يفتقر إليها. لقد سقطت زوجات ونسور المرحات من نظر ماثيو.

في اعتقادي لا يوجد شيء مبهم أكثر من تعريف الصغير على أشياء طالما اعتبرناها بديهية. ذهب ماكس معي في جولة بالسيارة حول أبراج لوار القلاع. مرة مع ابنتي روزلن ومرة مع أصدقائها. لقد قام الأصدقاء بقياس جميع القلاع التي رأيناها من خلال معيار واحد فقط تجدهم يدورون بأعين متمرسه قائلين: "كان بإمكانهم الاهتمام بالوسادة هنا، أليس كذلك؟. لم يسبق لي أن فكرت في أبراج لوار القلاع في علاقتها بالوسادة، لكنها كانت أيضًا ملاحظة فطنة. لقد استعان بالفعل ملوك ونبلاء فرنسا القدماء بقلاعهم في الوسادة. والمغزى (بما أنني لم أجد أمامي دائمًا غير الدروس المستفادة طوال حياتي) هو أنك لن تكبر أبدًا على التعلم. فهناك دائمًا الجديد من وجهات النظر توضح لك بشكل فجائي.

يبدو أن ذلك قادني إلى ما أبعد من مصر. كل الأشياء تقود إلى بعضها. ولم لا؟ فهذا الشتاء في مصر لعب دورًا في حل العديد من المشكلات في حياتنا. فقد

وجدت أُمي بعد أن واجهتها صعوبة توفير حياة اجتماعية لابنتها الصغيرة، بالإضافة إلى عدم توافر المال لتحقيق ذلك الحل. حيث تغلبت على مشكلتي. وبلغت عصري "عرفت كيف تتصرف" حيث اختلف أسلوب حياتنا الآن لدرجة يستحيل معها الشرح.

والمشكلة هي أن الفتيات اليوم لا تعلم شيئاً عن فنّ المغازلة. فالمغازلة، كما قلت كان فناً أنشء بعناية من قبل بنات جيلى. لقد كانت معرفتنا بالقواعد بالمقلوب، صحيح أنه في فرنسا لا يمكن أن تترك فتاة شابة وحدها مع شاب، لكن في انجلترا لم يكن الأمر بالطبع كذلك. الفتاة تذهب للتمشية مع رجل، تخرج لركوب الدراجة مع رجل لكنها لا تذهب وحدها للرقص معه: فإما أن تجلس أمها هناك، أو أيا من العجائز المملات أو أن يكتفي بالحفاظ على المظهر العام بأن تجلس امرأة متزوجة شابة في حفلتك. لكن بعد أن التزمتي بالقواعد، وبعد أن رقصتي مع الشاب ثم تخرجي في ضوء القمر أو تتجولي في البستان يمكن أن تقع مواجهة ساحرة بدون تخطى حدود اللباقة في عيون العالم.

كانت إدارة البرنامج الخاص بك من الأمور الصعبة التي لا أجيدها. فمثلاً عندما تكونين في حفلة ما: أ ب ج هم ثلاثة فتيات و: د ه و ثلاث شبان، فإنه عليك الرقص مع كل شاب من هؤلاء مرتان على الأقل، وربما تذهبين لتناول العشاء مع أحدهم ما لم يرغب أحدهما في تجنب ذلك. أما باقي البرنامج فمتاح لكي تنظيّمه كما تشائين. هناك الكثير من الشباب متراصين، وبسرعة تجدين بعضهم يتجه نحوك—هؤلاء ممن لا تحبين رؤيتهم. ثم تبدأ المرحلة الصعبة. قد تحاولي أن تخفي عنهم أنّ برنامجك إلى الآن ليس ممتلئاً على الإطلاق ثم تقولين مترددة أنه بإمكانك استخدام رقم ١٤. والصعوبة تكمن في أنّ تَضْرِبَ الرصيد الصحيح. إن الشباب ممن ترغبين في الرقص معهم موجودون هنا في مكان ما. لكن إن تأخروا في الظهور قد يمتلئ برنامجك. ومن ناحية أخرى إذا حدث أن استطردت في الكذب على الشباب الأوائل سينتهي بك الحال بفرار في برنامجك الذي قد لا يملأه الشباب

المطلوبون. بعدها ستكونين مضطرة إلى البقاء حتى نهاية بعض الرقصات وتكتفين بالمشاهدة. وبالأحزن! عندما يظهر فجأة من كنت تنتظرينه سرًا بعد أن بحث عنك في جميع الأماكن الخاطئة! عليك أن تخبريه بحزن:

"لدى فقط الإضافة الثانية والعدد عشرة.

"فيتذرع قائلاً: "آه. بالتأكيد يمكنك القيام بأكثر من ذلك".

ثم تنظرين إلى برنامجك وتفكرين. إن قطع الرقصات ليس بالفعل اللطيف، وهو مرفوض ليس فقط من المضيفات والأمهات لكن أيضًا من الشباب أنفسهم. الذين أحيانًا يثارون بالمقابل عن طريق قطع الرقصات. قد يحدث عندما تفحصين برنامجك أن تجدي اسم أحد الشباب سبق أن تصرف بطريقة غير لائقة معك، قد تأخر، قد تحدث لوقت أكثر مع فتاة أخرى أثناء العشاء مما تحدث معك. إذا حدث ذلك استبعديه بطريقة لائقة. أحيانًا تضطرين يائسة إلى أن تضحى بشاب لأنه يرقص بطريقة سيئة تشكل معاناة حقيقية لقدماءك. لكنني نادرًا ما وددت فعل ذلك، لأنني كنت رقيقة القلب وبدا لي من القسوة أن أعامل شاب مسكين بهذا السوء وهو الذي يكون متيقن أن أي شخص غيري سيعامله بطريقة سيئة. كان الأمر بمجمله حقًا معقدًا مثل الخطوات عند الرقص. في بعض الأحيان كان متعة كبيرة، لكن في أحيان أخرى كان مجهد للأعصاب. على أي حال تحسنت تصرفاتي بالممارسة.

الذهاب إلي مصر كان من أكثر الأمور المفيدة لي. لا أظن أن هناك شيئًا آخر يمكن أن يساعدني اجتماعيًا علي التخلص من خجلي بهذه السرعة أكثر من هذه الرحلة. كانت ٣ أشهر رائعة بالنسبة لفتاة تعرفت بشكل جيد على الأقل على ٢٠ أو ٣٠ شابًا. ذهبت إلى ما يقرب من ٥٠ إلى ٦٠ حفلة راقص. كنت صغيرة وأستمتع بكل ما أفعله بصورة بعيدة عن الوقوع في الحب مع أي شخص، وكنت محظوظة في هذا. لقد وقعت عيناى على عدد قليل من الضباط برتبة نقيب من المتوسطي

العمر ذوى البشرة البرونزية، لكن أغلبهم كانوا مرتبطين بالفعل بنساء متزوجات جاذبات-زوجات لرجال آخرين-ولا يميلون للفتيات الصغيرات عديمة الطعم. لقد ابتليت بكونت نمساوي شاب شديد الجدية. حيث أعارني اهتمامًا كبيرًا. كنت أتجنبه بقدر الإمكان لكنه كان يتتبعني حتى شاركني في رقصة الفالز. وهذه الرقصة كما سبق أن أشرت من بين أنواع الرقص غير المستحبة لي، وكان رقص الكونت ممتازًا، حيث تضمن في الغالب حركات عكسية بسرعة فائقة. مما أرداني دائخة أخشى السقوط. كانت تعتبر هذه الحركات السريعة غير لطيفة في فصول الأنسة هكى للرقص، لذلك لم أتمرن عليها بشكل كاف.

بعدها يقول الكونت أنه يود أن يسعد بحديث مقتضب مع أمي. وكانت تلك في ظني هي طريقته في إظهار أن نواياه شريفة. بالطبع اضطررت أن أخذه إلى أمي والتي كانت جالسة في مقابل الحائط، صابرة على عقوبة الأمسية- حيث أنها بالنسبة إليها كانت بالطبع عقوبة. جلس الكونت بجوارها وتحدث معها بوقار لحوالي عشرين دقيقة، بعدها عندما عدنا إلى المنزل قالت لي أمي بشكل متقطع:

"ماذا بحق الجحيم جعلك تأتين بهذا النمساوي ليتحدث معي؟ لم أتمكن من التخلص منه". أكدت لها أنني اضطررت لذلك، وأنه أصر على ذلك. 'فقالَت أمي 'أوه حسنًا أجاثا يَجِبُ أَنْ تحاولي أن تتصرفي بطريقة أفضل. "لا يصح أن يؤتى إلي بالشباب للحديث معي. إنهم يفعلون ذلك فقط لكي يعطوا انطباع جيد عنهم." لقد قلت انه شخص مخيف". "إنه حسن المظهر وحسن التربية وراقص جيد". قالت أمي "لكن علي أن أقول أنني وجدته شخصًا مضجرًا".

أغلب أصدقائي كانوا ملازمين أوائل شباب وكانت صداقتنا ممتعة لكن غير جادة. راقبتهم يلعبون البولي، عنفتهم حين لم يحسنوا الأداء وصفقت لهم حين فعلوا، ثم تباهاوا أمامي بأفضل ما عندهم. كنت أجد صعوبة أكثر عند التحدث مع الشباب الأكبر سنًا. لا أذكر الكثير من الأسماء في ذلك الوقت. لكن كان هناك كابتن

الجزء الرابع - مغالطة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

بحري يدعي «كابتن هيبرد» الذي اعتاد دائماً الرقص معي. لقد تفاجأنا عندما قالت لي أمي بدون اكتراث على ظهر المركب عندما كنا نبحر عائدين من القاهرة إلى فينيسيا: "أظن أن كابتن هيبرد يود الزواج منك".

"ماذا؟" أجبت في ارتياح. "لم يتقدم إلي بتاتا أو يقل أي شيء"

"لا، لقد قالها لي" أجابت أمي.

"لك؟" أجبت مندهشة.

"نعم. لقد قال انه يحبك. وأعتقد أنك كنت صغيرة جداً. وربما لا يصح أن يقول ذلك لك".

تساءلت: "وماذا قلت له؟"

قالت "أخبرته أنك لا تبادلينه نفس الشعور. وأنه ليس من الجيد أن يتمادى في الأمر".

صحت غاضبة: "آه يا أمي. قولي أنكى لم تفعل".

نظرت أمي إلي بدهشة وتساءلت: "هل تقصدين انه أعجبك؟" هل فكرت في الزواج منه؟

أجبتها: "لا بالطبع"، "أنا لا أريد الزواج منه مطلقاً. ولست واقعة في حبه. لكنني في الواقع يا أمي أرى أن تسمعي بأن تكون لي عروض الزواج الخاصة بي".

بدت الأم مندهشة. بعدها أقرت بشكل رائع بأنها كانت مخطئة وقالت: "أنت تعلمي أنه مر زمن طويل منذ أن كنت فتاة في عمرك، لكنني أتفهم وجهة نظرك. نعم. يحب المرء أن تقدم له عروض الزواج الخاصة به".

استمر غضبي من هذا الأمر لبعض الوقت، فكنت أود معرفة كيف يكون هذا الشعور.. شعور من يعرض عليه الزواج. كان الكابتن هيبرد حسن المظهر. مسلى

وراقص جيد وميسور الحال. وكان من المحزن أنني لا أستطيع التفكير في الزواج منه. إنني أعتقد كما هو الحال دائمًا، انه إذا لم تنجذبني إلى أحد الشباب ويكون هو منجذب إليك فإنه سريعًا ما يتم إخراجهم من الساحة طبقًا لحقيقة أن الرجال عندما يقعون في الحب يشبهون الخراف المريضة. وإذا حدث أن انجذبت فتاة إلى شاب أعجبها مظهره لكن الأمر لا يهمها تجدها تطرده من تفكيرها، وتلك هي إحدى مظالم الحياة. أما النساء عندما يقعن في الحب يظهرن أجمل بعشر مرات من طبيعتهم: عيونهن تتألق وخدودهن تلمع وشعورهن تتخذ وهجًا من نوع خاص وحديثهن يصبح أكثر لطفًا وأكثر ذكاء. فهذا الذي لم يلاحظهن من الرجال مسبقًا يبدأ في إلقاء نظرة أخرى.

كان هذا هو أول عرض زواج غير مرضي بالمرّة بالنسبة لي. أما الثاني فكان من شاب طوله خمسة أو ستة أقدام. لقد أحببته كثيرًا. وقد كنا أصدقاء. يسعدني أن أقول أنه لم يفكر في طلب يدي من خلال أمي. فقد فاق شعوره ذلك. تمكن أن يعود على نفس المركب الذي كنت على متنها المبحرة من الإسكندرية إلى فينيسيا. شعرت بالأسى لأنني لم أكن أكثر منه إعجابًا. استمر كل منا في إرسال الخطابات للآخر لفترة وجيزة، لكنه بعدها حصل على وظيفة في الهند. إذا قدر لي أن أقابله وأنا أكبر سنًا فربما اهتممت بأمره.

وبينما أنا في خضم عروض الزواج، تعجبت من تقدم الرجال لي وأنا في هذه السن الصغيرة. ولا أخفي سرًا أن بعض عروض الزواج لي ولأصدقائي كانت غير واقعية بالمرّة. ولدي شك في أنني إذا كنت قد قبلت هذه العروض لكان الأمر مفرعًا. ذات مرة تحدثت مع ملازم أول بحري شاب حول هذه النقطة. كنا عائدتين للمنزل من حفلة في توركاوي عندما كشف فجأة عن عرضه للزواج. شكرته وقلت له: "شكرًا". ثم أضفت "ولا أعتقد أنك حقًا تريد ذلك".

"أوه أنا أريد أريد."

"فقلت: " أنا لا أصدق ذلك"، "لقد تعرف كلا منا على الآخر منذ عشرة أيام فقط. على أي حال، أنا لا أفهم لماذا تريد الزواج في هذه السن الصغيرة فقد يضر ذلك بعملك.

"نعم. حسنًا. بالطبع ذلك حقيقي بطريقة ما".

"لذا من السخف أن تتقدم لفتاة بهذا الشكل. يجب أن تطمئن نفسك ما الذي دفعك إلى ذلك؟"

"لقد فكرت فحسب. "أجاب الشاب" كل ما في الأمر أنني نظرت إليك وخطر الأمر ببالي".

أجبتة: "حسنًا"، "من الأفضل أن لا تفعل ذلك مع غيري. عليك أن تكون أكثر حرصًا".

٢

عند وصف حياتي بدأ الأمر كما لو أنني وكل من حولي كنا من ذوى الثراء الفاحش. في أيامنا هذه عليك أن تكون ثريًا حتى تفعل نفس الأشياء. لكن في الواقع جميع أصدقائي تقريبًا من أسر ذات دخل متوسط. أغلب آبائهم لا يمتلكون عربة الخيول أو الخيول ذاتها فهم بالتأكيد لم يعرفوا حتى الآن السيارة الحديثة أو الأوتوماتيكية. لهذا السبب كان عليك أن تكون ثريًا.

في العادة كانت الفتيات لا تمتلك أكثر من ثلاثة فساتين للسهرة والتي تستمر معها لعدة سنوات. أما القبعات فتقومين بصباغتها باستخدام زجاجة لطلاء القبعات في كل موسم. كنا نصل إلى الحفلات على الأقدام. حفلات التنس وحفلات الحدائق لكن بالنسبة لحفلات الرقص كنا بالطبع نقوم بتأجير تاكسي. في توركاوي لم تكن هناك الكثير من الحفلات الراقصة باستثناء أعياد الميلاد أو الفصح. كان الناس يميلون إلى دعوة الضيوف إلى حفلة سباق القوارب الراقصة في أغسطس وبعض الحفلات الراقصة الأخرى الأكثر شعبية في المنازل الكبرى. لقد ذهبت إلى القليل من تلك الحفلات أثناء شهري يونيه ويوليه - ليس الكثير منها لأننا لم نكن نعرف العديد من الأشخاص في لندن. لكن من حين لآخر يذهب الفرد منا إلى حفلات جمع التبرعات - كما كانت تسمى - مكونًا مجموعة من ستة والتي لا تستلزم الكثير من النفقات.

ثم كانت هناك حفلات البيت الريفي. في المرة الأولى ذهبت قلقة إلى بعض الأصدقاء في **وارويك شير**. لقد كانت عائلة **كونستانس والستون باتريك** صيادين كبار، الزوجة لم تكن تصطاد بنفسها: كانت تقود عربة إلى جميع اللقاءات وكنت أذهب معها. كانت أمي تمنعني بشدة من أن أقبل الركوب أو الجولات. ثم أشارت: "أنت في الواقع لا تعلمين الكثير عن الركوب". سيكون من المأسوي إذا حدث أن

ذهبت وجرح الحصان النفيس لأحدهم. ومع ذلك لم يحدث أن عرض علي أحد الركوب.

فقد انحصر ركوبي وصيدي في ديفونشاير، والذي كان يتم على مستوى عالي كالصيد الأيرلندي. كنت أصعد على ظهر حصان من إسطنبول للتأجير والذي كان يستخدمه الركاب غير المهرة. بالطبع الحصان يعرف أكثر مما أعرف، وكنت في منتهى الرضا عندما تركت الأمر في يد **كراودي**، ركوبي المعتادة كان فرس شليك أغبر متشائم والذي استطاع أن يعبر ضفاف الديفون بنجاح. ركبتُ بكل بساطة السرج بشكل جانبي حيث من النادر أن تجد امرأة تركب منفرجة في ذلك الوقت. في الحقيقة يشعرك السرج الجانبي بالأمان وتشبك سيقانك مقابض السرج المستديرة. والمرة الأولى التي حاولت فيها الركوب منفرجة شعرت بخطر أكثر مما تخيلت.

كانت عائلة **رايستون باتريك** شديدة الكرم معي. كانوا يلقبوني بـ "القرنفلية" لأسباب أظنها ترجع إلى أنني كان لدى دائماً ملابس سهرة قرنفلية اللون. كان **روبين** يردد هذا اللقب مراراً وتكراراً كما اعتادت **كونستانس** تقديم النصح الرزين لي مع وميض طفيف في عينها. كان لديهم ابنة صغيرة مبهجة في الثالثة أو الرابعة عند زيارتي الأولى والتي اعتدت أن أقضى وقت كثير في اللعب معها. في بعض الأحيان كنت أحصل أيضاً على ركوب غير رسمي. أذكر يوماً ركضت فيه حول الحقول بصحبة اثنان من أصدقاء **روبين**. بما أن ذلك حدث سريعاً ولم أتمكن حتى من ارتداء لباس الفروسية بل كنت في ملابس العادية لم يصب شعري بأي إجهاد. كنت لا أزال أرتدي مثل ذلك البوستيك المستعار. أما عند الانحدار إلى طريق القرية تبعثر شعري كلياً وسقطت بعض ضفائري على طول الطريق وكنت مضطرة للعودة ماشية حتى ألتقطها. وبشكل غير متوقع أثار ذلك ردود فعل جيدة لصالحي. أخبرني **روبين** بعد ذلك أن أحد كبار مرشدي الصيد في **وارويك شير**. قال له مستحسناً. لطيفة تلك الفتاة التي تجلس عندكم. لقد أعجبتني طريقة تصرفها عندما تساقط كل هذا الشعر المستعار: إنها لم تتردد مطلقاً. عادت أدراجها والتقطتها جميعاً ثم

هدر بالضحك. لقد كانت رياضية جيدة". كانت الأشياء التي تعطى انطباع جيد عند الآخرين غريبة بالفعل.

من بين المباهج الأخرى للبقاء مع آل باتريك كان امتلاكهم لسيارة. لا أستطيع أن أصف لك ما كان يمكن أن يحدثه ذلك من إثارة في عام ١٩٠٩. لقد كانت مصدر السعادة وبمثابة كنز بالنسبة لروبين. وكونها كانت متقلبة المزاج وتتعطل باستمرار زاد من ارتباطه العاطفي بها. أذكر يومًا ذهبنا في نزهة إلى بانبري كان الانطلاق يشبه عملية تجهيز بعثة إلى القطب الشمالي. أخذنا بسطًا كبيرًا من الفرو وأوشحة إضافية للقها حول الرأس ولسال المؤن وهكذا. كنت أنا وبيل أخو كونستانس وروبين من قمنا بالرحلة. ودع الجميع كونستانس التي قبلتنا جميعًا ونصحتنا بالحرص وأخبرتنا بأنه سيكون عندها الكثير من الشوربة الحارة والرفاهية المنزلية التي تنتظرنا عند العودة. يمكنني القول أن بانبري كانت تبعد فقط حوالي خمسة وعشرين ميل عن مكان إقامتهم. لكنها كانت تعامل كما لو كانت في نهاية الأرض.

مضينا سبعة أميال في سعادة وحذر تامين بسرعة خمسة وعشرون ميلًا في الساعة لكن بدون أي مشاكل. وبالرغم من ذلك كانت تلك هي البداية فقط. حيث وصلنا في النهاية إلى بانبري بعد تغيير إحدى العجلات، وحاولنا البحث عن جراج في أي مكان، لكن الجراجات كانت في تلك الأيام قليلة وتباعدها بينها المسافات. في النهاية عدنا إلى المنزل حوالي السابعة مساءً منهكين ومتجمدين حتى النخاع، يقتلنا الجوع بعد أن نفدت جميع المؤن قبل فترة طويلة. لا أزال أذكر تلك الرحلة كواحدة من بين الأيام الأكثر مغامرةً في حياتي. لقد قضيت قدر كبير منها جالسة على ركام بقارعة الطريق في رياح متجمدة أتناقش مع روبين وبيل ودليل التعليمات مفتوح بجانبهما، مع الأطر والعجلات الاحتياطية والروافع وغيرها من القطع الميكانيكية التي كانت لديهم وحتى ذلك الحين لم يكن هناك تعارف شخصي.

ذات يوم ذهبت أنا وأمي إلى ساسكس وتناولنا الغداء مع عائلة السيدة بارتيلوت. كان السيد أنكاتيل أخو السيدة بارتيلوت يتناولُه معنا، وكان لديه سيارة ضخمة وقوية من النوع الذي يبدو في ذاكرتي حوالي ١٠٠ قدم في الطول ومعلقة بالأنابيب الهائلة في جميع الأنحاء من الخارج. كان سائق متحمس وعرض علينا إصالحنا إلى لندن. "لستم مضطرين إلى تحمل وحشية القطارات، سوف أقلكم بنفسي" فكننت في قمة سعادتي. أعارتني السيدة بارتيلوت إحدى قَبَعَاتِ القيادة الجديدة- شيء مسطح بين قبعة التسابق باليخوت وما يرتديه ضابط ألماني من الهيئة الإمبراطورية-والتي تربط من الأسفل بأحجية القيادة. كانت هناك بطاطين إضافية مكدسة حولنا ثم انطلقنا كالرياح. في ذلك الوقت كانت السيارات مكشوفة ولكي تستمتع بها عليك أن تتحلى بالجرأة. ومن الجرأة أيضًا أن يلعب المرء البيانو في حجرات بلا وقود عندما يبلغ الشتاء أوج شدته وهو ما يجعله يعتاد على الرياح الجليدية الباردة.

لم يتقيد السيد أنكاتيل بسرعة العشرين ميل في الساعة والتي كانت سرعة الأمان المعتادة- لكنني أعتقد أننا انطلقنا في شوارع ساسكس بسرعة أربعين أو خمسين ميلًا. وفجأة قفز من مقعد القيادة صائحًا: 'انظروا للوراء! انظروا للوراء! انظروا للوراء خلف ذلك السياج! هل ترون الشخص الذي يختبئ هناك؟ يا لك من حقير وغد! انه كمين للشرطة. نعم، هذا ما يفعله الأوغاد: يختبئ الواحد منهم وراء أحد السياج ويَخْرُجُ وَيَقِيسُ الوقت. 'فبعد أن كانت خمسين انحدرت سرعتنا إلى عشرة أميال في الساعة. ثم تعالت الضحكات من السيد أنكاتيل: "لقد خيب ذلك آماله".

لقد بدا لي السيد أنكاتيل مزعجًا بعض الشيء لكنني أحببت سيارته. كان لونها أحمر ناصع كوحش مثير مخيف.

بعدها ذهبت للبقاء مع عائلة بارتيلوت لسباقات السرعة. أعتقد أنها الزيارة الوحيدة التي لم أستمع بها لمنزل ريفي. كان المكان ممتلئ عن آخره بجماهير السباق

بالإضافة إلى مصطلحات ولغة خاصة بالسباق غير مفهومة بالنسبة لي. فبالنسبة لي كان السباق يعنى المكوث لساعات مرتدية قبعة وردية صعب التحكم بها، أقوم بتثبيت ستة دبائيس للقبعة مع كل هبة رياح ومرتدية حذاء جلدي ضيق مُتْعِب عالي الكعب والذي انتفخت فيه أقدامِي وكواحلي بشكل مروّع في أحرّ ساعات اليوم. وبعد كل مرحلة كان علي التظاهر بالحماس الشديد وأن أصبح مثل الجميع "إنهم يقتربون!" ثم أقف على طرف أصبع القدم لأشاهد ما لا يدركه بصري من ذوات الأربع.

سألني أحد الرجال بلطف أن يضع شيئاً لي. أصبحت خائفة وسريعاً ما عنفته أخت السيد أنكاتل التي كانت تقوم بدور المضيفة وقالت: "لا تكن سخيّاً"، البنت لَيْسَتْ لِلْمُرَاهَنَةِ. بعدها قالت لي بعطف: "أريد أن أقول لك أنه سَيَكُونُ لديك خمسة شلنات في كل الأحوال." أراهن عليه. فلا تعيري انتباهك للآخرين" وعندما اكتشفت أنهم كانوا يراهنون بـ ٢٠ أو ٢٥ دولار كان شعري يقف في كل مرة. لكن دائماً ما كانت المضيفات لطيفة مع الفتيات فيما يتعلق بالأمور المالية. فهم يعلمون أن القليل من الفتيات يملكن المال لإهداره، حتى الأغنياء منهم أو من يأتون من أسر ثرية لا تزيد مخصصات شراء ملابسهن عن ٥٠ أو ١٠٠ دولار في السنة. لهذا السبب كانت المضيفات تعتنين بالفتيات. وفي بعض الأحيان كن يشجعهن على لعب البريدج، لكن إذا حدث ذلك على أحدهم أن يكون دائماً بجوارهن وان يتحمل ديونهن عند الخسارة. يجنهن ذلك الشعور بالعزلة وفي نفس الوقت يضمنون عدم فقدانهن المال الذي من الصعب عليهن فقده.

إن معرفتي الأولى بالتسابق لم تكن جيدة وعندما عدت للمنزل أخبرت أمي أنني أتمنى لو أنني لن أسمع هذه الكلمات أبداً: "إنهم قادمون". وبعد مرور سنة، تبدل الحال بي وأصبحت من أشد المعجبين بالتسابق. بعدها مكثت مع أسرة كونستانس رالستون باتريك في اسكتلندا حيث يحتفظ والدها بإسطبل صغير

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

للسباق وهناك تعرفت أكثر على الرياضة وتم اصطحابي إلى العديد من لقاءات السباقات المحدودة والتي سريعًا ما وجدت المتعة فيها.

بالطبع كانت سباقات السرعة أشبه بحفلة في الحديقة-حفلة حديقة تستمرّ لمُدّة طويلة علاوة على وجود الكثير من المزاح من النوع الذي لم اعتاد عليه. كان الناس يقتحمون غرف بعضهم ويلقون بالأشياء من النوافذ ثم يصيحون بالضحك. لم تكن هناك فتيات غيري فقد كان أغلب الحضور من الشابات المتزوجات. تسلل ضابط برتبة عقيد كبير السن في حوالي الستينات إلى غرفتي ثم صاح: "والآن، هيا نمرح مع الطفلة الصغيرة". ثم أخذ أحد فساتين السهرة من دولابي-كان بالأحرى فستان طفولي وردى اللون به أشرطة-وألقاه من النافذة قائلاً: "أمسك، أمسك، هذا تذكاري من أصغر عضوه في الحفلة". انزعجت بشدة حيث كانت فساتين السهرة من أهم الأشياء في حياتي، أحافظ عليها واعتنى بها بحرص وأنظفها وأصلح ما قد يصيبها -وها هي الآن تلقى من النوافذ ككرة اللعب. جاءت أخت السيد أنكاتل ومعها إحدى السيدات لإنفاذي وأخبراه أن لا يمزح مع الصغيرة المسكينة، كان رجائي هو أن أترك تلك الحفلة التي لا شك أنها أسعدتني.

من بين الحفلات المنزلية الأخرى أذكر حفلة كبرى كانت في منزل ريفي مستأجر من السيد والسيدة بارك لايل وكان يشار إلى السيد بارك لايل بـ 'ملك السُكّر'. وحدث أن تقابلنا مع السيدة بارك لايل في القاهرة، وأظن أنه كان عمرها حوالي خمسين أو ستين عامًا، لكن عند الاقتراب منها تبدو كشابة جميلة في الخامسة والعشرين. لم يسبق لي أن لاحظت الكثير من التزين في الحياة الخاصة. بالطبع ظهرت السيدة بارك لايل بمظهر جيد حيث كان شعرها مرتّب بشكل جميل ووجهها مزين (يشبه إلى حد ما وجه الملكة أليكساندر) بالإضافة إلى الظلال الباستلية الزرقاء الوردية والشاحبة التي وضعتها-يمكننا أن نقول بأن مظهرها ككل كان نصرًا للفنّ على الطبيعة. لقد كانت امرأة شديدة العطف تستمتع باستضافة الكثير من الشباب في منزلها.

انجذبت إلى أحد الشباب والذي قتل في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨. على الرغم من أن إحساسه بي كان محدودًا. كانت لدى آمال كبيرة في أن نتعارف بشكل أفضل. وأنا في خضم ذلك، هزمني جندي آخر مدفعي، الذي بدا بشكل مستمر كظلي يصر على أن يكون شريكي في التنس والكروكيه. والبقية تأتي. يومًا بعد يوم كبر سخطي المتزايد. في بعض الأحيان كنت شديدة العنف معه ولم يبد ملاحظه. ظل يسألني إن كنت قد قرأت هذا الكتاب أو ذاك ثم يعرض إرساله لي. هل أرغب أن أكون في لندن؟ هل أهتم بالذهاب لرؤية بعض البولي؟ لم يكن لأجوبيتي السلبية أي تأثير عليه. عندما حل يوم الرحيل، كان علي أن ألحق بقطار مبكر لأنني مضطرة للذهاب إلى لندن وبعدها أخذ قطار آخر إلى ديفون. قالت لي السيدة بارك لایل بعد الإفطار: "سيقوم السيد س-لا أتذكر اسمه الآن-بتوصيلك إلى المحطة".

كان الأفضل بكثير بالنسبة لي أن أذهب في إحدى سيارات آل بارك لایل- حيث كان عندهم أسطول من السيارات- لكنني أفترض أن السيد س. اقترح توصيلي إلى مضيفتنا والتي ظنت أن ذلك سيعجيني. كم كان قليلاً ما تعرفه! بالرغم من ذلك وصلنا إلى المحطة ووصل القطار- قطار اكسبريس متجه إلى لندن- ثم حجز لي السيد س في أحد مقاعد الزاوية لعربة فارغة من الدرجة الأولى. ودعته بصوت ودود أتنفس الصعداء لأنها ستكون المرة الأخيرة التي سأراه فيها. وبمجرد أن تحرك القطار وجدته يتعلق فجأة بالمقبض ويفتح الباب ويقفز إلى القطار ثم يغلقه وراءه بعدها قال: "أنا أيضًا قادم إلى لندن".

حدّثت فيه وفي مفتوح: "لكنك لم تأخذ معك أية أمتعة".

"اعلم أعلم- هذا لا يهم". ثم جلس مقابلًا لي، مال للأمام ويداه على ركبتيه. ثم حدّق في بحملقة شديدة: "كنت أنوى تأجيل الأمر حتى أقابلك مرة أخرى في لندن. لكنني لا أستطيع الانتظار. علي أن أخبرك الآن. إنني أحبك بجنون. يجب أن

تتزوجيني. من أول لحظة رأيته فيها وأنت نازلة لتناول العشاء أحسست بأنك أنت المرأة الوحيدة في العالم التي أريدها لي".

مروقتاً قبل أن أتمكن من مقاطعة تدفق الكلمات وأقول له ببرودة متجمدة: "إنه لطف شديد منك سيد س. وأنا أقدر ذلك جيداً، لكنني آسفة عندما أخبرك أن جوابي هو لا.

"احتج لمدة خمس دقائق وفي النهاية طلب مني أن نترك الأمر ونكون أصدقاء ونتقابل مرة أخرى. أخبرته أنه من الأفضل ألا نلتقي ثانية وأنني لن أغير رأيي. قلت ذلك بشكل حاسم جعله مجبراً على قبول الأمر. ثم مال في مقعده للخلف وسلم نفسه للحزن. هل هناك أسوأ من ذلك عند التقدم إلى فتاة! هكذا كنا.. صامتتين في عربة فارغة بدون ممرات- ننطلق إلى لندن خلال ساعتان على الأقل بعد أن وصلنا إلى مثل هذا الطريق المسدود في الحديث بحيث لم يكن لدينا ما نقوله. لم يكن لدى أي منا ما يمكن أن يقوله. إنني لا أزال أمقت هذا الرجل عندما أتذكره وليس لدي أي مشاعر امتنان محتملة مثل التي كان دائماً يتم تعليمنا الشعور بها مقابل عاطفة رجل جيد.(حكمة جراني). إنني متأكدة من انه رجل جيد-وقد يكون ذلك ما جعله بهذا الغباء.

زيارة أخرى لمنزل ريفي قمت بها كانت للبقاء مع بعض أصدقاء قدامى في مقاطعة يوركشاير- عائلة ماثيو-كانت السيدة ماثيو ثرثرة بل بالأحرى مزعجة. تمت دعوتي إلى حفلة للسيد ليجر. عندما ذهبت إلى هناك كنت قد أعدت أكثر على التسابق وفي الحقيقة بدأت أجد فيه متعة. علاوة على ذلك أذكر شيئاً سخيلاً-لكنه من بين الأفعال المتكررة -كان لدى معطف وجونلة جديدتان اشتريتهما خصيصاً لهذه المناسبة. وكنت مسرورة بنفسني وأنا مرتدية هذه الملابس حيث صنعنا من تويد أسمر مخضوض من النوعية الجيدة وحيك من أحد بيوت الخياطة الجيدة. وكنا كما كانت أمني تقول من بين الأشياء التي تستحق إنفاق المال عليها. نظراً لأن النوعية الجيدة تستمر معك لسنوات وسنوات. وكلتاهما كان كذلك، حيث

أرتديتهما لحوالي ستة سنوات على الأقل. كان المعطف طويلاً وياقته مخملية ومعه ارتديت قبعة صغيرة جميلة بها ظلال بنية مخضرة من القطيفة وجناح الطير. ليس لدي أي صور فوتوغرافية في هذا اللباس-وإذا كان لدى-يجب أن أسلم بسخافة مظهري الحالي، لكن ما أذكره عن نفسي هو أنني كنت ذات مظهر أنيق ورياضي وحسنة الملبس!.

بلغت سعادتي قممها عندما وصلت إلى المحطة. كانت الرياح الباردة تهب فاقترب مدير المحطة مني وسألني إن كنت أود الانتظار في مكتبه، ثم قال: "ربما تود خادمتك أن تجلب لك علبة الجواهر أو غيرها من الأشياء الثمينة". "بالطبع لم يحدث من قبل على الإطلاق أن سافرت مع خادمة ولم ولن أكون مالكة لصندوق للجواهر لكنني سررت بهذه المعاملة وأرجعت الأمر إلى أناقة قبعتي المخملية. أجبته قائلة إن خادمتي لم تكن معي هذه المرة -لم أستطع تجنب قول "هذه المرة" حتى أتجنب السقوط من نظره-لكنني قبلت عرضه ممتنة، وجلست في مقابل وقود جيد تتبادل ملاحظات تافهة بخصوص الطقس. ولأن جاء القطار الثاني ورأني جموعاً كثيرة وأنا بداخله وكنت على يقين من أن الفضل في هذه المعاملة التفضيلية يرجع إلى معطفي وقبعتي والجونلة. وبما أنني كنت أسافر في عربة من الدرجة الثانية وليس الأولى كان الظن بأنني من الأثرياء أو من أصحاب النفوذ مستحيلاً.

كانت عائلة ماثيو تعيش في منزل مسخى قاعة ثورب الكبيرة. وكان السيد ماثيو أكبر بكثير من زوجته-أعتقد أنه كان في السبعينيات-كما كان يشتعل شعره بالشيب، يعشق التسابق والصيد في زمانه. ومع حبه الشديد لزوجته كان سريع الانفعال عليها. كل ما أذكره عنه هو قوله لها غاضباً: "اللعة. لا تدفعيني. اللعة، لا تدفعيني. لا تدفعيني، يا أدي".

كانت السيدة ماثيو بطبيعتها هائجة وصعبة الإرضاء. إنها تتحدث وتتذمر من الصباح حتى المساء. قد تبدو عطوفة لكن في بعض الأحيان وجدتها لا تطاق، كانت

كثيرًا ما تدفع العجوز تومي المسكين حتى اضطر في النهاية إلى دعوة أحد أصدقائه للعيش معهم بشكل دائم. كانت المقاطعة المحيطة تظن أن العقيد والينستين هو "زوجًا ثانيًا للسيدة ماثيو" وأكاد أجزم أن الأمر لم يكن كذلك بالنسبة "للرجل الآخر" أو "عاشق الزوجة". كان العقيد والينستين مخلصا للسيدة أدى ماثيو-أظن أنها كانت حب عمره لكنها كانت تبقيه دائمًا حيث أرادته كصديق أفلاطوني سهل ذا ولاء عاطفي. على أي حال عاشت أدى ماثيو حياة سعيدة عاشقاها المخلصان. كانا يدللانهما ويتملقانهما وعلى استعداد دائم لإجابة كل ما تريده.

أثناء بقائي هناك قابلتُ إيفلين كوتشران زوجة تشارلز كوتشران كانت مخلوق صَغير رائع مثل الفتيات الريفيات في دريدسن، بعيون زرقاء كبيرة وشعر جميل بالإضافة إلى أناقتها لكن لم يكن حذاءها ملائمًا للبلدة والذي كانت أدى دائمًا ما تذكرها به وتنتقدها بسببه طوال الوقت، 'حقًا. عزيزتي إيفلين. لماذا لا تجلبين معك حذاء ملائمًا! انظري إلى تلك النعال الرقيقة التي لا تصلح إلا في لندن.' نظرت إليها إيفلين حزينة بعيونها الكبيرة الزرقاء. لقد قضت أغلب حياتها في لندن مدفونة في العمل المسرحي. لقد هربت مع تشارلز كوتشران الذي رُفضَ بشدة من عائلتها. لقد عشقته عشقًا نادرًا ما يقابله المرء في حياته. كانت تكتب إليه يوميًا عندما تكون بعيدة عن المنزل وأعتقد أنه أحبها كثيرًا على الرغم من العديد من مغامراته الأخرى. لقد عانت كثيرًا أثناء حياتها معه لأنه مع مثل هذا الحب الذي بداخلها يستحيل تحمل الغيرة. لكنني أعتقد أنها رأتَه يستحق.

كان عمها هو العقيد والينستين. كانت تمقته بشدة وكانت أيضًا تكره أدى ماثيو لكنها أحبت العجوز توم ماثيو. كانت تقول: 'أنا لم أحب عَيَّ أبدًا،' "لقد كان من أكثر الرجال المتعبين. وبالنسبة لأدى، فإنها الأنثى الأسخف والأكثر همجية التي قابلتها في حياتي. فهي لا تستطيع أن تترك أحدًا بمفرده فإما توبخه أو تتسلط عليه أو أن تفعل أي شيء-فهي لا تطيق السكون".

بعد إقامتنا في ثورب آرك سألني إيفلين كوتشران أن آتى وأزورهم في لندن. شعرت بالخجل وهزني سماع الكثير من الإشاعات الزائفة. كذلك وللمرة الأولى بدأت أذوق ما قد يكون في الصور من جمال. كان تشارلز كوتشران مولعاً بالرسم. عندما رأيت لأول مرة لوحة له عن فتيات الباليه أحسست بشيء ما يتحرك بداخلي لم أكن اعلم بوجوده. لكن الاستعانة بالفتيات الصغيرات في معارض الصور مرفوض شاء ذلك أم أبى. ولا يعطى النتيجة المرجوة إلا إذا كانوا فنانات بالفطرة. علاوة على ذلك، فبالنسبة للمشاهد الذي لا يتذوق الجمال يكون التشابه بين الأساتذة الكبار محبطاً للغاية. كان الفن مفروضاً علي: أولاً عندما أجبرت على تعلم الرسم والتلوين وأنا لا أجد متعة فيهما، والثانية عندما كان علي التزام أخلاقي بتذوق هذا الفن المفروض علي.

اعتادت إحدى صديقاتنا الأمريكان من كبار محبي الصور والموسيقى أن تأتى إلى لندن في زيارات دورية -كانت أبنة أخت أُمي الروحية السيدة سوليفان وكذلك بيرياونت مورغان. كانت ماي شخص جميل به مأساة -حيث كانت تعاني من آلام الغدة الدرقية. فعندما كانت فتاة صغيرة - عندما رأيتها للمرة الأولى كان عمرها لا يزيد عن الأربعينات - لم يكن هناك علاج للغدة الدرقية أما الجراحة فكانت تعتبر خطيرة جداً. ذات يوم عندما وصلت ماي إلى لندن أخبرت أُمي أنها ذاهبة إلى عيادة في سويسرا للعلاج.

اتخذت جميع الترتيبات. قال لها جراح مشهور في هذا التخصص: "آنستي، ما كان لي أن أوصى بهذه العملية لأي رجل. حيث يجب أن تجرى فقط بالمخدر الموضعي لأنه أثناء سير العملية على المريض أن يتكلم طوال الوقت. وأعصاب الرجال ليست بالقوة الكافية لتحمل ذلك لكن النساء بالضرورة قادرات على

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

الثبات. إنها جراحة قد تستغرق الكثير من الوقت ربما ساعة أو يزيد- وأثناء تلك الفترة عليك أن تتكلمي. هل لديك هذا الثبات؟

"تقول ماي أنها نظرت إليه. فكرت لدقيقة. وبعدها قالت بصلاية. نعم لديها هذا الثبات.

قالت أمي: "أعتقد أنه يجب عليك فعلاً المحاولة. سيكون الأمر كالمحنة الكبرى بالنسبة لك، لكن إن نجحت العملية ستتغير حياتك كلها مهما تحملت من معاناة".

ثم جاءت مراسيل ماي من سويسرا: لقد نجحت الجراحة! وهى الآن في إيطاليا بعد أن تركت العيادة مقيمة بفندق في فلورنس بالقرب من فلورنسا وستستمر هناك لحوالي شهر ثم تعود مرة أخرى إلى سويسرا لإجراء المزيد من الفحوصات. طلبت من أمي أن تسمح لي بالسفر والبقاء معها هناك. ولأرى فلورنسا بفنها وهندستها المعمارية. وافقت أمي وتم اتخاذ الترتيبات لسفري. بالطبع كنت متحمسة للغاية وكنت حينها لا أتجاوز السادسة عشر.

كان هناك أم وأبنتها مسافرتان معي في نفس القطار، تم تسليحي لهما ثم انطلقنا. كنت محظوظة في أن الأم وأبنتها تمرضان في القطارات إذا لم تجلسا في مقابل المحرك. كان الجانب الآخر من العربة بأكمله لي حتى يمكنني الإضجاع مستقيمة. لم يقدر أي منا حقيقة اختلاف التوقيت لذا في الساعات الأولى من الصباح وعندما حانت اللحظة التي يجب أن أغير فيها عند الحدود كنت لا أزال نائمة أنزلي قائد القطار إلى الرصيف بينما كانت الأم وأبنتها تصيحان وداعاً. ذهبت إلى القطار الثاني مثقلة بالأمتعة وانطلقت في الحال بين الجبال إلى إيطاليا.

في فلورنسا، قابلتني جارية ماي والتي تدعى ستينجل ثم استقلينا الترام معاً إلى فلورنس. كان الجورائعاً، في هذا اليوم تتفتح زهرات الخوخ واللوز التي تتلألأ بلونها الأبيض والوردي على فروع الأشجار العارية. كانت ماي تقطن إحدى الفيلات هناك وأنت لتقابلني بوجه مشع، لم أرى من قبل امرأة بهذه السعادة. كان من

الغريب رؤيتها بدون ذاك الكيس الفظيع من اللحم يتدلى أسفل ذقتها. كان عليها التحلي بقدر كبير من الشجاعة كما حذرها الطبيب. وأخبرتني انه لمدة ساعة وعشرين دقيقة مستلقية على كرسي هناك، أقدامها معلقة في مفتاح للربط فوق رأسها، بينما كان الجراحون ينحتون في حلقتها، وتحدث هي إليهم مجيبة عن الأسئلة، وتكشر إذا طلب منها ذلك. بعد ذلك هناها الطبيب: وأخبرها أنها من بين أكثر النساء التي عرفها شجاعة.

قالت له: "لكني يجب أن أخبرك سيدي الطبيب أنه قبل النهاية بقليل كنت أشعر برغبة في أن أصرخ بشدة قائلة أنني لا يمكن أن أتحمل أكثر من ذلك.

فرد الطبيب **روكس**: "لكنك لم تفعلي ذلك. أقول لك أنك امرأة شجاعة".

إذن كانت **ماي** في سعادة بالغة، وفعلت كل ما في وسعها حتى تجعل إقامتي في إيطاليا مريحة. كنت أخرج لزيارة معالم فلورنسا كل يوم. أحياناً كانت تذهب معي **ستينجل** لكن في أغلب الأحيان كان هناك امرأة ايطالية شابة منجذبة إلى **ماي** جاءت إلى فلورنس ورافقتني داخل المدينة. الفتيات الشابات كَانَ لَزَامًا عليهنَّ أَنْ يُرافقنَ بعناية بدرجة اكبر في إيطاليا مِنْ فرنسا. في الواقع كنت أعانى من ما يجلبه التعلق في الترام مع الشباب المتحمسين-ليس هناك أصعب من ذلك. ثم بعد ذلك كنت عرضة لجرعة كبيرة جداً من المعارض والمتاحف. ومن طمعي كالعادة كان كل ما أطلع إليه هو وجبة لذيذة في **باتيسير** قبل أن ألحق بالقطار إلى فلورنس.

في الأيام التي تلت ذلك، كانت **ماي** كثيراً ما تأتي أيضاً لتصطحبني في رحلاتي الفنية وأتذكر جيداً في اليوم الأخير عندما كان علي العودة إلى انجلترا كانت مصرّة على أن أرى تمثال كاثرين الرائع والذي لم يمر وقت طويل على تنظيفه. أنا لا اعلم إن كان مكانه الآن في معرض **أوفيزي** أو غيره من المعارض، لكنني أنا و**ماي** طرّقنا جميع الغرف بحثاً عنه بلا جدوى. لم أكن مهتمة بتمثال كاثرين. لقد كنت مستاءة من تماثيل كاثرين، واشمأز من عدد لا حصر له من تماثيل **سيباستيان** المضروبة

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

بالأسهم من كل جانب، وكنت أكره القديسين بشعاراتهم وطرقهم غير السارة في الموت. كما كنت مستاءة من تماثيل مادونا المغرورة وخاصة ما صنعها الفنان رافائيل. بينما كنا نتهافت بحثًا عن تماثيل كاثرين كان قلقي يتصاعد. هل سيسمح لنا الوقت أن نذهب إلى باتيسير ونتناول وجبة لذيذة أخيرة من الشيكولاتة والكريمة المخفوقة والجانوه الفاخر؟ كنت أقول باستمرار: "لست مهتمة يا ماي حقًا أنا لست مهتمة. لا تضايقيني أكثر من ذلك. لقد رأيت الكثير من الصور لتمثال كاثرين".

"آه، لكن هذه الصورة عزيزتي أجاثا في غاية الروعة. وستدركين عندما تريها كم سيكون من المحزن إذا لم تريها.

كنت على يقين من أنني لن أحزن إذا لم أراها لكنني لم أخبرها خجلًا! على الرغم من هذا كان القدر في صفى-حيث اتضح أن هذه الصورة بالأخص لتمثال كاثرين ستغيب عن المعرض لعدة أسابيع. كان لا يزال هناك وقتًا لكي أملأ بطني بالشيكولاتة والكعك قبل أن نلحق بالقطار- كانت ماي تتأمل بإسهاب جميع الصور بينما كنت أوافقها الرأي بشدة وفي ممتلئ بالقشدة وأغطية القهوة. كان من المفترض أن أبدو كخزير ذا لحم منتفخ وعيون صغيرة، وبدلاً من ذلك كنت أبدو أكثر أثيرية ورقيقة ورفيعة بعيون كبيرة حاملة. إذا رأيتني حسبتني سأموت قريبًا في حالة من النشوة الروحية كأطفال الحكايات الفيكترية. على أية حال، أنعم الله علي بالشعور بالخل من عدم تقديري لثقافة ماي الفنية. لقد استمتعت كثيرًا في فلورنس. وكانت متعتي الكبرى بزهرة اللوز كما كان هناك كثيرًا من المرح مع دودو كلب باوميراني صغير (كلب طويل الشعر) كان يرافق ماي وينتقل في كل مكان. كان دودو كلب صغير وذكي وكانت ماي دائمًا ما تأتي به إلى انجلترا حيث كان يختبئ في احد قفازاتها الكبيرة ويظل بعيدًا عن أعين موظفي الجمارك.

جاءت ماي إلى لندن في طريق عودتها إلى نيويورك حيث أظهرت رقبتها الجديدة الجميلة. بكت كلا من أمي وجراني وقبلها مرارًا وتكرارًا كما بكت ماي

حيث كان الأمر أشبه بحلم مستحيل أصبح حقيقة. وبمجرد أن غادرت متجهة إلى نيويورك قالت أُمي لجراني: "يا له من أمر محزن. حيث كان بإمكانها إجراء هذه العملية قبل خمسة عشر عامًا لابد وأن المستشارين في نيويورك لم يصيبوا في نصحتهم لها.

"ثم قالت جدتي باهتمام بالغ: "والآن. أظن أن الوقت قد فات فلا يمكنها أن تتزوج".

لكن في هذا، يسعدني أن أقول أن جراني لم تصب.

اعتقد أن ماي كانت حزينة لان الزواج لم يكن من نصيبها ولا يخطر ببالي ولو للحظة أنها كانت تتوقع حدوثه في مثل هذا الوقت المتأخر من حياتها. لكن بعد مرور عدة سنوات جاءت إلى انجلترا ومعها رجل دين والذي كان خوري في إحدى الكنائس الأسقفية في نيويورك وكان رجلاً شديد الإخلاص ذا شخصية عظيمة. قيل له أن ما يتبقى من عمره لا يزيد عن عام، لكن ماي والتي كانت إحدى أبناء الأبرشية المتحمسين أصرت على جمع تبرعات من الأبرشية وإحضاره إلى لندن لاستشارة الأطباء هناك. حيث أخبرت جراني: "هل تعلمي أنني واثقة من شفاؤه. إننا بحاجة إليه. بحاجة ماسة إليه. إنه يقوم بعمل رائع في نيويورك. لقد استطاع هداية المقامرين والخارجين على القانون ولقد خطا بقدميه إلى أفقر المياغي والأماكن. لم يكن لديه خوف من الرأي العام أو التعرض للإيذاء. والكثير من الشخصيات غير السوية تم هدايتها على يديه. "أخذته ماي لتناول الغداء في إيلينج وبعدها عند زيارتها التالية وأثناء مغادرتها أخبرتها جراني قائلة: "ماي، إن هذا الرجل يحبك".

فصاحت ماي: "لماذا يا خالة. كيف استطعت أن تقولي شيء فظيع كهذا؟ إنه لا يفكر أبدًا في الزواج. إنه راضي بالعزوبة".

ثم قالت جراني: "ربما كان كذلك. لكنني لا اعتقد أنه كذلك الآن. ولم العزوف. إنه ليس كاثوليكي. وقد وقعت عيناه عليك يا ماي".

بدت ماي مصدومة للغاية.

ومع ذلك وبعد مرور عام كتبت إلينا لتخبرنا أن أندرو قد تماثل للشفاء وبأنهما في طريقهما للزواج. ليس هناك من هو أحن وألطف وأكثر تفاهمًا من اندرو مع ماي. "إنها بحاجة ماسة لأن تكون سعيدة." قالها أندرو ذات مرة إلى جراني. "لقد حرمت من السعادة لأغلب حياتها. وقادها خوفها منها إلى حد التزمت. لقد عاش اندرو عاجزًا. لكن ذلك لن يمنعه من العمل. عزيزتي ماي كم أنا مسرورة أن السعادة طرقت بابك بهذه الطريقة.

٤

في عام ١٩١١ حدث شيء اعتبرته رائعًا، لقد صعدت عاليًا في طائرة. بالطبع كانت الطائرات من بين الأشياء محل الخوف وعدم الثقة والجدال... الخ. عندما كنت في المدرسة في باريس ذهبنا ذات يوم لرؤية سانتوس دومون وهو يسعى للإقلاع من الأرض في غابة بولونيا. وبقدر ما أتذكر فقد صعدت الطائرة عاليًا، طارت لبضع ياردات بعدها تحطمت. الجميع كان مذهولًا. ثم كان هناك "الأخوة رايت". حيث قرأنا عنهم متلهفين.

عندما ظهر التاكسي في لندن، تم وضع نظام للتصفير للعربات. كان المرء يقف أمام عتبة منزله، وصافرة واحدة تأتي بالهادر (سيارة أجرة بأربعة عجلات) وصافرتان تأتيان بالعربة، جاندول الشوارع، وثلاث صافرات (إذا كنت محظوظًا للغاية) تأتي بهذا الاختراع الجديد التاكسي. كانت هناك إحدى الصور أظهرت ولد صغير يخبر كبير الخدم الذي كان يقف على عتبة الباب والصافرة في يده: "حاول أن تصفر أربعًا يا جفتر. فقد تأتي بطائرة".

وفجأة اتضح الآن أن هذه الصورة لم تكن ساخرة كما كانت. فربما تصبح حقيقة قريبًا.

في المناسبة التي أتحدث عنها، كنت أنا وأمي نقيم في مكان ما في البلدة، ذهبنا ذات يوم لحضور معرض طائر- مضاربة تجارية. رأينا الطائرات وهي ترتفع في الهواء تدور في دائرة ثم تهبط إلى الأرض مرة أخرى. ثم رفعت لافتة "خمسة دولارات في الرحلة" نظرت إلى أمي واتسعت عيناها، مناشدة أمي "هل تسمعي لي؟ هل تسمعي لي يا أمي. سيكون الأمر رائعًا" أعتقد أن أمي هي التي كانت رائعة، أن تقف وتشاهد فلذة كبدها وهي تصعد في طائرة! في هذا الوقت كانت الطائرات تتحطم باستمرار، وقالت لي: "إذا كنت حقًا تريدين الذهاب يا أجاثا فافعلي".

"كانت خمسة دولارات مبلغًا كبيرًا بالنسبة لوضعنا المالي لكنه صرف فيما يفيد. ذهبنا إلى الحاجز، نظر الطيار إلي ثم قال: "هل هذه القبعة محكمة؟ حسنًا اصعدي" استمرت الرحلة لمدة خمس دقائق فقط. انطلقنا عاليًا في الهواء خلق بنا مرات عديدة. أوه، لقد كان ذلك ممتعًا للغاية ثم عاد كل شيء للوراء وهبطت الطائرة إلى الأرض مرة أخرى-خمس دقائق من النشوة-ومعها نصف تاج لالتقاط صورة، صورة باهتة قديمة والتي أبدو فيها داخل الطائرة كنقطة في السماء في العاشر من مايو ١٩١١.

ينقسم الأصدقاء في حياة المرء إلى فئتين: الأولى تشمل هؤلاء الذين ينبعون من نفس بيئتك والذين تشترك معهم في الأشياء التي تقوم بها، إنهم مثل شريط الرقص القديم فهم يتحركون جيئة وذهابًا في حياتك كما تفعل أنت في حياتهم. البعض منهم تتذكرهم والبعض الآخر يغيب عن ذاكرتك. وهناك من يمكن أن أصفهم بالنخبة من الأصدقاء-عادة لا يكون عددهم كبير- من تجمعهم المصالح المشتركة. وهم الذين يظلوا-إذا سمحت الظروف- معك طوال حياتك. يحق لي أن أقول أنه كان لدى حوالي سبعة أو ثمانية من هذه النوعية أغلبهم من الرجال. حيث لم أجد أي شيء من صداقاتي النسائية غير الإحباط.

لا أعلم بالضبط ما الذي يستدعي صداقة الرجل بالمرأة-إن الرجال بطبيعتهم لا ينظرون للمرأة كصديق. إنها تحدث بالمصادفة-في أغلب الأحيان لأن الرجل منجذبًا بشكل حسي إلى امرأة أخرى ويريد أن يتحدث عنها. أما النساء فهن يشتهين دائمًا مصداقة الرجال ويكونون على استعداد للوصول إليها باستغلال علاقة عاطفية لشخص آخر. وهنا تأتي علاقة أكثر ثباتًا واستمرارًا-يهتم كلا منكما بالآخر بالطبع-يتخلل ذلك مذاقًا جنسيًا كبهار الملح في الطعام.

وكما قال طبيب مسن صديق لي "ينظر الرجل منا إلى كل امرأة يقابلها ويتساءل كيف ستكون مضاجعتها-من الممكن أن يتطرق ذلك إلى ما إذا كانت

سترغب في ممارسة الجنس إذا دعاها لذلك أم لا". "مباشر وقاسي هذا هو الرجل".
إنهم لا ينظرون إلى المرأة كزوجة مستقبلية.

والنساء في اعتقادي تجرب-إن جاز التعبير-كل رجل كزوج محتمل. لا أظن أن
امرأة نظرت داخل غرفة ثم وقعت في حب رجل من النظرة الأولى، لكن يحدث ذلك
مع كثير من الرجال.

عندما كنت صغيرة اخترعت أختي وإحدى صديقاتها لعبة اسمها "أزواج
أجاثا" تدور فكرتها حول اختيارهم لاثنان أو ثلاثة على أقصى حد من الغرباء الأقبح
صورة داخل حجرة، بعدها يكون أمامي اختيار أحدهم كزوج، إما آلام الموت أو
التعذيب البطيء على يد صيني.

"والآن، أجاثا أيهما تختاري؟ السمين الأصغر سنًا ذا البثور والرأس المليء
بالقشر، أم ذاك الأسود كالغوريلا بعيون منتفخة؟"

"أوه، لا أستطيع- إنهم سيئون للغاية"

"يجب أن تختاري أحدهم- وإلا سيكون الإبر الحارة الحمراء والتعذيب بالماء"

"يا الهي! سأختار الغوريلا."

في النهاية اعتدنا أن نصف أي رجل قبيح المنظر بأنه "زوج أجاثا": "أوه،
أنظري! هذا فعلاً رجل قبيح-زوج ملائم جداً لأجاثا".

كانت أهم أصدقائي آيلين موريس. كانت من أصدقاء العائلة. وطوال حياتي
لم أكن أعرفها حق المعرفة و"ألحق بها" حتى وصلت إلى التاسعة عشر، حيث أنها
كانت اكبر مني ببضع سنوات. كانت تعيش مع خمسة عمات لم يسبق لهن الزواج
في منزل كبير يشرف على البحر، وكان أخوها يعمل مديراً لمدرسة. كانت هي وأخوها
متشابهان إلى درجة كبيرة. كان لها عقل أقرب للرجل منه إلى المرأة. وكان والدها رجلاً
لطيفاً وهادئاً وكانت زوجته-أخبرتني أمي ذلك-أحد النساء الجميلات الأكثر مرحاً

التي رأتها في حياتها، بالرغم من ذلك لم تكن آيلين جميلة لكنها كانت تتصف برجاجة العقل. لقد كانت أول شخص أقابله وأستطيع أن أتناقش معه حول ما يجول بخاطري. لقد كانت أكثر الأشخاص الذين عرفتهم إنكارًا للذات والتي لم أسمعها تتحدث يوماً عن ما يختلج به صدرها. لقد عرفتها لسنوات كثيرة ومع ذلك لم أكن أعرف الكثير عن حياتها الخاصة. لم يحدث أبدًا أن أسر أي منا شيئًا شخصيًا إلى الآخر لكن في كل مرة نتقابل فيها نجد شيئًا لنناقشه والكثير لننتحدث عنه. لقد كانت حقًا شاعرة جيدة وكانت ملهمة بالموسيقى. أذكر أنني أعجبت مرة بأحد الأغاني لأنني استمتعت بموسيقاها لكن مع الأسف كانت كلماتها سخيفة بشكل ملحوظ. عندما أخبرت آيلين بتعليقاتي تلك قالت لي إنها تود تغيير بعض كلماتها إلى كلمات مختلفة. وهذا ما فعلته أن حسنت من الأغنية طبقًا لوجهة نظري.

لقد كتبت أنا أيضًا بعض الشعر- كما كان يفعل كل من في نفس عمري. بعض كتاباتي الأولى كانت سيئة إلى حد لا يصدق. أذكر قصيدة كنت قد كتبتها وأنا في الحادية عشر:

أعرف زهرة ربيع صغيرة ووردة جميلة

تمنيت أن تكون زهرة برية وأن يكسوها فستان أزرق

يمكنك أن تتخيل ما الذي صار. كساها فستان أزرق. أصبحت زهرة برية. لكن هذا لم يكن ليرضيها. هل هناك أكثر من ذلك ما يدل على انعدام الموهبة الأدبية؟ لكنني بوصولي للسابعة عشر أو الثامنة عشر، أصبح الحال أفضل حيث كتبت سلسلة من القصائد عن أسطورة المهرج: أغنية المهرج، والزهرة، بييرو، بيريت... الخ. أرسلت قصيدة أو اثنتين إلى المراجعة الأدبية كنت في غاية السعادة عندما حصلت على جائزة في غينيا. بعدها حصلت على العديد من الجوائز. كذلك تمت طباعة قصائد لي هناك. لقد شعرت بفخر شديد بنفسي عندما كنت ناجحة. من وقت لآخر كنت أكتب الكثير من القصائد تنتابني حماسة فجائية بعدها أسرع لتدوين ما

أشعرانه يجول في خاطري. لم يكن لدى طموحات بعيدة. كان جل ما طلبته هي جائزة موسمية من جوائز المراجعة الشعرية. مؤخرًا أعدت قراءة إحدى قصائدي والتي أرى أنها ليست بالسيئة على الأقل كان بداخلها شيئًا مما أردت التعبير عنه. انسخها هنا لهذا السبب:

عميقًا في الغابة

الفروع السمرء العالية في مقابل سماء زرقاء
(والصمت يسرى في الغابة)
والأوراق المتوانية قابضة أسفل قدماءك
والجذوع السمرء المنحدرة تتحمل زمانها
(والصمت يسرى في الغابة)
الصيف يقطر من هبة الحب
وعاطفة الخريف تعبر إلى الألم
الورقة والزهرة واللهيب-سقطوا جميعًا وضعفوا
ويبقى الجمال- جمال مجرد في الغابة!
الفروع السمرء العارية في مقابل قمر هائج
(وشينًا ما يتحرك داخل الغابة)
الأوراق تصدر حفيفها وتبعث من الأموات
الفروع التي تومئ وتَشْبِقُ في الضوء
(وشينًا ما يمشى داخل الغابة)
صدح والتفاف، الأوراق لا تزال حية!
يسوقها الموت إلى رقص شيطاني!
صُراخ وذَبْدَبَة الأشجار الفزعة!
والرياح أخذت تنشج وترتعش...
ويرحل الخوف السافر عن الغابة!

من حين لآخر كنت أحاول تلحين قصائدي ولم يكن تأليفي منظمًا - لكن إذا كانت أغنية شعبية بسيطة فالأمر ليس بهذا السوء. لقد كتبت أيضًا في الفالزحن مبتذل، وعنوانًا غير عادي - لا أعلم من أين أتيت به - "معك لساعة زمن".

لم أدرك غموض هذا العنوان قبل أن يبدي العديد من زملائي ملاحظاتهم أن ساعة من الوقت كانت كبيرة جدًا بالنسبة لرقصة الفالز. كنت فخورة جدًا لأن إحدى الفرق الرئيسية - فرقة جويس - التي كانت تعزف في أغلب الرقصات أدخلت ذلك اللحن ضمن أجندتها الموسيقية. على أية حال، يمكنني أن أرى ذلك الآن موسيقى سيئة جدًا. بالنسبة لوجهة نظري الخاصة عن أغاني الفالز، فلا أعلم لماذا حاولت كتابة واحدة.

أما التانجو فكانت مسألة أخرى. أقام نائب السيدة ووردسورث أمسية راقصة للكبار في نيوتن أبوت وكنت أنا وآخرون نذهب للتعليم. تعرفت هناك على ما أسميه "صديق التانجو" - وكان شاب اسمه المسيحي رونالد أما اسم عائلته فلا أستطيع تذكره. نادرًا ما كان يتحدث كلا منا إلى الآخر - أو على الأقل أن يهتم أحدهما بالآخر. لقد طلب منا الاشتراك معًا مبكرًا، ووجد كلا منا في الآخر نفس الحماسة وكنا نجيد الرقص سويًا. لقد أصبحنا الأنصار الرئيسيين لفن التانجو. في جميع الرقصات التي تقابلنا فيها كان كلا منا يحجز التانجو للآخر بدون نقاش.

وشيء مثير آخر كانت رقصة زنبق إلسي الشهيرة في الأرملة المرحة أو كونت لوكسمبورغ. والتي لا أستطيع تذكرها عندما رقصت هي وشريكها الفالز فوق السلم ثم نزلا مرة أخرى. مارسهما مع الولد المجاور لنا. كان ماكس ميللر في تلك الأثناء أصغر مني بثلاث سنوات. كان والده مصاب بالسل ومضطربًا أن يرقد في الحديقة داخل كوخ في الهواء الطلق حيث كان ينام بالليل، كان ماكس ابنهم الوحيد لقد عشقني كثيرًا كفتاة أكبر منه ثم كبر وأخذ يستعرض نفسه أمامي أو هكذا قالت لي والدته مرتديًا سترة وحذاء الصيد يصيد العصافير ببندقية هوائية. بدأ أيضًا يهتم

بنظافته (شيء جديد عليه حيث كانت أمه دائماً ما تحذره من نظافة يداه ورقبته..الخ). واشترى رابطات العنق البنفسجية والأرجوانية، وفي الحقيقة بدا عليه كل علامات النمو.اجتمعنا على الرقص أردت الذهاب إلى منزل عائلة ميللر للتدرب معه على سلاله والتي كانت أكثر ملائمة من سلالنا، حيث كانت أكثر ضحالة وأكثر اتساعاً ولا أعلم إن كنا قد نجحنا. كانت لنا سقطات عديدة مؤلمة لكننا تحملنا. كان لديه معلم لطيف شاب يدعى على ما أظن السيد شو، والتي علقت مارجريت لوسى عليه: طبيعة شاب لطيف-من المحزن أن ساقاه متداخلة".

يجب أن أقول أنني منذ ذلك الحين لم أستطع أن أمنع نفسي من تطبيق هذا المعيار على أي شاب غريب. حسن المظهر، ربما-لكن هل سيقانه متداخلة"؟.

في أحد أيام الشتاء غير السارة أصبت ببرد ألزمني الفراش وكنت في فترة النقاهة من الأنفلونزا. كنت أشعر بالملل. قرأت كتبًا كثيرة. حاولت إحضار الأرواح الحارسة ثلاثة عشر مرة.، نجحت في إحضار الأنسة ميليجان ثم انتهى بي الأمر وأنا أقضم يدي. تدخلت أمي قائلة:

"خير لك أن تقطعي الوقت بكتابة قصة قصيرة وأنت في فراشك. لماذا لا تكتبين قصة؟"

أجبت مندهشة: "اكتب قصة!"

قالت أمي: "نعم، مثل ماج"

"أوه، لا أظن انه بإمكانني. لا أعرف"

تساءلت "ولم لا؟"

ليس هناك سببًا لذلك غير أن....

فقالت أمي: لا تقولي لا أعرف فإنك بالطبع تعرفين، حاولي فقط وسترين "أنت لا تعرفين أنه بإمكانك لأنك لم تحاولي أبدًا.

ثم اختفت فجأة كعادتها وعادت بعد خمس دقائق وفي يدها كتاب تمارين وقالت: "هناك بعض المداخل إلى حجرة الملابس في أحد الأطراف والباقي سهل جدًا ابدئي قصتك الآن."

عندما كانت أمي تقترح شيء، كنت أفعله دائمًا. جلست في الفراش وبدأت التفكير في كتابة قصة. في جميع الأحوال ذلك أفضل من إحضار الأنسة ميليجان مرة أخرى.

لا أستطيع أن أتذكر الآن كم استغرق ذلك من وقتي—أظن أنه لم يستغرق طويلاً. وأعتقد أنني انتهيت منها في مساء اليوم التالي. بدأت مترددة بالكثير من المواضيع المختلفة ثم هجرتها جميعاً، وفي النهاية وجدت نفسي مهتمة للغاية ومتحمسة بدرجة كبيرة. كان الأمر مرهقاً لي وأنا في فترة نقاهتي لكنه كان مثيراً.

قالت أمي: "سأبحث عن الآلة الكاتبة القديمة الخاصة بماج، وبعدها يمكنك الكتابة."

أسميت قصتي الأولى هذه بيت الجمال، لم تكن تحفة فنية لكنها في المجمل كانت جيدة. وأول شيء كتبتُه وكان علامة على موهبتي. بالطبع كتبت بشكل غير احترافي كما تأثرت بكل ما قرأت في الأسبوع السابق. وهذا شيء يصعب تجنبه في المرة الأولى التي تكتب فيها. بعدها كنت أقرأ ل ديفيد هيربرت لورانس. وأذكر أن كلا من "الأفعى ذات الريش، أبناء ومحبون، والطاووس الأبيض"، كانت من بين ما فضلتُه آنذاك. وقرأت أيضاً بعض الكتب للسيدة افيرارد كوتس والتي أعجبتني أسلوبها كثيراً. كانت هذه القصة الأولى ذات القيمة ومكتوبة بطريقة تصعب معها معرفة ما الذي كان يعنيه المؤلف بالضبط. وعلى الرغم من أن الأسلوب كان مشتق، بيد أن القصة نفسها تنم على الأقل عن وجود خيال.

فيما بعد كتبت بعض القصص الأخرى: "نداء الأجنحة" ليست سيئة، المعبود الوحيد (كانت نتيجة لقراءة "مدينة الهراء الجميل": عاطفية على نحو يؤسف له)، حوار مقتضب بين امرأة صماء ورجل عصبي في حفلة، وقصة مريضة عن جلسة لتحضير الأرواح (والتي أعدت كتابتها مرات عديدة فيما بعد) لقد كتبت جميع هذه القصص على ماكينة الآلة الكاتبة التي تكتب عليها ماج. وأذكر أنني أرسلتها ويملأني الأمل إلى العديد من المجالات مستعينة بالأسماء المستعارة المختلفة من وقت لآخر كما كان يحلولي. أطلقت ماج على نفسها مويستين ميللر وأنا أطلقت على نفسي ماك ميللر والذي تغير بعد ذلك إلى ناثانيل ميللر (اسم جدي). لم تكن لدى آمال

عريضة في النجاح كما أنني لم أصل إليه. حيث عادت فوراً القصص جميعها ومعها العبارة المعتادة "المحرر يأسف..." بعدها أقوم بلفها مرة أخرى وأرسلها إلى مجلة أخرى.

كما قررت أيضاً أن أجرب نفسي في الرواية. انطلقت فيها كهواية فكرت في حبكتان منفصلتان ولم أستطع في البداية أن اختار من بينهما. وفي النهاية اتخذت قراري مترددة وبدأت في إحداهما، والتي اقتبستها من ثلاث أشخاص اعتدنا النظر إليهم في غرفة طعام الفندق بالقاهرة. كانت هناك فتاة جذابة في نظري-يصعب أن تكون فتاة لأنها كانت تقارب الثلاثين وفي كل مساء بعد الرقص تتناول العشاء مع أثنان من الشباب. كان أحدهما رجل عريض ذا شعر داكن نقيب في سلاح البنادق، والآخر شاب طويل وسيم في حرس كولديستريم. قد يصغرها بسنة أو سنتين، كان يجلس كل واحد على أحد جانبيها. كنا نعرف أسميهما، لكننا أبداً لم نكتشف المزيد عن أي منهما. ذات مرة أبدى شخصاً ما ملاحظته قائلاً: "عليها في لحظة معينة أن تختار بينهما". بالنسبة لي، إذا كان لدى الكثير مما أعرفه عنهما لا أظن أنني كنت سأرغب في إضافته. قد استطعت أن أختلق قصة ممتازة قد تكون بعيدة كل البعد عن شخصية كلا منهما وأفعاله أو أي شيء آخر. وبعد أن قطعت شوطاً فيها شعرت بعدم الرضا وتحولت إلى حبكتي الأخرى. حيث كانت أكثر مرحاً وتتعامل مع شخصية مسلية. لقد ارتكبت خطأ فادحاً عندما أثقلت نفسي ببطله صماء. إنني بالفعل لا أعلم لماذا؟ فأني شخص يمكنه التعامل بطريقة مسلية مع بطله ضريبة لكن أن تكون البطله صماء ليس بالأمر الهين. لأنه كما اكتشفت ذلك سريعاً بمجرد أن تنتهي من وصف ما تفكر فيه وما الذي يجول بخاطر الناس ويقولونه عنها تظل هي بدون إمكانية للحوار ويتوقف العمل بالكامل. وصارت "ميلانكي المسكينة" عديمة الطعم ومملة.

عدت إلى محاولتي الأولى-وأدركت أنها لن تكون بنفس الطول الذي تعرف به الرواية. وفي النهاية قررت أن أجمع بين الحبكتين. بما أن المكان هو نفسه فلم لا

يكون لدينا حبتين في رواية واحدة. سطرًا بعد سطر أوصلت روايتي إلى الطول المطلوب. أثقلت نفسي بالحبكات كنت أنتقل من مجموعة من الشخصيات إلى أخرى. من حين لآخر كنت أجبرهم على الانصهار معًا بطريقة لا يبدو أنهم يريدون القيام بها. وأسميتها-لا أعلم لماذا- "ثلوج على الصحراء".

بعدها اقترحت علي أمي مترددة لو أنني أسأل إيدن فيلوتس إن كان يستطيع أن يقدم لي النصيح أو المساعدة. في ذلك الوقت كان إيدن فيلوتس في أوج شهرته. كانت رواياته "دارتموور" ذائعة الصيت. وحدث ذلك حيث كان جارنا وصديق مقرب من العائلة. في البداية كنت خجولة من الأمر لكنني قبلت في النهاية. كان إيدن فيلوتس غريب المظهر، وجهه أقرب إلى إله الغابات منه إلى الإنسان العادي ذا وجه مثير ترتفع عيناه عند الزوايا. كان يعاني بشدة من النقرس وفي أغلب الأحيان عندما كنا نذهب لرؤيته كنا نراه يجلسُ بساقه مربوط بالضمادات على مقعد. كان يكره تجمعات الحفلات الرسمية ونادرًا ما كان يترك البيت. في الواقع كان يكره رؤية الناس. على الجانب الآخر كانت زوجته اجتماعية للغاية-امرأة جميلة وساحرة ولديها العديد من الأصدقاء. كان إيدن فيلوتس يحب أبي كثيرًا كما كان يحب أمي والتي نادرًا ما كانت تضايقه بالدعوات الاجتماعية بل كانت دائمًا تبدو إعجابها بحديقته ونباتاته وشجيراته النادرة الكثيرة. قال إنه بالطبع يرغب في قراءة المحاولة الأدبية ل أجاثا.

لا يمكنني أن أعبر عن مدى الامتنان الذي أشعر به تجاهه. كان يمكنه بكل سهولة أن ينطق ببضع كلمات غير مكترث من النقد المبرر أو أن يثبط عزيمتي مدى الحياة. لكنه عرض المساعدة. لقد أدرك تمامًا كم كنت خجولة وكم كان يصعب علي التحدث عن الأشياء. وما كتبه من تقرير أحتوى على نصيحًا نافعًا، فيقول:

"بعض مما كتبت ممتاز فلديك حس كبير. بالنسبة للحوار يجب أن تتمسكي بالحوار المرح الطبيعي. حاولي أن تحذفي جميع التفسيرات الأخلاقية من رواياتك. من

الواضح أنك تحبينها كثيراً. وليس هناك شيء ممل يقرأ أكثر منها. حاولي أن تترك شخصياتك بمفردها حتى يكون بإمكانهم التعبير عن أنفسهم بدلاً من أن تندفعي وتملي عليهم ما يجب أن يقولوه أو أن تشرحي للقارئ ماذا يقصدون من وراء ما يقولون، حيث يترك ذلك للقارئ ليحكم بنفسه. لديك هنا حبتين وليس حبكة واحدة. ذلك يعتبر خطأ يقع فيه أي مبتدئ. لن يرغب أحد أن يضع الحكبات بمثل هذه الطريقة الرخيصة. سأرسل ب خطاب إلى وكيلي الأدبي هيو ماسي. سيقوم بنقد هذا العمل ويخبرك إلى أي حد يمكن اعتباره مقبولا. وأود أن أخبرك انه ليس من السهل أن يحصل المرء على قبول للعمل الأول لذا لا يجب أن تصابي بخيبة الأمل. وأحب أن أوصيك ببعض القراءة والتي أعتقد أنها ستساعدك كثيراً. اقرئي "اعترافات آكل أفيون" ل دي كوينسي، والتي ستثري مفرداتك اللغوية-حيث استخدم بعض الكلمات الممتعة. اقرئي "قصة حياتي" ل جيفريز للوصف والإحساس بالطبيعة".

ولقد نسيت الآن ما هي الكتب الأخرى الباقية: أذكر أنها كانت مجموعة من القصص القصيرة: أحدها كانت بعنوان كبرياء وهوى" وكانت حول إبريق شاي، كان هناك أيضاً مجلد ل روسكين، والذي كنت أمقته كثيراً بالإضافة إلى كتاب أو اثنان آخرا. هل كانت نافعة لي أم لا؟ لست أدري. لكنني بالتأكيد استمتعت ب دي كوينسي وبالقصص القصيرة.

بعدها ذهبت وأجريت مقابلة في لندن مع هيو ماسي. لقد كان رجل أسمر ضخم أفزعني كثيراً. قال وهو ينظر إلى غلاف الكتاب: "آه، ثلوج على الصحراء، اممم، ياله من عنوان موحى! يوحى بالنيران المودعة".

ظهر علي التوتر بشكل أكبر، وشعرت أن ذلك الوصف بعيد كل البعد عما كتبتة. لا أعلم بالضبط ما الذي جعلني أختار هذا العنوان بخلاف أنني كنت من المحتمل أقرأ "عمر الخيام". أعتقد أنني كنت أعني ذاك المعنى "ثلوج على الصحراء"

فجميع ما يحدث في حياتنا سطحي في ذاته ويمر دون أن يترك أي أثر في الذاكرة. في الحقيقة لا أظن على الإطلاق أن الكتاب كان كذلك عند النهاية لكن كانت تلك هي فكرتي التي أردت أن ينتهي إليها ما كنت أكتبه.

احتفظ هيوز ماسي بالكتاب، لكنه أعاده بعد بضعة أشهر قائلاً انه رأى أنه ليس بإمكانه الموافقة عليه. وأن أفضل شيء هو أن أتوقف عن التفكير فيه وأبدأ بكتابة كتاب آخر.

لم أكن أبداً بطبيعتي شخصاً طموحاً واستسلمت لعدم تكرار المحاولة. استمررت في كتابة القليل من القصائد التي استمتعت بها وأظن أنني كتبت قصة قصيرة أو قصتين أرسلتهما إلى المجلات لكنني توقعت عودتها، وكانت عودتهم هو المعتاد.

لم أعد أدرس الموسيقى بجدية، كنت أتدرب على البيانو لساعات قليلة في اليوم وحاولت قدر الإمكان أن أحافظ على مستواي السابق لكنني لم آخذ مزيداً من الدروس. كنت لا أزال أدرس الغناء عندما كنا في لندن. أعطاني المغني الهنغاري فرانسيز كورباي دروس في الغناء وعلمني بعض الأغاني الهنغارية الساحرة من تأليفه. كان معلماً جيداً ورجلاً مسلياً. كما أنني درست غناء الأغنية الشعبية الانجليزية مع معلم آخر وهي سيدة تعيش بالقرب من ذلك الجزء من "قناة ريجانت" الذي يسمونه فينيسيا الصغرى والتي دائماً ما تهزني. كنت في الغالب أغنى في الحفلات الموسيقية المحلية، وكما كان النمط السائد في ذلك الوقت كنت "أخذ موسيقي" عندما يدعوني شخصاً ما للعشاء. بالطبع لم يكن هناك وجوداً للموسيقى "المعلبة": حيث لا إذاعة ولا مسجلات ولا آلات الحاكي المجسمة. فالموسيقى تعتمد على المؤدى نفسه والذي قد يكون جيد أو جيد إلى درجة معينة أو سيء جداً. لقد كنت عازفة مصاحبة جيدة، كما أنني أستطيع القراءة لذلك كان علي دائماً أن أقوم بدور العازف المصاحب للمغنين الآخرين.

مررت بتجربة رائعة عندما كانت هناك عروض "الحلبة" فاغر" في لندن بقيادة **ريشتر**. فجأة أصبحت أختي ماج مهتمة بموسيقى "فاغر"، حيث رتبت حفلة لأربعة لحضور "الحلقة" ودفعت بي. يجب أن أكون ممتنة لها دائماً وأتذكر تلك التجربة حيث غنى **فان روى** أغنية "وتين"، كما غنت **جيرترود كابل**. والأدوار الرئيسية قامت بها السوبرانو "فاغر". لقد كانت امرأة بدينة ذات أنف مرفوع لأعلى لم تكن مغنية لكنها كانت تمتلك حنجرة قوية ذهبية. غنت أمريكية تدعى **سالتزمان ستيفن** كل من: سيجليند، إيزولده، وإليزابيث. كان من الصعب علي نسيانها حيث كانت ممثلة جميلة للغاية في حركاتها وإيماءاتها وكانت تملك ذراعين طويلين رشيقين خرجا من أقمشة بيضاء عديمة الشكل والتي دائماً ما ترتديها البطلات خاصة بطلات الفاغر. لقد تألقت في أدائها ل إيزولده. أظن أن صوتها لا يمكن مقارنته بصوت **جيرترود كابل**، لكن كان أداؤها سامي يأخذ العقل. غضبها ويأسها في المشهد الأول من تريستان، الجمال الغنائي لصوتها في المشهد الثاني، وبعده مالا يمكن نسيانه من ذاكرتي- تلك اللحظة الرائعة من المشهد الثالث تلك الموسيقى المطولة لكورينال الألم والانتظار مع تريستان وكورينال مجتمعين. وأخيراً صيحة السوبرانو العظيمة التي تأتي من خارج المسرح "تريستان!" تندفع -نعم يستطيع المرء الإحساس بالاندفاع- فوق المنحدر وتصعد للمسرح تركض بتلك الأذرع البيضاء التي تمتد لتمسك بترسين في قبضتها. بعدها بكاء حزين مجروح والذي يشبه بكاء الطير.

لقد غنت "ليبستود" تماماً كأمراة، وليس كإلهة، وهي راكعة بجوار جسد تريستان تلقى بنظرها على وجهه. إرادتها القوية وخيالها أراه حياً، وأخيراً تنحني أسفل وأسفل. تأتي آخر كلمات في الأوبرا "مع قبلة"، حيث انحنت لتلامس شفتها شفتاه. وفجأة تسقط على جسده.

أما أنا، فكنت كل ليلة قبل أن أعط في النوم أمني نفسي بحلم أن أغنى إيزولد فوق خشبة مسرح حقيقية. لا ضير-كنت اصبر نفسي-في أن أعيش ذلك في

الخيال. هل بإمكانني ذلك؟ هل سيكون بإمكانني يومًا ما أن أغني أوبرا؟ الإجابة بالطبع كانت ب لا. يومًا ما جاءت أمريكية من صديقات ماي ستيرجيس والتي كانت في لندن وكانت على اتصال بدار الأوبرا الحضرية في نيويورك-لتسمعي وأنا أغني. غنيت لها العديد من الألحان الانفرادية المختلفة وتابعتني هي في السلالم الموسيقية، التوقيع السريع للنغمات والتدريبات. بعدها قالت لي: "الأغاني التي غنيت لم تقل شيئًا، أما التدريبات ففعلت. ستصبحين مغنية حفلات موسيقية جيدة وعليك أن تؤدي بشكل جيد. صوتك ليس بالقوة الكافية لغناء الأوبرا ولن يكون كذلك".

وانتهى حلمي الغالي الخفي في أن أفعل شيئًا في الموسيقى. لم أكن اطمح أبدًا في أن أصبح مغنية حفلات موسيقية والذي لم يكن في جميع الأحوال بالشئ الهين. فالمهن الموسيقية بالنسبة للفتيات لم تكن تقابل بالترحاب. إن كانت هناك أي فرصة للغناء في الأوبرا كنت سأحارب من أجلها لكن كان ذلك مقصورًا على القلة المبخطة التي تملك الأحوال الصوتية المطلوبة. إنني متأكدة من أنه ليس هناك شيئًا أكثر إحباطًا للنفس في الحياة أكثر من المجاهدة في محاولة فعل شيء ما ترغب بشدة في القيام به على أكمل وجه، ثم تدرك أنك في أفضل الأحوال من الدرجة الثانية، لذا وضعت الأمنيات جانبًا. كما أخبرت أمي أنها يمكنها الآن توفير مصاريف دروس الموسيقى. بإمكانني أن أغني كما يحلولي لكن لا فائدة من دراسة الغناء. إنني حقًا لم أكن مؤمنة أبدًا بأن حلمي سيتحقق لكن من الجيد أن كان لدي حلم استمتعت به، طالما أنك لم تتشبث به أكثر من اللازم.

أذكر أنني في ذلك الوقت بدأت أقرأ روايات ل ماي سنكلر والتي أعجبت بها كثيرًا- وفي الواقع عندما أقرأها الآن أجد نفسي لا أزال معجبة بها. أعتقد أنها كانت من بين روائيينا الأروع والأكثر إبداعًا. ولدى شعور بأنه يومًا ما سيكون هناك إحياء للاهتمام بها وأن أعمالها سيعاد نشرها. "الحيرة المضاعفة" تلك القصة الكلاسيكية التي تدور حول بائع صغير وابنته لا أزال أراها أحد أفضل الروايات التي كتبت على

الإطلاق. أعجبتني أيضًا النيران المقدسة. أحد قصصها القصيرة صدع البلور أعجبتني كثيرًا ربما لأنني أدمنت كتابة القصص الروحية في ذلك الوقت وهو ما ألهمني لكتابة قصة بنفسي إلى حد ما في نفس الاتجاه. أطلقت عليها "الرؤية" (تم نشرها فيما بعد مع قصص أخرى لي داخل مجلد).

في ذلك الوقت اعتدت كتابة القصص فلقد حلت مكان في خيالي-يمكنني أن أقوم ب تطوير أغطية المساند أو الصور المأخوذة من لوحة زهور الصين لديرسدن. إذا قال احد بأن ذلك يضع الكتابة الإبداعية في مكانة منخفضة فأنا لا أوافقه الرأي. فالحافز الإبداعي يمكن أن يخرج في أي شكل: في التطريز أو في طبخ الأطباق الممتعة، أو في الرسم أو التلوين والنحت، أو في تأليف الموسيقى كما في صورة كتابة القصص والكتب. الفارق الوحيد يكون في أنك قد تكون أكثر إبداعًا في بعض من هذه الأشياء عن الأخرى. أعلم أن حياكة أغطية المساند الفيكتورية لا تقارن بالمشاركة في التزيين بنسيج بايو، لكن الدافع هو نفسه في كلتا الحالتين. النساء في عهد ويليامز الأول كانوا ينتجون قطع من الأعمال الأصيلة التي تحتاج إلى تفكير وإلهام وتطبيق لا يكل ولا يتعب. كانت بعض أجزائها بلا شك مملة في القيام بها وأجزاء أخرى كانت ممتعة إلى درجة كبيرة. ربما تقول إن مربعًا من القماش المطرز عليه وردتين يسمين برى وفراشة فوقه من المقارنات السخيفة. إلا أن رضا الفنان الداخلي قد يكون بنفس القدر.

لم تكن الفالز التي ألفتها شيئًا يدعو للفخر. ومع ذلك كانت واحدة أو اثنتان من تطريزاتي جيدة وكنت راضية عنها. لا أظن أنني كنت راضية بنفس القدر عن ما كتبت من قصص. لكن يجب أن تنقضي فترة من الزمن بعد إنجاز العمل الإبداعي قبل أن يكون بإمكانك تقييمه.

أنت تبدأ في العمل. تشعلك إحدى الأفكار ويملئك الأمل. تملئك الثقة (الأوقات الوحيدة في حياتي التي كانت تملئني فيها الثقة). إذا كنت شديد الاعتدال،

فقد لا تكتب أبدًا. لذا فهناك لحظة جميلة تبدأ عندما تفكر في شيء ما. تعرف كيف ستقوم بكتابتها. تندفع بحثًا عن قلم رصاص. وتبدأ في كتاب تدريبات مدعوم بالتشجيع. بعدها تواجه بالصعوبات. لا ترى مخرج منها. وفي النهاية تنجح في إنجاز أكثر أو أقل مما كنت تنوى انجازه في البداية. على الرغم من فقدانك للأمل طوال الوقت. وبمجرد انتهائك منه، تدرك أنه رديء للغاية.

٦

بعد ذلك أفلتت مرتان من الزواج. وأطلق عليهما فلتتان لأنني عندما أرجع للماضي أدرك جيدًا أن أيا منهما إذا تمت كانت ستكون كارثة.

كانت الأولى أشبه بما يمكن أن تسميه "رومانسية فتاة صغيرة" كنت مقيمة في منزل **رالستون باتريك**. انطلقت أنا و**كونستانس** إلى مقابلة باردة وعاصفة، ثم أسرع إلي رجل بطريقة لطيفة ليتحدث إلى **كونستانس** وقدم نفسه لي. أعتقد أن اسمه **تشارلز** وكان في الخامسة والثلاثين رائد في سلاح الرماية، وكان يأتي كل عام إلى **وارويك شير** للصيد. قابلته مرة أخرى في نفس اليوم حيث كانت هناك حفلة تنكرية والتي ذهبت إليها مرتدية مثل **الين**. وكان زى جميل لا أزال أحفظ به (وأعجب كيف استطعت ارتداؤه) إنه موجود في الخزانة في الصالة المليئة بـ "لوازم التألق". كان عبارة عن قماش أبيض-المفضل لي-مطرز وقبعة لؤلؤية. لقد قابلت **تشارلز** مرات عديدة أثناء زيارتي وعندما عدت إلى المنزل تبادلنا الأمنيات المهدبة في أن نتقابل مرة أخرى يومًا ما. ذكر لي أنه قد يسافر فيما بعد إلى **ديفونشاير**.

وبعد عودتي إلى المنزل بثلاثة أو أربعة أيام تسلمت طردًا بداخله صندوق فضي ذهبي صغير. داخل الغطاء كتب عنوان: "الأسبس"، تاريخ، وإلى **الين** أسفله. كانت 'الأسبس' هو المكان الذي حدثت فيه المقابلة. والتاريخ هو تاريخ المقابلة، وقد تسلمت منه أيضًا خطابًا يقول فيه أنه يأمل في المجيء لرؤيتنا الأسبوع القادم عندما يأتي إلى **ديفون**.

لقد كان ذلك شرارة البدء للملاطفة بسيطة. وصلت صناديق الورد وأرسل من حين لآخر صناديق من الشيكولاتة الغريبة. لم يكن هناك ما قيل بشكل لا يناسب فتاة شابة لكنني كنت مرعوبة. زارنا مرتان وفي الثالثة طلب مني الزواج. قال إنه وقع في حبي من أول لحظة رأي فيها. إذا قام المرء بترتيب عروض الزواج من حيث قيمتها، سيكون هذا العرض على قمة قائمتي. كان رجلًا ذا خبرة كبيرة بالنساء،

وقادر على إنتاج أغلب ردود الفعل التي يريدها. كنت لأول مرة على استعداد أن أسلم بأن ذلك هو "فارس أحلامي"-عندما كان يخبرني كيف كنت رائعة. وإلى أي حد كان يحبني. أي مخلوق رائع كنت. كيف سيقضى جل حياته ساعياً لإسعادي وهكذا، ارتعاش يدها وصوته، أوه! نعم لقد فتنت مثل طائر يطير فوق شجرة. لكن عندما كنت أفكر فيه أثناء غيابه، كأنه لم يكن. لم يحدث أن اشتقت لرؤيته مرة أخرى-كل ما في الأمر أنني شعرت بلطفه الشديد. وقد حيرني التبدل بين المزاجين. هل يمكنك التمييز عندما تكون عاشقاً؟ إذا كان من تحب لا يعينك غيابه. وفي حضوره يَخلب لُبَّك. ما هي استجابتك الحقيقية؟.

لا بد وأن أُمي المسكينة عانت كثيراً في ذلك الوقت. لقد كانت تصلى كثيراً- أخبرتني ذلك- من أجل أن أرزق قريباً بزوج. يكون طيب عطوف ولديه كل لوازم الحياة. بدأ تشارلز وكأنه استجابة للدعاء، لكنها إلى حد ما لم تكن راضية. كانت لديها القدرة على معرفة ما الذي يشعر به ويفكر فيه الناس، ولا بد وأنها عرفت أنني لم أكن أعرف ما هي حقيقة مشاعري تجاهه. بينما كانت تؤمن بوجهة النظر الأمومية المعتادة بأنه لا يوجد رجل على وجه البسيطة يمكن أن يستحق ابنتها أجاثا، كانت تشعر بأن هذا لم يكن الرجل المناسب. كتبت إلى عائلة **والستون باتريك** حتى تكتشف كل ما يمكن عنه. لقد أعاقها موت أبي، وعدم وجود أخ لي الذي كان سيقوم بما هو معتاد في تلك الأثناء من استعلامات عن تجاربه النسائية وعائلته ووضعه المادي بالطبع وغيرها مما يعتبر الآن شيئاً من الماضي، لكنني أرى أن ذلك كان يمنع الكثير من الشقاء.

كان تشارلز مطابق للمواصفات. لديه العديد من العلاقات النسائية، لكن لم تهتم أُمي بذلك، حيث كان من المألوف أن يمارس الرجل خلاعته قبل الزواج، كان يكبرني بحوالي خمسة عشر سنة، لكن زوجها كان يكبرها بعشرة سنوات فقط. وكانت تؤمن بهذا النوع من الفروق العمرية. وأخبرت تشارلز بأن أجاثا لا تزال صغيرة، وأنه لا يجب أن تندفع في اتخاذ أي قرار. واقترحت أن يرى كلا منا الآخر خلال الشهر أو الشهرين القادمين بدون أي ضغط علي لاتخاذ أي قرار.

لم ينجح ذلك لأنه لم يكن لدى مطلقاً أنا وتشارلز ما نتحدث عنه فيما عدا حقيقة أنه يحبني. ونظرًا لأنه كان يحجم نفسه عن هذا الموضوع، ساد كثيرًا من الصمت المُحرِّج بيننا. بعدها يرحل هو، وأظل أنا أفكر. ماذا أنا فاعلة؟ هل أريد الزواج منه؟ بعدها أتسلم خطابًا منه. لقد كان يكتب بدون أدنى شك أروع خطابات الحب. ذلك النوع من الخطابات الذي تتوق أي امرأة أن تحصل عليه، كنت أمعن النظر فيها وأعيد قراءتها وأحتفظ بها وأخيرًا سلمت بأن هذا هو الحب. بعدها يعود تشارلز أشعر بسعادة. ومع ذلك في نفس اللحظة يكون لدى شعور بارد يجول بخاطري أن هذا كله خطأ. في النهاية أشارت أُمي علينا ألا يرى كلا منا الآخر لمدة ستة أشهر. وبعدها يكون القرار النهائي لي. واقترحت أُمي أن لا يكون هناك خطابات أثناء هذه الفترة.

بنهاية الستة أشهر تلقيت تلغرافًا "لا يمكنني تحمل هذا التردد أكثر من ذلك. هل تريدان الزواج مني؟ نعم أم لا؟". كنت أرقد في الفراش بعد أن هاجمتني حتى طفيفة، أعطتني أُمي التلغراف. نظرت إليه وإلى استمارة الرد. أمسكت بقلم رصاص وكتبت لا. في الحال شعرت بارتياح. لقد نجحت في أن أقرر شيئًا. لا يجب أن أمضي أكثر من ذلك في هذه المشاعر المتقلبة المتعبة.

سألني أُمي: "هل أنت متأكدة؟"

أجبتها: "نعم". تقلبت في وسادتي ونمت في الحال. وهذه كانت النهاية.

كانت الحياة كثيفة أثناء الأشهر الأربعة أو الخمسة التالية، لأول مرة شعرت بالملل في كل ما أقوم به. وبدأت أشعر أنني ارتكبت خطأ فادحًا. ثم عاد ولفريد برى إلى حياتي مرة أخرى.

ذكرت مارتين ويليان برى أصدقاء والدي العظام، من قابلناهم مرة أخرى في دينارد. استمرت مقابلاتنا على الرغم من أنني لم أرى الأولاد مرة أخرى. ذهب هارلود إلى إتون. أما ولفريد فكان ضابط بحري في الأسطول. وأصبح ملازم فرعي. أعتقد أنه

كان في ذلك الوقت في الغواصة، ودائمًا ما كان يأتي مع الأسطول الذي كان يزور توركاى. سريعًا ما أصبح صديقًا حميمًا. أحد هؤلاء الناس الذين أحببتهم كثيرًا في حياتي. وخلال شهرين تمت خطبتنا بشكل غير رسمي.

كان ولفريد بمثابة النجدة من بعد تشارلز. معه لم يكن هناك إثارة، وبدون شك لم يكن هناك عناء. نحن بصدد صديق عزيز. شخص أعرفه جيدًا كنا نقرأ الكتب ونناقشها معًا كنا نجد ما نتحدث عنه وكنت دائمًا في المنزل معه. والحقيقة أنني كنت أتعامل معه وأعتبره تمامًا كأخي. كانت أُمي سعيدة وكذلك السيدة بيرى. توفي مارتن بيرى منذ بضعة سنوات. لقد كان زواجًا مثاليًا في نظر الجميع. حيث أن ولفريد لديه وظيفة جيدة في البحرية، كان آباؤنا أقرب الأصدقاء، وأحببت أمهاتنا بعضهم البعض. أحببت أُمي ولفريد. وأحببتي السيدة بيرى. لا زلت أشعر بأنني كنت ملكة الجحود لأنني لم أتزوجه.

لقد استقرت حياتي الآن. في خلال سنة أو سنتين، سوف نتزوج (حيث لم يكن مستحب أن يسرع المساعدون الشباب في الزواج) لقد أعجبتني فكرة الزواج من بحار فلا بد أن مسكني سيكون في جنوب البحر بليموث، أو ما شابه. وعندما يسافر ولفريد إلى محطات غريبة يمكنني العودة إلى أشفيلد وأقضى وقتي مع أُمي. حقًا لا شيء في الدنيا يمكن أن يكون أصح من ذلك.

أظن أن هناك عقدة مروعة متمثلة في نزعة الفرد إلى الاعتراض دائمًا على أي شيء يقترب من الكمال. مروقت طويل قبل أن أعترف بذلك، لكن فكرة الزواج من ولفريد استحثت بداخلي شعورًا محبطًا بالملل. لقد أعجبت به، وسوف أسعد بالعيش معه في نفس المنزل. لكن لم يكن هناك اهتمام بذلك على الإطلاق!

أحد الأشياء التي تحدث عندما تنجذبين إلى رجل وينجذب إليك هو ذاك الوهم الاستثنائي بأنكما تفكران بنفس الطريقة في كل الأشياء، إن كل واحد يقول الأشياء التي كان الآخر يفكر فيها. كم هورائع أن كليكما يحب نفس الكتب ونفس

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

الموسيقى. أما حقيقة أن أحدكما نادراً ما يذهب إلى الحفلات أو يستمع إلى الموسيقى لا يهم في تلك اللحظة. إنه حقاً يحب الموسيقى لكنه لم يكن يعرف ذلك، بنفس الطريقة الكتب التي يحبها لم يرغب الآخر يوماً في قراءتها لكنه الآن يشعر برغبة حقيقية في أن يقرأها. وها هي إحدى أوهاام الطبيعة الكبرى. كلانا يحب الكلاب ويكره القطط. يالا الروعة! كلانا يحب القطط ويكره الكلاب، رائع أيضاً.

وهكذا مضت بنا الحياة بسلام. كان ولفريد يأتي كل أسبوع أو أسبوعين لقضاء أجازته. كانت لديه سيارة واعتاد أن يوصلني. كان عنده كلب، الذي أحببناه أنا وهو. أصبح مهتماً بتحضير الأرواح لذا أصبحت أنا مهتمة بتحضير الأرواح. حتى الآن كان كل شيء على ما يرام. لكن الآن بدأ ولفريد في إنتاج الكتب التي كان تواقاً إلى قراءتها. كانت كتب كبيرة جداً—أغلبها كتب تصوفية. وهنا لم يفلح الوهم القائل بأنك تستمتعين بأي شيء يستمتع به معشوقك. لم يفلح بشكل طبيعي—فأنا لم أكن في الواقع أحبها. لقد وجدت الكتب التصوفية مملة، ليس فقط مملة لكنني أعتقد أنها كانت في مجملها خاطئة. وأسوأ من هذا، وجدت الكثير منها ليس له معنى. وقد أتعبي أيضاً أوصاف ولفريد عن الوسطاء الروحيون الذين يعرفهم. كان هناك فتاتان في **بورتموث**، وما رآته هاتان الفتاتان لن تصدقه. لا تدخل أحدهما إلى منزل دون أن تلهث، تمسك بقلبيها وتصاب بالانزعاج لأن هناك روح مرعبة تقف وراء أحد الموجودين. قال لي ولفريد: "في اليوم التالي دخلت **ماري**—كانت هي أكبرهما—إلى أحد المنازل وصعدت إلى الحمام لتغسل يدها، هل تعلني أنها لم تستطع أن تخطو بقدميها على العتبة؟ لا لم تستطع مطلقاً، فقد كان هناك شبحين أحدهما كان يمسك بشفرة حلاقة على رقبة الآخر. هل يمكنك تصديق ذلك؟

أجبت: "لا لا أصدق " لكنني سيطرت على نفسي في الوقت نفسه "هذا مثير جداً"، "هل سبق وأن رفع أحدهم شفرة الحلاقة في رقبة أحد الأشخاص هناك؟"

"من المؤكد حدوث ذلك." قالها ولفريد "لقد ترك المنزل للعديد من الأشخاص قبل ذلك، لذا مثل هذه الحادثة متوقع حدوثها. أليس كذلك؟ حسنًا. يمكنك أن ترى ذلك بنفسك؟"

لكنني لم أرى ذلك. كنت متوافقة بالطبيعة لذلك قلت له مبتهجة بالطبع، لابد وأن الأمر كذلك.

بعدها اتصل ولفريد من بورترسموث وأخبرني بحصوله على فرصة رائعة. تم اختيار مجموعة للبحث عن الكثر الدفين في أمريكا الجنوبية. سمح له بأجازة وسيكون بإمكانه الذهاب إلى هذه البعثة، هل يعتبر ذلك فضاظة من جانبه إذا ذهب؟ كانت إحدى الفرص المثيرة التي قد لا تتكرر مرة أخرى. أما الوسطاء الروحيون أعربوا عن موافقتهم، وقالوا انه سيعود بلا شك بعد أن يكتشف مدينة لم تعرف منذ زمن الإنكا. بالطبع لا نستطيع أن نعتبر ذلك دليلاً لكن ذلك كان غريباً أليس كذلك؟ هل يجب أن أعتبر ذلك فضاظة منه وهو الذي بإمكانه أن يقضى قدرًا من أجازته معي؟

لم أجد في نفسي أدنى درجات التردد. لقد تصرفت بأسى آيات الكرم. لقد قلت له أنني أعتقد أنها فرصة رائعة وأن عليه أن يذهب وأنني أتمنى من كل قلبي أن يتوصل إلى كنوز الإنكا. أجاب ولفريد أنني رائعة جدًا لا توجد فتاة من بين ألف فتاة ستصرف هكذا. ثم أنهى المكالمة وأرسل لي خطاب حب ثم رحل.

لكنني لم أكن تلك الفتاة النادرة. كنت فقط فتاة عرفت حقيقة ما بداخلها وكانت بالأحرى خجولة منها. استيقظت في اليوم التالي لإبحاره وأنا أشعر بأن حملاً ثقيلًا زال من قلبي. لقد كنت مسرورة من ذهاب **ولفريد** إلى استكشاف الكنوز لأنني أحببته كأخ وأحببت أن يفعل ما يريد. رأيت أن فكرة استكشاف الكنوز كانت فكرة سخيفة وكنت متأكدة من زيفها. وهذا يرجع أيضًا إلى أنني لم أحبه. إذا كنت أحببته كنت سأراها بعينه. ثالثًا. مرحى مرحى! لن أكون مضطرة لقراءة المزيد من الكتب التصوفية.

"ما الذي يجعلك تبدين بهذه السعادة؟" تساءلت أمي بارتياح.

فأجبتها: "اسمعي يا أمي. أعرف أن هذا شنيع. لكنني حقًا مسرورة لأن وولفريد قد رحل".

عزيزتي المسكينة-تبدل وجهها-لم أشعر من قبل بهذه الوضاعة وبمثل هذا الجحود كما فعلت حينها. لقد كانت سعيدة باجتماعي أنا وولفريد. شعرت للحظة ضائعة أنني يجب أن أستمري في الأمر، فقط لأجعلها سعيدة.

لم أخبر وولفريد أو أكتب إليه عما اتخذت من قرار لأنني شعرت أن ذلك سيكون له تأثير سيء عليه وهو في خضم البحث عن كنوز الإنكا داخل الغابات المشبعة بالبخار. قد يصاب بحى أو يقفز عليه أي حيوان غير أليف عندما يكون فكره مشغولاً-وفي كل الأحوال فإن ذلك سيفسد عليه متعته. لكنني احتفظت بخطاب في انتظاره عند عودته أخبرته فيه عن مدى أسفى وحيي له. لكنني لم أكن أرى وجود لهذا النوع من المشاعر بيننا الذي يجعلنا نرتبط ببعضنا مدى الحياة. بالطبع لم يوافقني الرأي، لكنه أخذ هذا القرار على محمل الجد وقال أننا سنظل دائماً نحتفظ بمشاعر الود تجاه بعضنا. والآن أتساءل لو كان ارتاح هو الآخر. لا أظن ذلك، لكن على الجانب الآخر لا أرى أنه تسبب في كسر قلبه. أعتقد أنه كان محظوظاً، كان سيكون لي نعم الزوج وكان سيحبني كثيراً، وأعتقد أنه كان علي أن أجعله سعيداً، لكنه بإمكانه أن يجد لنفسه الأفضل. وكان له ذلك بعد مرور ثلاثة أشهر. حيث وقع في حب عنيف مع فتاة أخرى والتي كانت تبادله نفس الدرجة من المشاعر. تزوجا في الوقت المناسب وأنجبا ستة أطفال. ليس هناك أكثر إقناعاً من هذا.

وبالنسبة لشارلز؛ بعد مرور ثلاث سنوات تزوج من فتاة جميلة في الثامنة عشر من عمرها.

حقًا كم من معروف قدمت لهاذين الرجلين.

الحدث الآخر كان عودة ريبي لوسي من هونج كونج في أجازة. على الرغم من أنني تعرفت على عائلة لوسي منذ سنوات عديدة، لم يحدث أبدًا أن قابلت أحاهم الأكبر ريبي. لقد كان رائد في المدفعية وأدى أغلب مدة خدمته في الخارج. كان شخص خجول ومنعزل وقلما كان يخرج. لقد كان يحب لعب الجولف لكنه لم يهتم مطلقًا بالرقصات أو الحفلات. لم يكن جميل الشعر أو أزرق العينين كالآخرين، حيث كان أسود الشعر وأسمر العينين. لقد كانت أسرة مترابطة يستمتعون برفقة بعضهم. انطلقنا إلى دارتمور سويًا في الترامات الخاصة بعائلة لوسي، نبحث عن القطارات التي ليس لها وجود، حيث كانت تفوتنا في جميع الأحوال، نغير في نيوتن أبوت ثم نفقد الاتصال، بعدها نقرر الذهاب إلى مكان آخر داخل دارتمور وهكذا.

بعدها عرض على ريبي تحسين لعبي للجولف. وكان لعبي في هذه المرحلة لا يمكن اعتباره موجود. لقد حاول الكثير من الشباب بذل ما في وسعهم معي لكن كثيرًا ما كنت أعتذر فلم أكن أجيد الألعاب. لكن الشيء المزعج هو أنني كنت دائمًا مبتدئة واعدة. في الرماية وفي البلياردو وفي التنس وفي الكروكيه كنت واعدة جدًا لكن ذلك لم يكتمل أبدًا، وهو مدعاة أخرى للسخرية. لقد شاركت في منافسات الكروكيه مع ماج حيث فزت بأغلب البيسكات المسموح بها.

قالت ماج وكانت تلعب ببراعة: "بكل هذه البيسكات التي حصلت عليها يمكننا الفوز بسهولة".

لقد أسهمت البيسكات لكننا لم نفز. لقد كنت أجيد اللعب النظري لكنني أخفقت بسخافة في الرميات السهلة. بالنسبة للتنس كنت أجيد رمية الإرسال براحة اليد والتي كانت أحيانًا تحظى بإعجاب زملائي. لكن ضربة اليد الخلفية كان ميثوس منها. لا يمكن أن تلعب التنس برمية الإرسال وحدها. في الجولف كان لدى إرسالات جامحة، رميات حديدية مرعبة وضربات جولف رقيقة لا يمكن الاعتماد عليها.

على الرغم من ذلك كان ريجي يتحلى بالصبر الجميل وكان مثل ذلك النوع من المعلم الذي لم يكن ييأس من عدم تحسنتك. كنا نتهادى حول ملاعب الجولف ونتوقف عندما كنا نرغب في ذلك. في حين أن لاعبي الجولف الجادين كانوا يسافرون بالقطار إلى ملعب جولف شورستون. كان هناك أيضًا مسار توركاى للسباق ثلاث مرات سنويًا لكنه لم يكن يحظى بالرعاية والاهتمام. كنت أنا وريجى نسير بتمهل حوله ثم نعود لتناول الشاي مع العائلة ونغنى أحد الأغاني بعد عمل نخب جديد لأن النخب القديم أصبح باردًا وهكذا. لقد كانت حياة كسولة سعيدة، لم يكن أحد يسرع أبدًا والوقت لا قيمة له فلا قلق ولا اهتمام. قد أكون مخطئة لكنني متأكدة انه ليس من بين عائلة لوسي من هو مصاب بقرحة الأثني عشر أو بتخثرات تاجية أو بارتفاع ضغط الدم.

يومًا ما لعبت أنا وريجى أربع حفرات جولف ونظرًا لأن اليوم كان حارًا اقترح أن نجلس تحت السياج أخرج سيجاره ودخن ثم تحدثنا بالأسلوب المعتاد والذي لم يكن أبدًا حديث متصل لكن كلمة أو اثنان حول موضوع بعدها تسود وقفات للراحة. وهى الطريقة المفضلة لي عند إجراء حديث. لم أشعر أبدًا بأني بطيئة أو غبية أو مرتبكة في النطق حينما أكون مع ريجى.

والآن بعد العديد من النفخات من سيجارته قال بعد تفكير كبير: "لديك الكثير من فروات الرئوس يا أجاتا أليس كذلك؟ حسنًا. يمكنك أن تضيفي إليهم ما عندي في الوقت الذي تحبينه".

فنظرت إليه ويمألني الشك غير متأكدة من مقصده.

ثم قال: "لا أعرف إن كنت تعلمين أنني أريد الزواج منك أم لا؟ قد تكوني تعلمين لكنني سأقولها لك على أية حال، هل يوجد مانع لديك؟ إنني لا أسابق الأحداث-أقصد أنه ليس هناك داع للعجلة"- تلك العبارة الشهيرة لعائلة لوسي تخرج بسلسلة من شفقي ريجى "انك صغيرة وسأكون مخطئ إن ارتبطت بك الآن".

أجبت بحدة أنني لم أكن صغيرة جدًا لهذه الدرجة"

إنك حقا كذلك، أجي، بالمقارنة بي "على الرغم من أنه قد طلب من ريجي عدم مناداتي بأجي، إلا أنه كان ينسى كثيرًا نظرًا لأنه كان أمر طبيعي بالنسبة لعائلة لوسي أن يطلقوا أسماء على بعضهم البعض مثل مرجي، نوني، ادي، وآجي. ثم تابع ريجي: "حسنًا، فكرى في الأمر. فقط ضعيني في الحسبان، وإذا لم يظهر شخصًا هناك فهي أنا ذا، كما تعلمين."

أجبت في الحال أنني لست بحاجة إلى التفكير في الأمر، لأنني فعلاً أريد الزواج منه."

"لا أظن أنك أخذت وقتك في التفكير يا أجي."

"بالطبع لقد فكرت. فأنا أستطيع أن أفكر خلال لحظة في أمر كهذا"

"حسنًا، لكن لا فائدة من الاندفاع، أليس كذلك؟ ففتاة مثلك-يمكن أن تتزوج أي إنسان"

"أنا لا أريد الزواج بأي شخص. لكنني بالأحرى أريد الزواج منك."

"نعم لكن يجب أن تكوني عملية كما تعلمين. يجب أن تكوني عملية في عالمنا هذا، فأنت بالتأكيد تريدين الزواج من رجل لديه المال، يكون شابًا لطيفًا، شخص تحبينه، ويستطيع أن تقضى معه وقتًا ممتعًا، ويحسن الاعتناء بك، ويمنحك كل الأشياء التي تستحقينها."

"إنني فقط أرغب في الزواج من الشخص الذي أريده ولا يهمني الكثير من الأشياء."

"نعم، لكنها مهمة أيضًا آيتها الفتاة. إنها مهمة في عالمنا هذا. ولا تفيد الرومانسية وحادثة السن". ثم استطرد قائلاً: "سوف تمتد أجازتي إلى عشرة أيام أخرى. فكرت أنه من الأفضل أن أتحدث قبل أن أرحل. وقبل ذلك لم أعتقد أبدًا

أنني سأفعل.... كنت أعتقد أنني سأنتظر-أريدك فقط أن تعلني أنني هنا، عندما أعود خلال عامين، إن لم يكن هناك شخصاً آخر".

أجبت قائلة: "لن يكون هناك شخصاً آخر." كنت ايجابية جداً.

وهكذا تمت خطبتنا أنا وريجي. لم تكن خطبة بالشكل المتعارف عليه. كانت العائلتان تعلمتا بارتباطنا، لكن لم يتم الإعلان عن ذلك أو إخراجه على الورق، كما أننا لم نخبر أصدقائنا بذلك، مع أنني أعتقد أن أغلبهم كان يعرف.

"أنا لا أستطيع التفكير." قلتها لريجي "لماذا لا يمكننا الزواج؟ لماذا لم تخبرني بشكل عاجل بعدها يتبقى لدينا الوقت للاستعدادات".

"نعم بالطبع، يجب أن تحظين بالوصيفات والزفاف الصاخب.. الخ. لكن على أي حال، لا يجب أن أحلم بأن أتركك تتزوجيني الآن. يجب إعطاؤك فرصتك كاملة".

كنت دائمة الغضب من ذلك وكنا كثيرًا ما نصل لحد التشاجر. قلت إنني لا أظن أنه من الحب أن يتحول عن عرضه الزواج مني فجأة. لكن ريجي كانت لديه أفكار ثابتة تتعلق بمن يحب. وفي عقله الضيق يكمن ذاك الاعتقاد بأن أفضل شيء يجب أن أفعله هو أن أتزوج رجل ذا مال ومكانة... الخ. وعلى الرغم من شجارنا إلا أننا كنا نشعر بسعادة بالغة. وكانت عائلة لوسي مسرورة لأجلنا ويقولون: "كنا نعرف أن ريجي مهتم بك يا آجي منذ بعض الوقت. إنها ليست عادته أن ينظر إلى أي من صديقاتنا الفتيات. ليس هناك داع للعجلة، من الأفضل أن تعطى نفسك وقتًا أكبر للتفكير.

كانت هناك لحظات أشعر فيها أن ما كنت أستمع به من صفات عائلة لوسي- إصرارهم على إعطاء أنفسهم الكثير من الوقت في كل شيء- قد أثارت تنافر في داخلي. فمن ناحية العواطف كنت أحب أن يقول لي ريجي أنه لا يمكنه

الانتظار لعامين وأنا يجب أن نتزوج الآن. ولسوء الحظ كان هذا آخر شيء كان ريجي يحلم أن ينطق به. لقد كان شخص غير أناني وخجول وغير واثق من نفسه ومن قدراته.

أعتقد أن أمي كانت سعيدة بخطبتنا. حيث قالت: "إنني كنت دائمة الإعجاب به، أعتقد أنه من ألطف الأشخاص الذين قابلتهم في حياتي. إنه سوف يسعدك فهو لطيف وحنون. ولن يستعجل جوابك أو يضايقك. إنك لن تكوني شديدة الغنى لكن يكفيك الآن انه وصل إلى رتبة رائد- وسوف تجدينها مناسبة. فإنك لست هذا النوع من الأشخاص الذي يهتم كثيرًا بالمال والذي يحب الحفلات أو الحياة الصاخبة.

"ثم قالت بعد وقفة قصيرة: "أتمنى لو أخبرك مبكرًا أكثر من ذلك حينها كنت ستزوجه.

"لذا كانت أمي أيضًا تشعر بنفس شعوري، وبعد مرور عشرة أيام غادر ريجي عائداً إلى فوجه ومكثت أنا في انتظاره.

دعني هنا أضيف نوع من التذييل لأيام التودد التي مرتت بها.

لقد وصفت طالبي زواجي لكنني لم أكن منصفة حينما لم أذكر شيئاً عن حقيقة أنني أيضاً وقعت في حب. أولاً جندي طويل جداً قابلته عندما كنت في يوركشاير. والذي لو طلبني للزواج ربما أجبته بنعم قبل أن تخرج الكلمات من شفتيه، لكنه لم يفعل معتقداً أن ذلك من الحكمة. لقد كان ملازم أول فقير والذي اقترب موعد لحاقه بفوجه إلى الهند. أعتقد أنه كان يحبني بقدر ما أقل أو أكثر. لقد كانت لديه نظرة الخراف. وكنت مضطرة أن أتدبر الأمر بالنسبة لذلك. لقد انطلق إلى الهند كان يحرقني الشوق إليه لمدة ستة أشهر على الأقل.

ثم بعد عام أو ما يقرب من ذلك وقعت في الحب مرة أخرى. عندما كنت أمثل في مسرحية غنائية أقامها الأصدقاء في توركاى-نسخة من "اللحية الزرقاء" بكلمات

كتبوها بأنفسهم. كنت أقوم بدور الأخت آن، أما من أحببت فأصبح فيما بعد لواء طيران. كان لا يزال حينها صغيراً في بداية حياته المهنية. كانت لدي عادة مقززة للغناء لدب لعبة، وهي من أغاني ذلك العصر:

أتمنى لو أن عندي دب لعبة

يجلس على ركبتي

كنت سأخذه معي في كل مكان

ويعانق كلا منا الآخر

كل ما يمكن أن أقدمه من أعذار هو أن جميع الفتيات كانت لديها هذه العادة-والتي لاقت استحساناً كبيراً.

كنت على وشك أن أقابله مرات عديدة في حياتي فيما بعد-بما أن له صلة قرابة مع الأصدقاء-لكني كنت دائماً أنجح في تجنب ذلك، فأنا لدى كرامتي.

كنت أعتقد دائماً أنه يتذكرني كفتاة جميلة في رحلة تحت ضوء القمر فوق كهف أنستي وفي اليوم الأخير لأجازته حيث انفصلنا عن الآخرين وجلسنا على صخرة تجاور البحر. لم نتحدث- فقط كنا نجلس ويمسك أحدهنا بيد الآخر.

وبعد أن رحل أرسل لي ببروش على شكل دب ذهبي صغير.

كنت أهتم وأرغب في أن يظل يتذكرني بهذا الشكل-لا أن أتحمل ألم الفراق أو ما يمكن فقط أن نسميه "بالوجه الحنون".

قال الأصدقاء: "إن أمياس دائماً يسأل عنك ولديه رغبة شديدة في أن يقابلك مرة أخرى".

"سيقابلني وهو في الستينات؟ لا يهم. فلا مانع في أن أكون بمثابة وهم بالنسبة لأي شخص.



السعداء لا ماضي لهم، أليس هذا هو القول المأثور؟ حسنًا، فأنا في تلك الفترة كنت سعيدة. كنت أقوم بنفس الأشياء كالمعتاد، أقابل أصدقائي وأسافر من وقت لآخر لكنني كنت قلقة على إبصار أُمي الذي كان يسوء يومًا بعد يوم. إنها الآن تجد صعوبة في القراءة ولديها مشكلة في رؤية الأشياء في الضوء الساطع. لم تفيد النظارات. كانت جدتي لامي في إيلينج ضريرة أيضًا وتتحسس الأشياء. وشيئًا فشيئًا مثلها مثل اغلب كبار السن تتشكك في الجميع، في الخدم، في عمال الصيانة، في عازف البيانو.. الخ. أتذكر دائمًا جراني وهي تميل على مائدة الطعام ثم تقول إما لي أو لأختي: "ششش"، هسيس عميق" تكلمي بصوت منخفض، أين حقيبتك؟".

"بالحجرة يا جدتي"

"لقد تركتها هناك. لا يجب أن تتركها هناك. لقد سمعت صوتها بالأعلى للتو.

"حسنًا، لكن كل شيء على ما يرام، أليس كذلك؟"

"وما يدريك، عزيزتي، وما يدريك، فقط اصعدي واجلبها"

في ذلك الوقت حدث أن جدتي لامي جراني ب سقطت من حافلة حيث كانت مدمنة الركوب أعلى الحافلات، وأظن في ذلك الوقت كانت قد قاربت الثمانين. على أي حال انطلقت الحافلة فجأة بينما كانت نازلة على الدرج فسقطت، كسر ضلعها وأظن ذراعها أيضًا. لقد قاضت شركة الحافلة بإصرار وأخذت تعويض كبير، ومنعت من قبل الأطباء من الركوب في أعلى الحافلات. لم تلتزم بتعليمات الأطباء، وأجريت لها أيضًا عملية جراحية في تلك الأثناء أعتقد أنها كانت بسبب سرطان في الرحم لكن العملية كانت ناجحة ولم يعاود الورم مرة أخرى. كان الإحباط ملازمًا لها. وكانت تتطلع إلى إزالة ذلك الورم أو أي كان من أعماقها، لكنها كانت تعتقد أن بعد إزالته ستبدو رشيقة وجميلة. لقد كان حجمها في هذا الوقت اكبر بكثير من

جدتي الأخرى. تنطبق تمامًا عليها نكتة المرأة السمينة التي علقت في باب الحافلة والمحصل يصبح قائلًا لها "إلى الجانب مدام، إلى الجانب، "يا سيدي الشاب، ليس هناك أي جوانب".

على الرغم من أن الممرضات منعوها بكل حزم من أن تغادر الفراش بعد أن فاقت من المخدر حيث تركت لتنام، إلا أنها خالفت ذلك ومشّت على أطراف أصابع القدم إلى مرآة الحائط. يالّا خيبة الأمل! لقد بدت بدينة كما كانت من قبل.

"لن أتغلب أبدًا على الإحباط يا كلارا"، قالتها إلى أمي "لقد اعتمدت عليه حيث أعانى من المخدروكل شيء. لكن انظري إلي: فأنا كما أنا.

في تلك الأثناء كانت هناك مناقشة بيني وبين أختي ماج والتي أتت ثمارها فيما بعد. كنا على ما أعتقد نقرأ إحدى القصص البوليسية، وكل ما أستطيع أن أقوله هو أعتقد، لأن تذكرات المرء ليست دقيقة دائمًا، حيث يميل المرء إلى إعادة ترتيبها في عقله لكنه يخطئ الزمان وأحيانًا المكان—أعتقد أنها كانت بعنوان "لغز الغرفة الصفراء" والتي ظهرت للتو على يد أحد الكتاب، جاستون لى رو، تتحدث عن شاب جذاب يعمل محققًا، يدعى رولتابليل. لقد كانت لغز مُحجّر جيدة التخطيط من ذاك النوع الذي قد يراه البعض مخادعًا ويضطر البعض الآخر أن يعترف بذلك لكن ليس بدرجة كبيرة حيث يستطيع المرء أن يرى مفتاحًا متقنًا يتسلل ببراعة إلى الأحداث.

كنا نتحدث عنها كثيرًا يخبر كلا منا الآخر عن وجهة نظره ونتفق على أنها من بين أفضل ما قرأنا. كنا نعتبر خبراء في القصص البوليسية. لقد عرفتني ماج وأنا صغيرة على شرلوك هولمز، وتتبع أثرها بخطى ثابتة بدءًا "بقضية يفنورث" والتي أبهرتني عندما قدمتها لى ماج وأنا في الثامنة، بعدها أرسلن لوبين لكنني لم أعتبرها أبدًا قصة بوليسية على الرغم من متعتها وإثارتها. بالإضافة إلى قصص باول بيك والتي لاقت استحسانًا كبيرًا، مثل "سجلات مارك هيويت": "ولغز الغرفة الصفراء". وكنت مستثارة بكل ذلك ولدى رغبة في محاولة كتابة قصة بوليسية.

قالت ماج: لا أعتقد أنك تستطيعين ذلك، فهذا النوع من الروايات صعب للغاية، وقد جرّبه أنا بنفسني. لا أظن أنه بإمكانك فعل ذلك"

فقلت: "ولكنني أحب أن أحاول"

فقالت ماج "حسنًا، لك ما تريدين، ولكنني أراهنك بأنك لن تستطيعي ذلك"

استقر الحال، لم يكن أبدًا رهان مؤكد حيث أننا لم نضع الشروط-لكنها كانت كلمات قيلت. منذ تلك اللحظة كان يلهبني التصميم أنني يجب أن أكتب قصة بوليسية. ولم ينتقل الأمر إلى ما هو أبعد من ذلك، حيث لم أبدأ في الكتابة أو حتى التخطيط لها، لقد بُدِرَت البذرة في الجزء الخلفي من العقل، حيث تقبع حكايات الكتب التي سوف أكتبها قبل أن تنبت البذور بوقت طويل فلقد تم غرس الفكرة: يومًا ما سأكتب قصة بوليسية.



كنت أنا وريجي نرسل خطابات لبعضنا بشكل منتظم. كنت أخبره عن الأخبار المحلية وأحاول أن أكتب له أفضل خطاب يمكنني كتابته—حيث لم أكن أجيد كتابة الخطابات. أما أختي ماج فقد أصبحت ما يمكنني وصفه بنموذج للفن، حيث بإمكانها اختلاق أروع القصص من لا شيء. إنني لأحسدها على هذه الموهبة.

أما خطابات ريجي فكانت تمامًا مثل حديثه لطيف ومطمأن. ودائمًا يحثني على الخروج:

"والآن لا تمكثي في البيت مكتئبة يا آجي، حيث أنني لا أريد ذلك أن يحدث أبدًا. يجب أن تخرجي وتري الناس. يجب أن تخرجي إلى الحفلات والرقصات. أريدك أن تحصلي على كل فرصك قبل أن يكتب لنا الاستقرار".

أتساءل ما إذا كان هناك في الجانب الخلفي من العقل أقل قدر من عدم الاستياء من وجهة النظر تلك. لا أظن أنني أدركت ذلك في وقته، لكن هل يحب المرء أن يستحثة الآخرين على الخروج لرؤية أشخاص آخرون. أليس الأمر بعيدًا عن حقيقة أن كل أنثى تفضل أن تظهر خطاباتها العاطفية شيئًا من الغيرة؟

"من هذا الشخص! كذا وكذا الذي تكتبين عنه؟ إنك لا تغرمين به يومًا بعد يومًا، أليس كذلك؟

أليس هذا هو الجنس الذي نريده حقًا؟ أو هل يستطيع المرء أن يقرأ في عقل الآخر أشياء قد لا تكون موجودة؟

أقيمت الرقصات المعتادة في الجوار ولم أذهب إليها، لأنه بما أننا لا نملك سيارة لا يكون الأمر عمليًا أن نقبل دعوات تبعد عنا ما يزيد عن ميل أو ميلين. أما استئجار سيارة أو تاكسي يكون باهظ الثمن بالنسبة لنا باستثناء بعض المناسبات. لكن كان هناك أوقات يتم البحث فيها عن الفتيات حينها يطلب منك البقاء.

أقامت عائلة كليفوردي في شادليغ حفلة راقصة دعوا إليها أعضاء الحامية من إكستير. وطلبوا من بعض أصدقائهم إن كان بإمكانهم إحضار فتاة أو اثنان من الجميلات. اقترح خصمي القديم الرائد في البحرية ترافرز والذي تقاعد ويعيش مع زوجته في شادليغ أن عليهم أن يأخذوني. اتصلت زوجته وسألتني أن آتي للمكوث معهم ثم الذهاب للحفلة. بالطبع كنت سعيدة لذلك.

كما أنني تسلمت أيضًا خطاب من صديق يدعى آرثر جريفز والذي قابلته عندما كنت أقيم مع عائلة ماثيو في قاعة ثورب الكبيرة في يوركشاير. كان هو ابن الكاهن المحلي وكان جندي مدفعي وقد أصبحنا أصدقاء مقربين. وبعث آرثر بكتاب يقول فيه انه أستوقف الآن في إكستير وأنه لسوء الحظ لم يكن من بين الضباط الذاهبين إلى الحفلة وأن هذا أحزنه كثيرًا لأنه كان يرغب في الرقص معي مرة أخرى. "ومع ذلك" قال آرثر "هناك زميل لي ذاهب يدعى كريستي لذا انتبهي إليه هل ستفعلي؟ إنه راقص جيد".

سريعًا ما اقترب كريستي مني أثناء الرقصة. لقد كان شاب طويل جذاب ذا شعر متموج مجعد، أنفه مثير للاهتمام تتجه لأعلى لا لأسفل ولديه شيء من الثقة بالنفس. قدم نفسه لي وطلبني لرقصتين وقال لي أن صديقه جريفز أخبره أن يبحث عني. تقدمنا سويًا بشكل ممتاز لقد كان رقصه رائع ورقصت معه مرات عديدة واستمتعت بالأمسية بأكملها. في اليوم التالي بعد أن شكرت عائلة ترافرز أوصلوني إلى نيوتن أبوت حيث أخذت قطار العودة.

أظن أنه بعد مرور أسبوع أو عشرة أيام كنت أتناول الشاي مع عائلة ميللر في منزلهم المقابل لمنزلنا، لا زلت أنا وماكس نمارس الرقص في الحجرة المخصصة له. على الرغم من أن رقص الفالز في الأدوار العلوية رحمة بي كان شيء من الماضي. أعتقد أننا كنا نرقص التانجو عندما استدعيت للرد على مكالمة تليفونية. لقد كانت أمي:

"عودي إلى المنزل فورًا. هل ستفعلي يا أجاثا؟ قالت أمي "يوجد هنا أحد أصدقائك الشبان- لا أعرفه. ولم أره من قبل. لقد قدمت الشاي له. لكن يبدو أنه باق على أمل أن يراك".

كانت أمي دائمًا تغضب بشدة إن هي اضطرت إلى الاعتناء بضيوفي من الشباب وكانت تعتبر هذا العمل من واجباتي أنا.

لقد كنت غاضبة من الرجوع حيث أنني كنت أقضي وقتًا ممتعًا، بالإضافة إلى ذلك فقد كنت أعتقد أنني أعلم من هو ذاك الشاب الذي في انتظاري-مساعد بحري شاب كئيب والذي اعتاد أن يطلب مني قراءة أشعاره، لذا ذهبت وأنا غير راضية ونظرة العبوس تملأ وجهي.

جئتُ إلى غرفة الرسم ثم وقف شاب ظهرت عليه علامات الارتياح. ملأت وجهه حمرة الخجل وبدأ الإحراج واضحًا عليه حيث كان مضطربًا لتقديم نفسه. لم يكن مسرورًا بدرجة كبيرة عندما رأيته - أظن أنه كان خائف من أنني قد لا أتذكره مع أنني تفاجئت كثيرًا. لم أتوقع أبدًا أن أرى صديق جريفتر، الشاب كريستي آرثشي مرة أخرى. قدم بعض التفسيرات المترددة -لقد اضطر للمجيء إلى توركاى على دراجته البخارية وفكر أيضًا في أن يبحث عني. لقد تجانب ذكر حقيقة ما مر به من مشاكل وإحراج حتى يستطيع أن يصل إلى عنواني من جريفتر. ومع ذلك سارت الأمور بشكل أفضل بعد دقيقة أو اثنتين. لقد ارتاحت أمي كثيرًا لوصولي أما كريستي آرثشي فبدأ أكثر ابتهاجًا بعد أن انتهى من تفسيراته.

أسدل الليل أستاره بينما كنا نتحدث. وبالعلامة الرمزية المقدسة الشائعة بين النساء برز سؤال بيبي وبين أمي يتعلق بما إذا كان ذاك الزائر الذي أتى بدون موعد ستنتم دعوته للبقاء حتى العشاء، وإذا كان كذلك فأني الطعام مما قد يكون بالمنزل؟ أعتقد أن تلك الزيارة كانت تالية لعيد الكريسماس لأنني كنت على علم بوجود ديك رومي بارد في ثلاجة اللحوم. أشرت إلى أمي بنعم. وسألت هي إن كان يرغب في البقاء

وتناول وجبة بدء العام الجديد معنا فوافق على الفور. إذن تناولنا ديك رومي بارد وسلطة ومعه شيئاً آخر، جبن على ما أعتقد، وقضينا أمسية جميلة. بعدها ركب على دراجته البخارية وانطلق في سلسلة من الصدمات المتفجرة إلى إكستير.

خلال العشرة أيام التالية كان له ظهور متكرر وغير متوقع. في المساء الأول طلب مني أن آتي معه إلى حفلة موسيقية في إكستير-حيث أخبرته في الرقصة السابقة أنني مولعة بالموسيقى- وبأنه سيأخذني بعد ذلك إلى فندق ردكليف لتناول الشاي. رحبت كثيراً بالذهاب معه. بعد ذلك كان هناك شيئاً من الإحراج عندما أوضحت أنني أن بنتها لا تقبل الدعوات إلى حفلات إكستير بمفردها. أصابه ذلك بإحباط بسيط بعدها أسرع بمد الدعوة لتشملها. لانت الأم وقالت انه ليس هناك مشكلة في أن أذهب إلى الحفلة الموسيقية لكنها تأسف عن عدم السماح لي بالذهاب لتناول الشاي معه في فندق (يمكنني أن أقول أنه كانت لدينا قواعد غريبة. فالواحدة منا كان بإمكانها أن تذهب بصحبة أحد الشباب إلى لعب الجولف وركوب الخيل والتزلج، لكن أن تشرب الشاي معه داخل فندق يعتبر عيباً لا تسمح به الأمهات الفضليات لبناتهن). في النهاية تم التوصل إلى اتفاق بأنه يمكنه دعوتي إلى الشاي في حجرة التجديد داخل محطة إكستير، وهو ليس بالمكان شديد الرومانسية. بعدها سألته إن كان يرغب في المجيء إلى حفلة واجانروالمقرر إقامتها في توركاى خلال أربعة أو خمسة أيام. أجابني أنه يرحب بشدة بذلك.

أخبرني كل شيء عن نفسه، وكم كان ينتظر بفارغ الصبر أن ينضم إلى هيئة الطيران الملكية المشكلة حديثاً. لقد تأثرت بذلك، الجميع يتأثر بالطيران لكنه كان شخصاً مدهشاً. أخبرني أنها ستكون مرفق المستقبل. إذا كانت هناك حرب ستكون الطائرات هي أول شيء مطلوب. ليس الأمر أنه كان مجنون تواق إلى الطيران لكنها كانت فرصة للتقدم في مهنته. ليس هنالك مستقبل في الجيش. وكونك مدفعي يسير الترقى بخطى بطيئة. لقد فعل ما في وسعه حتى يحظى برومانسية الطيران معي لكنه لم ينجح. على الرغم من ذلك كانت هذه هي المرة الأولى التي لم يفسح فيها

عقلي المنطقي والعملي المجال لرومانسي. في عام ١٩١٢ كانت العاطفية لا تزال موجودة. كان الناس يطلقون على أنفسهم المسلوقين لكنهم لا فكرة لديهم عن معنى هذا المصطلح. كان لدى الفتيات أفكار رومانسية عن الشباب وكان لدى الشباب مثاليات عن الفتيات. ومع ذلك فإن الصورة تختلف كثيرًا عن زمان جدتي لأمي:

قالت جدتي: "إنني معجبة بأمبروز"، مشيرة إلى أحد عشاق أختي، "قبل أيام بعد أن خرجت ماج تمشى بطول الشرفة، رأيت أمبروز يصعد ويتبعها، ثم انحنى وأمسك بحفنة من الحصى التي وطأتها قدمها ووضعها في جيبه. يالا جمال هذا!، يالا جماله! أتخيل لو أن ذلك قد حدث لي عندما كنت شابة".

عزيزتي المسكينة جدتي، اضطررنا أن نحررها من هذا الوهم. اتضح أن أمبروز كان مهتمًا بالجيولوجيا، وكان الحصى من نوع معين يبحث عنه.

كنا أنا وأرتشي متناقضان في ردود أفعالنا. أظن أن هذا أعجبنا في البداية. إنها الحماسة القديمة لل"الغريب". طلبت منه الذهاب إلى حفلة رأس السنة وكان مزاجه غريبًا. قلما تحدث إلي. أظن أننا كنا مجموعة من أربعة أو ستة. وفي كل مرة رقصت معه ثم جلسنا بعدها كان يلتزم الصمت وعندما كنت أتحدث إليه كان يجيبني بشكل عشوائي. بأسلوب غير مفهوم. كنت متحيرة أنظر إليه مرة أو مرتين أتساءل ماذا به وما الذي يفكر فيه، يبدو أنه لم يعد مهتمًا بي.

لقد كنت حقًا حمقاء. كان يجب أن أعلم أنه عندما يبدو الرجل كخروف ومذهول ومخدر وغير مستعد لأن يستمع إلى ما تقولينه له يكون بشكل فظ قد أدرك الأمر على نحو سيء.

ماذا علمت؟ هل أدركت ما الذي كان يحدث لي؟ أتذكر حين التقطت أحد خطابات ريجي عندما وصلتني، وأنا أقول لنفسني: "سأقروء لاحقًا"، ثم أقحمه سريعًا في درج القاعة. لقد وجدته هناك، بعد ذلك ببضعة أشهر أظن أنني من داخل أعماقي عرفت بالفعل.

وكانت حفلة الواجانر بعد تلك الحفلة بيومين. ذهبنا إليها ثم عدنا بعد ذلك إلى آشفيلد. وبينما نحن صاعدين إلى غرفة الدراسة لعزف البيانو-كما هي عادتنا دائمًا-تحدث آرثشي إلي وهو يملؤه اليأس. إنه سيغادر خلال يومين وقال أنه ذاهب إلى سهل ساليسبري ليبدأ تدريبه في هيئة الطيران. بعدها قال لي بقوة:

"يجب أن تتزوجيني، يجب أن تتزوجيني" وقال أنه أحس بذلك من أول مرة رقص فيها معي". لقد مررت بأوقات سيئة حتى أحصل على عنوانك وأجذك. ليس هناك ما هو أصعب من ذلك لن يكون هناك أحد غيرك. يجب أن تتزوجيني".

أخبرته أن هذا مستحيل وبأنني مخطوبة لشخص آخر، لوح بيده غاضبًا من الخطوبات ثم قال: "ماذا يهم ذلك بحق الجحيم؟" كل ما عليك فعله هو أن تنهى هذا الارتباط".

"لكنني لا أستطيع، ولا يمكن أن أفعل ذلك".

"بالطبع يمكنك. إنني لست مرتبط بفتاة أخرى، لكن إذا حدث ذلك كنت سأنهي الأمر خلال دقيقة من دون حتى التفكير فيه".

"لا يمكنني أن أفعل به ذلك".

"هذا هراء. عليك أن تفعلي. وإذا كنتما تحبان بعضكما. فلم لم تتزوجا قبل أن يسافر للخارج؟"

"لقد فكرنا" أجبته مترددة- "أنه من الأفضل أن ننتظر".

"لو كنت مكانه، لم أكن لأنتظر، ولن أنتظر".

"لا يمكننا أن نتزوج لسنوات. إنك فقط ملازم أول، وهكذا سيكون حالك في هيئة الطيران".

"ليس باستطاعتي الانتظار لسنوات، فأنا أود أن نتزوج الشهر القادم أو الذي

يليه".

قلت له "أنت مجنون"، "أنت لا تعرف عن أي شيء تتحدث".

في النهاية أضطر إلى الرضا بالأمر الواقع. لقد كانت صدمة كبرى لأمي المسكينة. أعتقد أنها كانت متلهفة، وارتاحت كثيرًا عندما سمعت أن آرثشي كان ذاهبًا إلى سهل ساليسبري، ثم لتصطدم فجأة بأمر واقع.

قلت لها: "أسفة يا أمي، علي أن أخبرك بكل شيء طلب مني كريستي آرثشي الزواج منه وأنا أريد ذلك. أريده بشدة".

لكن علينا مواجهة الحقائق-أمي كانت صارمة. ماذا لديك حتى تتزوجي؟
"سألتني" كلاكما"؟!

كان وضعنا المالي يزداد سوءًا. كان آرثشي ملازم أول شاب أكبر مني بسنة واحدة. ليس لديه مال غير مرتبه من وظيفته بالإضافة إلى مبلغ ضئيل يمكن لأمه أن تتحمله. أما أنا فكل ما لدى هو المائة اليتيمة كل عام والتي ورثتها طبقا لوصية جدي. سيكون أمامه سنوات على أفضل حال حتى يكون بإمكان آرثشي أن يتزوج.

قال لي بمرارة قبل أن يرحل: "لقد حطمتني أمك. كنت أظن أنه لن يهمني شيء! كنا سنتزوج بطريقة أو بأخرى وستسير الأمور على خير ما يرام. لقد جعلتني أرى أننا لا يمكننا أن نتزوج ليس فقط في الوقت الحاضر. قد يكون علينا الانتظار لكننا لن ننتظريومًا وأحدًا بعد ما يمكننا انتظاره. سوف أفعل كل شيء؛ كل شيء يمكننا التفكير فيه-وسيساعدنا عملي هذا في الطيران... بالطبع فهم لا يحبون أن يكون زواجك لا في الجيش أو في هيئة الطيران وأنت صغيرة". نظر كلا منا إلى الآخر. كنا صغيران يائسان وعاشقان.

تمت خطبتنا والتي استمرت عام ونصف. لقد كانت فترة عاصفة مليئة بالصعود والهبوط وحزن عميق لأننا كان لدينا الشعور بأننا نحلم بما لن نحصل عليه.

توقفت عن الكتابة إلى ريجي لمدة شهر تقريبًا، أظن أنه كان في الأساس بدافع الشعور بالذنب، وبشكل جزئي لأنني لم أتمكن من حمل نفسي على تصديق أن ما حدث لي فجأة يمكن أن يكون حقيقي—سأفقد منه سريعًا وأعود إلى حيث كنت.

لكنني اضطررت في النهاية إلى الكتابة، يملأني الشعور بالذنب واليأس، وبدون عذر يذكر. وما زاد الأمر سوءًا في اعتقادي هي الطريقة الحنونة والعطوفة التي أظهرها ريجي. أخبرني أن لا أضايق نفسي وأنها ليست غلطتي وهو متأكد من ذلك.

بالطبع قال "كان هذا صادم بالنسبة لي أجاثا، أنك تتزوجي شاب أقل مني قدرة على أن يعولك. إذا كنت ستتزوجين شخصًا ثريًا ملائم لك في كل شيء كنت سأشعر أن الأمر لا يهم بدرجة كبيرة لأنك سوف تنالين أكثر مما يجب، أما الآن فأنا لا أستطيع ألا أتمنى لو أننا تزوجنا وأخذتك معي إلى هنا بشكل مباشر".

وهل تمنيت أنا أيضًا لو أنه فعل ذلك؟ أظن لا— لا في ذلك الوقت—ورغم ذلك كان هناك دائمًا شعور بالرغبة في الرجوع إلى الورا. إنها رغبة في الأمان. وليس العوم في مياه عميقة. لقد أحسست بسعادة وهدوء شديدين مع ريجي. لقد فهم كلا منا الآخر جيدًا. كنا نرغب ونستمتع بالأشياء نفسها.

أما ما حدث لي الآن فكان العكس. لقد أحببت شخصًا غريبًا، غالبًا لأنه كان غريبًا، لأنني لم أعرف أبدًا كيف سيكون رد فعله تجاه كلمة أو جملة وكل شيء كان يقوله كان مدهش وجديد. لقد كان شعوره مماثلًا. قال لي ذات مرة: "أشعر بأنني لا أستطيع التوصل إليك. وأنا عاجز عن أن أعرفك". كنا من وقت لآخر نصاب بأمواج من اليأس. حتى كان أحدهما يكتب للآخر لينهي ما بيننا. ثم نتفق على أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يجب علينا فعله، ثم بعد مرور أسبوع نجد أنفسنا غير قادرين على التحمل، ثم نعود إلى سابق عهدنا.

لقد حدث كل احتمال للفشل، لقد كنا نعاني من عسر الحال. والآن هبت على العائلة عاصفة مالية جديدة. لقد اتجهت شركة **أتش بي تشافلين** في نيويورك

والتي كان جدي شريك فيها إلى التصفية. لقد كانت أيضًا شركة غير محدودة وأدركت أن الوضع كان جاد. على أي حال، كان ذلك يعنى أن الدخل الذي كانت تحصل عليه أُمي منها وهو الوحيد سينقطع الآن بالكامل. أما جدتي لامي فلحسن الحظ لم تكن في نفس الموقف. فبالرغم من أن أموالها تركت لها أيضًا في صورة أسهم في نفس الشركة، لكن السيد بايلي والذي كان عضوًا بالشركة وكان يدير شؤونها كانت لديه مخاوف منذ وقت كبير. لقد شعر بالمسؤولية تجاه أرملة ناثاناييل ميللر. إذا احتاجت جدتي جراني المال كانت بكل بساطة تكتب إلى السيد بايلي والذي كان يرسله لها نقدًا-لقد انزعجت وغضبت عندما اقترح عليها يومًا ما أن تسمح له بإعادة استثمار أموالها نيابة عنها.

"هل تقصد إخراج أموال من الشركة؟"

لقد كان مراوغًا، قال لها أن عليك مراقبة الاستثمارات، وأن هذا صعب بالنسبة لها لكونها انجليزية المنشأ وتعيش في إنجلترا كأرملة لأمريكي. لقد قال أشياء عديدة لم تكن بالطبع التفسير الحقيقي على الإطلاق لكن جدتي قبلت بها. ومثل أغلب النساء في ذلك الوقت تقبل أي نصيحة عمل يسديها إليك أي شخص تثق فيه. سأله السيد بايلي أن تترك الأمر عليه وأنه سيستثمر أموالها بطريقة تدر عليها ما يماثل ما تحصل عليه الآن. وافقت جدتي بتردد. ولذلك عندما حدثت الكارثة ظل دخلها في أمان. كان السيد بايلي متوفى في ذلك الوقت لكنه أدى واجبه تجاه أرملة شريكه بدون التخلي عن مخاوفه بخصوص قدرة الشركة على الإيفاء بديونها. أعتقد أن الأعضاء الأصغر سنًا في الشركة انطلقوا بخطى سريعة وبدأ عليهم النجاح لكنهم في الواقع توسعوا أكثر من اللازم، افتتحوا الكثير من الأفرع على مستوى البلد وأنفقوا الكثير من المال على التسويق. أيا كانت الأسباب فقد كان الانهيار كليًا.

إنه بمثابة تكرار لتجربتي في الطفولة. عندما سمعت أُمي وأبى يتحدثان معًا عن الصعوبات المالية وسريعًا ما نزلت وأنا سعيدة حتى أخبر أفراد العائلة أننا

أفلسنا حيث بدا لي "الإفلاس" حينها شيئاً مثيراً. أما الآن يبدو كارثة نهائية بالنسبة لي أنا وأرتشي، فالمائة دولار التي احصل عليها سنوياً ستذهب بالطبع لمساندة أمي، ما ج سوف تساعد بدون شك. وبيع آشفيلد سوف تكون قادرة فقط على البقاء.

لم تستمر الأمور بنفس السوء الذي توقعناه. حيث أن السيد جون تشافلين أرسل خطاباً من أمريكا إلى أمي يخبرها عن مدى حزنه وأنه يمكنها أن تعتمد على دخل ٣٠٠ دولار سنوياً يرسله إليها ليس من الشركة التي تعرضت للإفلاس لكن من ماله الخاص، وأن هذا الدخل سيستمر حتى وفاتها. لقد أراحنا ذلك من همنا الأول لكن عند وفاتها سينقطع ذلك المال. ١٠٠ دولار في العام بالإضافة إلى آشفيلد كان هذا هو كل ما يمكنني الاعتماد عليه للمستقبل. أرسلت إلى أرتشي أخبره أنني لا يمكنني أبداً أن أتزوجه وأن علينا نسيان ما بيننا. رفض أرتشي الاستماع إلى ذلك. سيوفر المال بطريقة أو بأخرى وسوف نستطيع الزواج وقد يكون قادراً على المساعدة في مساندة أمي. لقد أعاد لي الأمل والثقة في نفسي. تمت خطبتنا مرة أخرى.

أخذ بصر أمي يزداد سوءاً وزارت أحد المتخصصين. أخبرها أن هناك مياه بيضاء في كلتا العينين وأن الجراحة ستكون مستحيلة لأسباب عديدة. ربما لا تزداد بشكل سريع لكنها بالتأكيد ستؤدي بمرور الوقت إلى فقدان البصر. أرسلت إلى أرتشي مرة أخرى حتى أنهى خطوبتنا، قائلة له أنه من الواضح أن الزواج ليس مقدر لنا وأنني لا يمكنني أبداً أن أترك أمي إذا فقدت بصرها. ومرة ثانية رفض الإذعان. قررت أن أنتظر لأرى ما الذي سوف يؤول إليه بصر أمي فقد يكون هناك علاج لها، وتكون الجراحة ممكنة. وعلى أي حال فهي الآن ليست ضريرة لذا لا بأس من أن نستمر في خطبتنا. بعدها وصلي خطاب من أرتشي يقول فيه: "لا فائدة، لا يمكنني أن أتزوجك فأنا فقير جداً كنت أحاول الدخول في استثمار أو استثمارين بما لدى، لكنه لم يفد على الإطلاق، لقد فقدته، عليك أن تتخلى عني". كتبت إليه

وأخبرته أنني لن أتخلي عنه أبداً. رد علي قائلاً، يجب أن أفعل. بعدها اتفقنا على أن يتخلي كلا منا عن الآخر.

بعدها بأربع أيام تمكن آرثشي من الحصول على أجازة ووصل فجأة على دراجته البخارية من سهل ساليسبري، لا فائدة من الأمر اضطررنا إلى الخطبة مرة أخرى وكان علينا التحلي بالأمل وانتظار حدوث شيئاً ما حتى لو اضطررنا الانتظار لأربع أو خمس سنوات. مررنا بعواصف عاطفية وفي النهاية كانت تستمر خطبتنا مع أنه في كل شهر كانت إمكانية زواجنا تتباعد شيئاً فشيئاً. ليس هناك أمل، أحس قلبي بذلك. لكنني لا أعترف بذلك. تيقن آرثشي أيضاً انه ليس هناك أمل. لكننا لا زلنا نتعلق يائسين بإيماننا بأنه لا يمكن لأحدنا العيش بدون الآخر ولذا فيمكننا أن نستمر في خطبتنا وأن نصلى من أجل ضربة حظ فجائية.

في ذلك الحين كنت قد قابلت عائلة آرثشي. كان والده قاضى في الخدمة المدنية الهندية حدث أنه سقط سقوط حاد من فوق حصان. بعد ذلك مرض مرضاً شديداً - حيث أن السقوط أثر على عقله - وأدى إلى وفاته داخل مستشفى في انجلترا. بعد بضع سنين من الترميل تزوجت والدته آرثشي مرة أخرى من **ويليام هيمسلاي**. ولم يكن هناك من هو أكثر منه عطفاً علينا أو أكثر منه أبوية. أما والدته آرثشي "**بيج**" فجاءت من جنوب أيرلندا قرب **كورك** وكانت طفلة من بين اثني عشر طفلاً. كانت تقيم مع أخيها الأكبر والذي كان يعمل في مجال الطب الهندي حينما قابلت زوجها الأول. أنجبت اثنان من الأولاد آرثشي وكامبل. كان آرثشي مدير مدرسة في **كليفتون**، ثم انتقل للمرة الرابعة إلى **ولويتش**، كان يتميز بالدهاء والفتنة والجرأة. وكلاهما كان في الجيش.

بادر آرثشي إليها يزف نبأ خطبته. وأفرط في مديحي بأسلوب الأبناء عندما يصفون الفتاة التي وقع عليها اختيارهم. نظرت إليه **بيج** بعين الريبة وقالت بصوت قوى: "هل هي من هؤلاء الفتيات اللاتي يرتدين **ياقات بيتربان** المستحدثة. اضطر

أرتشي أن يعترف بأنني أرتدي هذه الياقات. لقد كانت موضحة العصر. أخيرًا تركنا نحن الفتيات الياقات العالية في ملابسنا. والتي تدعمها عظام متعرجة صغيرة واحدة أعلى كل جانب وواحدة في الخلف مما يترك علامات حمراء مزعجة على الرقبة، وجاء اليوم الذي أصر فيه الناس على التجرؤ والتوصل إلى الراحة. يرجع تصميم ياقة بيتر بان إلى الياقات المرفوضة التي كان يرتديها بيتر بان في مسرحية بارى. كانت تحيط بأسفل العنق ومصنوعة من مادة ناعمة ليس بها دعائم عظمية وكانت مريحة في الملابس. ولا يجب أن تعتبر نوع من التجرؤ. عندما أفكر في السمعة التي جلبناها نحن الفتيات، فقط عندما كشفنا أربع انشآت من الرقبة من تحت الذقن، يبدو الأمر مدهشًا. عندما انظر حولي على الشواطئ وأرى الفتيات مرتديات البكيني أدرك إلى أي حد وصلنا بعد مرور خمسين عام.

على أي حال كنت إحدى هؤلاء المندفعات اللائي ارتدين ياقات بيتر بان.

"وتبدو جميلة فيها" رد المخلص أرتشي.

أجابت بيچ " نعم. ستكون كذلك دون شك". مهما كانت الشكوك التي كانت لديها عني إلا أنها رحبت بي بعطف شديد. صرحت بأنها معجبة بي وسعيدة -وأني بالضبط الفتاة التي تريدها لابنها- الخ، وهكذا مما لم أصدق منه كلمة واحدة. والواقع أنها تعتقد أن ابنها صغير على الزواج. لم تجد عيب بعينه بي-مع أنني قد أكون أسوأ من ذلك بدون شك. قد أكون ابنة بائع سجائر (وهو ما كان يمثل دائمًا كارثة) أو مطلقة شابة أو حتى عضوه في كورال. على أي حال كانت تعتقد أن خطبتنا ستفشل لذا كانت لطيفة معي. وكنت أحيانًا أصاب بالخرج منها. لم يهتم أرتشي برأيها في ورأى فيها. كانت له سمة جميلة ألا وهي الانطلاق في الحياة دون أدنى اهتمام برأي الآخرين فيه أو في خصوصياته: كان عقله دائمًا مهتم بما يريده هو.

إذن، ها نحن أولًا لا نزال مرتبطين، لكن لا زواج في القريب بل بالأحرى يتباعد الأمل. لا يبدو الترقى في هيئة الطيران أسرع من أي مكان آخر. أصاب أرتشي

الرعب عندما اكتشف أنه يعاني من مشكلة في الجيب عندما يقود طائرة. لقد كان يتألم لكنه كان يثابر. كانت خطاباته مليئة بتقارير تقنية عن قاذفات الفارمن وأفروس، آرائه عن الطائرات التي كانت تعنى تقريباً موت محقق للطيار والطائرات الثابتة القادرة على البقاء. وأسماء سربه أصبحت مألوفاً بالنسبة لي: جوير دي لافيرت، بروك-باوفام، جون سالمون... وكان هناك أيضاً قريب طائش من أقارب آرثشي، والذي حطم حتى الآن العديد من الماكينات، لذا تمت معاقبته تقريباً بشكل دائم.

يبدو الأمر غريباً أنني لا أتذكر مطلقاً مدى قلقي على سلامة آرثشي. كان الطيران خطيراً- كذلك كان الصيد، كما أنني اعتدت أن أرى أشخاصاً يكسرون رقابهم في الصيد. لقد كان ذلك أحد أهوال الحياة. لذا لم يكن هناك إصرار على السلامة. وشعار "السلامة أولاً" يمكن اعتباره سخيفاً. أما فيما يختص بنوع جديد من السفر كان الطيران مدهشاً. كان آرثشي من الطيارين الأوائل.. أعتقد أن رقمه كان أعلى من المائة بقليل ١٠٥ أو ١٠٦. لقد كنت فخورة جداً به.

أعتقد أنه ليس هناك شيئاً أكثر إزعاجاً لي في حياتي من اختراع الطائرة كوسيلة معترف بها في وسائل السفر. لقد تخيل أحدهم ذلك مثل طيران الطائر- نشوة الانقضاض في الهواء. والآن عندما أفكر في الملل الذي يصيبني عند الركوب في طائرة من لندن إلى بلاد فارس، ومن لندن إلى برمودا، ومن لندن إلى اليابان- هل هناك ما هو أكثر مللاً من ذلك؟ "صندوق متشنج ذات مقاعد ضيقة والمنظر من النافذة أغلبه أجنحة وهياكل طائرة ومن تحتك ترى الغيوم. عندما ترى الأرض تجدها مسطحة كالخريطة. أوه، نعم. وهمًا كبير. يمكن أن تستمر السفن برومانسيتهما. أما القطارات- ما الذي يمكنه هزيمة قطار؟ وخاصة قبل أن يصل الديزل ورائحته. ذلك الوحش النفاث يحملك خلال الحناجر والوديان والشلالات والجبال الجليدية؛ بجانب الطرق الريفية لترى الفلاحين على العربات الكارو.

القطارات رائعة ولا أزال أحبها. أن تسافر بالقطار يعنى أن ترى الطبيعة والناس والقرى والكنائس والأنهار—في الحقيقة—أن ترى الحياة.

هذا لا يعنى أنني لست مندهشة من اقتحام الإنسان للهواء بمغامراته في الفضاء، تتملكني تلك الموهبة التي لا تجدها عند أشكال الحياة الأخرى—إنها روح المغامرة. تلك الروح التي لا تقهر، والشجاعة—ليس مجرد شجاعة الدفاع عن النفس، والتي توجد لدى جميع الحيوانات—لكن الشجاعة في أن تحمل روحك على يداك وتنطلق إلى المجهول. إنني فخورة ومتحمسة عندما أشعر أن كل هذا قد حدث في حياتي وأود لو أنني أستطيع أن أرى المستقبل حتى أرى ما هو قادم من خطوات. وأشعر أنها ستتابع سريعاً مع تأثير مضاعف.

كيف ستكون النهاية؟ مزيد من الانتصارات؟ أم تدمير للإنسان على يد طموحه؟ أنا لا أعتقد ذلك. سوف يكون البقاء للإنسان على الرغم من العوائق هنا وهناك. ربما تحدث كوارث كبيرة—لكن لن تهلك البشرية بأكملها. فبعض المجتمعات البدائية والمنغمسة في البساطة والتي تعتمد على الشائعات في الحصول على المعلومة، سوف تسعى إلى بناء حضارة جديدة.

أتذكر أنه في عام ١٩١٣ لم تكن هناك أية مقدمات للحرب. كان ضباط البحرية يهزون رؤوسهم من حين لآخر ويتمتمون بأن الحرب قادمة، لكننا كنا نسمع ذلك منذ سنوات ولا نعيه أي اهتمام. وكانت تعتبر أساسًا جيدًا لقصاص التجسس- ولم تكن حقيقية. ليس هناك أمة من الجنون ما يجعلها تحارب أختها، باستثناء جبهة الشمال الغربي أو في إحدى البقاع البعيدة.

لقد انتشرت فصول التمريض المنزلية والإسعافات الأولية خلال عام ١٩١٣ وبداية عام ١٩١٤. لقد ذهبنا إليها جميعًا نضمد سيقان وأزرع بعضنا البعض، حتى محاولة عمل تضميد لطيف للرأس: وهو أصعب بكثير. لقد اجتزنا اختباراتنا وحصلنا على بطاقة صغيرة مطبوعة كإثبات لنجاحنا. كم كان كبيرًا حماس النساء في ذلك الوقت. لدرجة أنه إذا وقع حادث لأي رجل يكون في رعب شديد إذا اقتربت إحدى النساء المرافقات منه.

"أبعدوا هؤلاء المسعفات عني! وقد يعلو الصياح: "لا تلمسوني أيتها الفتيات، لا تلمسوني!"

كان هناك رجل كبير السن ممل من بين الفاحصين، وكان يصنع لنا الفخاخ بابتسامة شيطانية قد تجده يقول: "ها هو مريضكن"، مشيرًا إلى فتى كشافة منبطح على الأرض "ذراعه مكسور وكاحله مكسور، اشتغلن عليه". ينقض زوج متلهف منا أنا وآخرين عليه ثم نخرج ضماداتنا بسرعة. لقد كنا نجيد التضميد- ضمادات أنيقة وجميلة مثل التي تدربنا عليها نتحرك بحرص حركة عكسية كلما ارتفعنا بالساق، حتى يبدو الأمر بأكمله جميل وأنيق، مع قليل من الأرقام لضمان قياس سليم. مع أننا في هذه الحالة كنا نرجع إلى الوراء حيث لا ترتيب أو جمال هنا حيث التف الحشو بالفعل حول الطرف بشكل يصعب تحريكه."الضمادات

الموضعية"، قال الرجل العجوز "ضعي ضماداتك فوقها، ليس لديك شيء آخر تستبدلينها به.. تذكرى. "قمنا بالتضميد. لقد كانت طريقة صعبة في التضميد، مع عمل التواءات وثنيات ملساء. "استمروا"، قال الرجل العجوز "استعن بالرقم ثمانية، يجب أن تصلن إليه في النهاية. لا فائدة من البحث في الكتب والانتقال من الأعلى إلى الأسفل كل ما عليك هو الحفاظ على الضمادة جاهزة، هذا هو المغزى، وهناك يوجد السرير عند أبواب المستشفى. "قمنا بالتقاط مريضنا، بعد أن تم علاجه كما ينبغي، نأمل ذلك والشرائح في مكانها ثم حملناه إلى السرير.

ثم توقفنا، اندهشنا قليلاً حيث لم يفكر أي منا في إعداد ملابس الفراش قبل وصول المريض. ثرثر الرجل العجوز مسروراً: "ها ها! لم تعملن حساب أي شيء- أليس كذلك! أيتها الشابات؟ ها ها-تأكدن دائماً من أن السرير جاهز لاستقبال المريض قبل حمله إليه. علي أن أعترف أنه على الرغم من أنه جعلنا نشعر بالذل فإننا تعلمنا الكثير منه أكثر مما تعلمناه في ستة محاضرات.

إلى جانب الكتب الدراسية، كان هناك جانب عملي محدد لنا. كان يسمح لنا مرتين في الأسبوع كل صباح أن نحضر إلى المستشفى المحلية في جناح المرضى من الخارج. كان هذا مخيف بالنسبة إلينا لأننا كنا نقابل بكل الكره من الممرضات المنتظمات اللواتي كن دائماً في عجلة ولديهن الكثير من المهام لانجازها. كانت أولى مهامى هي إزالة الضمادة من الأصبع وإعداد الوعاء الدافئ المعقم والماء اللازم له، ثم نقع الأصبع للفترة المحددة. كان ذلك سهلاً. والمهمة الثانية كانت أذن بحاجة إلى حقن والتي منعت بسرعة من الاقتراب منها". إن حقن الأذن عمل شديد الدقة"، قالت الممرضة "لا يجب على من تنقصه المهارة عدم محاولة القيام به".

"لا تظني أنك تقدمي خدمة عندما تقومي بعمل لم تتعلمينه. فقد تتسببين في ضرراً كبيراً.

الأمر لثاني الذي كان علي القيام به كان إزالة الضمادات من ساق طفل أسقط غلاية بها ماء مغلي على نفسه. كانت هذه هي اللحظة التي تخلت فيها تقريباً

الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج

عن التمرريض، فكما أعلم يجب أن يتم نقع الضمادات بلطف في ماء فاتر، ومهما كانت طريقة قيامك بذلك أو إمساكك بها كان الألم بمثابة عذاب بالنسبة للطفلة- تلك المسكينة- كان عمرها حوالي ثلاثة أعوام فقط. صرخت كثيرًا. كان الأمر مروعًا. كنت منزعجة حتى أحسست بأني سأمرض. الشيء الوحيد الذي أنقذني كانت لمعة التهكم في عيني إحدى الممرضات بالقرب مني. يآلا هؤلاء الحمقى المغرورين صغار السن! قرأت في عيناها، يعتقدون أنه يمكنهم المجيء إلى هنا ومعرفة كل شيء- وتجدهم يفشلون في أول شيء يطلب منهم. عزمت في الحال على انجاز الأمر. بالرغم من كل شيء يجب أن يتم النقع -ليس على الطفلة فقط أن تتحمل ألمها، لكن علي أنا أيضًا أن أتحمل معها ذلك الألم. مضيت في الأمر وأنا لا أزال أشعر بالمرض محاولة أن أكون لطيفة قدر الإمكان. كنت مندهشة عندما قالت لي الممرضة: "ليس سيئًا ما قمت به، لكنه أزعجك كثيرًا في البداية. أليس كذلك؟ لقد حدث ذلك لي ذات مرة".

جانب آخر من جوانب تعليمنا كان قضاء يوم مع ممرضة المنطقة. مرة أخرى تؤخذ اثنتان منا يوم واحد في الأسبوع. كنا نتجول حول عدد من الأكواخ الصغيرة، ونوافذها جميعًا كانت مغلقة بإحكام، البعض تفوح منها رائحة الصابون والبعض الآخر يفوح منه شيء مختلف تمامًا- أحيانًا كانت الرغبة في فتح نافذة لا تقاوم. بدت الأمراض المزمنة شيئًا مملًا. في الواقع كان الجميع يعاني مما يمكن تسميته بشكل مقتضب "سيقان سيئة" كان ذلك غامضًا بالنسبة لي، قالت ممرضة المنطقة: "تسمم الدم منتشر كثيرًا- بعضه يرجع إلى المرض التناسلي. بالطبع-القرح. "في كل الأحوال، كان هذا هو الاسم المتعارف عليه بين الناس. وبمرور السنين فهمت الأمر بشكل أفضل عندما كنت أسمع دائمًا: "أمي مريضة مرة أخرى".

"ماذا بها؟"

"سيقان سيئة-لطا لما عانت منها".

ذات يوم أثناء جولاتنا، وجدنا أن أحد المرضى توفي وقمت أنا والممرضة بتحضير الجثمان. تجربة أخرى مفاجئة للقلب مثل الأطفال المحروقة. لكنها غير متوقعة إن لم تكن جربتها من قبل.

حدث في صربيا البعيدة، أن اغتيل /رشدوق ولي عهد النمسا لقد بدت حادثة بعيدة -شيء لا يهمننا. وفي دول البلقان كان الناس دائماً ما يتعرضون لاعتقالات. أما أن يصل الأمر إلينا هنا في انجلترا بدا غير معقول-وأنا لا أتحدث هنا عن نفسي فقط. لكن بالنسبة لجميع الناس تقريباً. وبسرعة شديدة بعد هذه الموجة من الاعتقالات. ظهرت في الأفق ما هو أشبه بعاصفة من الغيوم. انتشرت الشائعات، شائعات عن ذلك الشيء الرائع -"الحرب". لكن بالطبع كانت هي الصحافة فلا توجد أمة متحضرة تبتغي الحرب. عشنا في سلام بدون حرب لسنوات ومن المحتمل ألا تتجدد مرة أخرى.

الناس البسطاء والجميع في الحقيقة، بخلاف عدد قليل من كبار الوزراء والدوائر الداخلية لوزارة الخارجية، لا يتصورون أن شيئاً مثل الحرب يمكن أن يقع. لقد كانت كلها إشاعات-ثم يفعل الناس ويقولون: يبدو أنها حقاً أقوال "جادة" للساسنة". وفجأة ذات صباح، حدث ذلك:

لقد وقعت انجلترا في الحرب





الجزء الخامس

الحرب



١

دخلت انجلترا الحرب. هاهي الحرب قد أتت.

وأنا بالكاد استطيع توضيح الفارق بين شعورنا وقتها مقارنة بشعورنا اليوم. قد نكون الآن مروعين أو ربما متفاجئين ولكننا لسنا مندهشين من فكرة أن الحرب آتية، لأننا واعين أن الحرب ستأتي، ذلك لأنها حدثت في الماضي وقد يتكرر الحدث مرة أخرى في أي وقت. ولكن في عام ١٩١٤ لم تندلع حروب من متى؟ من خمسين عامًا أو أكثر؟ نعم- من خمسين عامًا كانت "حرب بور العظيمة" وكانت هناك مواجهات على حدود الشمال الغربي، ولكنها لم تكن حروب تتورط فيها أحد البلاد بقدر ما كانت تدريبات عسكرية كبيرة كنوع من الحفاظ على القوة في الأماكن البعيدة. كان الأمر عام ١٩١٤ مختلفًا- كنا في حرب مع ألمانيا.

استلمت برقية من أرتشي تقول: 'سأتي إلى ساليسبري إذا كنت تستطيعين فإني أود رؤيتك'، كان السلاح الجوى من المجموعة الأولى التي ستبدأ في التحرك.

فقلت لأمي 'علينا الذهاب'

وبدون أي تأخير ذهبنا لمحطة القطار. وكان لدينا القليل من المال والبنوك مغلقة بناء على قرار رسمي بوقف الأنشطة. فلم يكن من وسيلة للحصول على المال في المدينة. ركبنا القطار وأتذكر أنه كلما يأتي محصل التذاكر، وعلى الرغم أن أُمي تملك ثلاث أو أربع ورقات من فئة الخمسة جنيهات الإسترلينية، كان يرفض أخذ المال منها؛ لا أحد يقبل ورقة بخمسة جنيهات. وكانت أسماءنا وعنواننا قد وصل لعدد كبير من محصلي التذاكر في جميع جنوب انجلترا. تأخر القطار وكان علينا تغيير القطار في أكثر من محطة. ولكننا وصلنا في تلك الليلة إلى ساليسبري ونزلنا في فندق كونتي، ثم وصل أرتشي بعد مجيئنا بنصف ساعة. لم يمكث معنا طويلاً فلم

يكن لديه الوقت للجلوس أو حتى العشاء. لم يمكث معنا سوى نصف ساعة. ودعنا بعدها ورحل.

كان على يقين هو وجميع من هم في السلاح الجوي الذي كان ملتحق به، أنه سيقتل ولن يستطع رؤيتي مرة أخرى. كان كعادته دائماً مبتهج وهادئ ولكن كان جميع رجال السلاح الجوي يرون أن الحرب ستكون النهاية وأن هذه النهاية سريعة، على الأقل سيتم القضاء على أول دفعة منهم. فقد كان السلاح الجوي الألماني معروفاً بقوته.

وكننت على نفس الدرجة من اليقين أنني أودعه، ولن أراه مرة أخرى. وعلى الرغم من ذلك حاولت استقبال بهجته وأن أبدو متماسكة أمامه. أتذكر أنني في ذلك اليوم ذهبت إلى فراشي وظللت أبكي وأبكي لدرجة أنني تصورت أنني لن أتوقف أبداً ولكن بعدها هدأت فجأة وبدون تحذير. دخلت في نوم عميق من شدة التعب ولم استيقظ إلا في نهاية صباح اليوم التالي.

عدنا إلى منزلنا ومنحنا محصلي التذاكر أسماء وعناوين أكثر. بعد ثلاثة أيام وصلت أول برقية من فرنسا. كان مطبوعاً عليها بعض العبارات الثابتة فلا يتاح لأحد إرسال برقية إلا إما أن يتركها كما هي أو يحذف بعض مما بها: ومثالاً لهذه الأشياء: في حال جيد، في المستشفى. أحسست عند استلامها وعلى الرغم من المعلومات الضئيلة التي تحملها، أنها تحمل خبر سار.

هرولت إلى الوحدة العسكرية الموجودة في "نظام الدفاع الجوي فولكان" لأرى ما يجري. قمنا بعمل الكثير من الضمادات، واعددنا سلال ممتلئة بالقطن ليذهب للمستشفيات. بعض ما أعددناه كان مفيداً ولم يكن لأغلب الأشياء الأخرى أي استعمال. مر الوقت وسرعان ما دخل علينا أول المصابين. كان هناك تغيير يخدم الرجال عند وصولهم للمستشفى. وعلي القول أن هذا الفعل كان من أكثر الأفكار سخافة التي يتخذها أي قائد. يتم إطعام كل الرجال جيداً على طول طريقهم من

ساوئها مبتون وحتى وصولهم إلى محطة توركاي. كان الغرض الرئيسي هو إخراجهم من محطة القطار على نقلات ووضعهم في عربات الإسعاف ثم نقلهم للمستشفى.

كانت المنافسة على توصيلهم المستشفى (تحويلاً من مبنى البلدية) ورعايتهم وهو أمر عظيم. وفقاً للواجبات الصارمة الخاصة بالتمريض، يقع الاختيار الأول على من هم من متوسطي العمر وفي نفس الوقت لديهم بعض الخبرة لتمرير المرضى. لم تعتبر الشابات مناسبات لهذه المهمة ولكن كانوا يعتمدون على من يسمونهم خادمتي الغرف وهن مسؤولات عن أعمال النظافة والرعاية العامة في مبنى البلدية وذلك لكبار الضباط، يقومون بتنظيف الأرضيات ومثل هذه الأعمال، وأخيراً يوجد المسؤولون عن المطبخ. الكثير من الناس التي لا تريد التمريض تتجه إلى أعمال المطبخ، وكانت خادمتي الغرف قوة احتياطية تنتظر بشغف الترقية لوظيفة التمريض بمجرد أن تسنح الفرصة لذلك. كان في المستشفى ثمانية ممرضات مدربات، أما الباقون فجميعهم من المتدربين في نظام الدفاع الجوي فولكان.

كانت السيدة القوية أكتون مديرة المستشفى منذ أن كانت ضابط كبير في نظام الدفاع الجوي فولكان. كانت سيدة فاضلة، ترتب كل شيء بكفاءة. كانت المستشفى قادرة على استقبال أكثر من مائتي مريض، يصطف كل واحد منهم لتلقى الرعاية اللازمة. ولم تكن اللحظات تخلو من الفكاهة. أما السيدة سبراج، التي تتمتع بالحضور فكانت تقف في المقدمة لاستقبال المرضى، وتحني ركبتيها أمام أول داخل تدعوه للاستلقاء على سريره ثم تخلع حذاءه. وكان الرجل ينظر بغرابة شديدة، وخصوصاً أننا نكتشف بعدها بقليل أنه مصاب بالصرع ولا يشتكى من أي جروح. ما لا يستطيع فهمه هو لماذا تقوم الفتيات تلك بنزع حذاءه فجأة في منتصف الظهيرة.

ذهبت إلى المستشفى ولكن كخادمة غرف. وعلى هذا بدأت العمل بعد خمسة أيام. أغلب السيدات من متوسطي العمر لم يعملن في الرعاية الصحية إلا قليلاً

وعلى الرغم من ذلك كانوا ممثلثات بالرحمة والرغبة في أداء عمل جيد ولم يكونوا مقدرات أن مهنة التمريض تتحمل الكثير من الأعباء مثل تغيير أو تنظيف أوعية التبول، وتنظيف المفارش البلاستيكية وأوعية التقيؤ وتحمل رائحة الجروح المتفححة. كانت فكرتهم عن التمريض حسب ما اعتقد هي ترتيب المفارش والتمتمة بكلمات ناعمة للرجال الشجعان. ولذلك ترك الفتيات الحاملات مهامهم بسرعة: لم يكن في خاطرهم يومًا أن عليهم القيام بمثل هذه الأشياء على حسب قولهم. أما البنات الجريئة فأخذوا أماكنهم بجانب السرائر.

لقد كان أمرًا مذهلاً. أما التمريض الضعيف في المستشفيات فكان مسئولية عدد من المتطوعين غير المتدربين على الإطلاق بالرغم من استعدادهم للمساعدة. لم يكن هناك أي ممرضات مدربات لمساعدتهم. كنت وبمساعدة بنت أخرى مسئولتان عن صفين من اثني عشر سرير، وكان لدينا أخت نشيطة-الأخت بوند-وعلى الرغم من كونها ممرضة من الدرجة الأولى إلا أنها لم تتحلى بالصبر مع موظفيها. لم نكن أذكاء ولكن جهلاء. كنا نتعلم بصعوبة أي شيء ضروري لخدمة المستشفى، في الحقيقة كان عملنا ينعصر في كيفية ربط الضمادات. الشيء الوحيد الذي ساعدنا هو التعليمات القليلة التي التقطناها من تمريض المنطقة.

كانت الأمور الغامضة للتعقيم أكثر الأشياء المحيرة لنا-خاصة وأن السيدة بوند كانت تتضايق حتى من مجرد الشرح. جاءت صناديق الضمادات جاهزة لاستخدامها على الجروح وتحت مسئوليتنا. لم يصل لعلمنا حتى في هذه المرحلة أن الأطباق المتخذة شكل الكلية تخص الضمادات المتسخة، أما الدائرية منها فهي للأدوات النظيفة. وكذلك فعلى الرغم من أن كل الضمادات تبدو متسخة جدًا، بينما هي من الناحية الجراحية نظيفة (وهي تجمع في معقم يقع في الطابق السفلي) كان الأمر مربكًا بالنسبة لنا. وبعد أسبوع بدأت الأشياء في الوضوح تقريبًا. أدركنا ما هو مطلوب منا وأصبحنا قادرين على عمله. ووقتها كانت الأخت بوند قد يُست وتركت الأمر. قالت أن أعصابها لا تحتمل.

جاءت الأخت أندرسون لتحل محل الأخت بوند. كانت الأخت بوند ممرضة جيدة جدًا ومن الدرجة الأولى واعتقد أنها كانت كذلك ممرضة جراحية. كانت السيدة أندرسون ممرضة جراحية من الدرجة الأولى أيضًا، ولكنها كانت سيدة لديها ذوق عام ولديها قدر معقول من الصبر. لم تكن في نظرها أغبياء بقدر ما كانت تعتبرنا غير مدربين بشكل جيد. كانت مسئولة عن أربع ممرضات مقسمين إلى صفين جراحين، وكانت تباشر عملهم لتظهرهن بالشكل المناسب. وكان من عادة الأخت أندرسون أن تقيم قدر ممرضاتها بعد يوم أو اثنين، وتقسم من يحتاجون إلى التدريب ومن لا يصلحون لشيء إلا اليسير، وترى متابعة القدر. وظهر الهدف من الأمر فيما بعد حيث أن نهاية الغرف تحوى أربع قدر ضخمة لغلى الماء. والذي يستخدم في عمل الكمادات الساخنة، وبالتالي متابعة ما إذا كان الماء يغلى في القدر هو أول أساسيات الاختبار. إذا بلغت البنت البائسة التي أرسلت لترى إذا كان الماء يغلى أو لا يغلى، تقول الأخت أندرسون في ازدراء شديد: 'ألا تعلمين حتى متى يغلى الماء أيتها الممرضة؟'

فترد الممرضة: 'يخرج منه بعض البخار'

فتعلق الأخت أندرسون: 'إنه ليس ببخار، ألا تستطيعين سماع صوته؟ صوت الغناء يظهر أولاً، ثم يهدئ ويتوقف عن نفخ الهواء الساخن فيظهر بعدها البخار الحقيقي.' فتتمم الممرضة مع نفسها وتقول، 'إذا أرسلوني لأي مهمة حمقاء كهذه مرة أخرى، لا أعرف ما سأفعله حينها!'

كنت محظوظة لوجودي تحت إشراف الأخت أندرسون. كانت قاسية ولكن عادلة. كانت الأخت ستويس مسئولة عن الصفين التاليين لصفى الأخت أندرسون. كانت صغيرة الحجم ومرحة وودودة مع البنات وغالبًا ما كانت تمنعهم بلقب عزيزتي، وكانت توهمهم بثقة كاذبة فسرعان ما كانت تفقد أعصابها في حال وقوع أي خطأ. كان الأمر أشبه بإشراف أحد عرائس كيتي متقلبة المزاج: قد تلعب معك ولكنك لا تأمينين أن تخدشك أحيانًا.

استمتعت بالتمريض منذ البداية، واعتدت عليه سريعاً ووجدت نفسي به. فالتمريض من أكثر المهن مكافأة لأي شخص. اعتقد أنني إذا لم أكن متزوجة لتدربت على أن أكون ممرضة حقيقية. واعتقد أن الأمر موروث لأن زوجة جدي الأولى جدي الأمريكية كانت ممرضة.

علينا مراجعة أرائنا عن قيمنا الحياتية ومعرفة ترتيب وضعنا في المستشفى عند البدء في العمل بالتمريض. يأخذ الأطباء هذا الأمر كشيء مسلم به. فأنت تذهب إلى الطبيب وتنفذ ما يقوله لك تقريباً-عدا أُمي التي كانت دائماً ما تعرف أكثر بكثير من الطبيب أو أن هذا ما اعتدنا أن نذكره لها. كان دائماً الطبيب صديق العائلة. لم يكن شيئاً يدفعني للسجود أو العبادة.

‘فوطه ليمسح الطبيب يده أيتها الممرضة!‘

ولكني سرعان ما تعلمت الانتباه للتعليمات والتركيز والانتظار في استكانة حتى ينتهي الطبيب من غسل يديه ونشفها بالفوطه ولا انزعج من إرجاعه إياها لي أو إلقاءها على الأرض باحتقار. حتى من تراههم الممرضات أقل من المستوى، كانوا يعاملون باحترام لائق.

في الواقع، إنه شيء وقح محاولتك التحدث مع طبيب لتلفت نظره أنك تفهمه بأي شكل حتى وإن كان صديق مقرب، فعليك ألا تظهر ذلك. وعلى أي حال فإن هذا الاتيكيت الصارم هو المنطبق، على الرغم من أنني تخطيته مرة أو اثنتين. دائماً ما يكون الأطباء سريعي الإثارة خلال حياتهم المهنية وهذا ليس بسبب أنهم بالفعل سريعي الإثارة ولكن لأن هذا ما يتوقعه الأخوات منهم-فيقول الطبيب بنفاذ صبر "لا لا" ليس هذا هو الملقط المطلوب. أعطيني..‘ في الحقيقة نسيت اسمه الآن، ولكن عندما كان يحدث هذا الموقف، يكون معي واحداً وأقدمه له. لم يكن مثل هذا الموقف ينتهي على مدار الأربع وعشرين ساعة.

‘حقاً، تعالى في هذا الاتجاه وقدمي الملقط إلى الطبيب بنفسك أيتها الممرضة!‘

فأتممت بخضوع؛ 'أسفة أيها الأخت، ماذا تطلبي منى فعله؟'

'اعتقد أن عليك معرفة ذلك من الآن فصاعدًا إذا طلب الطبيب أي شيء
يمكنك تقديمه، فمن الطبيعي أن تعطينه لي وأنا سأوصله للطبيب.'

فأكدت لها أنني لن أخالف التعليمات مرة أخرى.

أما المشاجرة الأكبر فتأتي من الممرضات المتسربات الذين يأتون مباشرة من
مواقع وضع الضمادات وشعرهم ممتلئ بالقمل. أغلب سيدات توركاى لم يروا في
حياتهم قملة واحدة وأنا عن نفسي لم أرى واحدة منها أبدًا-وصدمة إيجاد هذه
الطفيليات المميتة كانت شديدة على السيدات الكبار. أما الأصغر سنًا والأكثر
صلابة فيواجهون الأمر دون تخوف. مما جرت عليه العادة أن تقول إحدانا للآخرى-
وهى منتشية-أن دورها في العمل قد حان مينة أسنان مشطها كعلامة للنصر
وتقول 'لقد انتهيت من كل الرؤوس التي لدي'.

كان لدينا حالة من مرض التيتانوس مع أول مجموعة مرضى وكانت أول حالة
وفاة نلقاها. لقد صدمنا جميعًا. ولكن في غضون ثلاثة أسابيع أحسست كأنني كنت
أمرض الجنود من بداية حياتي، وبعد مرور شهر وما يقاربه أصبحت خبيرة في تجنب
حيلهم المختلفة.

'ماذا كنت تكتب يا جونسن؟' تعلق لوحاتهم أسفل السرير ويثبت فيها درجات
حرارتهم.

فرد في براءة قائلًا: 'أكتب على لوحى أيتها الممرضة! لماذا أفعل ذلك. لا. لم
أفعل'.

'يبدو أن أحدهم كتب حمية غذائية غريبة جدًا. ولا اعتقد أن من كتبه كان
أخت أو دكتور. من المستبعد أن يوصى أحدهم لك بشرب وحمة النبيذ الأحمر^١.

ثم وجدت رجل يتأوه، 'أني مريض أيتها الممرضة. بل أني على ثقة من ذلك-أنا محموم.'

نظرت إلى وجهه فإذا به يميل إلى الأحمر، أما الترمومتر الذي ناولني إياه فقد كان يشير بين رقمي ١٠٤ و ١٠٥.

فقلت 'أليست هذه المشعات مفيدة إلى حد كبير؟ ولكن كن حذرًا لأنك إذا وضعت هذه المشعات على شيء شديد الحرارة فسينفجر الزئبق الموجود بها.'

فكشر قائلاً، 'فعلاً أيتها الممرضة' وأكملت 'ولكنك لم تقع في هذا الخطأ، صحيح؟ أنتم أيها الشباب أكثر احتمالاً من الكبار الذين يهرعوا إلى الأخت مجرد أن تصل حرارتهم إلى ١٠٤.'

'يجب أن تخجل من نفسك'

'لا تأخذي الأمر بهذه الجدية، فهذا كله على سبيل المزاح.'

عليهم من وقت لأخر الذهاب لقسم الأشعة السينية أو العلاج الطبيعي، في الطرف الآخر من البلدة. واعتاد الواحد منا أن يركب حافلة لست أشخاص يعتني بهم وتتوقع طلب عبور مفاجئ للشارع 'علي أن اشترى رباط لخدائي أيتها الممرضة'. وعليك أن تنظر للطريق لترى أن محل الأحذية يقع على مقربة من "جورج آند دراجون"٢. ومع ذلك، اعتدت دومًا السيطرة على الستة مصابين واعتدت أن يتهرب مني أحدهم ثم يظهر فجأة مبتهجًا. كان جميعهم في غاية اللطف.

كان من بينهم رجل اسكتلندي، اعتدت كتابة الخطابات له. كان غريبًا أنه لا يستطيع القراءة أو الكتابة بالرغم من أنه الرجل الأكثر ذكاء في الجناح. وعلى كل حال فقد كنت اكتب خطابات لوالده حين يريد. كان يجلس مريحًا ظهره للخلف

منتظرًا متى أن أبدأ. كان يأمرني قائلاً، 'سنبدأ الآن في كتابة خطابًا لأبي أيتها الممرضة'

'نعم، لقد بدأت "والدي العزيز" ما عساي أن أقول بعد ذلك؟'

'آه، قولي أي شيء تعتقدين أنه سيسعد لسماعه.'

'حسنًا- اعتقد أن عليك إخباري بما علي قوله بالضبط.'

'إنني على ثقة أنك تعرفين'

ولكني أصر أن هناك بعض الإشارات ليعطيني بعضها. تكشفت العديد من الحقائق: عن المستشفى التي هو بها، الطعام الذي يتناوله.. وغيرها. توقف قائلاً 'اعتقد أن هذا كل شيء.'

فاقترحت عليه 'مع حبي من ابنك المحب؟'

ولكنه بدا مصدومًا.

وقال 'لا أيتها الممرضة، أمل أنك تعرفين ما هو أفضل'

فاعتدلت في جلستي قائلة 'ما الخطأ في ذلك؟'

عليك أن تقولي "من ابنك المحترم" فلا يمكن أن أذكر كلمة حب أو غيرها من تلك الكلمات التي بها مشاعر العشق عندما أخاطب أبي. فوافقت عليه الرأي.

احتقرت نفسي أول مرة شاركت في عملية جراحية في غرفة العمليات. شعرت وكأن حوائط الغرفة تدور بي، وذراع ممرضة أخرى حول كتفي تمنعني من حدوث كارثة. لم يحدث لي يومًا أن أصبت بالإغماء عند رؤية الدم أو الجروح. وواجهت وجه الأخت أندرسون بصعوبة عندما جاءت لي لاحقًا. ولكنها كانت لطيفة على غير المتوقع، وقالت 'لا تكتري للأمر أيتها الممرضة، يحدث هذا الأمر لأغلبنا في أول مرة. يبدو أنك لم تستعدي للحرارة والمحيط حولك مما يجعلك تشعرين بالغثيان-كانت هذه العملية سيئة، هي عملية جراحية للبطن ومن أسوأ ما ينظر إليه المرء.'

‘أعتقدين أن كل شيء سيكون على ما يرام المرة القادمة أيتها الأخت؟’
‘عليك المحاولة وكل شيء سيكون على ما يرام المرة القادمة، وإذا لم يحدث ذلك فعليك المواصلة حتى يحدث ذلك. أليس ذلك صحيحًا؟’
فقلت ‘نعم، هذا صحيح’.

العملية الثانية التي أرسلتني إليها كانت قصيرة ونجوت هذه المرة. وبعدها لم أواجه أي مشاكل مع اعتيادي أن أدير نظري عند فتح الجرح بالسكين. هذا ما كان يزعجني ولكنني استطعت النظر بعدها في هدوء والاستمتاع بمجرد الانتهاء من عملية الفتح. الحقيقة أن الأمر كله يتعلق بالاعتیاد على أي شيء.

قالت إحدى صديقات أمي لي 'عزيزتي أجاتا، أعتقد أن ذهابك للعمل في المستشفى يوم الأحد خطأ كبير. يوم الأحد هو يوم للراحة. عليك أن تأخذي أيام الأحد أجازة'.

فسألتهما 'كيف في رأيك تضمد جروح الرجال، كيف يغتسلوا ويقضوا حاجتهم ويرتبوا سرائرهم ويحضروا الشاي إذا لم يجدوا من يقوم على هذا يوم الأحد؟' 'أسفة أنني لم أفكر قط في هذا عزيزتي ولكن يجب وضع بعض الترتيبات'.

غادر أرتشي فجأة قبل ثلاثة أيام من الكريسماس. ذهبت أنا وأمي لرؤيته في لندن. كان في خاطري أننا سنتزوج. الكثير من الرجال الصالحين يفعلون ذلك الآن. قلت 'لا أستطيع أن افهم كيف نستطيع أن نظل حريصين ونفكر بهذه الطريقة في المستقبل مع كل فرد ذاهب للموت'.

ووافقتني أمي على ما قلته ثم قالت 'لا، ليس علي التفكير بنفس طريقتك. لا يمكن للفرد أن يفكر في مخاطر وأشياء من هذا القبيل'.

لم نقل ذلك، ولكن احتمالات موت أرتشي في الحرب أثناء الهجوم الجوى كانت عالية جدًا. كان العديد من أصدقائي من الجنود، وقام الجيش باستدعائهم كلهم مرة واحدة. وكل يوم يقرأ المرء في الجرائد أن أحدًا من معارفه قد قتل.

مضت ثلاثة أشهر منذ آخر مرة التقيت بأرتشي. أعتقد أن هذه الشهور أعطت للوقت ما يسمونه-بعدًا آخر. لقد عشت تجربة من نوع جديد خلال تلك الفترة القصيرة: موت أصدقائي كان الخلفية لتغيير رؤيتي للحياة. وكان لأرتشي تجربة جديدة مماثلة ولكن في مجال مختلف. كل لحظة تمر كان يواجه الموت والهزيمة والانسحاب والخوف. كل منا مر بمسار طويل خاص به. ونتيجة ذلك أننا التقينا تقريبًا كالأغراب.

كان الأمر أشبه بمحاولة كل منا التعرف على الآخر من جديد. سرعان ما ظهر اختلافنا. كان مهتمًا بالجروح والثثرة-بشكل ضايقني. كنت صغيرة جدًا وقتها لأقدر اهتماماته لقد كانت هذه أفضل طريقة يواجه فيها حياته الجديدة. أما أنا فكنت أكثر جدية وأكثر عاطفية وكنت أتجنب الكلام عن الجانب المضيء من حياتي كفتاة. كان أمر صعبًا...محاولة كل منا الوصول للآخر، لنجد أنفسنا فزعين أننا نسينا كيف نفعل ذلك.

كان أرتشي مصرًا على جعل أمر بعينه واضحًا: لا كلام في الزواج، إن فعل هذا الأمر خطأ تمامًا وأضاف أن كل أصدقائي مؤمنين بذلك. مجرد الاندفاع نحو الأشياء، ثم ماذا يحدث بعد ذلك؟ أحتجرك لنفسك وتزوج ثم أتركك أرملة وربما نأتي بطفل يتيم-فعل خطأ وأنا.

جادلته بانفعال لأنني لم أوافق الرأي. ولكن الحزم والإصرار جزء من تكوينه. دائمًا ما كان واثقًا مما يتوجب عليه فعله وما هو ذاهب إليه. ولا أعني أنه لم يكن يغير رأيه أبدًا-كان يستطيع ذلك ويفعله فجأة وسريعًا أحيانًا. في الحقيقة أنه كان يتحول من أمر لآخر، فيرى الأسود أبيض والأبيض أسود. ولكنه عندما يفعل ذلك يكون متيقنًا من ذلك. تقبلت قراره وجلسنا نستمتع بالأيام القلائل الغالية التي لنا معًا.

كانت الخطة أن ننزل كليفتون بعد تمضية يومين في لندن وقضاء أيام الكريسماس معًا في بيت والدته وزوجها، وكان هذا الاتفاق المناسب والصحيح. وعلى الرغم من ذلك تشاجرنا قبل الذهاب إلى كليفتون. شجار خفيف لكنه حاد.

وصل أرتشي إلى الفندق صباح يوم مغادرتنا إلى كليفتون ومعه هدية لي-كانت حقيبة رائعة لأدوات العناية الشخصية والزينة. كانت مناسبة تمامًا، أشبه بما يأخذه المليونيرات معهم إلى ريتز^٣. لو كان أشتري لي خاتمًا أو عقد لم أكن لاعترض،

على الرغم من غلو سعرهما ولكن علي تقبل هديته في سعادة وفخر-لسبب ما تمردت على الهدية بعنف. أحسست أنها تبذير سخيف وأنها شيء لا يلزمي حتى استخدامه. ما النفع من هذه الحقيبة عندما أرجع إلى البيت وأواصل عملي في التمريض؟ إنها لا تصلح إلا وقت الأجازة عندما أسافر خارج البلاد. قلت له أني لا أريدها وأن عليه إعادتها. كلانا كان غاضبًا وجعلته يأخذها. عاد بعد ساعة وتصالحننا. وتعجبنا ما الشيء الذي له أن يغيرنا. كيف يمكن أن نكون بمثل هذه الحماسة؟ فاعترف أن ما حدث كان نوعًا من السخف. واعترفت أن ما قلته كان فظًا. ونتيجة لتشاجرنا والتصالح الذي تم على أعقابهِ شعرنا إلى حد ما بتقاربنا أكثر من ذي قبل.

رجعت أمي إلى ديفون وسافرنا أنا وأرتشي إلى كليفتون. كانت حماتي المستقبلية متأنقة دائمًا ولكن بطريقة أيرلندية مبالغ فيها. ذكر لي ابنها الثاني كأميل ذات مرة 'أن أمي امرأة خطيرة'. لم افهم مقصده وقتها ولكني عرفت مقصده الآن. ويكمن خطرها في أنها تظهر قدر كبير من العاطفة التي قد تتغير بسرعة فجأة إلى النقيض. ففي لحظة تمنيت أن تحب زوجة ابنها المستقبلية ولقد فعلت ذلك فعلاً ولكن في لحظة أخرى لم يكن أسوأ من ذلك.

ذهبنا في رحلة منهكة إلى بريستول: القطارات في حالة فوضى وغالبًا متأخرة. وعلى أي حال وصلنا أخيرًا وتلقينا ترحابًا حارًا. ذهبنا منهكة إلى الفراش ومعنا كل انفعالات اليوم والسفر وكذلك صراعي مع طبيعتي الخجولة حتى أتمكن من قول وفعل المناسب مع حماتي.

مرت نصف ساعة أو ربما ساعة كاملة منذ ذهابي إلى الفراش ولم أنام، كان هناك من يطرق الباب ففتحته لأجد أرتشي. دخل وأغلق وراءه الباب وقال فجأة: 'لقد غيرت رأيي: علينا أن نتزوج في الحال. غدًا سيتم زواجنا.'

'ولكنك قلت.....'

‘دعك مما قلته. لقد كنت محقة وكنت أنا المخطئ. بالتأكيد إن هذا أعقل ما نفعله. لدينا يومين معًا قبل أن أعود.’

جلست على السرير ولم تكن قدمي تحتل حملي. ‘لكن- لكنك كنت متيقن مما تقوله.’

‘وما أهمية ذلك؟ لقد غيرت رأيي.’

‘نعم ولكن--’ هناك الكثير الذي لم استطع التعبير عنه. دائمًا ما كنت أعانى من عقدة لساني عن التعبير في أكثر الأوقات التي أردت فيها قول الأشياء بوضوح.

وقلت بضعف، ‘سيكون الأمر غاية في الصعوبة’. دائمًا ما كنت أرى مالا يستطيع أرثشي رؤيته: كل العيوب الموجودة في الفعل المتوقع. كان أرثشي يرى الأساسيات. في البداية بدا له أن الزواج وقت الحرب أمر غاية في السخف، والآن بعد يوم واحد قرر أن زواجنا هو أكثر الأشياء صوابًا لنا. تكمن الصعوبات الحقيقية في مشاعر الرثاء على كل علاقتنا القادمة والتي لن تؤثر عليه مطلقًا. تناقشنا أكثر مما تناقشناه في الأربع وعشرين ساعة السابقة، ولكن الأمر هذه المرة معكوسًا. ولست في حاجة لأذكر أنه كان الرابع هذه المرة أيضًا.

قلت له في شك: ‘لكنني لا أصدق أنه بإمكاننا الزواج بهذه السرعة

هذا أمر صعب جدًا’

رد مبتهجًا ‘نعم’. بإمكاننا. يمكننا أخذ رخصة خاصة أو ما شابه-من أسقفية كانترييري’

‘أليس مكلفًا؟’

‘نعم اعتقد ذلك ولكني أتوقع أننا نستطيع تدبير الأمر. علينا البدء فليس لدينا وقت نضيعه في أي شيء آخر. غدًا مساء الكريسماس. هل أنت موافقة؟’

وقلت في ضعف أنني موافقة. تركني وظللت اغلب الليل مستيقظة وقلقة. ماذا ستقول أمي؟ وماذا ستقول ماج؟ وماذا ستقول والدتي؟ لماذا لم يوافق أرتشي على فكرة زواجنا ونحن في لندن حيث كان الأمر أيسر وأبسط. وأخيرًا نمت من الإنهالك.

الكثير مما توقعته حدث صباح اليوم التالي. تغيرت خططنا بسبب بييج. فقد انفجرت في بكاء هستيري وعادت إلى فراشها.

‘أبني يفعل ذلك بي’ قالتها وهي تلهث كأنها كانت تصعد السلالم.

فقلت لأرتشي ‘أرتشي من الأفضل أن لا نفعل ذلك. لقد اغضب ذلك أمك.

‘فرد’ وماذا يهم في غضبها أو عدمه؟ نحن مخطوبان من سنتين وعليها أن تعتاد الفكرة.

الآن أحست بفضاعة الأمر’

كانت بييج تنتحب ومستلقية في غرفة مظلمة ومعها منديل منقوع في كلونيا تضعه على جبهتها. نظرت أنا وأرتشي إلى بعضنا البعض وكأننا كلبان مذنبان.

جاء زوج والدتي وأنزلنا من غرفة بييج وقال لنا: ‘اعتقد أنكما تفعلان الصواب. لا تقلقوا بشأن بييج. لقد اعتادت الغضب عندما تفاجئ. وهي تحبك أنت وأجائنا وستكون مسرورة بأي شيء يخص هذا الأمر فيما بعد. ولكن لا تتوقعوا منها استيعاب الأمر اليوم. والآن اذهبا ونفذوا ما خططتم له. لا من وقت لديكم. وتذكروا أنني واثق تمام الثقة أنكم على صواب.’

على الرغم من أنني بدأت اليوم بدموع خائفة من نفسي إلا أنني استعدت طاقتي وروحي الكاملة خلال ساعتين. كانت العقوبات الموجودة في طريق زواجنا كثيرة وكلما بدا الأمر متآزمًا كلما زدنا أنا وأرتشي إصرارًا على إتمام الزواج.

في البداية استشار أرتشي كنسي سابق لمدير مدرسته. قال أن الحصول على الرخصة يكون من كلية المدنين ٤ وتكلفته ٢٥ جنيه إسترليني. لا أحد منا يملك اثنين أو خمسة جنيهات لذلك نحينا الأمر جانباً لأننا بلا شك لا يمكننا اقتراض هذا المبلغ. وأكثر من ذلك صعوبة أن الرخصة لا تتم إلا بوجود أصحابها شخصياً. لا يمكن للمرء الحصول على مثل هذا الأمر يوم الكريسماس، لذلك بدا الأمر مستحيلاً في النهاية. لا يمكن الحصول على رخصة خاصة. ذهبنا بعدها إلى مكتب التسجيل. لنرفض هناك أيضاً. لأن الإخطار يجب أن يعطى في فترة أربعة عشر يوماً قبل إتمام مراسم الزواج. يفلت الوقت من بين أيدينا. وأخيراً أتى أحد المسجلين اللطفاء والذي لم نراه من قبل، حيث لتوه كان راجعاً بعد تناول الإفطار، وجاء إلينا بالحل. قال لأرتشي 'عزيزي أتعيش هنا؟ اقصد هل والدتك وزوجها مقيمان هنا؟'

فقال أرتشي مجيباً: 'نعم'

'وهذا يعنى أنك تحتفظ بشنطك وملابسك وبعض من ممتلكاتك هنا، أليس كذلك؟'

'نعم'

'إذن فأنت لست في حاجة إلى الإخطار. يمكنك شراء رخصة عادية وتزوج في كنيسة الأبرشية بعد الظهيرة.'

تكلفت الرخصة ثمانية جنيهات، ما يمكننا تديره.

وبعدها اندفعنا بجنون للحاق بكاهن الكنيسة القابع في نهاية الطريق. ولم يكن موجوداً لكننا وجدناه في بيت صديق له. ووافق على عقد مراسم الزواج. فأسرعنا إلى بيع لنطلب بعض العون. فقالت باكية:

٤ مجتمع للمحامين العاملين بالقانون المدني. يحوى مكتبة ضخمة ومكان للإقامة والعمل. يوجد في لندن. يخرج من خلاله تصاريح الزواج والطلاق وغيرها

‘لا تكلمني. لا تكلمني’ ثم أغلقت الباب.

لا وقت لدينا لنضيعه. هرعنا إلى الكنيسة واكتشفنا أننا بحاجة لشاهد ثان. اندفعنا خارجين لنمسك بأي غريب ولكن بالصدفة وجدت فتاة اعرفها. كنت قد مكثت معها في كليفتون من سنتين. يوفين بوش، كانت على استعداد تام لتكون شاهدتنا وخادمة العروس. وجرينا مرة أخرى لنجد عازقًا يقوم ببعض الممارسات وعرض أن يعزف لنا.

قبل أن توشك مراسم الزواج على البدء؛ تخيلت للحظة مدى سوء مظهري، لا ارتدى فستانًا أبيض أو طرحة أو حتى فستان. كل ما ارتديه هو معطف عادى وجونلة وقبعة صغيرة قطيفة أرجوانية اللون ولم يكن لدي الوقت لكي أغسل يدي أو حتى وجهي. مما جعل كلانا يضحك.

تمت مراسم الزواج على ما يرام. وبما أن بيع كانت معترضة حتى حينها، قررنا الذهاب إلى توركاي والإقامة في فندق جراند مع أمي وتمضية الكريسماس معها ولكن فعل كهذا يلزم الاتصال بها أولاً لإعلامها بما حدث. من الصعب جدًا محاولة توضيح الأمر عبر الهاتف والنتائج لن تكون سعيدة أبدًا. كانت أختي ماكثة هناك ورحبت في ضيق عظيم بالخبر.

‘أتودين قول الخبر لها بهذه البساطة! ألا تعلمين مدى ضعف قلبها! أنك عديمة الإحساس!’

ألحقنا بالقطار- وكان مزدحمًا- ووصلنا أخيرًا إلى توركاي في منتصف الليل. وكنا قد حجزنا لنا غرفة في الفندق عبر الهاتف. لا أزال أشعر ببعض الذنب: لقد تسببنا في الكثير من المشاكل والقلق. أغضبنا كل من يحبونا. وعلى الرغم من شعوري هذا، لم يكن أرتشي يشعر بالمثل. لا اعتقد أنه أحس بالذنب ولو للحظة وإن حدث فلا اعتقد أنه اكرث للأمر. من المؤسف أن تغضب الجميع ويكون كل تعليقه على الأمر هو، وما الداعي لغضبهم؟ وعلى أي حال فقد قمنا بالأمر الصحيح-

لقد كان متأكدًا من ذلك. ولم يكن سوى أمر واحد جعله قلقًا. لقد حانت اللحظة. صعدنا القطار وفجأة عرض علي حقيبة إضافية ساحرة وقال وهو قلق إلى عروسه الصغيرة الجديدة 'أتمنى أن لا تغضبي من هذا الفعل'.

'إنها المزينة!'

'إنها هي. فأنا لم أعيدها. أتمانعين؟'

'بالطبع لا أمانع. جميل أن امتلك شيئًا كهذا'.

ها نحن ذا في رحلتنا مع الحقيبة ورحلتنا مع الزواج أيضًا. تخطينا الأمر بسلام وارتاح أرتشي فقد كان معتقدًا أنني سأغضب من ذلك.

إذا كان يوم زواجنا واحدًا من أطول الصراعات ضد غرائب الأمور وسلسلة من الأزمات، فقد كان الكريسماس يوم لطيف ومسالمة. لكل واحد وقت يحتاجه لمواجهة صدماته. كانت ماج حنونة وتناست كل اللوم، كذلك أمي كانت قد تعافت من الاضطراب القلبي وكانت سعيدة بسعادتنا. تمنيت أن تكون بيح تعافت من الصدمة. (وأكد لي أرتشي أنها ستتعافى) وهكذا استمتعنا بالكريسماس إلى أبعد حد.

في اليوم التالي ذهبت مع أرتشي إلى لندن لأودعه قبل عودته إلى فرنسا. فأنا لن أراه قبل ستة أشهر من الحرب.

أكملت عملي في المستشفى حيث سبقتني أخباري إلى هناك.

نادى علي أحد المرضى في الجناح، ويدعى سكوتي قائلاً 'تعالى هنا حالاً أيتها الممرضة' فذهبت. ثم قال 'ما هذا الذي سمعته؟ أتزوجتي؟'

فقلت 'نعم، تزوجت'.

قام سكوتي بنشر الخبر على كل السرائر الموجودة في الصف قائلاً: 'لقد تزوجت الممرضة ميلر. ما أسمك الآن أيتها الممرضة؟'

‘كريستي’

‘أسم اسكتلندي جميل يا كريستي. أسمعني ذلك أيتها الأخت؟ هي الآن الممرضة كريستي’.

فردت الأخت أندرسون برسمية ‘سمعت ذلك’. وأتمنى لك كل السعادة. لقد أحدث هذا الأمر الكثير من الكلام في الجناح’.

وقال مريض آخر، ‘فعلتي لنفسك الصواب. أتزوجني من ضابط؟ هذا ما سمعته’. أكدت على كلامه، ثم قال ‘فعلتي لنفسك الصواب. لم! مندهشاً فأنت فتاه لذيذة وجميلة’.

مضت الشهور. وهدأت نار الحرب دون فوز أي من الأطراف. يبدو أن نصف مرضانا أصيبوا بتصلب الأقدام من شدة البرد. كان ذلك الشتاء قارص البردة وأصابت أصابع قدمي ويدي التورم جراء ذلك. الحشو الداخلي للمعطف الواق من المطر لم يكن كافياً لعلاج تورم يدي. كنت أتحمل مسئوليات أكبر مع مرور الوقت ولكني كنت مستمتعة بعملتي. لقد تعودت على روتين الأطباء والممرضات. أعلم الأطباء المحترمين والآخرين المحتقرين من الأخوات. لا يوجد المزيد من الشعور لإزالة القمل منه ولا ضمادات. وعلى الرغم من أن المستشفيات الرئيسية أصبحت في فرنسا إلا أن مستشفانا لازالت مزدحمة. خرج الرجل الاسكتلندي الصغير ذو الأرجل المكسورة أخيراً بعد تماثله للشفاء. في الواقع إنه سقط على رصيف محطة القطار خلال رحلته إلى مسقط رأسه في اسكتلندا ولكنه لم يذكر ذلك قط وأخفى حقيقة أن رجله قد كسرت للمرة الثانية. كان يعاني من ألم مبرح ولكنه تمكن أخيراً من الوصول إلى المكان الذي يريده، واحتاجت رجله لإعادتها للحالة الأصلية. كل هذه الذكريات أصبحت مشوشة. أحاول فقط استدعاء بعض الأحداث العابرة والبارزة في ذاكرتي. أتذكر ممارسة شابة كانت تساعد في غرفة العمليات وكانت تترك في الخلف لتنظف، وقد ساعدتها في قطع رجل مبتور لإدخالها الفرن، وكان

هذا كثيرًا على طفل. بعدها قمنا بالتخلص من الفوضى والدم. اعتقد أنها كانت صغيرة جدًا وجديدة على هذا الفعل وكان من المبكر جدًا عليها أخذ مهمة مثل تلك لتقوم بها وحدها.

أتذكر أيضًا جراح ذو مظهر جاد، كان يحب الخطابات التي أكتبها له، فهو لم يكن يعرف القراءة أو الكتابة. دائمًا ما كان يخبرني بقسوة ما يريدني أن أقوله. كان يحنى رأسه قائلاً: 'سيتم ذلك بطريقة لطيفة أيتها الممرضة. أريد منها ثلاث نسخ'.

فأرد 'ثلاثة؟'

فيقول 'نعم، ثلاثة، واحدة لنيلى والأخرى لجيسي والثالثة لمارجريت'.

فأسأله 'أليس من الأفضل جعلهم مختلفين ولو قليلاً؟' ويتأمل ما قلته ثم يقول 'لا أعتقد ذلك، فلقد أخبرت كل منهم الأساسيات' لذلك كل خطاب يبدأ بـ: 'أتمنى أن تكوني في خير حال' وينتهي بـ: 'المخلص لك حتى تتجمد التلال'.

فسألته في فضول 'ألن يقرأوا خطابات بعضهم البعض؟'

رد قائلاً 'لا أعتقد ذلك، فهم في بلاد مختلفة ولا تعرف إحداهن الأخرى'.

سألته عما إذا كان فكر في الزواج من إحداهن.

فقال 'ربما نعم وربما لا، بالنسبة لنيلى فهي فتاة يحب المرء النظر إليها وهي لطيفة. ولكن جيسي أكثر جدية وتعبدني فهي تعتقد فعليًا أن عالمها تمثل في'.

'ومارجريت؟'

'مارجريت؟ آه حسنًا، تجعلك تضحكين فهي بنت مرحة. وعلى أي حال سنرى ما سيحدث'.

دائمًا ما كنت أتساءل ما إذا كان تزوج إحداهن أو أنه التقى برابعة تجمع المظهر الجيد مع كونها مستمعة جدية وأيضًا مرحة.

كانت الأشياء تسير على نفس المنوال في البيت. جاءت لوسي لتحل محل جان ودائمًا ما تتحدث عنها بتعجب وباسم 'السيدة روه': 'أتمنى حقًا أن أحل محل السيدة روه-إنها مسئولية كبيرة'. وكان الأمر معد لأن تتولى هي مسئولية الطهي لي ولأرتشي بعد الحرب.

جاءت في يوم إلى أمي وبدأ عليها القلق الشديد وتقول: 'أتمنى أن لا تمانعين، مدام، ولكني أشعر أني علي الذهاب والالتحاق بسيدات الاحتياط في القوات الجوية. أتمنى أن لا يكون اعتقادك أن هذا الأمر لا يلائمني'.

'حسنًا لوسي، اعتقد أن هذا الأمر صائب جدًا، لازلت شابة وهذا بالضبط ما يحتاجون إليه'.

وهكذا تركتنا لوسي وكلها أسي، متمنية أن نستطيع تدير أمرنا بدونها وقائلة أنها لا تعرف فيما قد تفكر السيدة روه في هذا القرار. ذهبت معها خادمة الضيوف، وتركنا أمّا الجميلة للزوج. استبدلناهم بخادمتين كبيرتين كان وقت الحرب بالنسبة لهن وقت مؤسف ولا يصدق.

قالت ماري الكبيرة بعد يومين ممتلكها الغضب: عذرًا سيدتي، الطعام الذي أعطيتمونا إياه ليس صحيح. تناولنا سمك ليومين هذا الأسبوع بجانب اللحوم. وعادة ما أقوم بعمل وجبة لحم مرة في اليوم على الأقل'. حاولت أمي شرح أننا نقسم الطعام مرتين أو ثلاث مرات على الأقل في الأسبوع وهو نظام يسعى 'بقايا الطعام'. قامت ماري بهز رأسها فقط وقالت 'ليس هذا بالشئ الصحيح، فهذا النظام لا يحترم الإنسان'. وقالت أيضًا أنها لم يعرض عليها من قبل تناول السمن الصناعي. حاولت أمي وقتها أن تجرب خدعة كان يجربها الكثيرون أثناء الحرب، وهي تبديل السمن الصناعي ووضعه مكان الزبد وقالت لها:

'اعتقد إذا حاولت تذوق الاثنين الآن، لن تستطيعي التفريق بين السمن الصناعي والزبد'.

كلتا الجابنتين الكبار نظرا بازدراء ثم حاولا وتذوقا. لم يكن لديهن شك: 'من الواضح جدًا الفرق بينهما وأيهما السمن الصناعي وأيهما الزبد. لا شك في ذلك سيدتي'.

'هل تعتقدن أن الفارق بين الاثنين كبير؟'

'بالطبع كبير، فأنا لا أطيق مذاق السمن الصناعي-لا أحد منا يستطيع، فطعمها يشعرا بالغثيان'. في البداية لم يصدقن الأمر، وبعد اقتناعهم بالأمر لم يكونا راضيات.

جاءت جدتي لامي لتعيش معنا. كانت مزعجة من رجوعي بمفردي ليلاً من المستشفى.

'الرجوع وحدك مشياً إلى البيت أمر خطير يا عزيزتي، قد يحدث لك أي مكروه. عليك تدير مواعيدك بطريقة أخرى'.

'لا يسعني ترتيب الأمر بطريقة أخرى جدتي جراني. وعلى أي حال لم يحدث لي شيئاً من قبل خلال الشهور العديدة التي فعلت فيها هذا الأمر'.

'ليس هذا بالأمر الصائب. قد يلاحقك أحدهم'.

حاولت طمأنتها قدر استطاعتي. كان وقت خدمتي من الثانية ظهراً حتى العاشرة مساء وعادة لا أذهب قبل العاشرة والنصف بعد مجيء الدورية التالية، وأخذ ساعة إلا ربع تقريباً للوصول للبيت سيراً في شوارع خالية من الناس. وعلى الرغم من ذلك لم يصيبني أي مكروه. قابلت رقيب سكران ذات مرة، ولكن كل ما شغله هو كيف يبدو أنيقاً أمامي. قال لي متعجباً وهو يمشي 'تقومين بعمل جيد في المستشفى. أراك في البيت أيتها الممرضة. سأتابعك حتى البيت لأنني لا أحب أن يحدث لك أي مكروه'. أخبرته بأن لا داعي لهذا ولكنه لطف منه أن يفكر في ذلك. تتبعني في خطوات متناقلة وودعني عند بوابة البيت بطريقة في غاية الاحترام.

لا أتذكر متى حدث ذلك تحديدًا. وأتخيل أنه بعد فترة قصيرة من اندلاع الحرب. لم تعد جدتي لأمي قادرة على الرؤية لوجود مشكلة في عدسة العين، وفي نفس الوقت كانت عجوز على إجراء عملية. كانت امرأة حساسة، لذلك فإن إقناعها بفكرة ترك منزلها في إلينج وأصدقائها وكل شيء هناك أمرًا غاية في الصعوبة. كانت مقتنعة تمامًا بعدم جدوى عيشها هناك وحدها خصوصًا لاحتمالية عدم بقاء الخدم وبهذا حدثت المعجزة ووافقت على العيش معنا. نزلت أختي لتساعد أُمي، وعدت أنا من ديفون، فكنا جميعًا مشغولون. لم اقدر ما كانت تعانيه جراني ولكن اتضحت لدي الصورة الآن عن جلوسها نصف عمياء في وسط ممتلكاتها وكل شيء حازته يائسة لا تملك من الأمر شيء، بينما حولها ثلاثة همج يبعثون في أشياءها ويخرجون كل شيء من مكانه فاعلين به ما يحلو لهم. ظهر منها بعض البكاء الحزين وهي تقول: 'أنت لن تلقى بهذا الفستان، فستاني القטיפيَّة الجميل، مدام بونسيريو'. فكان من الصعب إخبارها أن هذه القטיפيَّة أكلها العث وأن الحرير قد تحلل. أكل العث صندوق مليء بالأشياء والملابس والسراويل، وانتهت بذلك صلاحيتهم للاستعمال. وبسبب قلقها تركنا الكثير من الأشياء كما هي على الرغم من وجوب التخلص منها. صندوق تلو الآخر مليء بالأوراق وكتب الحياكة ومقاسات الخدامات وأطوال الحرير والقטיפيَّة المشتراه فترة التخفيضات والمتبقي منها: وكذلك الكثير من الأشياء التي لو كانت استخدمت وقتها لكانت مفيدة ولكن تم ركنها. مسكينة جراني تجلس في كرسيها وتنتحب.

وبعد رؤية ملابسها، كان الدور على مخزنها. تكدس الأغراض فيه جعلها تتعفن والبرقوق تخمر، حتى أكياس الزبد والسكر المسكوبة قرضتها الفئران: كل مدخراتها تلفت، كل الأشياء التي اشترتها وخزنتها للمستقبل، ها نحن ذا أمام صرح من الخراب! واعتقد أن هذا ما جرحها كثيرًا، الخراب. ولكن المشروب المحلي التي صنعتها في البيت بقى على حالته بفضل نوعية الكحل المحفوظة فيه. نقلنا ستة وثلاثين زجاجة من الكرز الروحي وشراب كرز الجن وخوخ الجن والبقية من تلك

السلسلة في شاحن الأثاث، ولم يتبقى منهم سوى واحد وثلاثين حتى وصولنا هناك مما جعل جراني تقول 'وللتذكرة فإن هؤلاء الرجال قالوا أنهم لا يشربون المسكرات!'

لعل ناقلي أغراض المنزل ثأروا لأنفسهم: لقد تملكهم شيء من التعاطف مع جدتي عند نقلهم أغراضها. ازدرت جدتي رغبة العمال أخذ الخزانة المصنوعة من خشب الماهوجني ذات الأدراج خارج المنقولات وقالت لهم 'أتريدون استبعاد الخزانة؟ لماذا؟ إذا كان الأمر متعلق بوزنها فأنتم ثلاث رجال أقوياء أليس كذلك؟ رجال أمثالكم صعدوا بالخزانة وهي ممتلئة بالأغراض ولن تستبعد الخزانة بحال. لا يستحق الرجال أي شيء هذه الأيام'. توسل الرجال واعترفوا بعدم قدرتهم على حمل الخزانة. استسلمت جراني في النهاية وقالت 'ضعفاء! شديدي الضعف. لا تستحق الرجال الاحترام هذه الأيام'. كانت بعض الصناديق بها مأكولات مشتراه في حالة جوع جراني. الأمر الوحيد الذي أسعد جراني عند وصولنا إلى أشفيلد كان عثورنا على أماكن لإخفاء المأكولات. دستتين من علب السردين موضوعة في أعلى مكتبة من المكتبات الراقية. تركوا هناك ونسينا بعضهم لدرجة أنه بعد الحرب كانت أمي تبيع قطعة من الأثاث وحينما أتى الرجل لأخذها قال على استحياء: 'اعتقد أن بأعلى المكتبة عدد كبير من علب السردين'.

فقالت أمي دون تفسير 'آه فعلاً، اعتقد أنك محق'. ولكن الرجل لم يستفسر. وأزيل السردين. ثم قالت أمي 'اعتقد أن علينا النظر في باقي قطع الأثاث الأخرى'.

ستجد الأشياء مثل السردين وأكياس الدقيق في أماكن لا يمكن توقعها وتركت كذلك لأعوام. سلال الملابس غير المستعملة ممتلئة بالدقيق والسوس. وبالتأكيد ستجد مرطبانات من العسل ووقيات من البرقوق الفرنسي وبضائع معلبة-على الرغم من اعتراض جراني على الأغذية المحفوظة واعتبارها مصدر رئيسي للإصابة بتسمم البتوميني. لا تثق جراني إلا في الأوعية التي حفظها بنفسها وترى أنها الوحيدة التي يمكن الوثوق في حفظها بالطريقة الصحيحة.

والحقيقة أن الأطعمة المحفوظة كانت مرفوضة من الجميع وقت صباي. كان يتم تحذير كل البنات وقتها عند ذهابهم للحفلات: 'كوني حذرة وإياك تناول الكركند على العشاء فلا تعلمين ما إذا كان محفوظاً!' - كان نطق كلمة 'محفوظ' يصاحبه الرعب. كانت سلعة الكركند المحفوظ فظيعة لدرجة لا تحتاج معها للتحذير. ما هي اعتقادات الفرد ورؤيته حينها عندما يعلم أن غذائه الأساسي من الأطعمة المجمدة والخضروات المعلبة.

على الرغم من حيي ورغبتي في خدمة جراني، فإن تعاطفي مع معاناة هذه الجدة البائسة قليل. ومع أن التصرف يبدو غريباً من الناحية الواقعية، بيد أن المرء ما يزال متمحور حول ذاته. كان علي تفهم معاناة الجدة المسكينة عندئذ، فهي في الثمانين، اقتلعت نفسها من بيت عاشت فيه ثلاثين أو أربعين عاماً وضاع منها بعد فترة صغيرة من موت زوجها. بالطبع الأمر لا يتعلق بتركها البيت في ذاته - فقد ساءت حالتها بدرجة كافية، بالرغم من أنها انتقلت ومعها أثاثها الخاص - السرير ذوي الأربعة أعمدة الكبير والكرسيان الكبيران التي تفضل الجلوس عليهما. ولكن الأسوأ من أي شيء كان خسارتها كل أصدقائها. صحيح أن الكثيرون قد توفوا ولكن مازال منهم على قيد الحياة: الجيران الذين يأتون إليها غالباً، أناس تأتي لتثرثر معهم وتذكر الأيام الفاتنة أو مناقشة الأخبار المنشورة في الصحف اليومية من رعب قتل الأطفال والاعتصاب وانتشار الرزيلة المقنعة وكل الأشياء الأخرى التي تبهج حياة الكبار. صحيح أننا تقرأ الصحف لجراني كل يوم ولكننا لا نستمتع بالقدر المرعب لمربية الأطفال أو الطفل الذي ترك في عربة الأطفال ولا الشابة التي تعرضت للاعتداء في القطار. بينما ما يعيننا من الشئون العالمية والسياسة والتعليم والموضوعات اليومية - ليس من اهتمامات جدتي البتة وليس ذلك لأنها امرأة غبية ولا لأنها تفرح بالمصائب، ولكن بالأحرى لأنها تحتاج للإحساس بتغيير يخالف رتابة الحياة اليومية: بعض الدراما والأحداث الشاقة والتي وإن كانت بمعزل عنها إلا إنها تحدث وليست بعيدة عنها تماماً.

ليس لدى جدتي المسكينة أي شيء مثير في حياتها الآن غير الكوارث التي تقرأ لها من الجرائد اليومية. لم يعد لديها أصدقاء يطرقون عليها الباب ومعهم الأخبار الحزينة عن السلوك المخزي لعقيد الجيش-فلان الفلاني-مع زوجته، أو المرض الذي أصاب الأقارب ولا يوجد طبيب قادر على معالجته. أتفهم الآن مدى الحزن الذي تعانيه وقدر الوحدة والملل الذي كان موجود في حياتها. كنت أتمنى أن أكون أكثر استيعابًا لحالها.

نقوم جدتي متكاسلة صباحًا بتناول الإفطار في فراشها. وتنزل إلينا في الحادية عشر تقريبًا، ترتقب أكلة أن تجد من لديه الوقت ليقرأ الجرائد لها. وليس من المحتمل أن تنزل في ميعاد مخالف لما اعتدنا أن نراها فيه. إذا كانت مريضة فهي تجلس على كرسيها. ولسنة أو اثنين كانت لازالت قادرة على عمل التريكو وبسببه أصبحت غير قادرة على الرؤية الواضحة. وكلما ساءت رؤيتها كلما يزيد سوء أنواع التريكو التي تصنعها لدرجة أنها كانت تتجاوز بعض الغرز دون أن تعلم. أحيانًا كنا نراها تنتحب بشدة على كرسيها لأنها أفلتت أكثر من غرزة وعليها أن تفك كل ما عقدته وتصلحه. اعتدت أن أساعدها، ابحت عن الغرزة التي فلتت وأعيد عملها إلى أن أصل إلى ما وقفت عنده، وتكمل هي من نقطة ما توقفت عنده ولكن هذا الفعل لم يكن يعالج أساها على فكرة أنها لم تعد قادرة على الاستفادة.

نادرًا ما كانت تقتنع بخروجها لتتمشى في شرفة المنزل أو ما شابه. كانت تعتقد أن الهواء الطلق مضر بالتأكيد. كانت تجلس في غرفة الطعام طوال اليوم لأنها اعتادت ذلك في بيتها القديم. ولكنها تأتي لتنضم إلينا لتناول الشاي بعد الظهر وبعدها تعود مرة أخرى إلى المكان الذي جاءت منه. وأحيانًا، خاصة إذا كان لدينا حفلة عشاء للشباب ونذهب إلى غرفة الدراسة، تظهر جراني فجأة متسلسلة ببطء وتصعد إلى أعلى في صعوبة. في مثل هذه المناسبات كالعادة، لا تبتغي النوم باكراً لكنها تريد أن تكون في قلب الأحداث، تريد سماع ما يجري ومشاركتنا الابتهاج والضحك. كنت أتمنى عدم وجودها معنا. على الرغم من أنها لم تكن صماء إلا أن

الكثير من الأشياء الجميلة كانت تقرر على مسامعها، الشيء الذي كان ينغص صفاء الصحبة قليلاً. ولكنني سعيدة أننا على الأقل لم نحبطها يوماً عن مشاركتنا. كان الأمر بالنسبة لجراني المسكينة حزيناً والآن أصبح لا غنى عنه. كانت المشكلة لديها هي فقدانها لاستقلاليتها-مثلها في ذلك مثل جميع كبار السن. اعتقد أنه الإحساس بثقل الفرد الذي يجعل الكثير من كبار السن ينغمسون في وهم أنهم سيسمموا أو ستسرق ممتلكاتهم. لا اعتقد أن الأمر متعلق بضعف القدرات العقلية بينما هو فقدان الإثارة التي يحتاجها كبار السن، نوع من المنبهات: يجب أن تكون الحياة أكثر إمتاعاً إذا حاول أحدهم تسميمك. بدأت جراني بالتدريج الانغماس في هذه الخيالات. أكدت لأمي أن الخادמות قمن 'بوضع أشياء في طعامها. 'يردن التخلص مني!'

'ولكن لماذا يا خالتي العزيزة، لماذا يريدون التخلص منك؟ هم يحبونك كثيراً.'

'هذا اعتقادك أنت يا كلارا. ولكن هن دائمي التصنت من الأبواب، أنا اعلم ذلك. كان مذاق البيض المضروب المقدم لي البارحة غريباً-مذاقه معدني. أنا اعرف ذلك!' وأومات رأسها ثم أكملت قائلة 'أتعلمين أن السيدة وايت العجوز ماتت مسمومة بسبب رئيس الخدم وزوجته.'

'نعم أعلم، ولكن لأنها تركت لهما مالاً طائلاً. أما أنت فلم تتركي لأحد من الخدم أي أموال.'

فقالت جراني، 'لا تخافي، على أي حال بعد ذلك أريد بيضاً مسلوفاً للإفطار. إذا أصبح البيض مسلوفاً لن يستطيعوا التلاعب في هذا'. وبهذا أصبح إفطار جراني من البيض المسلوقة.

أما الشيء التالي الذي كان محبطاً لها هو المظهر المحزن لجواهرها. وكانت تريد إرسال هذه المجوهرات لي. 'أهذا أنت يا أجاتا؟ تعالى وأغلقي الباب خلفك يا عزيزتي.'

جئت إلى السرير 'نعم جدي، ما الأمر؟' كانت جالسة على سريرها تبكي وتمسح دموعها بالمنديل وتقول 'لقد ذهب.. كل شيء ذهب. الزمردة خاصتي وأقراضى الجميلة والخاتمين-كل شيء ضاع يا عزيزتي!'

'أنا على ثقة أن شيئاً لم يذهب بحق يا جراني. دعينا نرى أين كانوا.'

'كانوا في هذا الدرج -ملفوفين في قفاز بلا أصابع- هذا هو المكان الذي دائماً أحفظهم فيه.'

'حسناً، دعينا نرى.' أردت الذهاب إلى المزرنة والبحث في الأدراج. كان هناك قفازان بلا أصابع ملفوفين ولا يوجد بداخلهم شيء. فركزت انتباهي على الأدراج السفلية. وجدت هناك قفازان أيضاً وشعرت بالارتياح لرؤيتهم. أحضرتهم بالقرب من قدم السرير وأكدت لجراني أنني وجدتهم في هذا المكان- الأقراض والبروش المطعم بالزمرد والخاتمين.

وضحت لها قائلة 'كانوا في الدرج الثالث السفلي وليس الثاني.'

'من المؤكد أنهم أرجعوهم.'

فقلت لها 'لا اعتقد أن لديهم القدرة على فعل ذلك.'

'حسناً، كوني حذرة يا أجاثا يا عزيزتي، حذرة جداً. امشي على أصابع قدمك نحو الباب وانظري إذا كانوا يتصنتون أم لا.'

أطعت كلام جراني وأكدت لها أن أحداً لا يتصنت.

كم أنها مشكلة أن يصبح المرء عجوزاً! قد يحدث هذا الأمر معي، ولكنه لم يبدو واقعياً. وكنت مؤمنة بذلك: 'يجب أن لا أكون عجوزاً وأن لا أموت.' أنت تعرف أنك ستصبح عجوزاً وستموت وتؤكد لنفسك أن ذلك لن يحدث. حسناً، أنا عجوزاً الآن ولم أدخل في مرحلة الشك في أن مجوهراتي قد سرقت أو أن أحداً يسممني،

ولكن علي أن اقنع نفسي أن شيء كهذا يمكن أن يحدث معي. ولعلّي اشعر مقدّمًا أن علي معرفة أني حمقاء من قبل بداية وصولي لهذه المرحلة.

في مرة اعتقدت جراني أنها سمعت قطعة في مكان ما بالقرب من السلالم الخلفية. حتى وإن كانت قطعة، فلقد كانت في حيرة بين أن تتركها مكانها أو أن تنادى لأحد الخدم وتخبرهم بوجودها أو تخبرني أنا أو أمي. ولكن قررت جراني في النهاية أن تتقصي الأمر بنفسها فوقعت على السلالم الخلفية وكسرت ذراعها. قلق الطبيب عند محاولته تجييس ذراع جراني. قال إنه كان يأمل أن يلتحم الكسر تمامًا ولكن لواحدة في مثل عمرها الذي يتجاوز الثمانين فسيكون صعبًا وعلى هذا قامت جراني من هذه الحادثة منتشية بالنصر فهي ستستطيع استخدام ذراعها جيدًا مع مرور الوقت على الرغم من أنها لا تستطيع رفعها فوق رأسها. لا شك في أنها كانت سيدة عجوز صعبة المراس. كانت دائمًا ما تخبرني عن رقتها البالغة أيام شبابه وحقيقة أن الأطباء قد يأسوا من حياتها في عدة حوادث بين عمر الخامسة والثلاثين والخمسين-أكاد أجزم أن هذه الأمور ليست بالحقيقية. ولكنه بمثابة التأكيد الفيكتوري بالاستمتاع بالمرض.

ما كان مزعجًا لجراني الساعات المتأخرة التي أقضيها بالمستشفى، كانت الحياة ممتلئة.

أخذ أرتشي أجازة ثلاثة أيام في الصيف لأقابله في لندن. لم تكن بالأجازة السعيدة. كان عصبياً ولديه معلومات كثيرة عن أحوال الحرب التي تجعل من يسمعها قلقًا للغاية. بدأ ازدياد عدد الضحايا بالظهور على الرغم من عدم وصولهم لانجلترا، والاحتمال الأكبر أن تستمر الحرب لأربع سنوات. عندما جاء التجنيد الإلزامي-كان من الصعب تقبل فكرة التجنيد لفترة ثلاث سنوات أو حتى تنتهي الحرب.

لم يذكر أرتشي يومًا الحرب أو دوره فيها: كانت فكرته الأساسية في أيام الأجازة هو نسيان تلك الأشياء. كنا نأكل وجبات قدر ما نستطيع- كان النظام الغذائي في

الحرب العالمية الأولى أكثر إنصافاً منه في الحرب الثانية. وسواء أكلت في مطعم أو في البيت عليك عرض كوبونات اللحم الذي تأكله.. الخ إذا أردت الحصول على وجبة تحوى اللحم. أما في الحرب العالمية الثانية كان الوضع أقل أخلاقاً: إذا كنت مهتماً ولديك المال يمكنك أكل وجبة تحوى اللحم كل يوم من أيام الأسبوع في المطعم، حيث لا يطلب هناك أي كوبونات على الإطلاق.

مرت الثلاثة أيام بسرعة البرق. وكنا نتوق إلى التخطيط للمستقبل معاً ولكن كلانا شعر أن الأفضل أن لا نفعل هذا. ونقطة الأمل بالنسبة لي هي أنه بعد هذه الإجازة بقليل لن يكون أرتشي مضطراً للطيران مرة أخرى. حالة جيوبه الأنفية لا تسمح بمثل عمله، لذلك وضع بدلاً من مسئول المحطة. دائماً ما كان ماهر في التنظيم والإدارة. ذكر أكثر من مرة في البعثات وأخيراً فاز بمجموعة إدارة الأوامر وكذلك شارة الخدمة المميزة ٦ ولكنه كان يفتخر بالجائزة الأولى أكثر لأنها كانت ذات قدر حقيقي-هذا ما قاله. حصل أيضاً على وسام روسي-شارة القديس سانسليس- وكانت غاية في الجمال لدرجة أنى كنت أحب ارتدائها في الحفلات كوسام يخصني.

في أواخر ذلك العام أصبت بأنفلونزا شديدة واحتقان في الرئة مما جعلني غير قادرة على الذهاب إلى المستشفى لمدة ثلاث أسابيع أو شهر. وعند رجوعي كان قسم جديد قد فتح-معمل الصيدلية^٧- وكان المقترح أن أعمل به. كان بمثابة بيتي الثاني لمدة سنتين.

كان القسم الجديد مسئولية كل من: السيدة إليس، زوجة الطبيب إليس، التي كانت تساعد زوجها من سنوات، وصديقتي إلين مورس. كانت مهمتي مساعدتهم والدراسة من أجل امتحان كلية الصيدلة، الذي سيمكنني فيما بعد من

5 C.M.G

6 D.S.O

٧ مكان يعد فيه الدواء يديوياً- بالتركيب- من قبل القائمين عليه بوصفات دوائية محددة

تركيب الدواء لضابط أو كيميائي. يبدو الأمر ممتعًا والساعات تمضي بشكل أفضل- يغلق معمل الصيدلة في السادسة وعلي أن أكون في الخدمة بالتناوب صباحًا ومساءً- وبالتالي سيكون الوضع أفضل للجمع بين العمل وواجبات المنزل.

لا استطيع القول أنني استمتعت بتركيب الأدوية قدر استمتاعي بالتمريض. اعتقد أن وظيفتي الحقيقية هي التمريض. وكنت سعيدة بكوني ممرضة في المستشفى. كان تركيب الدواء ممتعًا لفترة من الوقت، ولكنه أصبح مملاً مع الوقت- لم اهتم أبدًا أن أقوم بهذا العمل كوظيفة دائمة. ولكن على الجانب الآخر، كنت مستمتعة بوجودي مع أصدقائي. كان لدى شغف واحترام عظيم تجاه السيدة إليس. كانت واحدة من أهدأ النساء التي عرفتهم يومًا. لديها صوت رخيم ولطيف وحس فكاهي لا يمكن تخيله يظهر في لحظات مختلفة. كانت معلمة جيدة، فكانت تفهم مشكلات من تقوم على تعليمه-والحقيقة أنها هي نفسها، بحسب اعترافها" تكون مرتبكة وتحسب حساباتها بقائمة مطولة من عمليات القسمة الأمر الذي يجعلك تشعر بالراحة عند التعامل معها. كانت إلين موجّهة في الكيمياء وكانت بالنسبة لي ماهرة بدرجة كافية لأبدأ معها. لم تبدأ بالجانب العملي ولكن من النظرية لتدخل فجأة إلى الجدول الدوري والوزن الذري وغيرهما مما جعلني في حيرة. وعلى الرغم من ذلك استطعت أن أضع قدمي على الطريق، أجدت الحقائق الأساسية، وتقدمنا على الطريق الصحيح.

لم نكن نملك الخبرة ولكن ربما لأننا لسنا محترفين، دفعنا لنكون أكثر حرصًا وتيقظًا. بالطبع لم يكن العمل متساوي الكفاءة. كل وقت يمر علينا مجموعة من المرضى يحمسنا للعمل بجد أكبر. الأدوية والمراهم ومرطمانات المرطبات التي يجب ملئها كل يوم بعد نفاذها. بعد العمل مع العديد من الأطباء في مستشفى، يدرك المرء كيف أن الدواء كأى شيء آخر في العالم، مسألة موضوعة: لكل ممارس طبي سماته الشخصية الخاصة وبهذا يكون له اختيارات معينة من الأدوية.

‘ماذا لديك لتفعله هذا الصباح؟’

‘آه، ٥ من الطبيب واثك ٤ من الطبيب جامس و٢ مخصصين من الطبيب فينر.’

يعتقد الرجل أو المرأة المستلقين على السرير أن الطبيب قد درس حالتهم بشكل خاص وقيم أي الأدوية هي الأفضل بالنسبة لحالتهم وكتب وصفة طبية لتعطى تأثير محدد على المرض. اكتشفت سريعاً أن الدواء الذي وصفه دز واثك والدواء الذي وصفه د. جامس والآخر الذي وصفه د. فينر كلها أدوية مختلفة تمام الاختلاف، وللتحديد ليس الاختلاف في المريض أو المرض لكن هو اختلاف الطبيب المعالج. وعندما يحاول المرء التفكير في الأمر يجد أن الموضوع معقول على الرغم أن الدواء ربما لا يجعل المرء يشعر بالتحسن الذي كان يشعره قبل المرض. ينظر الكيميائيون ومركبي الدواء بشكل سامي لما يهتم به الأطباء: فلدتهم رأيهم الخاص كما للطبيب رأيته. قد يعتقد المرء أن وصفة الطبيب جامس جيدة وأن الطبيب واثك أقل منه قدرة-ولكن على الكيميائيين ومركبي الدواء أن يجعلوا الاثنان في نفس المستوى. فقط عندما يأتي الأمر إلى المراهم يصبح الأطباء تجريبيين. وسبب هذا في الأساس هو أن أمراض الجلد تعد لغز لمتمني الطب وأي أحد غيرهم. كمثال: فإن دهان الكيلامينا الذي يستخدمه الدكتور "د" لحالات التحسس لا تصلح مع الدكتور "ج" الذي يعانى مريضه من نفس الشكوى- بل قد يتسبب في هياج أكبر للجلد-ولكن مستحضر قطران الفحم الذي لا يصلح مع الدكتور "د" لديه تأثير ناجح غير متوقع على حالة دكتور "ج"؛ لذلك على الطبيب أن يستمر في المحاولة حتى يجد المستحضر المناسب. في لندن لدى مرضى الجلدية مستشفياتهم المفضلة. ‘جريت مستشفى ميديلسكس؟ جريته ولكن فريق العمل غير جيد على الإطلاق. الآن في مستشفى كلورادو الجامعية قد شفيت تقريباً. أضاف صديق شيئاً: ‘حسناً، بدأت اعتقد أن شيئاً ما في مستشفى ميديلسكس. كانت أختي تعالج هنا ولم تتحسن، فذهبت إلى ميديلسكس وتعافت بعد يومين.’

لازال بداخلي حنق ضد متخصص جلدية بعينه، مجرب ومثابر ومتفائل، ينتمي إلى المدرسة القائلة 'جرب كل شيء لمرة واحدة' مقتنع بأهمية أن يدهن كل جسم الطفل الوليد الذي لم يتخطى عدة أشهر بخلطة زيت السمك. وبالطبع على الأم وباقي أفراد الأسرة أن تجد الطفل المسكين الذي يستطيع احتمال ذلك. ليس هذا الأمر بالمناسب وبالتالي لا يستطيع الأهل الاستمرار عليه أكثر من عشرة أيام. صنع هذا الدهان يجعلني منبوذة من أهلي، حيث لا تستطيع التعامل مع كمية كبيرة من زيت السمك دون أن يشتم البيت رائحة سمك مقززة.

نبذني من حولي في عدة مناسبات عام ١٩١٦-نتيجة لموضه معجون البابب المستخدم لعلاج الجروح. يتكون من معدن البزموت والايودوفورم معجونين في سائل البرافين. كانت رائحة الايودوفورم تلازمي في المعمل والترام والمنزل وعلى طاولة الطعام وحتى سريري. كانت للرائحة قدرة على الانتشار غريبة، تتسرب من أصابع يدك وذراعيك ومرفقيك وبالطبع من المستحيل أن تتخلص من الرائحة بالاغتسال. للحفاظ على شعور العائلة كنت أعد صينية أكل لنفسي وأجلس وحيدة في مخزن المؤن. قرب نهاية الحرب لم يلقي معجون البابب استحساناً واستبدل بمستحضرات أكثر أماناً وأخيراً نجح في مرطبات حمض هيبوكلوروس كثيرة. تنتج هذه المادة من كولوريد الكالسيوم العادي مضافاً إليه كربونات الصوديوم ومكونات أخرى، مسبباً انتشار رائحة الكلور داخل كل ملابسك. الكثير من الشركات تستخدم هذا النوع من القواعد في مطهرتها ومنتجاتها المثيلة. مجرد استنشاق هذه المواد كافي لإعيائي. هاجم خادم عنيد لدينا:

'ماذا وضعت في حوض مخزن المؤن؟ رائحته رهيبة!'

أراني بكل فخر زجاجة وقال لي 'أفضل أنواع المطهرات، مدام'

صرخت في وجهه 'إنها ليست مستشفى. يكفي أن تغسل الحوض بماء ساخن وإن كان ضرورياً استخدم القليل من الصودا. وألقى بمستحضر كولوريد الكالسيوم القذر هذا بعيداً.'

أعطيت الخادم محاضرة عن طبيعة المطهرات وأن أي شيء مضر بالجراثيم عادة ما يضر بجلد الإنسان، بالتالي ما نهدف إليه هو النظافة دون استخدام المطهرات. الجراثيم قوية والمطهرات الضعيفة لن تمنع الجراثيم وبالتالي ستنشط في محاليل المطهرات. لم يقتنع بكلامي واستمر في استخدام خليطه المقزز بعدما يتأكد تمامًا من ذهابي خارج المنزل.

كجزء من تحضيرى لاختبار الالتحاق بكلية الصيدلة، علي أخذ بعض التوجيهات من كيميائي تجارى مناسب. واحد من الكيميائيين الكبار في توركاى كان كريمًا لدرجة أنه قال أن باستطاعتي المجيء إليه في أيام الأحد ليعطيني التوجيه. ذهبت إليه في خجل ويتملكني الخوف ومتوترة.

شيء جديد أن تذهب إلى معمل كيميائي لأول مرة تكون وراء الستار. لتكون محترف في عمل مستشفانا، فنحن نقيس كل زجاجة دواء بمنتهى الدقة. عندما يصف الطبيب جرعة اثنا عشر حبة من كربونات البزموت، يجب أن يحصل المريض على اثنا عشر حبة بالضبط. اعتقد أنه من الجيد أننا لسنا بمحترفين، ولكنى أتخيل أن أي كيميائي أتم دراسته خمس سنوات وتخرج من الصيدلة يعرف فريق عمله جيدًا على نفس المستوى الذي يعرف به الطاهي مساعديه. يخلط مكونات مختلفة بمقادير معينة في ثقة متناهية دون الانشغال بقياس الكميات أو وزن كل مقدار. يقيس السموم والعقاقير بعناية بينما فريقه الحديث عهدًا بالعمل يأتي بالمقدار التقريبي. يضاف اللون والنكهة بطريقة مماثلة. وهذا الأمر يجعل المريض يعود مرة أخرى ليشتكى أن دواءه الحالي مختلف في لونه عن السابق له. 'كان لونه وردي غامق وليس باهت كما هو الآن' أو 'مذاقه ليس مضبوط، كان مذاقه مذاق النعناع-مخلوط نعنان جميل وليس يمثل هذه البشاعة والطعم الغريب'. بهذا الوصف يبدو أن ماء الكلوروفورم أضيفت للدواء بدلًا من ماء النعناع.

غالبية المرضى في قسم العيادات الخارجية في مستشفى الجامعة التي كنت أعمل بها عام ١٩٤٨ كانوا دقيقين في مسألة لون وطعم أدويتهم. أتذكر امرأة اسكتلندية مالت إلى شباك معمل الصيدلية ثم وضعت نصف كراون في راحة يدي، متممة: 'أيمكنك مضاعفة قوة تأثير الدواء يا عزيزتي؟ الكثير من النعناع ومضاعفة التأثير.' أعدت إليها نقودها قائلة في لهجة شديدة التزمّت أننا لا نقبل هذا النوع من الأشياء وأضفت إليها أن علينا الالتزام بما يطلبه الطبيب". وعلى الرغم من ذلك وضعت لها قطرات إضافية من النعناع حيث أنه لا ضرر منه على الإطلاق، وقد استمتعت بذلك الفعل كثيرًا.

من الطبيعي إذا كان المرء حديثًا في هذه المهنة يتولد لديه رهبة من الوقوع في الخطأ. إضافة السم إلى دواء دائمًا ما يفحص من قبل آخرين، بيد أنه تظل هناك لحظات مرعبة. أتذكر واحدة من هذه اللحظات التي حدثت معي. كنت احضر مراهم بعد الظهيرة، ووضعت في أحدهم القليل من الكربوليك النقي في غطاء الوعاء المحتوى للمرههم، ثم أضفت منها على المرهم بحرص مستخدمة قطارة وكنت امزج الخليط على لوح. وبمجرد وضعه في مرطمان ووضع لاصق التعليمات عليه، تركته على اللوح وذهبت لمباشرة أعمالي الأخرى. كانت الثالثة صباحًا على ما اعتقد، عندما استيقظت من سريري قائلة لنفسني 'ماذا فعلت بغطاء مرطمان المرهم: الغطاء الذي وضعت عليه الكربوليك؟' كلما فكرت أكثر، كلما انخفضت قدرتي على تذكر أنني غسلت الغطاء. من المحتمل أنني استخدمت المتبقي في مرهم آخر كنت أصنعه ولم ألاحظ أن بالغطاء أي شيء؟ ومرة أخرى، كلما حاولت التذكر أكثر كلما كنت واثقة أن هذا ما فعلته. لقد وضعت المرهم على الرف مع المراهم الأخرى ليجمعهم صبي الجناح في الصباح في سلته مما يعنى أن أحد المرضى سيكون مرهمه على سطحه طبقة من الكربوليك المركز. لا احتمال قلق تعرضه للمرض أكثر من ذلك. قمت من سريري وارتديت ملابسني وذهبت إلى المستشفى، دخلت إليها ولحسن الحظ لم أكن مضطرة لدخول الجناح حيث أن سلالم المبنى المؤدية إلى المعمل

كانت في الخارج. صعدت وتحرّيت المراهم التي أعددتها، فتحت الأغطية واشتممت بحذر. وجدت في أحد الأغطية رائحة خفيفة للكربوليك لا ينبغي أن تكون موجودة. أزلت الطبقة العليا للمرهم وتأكدت أن الباقي في حالته الطبيعية. تسلفت خارجة ومشيت عائدة إلى البيت وإلى سريري.

في العموم، ليس في العادة أن يكون المبتدئون هم صانعي الأخطاء في المعامل الكيميائية. يصاب المبتدئون بالعصبية ودائمًا ما يسألون عن النصيحة. تنشأ أسوأ حالات التسمم من أخطاء الكيميائيين الموثوق بهم والذين يعملون لسنوات في المجال. فهم يعتادون ما يقومون به لدرجة تمكنهم من ممارسة عملهم دون الحاجة للتفكير به كسابق عهدهم بالعمل. وفي حال انشغال بالهم ربما بمشكلاتهم الخاصة-تكون الزلة. حدث هذا مع حالة حفيدة صديقي. كانت الطفلة مريضة فجاء الطبيب وكتب الوصفة العلاجية التي سلمت إلى الكيميائي لتحضيرها. وبالطبع كانت الوصفة مشروحة. في ظهيرة ذلك اليوم لم ترتاح الجدة لمظهر الطفلة فقالت للمربية، 'أتساءل إذا كان هناك شيئًا بخصوص هذا الدواء؟' واستمر قلقها بعد الجرعة الثانية وقالت 'اعتقد أن الأمر لا يجرى على ما يرام'. أرسلت للطبيب الذي فحص الطفلة وراجع الدواء-ثم أخذ فعل فوري. وصفت للطفلة مسكن ولكن حضر بشكل سيء. خطأ الكيميائي ووضع جرعة عالية من المسكن. هذا الرجل المسكين كان يعمل من أربعين عامًا في هذه الشركة وكان واحدًا من العاملين الأكثر حرصًا. هذا الحدث يوضح ما قد يحدث لأي فرد.

واجهت مشكلة خلال فترة تدريبي الصيدلي أيام الأحد ظهرًا. اعتمد دخول الاختبار على التعامل مع المعايير من خلال نظامين: النظام الاعتيادي، ونظام المصفوفات. تلقيت التدريب على عمل المستحضرات بتركيبية المصفوفات. فلا يفضل الأطباء ولا حتى الكيميائيين استخدام نظام المصفوفات في العمليات. أحد الأطباء في مستشفانا لم يتعلم يومًا ما معنى 'احتوى ٠.١' وكان يقول 'لنرى هل هذا

المحلل واحد في المائة أو واحد في الألف؟' المشكلة الأكبر لنظام المصفوفات هو أنك إذا أخطأت مرة كأنك أخطأت عشر مرات.

في يوم تدريب معين، طلب مني إعداد تحميلات، وهي أشياء لم تكن تستخدم بكثرة في المستشفيات ولكن علي معرفة كيفية عملها تحضيرًا للامتحان. كانت هذه الوصفات من الأشياء الخادعة لأن قواعدها من زبدة الكاكاو. إذا زادت درجة حرارتها فلن تتصلب بشكل مناسب، وإذا لم تسخن بشكل كافٍ فتأخذ شكل غير صحيح. في هذه الحالة أعطاني الكيميائي السيد "ع" توضيح شخصي وأراني الإجراءات المضبوطة لزبدة الكاكاو، ثم أعطاني عقار محسوب كميته بطريقة المصفوفات. أراني السيد "ع" كيف أخرج التحميلات في اللحظة المناسبة ووجهني لكيفية وضعها في صناديق صغيرة وتصنيفها بشكل محترف. ثم ذهب ليكمل واجباته الأخرى، ولكنني كنت قلقة لأنني اقتنعت أن ما دخل في هذه التحميلات كان ١٠% وهي تصنع جرعة واحد في العشرة لكل واحدة وليس واحد في المائة. راجعت حساباته ووجدتها خطأ. باستخدام نظام المصفوفات يكون وضع العلامة العشرية في المكان الخطأ. لكن ما على الطالب الصغير فعله؟ كنت وقتها مجرد مبتدئة وهو أفضل كيميائي معروف في المدينة. لم أكن أستطيع أن أقول له: 'سيد "ع" ما فعلته كان خطأ'. كان الكيميائي السيد "ع" من نمط الأشخاص التي لا تخطيء خصوصًا أمام طالب. في هذه اللحظة مر علي مرة أخرى وقال 'يمكنك وضع هذه التحميلات في المخزن، فنحن نحتاج إليهم من آن لآخر'. يزداد الأمر تعقيدًا. لا يمكنني وضع تلك التحميلات في المخزن. فهو عقار خطير الاستخدام. لا يمكنك السكوت أكثر من ذلك على عقار خطير يتناول من خلال المستقيم، ولكن النتيجة واحدة لا أحب هذا الأمر وما عساي أن أفعل حياله؟ حتى إذا ألمحت إلى أن الجرعة غير سليمة هل سيصدقني؟ كنت على ثقة من الإجابة على هذا: سيقول 'بالتأكيد الجرعة سليمة. أنتعقدين أنني لا أعرف ما أفعل في أمور من هذا النوع؟'

هناك حل واحد. قبل أن تتصلب التهميات، أتعثر وافقد اتزاني واقلب المنضدة الحاملة للتهميات، ثم أقضى عليهم تمامًا.

قلت: 'سيد'ع" أسفة كل الأسف، اصطدمت بالتهميات ووقعت عليهم'.
رد بحنق 'عزيزتي، يبدو أن واحدًا منهم سليم'. التقطت واحدة قد أفلتت عند وقوعي.

قلت بإصرار 'إنها متسخة' وبدون ضجة ألقيت بهم جميعًا في سلة المهملات وكررت أسفى.

قال وهو يربت على كتفي 'لا عليك يا صغيرتي، لا تشغلي بالك بالأمر كثيرًا'. كان معتادًا على هذا النوع من الأفعال-التربيت على الكتف، والوغز بالمرفق وأحيانًا محاولة ضعيفة للضرب على الخد. كان علي التماشي مع الأمر لأنني أتعلم ولكنى أكون متحفظة قدر الإمكان وانجح في إشراك المعلمي الآخر في الحديث وبذلك لا أتيح له الفرصة للانفراد بى.

كان السيد"ع" رجلًا غريبًا. ففي ذات يوم اعتقد أنه كان يحاول إثارة إعجابي فأظهر لمبة ذات لون داكن من جيبه وأراني إياها قائلاً 'أتعرفين ما هذا؟'
فقلت 'لا'

فقال 'هذا كورار ٨، أتعلمين شيئًا عنه؟'

فقلت أنني قرأت عنه من قبل.

فعلق قائلاً 'شيء ممتع، ممتع للغاية. يتم تناوله من خلال الفم ولن يسبب لك أي ألم على الإطلاق. يدخل في الدورة الدموية فيسبب لك الشلل ثم يقتلك. هذا ما يستخدم في الأسهم المسممة. هل تعلمين لماذا أحمله في جيبي؟'

قلت "لا" كل ما أعرفه هي معلومات بسيطة'. كان أمر حمله لهذه المادة في جيبه في منتهى الحماسة ولكنى لم أضف ذلك.

قال بنظرة متأملة 'أنت تعرفين السبب، حمله يجعلني أشعر بالقوة'.

وقتها نظرت إليه. بدا لي رجل تافه ذو مظهر مضحك، ملتوي، مظهره يشبه مظهر طائر روبن بوجه وردى لطيف. كنت أشعر أن به جوعاً من الرضا الطفولي. بعد انتهائي من دورة التوجيهية، كنت أتعجب من السيد "ع". صدمت فيه، على الرغم من مظهره البريء إلا إنه رجل خطر. ظل في ذاكرتي لفترة طويلة حتى جاءني فكرة تأليف كتاب الحصان الأشهب- وكان هذا الأمر في عمر الخمسين.

أول مرة أفكر جديدًا في كتابة قصة بوليسية كانت أثناء عملي في المعمل. ظلت الفكرة في ذهني منذ تحدى ماج الأول-وعملي الحالي أتاح لي الفرصة لذلك. فعلى عكس التمرريض الذي دائمًا ما تجد مهام لتقوم بها، فإن العمل بالمعمل به لحظات مشغولة ولحظات خالية من العمل. أحيانًا أكون بمفردي في الخدمة بعض الظهيرة بدون عمل، كل ما يلزم فقط التواجد في المكان. عليك التأكد أن زجاجات المخزن ممتلئة وللمرء أن يفعل أي شيء يرغبه عدا ترك المعمل.

بدأت التفكير في أي من أنواع القصص البوليسية الذي بمقدرتي كتابته. وحيث أنني محاطة بالسموم، فربما كان من الطبيعي أن يكون الموت بالسم هو الطريقة التي علي اختيارها. استقرت على حقيقة أن لدي خيارات عدة. تأرجحت الفكرة في ذهني وأعجبتني فقبلت بها في النهاية. ثم بدأت أفكر في شخصيات القصة. من المفترض به أن يسمم؟ ومن يسممه أو يسممها؟ ومتى؟ وأين؟ وكيف؟ ولماذا؟ وباقي الأشياء المتعلقة بالأمر. يجب أن تكون جريمة مدبرة يلجأ فيها الفاعل إلى طريقة معينة، ويجب أن تكون في العائلة لفتح مجال للحوار. ومن الطبيعي أن الجو العام يكون بوليسي. في هذه الفترة كنت متأثرة كثيرًا بنمط شارلوك هولمز، لذلك فكرت في وجود محقق، بالطبع علي أن لا أقلد شارلوك هولمز: علي ابتكار لوني الخاص. ثم عدت لأفكر في باقي الشخصيات. من الضحية؟ زوج يقتل زوجته- وهو من أكثر أنواع الجرائم انتشارًا. بالطبع أستطيع ابتكار أشكال غير اعتيادية من الجرائم وكذلك دوافع مختلفة، بيد أن هذه الأنماط غير الاعتيادية لم تجذبني من الناحية الفنية. تعتمد فكرة القصة البوليسية الجيدة على احتواءها شخصًا واضحًا ولكن في الوقت نفسه، ولبعض الأسباب، لن تفكر في فعله للجريمة. وبالطبع سيكون هو الفاعل. كنت احتار عند هذه النقطة، فأترك الكتابة واذهب

لصنع زجاجات إضافية من مرطب حمض الهيبيوكلوريت ليتسنى لي التفرغ التام من العمل في اليوم التالي.

اعتدت اللعب بفكرتي لبعض الوقت. حتى تبدأ بعض أجزائها في النمو. الآن رأيت مرتكب الجريمة. يجب أن يكون له مظهر شرير، لديه لحية سوداء- في ذلك الوقت كانت بالنسبة لي تظفي على من يملكها مظهر شرير. جاء حديثاً بعض المعارف ليسكنوا بجوارنا-كان للزوج لحية سوداء وكانت زوجته تكبره في العمر وتفوقه في الثراء. نعم، اعتقدت أن هذا المشهد يصنع قاعدة القصة وظللت كذلك لفترة. كان هذا المشهد سيوفي بالغرض ولكنه لم يكن مرضياً. كنت على ثقة أن الرجل المقصود لا يمكنه قتل أي شخص. ذهبت بفكري بعيداً عنهم وقررت مرة واحدة أن ربط القصة بأشخاص حقيقية ليست بالفكرة الجيدة-على المرء خلق شخصياته الخاصة. قد تكون نقطة البداية في شخص تراه في الترام أو في القطار أو في مطعم، لأنك تستطيع تأليف شيء يخصك عنهم.

في اليوم التالي عندما جلست في الترام كنت على ثقة أنني رأيت ما أبحث عنه: رجل بلحية سوداء يجلس بجوار سيدة تكبره وكانت تتحدث معه كالثرثرة. لم اعتقد أن شخصيتها ستنفعي أما هو فكان مناسباً تماماً. جلست وراءهم بمسافة قصيرة، لأجد سيدة كبيرة الحجم وودودة وتتحدث بصوت عالي عن الزهور. أعجبنى مظهرها. هل بإمكانني الاندماج معها؟ أخذت الثلاثة معي خارج الترام لأعمل على الشخصيات-وعبرت شارع بارتون أكلّم نفسي كما كنت أفعل أيام لعبي مع عرائس الكيتي.

بعد وقت قليل كونت صورة استكشافية لبعض الأشخاص. كان هناك شخصية لسيدة ودودة- وكنت حددت اسمها: إفيلين. قد لا يكون لديها علاقات كافية مع من حولها أو قد تكون عاملة في بستان أو تكون رفيقة لبعض الناس-كأن تكون مدبرة لشئون المنزل؟ على أي حال، قررت أن أضمرها إلى شخصيات القصة. وبعد ذلك، كان الرجل ذو اللحية السوداء الذي لازلت اعتقد أنني لا أعرف عنه

الكثير، ماعدا ما يخص لحيته-التي لم تكن عنصر كاف في الحقيقة- أو أن هذا كاف عنه؟ نعم، لعله كذلك، لأنك ستري هذا الرجل من الخارج-وبالتالي لن تستطيع أن ترى إلا ما يودك أن تراه- وليس ما هو عليه في الحقيقة: وقد يكون هذا مفتاحًا لحل اللغز في ذاته. ستقتل السيدة الكبيرة ليس لشخصيتها بل لمالها، مما يعنى أنها ليست مهمة. والآن بدأت في إضافة شخصيات أخرى بسرعة. ابن؟ ابنة؟ محتمل ابن أخ أو أخت؟ عليك أن تمتلك الكثير من المشتبه بهم وتظهر أفراد العائلة شيئًا فشيئًا.

تركزت الشخصيات للنمو وركزت انتباهي على المحقق. من علي اتخاذه كمحقق؟ استعرضت المحققين في ذهني كما أراهم وأعجب بهم في الكتب. كان المحقق الوحيد والمطلوب هو شارلوك هولمز-كنت على ثقة أنني لن أستطيع محاكاته. جاء في ذهني ارسين لوبان-أكان محققًا أم مجرم؟ على أية حال فهو ليس النوع المفضل لدي. فكرت في الصحفي الصغير، روليتابيل، في رواية لغز الحجرة الصفراء-هذا هو نمط الشخص الذي أود ابتكاره في قصصي: شخصية لم تستخدم من قبل. من علي أن اختار؟ طالب مدرسة؟ عالم؟ ما الذي أعرفه عن العلماء؟ حينها تذكرت اللاجئين البلجيكيين. كان لدينا بالفعل عدد من اللاجئين البلجيكيين المقيمين في أبرشية تور. كان الجميع مفعم بالدفع العاطفي عند وصولهم. خزن الناس قطع الأثاث ليوفروا لهم ما يعيشون به، وفعلوا ما بوسعهم ليساعدوهم على الراحة. وظهر رد الفعل الطبيعي بعد فترة، عندما بدا اللاجئين غير ممتنين لما قدم من أجلهم، وبدءوا الشكوى من هذا وذاك. في حقيقة الأمر أن تقديم الأشياء القديمة كانت مربةكة لهم ولم تكن مقدرة بشكل كافي في البلاد الغريبة. كان الكثير منهم فلاحين متشككين، وآخر شيء قد يتصورونه هو أن يدعوهم الناس لتناول الشاي أو أن يزورهم، كل ما يريدونه هو أن يتركهم الناس وشأنهم وأن يستطيعوا حماية أنفسهم، يريدون ادخار المال حتى يستطيعون حرث أرضهم وتسميدها بأنفسهم وبطريقتهم الخاصة.

فكرت لماذا لا أجعل المحقق بلجيكي؟ كان أمامي كل أنواع اللاجئين. ماذا سيكون الحال مع لاجئ يعمل كضابط؟ ضابط شرطة متقاعد. ضابط ليس بشاب. ما الخطأ الذي قمت به هناك. النتيجة أن المحقق الخيالي الذي ابتكرته سيتجاوز عمره المائة حتى الآن.

وعلى أي حال، استقرت على محقق بلجيكي. سمحت لدوره أن ينمو تدريجيًا. وبما أنه مفتش، فيجب أن يكون على دراية أكيدة بالجريمة. عليه أن يكون دقيقًا ومرتب جدًا فكرت وقتها في نفسي لأنني دائمًا ارتب حجرتي وأخلصها من الأشياء الغريبة التي لا قيمة لها. رجل قصير القامة ومرتب. استطيع تخيله كرجل قصير القامة ومرتب، دائمًا ما يرتب أغراضه ويحب الأشياء المزدوجة كما يحب الأشياء المربعة وليست الدائرية. يجب أن يكون متوقد الذهن-لديه القليل من الخلايا الرمادية في عقله-جملة جيدة علي تذكرها-نعم سيكون لديه القليل من الخلايا الرمادية. ٩ من الأفضل أن يكون لديه أسم مهيّب-واحدًا من الأسماء التي كانت لشارلوك هولمز وعائلته. من كان أخيه؟ مايكروفت هولمز.

ماذا عن تسمية رجلي الصغير هاركول؟ سيكون رجل صغير ويدعى هاركليز: أسم جيد. كان أسمية الأخير أصعب في الاختيار. لا أعرف لماذا استقرت على أسم بوارو، إما أنه خطر بذهني أو رأيتة بجريدة أو مكتوبًا على شيء ما-على أي حال وجدت أسم، ولكنه لا يتماشى كثيرًا مع هاركول، هاركول-هاركول بوارو أفضل. كان هذا ممتازًا- استقرت الآن، الشكر للرب.

علي الآن أن أتى بأسماء الشخصيات الأخرى-ولكن هذا الأمر أقل أهمية. ألفريد أنجلوثرورب- قد يليق هذا الاسم مع صاحب اللحية السوداء. أضفت شخصيات أخرى. زوج وزوجة-يجذبك اختلافهم لتشعب الأحداث-أو المفاتيح المضللة. وكل الكتاب الصغار، كنت أحاول وضع أكثر من حبكة في قصة واحدة.

كان لدي الكثير من المفاتيح المضللة- الكثير من العقد التي قد لا تصعب الوصول للحل فقط، ولكن تصعب حتى قراءة القصة.

في أوقات الفراغ، تأتي بعض الأفكار عن قصص بوليسية بذهني. استقرت على البداية ورتبت النهاية، ولكن بينهما الكثير من الفجوات الصعبة. كان لدى هاروكول بوارو المشترك في الأحداث بطريقة طبيعية ومعقولة. ولكن لدي أسباب عديدة، أسباب في اختلاف إشراك الشخصيات الأخرى. لا يزال الأمر متشابك.

هذا الأمر جعلني شاردة الذهن في البيت. كانت أمي دائمة السؤال عن سبب عدم إجاباتي على الأسئلة بشكل مناسب. وأفسدت شغل جراني على التريكو أكثر من مرة، كنت أنسى القيام بالكثير من الأشياء التي يفترض مني فعلها، وكنت أرسل الكثير من الخطابات على عناوين خاطئة. وعلى الرغم من ذلك كانت اللحظة المناسبة تأتي عندما أشعر أنني قادرة على الكتابة. لقد أخبرت أمي عن ما أنوى فعله. كان عند أمي إيمان بأن بناتها قادرين على فعل أي شيء.

‘آه، قصة بوليسية؟ سيكون هذا بمثابة تغيير رائع لك، أليس كذلك؟ يستحسن أن تبدئي.’

لم يكن من السهل توفير الوقت ولكني استطعت تديير الأمر. لازال لدي آلة الطباعة القديمة- التي كانت لماج-وكتبت عليها بعد انتهائي من كتابة المسودة الأولى بخط اليد. كنت أكتب كل فصل بعد انتهائه. كان خطي باليد مقبول في تلك الأيام، وقابل للقراءة. كنت متحمسة بمجهودي الجديد ومستمتعة به. ولكنني تعبت من الكتابة وبدأت أغضب. كذلك وصلت لمنتصف القصة وتمكنت من تعقيدات القصة بدلاً من تحكيمي أنا فيها. ووقتها جاءني أمي باقتراح جيد.

سألني ‘وصلتي إلى أي مدى؟’

‘اعتقد أنني في المنتصف’

‘حسنًا، اعتقد أنك إذا أردت الانتهاء من القصة، فعليك عمل ذلك وقت أجازتك.’

‘حسنًا، كنت أنوى عمل ذلك’

‘عظيم، اعتقد أن الأفضل الابتعاد عن البيت في الإجازة حتى يتسنى لك الكتابة دون إزعاج’

فكرت في ذلك. أسبوعين دون مقاطعة. سيكون هذا رائعًا.

سألتي أمي ‘أين تودين الذهاب؟’ فقلت لها ‘دارتمور’

‘دارتمور-هي بالضبط المكان المناسب.’

وبهذا ذهبت إلى دارتمور. حجزت لنفسي غرفة في فندق المورلاند في هاى تور. كان فندق كبير به العديد من الغرف، ويجلس به القليل. لا اعتقد أنني تحدثت مع أحدًا منهم-فهذا كان سيشتت انتباهي عما كنت أود فعله. اعتدت الكتابة في الصباح حتى تؤلني يدي. ثم أتناول الغذاء وبعدها أقرأ كتاب. أذهب بعدها لأتمشى على المستنقع لساعتين، ربما اعتقد أنني أحببت المستنقع تلك الأيام. أحببت أكوام الأحجار ونباتات الخنج وكل جزء برى بعيد عن الطريق. كل الناس كانت تذهب هناك-وبالطبع لم يكن الكثير يذهب وقت الحرب-وتتجمع الناس حول هاى تور نفسها، ولكنى تركت هاى تور وذهبت إلى تقاطع البلدة. وبينما أنا ذاهبة كنت أتمتم مع نفسي مكررة الفصل الذي انتوى البدء به. أتكلم كأني جون يتحدث مع مارى، ومارى تتحدث مع جون، أو أن إفيلين تتحدث لمديرها وهكذا. بدأت أتحمس بعمل هذا. كنت أذهب إلى البيت وأتناول الغذاء ثم أغرق في السرير وأنام اثنتا عشرة ساعة تقريبًا. وبعدها استيقظ أواصل الكتاب طوال النهار بشغف.

خلال أسبوعين الأجازة انتهيت من النصف الأول من القصة أو ما يقارب ذلك. بالطبع لم تكن تلك هي النهاية. كان علي إعادة كتابة جزء كبير منها-أكثر

الحبكات تعقيداً. ولكنى انتهيت في آخر المطاف وكنت راضية. كان محتوى القصة صعباً كما وددت أن يكون. كان من الممكن أن يكون الأداء بشكل أفضل، ولكنى لم أعرف كيف أستطيع تحسينه لذلك تركته كما هو. أعدت كتابة بعض الفصول المتكلفة بين مارى وزوجها جون الذين كانوا على غير وفاق لأسباب حمقاء، ولكن من سيلعب دور المصلح ليجمعهم من جديد في النهاية لصنع نوع من الحب المثير. عن نفسي أرى أن الحب يثير دائماً الألغاز في القصص البوليسية. أشعر أن الحب ينتمي دائماً إلى القصص الرومانسية. إقحام فكرة الحب فيما ينبغي أن يكون عملية علمية تأتي بعكس المتوقع. وعلى هذا، ففي ذلك الوقت كانت القصص البوليسية لا تخلو من قصة حب-لذلك كانت موجودة في قصتي. لقد بذلت قصارى جهدي مع جون ومارى لكنهم كانوا كائنات ضعيفة. ولذلك أوكلت كتابة القصة لأحد الأشخاص وقررت أنني لا أستطيع إضافة أي شيء آخر. ثم أرسلت القصة إلى دار نشر تدعى-هودر آند ستوتن- التي أعادتها لي. كان الرفض واضح دون تزيين. لم أكن مندهشة- فلم أكن أتوقع النجاح-لكني حزمته وأرسلتها لناشر آخر.

٤

جاء آرثشي إلى البيت وكانت الأجازة الثانية له. لم أره من سنتين، ولكننا استمتعنا بهذه الأجازة سوياً. كان لدينا أسبوعاً كاملاً، ذهبنا فيه إلى نيوفورست. كان وقتها فصل الخريف حيث أوراق الأشجار الملونة الجميلة. كان آرثشي أكثر هدوءاً هذه المرة، وكلانا كان أقل خوفاً على المستقبل. تمشينا سوياً عبر الأشجار ومعنا رفقة لم نعتاد وجودها قبل ذلك. أفشى آرثشي سره لي، هناك مكان دائماً ما كان يريد الذهاب إليه-أتباع دلالات الطريق التي تقول 'إلى أرض الرجل الممنوعة'. لذلك مشينا في طريقنا إلى المكان، وعلى طول الطريق وجدنا بستان به الكثير من التفاح. كانت هناك سيدة سألناها إذا ما كان بإمكاننا شراء بعض التفاح منها.

قالت 'لستم بحاجة لشرائه يا أعزائي'. أرى أن زوجك في القوات الجوية-ابني كان معه وقتل. "اذهبا وساعدا أنفسكما. كلوا ما تشاءون من التفاح وخذا معكم ما يكفيكم'. سعدنا بأكل التفاح ثم عدنا خلال الغابة من جديد وجلسنا عند شجرة مكسورة. كان الجو ممطراً ممطراً خفيفاً- ولكن ذلك لم يعكر صفونا. لم أتحدث معه عن عملي أو عن المستشفى ولم يتحدث آرثشي في المقابل كثيراً عن فرنسا ولكنه ألح إلى أننا سنجتمع قريباً من جديد.

أخبرته عن كتابي وقرأه. استمتع بقراءته وقال أنه يراه جيداً. كان لديه صديق من القوات الجوية، وهو مدير لدار نشر تدعى ميزونز ١٠، فاقترح علي أن يبعث لي برسالة من صديقه حتى يتسنى لي إرسال القصة إلى ميزونز، في حال رفضها مرة أخرى.

لذلك كانت المحطة التالية هي الترويج ل **القضية الغامضة في ستايلز**. لا شك أن رد مدير ميزونز كان أكثر لطفاً. احتفظوا في الدار بالقصة لفترة أطول-ما يقارب

سته أشهر-وعلى الرغم من قولهم أن القصة مشوقة وبها العديد من النقاط الجيدة، ختموا تعليقهم أنها لا تناسب خط إنتاجهم. اعتقدت أنهم رأوها بشعة.

نسيت أين أرسلتها بعد ذلك ولكنها عادت مرة أخرى، وبالأحرى فقدت الأمل بشأنها. وكان في ذاك الوقت أن مكتب بودلى لصاحبه جون لان، نشر قصة أو قصتين من القصص البوليسية مؤخرًا كخاتمة لأعمالهم-لذلك اعتقدت أن علي المحاولة. أرسلتها إليهم ثم نسيت أمرها.

الحدث التالي كان غير متوقع ومفاجئ. وصل أرتشي إلى البيت وقدم لوظيفة في وزارة الطيران في لندن. انتهت الحرب بعد ما يقارب من أربع سنوات. لقد اعتدت العمل في المستشفى والعيش مع أهلي، لذلك كان التفكير في نمط حياة مختلف بمثابة الصدمة بالنسبة لي.

ذهبت إلى لندن. كان لدينا غرفة محجوزة في فندق، وبدأنا نبحث عن شقة مفروشة. نتيجة لجهلنا بدأنا بالأفكار الكبيرة-ولكننا ثبتنا عند شقة أو اثنتين. كنا في وقت حرب حينذاك.

وجدنا احتمالين للنهاية. واحدة في غرب هامبستيد الذي تمتلكها الآنسة **تونكس**: أسمها عالق في ذهني. كانت تشك فينا بشكل مبالغ فيه، تتساءل ما إذا كنا حريصين بشكل كافي- فالشباب عادة لا يبالي- وهي دقيقة في استعمال أغراضها. كانت شقتها صغيرة ولطيفة-وأجرها ثلاثة جنيهات ونصف في الأسبوع. أما الشقة الأخرى التي وجدناها كانت في سانت جون وود-نورسويك تراس، خارج ميادا بال. كانت الشقة دورين، حجرتين في الأسفل وثلاث في الطابق الثاني، كان الأثاث باليًا ولكنه مبهيج، مفروش بقماش قطني باهت ويوجد خارج البيت حديقة. كان تراث البيت واحدًا من التراث القديم فحجراتها واسعة. وعلى كل هذا كان في مقابل اثنين ونصف من الجنيهات فقط مقابل ثلاثة جنيهات ونصف في الأسبوع للشقة الأخرى، فاستقرينا على الثانية. عدت إلى البيت لتجميع أغراضي. كانت جراني تنتحب

لفراقي، أما أمي فكانت على وشك ذلك ولكنها تمالكت نفسها وقالت 'ستصبحين مع زوجك الآن يا عزيزتي، لتبدئي حياتك الزوجية. أتمنى أن تسير الأمور على ما يرام'.

أما جراني فقالت 'إذا كانت السرائر من الخشب، احرصى أن تكون خالية من الحشرات'.

عدت إلى لندن مع آرثي، وانتقلنا إلى ٥ نورسويك تراس. كان المطبخ والحمام صغار للغاية، وقد خططت للقيام بأشياء كثيرة. وبدأنا مع خادم آرثي ومراسله، بارتلت، كان إلى حد ما كالخادم. كان خادم قبل انتدابه للجيش، والحرب هي ما جاءت به كخادم لأرثي ولكنه كان مخلصاً في عمله مع العميد التابع له وحكى لي قصصاً كثيرة عن شجاعة العميد وأهميته وذكاءه وإنجازاته. كانت خدمة بارتلت ممتازة بحق. كانت مشاكل الشقة كثيرة وأسوأها كانت السرائر التي كانت ممتلئة بالنتوءات الحديدية-لا أعرف كيف يكون أي سرير يمثل هذه الحالة السيئة. ولكننا كنا سعداء هناك، وخططت لأشغل وقتي بالالتحاق بدورة تدريبية في الكتابة المختزلة ومسك الدفاتر. وكذلك كانت هذه هي نهاية حياتي مع أشفيلد وبداية حياتي الجديدة-حياتي الزوجية.

كانت السيدة وودز من أمتع الأشياء في ٥ نورسويك تراس. اعتقد أن السيدة وودز كانت سبباً في تفضيلنا الإقامة في نورسويك تراس بدلاً من شقة وست هامبستيد. كانت سيدة سميحة ومرحة وتقيم في السرداب. كان لديها ابنه أنيقة تعمل في أحد المحال الجيدة، وزوج لا يظهر كثيراً. كانت هي المسئولة عن رعاية بيتها وربما عن باقي أفراد البيت بأكمله. كانت تقبل العمل من أجلنا وكانت شديدة القوة. تعلمت من السيدة وودز بعض تفاصيل المشتريات التي لم تكن من اهتماماتي. كانت تقول 'بائع السمك يجذبني. هذه السمكة ليست طازجة. أنت لا تفحصها بالطريقة التي أخبرتك إياها. عليك تفحص السمكة والنظر إلى عينيها وتحسسها'. كنت أنظر للسمكة في شك، شعرت أن تحسس عينيها كان نوعاً من تخطي الحدود في تفحص البضاعة.

أوقفها على نهايتها، اجعلها تقع على ذيلها لتري ما إذا كانت غير متماسكة أو صلبة. أما هذه البرتقالات، فأنا أعرف أنك تحبي البرتقال على الرغم من تكلفته، ولكن هذا النوع ينقع في ماء مغلي ليبدو طازج. لن تجدي به أي عسارة.

أكثر الأشياء إثارة في حياتي وفي حياة السيدة وودز كان نصيب أرثشي من الطعام. تظهر قطعة لحم بقرى ضخمة-أكبر قطعة رأيها منذ بداية الحرب. لم يكن لها ملامح محددة، لم تبدو من الجزء العلوي للبقرة أو من فخذها أو من خاصرتها، يبدو أنها قطعت حسب وزنها من أحد جزاري القوات الجوية. على أي حال، فقد كان شيئاً جميلاً قد لا نراه مرة أخرى لعقود. وُضعت على الطاولة بينما نندور أنا والسيدة وودز في إعجاب. لم يكن لها مكان في فرني الصغير. ووافقت السيدة وودز مشكورة على طهيها لي. قلت لها 'إن هذا بالكثير يمكنك تناولها معنا'.

'حسناً، إنه لطف منك. أنا واثقة أننا سنستمتع بأكل البيف. ماذا عن البقالة أتمانعين؟ إنه أمر سهل. لدى قريب يدعى بوب، يعمل في محل بقالة-يمكننا الحصول على أكثر ما نوده من سكر وزبد ومرجرين أيضاً. مثل هذه الأشياء تخدم العائلة كثيراً.' كان هذا واحداً من تقديماتي لقاعدة الوقت الثمين التي اتبعها طوال حياتي: ما يهم ما تعرفينه من محابة الأقارب في الشرق إلى المحابة المخفية قليلاً في الغرب و'مناداة الأولاد الصغار' للديمقراطيات الغربية، كل شيء يعتمد على المحابة. إنها ليست وصفة للنجاح، ألا تعتقدين ذلك؟ فرادي الفلاني حصل على عمل ذو مرتب جيد لأن عمه يعرف أي من مديري الشركة. لذلك استطاع فريدي أن يلتحق بالشركة. وإذا لم يكن فريدي كفء فذلك هو الطريق للاقتناع بإدعاءات تعيينه بالعلاقات، ويكون من السهل تسريح فريدي، ولعله يلجئ لقريب أو صديق آخر ولكن في النهاية سيجد مستواه الحقيقي.

فيما يخص اللحم ورفاهيات الحرب العامة، كان هناك بعض المميزات للأغنياء ولكن في المجمل العام كان هناك مميزات أكثر للطبقة العامة بالطبع، لأن

لكل شخص تقريبًا قريب أو صديق أو زوج ابنة أو شخص مفيد يعمل في محل لبيع منتجات الألبان أو في بقاله أو ما شابه ذلك. وهذا الأمر لا ينطبق على الجزائريين، هذا ما أراه. ولكن البقالين كانوا بالطبع رأسمال عظيم لأسرهم. لا أحد ممن قابلتهم في ذلك الوقت بدا أنه يلتزم بحصته. بالطبع يأخذ كل منهم حصته ولكنه لا يمانع في أخذ مال إضافي على الزبد والمربى وغيرهم، دون أي شعور بخيانة الأمانة. كان ذلك يعتبر فائدة إضافية للعائلة. كان من الطبيعي أن يعتني بوب بعائلته وعائلة عائلته في المقام الأول. لذلك كانت السيدة وودز تقدم لنا الطعام الزائد من هذا وذاك.

كان حدث تقديم أول قطعة لحم رائعًا. لم أكن وقتها بالخبرة التي تجعلني أعرف ما إذا كان مطهو جيدًا أم لا، ولكني كنت صغيرة وكانت أسناني قوية، وهذا هو أكثر الأشياء اللذيذة التي امتلكتها لوقت طويل. كان أرثشي مندهشًا لطمعي عند الأكل وقال 'لم تكن قطعة لحم ممتعة'.

فقلت 'ممتعة؟ إنها أكثر شيء ممتع رأيته منذ ثلاث سنوات'.

كانت السيدة وودز تتولى طهي الوجبات الرئيسية لنا. أما الوجبات الخفيفة وأطباق العشاء فكانت أنا المسئولة عن تحضيرها. كنت أحضر دروسًا عن الطهي كأغلب الفتيات، ولكنها لم تكن مفيدة لك عندما تعرفها، فالتدريب اليومي هو الأهم. أعددت فطائر المربى أو نوع من الأكلات الإنجليزية التقليدية أو غيرها من أنواع الأطباق المتعددة ولكن هذه الأشياء لم تكن ما نحتاجه بالفعل. كانت تقام مطابخ وطنية في كل منطقة في لندن، وكانت مفيدة لي، فأنا اطلب ما أريده لأحصل على أطباق سابقة الطهي. كانت هذه الأطباق تطهى بعناية-لم تكن مقادير مختارة بعناية ولكنها أطباق تسد العجز. أيضًا يمكنك أن تجد مناطق خاصة للشوربات التي نبدأ بها أكلاتنا. كان أرثشي يصفها بـ 'شوربة الرمل والحصى'، متذكرًا نكتة ستيفن ليكوك على القصة الروسية القصيرة-أخذ يوج الرمل والأحجار وخلطهم

ليصنع بهم كعكة'. والحقيقة أماكن عمل الشوربة في لندن كانت أشبه بذلك. في المناسبات أصنع شيء خاص من الأشياء التي أتميز بها مثل السوفيل. لم ألاحظ في البداية أن أرتشي يعاني من عسر هضم عصبي حاد. كان يقضى أمسيات كثيرة وعندما يعود إلى البيت لا يستطيع تناول أي شيء، الأمر الذي كان يحبطني عن إعداد سوفل بالجبن أو شيء على شاكلته أحبه شخصيًا.

لكل منا أفكاره الخاصة عن ما يريد تناوله وقت مرضه، ولكن أرتشي كان استثنائي. بعدما يتأوه بعض الوقت في سريره، يأتي فجأة ليقول: 'اعتقد أنني اشتى بعض طعام الاتريكل أو الربات الذهبي. أتستطيعين فعل شيء منهم لأجلى؟' فأطيعه قدر استطاعتي.

بدأت دروس في مسك الدفاتر والكتابة المختزلة لشغل وقتي. فالزوجات الجدد دائمًا ما يشعرون بالوحدة. ما يدهشني أن الزوجات الجدد لا يفترض أن يشعروا بالوحدة. فالأزواج في عملهم خارج البيت طوال اليوم، أما السيدات عند زواجهن ينتقلون إلى بيئة مختلفة تمامًا. على المتزوجة أن تبدأ حياتها من جديد لتكوين معارف جديدة وأصدقاء جدد، وإيجاد عمل جديد. قبل الحرب كان لدي أصدقاء في لندن ولكنهم تبعثروا الآن. كانت نان وات (الآن بولك) تعيش في لندن، ولكنى شعرت بالخجل في التقرب منها. قد يبدو هذا الأمر سخيًا، وهو كذلك، ولكن لا أحد ينكر أن اختلاف المستوى المادي قد يفرق البشر. لا تتعلق المسألة بالتقليد لمن هم أرقى منك أو أعلى منك في المكانة الاجتماعية، إنما الأمر يتعلق بقدرة المرء على مجارة ما يسعى إليه صديقه. إذا كان لديهم دخل أعلى مما لديك، ستبدو الأمور محرجة.

كنت وحيدة إلى حد ما. افتقدت المستشفى وأصدقائي هناك والأمور اليومية التي كنت أتولاها. وافتقدت محيط بيتي ولكنى أدركت أن هذا الأمر لا يمكن مقاومته. الصحبة ليست ما يحتاجه المرء يوميًا. ولكنه الشيء الذي ينمو كل يوم

من خلالها وقد يكون مدمرًا كما يفعل اللباب حين يحوطك. استمتعت بتعلم الكتابة المختزلة ومسك الدفاتر. كنت أشعر بالخزي عند رؤية سهولة تقدم البنات في الرابعة والخامسة عشر في الكتابة المختزلة، ولكنني كنت راضية عن أدائي في مسك الدفاتر، فقد كان شيئًا ممتعًا.

يومًا ما في مدرسة الأعمال التي كنت أخذ بها دروسي، أوقف المدرس الدرس وخرج من الفصل ثم عاد وقال 'انتهى كل شيء اليوم. لقد انتهت الحرب!'

بدا شيئًا لا يصدق. لم يكن هناك أي إشارة حقيقية لحدوث ذلك- لا شيء يجعلك تصدق أن شيئًا لن يحدث لمدة ستة أشهر أو سنة. لم يكن باديًا أن الوضع تغير في فرنسا. كسب أحدهم بعض الياردات من الأرض أو خسرها.

مشيت حينها في الشوارع مذهولة حتى وجدت واحدًا من أكثر الرؤى الغريبة التي رأيتها في حياتي- والتي لا أزال أتذكرها حتى الآن، كنت أفكر فيها مع شعوري بالخوف. كانت النساء ترقص في كل مكان في الشوارع. لم تعتد النساء الانجليزيات الرقص أمام العامة: هذا الأمر قد يكون مناسبًا لفرنسا وللفرنسيين. ولكن هذا ما حدث، كانوا يضحكون ويصرخون ويتجمعون ويثبون في نوع من العريضة المرحية: استمتاع قاسي. كان الأمر مخيفًا. شعر المرء حينها أنه إذا كان وسط هؤلاء النساء أي من الألمان لهجم عليهم ومزقوهم أربًا. بعضهم كان في حالة من السكر، ولكن جميعهم بدا كذلك، كانوا يرقصون ويتمابلون ويصرخون. وصلت إلى البيت لأجد أرتشي قد عاد بالفعل من وزارة الطيران.

قال بهدوئه المعتاد وأسلوبه الخالي من التعبيرات العاطفية 'حسنًا، هكذا هو الأمر.'

فسألته 'هل كنت تعتقد أن هذا الأمر سيحدث عن قريب؟'

فقال 'آه حسنًا، ظهرت شائعات عن هذا الأمر وأمرنا أن لا نتفوه بأي شيء. والآن، علينا تقرير ما سيحدث بعد ذلك.'

‘ماذا نقصد بـ ما سيحدث بعد ذلك؟’

‘اعتقد أن أفضل ما يمكن فعله هو ترك القوات الجوية.’

كنت مذهولة وقلت ‘هل أنت جاد في ترك القوات الجوية؟’

‘لا مستقبل في العمل بها. عليك أن تري ذلك. لا يمكن أن أجد بها أي مستقبل مهني، فلن أجد ترقية خلال سنوات.’

‘ماذا تنوى فعله؟’

‘أود الذهاب إلى المدينة، لطالما أردت ذلك. وهناك فرصة أو اثنين للذهاب هناك.’

كان لدى تقدير دائم لنظرة أرثشي المستقبلية. كان يتقبل كل شيء دون اندهاش، ثم يرتب أفكاره بهدوء، وهو أمر جيد للعمل على المشكلة التالية.

في ذلك الوقت كانت مجريات الحياة تمر كعادتها سواء هناك هدنة أم لا. كان أرثشي يذهب كل يوم إلى الوزارة الجوية. الرائع بارتلت للأسف سعى إلى تسريحه من الخدمة سريعاً. اعتقد أن الدوق والإيرل حاولوا استعادة خدماته. وبدلاً من ذلك، كان لدينا مخلوق مزعج يدعى فيرول. اعتقد أنه فعل ما بوسعه ولكنه لم يكن كفتناً وغير مدرب على نحو كافي وكانت كمية التراب والدهون واللطخ الموجودة على الفضة والأطباق والسكاكين والشوك أكثر من أي شيء رأيته قبل ذلك. كنت ممتنة الفعل عندما قدم أوراق تسريحه هو الآخر.

أخذ أرثشي أجازة ذهبنا فيها إلى توركاي. وأثناء تواجدنا هناك، عانيت مما اعتقدته أنه مرض شديد في المعدة وتوعك عام. ولكنه كان أمراً مختلفاً. كانت هذه أول علامة لكوني حامل.

كنت ارتجف، فكرتي عن وجود الأطفال هي أنهم أشياء تأتي بشكل آلي. بعد كل أجازة لأرثشي كنت أحبب كثيرًا لعدم شعوري بعلامات الحمل. هذه المرة لم

أكن حتى أتوقع الأمر. ذهبت لاستشارة طبيب-طبيبنا القديم ببول تقاعد، لذلك كان علي اختيار طبيب آخر. لم اعتقد أنني سأختار واحدًا من الأطباء الذين عملت معهم في المستشفى-أحسست أنني اعرف الكثير عنهم وعن أساليهم. فبدلاً من ذلك ذهبت إلى طبيب مرح يلقب ب ستاب.

كان لديه زوجة جميلة، كان أخي مونتي يعشقها بجنون منذ أن كان في التاسعة من عمره. قال وقتها 'سميتها رايت، لأنني اعتقد أنها أجمل فتاه رأيته يوماً.' كان أسمها جارتروود هانتلي، وبعد الزواج ستاب. كان لطف كبير منها أن تبدي نفسها متأثرة وتشكره على تكريمه لها.

قال لي الطبيب ستاب أنني أبدو في صحة جيدة، وقد يحدث شيء مقلق. لم تحدث مشاكل ولكن لا يسعني إلا أن أسعد بوجود عيادات المتابعة ما قبل الولادة التي علي الذهاب إليها كل شهر أو شهرين. شخصياً اعتقد أننا كنا أفضل بكثير بدونهم. كل ما اقترحه علي الطبيب ستاب هو أن علي مراجعته أو الذهاب إلى أي طبيب في لندن قبل شهرين تقريباً من ميلاد الطفل، لأطمئن أن كل شيء على ما يرام. قال لي أيضاً أن من المحتمل شعوري بالتعب في الصباح ولكن هذا الأمر سيختفي بعد الثلاثة أشهر الأولى. وآسفة لقول أن كلامه لم يكن صحيحاً. لم يختفي تعبى الصباحي أبداً. لم يكن اعتيلاً صباحياً فحسب بل كنت أشعر بالإعياء أربع أو خمس مرات يومياً مما جعل الحياة في لندن مريحة. عندما تنزل من الحافلة ولم يعدو دقائق على ركوبك إياها أو يصيبك الإعياء في جانب الطريق، إنه لأمر مخزي لامرأة شابة. ومع ذلك عليك تحمل الأمر. ولحسن الحظ أن أحداً لم يفكر في إعطائي مسكناً كالتاليدوميد. كانوا يتقبلون حقيقة أن الحمل يصعب على بعض السيدات بالمقارنة بمثيلتها. كانت السيدة وودز عالمة بكل شيء يتعلق بالولادة والموت. قالت لي 'أه حسناً، أنك سترزقين ببنت. فهذا الإعياء دلالة على البنات. فوجود الصبية يجعلك تشعرين بالدوار والضعف. من الأفضل أن تكوني معتلة.'

بالطبع لم أكن اعتقد الأفضل في كوني معتلة. اعتقد أن الإغماء قد يكون أكثر إمتاعاً. أرتشي- الذي كان يكره المرض ويفضل الابتعاد عن المرضى وكان يقول: 'اعتقد أنك ستكوني أفضل بدون إزعاجي لك'. بينما في هذه المناسبة يكون لطيفاً بشكل غير متوقع. كان يفكر في كل ما يبهجني. أتذكر أنه اشترى لي كركند، وكان في ذلك الوقت من الرفاهية المكلفة ووضعه على سرير لي فاجئني به. لازلت أتذكر دخولي ورؤية الكركند برأسه وشواربه مستلقي على فراشي. ضحكت وقتها كثيراً وتناولنا وجبة رائعة به. صحيح أنني أرجعته بعدها بقليل ولكن في كل الأحوال لقد حصلت على متعة أكله. كان نبيلاً حين أعد لي طعام بنجر ١١، الذي أوصت به السيدة وودز حيث احتمالية بقاءه في المعدة أعلى من غيره من الأطعمة. أتذكر وجه أرتشي الحزين عندما أعد لي بعض من طعام بنجر، ثم تركه ليبرد لأنني لا أستطيع تناوله ساخناً. تناولته وأخبرت أرتشي أنه طيب- ليس به تكتلات اليوم وقمت بصنعه بشكل جيد- ولكن بعد نصف ساعة تقريباً حدثت المأساة المعتادة.

قال أرتشي بآلم 'حسناً، أنظري، ما الشيء الجيد في عمل هذه الأشياء؟ اقصد أن عليك أن لا تتناولها هي الأخرى'.

بدا لي نتيجة لجهلي أن التقيؤ الكثير قد يضر بالطفل-لأنه سيجوع بهذه الطريقة. وعلى أي حال كان هذا الأمر بعيداً عن الحقيقة. على الرغم من استمرار الإعياء حتى يوم الولادة إلا أنني جننت بطفلة متوازنة الجسم تزن ثمان بوندات ونصف، أما أنا بالرغم من أنني لا أبدو أنني تناولت أي تغذية، فقد زدت في الوزن. الأمر برمته أشبه برحلة في محيط لمدة تسعة أشهر لم تتعود عليها مطلقاً. عندما ولدت روزلن، مال الطبيب والممرضة علي ثم قال الطبيب 'حسناً، أنجبت طفلة جيدة الصحة' وقالت الممرضة بعاطفية أكبر 'آه، يآلها من ابنه محبوبه وصغيرة' أجبت بقول إعلان مهم: 'لم أعد اشعر بالإعياء. ما أروع ذلك!'

تجادلنا أنا وأرتشي لشهور بسبب التسمية، وعن نوع الطفل الذي كان يريده كل واحد منا. كان أرتشي متأكدًا أنه سيرزق بطفلة.

قال 'لن أرزق بطفل لأنني أرى أنني سأغار منه. سأغار من أعارتك الاهتمام له'.

'ولكني سأعير الفتاه نفس القدر من الاهتمام'.

'لا، لن يكون الأمر واحدًا'.

تجادلنا على التسمية. أراد أرتشي أند وأردت أنا مارثا. غير رأيه إلى إلين وأنا جربت هاريت. ولم نتفق على روزلن إلا عند ولادتها.

أعلم أن كل الأمهات لا تود الابتعاد عن أطفالها، ولكن علي القول أنه بالرغم من أني اعتبر الأطفال حديثي الولادة بشعين، فقد كانت روزلن تبدو جميلة في الواقع. كان لديها الكثير من الشعر الأسود وكانت تشبه الهنود الحمر، لها نظرة مجردة وهي نظرة محبطة في الأطفال وكانت تبدو من نعومة أظافرها مرحة وذات عزم.

كان لدي ممرضة في غاية اللطف. ولدت روزلن في أشفيلد. بالطبع لم تكن الأمهات في تلك الأيام يذهبن إلى مستشفيات خاصة. عملية الولادة وأجر القابلة يتكلف خمسة عشر جنيه إسترليني والذي يبدو لي معقولاً وقتها. احتفظت بالممرضة حسب نصيحة أمي لأسبوعين إضافيين لكي استطيع معرفة كل التعليمات الخاصة برعاية روزلن، وكذلك ذهبت إلى لندن بحثًا عن مكان آخر للسكن.

كان الوقت يمر بغرابة في ليلة ميلاد روزلن. كانت أمي والممرضة بمبერთون أشبه بفتاتين لحقتا طقوس ميلاد المسيح: سعيدتان ومشغولتان ويسعيان لترتيب الأغراض. وكنا أنا وأرتشي نطوف حولهم خجولين بعض الشيء وبالأحرى متوترين كأننا طفلين غير واثقين من كونهم مرغبين في المكان. جميعنا خائفين ومتزعجين. ما أخبرني به أرتشي بعدها أنني إن كنت توفيت فهذا سيكون خطأه بالكامل. كنت

اعتقد أنني قد أموت وإذا حدث ذلك سأكون في شدة الأسف لأنني كنت مستمتعة بحياتي إلى أبعد حد. ولكن ما كان يخيف ويثير في ذات الوقت هو المجهول. دائماً أول مرة تسعى فيها لفعل ما يكون مجهولاً هي المرة الأكثر إثارة.

الآن علينا وضع خطط للمستقبل. تركت روزلن في أشفيلد مع الممرضة بمبريتون لترعاها وذهبت أنا إلى لندن لأسباب أولاً: لأجد مكان للإقامة، وثانياً لأجد ممرضة لروزلن، وثالثاً، لأبحث عن خادمة تعتني بأي شيء يخص البيت. إيجاد خادمة لم يكن مشكلة بالمرة. قبل شهر من ولادة روزلن كانت عزيزتي لوسي في ديفونشاير قد خرجت لتوها من قوات الاحتياط الجوية ولكن كعاداتها كانت مفعمة بالحيوية والقوة وقالت 'سمعت أخباراً عن أنك سترزقي بمولود وأنا جاهزة. في الوقت الذي تريدني فيه سأنتقل إليك'.

بعد مشاورة أمي، قررت أن راتب لوسي يجب أن لا يكون أقل من سابقه. عندما كانت عند أمي كانت تدفع لها مقابل الطبخ والخدمة العامة. وكان راتبها ستة وثلاثين جنيه إسترليني في السنة- وقتها كان مبلغاً ضخماً- ولكن لوسي كانت تستحقه وكنت ممتنة لوجودها معي.

كان من أصعب الأشياء في ذلك الوقت، ما يقارب سنة بعد الهدنة، هو إيجاد مكان للإقامة. كانت مئات الأزواج تجوب لندن بحثاً عن شقة تناسبهم بسعر معقول، ولم يخلو الأمر من السؤال عن التقسيط. كان الأمر برمته صعب. قررنا تأجير شقة مفروشة حتى نجد شيء يناسبنا. نجحت خطة أرتشي. فبمجرد ما حصل أرتشي على التسريح ذهب إلى شركة في المدينة. نسيت أسم مديره في ذلك الوقت، ولكنني سأسميه بالسيد "المصفر". كان أصفر اللون وضخماً. أول ما جاء على لسان أرتشي عندما سألته عنه كان: حسنًا، إنه أصفر اللون جداً وسمين'.

في ذلك الوقت، كانت شركات المدينة تعرض توظيف الضباط الصغار المسرحين من الجيش. كان راتب أرتشي ٥٠٠ جنيه إسترليني في العام. وكنت احصل

على ١٠٠ جنية إسترليني في العام حسب وصية جدي. كما كان أرتشي يحصل على مكافآت ومدخرات بقيمة ١٠٠ جنية إسترليني. لم يكن هذا بمبلغ كبير حتى في تلك الأيام، في الحقيقة لقد كان هذا المبلغ بعيد كثيرًا عن الثراء لأن الإيجارات كانت ترتفع وكذلك أسعار الأغذية. كانت البيضة بثمان بنسات، فكانت عن حق غالية لزوجين حديثين. لم نكن نتوقع أن نصبح أغنياء ولم نخاف من الفقر.

بالنظر إلى الماضي، كان غريبًا أن نصر على امتلاك خادمة ومربية ولكنهم كانوا من أساسيات الحياة في تلك الأيام، وكانوا آخر الأشياء التي قد نفكر في الاستغناء عنها. لم يخطر أبدًا ببالنا أن فكرنا في الرفاهية الزائدة كامتلاك سيارة مثلاً. الأثرياء فقط هم من يمتلكون سيارة. أحيانًا في أيام حملي الأخيرة عندما كنت انتظر في طوابير الحافلات، أميل على جانبي بسبب حركتي غير المتوازنة ولم يكن الرجال بالشهامة المطلوبة في ذلك الوقت-اعتدت حينها التفكير في السيارات 'يآله من أمر رائع أن امتلك سيارة يومًا ما'.

أتذكر أن صديق أرتشي قال بمرارة: 'لا يفترض أن يمتلك السيارة إلا من له عمل مهم'. لم اقتنع بهذا أبدًا. إنه أمر مثير على ما اعتقد أن ترى واحدًا يحالفه الحظ، واحدًا ثريًا، واحدة تمتلك مجوهرات. ألا يقوم الأطفال في الشوارع بمحاولة التجسس على الحفلات ليروا الأشخاص ذوي التيجان الماسية؟ يجب أن يفوز أحدهم بيانصيب سويب ستاك الايرلندي^{١٢}. وإذا قدرت قيمة جائزة اليانصيب بثلاثين جنيهًا فقط، لن يكون هناك إثارة. تحول يانصيب كالكوتا اليانصيب الايرلندي إلى رهانات للعبة كرة القدم، كل هذه الأشياء كانت رومانسية. الأمر ذاته هو سبب وجود ازدحام شديد على الأرصفة لمشاهدة فيلم النجوم عندما يصلوا ليشاهدوا العرض الأول. بالنسبة للمشاهدين فالنجوم في نظرهم أبطال يرتدون أحلى ثياب سهرة. من الذي يريد عالم كئيب لا يحوى أثرياء أو أشخاص مهمة أو

١٢ نوع من اليانصيب، يتم عمله في المستشفيات لتمويل المستشفيات

جميلة أو موهوبة؟ قد يقف المرء منا لساعات لينظر إلى الملوك والأميرات أما هذه الأيام فالمرء منا يجري وراء نجوم موسيقى البوب، وفي كلتا الحالتين يكون المبدأ واحد.

وكما ذكرت كنا نحضر لامتلاك خادمة ومربية كنوع من البذخ الضروري ولكننا لم نحلم يوماً بامتلاك سيارة. إذا ذهبنا إلى المسرح يكون اختيارنا هو الصف الأخير الأرخص. كان لدى فستان واحد للأمسيات، أسود حتى لا يظهر فيه آثار الوسخ. وعند ذهابنا للأمسيات العادية كنت دائماً ما ارتدى حذاء أسود لنفس الغرض. لم نكن نستخدم التاكسي في أي مكان. لست جاهزة الآن لقول ما إذا كانت طريقتنا أفضل أم أسوأ. كانت حياتنا أقل رفاهية وأبسط في الطعام والملبس وكل شيء. على الجانب الآخر كان لدى المرء وقت فراغ أكثر من الآن- كان هناك مساحة للتفكير والقراءة والتركيز على الهوايات والمتابعة. اعتقد أنني محظوظة لكوني كنت صغيرة في هذه الأيام. كانت الحياة تتمتع بقدر عالي من الحرية وقدر أقل من العجلة والقلق.

من حسن حظنا أننا وجدنا شقة سريعاً. كانت في الطابق الأرضي في منازل أدسون، التي تتكون من مبنيين كبار يقعوا خلف أولمبيا. كانت شقة كبيرة بها أربع غرف للنوم وغرفتين للمعيشة. كانت مفروشة ودفعنا فيها خمسة جنيهات إسترليني للأسبوع. كانت المرأة التي تركت لنا الشقة شقراء تبلغ الخامسة والأربعين ولديها صدر ضخم. كانت شديدة الود وأصرت على إخباري بمرض ابنتها الداخلي. امتلأت الشقة بأثاث غير ملائم وكان بها بعض أكثر اللوحات الوجدانية التي رأيتها في حياتي. فكرنا أنا وأرتشي أن أول شيء علينا فعله هو إنزال هذه اللوحات وتجميعها سوياً حتى نرجعها سليمة للمالك. كان بالشقة الكثير من الخزف والزجاج ومثيلها من الأشياء، بما في ذلك طقم الشاي الذي كان يرعيني لأنني كنت معتقدة أنه سهل الكسر لدرجة ثقتي في أنه سيكسر. ساعدني لوسي باقتراح تخزينه في دولاب بمجرد وصولنا.

بعد ذلك زرت مكتب السيدة بوتشر، وهو ملتقى معروف- واعتقد أنه لا يزال كذلك-لمن يرغب في مربيات. تمكنت السيدة بوتشر من إحباطي بسرعة. استاءت عند سؤالي عن المبلغ الذي أود دفعه وعن ظروف المعيشة والأشياء التي أوفرها للمربية، ثم أرسلتني إلى حجرة صغيرة يتم فيها مقابلة الموظفين. أول واحدة دخلت كانت امرأة متمكنة وضخمة. نظرتها المجردة لي أفرعتني ولكنها لم تفزع من نظرتي لها. 'حسنًا، سيدتي، كم عدد الأطفال المفترض رعايتهم؟' فأوضحت أنها طفلة واحدة.

'سيبدأ الأمر من الشهر الحالي، أمل في ذلك؟'

قلت أن الأمر سيبدأ من هذا الشهر.

'وما الأغراض التي توفرها لي، مدام؟'

قلت معذرة للسيدة بوتشر أنني لا أملك غير أغراض خادمة واحدة. فاستاءت مرة أخرى. 'أسفة، إن هذا الوضع لا يناسبني. كما ترين، فأنا معتادة على المربيات التي تقوم بالخدمة والرعاية ولديها كل الأدوات المطلوبة ومكان مناسب للمعيشة.' اعترفت أن وضعي لم يكن يناسب ما كانت تبحث عنه، وتخلصت منها بارتياح. تقابلت مع ثلاثة أخريات لم ألقى قبول أي منهم.

ومع ذلك، عدت في اليوم التالي لأجرى مقابلات أخرى. كنت محظوظة هذه المرة. التقيت بجيسي سوانيل، خمسة وثلاثون عامًا، حادة اللسان لكنها عطوفة، عاشت أغلب حياتها كمربية لعائلة في نيجيريا. حاولت أن أشرح لها ظروفي. خادمة واحدة ومربية واحدة، ليست مربية دائمة، ولكن عليها القيام بالأشياء الأساسية لوظيفتها، وأخيرًا تحدثنا عن الراتب.

قالت 'حسنًا. لا يبدو الأمر شديد السوء. لقد اعتدت العمل الشاق، وهذا لا يضايقني. أليست طفلة؟ أحب الفتيات الأطفال.'

وبذلك اتفقنا أنا وجيسي سوانيل. ظلت معي لعامين وأعجبتني كثيرًا على الرغم أن لها عيوبها. كانت بالفطرة واحدة من الذين لا يحبون أبناء الطفل الذي تعنى به. كانت روزلن بالنسبة لها هي حياتها، اعتقد أنها كانت على استعداد الموت من أجلها. وكانت تعتبرني متطفلة، على الرغم أنها اعتادت بالتدريج على فعل ما أريده، حتى ولو كانت لا توافق عليه في بعض الأحيان. وعلى الجانب الآخر، كانت رائعة عند حدوث الكوارث، عطوفة وعلى استعداد للمساعدة ومرحة. نعم، كنت احترم جيسي سوانيل، وأتمنى أن تكون تمتعت بحياتها معنا وفعلت ما ترغب في عمله.

بعد اختيار جيسي سوانيل، أصبح كل شيء جاهزًا. وصلنا أنا وجيسي وروزلن ولوسي إلى منازل أudson لتبدأ الحياة العائلية. لم تنتهي رحلتي في البحث، فقد كان علي البحث عن شقة غير مفروشة لتكون سكننا الدائم. بالطبع لم يكن هذا بالأمر الهين: كان أمرًا في غاية الصعوبة. بمجرد سماعي عن شيء أسعى وراءه، أبدأ المكالمات وكتابة الرسائل. أحيانًا أجد شقق بالية وآيلة للسقوط بالدرجة التي لا أستطيع تخيل العيش فيها. بحثنا في لندن بأكملها: **هامبستد وبيمليكو وكينسينغتون وسانت جونز وود**-بدا يومي كرحلة حافلة طويلة. ذهبنا إلى السماسرة، وبدأنا نشعر بالضيق. أجرنا الشقة التي نعيش فيها لشهرين فقط. عندما تعود السيدة ان وابنتها المتزوجة وأطفالها، من المحتمل أن لا ترغب في أن تتركنا أكثر من ذلك. علينا إيجاد حل.

ويبدو أننا كنا محظوظين في آخر الأمر. كنا آمنين، أو تقريبًا كذلك، فقد وجدنا شقة بجوار منزله **باترسي**. كان إيجارها مناسبًا، وكانت ملك الآنسة **لوولين**، ستتركها في غضون شهر، ولكنها ترغب في تركها قبل ذلك بقليل. كانت تنتقل إلى أكثر من شقة في أكثر من مكان في لندن. بدا أن كل شيء مستقر، ولكن كان علينا الأخذ في الاعتبار معاكسة الظروف لنا.

حلت علينا مصيبة شديدة. قبل أسبوعين فقط من ميعاد انتقالنا، أوضحت إلينا الآنسة لولوين أنها لن تستطيع الانتقال في شقتها الجديدة لأن ساكنيها لم يستطيعوا الانتقال! كانت تلك كارثة كبيرة لنا. كل يومين أو ثلاثة نتصل بالآنسة لولوين لسماع أي أخبار جديدة. ولكن الأخبار كانت تسوء. كان الخبر الدائم هو أن الساكنين لا يستطيعون الانتقال إلى شقتهم الجديدة. وبالتالي كان يساورها الشك في قدرتها على مغادرة شقتها. وفي النهاية بدا أننا لن نتمكن من حوزة الشقة قبل ثلاثة أو أربعة أشهر. وحتى هذا التاريخ لم يكن مؤكدًا. بدأنا من جديد البحث في الإعلانات والاتصال بالسماصرة. يمضى الوقت ولم نحصل على شيء، فأحبطنا من اليأس، اتصل بنا سمسار ولم يعرض علينا شقة بل بيت. بيت صغير في فيلات *سكارسديل*. لم يكن للإيجار بل للبيع. ذهبنا أنا وأرتشي لنراه. كان بيتًا صغيرًا ولكنه ساحرًا. وامتلاكه كان يقتضى بيع كل شيء لدينا حتى أصغر ممتلكاتنا-وهي مخاطرة كبيرة. وعلى الرغم من ذلك شعرنا أن علينا التضحية بشيء ما، وافقنا على الشراء ووقعنا العقود ثم ذهبنا إلى البيت لنقرر ما علينا بيعه.

بعد يومين وبينما نتناول الإفطار، كنت أنظر في الصحف لأقرأ العمود الأول لإعلانات الشقق، حيث أن تفحصها أصبح عادة لا استطيع التوقف عنها، ورأيت إعلانا يقول: 'شقة غير مفروشة للإيجار: في ٩٦ منازل أudson مقابل ٩٠ جنيه إسترليني سنويًا.' صرخت محطمة كوب القهوة، وقرأت على أرتشي الإعلان ثم قلت 'ليس هناك وقت لنضيعه!'

قمت مسرعة من على طاولة الطعام، وجريت عابرة الحشائش الموجودة بين البنايات وصعدت السلم الخاص بالبنية المقابلة كالمجنونة. كانت الساعة الثامنة والربع صباحًا. رننت جرس الشقة رقم ٩٦، فتحت الباب شابة تنظر في فزع مرتدية الروب.

'جئت بخصوص الشقة' محاولة التماسك قدر استطاعتي حيث أنني لم أستطع التقاط أنفاسي.

‘أتقصدين هذه الشقة؟ فعلاً؟ لقد وضعت الإعلان مساء ولم أتوقع هذه السرعة.’

‘أيمكنني رؤيتها؟’

‘اعتقد أن الوقت مازال باكراً.’

‘اعتقد أنها ستناسبنا. اعتقد أنني أفكر جدياً في تأجيرها.’

تراجعت للخلف وقالت ‘اعتقد أن بإمكانك النظر العابر. إنها ليس مرتبة.’

نظرت للشقة متغاضية ترددها. التقطت نظرة سريعة، ولم لأجازف بخسارتها.

سألها ‘أهي مقابل ٩٠ جنيه إسترليني في السنة؟’

‘نعم. هذا هو قيمة الإيجار. ولكن علي تحذيرك أن العقد سيكون ربع سنوي.

تأملت الأمر للحظة، ولكن ذلك لم يردعني. أريد مكان للعيش فيه وقريباً.

‘ومتى يمكنني الانتقال إليها؟’

‘آه حسناً. في أي وقت تشائين-خلال أسبوع أو اثنين؟ سيسافر زوجي للخارج. ونريد رسوم تأمين على مفارش الأرضية والتجهيزات.’

لم أقبل مفارش الأرض لكن هذا لا يهم. بالشقة أربع غرف نوم وغرفتين للمعيشة، مظهر لطيف يطل على الخضرة -صحيح أنها في الطابق الرابع ولكن هناك الكثير من الإضاءة والهواء. أعلم أن الشقة تحتاج للدهان ولكن لا يسعنا عمل ذلك بأنفسنا. إنها رائعة-هبة من الله.

قلت لها ‘سأخذها، قطعاً.’

‘أأنت واثقة؟ لم تخبريني باسمك بعد.’

أخبرتني وشرحت لها أنني أسكن في شقة مفروشة في البناية المقابلة، وكل شيء كان مستقراً. اتصلت بالسماسة وبحثت في كل مكان حتى وجدت إعلاناً عن هذه

الشقة. عند نزولي السلالم مرة أخرى قابلت ثلاثة أزواج يصعدون وأدركت أنهم ذاهبون إلى شقة رقم ٩٦. لقد فزنا هذه المرة. عدت إلى البيت وأخبرت أرتشي في سرور.

وقال 'رائع' وفي هذه اللحظة رن جرس الهاتف. كانت الآنسة لوللين. قالت 'اعتقد أن باستطاعتكم الانتقال إلى الشقة في غضون شهر من الآن.'

قلت 'آه، نعم، فهمت.' وانتهت المكالمة. قال أرتشي 'الشكر للرب. هل تعرفين ما نملكه الآن؟ استأجرنا شقتين واشترينا بيتًا!'

بدا الأمر كمشكلة. كنت على وشك الاتصال بالآنسة لوللين لأخبرها أننا لم نعد راغبين في الشقة. ثم أتت لي فكرة أفضل. 'سنحاول التخلص من البيت الموجود في فيلا سكارسديل ولكننا سنأخذ شقة باترسي ونطلب رسوم تأمين عليها من شخص آخر. تلك ستغطي رسوم تأمين هذه.'

وافق أرتشي بشدة على هذه الفكرة، واعتقد أن تلك اللحظة كانت تنم عن عبقرية مالية من جانبي لأننا سندفع رسوم تأمين بمبلغ ١٠٠ جنيه إسترليني أمر يعيننا. بعدها ذهبنا إلى السماسرة الذين اشترينا منهم البيت الموجود في فيلات سكارسديل. كانوا حقًا في غاية اللطف. قالوا أن أمر بيعه لشخص آخر يكون في غاية السهولة- في الحقيقة لقد خاب أمل الكثيرين في شراء هذا البيت. وبهذا خرجنا من هذا الأمر بدفع القليل من الأجر للسماسرة.

لدينا شقة ويمكننا الانتقال إليها في غضون أسبوعين. كان هذا يعتمد على جيسى سوانيل. لم تتذمر أبدًا من اضطرابها للصعود والهبوط أربعة أدوار، وهذا كان أكثر مما كنت أستطيع توقعه من أي مربية تأتي من خلال السيدة بوتشر.

'آه، حسنًا، اعتدت على جر الأشياء. أتمانعين؟ لدى قدرة تفوق زنجي أو اثنين. هذا أفضل ما في نيجيريا-الكثير من الزوج.'

أحبنا الشقة وأغرقنا أنفسنا في أعمال التزيين. صرفنا جزء كبير من حوافز أرتشي على الأثاث: أثاث حديث وجيد لمربية روزلن من محلات هيلز، وسرائر جيدة لنا من نفس المكان-والكثير من الأشياء التي جئنا بها من أشفيلد، طاولات وكراسي ودواليب وأطباق وصوف. ذهبنا أيضًا لبيع وشراء بعض الأدراج وخزانات الملابس القديمة.

قررنا استخدام ورق الحائط بدلاً من الطلاء- قمنا ببعض الأعمال بأنفسنا، والبعض الآخر استعنا بدهان وآخر للديكور. غرفتي المعيشة-عبارة عن غرفة للمعيشة وأخرى للطعام-يواجهان الردهة، وكلاهما في الشمال. كنت أفضل الغرف الموجودة في نهاية الممر في الخلف. لم يكونوا كبار في الحجم ولكنهم مشرقين بضوء الشمس ومبهجين لذلك قررنا أن تكون غرفة المعيشة وغرفة روزلن هي الغرفتين الخلفيتين. كانتا مواجهتان للحمام وكان هناك غرفة صغيرة للخادمة. وبالنسبة للغرفتين الكبار، جعلنا الكبيرة غرفة لنومنا والصغيرة غرفة للطعام وغرفة فارغة للطوارئ المحتملة. اختار أرتشي ديكورات الحمام: أوراق حائط قرمزية وبيضاء. كانا رجل الديكور والرجل المسئول عن لصق ورق الحائط شديدي اللطف معي. أراني الورق وكيف أقطعه وألف ورق الحائط بالطريقة الصحيحة للصقها وعندما وضعها قال 'لا تكوني خائفة منها' عندما بدأنا في تجهيز الحائط. 'ضعيها على الحائط هكذا أترين؟ ليس في الأمر أي مشكلة. إذا تمزقت يمكنك لصقها. أقطعي كل الورق أولاً، وحددي جميع القياسات، واكتبي العدد خلف الورق. وعند إتمام ذلك ضعها على الحائط. والفرشاة المصنوعة من الشعر جيدة للتخلص من الفقاعات. أصبحت كفاء في النهاية. تركنا له الأسقف ليتعامل معها-لم أشعر أنني جاهزة لطلاء الأسقف.

طلبت حجرة روزلن بدهان أصفر مائي خفيف، وتعلمت أيضًا شيئاً عن الديكور. شيئاً لم يحذرنا منه مستشارنا هو أننا إذا لم نزيل بقع الدهان المائي من على الأرضية سريعاً فإنها تتصلب ولا يمكن إزالتها إلا بالأزميل. ومع هذا يتعلم المرء

من التجارب. زينا حجرة روزلن بأوراق الصوف الغالي، اشتريتها من هولز، بها صور حيوانات أعلى الحائط. قررت أن أدهن غرفة المعيشة بلون وردى خفيف ومشرق، أما السقف فوضعت فيه ورق حائط لامع وعليه رسومات للزعرور البرى، فهذا يجعلنا نشعر كأننا في الريف، وهو كذلك يجعل الغرفة تبدو أوطئ لأنني أحب الغرف المنخفضة. في الغرف الأقل حجمًا قد يبدو المنظر ككوخ صغير. بالطبع يجب أن يضع أوراق السقف محترف، ولكنه أثبت أنه لا يجب عمل ذلك على عكس المتوقع.

‘الآن انظري سيدتي، أتعلمين أنك حصلت على عكس ما تودين. أنت تريدين الأسقف باللون الوردى الخفيف والورق الأسود على الحوائط.’

فقلت ‘لا، ما أريده أن يكون الورق الأسود على السقف والوردى الفاتح على الحوائط.’

‘ولكن الغرف لا يتم فيها ذلك. تريدين أن تتدرجي من المضيء للقاتم. وهذه طريقة خاطئة. عليك اختيار القاتم وتدرجي به للمضيء.’

فجادلته قائلة ‘ليس عليك أن تختار، تتدرج من الغامق إلى الفاتح إن كنت تفضل العكس’

‘حسنًا، كل ما علي يا سيدتي هو إعلامك أن هذه الطريقة خاطئة ولا يفعلها أي أحد.’

فقلت له أنني عازمة على فعل ذلك.

‘كما أريده سيجعل السقف يبدو قريب من الأرض. وهذا سيجعل الغرفة تبدو منخفضة.’

‘أريد الغرفة أن تبدو منخفضة السقف.’

يأس منى ورفع كتفيه استهجانًا. وبعد ما انتهى، سألتها إذا كانت تروق له.

‘حسنًا، إنه يبدو غريبًا، ولا يستطيع القول أنه يروق لي، ولكن.. حسنًا، من الممكن أن يبدو جميلًا جدًا إذا جلس المرء على كرسي ونظر لأعلى.’

قلت له ‘هذه هي الفكرة.’

‘ولكني لو كنت مكانك وأردت عمل شيئًا كهذا، لكنت اخترت ورق أزرق فاتح ومعه نجوم.’

‘لا أريد التفكير في أنني خارج البيت في الليل، أود الاعتقاد بأن حولي زهرة أوركيد مزدهرة ومبهجة أو تحت شجرة زعرور برى.’

فهز رأسه في يأس.

صنعنا أغلب الستائر بأنفسنا. وصنعت الأغطية بنفسي. كانت أختي ماج-حاليًا نطلق عليها **بونكي**: تؤكد لي بطريقتها الإيجابية أن هذا الأمر سهل في عمله. عليك فقط تثبتهم وقصهم. ثم حكمهم ودورهم من الخارج إلى الداخل. إنه أمر بسيط للغاية. بإمكان أي أحد فعله.’

حاولت، لم تبدو الستائر بشكل ممتاز، ولم أجرؤ على المحاولة في شرائط الزينة ولكنها بدت مشرقة ولطيفة. كل أصدقائنا أحبوا بيتنا، ولم نقضى وقتًا سعيدًا كهذا إلا عندما استقرينا هناك. كانت لوسي تعتقد أن الأمر رائع واستمتعت بكل دقيقة قضتها هناك. كانت جيسي سوانيل تتذمر طوال الوقت ولكنها كانت متعاونة بشكل مذهل. كنت سعيدة بكرهها لنا أو بالأحرى كرهها لي- لا اعتقد أنها كانت مخالفة أرتشي كثيرًا. حاولت أن أشرح لها ‘يجب أن يكون للطفل والدان يرعاياه أو أنك لم تجدي من يرعاك.’

قالت جيسي ‘آه حسنًا، افترض أن لديك شيئًا هناك’ ثم ابتسمت ابتسامة ماكرا.

بدأ أرتشي وظيفته في المدينة. قال أنها تروق له ومتحمس لها. كان سعيدًا لخروجه من القوات الجوية، وهو الأمر الذي استمر في تكراره، الأمر الذي لم يكن

جيداً للمستقبل على حد قوله. قرر أن يجنى الكثير من المال. والحقيقة أن مرورنا باللحظات الصعبة لم يكن يزعجنا. في المناسبات، نذهب أنا وأرتشي إلى قاعة احتفالات الرقص في بلاس دي دانسى في هامرسميث، ولكننا لم نكن نستمتع هناك حيث أننا لا نستطيع تحمل نفقات الذهاب لمثل هذا المكان. كنا زوجين عاديين جداً ولكننا كنا سعداء. كانت الحياة مشرقة في أعيننا. لم نمتلك بيانو، ولكنني كنت أعوض هذا بلعب البيانو بجنون وقتما أذهب إلى أشفيلد.

تزوجت من أحببت، ورزقنا بطفلة. وكان لدينا مكان نسكن فيه، وهذا يجعلني أرى أنه لا يوجد سبب يجعلنا لا نشعر بالسعادة.

وصلني خطاباً في يوم ما. فتحته دون اكتراث وقرأته في البداية دون اهتمام. من جون لان مدير بودلي، وكان يسأل إذا كنت أود الاتصال بمكتبهم للتواصل معهم بشأن المؤلف الذي كتبته وقدمته له تحت عنوان "القضية الغامضة في ستايلز".

في الحقيقة نسيت كل شيء يخص المؤلف. ووقت مراسلتهم لي يكون مر على وجود المؤلف لديهم ما يقارب السنتين. ولكن انشغالات انتهاء الحرب ورجوع أرتشي وبدء حياتنا معاً لم يجعل في ذهني مكاناً لتلك الأشياء من كتابة وخلافه.

خرجت للميعاد ممتلئة بالأمل، والفرصة واحدة إما أن يعجب جميعهم بالرواية أو سيكون عليهم أن لا يدعوني للمجيء مرة أخرى. دخلت مكتب جون لان، فقام لتحييتي. كان رجلاً صغيراً بلحية بيضاء يشبه إلى حد كبير من عاشوا في عصر إليزابيث. كان يحيطه الكثير من الصور - تبدو كلها ك لوحات أصلية، ملمعة بعناية ويغلب عليها بعض عوامل الزمن. تخيلت أنني سأرى إحدى تلك اللوحات يحوى صورته. كان مسالماً، طريقته في التعامل لطيفة ولكن له عيون زرقاء غير مطمئنة والتي كانت دائمة التحذير لي، لعله كان من نوعية الرجال التي تحب المساومة. كل كرسي كان مغطى بصورة. كان ينظر إليها فجأة ويضحك. ويقول 'عزيزتي. لا يوجد لك مكان لتجلسي عليه، أليس كذلك؟' أزال بورترية وسخ، ثم جلست.

ثم بدأ الكلام معي عن الكتاب المؤلف. بعض الكتاب يعتقدون أنهم أخذوا مني عهدًا بوجوب فعل شيء بمؤلفاتهم. ولكن يجب أن يكون هناك بعض التغيير المقبول لأقبل نشر المؤلفات الجديدة. مثالًا لذلك، فأنت كتبت الفصل الأخير كمشهد محكمة ولكن من المستحيل أن يكتب بهذه الطريقة. كتابته على هذا النحو ما هو إلا سخافة. هل كنت اعتقد أن بمقدوري كتابة النهاية بطريقة مختلفة؟ إما أن يساعدنا أحدًا في كتابة الجانب القانوني للقصة على الرغم من صعوبة ذلك، أو أن علي أن أكون قادرة على تغيير النهاية بطريقة ما. وعلى الفور قلت أنني اعتقد أنني قادرة على فعل شيء ما. فكرت فيه وربما إعداد هذا الشيء كان صعبًا ولكنني سأحاول على أي حال. قام جون بوضع عدد من النقاط، التي لم تكن تختلف كثيرًا عما جاء في الفصل الأخير.

ثم دخل جون في الكلام عن الجانب المادي، مشيرًا إلى المجازفة التي يتعرض لها الناشر إذا نشر قصة لكاتبة غير معروفة وقلة الربح الذي يأتيه جراء ذلك. وأخيرًا أظهر عقدًا من درج مكتبه، كان متوقعًا أن أوقعه. لم أكن في الحالة الذهنية المناسبة لدراسة عقود أو حتى التفكير بها. ولكنه نوى نشر كتابي. فقدت الأمل لبعض السنوات في نشر شيئًا لي، فيما عدا القصص القصيرة أو القصائد، فكرة طباعة الكتاب استحوذت على فكري وكنت على استعداد لتوقيع أي شيء. نص هذا العقد أن لا حق لي في أية أموال تخص الملكية حتى يُباع أول ٢٠٠٠ نسخة- بعد البيع يحق لي جزء يسير من مستحقاتي. للناشر نصف الحقوق الدرامية وكذلك أي أجزاء أخرى للقصة. لم يكن يعني أي من هذه الأشياء-الفكرة الأساسية كانت في أن الكتاب سينشر.

لم ألاحظ حتى وجود فقرة تلزمني عرض الخمس قصص القادمة عليه، مع عدم أي زيادة ولو طفيفة في نصبي. كان الأمر نجاحًا بالنسبة لي ومفاجأة قوية. وقعت العقد بحماس. وأخذت بعد ذلك القصة لتعديل الفصل الأخير. واستطعت القيام بذلك بمنتهى السهولة.

وهكذا بدأت رحلتي الطويلة مع عملي. ولم أكن وقتها أتخيل أنه سيصبح عملي لفترة طويلة. على الرغم من فقرة العقد الخاصة بالخمسة روايات، كان الأمر بمثابة تجربة فريدة وخاصة. أنا قادرة على كتابة قصة بوليسية، كتبت وقوبلت كتاباتي وستعد للنشر. كانت هذه النقطة هي غايي. بالتأكيد لم أكن أتخيل أنني سأكتب أي كتب أخرى. اعتقد إذا سُئلت وقتها لقلت أن من المحتمل أن اكتب من حين إلى آخر. كنت مجرد هاوية-لا أعرف شيئاً عن الاحترافية. كانت الكتابة بالنسبة لي شيء مسلي.

عدت مبتهجة وأخبرت أرتشي وذهبنا إلى حفلة بالاس دي دانسي في هامرسمث لنحتفل.

كان معنا حينها طرف ثالث، لم أكن أعلم بوجوده. إنه هر كول بوارو، اختراعي البلجيكي كان متعلقاً برقبتي بقوة كرجل البحر العجوز.

أرجعت قصة القضية/الغامضة في ستايلز إلى جون لان بعد معالجة الفصل الأخير منها، وأجبت على بعض التساؤلات الأخرى ووافقت على بعض التعديلات الإضافية. قلت الإثارة وعادت الحياة لطبيعتها مع أي زوجين حديثين سعداء يحب كل منهما الآخر، وأحياناً كانت الحياة تسوء ولكنها لا تصل إلى أن تستحيل. كنا نقضى أجازاتنا الأسبوعية عادة في الريف، نذهب إلى هناك بالقطار. وأحياناً نقوم بجولة حول الريف.

كانت كارثتنا الحقيقة هو فقداننا للوسي. بدت قلقلة وغير سعيدة، وفي يوم جاءت إلي حزينة وقالت؛ 'أسفة جداً لخدلانك، ولكني سأزوج'.

'ستزوجين يا لوسي؟ من من؟'

'شخص تعرفت عليه قبل الحرب. كنت مفتونة به'.

المحت إلى أمي، وبمجرد إخبارها تعجبت قائلة 'لا أتمنى أن يكون جاك مرة أخرى، أهو جاك؟' يبدو أن أمي لم تكن مستحسنة جاك. طلب يد لوسي قبل ذلك وهو غير مناسب لها، ورأت عائلتها أن وجود الخلاف ليس بالأمر الجيد بين المرتبطين. ولكنهم عادوا لبعضهم مرة أخرى. لوسي مفتنة بجاك غير المناسب لها وسيتزوجا وعلينا البحث عن خادمة أخرى.

كان فكر البحث عن خادمة جديدة أمر مستحيل. لا يمكن العثور على واحدة. ومع ذلك عثرت على واحدة تدعى روز-لا أذكر-إن كان عن طريق صديقة أو وكالة. كانت روز مستحسنة جداً. كان لديها خبرة ممتازة وهي ذات وجه دائري مليء بالحمرة، لها ابتسامة لطيفة، وبدت كأنها جهزت خصيصاً لتعجبنا. المشكلة الوحيدة أنها تبغض الذهاب لأي مكان به طفل ومربية. اعتقدت أن عليها التغلب على هذا الأمر. كانت تعمل عند أشخاص من القوات الجوية ومالت لي عندما

علمت أن زوجي كان في القوات الجوية. قالت أننا نتوقع أن يعرف زوجي من كانت تعمل لديهم، ضابط سرب حربي جى. أى. هرعت إلى البيت وسألت أرتشي هل تعرف ضابط سرب حربي يدعى جى. أى؟

قال 'لا، لا أتذكر أنني أعرفه'

'حسنًا، عليك التذكر. عليك قول أنك قابلته، وأنكم كنت أصدقاء وما شابه- علينا الاستعانة بروز. إنها رائعة، إنها كذلك حقًا بالنسبة للمخلوقات الكريهة التي رأيتموها.'

جاءت روز في آخر الأمر لتلقى نظرة على بيتنا. تعرفت بأرتشي، الذي قال بعض الإطراء عن ضابط السرب الحربي جى. أى. وأخيرًا اقتنعت بقبول وجودها معنا.

وقالت في قلق 'ولكني لا أحب المربيات، فهن دائمًا صانعي المشكلات.'

'آه، أنا واثقة أن المربية سوانيل لن تحدث أى مشكلات'. لم أكن واثقة ولكني اعتقد أن الأمر سيكون على ما يرام. الشخص الوحيد الذي تصنع معه سوانيل المشاكل هو أنا، ولكنني استطعت تحمل هذا الأمر الآن. استطاعت روز وجيسي التعامل مع بعضهم بشكل جيد. جيسي أخبرت روز عن حياتها بنيجريا وسعادتها المطلقة في أن يكون لديها عدد نهائي من النيجريين تحت إمرتها، وفي المقابل أخبرتها روز عن كل ما عانته في حياتها السابقة. قالت لي روز ذات مرة 'كنت أجوع أحيانًا هل تعلمين ما الذي كانوا يقدمونه لي على الإفطار؟'

قولت لا أعرف.

قالت بأسى 'ذكر سمك السالمون، لا شيء غير السمك والشاي والزبد والتوست والمربي. أعنى من ذلك أنني أصبحت هزيلة وخسرت الكثير من وزنى.'

لا يبدو أن هناك ما يدعو روز لخسارة الوزن الآن-كانت تزداد في الوزن بسعادة. ومع ذلك، كنت أتأكد أننا إذا آتينا بذكر السالون في الإفطار فيكون لروز

اثنين أو ثلاثة منهم والكثير من البيض واللحم المقدد. على ما اعتقد أنها كانت سعيدة معنا ومحبة لروزلن.

ماتت جدتي بعد ولادة روزلن بفترة قليلة. كانت قادرة على الاعتناء بنفسها حتى اللحظات الأخيرة، ولكنها أصيبت بالتهاب في القصبات الهوائية، ولم يكن قلبها بالقوة التي تعينها على التعافي. ماتت في الثانية والتسعين، وحتى حينها كانت قادرة على الاستمتاع بالحياة، لم يصيبها العى الكلى ولكن في أيامها الأخيرة لم تكن لديها القدرة على الرؤية تمامًا. انخفض دخلها مثل أمي بسبب إفلاس شركة شافلن في نيويورك، ولكن نصيحة السيد بالي جنبتها خسارته كله. انضم هذا الدخل الآن إلى أمي. لم يكن حينها مبلغًا كبيرًا، حيث قلت قيمة بعض الأسهم خلال الحرب ولكنها كانت تحصل على ٣٠٠-٤٠٠ دولار في العام، مع ما كانت تجنيه من السيد شافلن جعل الأمور ممكنة التدبير. بالطبع زاد سعر كل شيء في سنوات ما بعد الحرب ولكنها كانت تستطيع تدبير أمرها في أشفيلد. كنت حزينة لعدم قدرتي على مشاركتي بجزء من دخلي الصغير معها كما كانت تفعل أختي. ولكن ذلك كان يبدو مستحيلًا في حالتنا- فنحن في حاجة لكل سنت ليعيننا على الحياة.

قال أرتشي (بمنطق واضح)، عندما تحدثت ذات يوم بصوت قلق عن صعوبات مجازاة الحياة في أشفيلد: 'سيكون من الأفضل لوالدتك أن تباع البيت وتعيش في مكان آخر.'

فقلت في رعب 'تبيع أشفيلد!'

'لا أستطيع إدراك فائدة ذلك لك. ولكنك لا تستطيع الذهاب إلى هناك في غالب الأمر.'

'لا أطيق بيع أشفيلد، فأنا أحبها. إنها تعنى كل شيء.'

قال أرتشي 'إذن لماذا لا تحاولين فعل شيء حيال الأمر.'

‘ماذا تعنى بفعل شيء حيال الأمر؟’

‘حسنًا، يمكنك تأليف قصة أخرى.’

نظرت إليه في دهشة. ‘اعتقد أنني ربما أكتب قصة أخرى في يوم من الأيام، ولكن هذا لن يفيد أشفيلد كثيرًا، أليس كذلك؟’

قال أرثشي ‘قد يربحك هذا الكثير من المال’

لم اعتقد أن هذا الأمر محتمل. مبيعات القضية الغامضة في ستايلز قاربت ٢٠٠٠ نسخة والذي لم يكن شيئًا بالنسبة لقصة بوليسية لكاتبة غير معروفة. ولكن هذا الأمر عاد علي بمبلغ ٢٥ جنيه إسترليني- وليس لهذا علاقة بالمال الخاص بملكية الكتاب، ولكنها نصف حصتي من حقوق طباعة الأجزاء المتتالية الذي بيعت نسخه بشكل غير متوقع و ٥٠ إسترليني من جريدة ذا وكلي تيمز من دار النشر. قال أرثشي إن هذا شيء جيد بالنسبة لوجهتي. كان جيدًا لمؤلفة صغيرة أن تحصل على استحسان أجزاء إصدارتها من ذا وكلي تيمز ولكن ٢٥ إسترليني كإجمالي دخل كتابة القصة لم يشجعني للإحساس باحتمال كسب مال أكثر في مهنتي الأدبية.

‘إذا كان كتابًا جيدًا لدرجة نشره بالتأكيد سيجنى الناشر بعض الأرباح من وراءه وهو ما افترض حدوثه، مما يدعوه لطلب كتاب آخر. ووقتها يحق لك الحصول على القليل من الزيادة في الأرباح.’ أنصتت على هذا الكلام ووافقت. كنت معجبة بخبرة أرثشي المالية. فكرت في كتابة قصة ثانية وكيف علي معالجتها.

مسألة بداية القصة تم حلها. عندما كنت أتناول الشاي في أحد الأيام في أحد المقاهي، كان بالقرب منى اثنان يتحدثان عن شخص يدعى جان فش. علق في ذهني الاسم لأنه مسلى. خرجت من المقهى مع انشغالي بالاسم، هذا الاسم بداية جيدة لقصتي، ليس بالاسم المتداول مما يجعله يعلق في ذهن من يسمعه. أسم كجان فش أو ربما جان فن سيكون أفضل بكثير. استقرت على جان فن وبدأت في

الكتابة فوراً. أسميت القصة أولاً بالمغامرة الممتعة ثم المغامرون الصغار واستقرت أخيراً على الخصم السري.

كان أردشي محققاً في بحثه عن عمل قبل استقالته من القوات الجوية. الشباب يأسون. فأغلبهم سُرح من الخدمة ولم يجد عملاً. كان الشباب دائمي قرع بابنا محاولين بيع الهدايا أو بعض أدوات المنزل. كنا نشفق عليهم، أحسنا بالآسي من أجلهم لذلك كنا نشترى بعض الجوارب أو ما شابه لإدخال البهجة على قلوبهم. كانوا إما ملازمين بحريين أو عسكريين، والآن يعملون بوظائف أقل وجاهة. أحياناً يكتب بعضهم القصائد ويبيعها.

تخيلت وجود زوجين من هذا النوع في قصتي-فتاة في وحدة الإغاثة التطوعية مثلاً وشاب في الجيش. كلاهما محبط من كثرة البحث عن عمل، ثم يلتقي كلا منهم الآخر- وربما تقابلا قبل ذلك؟ وبعد ذلك؟ فكرت إذن في تورطهما في الجاسوسية: ستكون قصة تجسس قصة تشويق وليست تحقيق. أعجبتني الفكرة- سيكون تغير عن قصتي السابقة **القضية الغامضة في ستايلز**. بدأت الكتابة بهذا، في نوع أشبه برسم المخططات. كان الأمر ممتعاً في مجمله كطبيعة قصص التشويق، وأسهل من كتابة قصة بوليسية.

بعد الانتهاء من الكتاب، ولم يكن هذا بعد القليل من الوقت، ذهبت إلى جون لان الذي لم ترقه كثيراً: لم تكن من نوعية القصة السابقة- لن تلقى رواجاً في البيع. في الحقيقة لم يقرر دار النشر نشرها. ولكنهم في النهاية قرروا النشر. لم يكن علي عمل الكثير من التعديلات هذه المرة.

على ما أتذكر أن نسخ القصة بيعت بمستوى جيد. جنيت القليل مقابل حقوق الملكية، وبعث حقوق الحلقات إلى ذا وكلي تيمز وأعطاني جون لان المبلغ الذي جاء من الجريدة ٥٠ إسترليني. كان هذا الأمر مشجعاً-ولكنه ليس كافياً ليجعلني أفكر في أن تكون الكتابة مهنتي.

كتابي الثالث كان جريمة على الصلات. اعتقد أنه توجب علي كتابته بعد أحداث فرنسا بقليل. لا استطيع تذكر أي من المشاركين في القصة. كانت تتحدث عن اقتحام بعض المقنعين لمنزل وقتل ماله ثم تقييد الزوجة وكنتم فمها-ماتت الحماية أيضًا ولكن ظاهريًا فقط. وعلى أي حال لم تقبل فكرة تقييد الزوجة. وكان الاقتراح القائم أن تكون الزوجة هي القاتلة وأنها لم تقيد أبدًا وأن هذا حدث ظاهريًا فقط من قبل شريكها. أدهشني الاقتراح، فهي حبكة درامية جيدة ستحرك قصتي. بدأت القصة بحياة الزوجة بعدما تم تبرئتها من الجريمة. امرأة غامضة تظهر بشكل ما كبطله قصة القتل. وجعلت مكان القصة فرنسا.

هركول بوارو كان شخصية ناجحة في القضية/الغامضة في ستايلز ولذلك كان الاقتراح هو الاستمرار في توظيفه. كان احد معجبي بوارو هو المحرر بروس إنجرام من جريدة ذا سكتش الأسبوعية. تواصل معي واقترح علي أن اكتب حلقات لبوارو للجريدة. هذا العرض كان مثيراً لي حقاً. أخيراً حققت نجاحاً، أن أعمل في جريدة ذا سكتش- رائع! قام كذلك بعمل رسم كاريكاتيري لهركول بوارو ولكنه لم يشبه فكريتي عنه على الرغم من تصويره بشكل رجل صغير أنيق وأكثر أرستقراطيته مما تخيلته. أراد بروس إنجرام حلقات من ١٢ قصة. كتبت ثمان قصص بعد وقت قليل، وفي البداية بدا لي أن ذلك كافياً، ولكن استقر القرار في النهاية على زيادة عدد القصص إلى اثنا عشر فكتبت على عجل أربع قصص أخرى أكثر مما أردت.

هذا الأمر أبعدني عن ملاحظة أن كتاباتي ارتبطت بالقصة البوليسية وبشخصين فقط: هركول بوارو وواتسون، النقيب آرثر هستنغز. كنت مستمعة بالنقيب آرثر هستنغز كان شخصية نمطية، ولكنه مع بوارو مثلوا لي فكريتي عن فريق التحقيق. كنت لا أزال اكتب على أسلوب شارلوك هولمز- متحرى غريب، مساعد أضحوكة من نوع المحقق ليستراد في شرطة سكوتلاند يارد المفتش جاب- وأضفت الآن وحدة فوكس هاوند المفتش جيراود، من البوليس الفرنسي. جيراود كان يحتقر بوارو ولكنه عجوزاً وقديم الطراز.

الآن عرفت الخطأ الفظيع الذي وقعت فيه بجعل هر كول بوارو عجوزًا-كان علي تركه بعد القصة الثالثة أو الرابعة، والتعامل مع آخر أقل عمرًا.

كانت جريمة على الصلات بعيدة قليلاً عن أسلوب شارلوك هولمز، وأكثر تأثراً بقصة لغز الغرفة الصفراء، بالأحرى كانت متنوعة الأساليب، نوع من الكتابة الخيالية. عندما يبدأ المرء في الكتابة، فإنه يكون متأثراً بأخر شخص قرأ له أو استمتع بالقراءة له.

اعتقد أن جريمة على الصلات كان نوعها مثال جيد من الكتابات، على الرغم من ميلها إلى الدراما الحزينة. حاولت هذه المرة تقديم قصة حب ل هستنغز. إذا توجب علي الاهتمام بالحب في القصص، فاعتقد أن علي أيضاً إيجاد زوجة لهستنغز! في الحقيقة أنني بدأت أشعر بعدم التعب مع التركيز مع بوارو، ولكن ليس من حاجة للتركيز مع هستنغز أيضاً.

كان مكتب بودلي سعيداً بقصة جريمة على الصلات، ولكنني كنت معترضة على تصميم الكتاب. بعيداً عن كونه سيء الألوان فهو أيضاً سيء الرسم، على حسب رأيي يصور الرسم صورة لرجل مرتدياً البيجاما واقفاً على ملعب جولف، ويموت بسبب إصابته بالصرع. وحيث أن رجل القصة مات وهو مرتدي كامل ثيابه ومطعون بخنجر فرفضت تصوير ما جاءوا عليه. ليس لغلاف الكتاب الخارجي أي علاقة بالحبكة الدرامية للقصة، ولكن إذا تم صنعها فيجب على الأقل أن لا تمثل واقع خطأ. كنت أحمل قدر كبير من المشاعر السلبية تجاه الأمر ولكنني كنت بالفعل مستاءة وتم الاتفاق أنه فيما بعد سيكون لي الحق في أن أرى الغلاف وأوافق عليه أولاً. كنت على اختلاف بسيط مع مكتب بودلي وكان يتعلق بتهجأة كلمة كوكوه في قصة القضية الغامضة في ستايلز. لبعض الأسباب الغريبة، تهجأة دار النشر لكلمة كوكوه-بمعنى كوب من الكاكاو-هي كوكو، وهي كما قالتها يوكلد، تعني سخي. عارضتني الأنسة هاوس، رئيسة المحررين في دار بودلي. كوكوه، كما قالت في نشراتهم

دائمًا ما يتم تهجئتها على شكل كوكو- كانت هذه هي التهجأة الصحيحة وهي قاعدة للمؤسسة. قدمت العديد من قواميس الكوكوه، ولم يقتنعوا. كانت كوكو هي التهجأة الصحيحة هذا ما قالته. بعدها بسنوات ذكرت ل **ألان لان**، ابن أخ جون لان، وصاحب كتاب **البطريق** قائلة 'أتعرف أني في صراع عنيف مع الأنسة هاوس حول تهجأة كلمة كوكوه.

توجم ثم قال 'أفهم كلامك. لدينا مشاكل معها وتزيد كلما تقدمت في العمر. لديها رأى لا يتغير عن أشياء بعينها. وتجادل المؤلفين ولا تراجع أبدًا'.

عدد لا نهائي من القراء كتب لي مشتكيًا 'أنا لا أفهم، لماذا تتهجين كوكوه على أنها كوكو في كتبك. بالطبع أنت لم تكوني جيدة في التهجأة أبدًا'، وغالبًا هذا غير عادل. لم أكن متهجية جيدة يومًا ولازلت، ولكنني على أي حال استطيع تهجأة كوكوه بالطريقة الصحيحة. لعلى ضعيفة الشخصية. ولكن ذلك كان كتابي الأول واعتقد أنهم بالأحرى يعرفون خيرًا مني.

كان لدي انتقادات لطيفة عن **القضية الغامضة في ستايلز**، لكن أكثر نقد أعجبني كان في جريدة **ذا فرماسويتكال** التي قالت: 'تعاملت هذه القصة البوليسية مع السموم عن علم وليس بجهد وعدم دراية عن مواد غير موجودة وهو ما يحدث عادة. **أجاثا كريستي** تعرف عملها جيدًا'.

كنت أود كتابة قصصي بأسم مستعار-مارتن وست أو موستن جراي-ولكن **جون لان** أصر على استخدام أسمى الحقيقي خاصة الاسم المسيحي: قال 'أجاثا أسم غير تقليدي مما يجعله يعلق في الأذهان'. وعليه كان على التخلي عن مارتن وست ووضع أسمى من الآن وصاعدًا أجاثا كريستي. كان في تخيلي أن الناس ستتحيز ضد أعمالي عندما تقرأ أسمى أنثى خصوصًا في القصص البوليسية، كان مارتن وست أكثر رجولة ومباشر. وعلى ذلك فكما قلت عندما تنشر كتابك الأول فأنت تفسح الطريق لأي اقتراحات، وفي هذه الحالة اعتقد أن **جون لان** كان محققًا.

الآن أكون قد كتبت ثلاثة كتب، وسعيدة في زواجي، ورغبتي هي العيش في الريف. كانت منازل أدسون بعيدة عن المتنزه. دفع عربة الأطفال إلى هناك ثم الرجوع بها سواء مني أو من جيسي سوانيل أمراً ليس بالسهل. كان هناك عقبة دائمة: صممت المنازل بحيث تهدم بعد فترة. تلك المنازل كانت ملكاً لليون، الذي نوى بناء عقارات جديدة في الموقع. لهذا كان العقد ربع سنوي. قد يصلك إخطار في أي لحظة يبلغك أن العقار سيهدم. في الواقع أن بنائنا في منازل أدسون استمرت قائمة بعد مرور ثلاثين عاماً-ولكنها تلاشت الآن وحل محلها كادباي هول.

من بين أنشطتنا في عطلات نهاية الأسبوع كنا نذهب أنا وأرتشي بالقطار لشرق كرويدون ونلعب الجولف هناك. لم أكن يوماً لاعبه جولف جيدة، وكان أرتشي يلعب قليلاً ولكنه أصبح يحب اللعبة. وبعد فترة أصبحنا نذهب كل عطلة إلى شرق كرويدون. لم أكن أكثرث كثيراً بالذهاب إلى هناك، ولكن كنت افتقد تنوع اكتشاف الأماكن وتمشية لمسافات كبيرة. وفي النهاية كان اختيار التجديد له أثر كبير على حياتنا.

كان كلا من أرتشي وباترك سبنس-وهو صديق لنا كان يعمل في جولدستين هو الآخر- متشائمان تجاه وظيفتهم: لم يحقق ما تم الوعد به في البداية من تقدم. أعطى لهم جزء إداري معين ولكنه دائماً ما كان لإدارة شركات بها مخاطرة- وأحياناً شركات على حافة الإفلاس. قال سبنس ذات مرة: 'أعتقد أن هذه الشركة نصابة. صحيح أن كل شيء قانوني، ولكن أتعرف أنني لازلت لا أحبها، هل توافقني؟'

قال أرتشي إنه يعتقد أن الشركة ليست ذات سمعة جيدة. وقال متأملاً: 'هذا ما أتمناه يمكنني عمل تغيير'. كان يحب حياة المدن ولديه الاستعداد للتفاعل معها ولكن كلما مر الوقت كلما قل حبه لهؤلاء الموظفين.

وبعدها ظهر شيئاً لم يكن متوقعاً تماماً.

كان لأرتشي صديق يدرس الماجستير في كليفتيون-اللواء بلشر. كان ذات سمات مميزة، يحب التظاهر. وقال أنه استطاع احتكار البطاطس خلال الحرب. كم

من القصص اختلقت بشأن بلشر وكم عدد الروايات الصحيحة منها؟ لا يمكننا معرفة ذلك ولكنه على أي حال كان يخلق حكايات جيدة. كان قد ناهز الأربعين أو الخمسين عند اندلاع الحرب، ومع ذلك كان يقدم وظائف من مكتبه أيام الحرب التي لم يكن يكثر بها كثيرًا. عندما كان يتناول الطعام ذات ليلة مع أحد الشخصيات الهامة، دارت المناقشة حول البطاطس والتي كانت مشكلة كبيرة وقت الحرب. على قدر ما أتذكر أنها اختفت سريعًا. لم تكن موجودة في المستشفى. ربما كان عجز وجودها في السوق يرجع لاحتكار بلشر الكامل لها، ولم أكن مندهشة من سماع ذلك.

قال بلشر: 'تحدث لي الرجال الحمقى الكبار المتسمين بالأبهة ويقولون أن مشكلة قلة البطاطس أصبحت جدية بحق'. أخبرتهم وجوب فعل شيء تجاه ذلك- بدأ الكثير من الناس بالعبث في هذه الأمور. يبدو أن أحدًا عمد إلى إحكام السيطرة والتصرف في الأمر. ووافقني فيما قلته. قال "ولكن لو سمحت لي، اعتقد أن عليه دفع الكثير. لا خير في إعطاء مال لرجل خسيس ثم توقع أن يأتي له بأي فائدة- عليك الدفع لهم". وهنا بدأ التحدث عن بعض الآلاف من الجنيهات. فقال الرجل المهم 'إن هذا المبلغ كبير' فرد عليه بلشر 'عليك إيجاد رجل جيد، لو سمحت لي، إذا كنت تعرض علي هذا المبلغ من المال فلن أقبل هذا السعر".

كانت هذه الجملة الفعالة. بعد بضعة أيام توسلوا إلى بلشر لقبول المبلغ واحتكار البطاطس.

سألته 'ما الذي تعرفه عن البطاطس؟'

فقال 'لا أعرف شيئًا، ولن أفشى سرًا. أقصد أن بإمكانك فعل أي شيء- يمكنك الإتيان برجل ذورتبة عسكرية، يعرف القليل عن هذا الموضوع فيسعى إلى دراسته قليلًا ونقف عند هذه النقطة!' كان لديه مقدرة مذهلة على إبهار الناس. كان لديه ثقة عظيمة في قدرته على التنظيم- وقد يأخذ الناس الكثير من الوقت

ليكتشفوا الكارثة التي تسبب في إحداثها. الحقيقة هي أنه لا يوجد رجل غير قادر على التنظيم. تشابه فكرته فكرة الكثير من السياسيين، وهو أن تهدم المؤسسة بالكامل أو أي شيء كان، ثم تتركها للفوضى لإعادة إنتاجها من جديد. وكما قال عمر الخيام، 'أقرب إلى رغبات القلب'. وهنا كانت المشكلة، عندما يأتي الأمر إلى إعادة التنظيم لم يكن بلشر جيداً لكن الناس نادراً ما كانت تكتشف ذلك إلا متأخراً.

بعد قضاءه فتره في هذا العمل، ذهب إلى نيوزيلندا، حيث أدير رؤساء مدرسة بخططه في إعادة التنظيم مما دفعهم لتوليته منصب مدير المدرسة. بعد عام عرض عليه مبلغ ضخم من المال ليتخلى عن منصبه ليس بسبب مشكلة في إدارته ولكن بسبب الربكة التي أحدثها والكره الذي زرعه في قلوب الآخرين واستمتاعه الخاص فيما أسماه هو 'الحداثة والتطوير والإدارة التقدمية' فكما قلت كان لديه سمات مميزة. أحياناً، تكرهه، وأحياناً تولع به.

جاء بلشر للغداء معنا ذات يوم، بعدما ترك العمل في البطاطس وشرح لنا ما يود فعله بعد ذلك. 'هل تعلم العرض الإمبراطوري الذي لدينا في ثمانية عشر شهراً؟ حسناً، يجب تنظم الأمور تنظيماً جيداً. يجب إعلاء قدر السيادة، وجعلها على أهبة الاستعداد والمشاركة في كل شيء. سأذهب في مهمة- مهمة للإمبراطورية البريطانية- سأذهب حول العالم وسيكون هذا بدءاً من يناير القادم.' دخل بعد ذلك في تفاصيل جدولته وقال 'ما أريده هو أن يصاحبني أحداً كمستشار مالي. ماذا عنك يا أرتشي؟ لطالما كان لديك فكراً جيداً. كنت مدير مدرسة كليفتون، ولديك كل ما احتاجه من الخبرة الخاصة بالمدينة. أنت ما أريده بالضبط.'

قال أرتشي 'لا يمكنني ترك عملي'

'ولم لا؟ انقل الصورة إلى رئيسك- ووضح له أن هذا الأمر سيزيد من خبرتك وهكذا.. أتوقع أنه سيترك المجال مفتوحاً لرجوعك مرة أخرى.'

قال أرتشي أنه يشك أن السيد جولدستان قد يفعل شيئاً من هذا النوع.

‘حسناً، فكر في الأمر، سيسعدني مصاحبتك. ومن الممكن أن تأتي أجاتا معنا هي الأخرى فهي تحب السفر، أليس كذلك؟’
قلت نعم- وكأني كنت أفهمه.

‘سأعلمك بخطة الرحلة. سنذهب أولاً إلى جنوب أفريقيا أنا وأنت والسكرتير. وسيرافقنا هايمز، لا أعرف ما إذا كنت تعرفه-هو ملك البطاطس في شرق انجلترا. هو صديق عزيز. قد يحضر معه زوجته وابنته. سيذهبون معنا إلى جنوب أفريقيا فقط. قد يأتي هايمز معنا لأماكن أخرى حيث لديه الكثير من صفقات العمل هنا. سنذهب بعد ذلك إلى استراليا وبعدها إلى نيوزيلندا. سأخذ بعض الوقت كأجازة في نيوزيلندا -لدي هناك الكثير من الأصدقاء كما أنني أحب هذه البلد. قد نأخذ شهر أجازة. يمكنك حينها الذهاب إلى هاواي في هونولولو إذا وددت ذلك.’

تنفست وقلت ‘هونولولو’. يبدو الأمر كخيال الأحلام.

‘وبعدها إلى كندا ثم نعود إلى وطننا. سيستغرق الأمر ما بين ٩ إلى ١٠ أشهر. ما رأيك؟’

أدركنا في النهاية أنه جاد. فكرنا في الأمر بإمعان. سيتم دفع كل نفقات أرتشي وعلى هذا سيحصل على أجر ١٠٠٠ دولار. وإذا رافقته ستدفع لي أنا الأخرى كل النفقات وحيث أن أرتشي سيصبحني كزوجة له، سيكون الشحن مجاًناً وعلى سكك الحديد الوطنية للعديد من الدول.

كنا قلقين من النواحي المادية. أجر أرتشي المقدرب ١٠٠٠ دولار سيغطي نفقاتنا في الفنادق وشهر الأجازة لكلانا في هونولولو. كان أمر بعيد المنال، ولكننا كنا نعتقد أنه قد يكون ممكناً.

سافرنا أنا وأرتشي مرتين في أجازة قصيرة: مرة إلى جنوب فرنسا لرؤية جبال البرانس والأخرى كانت لسويسرا. كلانا يحب السفر-وكانت أول مرة أجرب فيها متعة

السفر وأنا في السابعة من عمري. على أية حال، أتوق لزيارة العالم وبدا أنه لا ينبغي علي فعل ذلك أبدًا. كنا مرتبطين بالعمل ورجل الأعمال، لم يكن لدينا سوى أسبوعين أجازة. أسبوعين لن يتيحوا لك الذهاب بعيدًا. كنت أتوق لزيارة الصين واليابان والهند وهاواي وأماكن أخرى عظيمة ولكن أحلامي ظلت وعلى الأرجح ستظل دائمًا مجرد أمنيات.

قال أرتشي 'السؤال هنا هل سيبدو الوجه الأصفر لطيفًا في جدول الأعمال'.

قلت لأرتشي "من المؤكد أنه يعتبرك قيمه". كان أرتشي يعتقد أنه من المحتمل استبداله بأخرا لديه نفس قدراته يرغب في العمل. على أي حال 'الوجه الأصفر' لم يفلح. قال أنه من الممكن الاستعانة بأرتشي مرة أخرى بعد عودته- ولكنه لا يستطيع بالطبع ضمان ذلك. وسيكون هذا الأمر بالنسبة لأرتشي بالكثير ليطلبه. كان عليه المجازفة لمليء مكانه لذلك حاولنا التفاوض.

قلت 'إنها مجازفة كبيرة'.

'نعم، إنها كذلك'. أدركت أننا قد نرجع إلى إنجلترا بدون بنس واحد. ولن يكون بين أيدينا أكثر من مائة إسترليني في العام ولا شيء سوى ذلك. إيجاد عمل سيكون صعب المنال- وربما أصعب من الآن. وعلى الجانب الآخر، إذا لم يجازف المرء فلن يتحرك من مكانه. أليس كذلك؟'

قال أرتشي 'القرار لك. ما عسانا نفعل بتيدي؟' كان تيدي هو الاسم الذي أطلقناه على روزلن في هذا الوقت- اعتقد أننا أطلقناه عليها ذات مرة كنوع من المرح.

'بونكي' الاسم الذي جميعنا يطلقه على ماج الآن قد تأخذ تيدي أو تأخذها أمي- كلاهما سيكون مسرورين بذلك. وهي لديها أيضًا مربية. نعم إنه جزء من وضع الأمر في اتجاه القبول. قلت أن هذه هي الفرصة الوحيدة التي ستأتي إلينا يومًا.

فكرنا في الأمر مرارًا وتكرارًا.

‘بالطبع يمكنك الذهاب’ حاولت أن لا أكون أنانية ‘وسأبقى هنا’.

نظرت إليه ونظر لي.

ثم قال ‘لن أتركك، فلن استمتع بالأمر إذا لم تأتى معي. إما أن تخاطري معي أو لا يذهب كلانا- والأمر راجع لك لأن مخاطرتك أكبر من مخاطرتي في الحقيقة’.

ولذلك جلسنا مرة أخرى نفكر واستقرت على تبني فكرة أرتشي.

‘اعتقد أنك على حق. هذه فرصتنا وسندم طوال حياتنا إذا لم نفعلها. كما قلت إذا لم يخاطر المرء بفعل ما يريده عندما تتاح له الفرصة، فلا يستحق أن يعيش’.

لم نكن يومًا من الأشخاص التي تخشى المخاطرة. فقد أصررنا على الزواج رغم كل المعارضات، والآن قررنا أن نرى العالم ونخاطر بعواقب الأمر.

لم تكن ترتيبات البيت صعبة. يمكن تأجير الشقة، وهذا سيوفر أجر جيسى. ابتهجت أمي وأختي بوجود روزلن والمربية. جاءت المعاكسات في اللحظات الأخيرة عندما علمنا أن مونتي أخي سيرجع في أجازة من أفريقيا، ثارت أختي من عدم وجودي في إنجلترا خلال زيارة أخي.

‘سيعود أخوك الوحيد بعد إصابته في الحرب، ثم يذهب لسنوات وتختارين أن تجوبي العالم. إنه لأمر شائن. أخوك أهم’.

قلت ‘لا أعتقد ذلك، زوجي أهم. هو ذاهب لهذه الرحلة. على الزوجات إتباع أزواجهن’.

‘مونتي أخوك الوحيد، وهذه الفرصة الوحيدة لكي نراه، وربما لا يتسنى ذلك إلا بعد سنوات’.

ضايقتني في النهاية ولكن أمي كانت في صفى. واجب الزوجة أن تكون بجانب زوجها. الزوج أهم، هو أهم حتى من طفلك- ثم يأتي بعد ذلك الأخ. تذكرى، إذا لم تكونى مع زوجك وتركته كثيرًا، ستفقدى. هذه حقيقة خاصة برجل مثل أرتشى. قلت بعزة نفس 'أن الأمر مع أرتشى مختلف. أرتشى أكثر البشر إيمانًا في العالم.'

قالت أمي بروح فيكتورية حقيقية 'لا يمكنك الثقة في رجل. على المرأة أن تكون مع زوجها- وإذا لم تفعل، وقتها سيشعر أن له الحق في نسيانها.'





الجزء السادس حول العالم



١

إن السفر حول العالم كان دائمًا واحدًا من أكثر الأشياء إثارة في حياتي. وكان هذا السفر أو التنقل حول العالم مثير جدًا لي لدرجة أنني لم أكن اصدق أن هذا حدث لي في الواقع. وكنت اكرر لنفسني العبارة التي كنت أقول فيها "إنني أنتقل حول العالم". وكان التأكيد بالطبع عن الأجازه في هونولولو. إن الذهاب إلى جزيرة في البحر الجنوبي كان شيء اكبر من مستوي أحلامي. فمن الصعب للمرء أن يدرك ما يشعر به وقتها، فما يمكنه تذكره فقط هو ما يحدث هذه الأيام. فالرحلات والجولات السياحية للخارج كانت تعد من الأشياء الطبيعية وهذه الرحلات والتنقلات حول العالم ترتب بشكل معقول وغير مبالغ فيه من الناحية المادية حتى يكون كل واحد منا قادرًا على القيام بإحدى هذه الرحلات.

وعندما ذهبت أنا وارتشي للإقامة في البرانس سافرنا في قطار الدرجة الثانية وكنا جالسين طوال الليل. (فالسفر في قطار درجة ثالثة في السكك الحديدية الأجنبية كان يعد بمثابة الدرجة الثانية في السفينة أو في مركب ما. وفي الواقع- حتى في إنجلترا- فإن السيدات اللاتي يسافرن وحدهن لا يسافرن أبدًا في الدرجة الثالثة. فإذا قمت بالسفر في قطار الدرجة الثالثة فإنك تصادف أشياء اقل ما فيها أن تجد الكثير من الحشرات منها الجراثيم والقمل، وأيضًا الرجال السكارى وهذا طبقًا لم ذكرته لي جراني. فحتى الخادما لا يسافرن إلا في الدرجة الثانية. وكنا نسافر وتنقل من مكان لآخر في البرانس ونمكث في الفنادق غير المكلفة. وكنا نشك ونتساءل إن كان بإمكاننا أن نكون قادرين علي تحمل هذا في العام التالي أم لا.

والآن وقد لاح أمامنا جولة سياحية ترفيهية جميلة في الواقع. وقد رتب بيلشر كل شيء حتى يتم السفر في قطار الدرجة الأولى. فيكفي أننا سنسافر في مهمة من قبل الإمبراطورية البريطانية ولا يوجد شيء أفضل من ذلك لتكون ممن يطلق عليهم في هذه الأيام أشخاص مهمين للغاية.

كان السيد بيتس وهو سكرتير بيلشر جادًا في عمله. كان سكرتيرًا ممتازًا ولكن كان له مظهر الشخص الساذج في الميلودراما، كان ذو شعر اسود وعينين تلمعان ووجه غير سار بشكل عام.

وقد قال بيلشر عنه "إنه يبدو كالسفاح أو كقاطع الطريق، أليس كذلك؟" "فعندما تراه لأول وهلة تعتقد أنه سيزبحك في أي لحظة ولكنه بالفعل أفضل رفيق عرفته وأكثر الرجال احترامًا".

وقبل أن نصل إلى مدينة كيب تاون، كنا نتساءل كيف أن بيتس كان يتحمل أن يكون سكرتير بيلشر. فقد كان مرهقًا بشكل مستمر ولم ينقطع عن العمل في أي ساعة في اليوم أو في الليل. وقد كان يطور الأفلام ويكتب ويعد كتابة الخطابات التي كان بيلشر يغيرها طوال الوقت. اعتقد أنه كان يحصل على راتب جيد بالتأكيد- وخاصة انه لم يكن يحب السفر كثيرًا. وفي الواقع كان عصبيًا بدرجة كبيرة في المناطق الأجنبية وبصفة أساسية تجاه الثعابين. حيث كان لديه اقتناعًا أنها موجودة بكميات كبيرة في كل دولة نتجه إليها وفي أي مكان نزوره. كما كان لديه اعتقادًا أنها بانتظاره دائمًا لمهاجمته.

بالرغم من أننا بدأنا رحلتنا بمثل هذه الروح المعنوية العالية إلا أن استمتاعي بالرحلة كان قصيرًا جدًا. فقد كان الطقس رديئًا. ومن على متن السفينة ترى قلعة كالدونان وكأن كل شيء يبدو جميلًا بينما ترى خليج بيسكاي في أسوأ حالاته. وكنت نائمة في كوشي أعاني من دوام البحر، وظللت منهكة لأربعة أيام غير قادرة علي عمل أي شيء. وفي النهاية احضر ارتشي طبيب للسفينة كي يراني. ولا اعتقد أن الطبيب قد اهتم بحالي أو بدوار البحر الذي كان يصيبني وقتها بجدية. وقد أعطاني شيء يهدئي قليلًا ولكن بمجرد أن وصل هذا الدوار إلى معدتي أصبح المهدي لا فائدة منه. وأستمريت في تأوهاتي وآلامي وشعرت بأنني على وشك الموت وفي الواقع كان مظهري يدل على ذلك. حيث كان هناك سيدة داخل غرفة بالقرب مني والتي

اختلفت بعض النظرات إلي من الباب المفتوح وقامت بسؤال المضيفه باهتمام شديد: "هل السيدة التي في الغرفة التي بجواري ميتة؟. وقد تحدثت بجدية إلى ارتشي قائلة ذات مساء "متى سنصل إلى ماديرا؟" "إذا كنت ما زلت حية فسوف اخرج من هذه المركب".

فرد قائلاً "حسنًا. أتوقع أنك ستتحسنين قريبًا".

فقلت "لن اشعر بالتحسن أبدًا، يجب أن اخرج وأكون على الأرض وليس في البحر".

وقد أشار إلي "عليك أن تعودى إلى انجلترا حتى إذا خرجت من هذه المركب في ماديرا".

ثم قلت "لست في حاجة لذلك حيث يمكنني البقاء هناك، ويمكنني القيام ببعض الأعمال".

فسألني ارتشي "أي أعمال تقصدين؟"

وكان في الواقع غير مصدقًا حديثي عن العمل. كانت فرص العمالة للسيدات في تلك الأيام نادرة. وكانت النساء تعامل معاملة الفتيات التي في حاجة إلى دعم من شخص آخر أو الزوجات التي في حاجة إلى المساعدة من الرجل أو أيضًا السيدات الأرامل اللاتي ما زلن يعشن علي ما تركه لهن أزواجهن من أموال. ومن الممكن أن يعملن كرفيقات للسيدات الكبار سنًا أو يمكنهم الذهاب إلى الحضانات لرعاية الأطفال. ومع هذا فقد كان لدي إجابة على هذا الاعتراض فقلت "يمكنني أن اعمل في صالة استقبال. فأنا أحب أن أكون خادمة في صالة استقبال".

فالعاملات بهذه الوظيفة كانوا يتميزون بطول القامة. إن السيدة التي تتميز بهذا الطول لا يكون لديها أي مشكلة في العثور على وظيفة وكنت على يقين بأنني مؤهلة لهذه الوظيفة بصورة جيدة. كنت اعرف أي الزجافات من الخمر أضعها

على المنضدة واستطيع فتح وإغلاق الباب الأمامي. وأعرف كيفية تنظيف الفضية- حيث كنا دائمًا ننظف الأواني الفضية التي لدينا في منزلنا. وأيضًا اعرف كيف أنظف إطارات الصور الفوتوغرافية المصنوعة من الفضة في المنزل. كما يمكنني الانتظار على المنضدة بشكل معقول. وقلت له "نعم يمكنني أن اعمل في صالة"

فقال ارتشي "حسنًا. سوف نرى عندما نتجه إلى ماديرا".

وفي الوقت الذي وصلنا فيه كنت مريضة لدرجة أنني لم أكن قادرة حتى على النهوض من الفراش. في الواقع كنت اشعر بأن الحل الوحيد هو أن أظل في المركب وأموت في غضون اليوم التالي أو خلال يومين على الأكثر. وبعد أن وصلت المركب إلى ماديرا في غضون خمسة أو ستة ساعات، أصبحت فجأة في صحة جيدة إلى حد كبير. وكان الطقس في اليوم التالي لوصولنا إلى ماديرا جميل ومشمس وكان البحر هادئًا. وتعجبت وكان حالي مثل أي شخص يتعرض لدوار البحر. وفي النهاية لم يحدث أي شيء فلم أكن أعاني إلا من دوار البحر.

وليس هناك فجوة في هذا العالم مثل تلك الموجودة بين الشخص الذي يعاني من دوار البحر وشخص آخر لا يعاني منه. فكلًا الشخصين لا يفهم حالة الآخر. فلم أكن في هذا الوقت اشعر بساقي. وكان الجميع يطمئنوني ويخبروني أنني بمجرد أن أمضي الأيام الأولى القليلة سوف اشعر بعدها بتحسن. إلا أن هذا لم يكن صحيحًا. فقد كنت اشعر بألم شديد وأنني مريضة وبالتحديد عندما كانت المركب تتخبط، لكن عندما كنت اشعر بتحسن في الطقس وان الجو في حالة جيدة كنت أمضي وقتًا سعيدًا وأشعر بسعادة.

إن ذكرياتي عن مدينة كيب تاون أكثر وضوحًا من ذكرياتي عن أية أماكن أخرى، اعتقد لأنها كانت أول ميناء واقعي أصل إليه، وكان جيدًا وغريبًا. كان يتميز بالجبال المسطحة الشكل مع شروق الشمس والشواطئ الجذابة الجميلة والطقس الجميل، فقد كان كل شيء رائع وعلى ما يرام، ولم أعد لهنالك مرة أخرى- حقيقة لا

اعرف لماذا. فقد أحببت المكان كثيرًا. ومكثنا في أحد أفضل الفنادق. وكان بيلشر غير سعيدًا بالمكان وغير راضي عن الخدمة التي كانت تقدم في الوجبات وبالتحديد الفاكهة التي كانت تقدم في الإفطار حيث كانت غير ناضجة. وكان يقول لي "ماذا تسمي هذه خوخ! فيمكنك أن تضربها بقوة بعيدًا عنك ولن تصاب بأي أذى" والقي خمسة من ثمار الخوخ على الأرض "انظري إنها لا تنسحق. فيجب أن تسحق إذا كانت ناضجة جيدًا".

وكان لدي فكرة غامضة وقتها أن سفري مع بيلشر لن يكون سارًا ولن يسعدني كثيرًا.

هناك بعض الذكريات التي تظهر أمامي في ذاكرتي والتي ما زلت أتذكرها. الأوقات التي قضيتها والأماكن والأحداث التي وقعت والتي صادفتني. إن جنوب أفريقيا كانت تعني الكثير بالنسبة لي. ومن مدينة كيب تاون انقسمت المجموعة. فقد اتجه كل من ارتشي وهيام وسيلفيا إلى ميناء إليزابيث وكان عليهم أن يلحقونا مرة أخرى في رودسيا. واتجهت أنا وبيلشر والسيد هيام إلى مناجم الماس في كيمبرلي للالتحاق بالآخرين في سالسبيرى. وقد أخذتني ذاكرتي وأرجعتني إلى تلك الأيام في القطار الذي كان متجهًا إلى كارو شمالًا بلا توقف والتي شعرنا فيها بالعطش وكان معنا عصير الليمون المثلج. وأتذكر خط سكة حديد مستقيم في بوتسوانا. وهناك العديد من الأفكار الغامضة التي راودتني حول بيلشر وهو يهرب بيتس ويتناقش مع هيام. وقد تكومت الصخور هناك في شكل عملاق.

وفي سالسبيرى قضينا وقتًا ممتعًا وسارًا بين الشعب الانجليزي السعيد ومن هناك اتجهت أنا وارتشي في رحلة سريعة إلى شلالات فيكتوريا. وأشعر بالسعادة أنني لم أعود إلى هناك مرة أخرى، لذلك فإن ذاكرتي عن هذه الشلالات ما زالت ثابتة وغير متأثرة. كما كان هناك أشجارًا رائعة وضباب ناعمة وقطرات رقيقة من المطر وألوان قوس قزح التي كانت تجوب الغابة بأكملها وكنت أنا وارتشي نتجول في

الغابة، وبين الحين والآخر كانت ألوان قوس قزح تظهر لك بشكل رائع. نعم. فقد صنفت هذه الألوان كواحدة من عجائب الدنيا السبع.

ثم ذهبنا بعد ذلك إلى ليفينجستون ورأينا التماسيح وهي تسبح هناك وأفراس النهر أيضًا. وأثناء وجودي داخل قطار الرحلة اشتريت بعض الحيوانات المنحوتة المصنوعة من الخشب والتي كان يبيعها بعض الأطفال في العديد من المحطات المختلفة من السكان الأصليين للمكان، والذين كانوا يبيعون الواحدة منها بحوالي ثلاثة أو خمسة بنسات. وكانت هذه الحيوانات المنحوتة بالخشب الناعم رائعة وجميلة، وما زلت املك العديد منها مثلًا: الطباء الأفريقية والزرافات وأفراس النهر والحمار الوحشي وجميعها بسيطة وجميلة ذات سحر خلاب.

واتجهنا بعد ذلك إلى جوهانسبرج ولكن ليس لدي أي ذكريات عنها، ثم إلى بريتوريا والتي أتذكر فيها الحجر الذهبي للمباني المتحدة، ثم إلى ديربان والتي كانت محطة لي لأن هناك تسبح في مكان بعيد عن البحر المحاط بسياج. ولكن أكثر الأشياء التي استمتعت بها في مقاطعة كيب اعتقد كان الاستحمام. فحينما كان هناك فرصة لنختلس بعض من الوقت أنا وارتشي نأخذ القطار ونتجه إلى ميزنبرج ونأخذ معنا أدوات المزلاج وكنا نتزحلق علي الأمواج معًا. وكانت أدوات التزحلق في جنوب أفريقيا من الخشب الخفيف وسهلة في حملها وفي استخدامها علي الأمواج. وان الجزء الصعب فقط فيها هو أن تضع انفك تحت الماء إلى أسفل الرمال ولكن عمومًا كانت لعبة سهلة وتمثل متعة رائعة. وكنا نقضي العديد من الزهات ونحن جالسين على الكثبان الرملية. وأتذكر أيضًا الزهور الجميلة وبالتحديد في الأسقفية أو في القصر حيثما كان علينا الذهاب إلى حفلة ما. وكان هناك أيضًا حديقة حمراء وأخرى زرقاء ذات زهور طويلة زرقاء اللون. وكانت الحديقة الزرقاء وبالتحديد جميلة ذات خلفية من الرصاص الأسود.

وتعددت واستمرت الخيالات والتخيلات في جنوب أفريقيا والتي أبهجتنا كثيرًا. وكنا ضيوفًا لدى الحكومة داخل كل فندق ونتمتع بخدمة السفر المجاني في

القطارات في خطوط السكك الحديدية- لذلك فإن رحلتنا الشخصية إلى شلالات فيكتوريا لم تكلفنا الكثير من النفقات.

ومن جنوب أفريقيا أبحرنا إلى استراليا. وكانت رحلة بحرية طويلة إلى حد كبير. وكانت تعد بمثابة لغزًا بالنسبة لي حيث أن القبطان قد شرح لنا لماذا اقصر طريق إلى استراليا هو أن نتجه أسفل تجاه القطب ثم إلى أعلى مرة أخرى. وقام بعمل العديد من الرسومات التوضيحية والتي أقنعتني أخيرًا. ولكن من الصعب أن نتذكر أن الأرض دائرية كروية وعلمها أقطاب مسطحة. إنها حقيقة جغرافية ولكنك لا تقدر النقطة هذه في الحياة الواقعية. ولم يكن هناك الكثير من شروق الشمس ولكنها كانت رحلة بحرية هادئة وسارة وجميلة إلى حد كبير.

وكان يبدو دائمًا لي من الغريب أن الدول لا يتم وصفها لك أبدًا من ناحية تجعلك تتعرف عليها عندما تزورها. في الواقع إن ما روعني كثيرًا في استراليا عندما آتيننا إلى ملبورن هو ذلك المنظر الرائع للأشجار وأشجار الصمغ الاسترالية الرائعة التي شكلت جمالًا للمناظر الطبيعية. في الواقع فإن الأشجار تعد دائمًا أولى الأشياء التي تلفت نظري وتجذبني في الأماكن وهناك شيء آخر أيضًا وهو شكل التلال. ففي انجلترا كنا معتادين على شكل الأشجار التي لها جذوع سوداء اللون وفروع ذات أوراق فاتحة اللون، أما العكس فكان في استراليا التي كانت مذهلة إلى حد كبير. فالفشور الفضية البيضاء في كل مكان والأوراق الداكنة اللون والتي تجعلك ترى الصورة السلبية للصورة الفوتوغرافية. وكانت هذه تعكس الشكل الكلي للمنظر الطبيعي. أما الشيء الثاني الذي كان مثيرًا لي هو الببغاء الضخمة: وكانت ألوانها الأزرق والأخضر والأحمر وتطير في الهواء بتجمعات كبيرة ورائعة. وكانت ألوانها رائعة تشبه المجوهرات أو الحلي الطائفة.

ومكثنا في ملبورن لوقت قصير وقمنا بالعديد من الرحلات من هناك. أتذكر إحدى هذه الرحلات علي وجه الخصوص بسبب وجود نبات السرخس والأشجار

الهائلة. وهذا النوع من خضرة الغابات الاستوائية كان أخرشيء أتوقعه في استراليا، والتي وكانت جميلة وأكثر إثارة. أما الطعام فلم يكن جيد بالدرجة الكافية باستثناء داخل الفندق في ملبورن حيث كنا نأكل اللحم البقري أو الديك الرومي. وكانت أماكن المرحاض الصحي محيرة قليلاً بالنسبة للنظام الفيكتوري. إن السيدات في الحفلة كانوا يدخلون إلى غرفة ما حيث يكون داخلها اثنان من السلال في منتصف الغرفة بمعزل عن بعضهما وجاهزة لاستخدامها عند الحاجة. ولم يكن هناك خصوصية وكان الوضع صعب إلى حد كبير....

إن الخطأ الاجتماعي الذي ارتكبته في استراليا ومرة أخرى في نيوزيلندا يتمثل في أخذ مكاني على المنضدة. وكان دائماً يتم استقبالنا من قبل المسئول أو في الغرفة التجارية في العديد من الأماكن التي زرناها. وحدث هذا الشيء أول مرة ذهبت فيها فقد اتجهت بكل براءة للجلوس بجانب الرئيس. ونظرت لي إحدى النساء نظرة سيئة وقالت: "اعتقد يا مدام كريستي انك تفضلين الجلوس بجوار زوجك". فأسرعت لاتخاذ مكاني بجوار ارتشي. إن تنظيمات الاجتماعات وقتها كانت تقتضي بأن تجلس كل زوجة بالقرب من زوجها أو بجواره. ونسيت هذا البروتوكول مرة أخرى في نيوزيلندا ولكن بعد ذلك عرفت مكاني وذهبت لأجلس فيه.

ومكثنا في نيوزاوث ويلز في محطة اعتقد أنها تسمى يانج حيث أتذكر أن هناك بحيرة رائعة بها طيور سوداء اللون تسبح بها. وكانت هذه صورة جميلة رائعة. وبينما كان كلا من بيلشر وارتشي مشغولان في تحديد مطالب الإمبراطورية البريطانية- منها الهجرة داخل الإمبراطورية وأهمية التجارة الداخلية وغيرها من الموضوعات- تم السماح لي بقضاء يوم سعيد بالجلوس في بساتين البرتقال. وكان لدي كرسي طويل وجميل وكان شروق الشمس رائعاً وعلي قدر ما أتذكر فقد أكلت وقتها ثلاثة وعشرين برتقالة-وكنت انتقي الأفضل من على الشجرة التي كانت تحيطني. إن ثمار البرتقال الناضجة كانت تسقط من على الشجرة مباشرة وهي أفضل الأشياء وأحسنها مذاقاً في تخيلها. وقمت بالعديد من الاستكشافات عن

الفاكهة. الأناناس، مثلاً، كنت دائماً أفكر به وهو معلق على الشجرة. وكنت مندهشة لأنه كان هناك حقلاً ضخماً كنت اعتقد انه مليئاً بثمار الملفوف وفي الواقع كان مليئاً بثمار الأناناس. وكان هذا محبطاً لي. حيث كانت تبدو أنها طريقة مبتذلة لزراعة مثل هذه الفاكهة حلوة المذاق وذكية الرائحة.

وكان هناك جزء من رحلتنا بالقطار ولكن جزء كبير منها أيضاً كان بالسيارة. وخلال مرورنا بهذه الأراضي الممتدة الواسعة والمسطحة الهائلة والتي لا يقطعها شيء سوى طواحين الهواء، أدركت كم هي مخيفة وكم من السهل أن تضل هناك. وكانت الشمس مرتفعة فوقك لدرجة انك لا تستطيع أن تحدد اتجاهاتك من حيث الشمال والجنوب أو الشرق والغرب. فلم يكن هناك أي علامات في الأرض لترشدك لطريقك. ولم أتخيل أبداً في حياتي صحراء مثلها- ولم يخطر في بالي أبداً صحراء رملية كهذه- ولكن يبدو انك من الممكن أن تجد علامات في الأرض لترشدك إلى أماكن أخرى أكثر من تلك الموجودة في أراضي استراليا.

وذهبنا إلى سيدني حيث قضينا وقتاً سعيداً ولكننا عندما سمعنا عن كل من سيدني وريو دي جانيرو فكأنما سمعنا عن أجمل ميناءين في العالم كما كنا نتخيل، ولكنني وجدت هذا محبطاً. فقد توقعت الكثير والكثير عنهما. ولحسن الحظ لم اذهب أبداً إلى ريو دي جانيرو ولذلك يمكنني أن أضع تخيلاً لها وان أصنع لها صورة في خيالي.

وكنا في سيدني عندما تواصلنا أول مرة مع عائلة بيل. فوقتما أفكر في استراليا يأتي إلى عقلي دائماً التفكير في عائلة بيل. سيدة شابة اقتربت مني ذات مرة في إحدى الأمسيات في فندق في سيدني وقدمت نفسها إلي على أنها اونا بيل، وذكرت أنهم جميعاً قد أتوا للإقامة في محطتهم في كوينزلان في نهاية الأسبوع التالي. ولأن كلا من ارتشي وبلشر قد اقترحا فكرة التجول حول المحلات الموجودة في المدينة أولاً، فقد تم ترتيب الأمور على أنني أصل إلى محطة عائلة بيل في كوشين وانتظر وصولهما هناك.

وقد قمنا برحلة طويلة في القطار علي قدر ما أتذكر-لساعات طويلة- وكنت مرهقة للغاية. وفي النهاية وصلنا إلى كوشين بالقرب من **بونا في كوينزلاند**. وكنت اشعر بالنعاس وقتها عندما فجأة رأيت مشهدًا للحياة ملئ بالحيوية والمرح. غرف بها مصابيح مضاءة وكانت مليئة بفتيات جميلات يجلسن بها يعرضون عليك بعض المشروبات- الكاكاو والقهوة وأي شيء تريده- وجميع هؤلاء الفتيات يتحدثن في وقت واحد ويضحكن جميعًا. وكان يبدو لي أن أفراد عائلة **بيل** عددهم حوالي ستة وعشرين. وفي اليوم التالي وجدت أربعة من الفتيات وعدد مساوي من الأبناء. وكانت الفتيات جميعًا تشبهن بعضهن البعض إلى حد كبير باستثناء **اونا** التي كانت سمراء البشرة. وباقي الفتيات كانوا جميلات وذات وجوه طويلة إلى حد ما ويتميزن جميعًا بحركة جميلة ويبدو جميعًا كفتيات نشيطات يملئن الحيوية والنشاط.

لقد كان أسبوعًا رائعًا. وكانت الفتيات في عائلة **بيل** يتمتعن بقدرة هائلة علي الحيوية والنشاط والسرعة. وكان هناك الأولاد الأشقياء وهم **فيكتور** الذي كان وسيماً ومبهجاً- و**بيرت** والذي تميز بأنه أكثر صلابة- و**فيريك** وكان هادئاً ومغرمًا بالموسيقى، واعتقد أن **فيريك** هو الذي جذبني إليه وبدأت بالإحساس العاطفي تجاهه. وبعد مضي أعوام التحق بي ابنه **جيلفورد** حينما كنا أنا وزوجي **ماكس** في استكشافاتنا الأثرية في العراق وسوريا، والذي ما زلت اعتبره كابني.

وكانت الشخصية المسيطرة في عائلة **بيل** هي الأم **بيل**، وهي أرملة للعديد من السنوات. وكانت تتميز بشيء من جمال الملكة فيكتوريا-لها شعر رمادي وهادئة الطباع ولكنها ذات سلطة، كانت تحكم المنزل بديكتاتورية مطلقة ويتم التعامل معها كما لو كانت من أسرة ملكية.

ومن بين العديد من الخادومات المختلفة والعديد من عمال المحطة والمعاونين بصفة عامة وغيرهم، كان هناك واحدًا أو اثنان من السكان الأصليين. وقد قالت لي **ايلين بيل** الأخت الأصغر في عائلة **بيل** في أول صباح هناك "عليك أن تري سوزان"

فسألتها "من سوزان هذه؟" فقالت "حسنًا، إنها واحدة من السمراوات. نعم هن دائماً يدعون السمراوات. إنها واحدة من السكان الأصليين وهي ماهرة في المحاكاة". وبعد فترة أتت فتاة في مظهرها كأنها ملكة وتشبه السيدة بيل، وقامت بمحاكاة العديد من الأشياء للفتيات وقلدت بعض الأشياء لأخواتها وللأطفال والخيول حيث كانت ممثلة صامتة واستمتعت كثيرًا بعرضها. وقامت بالغناء أيضًا.

وقالت الين: "هل خرجت أُمي لتلقي نظرة علي النساء؟" لكن سوزان هزت رأسها نفيًا وقالت الين "هي لا تقلد أُمي أبدًا" وترى أن هذا غير محترمًا ولا تقوم بعمل مثل هذا الشيء".

لدى الين العديد من حيوانات الكنجارو الصغيرة والعديد من حيوانات الوب، وأعداد كبيرة من الكلاب وصف من الخيول. وقد حثني جميع أفراد عائلة بيل أن اركب هذه الخيول ولكنني اعتقد أن خبرتي الصغيرة في ديفون لا تؤهلني من أن أكون فارسة كفاء. بالإضافة إلى أنني كنت دائماً في حالة عصبية من ركوب الخيل الخاصة بآخرين لأن هذه الخيول من الممكن أن تتعرض لأذى بسببي. لذلك اتجهنا إلى العديد من الأماكن بالسيارة. وكانت خبرة مثيرة لي أن أرى الماشية تحيط بنا، وأيضًا جميع أوجه ومجالات الحياة المتنوعة. إن عائلة بيل تبدوا أنها كانت تمتلك جزء كبير من كوينزلاند وقد ذكرت لي الين انه إذا كان لدينا الوقت الكافي فستأخذني لكي أرى المحطة الخارجية والتي كانت أكثر برية. وكانت جميع فتيات عائلة بيل يتحدثن باستمرار دون انقطاع. وكانوا يوقرون أشقائهم بدرجة كبيرة. ودائمًا يذهبون إلى العديد من المحطات المختلفة وإلى العديد من الأصدقاء الكثيرين، وأيضًا إلى سيدني وكانوا يعقدون اجتماعات مع العديد من أصدقائهم من الشباب الذين كانوا من فئات مختلفة.

وصل كلا من ارتشي وبلشر وكان لدينا عطلة نهاية الأسبوع التي تتسم بالبهجة والسرور مع العديد من الهوايات وأوجه وطرق التسلية غير العادية، والتي كانت تمثل في العروض الجميلة داخل القطارات والذي سمح لي أن أقود فيها الموتور

لدقائق قليلة. وكان هناك أيضًا حفلة الغذاء الاسترالي البهيج. وكانت الحفلة مليئة بمظاهر الطعام الجميل والمشروبات. وكان البعض قد تناول بعض الخمر ولذلك عندما جاء دورهم في قيادة المحرك كنا في خوف من الخطر المميت، حيث كان البعض يقود بسرعات عالية وجنونية.

وودعنا أصدقائنا بحزن كبير وقلنا الوداع إلى نسبة كبيرة منهم، حيث أن نسبة كبيرة منهم كان عليهم الالتحاق بنا في سيدني. وكان لدينا لمحة موجزة عن الجبال الزرقاء ومرة أخرى اندهشت دهشة كبيرة من شكل المناظر الطبيعية الملونة والتي أعطتني إحياء بأنني لم أرى أية مناظر طبيعة ملونة أخرى في حياتي. وفي المسافات الأخرى كانت التلال تبدو زرقاء- أو زرقاء زرقاء الكوبالت وليس الأزرق الرمادي الذي يميز التلال. وكانت تبدو كما لو وضعت جزء من ورق الرسم مباشرة على صندوق التلوين.

كانت استراليا إلى حد كبير متحمسة للمهمة البريطانية. فكان كل يوم يحدث فيها العديد من الأحاديث والعشاء والغذاء والعديد من الاستقبالات والحفلات الطويلة التي كانت تقع في العديد من المناطق المختلفة. وفي ذلك الوقت عرفت كل أحاديث بلشر وحفظتها عن ظهر قلب. فقد كان بلشر ماهرًا في التحدث وفي قول أي شيء بعفوية وتلقائية وحماس. وكان ارتشي علي النقيض، فكان يتصف بالحصافة الشديدة. وفي جنوب أفريقيا كان ارتشي يشار إليه في الجريدة علي أنه مدير بنك إنجلترا. ولم يذكر أي شيء متناقض مع هذا وكان في نظر الجريدة حاملًا لهذا اللقب كمدير بنك إنجلترا.

ومن استراليا اتجهنا إلى تسمانيا من لونسيستون إلى هوبارت. وفي الواقع كانت هوبارت جميلة بطريقة لا تصدق، وكانت تتسم ببحرها الأزرق الداكن ومينائها وزهورها وأشجارها وشجيراتنا. وقد كنت قد خططت إلى أن أعود وأعيش هناك يومًا ما في المستقبل.

ومن هوبارت اتجهنا إلى نيوزيلندا. وأتذكر هذه الرحلة جيداً، حيث وقعنا في براثن رجل يعرف بيننا جميعاً علي انه "المجفف". وكان هذا في الأيام التي كانت تسود فيها فكرة تجفيف الطعام. فهذا الرجل لم ينظر إلى أي طعام إلا وفكر في تجفيفه، وكان في أي وجبة يتم إرسال العديد من الأطباق الممتلئة من منضدته إلى مناضدنا والتي فيها يطلب منا أن نصنع أطباق مثل أطباقه. وقد أعطانا أطباقاً من الجزر المجفف والبلح وأنواع عديدة من الطعام.

وقد قال بلشر "إذا كان علي التظاهر بأنني أتناول المزيد من الطعام من أطباقه التي يرسلها إلينا فإنني سأصاب بالجنون". ولكن لان المجفف كان ثرياً وقوياً وباستطاعته أن يثبت انه مفيد لعرض الإمبراطورية البريطانية فإن بلشر كان عليه أن يتحكم في انفعالاته ومشاعره ويستمر في استقبال الأطباق المجففة من الجزر والبطاطس.

وفي تلك الأيام فإن العديد من وسائل الراحة التي كانت في السفر لم تظل كذلك. ولم يعد بلشر صديقنا الذي كان يبدا رقيقاً ساراً للغداء. فقد أصبح متعرجاً ووقحاً ومتهور ومتعنتاً في أتفه الأشياء. مثلاً، كان يرسلني لشراء بعض الجوارب البيضاء القطنية أو بعض من الأشياء الضرورية الأخرى من الملابس الداخلية ولم يكن يدفع لي ثمن أي أشياء أشتريها له.

وإذا تسبب أي شيء في حالة مزاجية سيئة له، كان من المستحيل لأي شخص إخراجه من هذه الحالة. وكان يتصرف كما لو كان طفلاً مغروراً. كان الشيء الجذاب في شخصيته هو انه عندما يستعيد حالته المزاجية الجيدة يمكنه أن يظهر لنا حالته الأولى من الهدوء والسعادة لدرجة أننا ننسى ما حدث من ضيق ونستعيد أوقاتنا السارة مرة أخرى. وكان من أهم سماته عندما يكون في حالة سيئة يبدأ في الانتفاخ ببطء ويتحول وجهه إلى اللون الأحمر ويشبه الديك الرومي. ثم بعد ذلك عاجلاً أو آجلاً يندفع إلى الجميع بحركة فجائية. ولكنه عندما يكون في حالة مزاجية

جيدة يقص علينا العديد من القصص الخاصة بالأسود والتي يكون له فيها إسهامًا كبيرًا.

ما زلت أفكر في نيوزيلندا علي أنها من أكثر الدول جمالًا التي رأيته في حياتي في مناظرها الطبيعية ومعالمها غير عادية. وكنا ذات يوم في ويلنجتون وقمت بتجميع العديد من الذكريات في هذا المكان. وذهبنا إلى نيلسون ثم للجزيرة الجنوبية. كان في كل مكان هناك جمال الريف رائعًا ومذهلاً. ثم أقسمت وقتها أنني سأتي مرة أخرى يومًا ما في الربيع وأرى جميع الحقائق الجميلة المليئة بالزهور الحمراء والذهبية اللون. ولكني لم أقم بمثل هذا الشيء لأن نيوزيلندا كانت بالنسبة لي في الغالبية العظمى من حياتي تمثل مكانًا بعيدًا للغاية. والآن ومع الهواء الجميل في السفر فإنها لا تستغرق سوى حوالي يومين أو ثلاثة في رحلتها ولكن أيام سفري قد انتهت.

وكان بلشر مسرورًا لإعادته مرة أخرى إلى نيوزيلندا. فقد كان له العديد من الأصدقاء هناك. وكان سعيدًا كما لو كان تلميذًا صغيرًا في المدرسة. وعندما غادرت أنا وارتشي إلى هونولولو منحنا مباركته وحفزنا على أن نمتع أنفسنا. وكانت تمثل الجنة بالنسبة له حيث انه ليس لديه أية مهام يقوم بها. وكانت هذه الرحلة تتسم بالكسل وتوقفنا في فيجي والعديد من الجزر الأخرى وأخيرًا وصلنا إلى هونولولو. وكانت بعيدة كل البعد عما تخيلناه ومليئة بالفنادق والطرق والسيارات. ووصلنا في الصباح الباكر ودخلنا إلى غرفنا في الفندق وكنا نشاهد من خلال النافذة الناس الذين يسبحون ويتزحلقون على الشاطئ، واندفعنا وأخذنا معدات التزلج ودخلنا إلى البحر. وكنا بالطبع نتزحلق بكل براءة. وكان يومًا سيئًا للتزلج- فقد كان يومًا من الأيام التي كان فيها الخبراء هناك، وكنا نعتقد أننا نعرف الكثير عن هذا الموضوع. ولكن في الواقع كان هذا الأمر مختلفًا تمامًا في هونولولو. إن أداة التزلج مثلًا مصنوعة من الخشب وثقيلة جدًا لدرجة أنك لا تستطيع رفعها. وأنت تستعملها وتتجه ببطء نحو سلسلة الصخور القريبة من سطح الماء والتي كانت تبعد حوالي ميل. وعندما تتجه إلى هناك تضع نفسك في موضع مناسب وتنتظر

للموجة المناسبة حتى تأتي وتدفعك خلال البحر إلى الشاطئ. إن هذا ليس سهلاً كما يبدو. أولاً عليك أن تدرك الموجة عندما تأتي، وثانياً ما هو أهم من ذلك عليك أن تعرف الموجة الخاطئة عندما تأتي لأنها إذا أمسكت بك ودفعتك أسفل إلى القاع، فإنك لن تجد غير السماء لتنفذك!

ولم أكن سباحة ماهرة مثل ارتشي، ولذلك فقد استغرقت وقتاً أطول للاتجاه نحو الصخور. وقد فقدت رؤيته في ذلك الوقت، ولكنني افترضت انه اندفع إلى الشاطئ بطريقة مهمة مثلما كان يفعل الآخرين. ولذلك أعددت نفسي على لوح التزحلق الخاص بي وانتظرت حتى تأتي موجة مناسبة. أولاً عندما أتت الموجة أخذتني إلى اتجاه عنيف في المنتصف. وعندما وصلت إلى سطح الماء مرة أخرى بدأت أتنفس وبدأت في بلع كمية كبيرة من الماء المالح، ورأيت اللوح الخشبي الخاص بي يطفو على بعد نصف ميل تقريباً مني متجهاً نحو الشاطئ. وبعد هذا بدأت في السباحة. وكان هناك رجلاً أمريكي حياني قائلاً "حسناً يا أختي فإذا كنت مكانك، فلن أتي إلى التزحلق اليوم. فالفرصة اليوم سيئة بالنسبة لك. فعليك أن تأخذي هذه اللوح الخشبية للتزحلق وتوجهي نحو الشاطئ الآن" وقد اتبعت نصيحته.

وقبل أن أسير مسافة طويلة التحق ارتشي بي. وكان بعيداً عن اللوح الخاص به. ولأنه سباح ماهر وقوي فقد تخلص من هذا بشكل أسرع. وقام بمحاولتين إضافيتين ونجح في القيام بالجري الجيد. وبحلول هذا الوقت أصبحنا مرهقين. واعدنا الألواح الخشبية للتزحلق إلى الشاطئ ودخلنا إلى غرفنا واتجهنا إلى الفراش. ومننا لحوالي أربع ساعات ولكننا كنا ما زلنا متعبين عندما استيقظنا. وقد قلت لـ "أرتشي بشك" اعتقد أن التزحلق على الأمواج يمنح الكثير من السرور؟ ثم تهتدت وقلت "أتمنى أن أعود إلى ميزنبرج".

والمرة الثانية التي دخلت فيها إلى الماء حدثت لي كارثة. إن رداء الاستحمام الحريري الجميل الخاص بي الذي كان يغطيني من كتفي إلى الكاحل قد تمزق لقوة

الأمواج. وكنت تقريبًا عارية وقمت بعمل لفة لأصل إلى الشاطئ. وكان علي الذهاب مباشرة لمحل تابع للفندق لاشتري رداء جديد للاستحمام من الصوف الأخضر اللون والذي كان رائعًا، وكان هذا الرداء هو متعة في حياتي كلها. كنت اعتقد أنني اظهر فيه بشكل رائع واعتقد أن ارتشي أيضًا كان له نفس الرأي فقد قال لي أنني ابدوا فيه رائعة الجمال.

وقضينا أربعة أيام من الرفاهية العالية في الفندق، ثم بعد ذلك كان علينا أن نبحث عن شيء أقل تكلفة. وفي النهاية قمنا بتأجير شاليه صغير في الجانب الآخر من الطريق من الفندق. وكان تقريبًا حوالي نصف التكلفة. وقضينا باقي أيامنا في الشاطئ وفي التزحلق على الماء وشيئًا فشيئًا تعلمنا كيف نكون خبراء في ذلك. وقطعنا لأنفسنا بعض من الأشرطة حتى اشترينا لأنفسنا بعض من الأحذية من الجلد الناعم لكي نرتديها.

ولا يمكنني القول بأننا استمتعنا بأول أربعة أو خمسة أيام من التزحلق-حيث كانت هذه الأيام مؤلمة-لكن كان هناك بين الحين والآخر لحظات من الاستمتاع. ثم تعلمنا سريعًا أن نقوم بهذا النشاط بسرعة وسهولة. وأخيرًا تمكنت من ذلك-إن ارتشي كان يصل إلى الصخور بمجهوده. إن الغالبية العظمى من الناس كان لديهم غلامًا من هاواي يساعدهم للسحب من على اللوح الخشبي. ثم بقيت تنتظري لتدفعي لوحك الخشبي حتى يعطيك الغلام التعليمات "لا ليس هذا، ليس هذا.. لا انتظر الآن" وتظل تتبع تعليماته في السير والتوقف حتى تصل برفق إلى الشاطئ من بين الموجات الرقيقة الناعمة. إنها واحدة من أكثر المرات سعادة التي عشتها في حياتي.

وبعد عشرة أيام بدأت في التجول أكثر. فبعد أن بدأت أسير بحرص بركبتي علي اللوح أحاول أن أقف. وبدأت أول ستة مرات اشعر بالآسي ولكن هذا لم يكن مؤلمًا-فأنت لا تفقد إلا توازنك وتقع من على اللوح الخشبي. وبالطبع فأنت فقدت

لوحك الخشبي والذي يعني لك أن تسبح سباحة متعبة. ولكن لحسن الحظ فإن الغلام المساعد الذي تحدثنا عنه نهض لمساعدتك. وسحبك مرة أخرى لتحاول مرة إضافية أخرى. أوه! إن لحظة الانتصار الكامل في اليوم الذي استطعت فيه أن أحفظ توازني وآتي على الشاطئ أقف بجانب لوح الخشبي!.

وأثبتنا أنفسنا كمبتدئين بطريقة أخرى لها نتائج غير مرضية. ولأننا كنا مبليين في الماء ونشعر بالبرد لم ندرك ما يمكن للشمس أن تفعله بنا. في الواقع، من الأفضل التوجه للتحلق على الماء في الصباح الباكر أو مؤخرًا بعد الظهر، ولكننا كنا نتوجه للتحلق في منتصف اليوم بسعادة- وفي وقت الظهر ذاته- وكانت النتائج واضحة. كنا نشعر بالكثير من الآلام في الظهر والأكتاف طوال الليل-وأخيرًا بعض التقرحات في الجلد. وكنا نشعر بخجل للتوجه كي نتناول العشاء في ثوب المساء. فكان علي أن أعطي أكتافي. وكنت ارتدي قميصًا أبيض فوق ذراعي وأكتافي. وجلسنا في الشمس نحاول أن نتجنب أشعتها المحرقة. ولكن لم يمنع هذا أننا عانينا من الكثير من الحروق على أكتافنا والتي استغرقت وقتًا طويلاً في الشفاء.

إن شالينا الصغير المتواضع كان محاطًا بأشجار الموز-ولكن الموز كان مثل ثمار الأناناس محببًا. فقد تخيلت أن تمسك يد ما بالأشجار حتى تسقط ثمار الموز منها كي نتناولها. إن الموز لم يكن مثل ذلك الموجود في هونولولو. فقد كان مصدرًا هامًا للفائدة وكانت هذه الثمار تقطع دائمًا وهي خضراء. وبالرغم من هذا، فإننا يمكننا أن نستمتع بتناول ثمار الموز مباشرة من على الأشجار بتشكيلة رائعة. وأتذكر نيرسي عندما كنت طفلة صغيرة في الثالثة أو الرابعة وكانت تصف الموز لي في الهند والفرق بين نبات موز الجانة الكبير في حجمه وغير القابل للأكل وثمار الموز الصغيرة الحجم ذات الطعم اللذيذ. إن هونولولو كان بها عشرة من أنواع الموز المختلفة. فقد كان هناك ثمار الموز الحمراء وثمار الموز الضخمة والثمار الصغيرة التي تسمى موز الايس كريم والتي لونها أبيض وغيرها من أنواع الموز الأخرى. إن موز التفاح هو نكهة أخرى. في الواقع أنك تكون في حيرة أي نوع من الثمار تتناولها.

إن سكان هاواي أنفسهم كانوا محبطين إلى حد ما. وقد تخيلتهم مخلوقات ذات جمال فاتن. كما أن الوجبات من شرائح اللحم الساخن لم نتخيلها مطلقاً. فقد فكرت دائماً أن البولنديين كانوا يعيشون على الثمار الجميلة لذينة الطعم من كل الأنواع. ولكن حينهم للحم البقري قد أدهشني.

أوشكت الأجازة على الانتهاء وكان لدينا نمواً مالياً قليلاً. إن هونولولو كانت تتسم بأنها باهظة في أسعارها. فجميع ما نأكله أو نشربه يتكلف حوالي ثلاثة أضعاف ما تعتقده. فكل شيء مكلف هناك بداية من تأجير اللوح الخشبي للترحلق حتى الدفع للغلام الذي يساعدك في عملية الترحلق. فوقتها كان كل شيء يسير علي ما يرام ولكن الآن حانت اللحظة لقلق ينتابنا بخصوص المستقبل. أما بالنسبة لأجرة رحلة السفر في البحر التي قمنا بها فقد تم دفعها بالفعل ولذلك لا يوجد قلق بالنسبة لذلك. فيمكنني الذهاب إلى كندا ويمكنني الرجوع إلى إنجلترا. ولكن ما تزال هناك نفقات كثيرة لي خلال جولاتي ورحلاتي عبر كندا. فكيف أتحكم في كل هذا؟ وبالرغم من هذا فقد دفعنا كل هذا الشعور بالقلق خارج عقولنا واستمرينا في عملية الترحلق.

كانت هذه العملية مزعجة إلى حد كبير حيث أنني شعرت بالألم في رقبتني وفي كتفي وبدأت في الاستيقاظ كل صباح حوالي الخامسة وأنا اشعر بالألم لا يمكن تحمله في كتفي الأيمن وذراعي. وكنت أعاني من التهاب الأعصاب بالرغم من أنني لم اسمي هذا الألم بذلك الاسم. فإذا كنت اشعر بأي شعور على الإطلاق فكان يجب علي أن أتوقف عن الترحلق على الأمواج ولكني لم أفكر أبداً في مثل هذا الشيء. فلم يتبقي إلا ثلاثة أيام للذهاب ولم استطع تحمل تضيق أي لحظة. وتزحلق على الماء ووقفت على لوح الخشبي أحاول أن اعرض شجاعتي وبراعتي للنهاية. والآن لا يمكنني النوم ليلاً مطلقاً بسبب الألم الذي أعاني منه. وبالرغم من هذا فما أزال ينتابني شعور بالتفاؤل أن هذا الألم سينتهي قريباً بمجرد أن أغادر هونولولو وأتوقف عن الترحلق على الأمواج. فكم كنت مخطئة. فقد كنت أعاني من التهاب

عصبي وأيضاً ألم لا يمكن تحمله لمدة تتراوح ما بين الثلاثة أسابيع التالية والتي امتدت حتى شهر.

كان بلشر بعيداً كل البعد عن التحسين عندما تقابلنا ثانية. فبدا يحقد علينا لأجارتنا. فقد قال "مضي كل هذا الوقت ولا نصنع فيه أي شيء. إنها طريقة غير عادية لعدم القيام بأي شيء والقيام بدفع مبالغ مالية للناس دون القيام بعمل أي شيء!" وقد تجاهل حقيقة أنه هو نفسه قد قضى وقتاً طويلاً في نيوزيلندا وقد ندم علي ترك أصدقائه.

ولأنني كنت اشعر بالألم مستمر. فقد ذهبت لزيارة الطبيب. والذي لم يكن متعاوناً على الإطلاق. فقد أعطاني بعض المراهم لأضعها في تجويف مرفقي عندما يشتد بي الألم. كان المراهم يشبه الفلفل وتأثيره حارق على جلدي، ولم يريح الألم مطلقاً. وكنت بائسة وأشعر بالألم. فقد كان الألم في مرفقي يزيد كل صباح وقد اعتدت أن استيقظ من فراشي وأسير حيث أن هذا كان يجعل الألم محتملاً. فقد كان يذهب لساعة أو اثنتين ثم يعود بتأثير مضاعف.

وكان الألم شديد وله تأثيراً علي اضطراباتنا المادية. كنا نعاني مالياً حيث أن ارتشي على وشك أن ينتهي من صرف مبلغ الـ ١٠٠٠ دولار، وكان ما يزال هناك ثلاثة أسابيع لكي تنقضي. وقررنا أن الشيء الوحيد هو أنني امتنع عن السفر إلى نوايا سكوشيا ولابرادور وبدلاً من ذلك علي الذهاب إلى نيويورك بمجرد أن ينفذ المال. ثم بعد ذلك يمكنني أن أعيش مع خالتي كاسي أو ماي بينما يكون كلا من ارتشي وبلشر في استكشاف والتفتيش عن صناعة الفضة.

وحتى في هذا الوقت لم تكن الأمور سهلة. فكان يمكنني تحمل البقاء في الفنادق ولكن الوجبات هي التي كانت باهظة التكاليف. ومع هذا فقد اعتمدت على خطة إلى حد ما جيدة: فكننت اجعل الإفطار هو الوجبة الأساسية لي. إن الإفطار كان يتكلف دولاراً واحداً - حوالي أربعة شيلينات بالعملة الانجليزية في ذلك الوقت.

ولذلك كنت أتناول الإفطار في المطعم وكنت اطلب كل الأشياء الموجودة في قائمة الطعام. إن هذا كان يمثل اعتدالاً أو يمكن القول بأنه جيد. فكنت اطلب جري فروت وأحياناً كنت اطلب ثمار البباو وكذلك فطائر الحنطة السوداء وبعض الكعكات والبيض وبعض من لحم الخنزير. وكنت انهض من على وجبة الإفطار وأنا اشعر كأني حية عاصرة متخمة بالطعام. ولكنني نجحت في أن اجعل هذا يستغرق حتى المساء.

وقد حصلنا على العديد من الهدايا خلال إقامتنا في **دومينوز**: من هذه الهدايا سجادة زرقاء اللون جميلة وعليها رسومات حيوانات لابتي **روزلن**، والتي كنت أتطلع لوضعها في حضانتها، والعديد من الأشياء الأخرى المتنوعة-منها مثلاً الاشارات وسجادة بريطانية وغيرها. وكان من بين هذه الهدايا جرة ضخمة من اللحم حصلنا عليها من نيوزيلندا. وقد قمنا بحمل هذه الجرة معنا. وأنا اشعر بالامتنان والشكر الآن لحملنا وإحضارنا هذه الجرة معنا لأنني كنت اعتمد عليها للدعم الغذائي. وكنت أتمنى من كل قلبي أن استطيع القدرة علي تملق المجفف لدرجة أن يعطينا كميات كبيرة من الجزر المجفف والبيفي والطماطم والعديد من الخضراوات اللذيذة.

عندما كان يذهب كلا من **ارتشي وبلشر** إلى تناول غدائهم في الغرفة التجارية، أو حينما يكونوا في غذاء رسمي، أذهب إلى فراشي وأدق الجرس وأذكر أنني اشعر ببعض الإرهاق واطلب جرة من الماء المغلي كعلاج لعسر الهضم الذي أعاني منه. وعندما يتم إحضارها لي كنت أضيف بعض من اللحم وأغذي نفسي على هذا الطعام حتى الصباح. وكانت هذه الجرة رائعة وبقيت معي حوالي عشرة أيام. وفي بعض الأحيان بالطبع كانوا يطلبون مني أن اخرج لتناول وجبة الغذاء أو العشاء. وكنت محظوظة بشكل كبير في **وينيبيج** حيث ابنة أحد أصحاب المقامات الرفيعة قد طلبتني في الفندق وخرجت معي لتناول الغذاء في فندق باهظ التكاليف وراقي جداً.

وكانت وجبة رائعة وقبلت جميع المأكولات التي تم عرضها وتقديمها لي. وقد كانت تأكل هي برقة شديدة. ولا اعرف وقتها ماذا فكرت بي فيما يتعلق بشهيتي.

واعتقد أننا كنا في وينيبج عندما ذهب كلا من أرتشي وبلشر في جولة سياحية لمشاهدة روافع الحبوب. وقد عاد في هذا اليوم وعيناه تحملقان وبيدوا متعبًا للغاية لدرجة أنني كنت منزوعة. وقد استمر في الجولة في اليوم التالي إلى تورنتو ولكنه انهار بشكل كبير ولم يستطع أن يكمل الجولة السياحية التي بدأها.

كان بلشر بالطبع في حالة من الغضب الشديد. ولم يعبر عن أي تعاطف. وكان أرتشي يهدئه. عرف أرتشي أنه يعاني من ارتفاع الحرارة. وذكر أن صحته في حالة سيئة ولذلك لم يكن عليه المجيء إلى هذه الجولة. وألان كان على بلشر أن يمسك بالطفل بنفسه. فلم يقدّم بيتس بعمل أي شيء مفيد، وقد كان مفيدًا فقط في تعبئة الملابس ومع ذلك كان يعبئها بطريقة خاطئة. فلم يكن لديه القدرة على طي البنطلونات بطريقة صحيحة، فقد كان أحمق.

وقمت باستدعاء طبيب من الفندق وقد أخبرنا أن أرتشي يعاني من احتقان في الرئتين ولا يجب أن يتحرك وهو غير ملائم لأي نوع من النشاط على الأقل لمدة أسبوع. وبغضب شديد رحل بلشر وتركت دون أي مبلغ من المال معي في فندق كبير مع مريض مصاب بهذيان الحمى. وكانت حرارته أعلى من ١٠٣ درجة. علاوة على أنه كان متعبًا من رأسه إلى أخمص قدميه، وكان يعاني من الهيجان الشديد وأيضًا من حمى عالية.

كان وقتًا مفرغًا وفظيعة وأنا الآن سعيدة أنني نسيت شعور الإحباط والوحدة الذي كنت أعاني منه. فطعام الفندق لم يكن مناسبًا له ولذلك خرجت وأحضرت له نظامًا غذائيًا يتكون من بعض الماء والعصيدة التي كان يحبها إلى حد ما. إنه حقًا مثيرًا للشفقة. فلم أرى أبدًا في حياتي رجل يمرض بهذه الطريقة من الحمى وجسده مغطي بالبقع الحمراء وكنت امتصها بإسفنجة سبعة أو ثمانية مرات في اليوم

بمحلول مخفف من كربونات الصودا والماء الذي كان يشعره ببعض الارتياح. واليوم الثالث جاء إلينا الطبيب. وكان هناك رجلان يقفان بجوار فراش آرثشي وينظران باهتمام إليه وميزان رأسهما ويقولان إنها حالة خطيرة. والصباح التالي انخفضت درجة حرارة آرثشي قليلاً وأصبحت الحبوب والبقع التي كانت تغطي جسده أقل ظهوراً وحدة، وكان من الواضح أنه في طريقه إلى الشفاء. وفي هذا الوقت كنت أشعر أنني متعبة وضعيفة مثل القطعة الصغيرة وهذا يرجع بالطبع إلى إحساسي بالقلق الشديد عليه.

وخلال أربعة أو خمسة أيام أخرى بدأ آرثشي في استعادة صحته بالرغم من أنه ما زال يشعر ببعض الإرهاق والضعف وانضممنا ثانية إلى المقيت بلشر. وقد نسيت الآن أين ذهبنا بعدها- اعتقد إلى أوتاوا والتي أحببتها كثيراً. وكانت هناك الشلالات جميلة وأخشاب القيقاب التي كانت تتميز بجمال رائع. وأقمنا في منزل خاص مع فريق أول بحري في منتصف العمر وهو رجل ساحر يمتلك كلباً لطيفاً. وقد أعتاد أن يصحبني معه للخارج لمشاهدة أشجار القيقاب الجميلة.

وبعد أوتاوا اتجهنا إلى بحيرة لويز وبانف. وكانت بحيرة لويز هي إجابتي دائماً على سؤال أي الأماكن كان محبباً لك من بين كل الأماكن التي رأيته؟- وهي عبارة عن بحيرة طويلة ورائعة ذات مياه زرقاء وجبال منخفضة قليلاً على الجانبين، وهي ذات شكل رائع تغطيها الجبال الجليدية في نهايتها. وفي بانف كنت محظوظة. وكنت ما زلت أعاني من التهاب الأعصاب وقررت أن أحاول استخدام ماء الكبريت الساخن والتي نصحني الكثير من الناس بأنها تهدئ وتلطف وتجعلني أشعر بتحسّن كبير. فكنت كل صباح أضع نفسي في هذه الماء. وكانت تشبه نوع من حمام السباحة، ومن خلال التوجه إلى إحدى النهايتين فيها تشعر بالماء الساخن وكأنه يأتي من ينبوع مائي واشم رائحة الكبريت. واضع هذا الماء خلف عنقي وكتفي. وخلال الأربعة أيام شعرت بتحسّن في التهاب الأعصاب الذي كنت أعاني منه. وكانت قمة السعادة والسرور بالنسبة لي عندما شعرت أنني خالية من الألم تماماً.

وبذلك أصبحت أنا وآرتشي هناك في مونتريال. وكان علينا أن نتجه في اتجاهين مختلفين: آرتشي مع بلشر في جولة لفحص المزارع، وكان علي أنا أن أخذ القطار المتجه إلى جنوب نيويورك وقد نفذ مالي في هذا الوقت كلياً.

وقابلتني خالتي العزيزة كاسي في نيويورك. وكانت لطيفة معي وعطوفة وحنونة. وقد مكثت معها في شقتها التي كانت تملكها في ريفرسايد درايف. وكان عمرها في ذلك الوقت على ما أعتقد حوالي الثمانين. وقد أخذتني لأرى زوجة أخيها السيدة بيرباونت مورجان وبعض من أفراد عائلة مورجان الصغار. كما أخذتني أيضاً معها لزيارة بعض المطاعم الرائعة وتناولت معها العديد من الأطباق اللذيذة. وقد تحدثت كثيراً عن أبي وعن أيامه الأولى في نيويورك. وقد قضيت وقتاً سعيداً. وقد سألتني خالتي كاسي في نهاية إقامتي عما أرغب في القيام به كنوع من الاستضافة في يومي الأخير. فأخبرتها أن ما أتوق إليه بالفعل هو أن أذهب لأتناول معها إحدى الوجبات في الكافيتريا. وكانت هذه الكافيتريات غير معروفة في إنجلترا ولكنني قرأت عنها في نيويورك وكنت أتوق لتجربة إحداها. وقد عبرت خالتي كاسي عن أن هذه رغبة غير عادية. حيث أنها لم تتخيل أبداً أن ترغب في الذهاب إلى الكافيتريا ولكن لأنها كان يملؤها الرغبة في إسعادي فقد وافقت على الذهاب معي. وقالت إن هذه المرة الأولى في حياتها التي تذهب هي نفسها إلى كافيتريا. وكانت هذه تجربة جديدة بالنسبة لي ومثيرة.

ثم بعد ذلك ظهر كلا من آرتشي وبلشر في نيويورك. وكنت مسرورة لمجيئهما، لأنه بالرغم من الحب الشديد والرقّة التي منحني خالتي إياهما، إلا أنني بدأت اشعر وكأنني طائر داخل قفص ذهبي. فلم تسمح لي خالتي كاسي أبداً حتى أن احلم بالذهاب إلى الخارج بمفردي إلى أي مكان. وكان هذا غير عادي وغريب بالنسبة لي بعد أن كنت قادرة علي التحرك بحرية في لندن لدرجة أن هذا جعلني اشعر بعدم الراحة والقلق.

"ولكن؟ لماذا يا خالتي كاسي؟"

"حسنًا. أنت لا تعرفين ما يمكن أن يحدث لفتاة صغيرة وجميلة مثلك وأنت لا تعرفين نيويورك"

وقد طمأنتها أنني بخير ولكنها أصرت على إما أن ترسلني إلى السيارة مع سائق السيارة أو أن تأخذني هي بنفسها. وشعرت بالإهمال لثلاثة أو أربعة ساعات ولكنني عرفت أن هذا كان يقلقها هي ولذلك كبحت جماح نفسي. وبدأت أطلع إلى الذهاب إلى لندن في الحال وأن أكون قادرة علي المشي إلى الخارج في أي لحظة أود فيها.

وقضى آرثشي وبلشر ليلة واحدة في نيويورك، وفي اليوم التالي عدنا إلى إنجلترا. ويمكنني القول بأنني أحببت العودة عن طريق البحر مرة أخرى ولكنني كنت أشعر بدوار البحر بشكل قليل هذه المرة. كان الطقس سيئًا وقد أصر بلشر أن أشاركه اللعب. ولكنني لم أكن أرغب لأنه بالرغم من أن بلشر كان لاعبًا جيدًا إلا أنه كان غير محببًا أن يخسر في اللعب لدرجة أنه أصبح عابسًا بدرجة كبيرة. وبالرغم من هذا فإنني سأتححر منه قريبًا، لذلك بدأت أنا وهو في سلسلة مباريات لعبناها معًا. وبشكل غير متوقع وصلنا إلى النهائي. وكان هذا في اليوم الذي كانت فيه الرياح تهب بنشاط، وبدأت المركب في الاستقرار في مكان ما. ولم أجرؤ علي التفكير في الخربشة وفقط تمنيت أن أضع نفسي على منضدة اللعب. وضرب بلشر بعنف كروت اللعب ليضعها على المنضدة بشكل عابس. وقال "لا فائدة من لعبي هذه المرة بالفعل. لا فائدة على الإطلاق" وكان منزعجًا وعبوسًا. وقد لعبت أنا بشكل مكري وشيرير ولكن لحسن الحظ فلم اخسر هذه المرة. ومع شعوري بالغثيان بفعل دوار البحر الذي تعرضت له سحبت الكارت الخطأ وفعلت كل الأشياء الحمقاء في اللعب ولكن يداي كانت جيدة في اللعب. وكنا من الفائزين المنتصرين في لسته الألعاب. ثم رجعت إلى كوشي بعد ذلك بشكل بائس حتى وصلنا لانجلترا.

وقد أضفت أنا أننا لم نحفظ على تعهدنا بعدم التحدث مع بلشر مرة أخرى. أنا واثقة بأن أي شخص يقرأ هذه العبارة يفهم ماذا اعني بها. إن الشعور

بالغضب الذي يصيب شخص ما عندما يختلف مع آخر يتبخر أو ينتهي عند انتهاء وقت الضغط. وللمفاجأة الكبرى وجدنا أنفسنا نحب بلشر بالفعل وأنا أيضًا استمتعنا بصحبته. وفي العديد من المناسبات الأخرى تناول الغذاء معنا وتناولنا أيضًا الطعام معه. وقد استغرقنا في الذكريات معًا-في صداقة شديدة-للأيام التي عشناها معًا من قبل التي كنا فيها في رحلات متنوعة حول العالم وقلنا له في إحدى المرات "أنت بالفعل تصرفت بشكل شرير. أليس كذلك؟"

فقال بلشر أنا كذلك ولوح بيديه، على أي حال علي أن أجرب وأحاول. وليس أنتم الاثنان فأنت لم تقلقيني كثيرًا- أما آرتشي فهو أحمق حتى يتمارض. فقد كنت أضل طريقي تمامًا لفترة طويلة بدونه."

وقد عاد بلشر من جولته بشكل غير متوقع كي يتزوج من ابنة جميلة وهي ابنة لأحد الموظفين في استراليا كانت تعمل معه كسكرتيرة خاصة. وكان بلشر في الخمسين من عمره على الأقل، وكانت الفتاة في الثامنة أو التاسعة عشر. وقد أعلن لنا فجأة "لدي خبر جديد لكما. سأتزوج من جلاديس! وبالفعل تزوج منها. ووصل بالسفينة بعد عودتنا. واعتقد أنه كان زواجًا سعيدًا على الأقل لبعض السنوات. وكانت الفتاة جلاديس معتدلة المزاج وكانت مستمتعة بالإقامة في انجلترا. واعتقد أنه مرحوالي ثمانية أو عشرة أعوام بعد ذلك عندما سمعنا عن وقوع الطلاق.

وأعلن عن هذا بلشر قائلاً "لا يمكنني أن ألومها في الواقع، فهي ما تزال صغيرة وبالطبع أنا شخصًا كبيرًا سريع الغضب بالنسبة لها. لقد بقينا أصدقاء جيدين وقد كونت رأي الخاص عنها فهي بالفعل فتاة جيدة."

وقد تحدثت إلى بلشر في إحدى المرات التي تناولنا فيها العشاء معًا بعد عودتنا "ألا تعرف أنك ما تزال تدين لي باثنين من الجنيهاات وثمانية عشر بنس ثمنًا لزوج الجوارب البيضاء؟"

فرد قائلاً "عزيزتي عزيزتي هل فعلاً أنا أدين لك بهذا؟ هل أنت متوقعة أن أردّها لك ثانية؟"

فقلت له "لا"

فقال "حسنًا. لن تستردّيها" وضحكنا نحن الاثنان.

إن الحياة في الواقع تشبه السفينة- أو تبدو فيها كأنك داخل سفينة ما- تلك هي فلسفة الحياة. فيها أجزاء وأقسام مانعة للماء. فأنت تظهر من جزء منها وتبحر وتغلق الأبواب وتجد نفسك في جزء آخر. إن حياتي بداية من اليوم الذي تركنا فيه ساوثامبتون حتى اليوم الذي دخلنا فيه انجلترا كانت واحدة من هذه الأقسام. فقد شعرت بنفس الإحساس عن السفر. فأنت تخطو من حياة ما إلى حياة أخرى. فأنت نفسك ولكنها في بعض المواقف نفساً أخرى مختلفة. إن النفس الجديدة تكون محاطة بمئات من أنسجة العنكبوت وبعض الشعيرات أو الخيوط التي تحبسك داخل شرنقة الحياة اليومية. هناك العديد من الأنشطة التي عليك أن تقوم بها منها: العديد من الخطابات التي عليك أن تكتبها، والفواتير التي عليك أن تدفعها، والأعمال الروتينية اليومية التي عليك القيام بها، والأصدقاء الذي يجب أن تراهم، والصور الفوتوغرافية التي تلتقطها، والملابس التي عليك أن تصلحها، والممرضات أو المربيات أو الخادومات التي عليك أن تتعامل معهم، وغيرها من الأنشطة اليومية التي عليك أن تقوم بها. إن حياة السفر لديك لها جوهر الحلم. بمعنى أنها شيء يقع خارج نطاق العادي والمألوف. وبالرغم من هذا، فأنت بداخله. إن حياتك مليئة بشخصيات لم تراهم من قبل ولن تراهم مرة أخرى. إن حياة السفر لك ربما تجعلك في حالة من الشعور بالحنين إلى الوطن والوحدة والعزلة والشعور بالحنين لرؤية شخص تحبه أو عزيز عليك مثلاً: روزلن وأمي وماج. ولكنك تشبه البحارة في العصر الإليزابيثي الذين خرجوا إلى العالم في مغامرة خارجية ولم يكن لهم الوطن هو الوطن حتى عادوا إليه.

إن من المثير للغاية أن تتجه إلى الخارج وتذهب بعيداً ومن الرائع أيضاً أن تعود إلى موطنك الأصلي. وقد تعاملت معنا ابنتي روزلن كما لو كنا غرباء عنها ولا تعرفنا. فقد نظرت إلينا بكل برود وسألت: "أين خالتي بونكي؟" وقد انتقمتم أختي

أيضاً من خلال إعطائي تعليمات عما يجب أن تأكله **روزلن** وترتيبه وغيرها من الأشياء.

وبعد الفرحات الأولى للم الشمل العائلي، فإن العديد من النتوءات تم إغلاقها. فلم تستطع **جيسي سوانيل** أن تأتي مع أمي. واستبدلت بمربية أكبر في السن والتي كانت معروفة دائماً بيننا علي أنها **كيوكو**. اعتقد أنها اكتسبت هذا الاسم من حقيقة انه بعد وقوع التغيير التام، فإن المربية الجديدة حاولت أن تضع نفسها في مسؤوليتها الجديدة من خلال فتح باب التربية والتي كانت تتعجب بشكل واضح: "كيوكو كيوكو! إن **روزلن** لها رؤية ضعيفة عن هذا وتبكي في كل مرة يحدث فيها هذا، فهي أصبحت تفوق صديقتها الجديدة. إن **كيوكو** كانت غير كفء، ولكنها كانت مليئة بالمحبة والرقّة، ومع ذلك تفقد كل شيء وتكسر كل شيء وقامت بإبداء العديد من الملاحظات عن مثل هذه البلاهة أو حماقة التي كان من الصعب أن تصدقهم. وقد استمتعت **روزلن** بهذا، تولت مسؤولية **كيوكو** بكل حب ورقة وتولت شئونها أيضاً.

وقد سألت "يا عزيزتي يا عزيزتي. سوف اسمع من المربية الآن أين وضعت الفرشاة الصغيرة أين يمكن أن تكون؟ هل هي في سلة الملابس؟"
ردت **روزلن** بصوت عالي قائلة "سأجدها لك هي في فراشك".

فتساءلت بعد ذلك "يا عزيزتي يا عزيزتي فكيف وضعتها هناك؟"

وقد وجدت **روزلن** بعض الأشياء الخاصة بـ **كيوكو** منظمة وأعطتها بعض التعليمات من عربة الأطفال عندما كانوا بالخارج معاً: "لا تعبري الآن يا ناني إنها اللحظة الخاطئة، إن هناك أتوبيس قادم... فأنت تأخذين الدوران الخطأ يا ناني... اعتقد انك ذكرت انك ستذهبين إلى محل الصوف، إن هذا ليس الطريق إلى محل الصوف". وقد نظمت هذه التعليمات من **كيوكو** قائلة "يا عزيزتي الآن لماذا.. فماذا يمكنني عمله الآن؟ وغيره من التساؤلات.

إن الأشخاص الوحيدين الذين لديهم اعتقادًا أن **كيوكو** من الصعب احتمالها هما: أنا وأرتشي.. كانت أفضل طريقة هي أن تغلق أذنك ولا تستمع إليها ولكنها كانت بين الحين والآخر يتم مقاطعتها. ومع الذهاب إلى **بادنجتون** في تاكسي كان **لكيوكو** مجموعة مستمرة من الملاحظات منها مثلًا "انظري يا عزيزتي. فأنت تنظرين من النافذة الآن. أترى هذا المكان الكبير؟ انه **سيلفريدج**. انه مكان جميل **سيلفريدج** فيمكنك شراء أي شيء هناك".

فرديت عليها ببرود "إنه **هارودز**"

"يا عزيزتي. يا عزيزتي، الآن إنه **هارودز** أليس كذلك؟ أليس هذا مضحكًا لأننا نعرف المكان جدًّا أليس كذلك يا عزيزتي الصغيرة؟"

فقلت **روزلن** أنا عرفت انه **هارودز**.

اعتقد أن عدم كفاءة **كيوكو** هي المسئولة عن أن تكون **روزلن** طفلة فعالة.. **فكيوكو** لا تصلح إلا أن تكون مساعدة ممرضة تتلقى الأوامر في مستوصف صغير.

إن الوصول إلى الوطن كان يمثل فرحة كبيرة لنا ولكن الواقع هو الذي سيطر في ذلك الوقت. فلم يكن لدينا أي أموال علي الإطلاق. وكان عمل آرثشي مع السيد جولدستون شيئاً من الماضي وألان هناك شاباً آخر يحل محله. وأنا ما زلت أملك بعض الأموال التي ورثتها من جدي ولذلك يمكننا أن يكون معنا حوالي ١٠٠ دولار في العام. ولكن كان آرثشي رافضاً لفكرة أن ألمس أي مبلغ من هذا المال. فيجب أن يحصل علي أي وظيفة وفي الحال. وقبل أن يطلب منا أجرة السكن، هناك مرتب كيوكو الشهري. إن العثور علي وظيفة لم يكن شيئاً سهلاً- في الواقع فقد كان أكثر صعوبة مما كان بعد الحرب مباشرة. في الواقع فإن ذكرياتي عن هذه الأزمة المحددة للأسف غامضة وغير واضحة. ولا اعرف إن كان هذا وقتاً غير سعيداً لان آرثشي كان غير سعيداً وهو نوع من الناس التي لا تلاؤمهم التعاسة أو الحزن، وقد عرف هذا بنفسه. وأتذكر انه قد حذرني ذات يوم في الأيام الأولى من زواجانا: "أنا لست جيداً في المرض فلا أحب المرضى ولا أتحمل أن تكون الناس غير سعيدة أو مزعجة".

فقد كنا سعداء للحصول على فرصتنا، مع علمنا بكافة المخاطر. فكل ما يمكننا القيام به الآن هو أن نقبل أن الاستمتاع قد انتهى وان علينا أن ندفع الأموال، فقد بدأ الإحباط والقلق..الخ. وقد شعرت أنا أيضاً بذلك بأنني لست في حالة جيدة لأنني لا يمكنني أن أقدم المزيد من السعادة لأرثشي. فسنواجه كل هذا معاً، فقد أخبرت نفسي بذلك. وكان علي أن اقبل من البداية أنه سيكون في كل يوم في حالة من الغضب والتوتر أو أن يكون صامتاً كلية وينغمس في حالة من الحزن والكآبة. وإذا حاولت أن أكون مرحة ومبهجة فسيخبرني أنني ليس عندي نوع من تقدير الموقف، وإذا كنت عابسة أمامه فسيخبرني قائلاً "لا فائدة من الوجه العابس". ففي الواقع لم يكن بإمكانني القيام بعمل أي شيء يمكن أن يكون صحيحاً.

قال آرثشي "انظري ما أريدك القيام به، الشيء الذي سيساعدنا أن نتجه في الاتجاه الصحيح"

فقلت له "اذهب في الاتجاه الصحيح أين؟"

"لا اعرف اذهبي إلى بونكي ستكون سعيدة بك أنت وروزلن أو اذهبي عند والدتك".

فقلت له "ولكن يا آرثشي أنا ارغب في البقاء معك- فأنا أريد أن أشاركك كل شيء-أليس كذلك؟" ألا يمكننا أن نشارك بعضنا البعض في كل شيء؟" ألا يوجد شيء يمكننا القيام به؟"

في تلك الأيام لا يمكنني قول عبارة سأعثر على وظيفة ما بالرغم من أنه في فترة الحرب كان هناك وظائف في العديد من المصانع أو المستشفيات. ولكن كانت جميع هذه الوظائف مؤقتة فلا توجد أي وظائف للسيدات في المكاتب أو الوزارات. إن المحلات كانت مليئة بأفراد للعمل وليست في حاجة لأي شخص. وأنا ما أزال رافضة لفكرة الذهاب وتركه فيمكنني عمل أي شيء حتى على الأقل أن اطبخ وأنظف. فليس لدينا الآن خادمة وهذا هو الآن الموقف بالنسبة لآرثشي.

وقد تجول حول المكاتب في جميع أنحاء البلدة ورأى العديد من الأشخاص الذين يمكن أن يعرفون أي شيء عن الوظائف المطلوبة. وفي النهاية عثر على إحدى الوظائف. وظيفة من النوع الذي لا يحبه- في الواقع كان متفهمًا قليلًا للشركات التي كانت تطلبه للعمل: كان يقول أن جميع هذه الشركات محتالون. وقال: "علي أية حال فقد كانت وظيفة كي استطيع من خلالها تحقيق بعض الدخل المادي"، كما اكتسب بعض خبرات يومية مسلية.

وحاولت أن أهدي كل شيء وأقوم بعمل بعض الكتابة حيث أنني شعرت أن هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنني القيام به والذي يمكن أن يجلب بعض المال

القليل. وما زلت لا اعرف أي شيء عن الكتابة كمهنة. إن القصص والروايات التي نشرت قد شجعتني: إن هذه المهنة تحقق بعض المال الحقيقي مباشرة لي. فهذه القصص تم شرائها والدفع من أجل اقتنائها وتم أنفاق الأموال الآن. وقد جلست وبدأت في كتابة كتاب آخر.

وشجعتني بلشر قبل رحلتنا عند تناولنا العشاء في منزله، منزل ميل في دورني لكتابة قصة بوليسية عن منزله بعنوان "لغز المنزل ميل" وقال أنه عنوان جيد للقصة "أليس كذلك يا جولي؟

فقلت نعم. اعتقد أن عنوان " لغز في منزل ميل" أو "جريمة في منزل ميل" سيكون عنوانًا جيدًا وسأفكر في الموضوع. وعندما بدأنا رحلتنا كان غالبًا ما يشير إلى الموضوع.

وأضاف "ولكن عليك أن تأخذين في اعتبارك، إذا كتبت لغز منزل ميل. فيجب أن أكون فيه".

فقلت له "لا اعتقد أنني يمكنني أن أضعك فيه، فأنا لا أستطيع عمل أي شيء باستخدام الأشخاص الواقعيين فعلي أن أتخيلهم".

فقال بلشر "إن هذا هراء فأنا لا أمانع إذا كانت الشخصية مثلي تمامًا فقد كنت دائمًا أرغب في أن أكون في قصة بوليسية".

وكان من وقت لآخر في أوقات الفراغ يسألني "هل بدأت هذا الكتاب؟ هل أنا في شخصياته؟" فكنت أجيب عليه قائلة "نعم. فأنت الضحية".

"ماذا تعني هل أنا الشخص الذي يقتل؟"

فقلت له "نعم. بكل سرور".

فقال بلشر " لا أرغب في أن أكون الضحية. في الواقع فلن أكون أنا الضحية- فأنا مصر على أن أكون القاتل".

فقلت له "لماذا ترغب في أن تكون أنت القاتل؟"

لان القاتل يكون هو أكثر شخصية مثيرة في القصة، لذلك عليك أن تجعليني أنا القاتل يا أجاثا- هل تفهمين هذا؟"

فقلت له "أنا افهم جيداً أنك ترغب في أن تكون القاتل" وقد اخترت كلماتي بعناية أثناء حديثي معه. وفي النهاية وفي لحظة ضعف وعدته أن أجعله القاتل في روايتي.

وقد حددت الحبكة الدرامية في هذا الكتاب عندما كنت في جنوب أفريقيا. وقررت مرة أخرى أكثر من رواية مثيرة في قصة بوليسية تشمل جزء كبير من المناظر الموجودة في جنوب أفريقيا. وكان هناك بعض حالات الثورية أثناء وجودنا هناك، وسجلت بعض الحقائق المفيدة. وقد صورت بطلي على أنها شخصية مرحة ومستهترة ومغامرة وهي سيدة شابة ویتيمة والتي بدأت أن تنشئ المغامرات. وبعد قيامي بكتابة فصل أو فصلين، وجدت من الصعب أن اجعل الصورة قائمة على بلشر وهو على قيد الحياة. فلم يمكنني الكتابة عنه بشكل موضوعي وأن اجعله أي شيء ما عدا أن يكون دمية كاملة. ثم جاءت إلى خاطري فكرة ما. إن الكتاب يجب أن يتم كتابته بلهجة الشخص الأول أو الدمية من قبل البطلة ان وأيضاً الساذج بلشر.

ولا اعتقد أنه سيحب أن يعبر عنه بكونه ساذج في الرواية وقد قولت هذا بوضوح لأرتشي.

واقترح أرتشي قائلاً "امنحيه لقباً آخر أعتقد انه يحب هذا"

ولذلك تم منحه لقب السيد استاك بيدلر وبذلك تكون الشخصية أكثر وضوحاً. فلم يكن بلشر بالطبع ولكنه استخدم الكثير من العبارات التي يستخدمها بلشر وقد اخبر بعض من قصصه أيضاً. كما كان سيداً لفن الخداع ووراء هذا

الخداع يمكنك أن تجد شخصية شيقة ومثيرة جدًا. وفي الحال نسيت كل شيء عن بلشر ووضعت مكانه شخصية السيد استاك بيدلر. اعتقد أن هذا هو الوقت الوحيد الذي حاولت فيه أن أضع شخصًا حقيقيًا اعرفه جيدًا داخل كتاب ما وأنا لا اعتقد أن هذا نجح معي. إن بلشر لم يكن حيًا ولكن شخصًا ما أخبرني استاك بيدلر هو الذي على قيد الحياة في الرواية. وفجأة وجدت أن الرواية أصبحت أكثر متعة في كتابتها، ولا أمل إلا موافقة مكتب بودلي على نشرها.

وكان مرشدي في كتابة هذا الكتاب هي كيوكو. وكانت كيوكو بالطبع في تلك الأيام وبعبارة المربيات لم تقم بأي نوع من أعمال المنزل أو الطبخ أو التنظيف، حيث كانت مربية ما تزال صغيرة فقد كانت تقوم بعمل أي شيء كمرربة وبعض الأعمال البسيطة الأخرى للغسيل. ولم أتوقع أي شيء آخر منها وقد ربت يومي بصورة جيدة إلى حد ما. فقد كان آرثي لا يأتي المنزل إلا مساءً وكان طعام الغداء لروزلن وكيوكو بسيط وسهل في التعامل معه. وهذا منحني وقتًا في الصباح وفي فترة ما بعد الظهر كي استفيد حوالي ساعتين أو ثلاث للكتابة. وكانت روزلن وكيوكو يذهبان للتسوق. وكان هناك بالطبع بعض الأيام التي كانت ممطرة وكان عليهن البقاء داخل المنزل. وكانت كيوكو تقف بجوار باب الغرفة التي امكث فيها للكتابة وممارسة عملي من الخارج وتتحدث إلى روزلن.

كانت تقول لها "الآن يا عزيزتي الصغيرة، لا يجب علينا أن نصنع أي ضوضاء لأن ماما تعمل ولا يجب أن نزعجها أثناء عملها أليس كذلك؟ بالرغم من أنني يجب أن أسألها إذا ما كنا سنرسل هذا الفستان إلى الغسيل والكي لأنني لا يمكنني تحديد هذا بنفسني. حسنًا، نسألها في وقت تناول الشاي، أليس كذلك يا صغيرتي؟ فأنا أعني أننا لا يجب أن نسألها الآن أليس كذلك؟ فهي لا تحب هذا؟ كما أريد أن أسألها عن عربة أطفال. فالآن يا عزيزتي الصغيرة ما رأيك؟"

وعادة ما كانت روزلن توضح رد فعل موجز لا علاقة له بما يدور عنه الحديث مؤكدة لي أنها لم تسمع إلى كيوكو.

وقد أعلنت "ان بلوتيدي سيتناول عشائه الآن"

وحصلت روزلن على العديد من اللعب ولكنها كانت تهتم فقط بألعاب الحيوانات. وكان لديها لعبة تدعي "بلوتيدي" وأخرى تسميها "ريدتيدي" وفيما بعد أضافت إليهم "موفتيدي" وكان عبارة عن دب صغير يسمي "ادواردبير". وكانت روزلن تحب أكثرهم "بلوتيدي". وكان بلوتيدي حيوان مصنوع من الحرير الأزرق اللون بعينين سوداويتان في وجهه المسطح. وكان معها في كل مكان تذهب إليه وتحكي عنه قصصًا وحكايات كل ليلة. وكانت هذه الحكايات والقصص عن بلوتيدي وريدتيدي. فكل ليلة لهم مغامرة جديدة. وكان بلوتيدي جيد أما ريدتيدي فكان مغرورًا ويقوم ببعض الأعمال الشقية مثل وضع الصمغ على مقعد المعلمة حتى يمنعها عن النهوض عندما تريد أن تنهض من على المقعد. وفي يوم من الأيام وضع ضفدعة داخل جيب معلمة ما وصرخت وكانت في حالة هستيرية. وتم مقابلة هذه الحكايات بالكثير من القبول وكنت أكررها. وكان بلوتيدي القمة في فصله في المدرسة ولم يقم أبدًا بأي أعمال شقاوة من أي نوع. وكل يوم عندما كانوا يذهبون إلى المدرسة، كان ريدتيدي يتعهد إلى أمه ان يكون سلوكه جيد هذا اليوم. وفي عودتهم كانت الأم تسأل "هل كنت جيد اليوم يا بلوتيدي؟"

وكان هو يجيب "نعم يا أمي جدًا" وكانت تسأل الآخر "هل كنت جيد يا ريدتيدي؟"

وكان يجيب "لا يا أمي لقد كنت شقيًا جدًا"

وفي إحدى المرات تشاجر ريدتيدي مع بعض الأطفال السيئين وآتى المنزل في حالة عصبية شديدة. وذهب إلى الفراش.

لم يكن هناك أي شخص قادرًا على رواية القصص أكثر من روزلن. وكانت في هذا الوقت تضحك كثيرًا لما حدث مع ريدتيدي.

وقالت كيوكو "نعم يا صغيرتي" وهي لا توضح أية علامات لمساعدة روزلن علي تقديم العشاء لبلوتيدي. وقد أضافت "ربما نحن في حاجة كي نسأل أمي عن مكان عربية الأطفال".

ما هذا؟ وماذا تعني؟

"أوه، آسفة يا مدام. آسفة جدًا فلم اقصد أن أزعجك"

"حسنًا، لقد أزعجتني. ماذا حدث؟

"فأجابت "ولكنني لم انقر على الباب أو اطرق عليه"

"ولكنك كنت تتحدثين بالخارج وسمعت كل كلامكم فما الخطب؟ ماذا جرى لعربة الأطفال؟"

"حسنًا، اعتقد يا مدام أننا في حاجة إلى اقتناء عربية جديدة للأطفال، فأنت تعرفين أنني في أشد الخجل للذهاب إلى الحديقة ورؤية جميع عربات الأطفال الجديدة من حولنا فأعتقد ان الآنسة روزلن ترغب في أن يكون لديها عربية جديدة مثل أية فتاة أخرى.

ولقد اشترينا قبل ذلك عربية مستعملة وكانت عربية جيدة ومريحة ولكن لا يمكن ان نطلق عليها أنها عربية جميلة أو جذابة. هناك عربات حديثة وكل عام يعطيها المصنعون خطأ جديدًا مثل سيارات المحركات في هذه الأيام.

وكان علي أن أدرك أن كوكو كانت من مجموعة المربيات اللاتي تقابلن في الحضانة حيث يجلسون ويقارنون بعض الملاحظات كمزايا لبعض المواقف وجمال وبراعة ومهارة أطفالهم. ان الطفل يجب ان يلبس جيدًا بصورة جيدة على احدث موضحة الأطفال الرضع في الوقت الحالي وإلا فان المربية تكون خجولة وتشعر بالخجل أمام الآخرين. ان ملابس روزلن جيدة وكانت الفساتين والملابس التي اشترتها لها من كندا جميلة. فقد كان على هذه الملابس الرسومات الجميلة من

زهور ورسومات أطفال وغيرها من الرسومات والتي كانت تحظى بإعجاب الجميع. ولكن بالنسبة لعربة الأطفال الخاصة بها فإنها ليست جميلة وأدنى من المستويات الأخرى وكانت تخبرني في أي وقت يظهر فيه شخص ما بعربة جديدة "أي مربية تكون فخورة بهذه العربة الجديدة " وكنا أسرة متواضعة من الناحية المادية ولم يكن في استطاعتنا اقتناء عربة فاخرة.

وقالت "لا اعتقد أن هذه العربة آمنة، هناك الكثير من المشكلات التي تقع أثناء السير بها"

ثم قالت لروزلن "عزيزتي. إن ماما لا تبدووا مسرورة علي الإطلاق أليس كذلك؟" فهي لا تبدووا أنها سعيدة لأننا سنشتري عربة جديدة أليس كذلك؟"

فردت روزلن "ان بلوتيدي يرغب في تناول عشائه" ثم قالت "تعال يا ناني".

٤

وفي النهاية انتهيت من كتابة قصة " لغز المنزل ميل" بالرغم من العديد من الصعوبات التي واجهتها أثناء الكتابة. وقامت كوكو باستشارة طبيب وانتقلت إلى المستشفى لكي يجري لها عملية جراحية لسرطان الثدي. وكانت اخطر قليلاً مما ذكرت وكان هناك شكاً من عودتها إلى العمل كمرمضة وقد ذهبت لتعيش مع أختها. وقررت أن المربية التالية لا يجب ان لا يتم اختيارها من مكتب السيدة بوتشر أو من أي مكان مثل هذا. إن ما احتاج إليه هو مساعدة للأُم.

وبعد تلك الفترة حدث تغيراً للأفضل في هذه الناحية. وتقابلت مع سايت في ديفونشاير وكانت فتاة جيدة ذات شعر اسود طويل. وكان لها صوتاً عميقاً بلهجة نسائية جميلة لدرجة أنك تعتقد أنها تمثل دوراً على خشبة المسرح. وقامت بهذه الوظيفة في ثلاثة مؤسسات لعدة أعوام. وكانت تبدو هادئة الطباع ومليئة بالحماس. وقد طلبت مني راتباً متواضعاً وكانت تبدو راغبة في عمل أي شيء أو الذهاب إلى أي مكان— كما كان يتضح في الإعلان. ولذلك عادت سايت معنا إلى لندن وأصبحت وسيلة مريحة بالنسبة لي في حياتي.

وبشكل طبيعي فإن اسمها في هذا الوقت لم يكن سايت ولكنها كانت تسمي الآنسة وايت- ولكن بعد قضاء بضعة أشهر معنا بهذا الاسم أسمتها روزلن سايت. وكانت روزلن مغرمة بها كما أحببت سايت روزلن. وكانت تحب جميع الأطفال الصغار وتتسم بطريقة صارمة. ولم ترمز إلى أي شيء من عدم الطاعة أو الوقاحة.

وقد فقدت روزلن دورها كمديرة لكيوكو. واعتقد أنها قامت بتحويل هذه الأنشطة إلي— وان أكون في مسئوليتها وإيجاد الأشياء لي التي فقدتها وتوضيح أنني نسيت أي شيء مثل وضع طابع بريد علي خطاب أو غيره. وبالتأكيد وفي الوقت التي كانت فيه في الخامسة من عمرها كنت حريصة على أنها تكون أكثر كفاءة مني. ومن

ناحية أخرى فهي لم يكن لديها أي خيال. ففي ذات يوم كنا نلعب لعبة مع بعضنا والتي فيها يشترك شخصين (مثلاً رجل يأخذ كلب للتمشية) (ربما أقول أنني اخذ دور الكلب وهي تأخذ دور الرجل).

فقلت "يمكننا أن نغير هذه الأدوار في اللعبة، حيث أننا ليس لدينا سلسلة لسحب الكلب".

فقالت "كيف أتظاهر بأنني لدي سلسلة وأنا ليس لدي أي شيء في يدي؟"
"حسنًا، فلتأخذي حزام الرداء وتستخدمينه كسلسلة".

وقد رفضت **روزلن** هذا حيث أن الأشياء كانت تبدو واقعية بالنسبة لها. وكانت هي على النقيض مني حيث أنها لم تقرأ أبدًا أي قصص عن الجن وهي طفلة. ثم قالت "اخبريني عن ريدتيدي وهو في الزهرة الخلوية؟".

والشيء المثير للدهشة هو أنها مع مرور الوقت أصبحت محبة لقصص الجن عندما كانت في الرابعة عشر وكانت تقرأ قصصًا عنهم مرات عديدة.

وكانت **سايت** ملائمة جدًا لمنزلنا. كانت تبدو محترمة في مظهرها، وفي الواقع لم تكن تعرف الكثير عن أعمال الطبخ أكثر مني حيث كانت دائمًا تقوم بدور المساعدة. وكنا نقوم بدور المساعدات لبعضنا في طريقتنا للمعيشة. وكنا نقوم بعمل الأطباق بطريقة جيدة- فمثلاً كنت اصنع الجبن وصلصة الطماطم وكانت **سايت** تقوم بعمل المربات والتورتات. فقد كنا نحن الاثنان ماهرات في تقديم الوجبة المتوازنة. في الواقع فإن من أهم المشكلات التي كانت تقابلنا هي ان هناك بعض الخضراوات منها مثلًا الجزر والبطاطس والباوندنج والتي كنا معها نعاني من عدم معرفتنا كم تستغرق من الوقت كي يتم طهيها. ومع هذا فقد تعلمنا كل هذا مع مرور الوقت.

وقد قسمنا المهام. ففي إحدى الأيام ذات صباح أخذت **روزلن** وأخذنا عربة الأطفال واتجهنا إلى الحديقة- بالرغم من أننا استخدمنا كرسي آخر بينما كانت

سايت مسئولة عن إعداد الغذاء وترتيب الفراش. أما الصباح التالي فقد مكثت أنا في المنزل وخرجت سايت إلى الحديقة. وعلي وجه العموم وجدت النشاط الأول أكثر تعباً من الثاني. كان الطريق طويل إلى الحديقة فعند ذهابك إلى هناك لا تستطيع الراحة أو الجلوس للاسترخاء. فإن عليك التحدث إلى روزلن وتلعب معها أو أن تشاهدها وهي مشغولة في اللعب مع شخص آخر أو تمنع أي شخص آخر يأخذ مركبها بعيداً. وأثناء وجودي في المنزل كنت أستطيع ان أريح عقلي بشكل كامل. وذات مرة قال لي روبرت جريفز إن الأعمال التي تتطلب طاقة بدنية تساعدك على التفكير الخلاق. واعتقد أنه صحيح إلى حد كبير. ولكنه غير مناسب مع أعمال الطبخ بالطبع، حيث أن الطبخ يأخذ ويتطلب جميع قدراتك الخلاقة والاهتمام والانتباه الكامل.

كانت سايت تمثل راحة كبيرة بعد كيوكو. وقد نجحت هي وروزلن أن يشغلان أنفسهم دون أن يتسببان في أي مشكلات. فإما أن يكونا في الحضانة أو داخل المنزل أو أن يذهبا للتسوق.

وقد كانت صدمتي بعد مرور ستة أشهر لاكتشاف عمر سايت فلم أكن قد سألتها عن عمرها. وكانت تبدو أنها بين الرابعة والثامنة والعشرين وهو نفس العمر الذي كنت أريده للمربية ولكن الأمر لم يكن محدداً بالنسبة لي. فقد كنت مندهشة عندما علمت أنها في وقت مجيئها للوظيفة التي أعلنت عنها كانت في حوالي السابعة عشر وهي الآن في الثامنة عشر فقط. وكان يبدو هذا غير مصدق بالنسبة لي. فقد كان بها إحساساً بالنضوج. ولكنها كانت تعمل بهذه الوظيفة منذ ان كانت في الثالثة عشر. وكان لديها حباً طبيعياً لعملها وكفاءة عالية. وكان لها خبرة كبيرة في العمل في هذا المجال، وكان هذا يتضح مثلما يحدث في العائلات الكبيرة التي يكون فيها الابن الأكبر لديه خبرة كبيرة عن كيفية التعامل مع إخوته الأصغر.

ولان سايت كانت صغيرة فلم اترك أبدأ روزلن معها وحدها لفترات طويلة. وكانت حساسة جداً وعندما كانت روزلن تمرض كانت هي ترسل لاستدعاء الطبيب

الماهر المناسب وتأخذ الطفلة إلى المستشفى وتعرف إذا ما كان هناك أي شيء يؤلمها وتتعامل مع أي حالة من حالات الطوارئ. وكان عقلها دائماً يركز في عملها.

وعندما انتهيت من كتابة قصة "لغز المنزل ميل" تنفست الصعداء حيث انه لم يكن كتاباً سهلاً. وكان من الواضح من أحداثها أنها قصة بوليسية مناسبة وقوبلت بشكل كبير من الجميع.

وكان في ذلك الوقت ان لاحظت تغيراً طفيفاً في موقفهم. بالرغم من أنني كنت إلى حد كبير سيئة التصرف عندما عرضت الكتاب للنشر، إلا أنني تعلمت أشياء قليلة وقتها. أنني لم أكن غبية كما كان يعتقد البعض. فقد اكتشفت الكثير عن الكتابة والنشر. وعرفت الكثير عن جمعيات المؤلفين. وأدركت انه يجب ان تكون حريصاً في تحرير عقود مع الناشرين أو دور النشر وبالتحديد مع بعض الناشرين المحددين. وتعلمت أيضاً العديد من الوسائل التي من خلالها يوجه الناشر النقد غير العادل إلى المؤلفين. وقمت بعمل العديد من خطط العمل لي.

وبإيجاز، وقبل أن اطلب نشر قصة "لغز المنزل ميل" كان هناك بعض العروض المحددة بالنسبة لي. فهناك بعض المقترحات ان اترك العقد القديم وأحرر عقد جديد آخر لخمس من الكتب، حيث أن الشروط فيها تكون أكثر تفضيلاً لي. وقد شكرتهم بكل أدب وقلت لهم أنني سأفكر بالأمر ثم رفضت بعد ذلك دون إبداء أي سبب محدد. ولم يتعاملوا مع المؤلفة الصغيرة بأمانة. فقد كانوا يستغلون فرصة فقدان المعرفة ولهفتها علي نشر الكتاب. ولم أوافق علي المشاجرة معهم على هذه النقطة-لقد كنت حمقاء وسيئة التصرف. ومن ناحية أخرى، فكنت ما أزال غير راضية عن عقد نشر "القضية الغامضة في ستايلز". وقد رفضت توقيع العديد من العقود للعديد من الكتب. فإذا وثقت في أشخاص ما مرة واحدة ثم شعرت بخيبة أمل، لا تحب أن تثق بهم مرة أخرى. وكان هذا شعوراً مشتركاً فكنت ارغب في إنهاء عقدي وبعد هذا كنت أبحث عن ناشر جديد. واعتقدت أيضاً أنني سوف أجد مساعداً أدبياً.

وكان لدي تساؤل من ضريبة الدخل هذه المرة. فقد أرادوا معرفة تفاصيل دخلي الأدبي. وكنت مندهشة. أنني لم اعتبر أبدًا مكاسب الأدبية علي أنها دخلًا ماديًا. فكان كل الدخل المادي الذي كنت أحققه هو ١٠٠ دولار في العام. ولكنهم كانوا يقصدون معرفة دخلي المادي من الكتب التي نشرت. وقد أوضحت لهم أن هذا شيء غير ثابت كل عام. فلم أنشر إلا ثلاثة كتب وكتب قصصًا قصيرة أو قصائد. فلم أكن كاتبة، فلن أظل أكتب طوال حياتي. وبالرغم من أنني لم أحقق الكثير من الدخل المادي من هذه المهنة إلا أنهم كانوا يريدون معرفة التفاصيل. وللأسف لم استطع إعطائهم تفاصيل كثيرة- حيث كنت أتلقي شيكًا بمبلغ مالي من وقت لآخر ولكنني كنت أنفقه في الحال. وكنت اعتقد أنني في المستقبل من الممكن أن أحقق المزيد من الدخل. ومن وقتها قررت أن يكون لدي مساعدًا أدبيًا.

ولأنني لم يكن لدي فكرة عن المساعدة الأدبية، فاعتقدت أنني من الأفضل أن أعود إلى توصيات ادين فيليب اوت الأصلية. ولذلك فقد اتجهت إليها. ولكن هذه الشخصية قد توفت ووجدت بدلًا منها شابًا اسمه اديموند كورك. ولم يكن مزعجًا مثل سابقه. في الواقع كان يمكنني التحدث إليه بسهولة. وكان مندهشًا من ضحالة معلوماتي في هذا المجال. وأصبح بعد ذلك مرشدًا لي في المستقبل. وقد أخبرني بعمولته المادية بدقة، وبإمكانية حقوق النشر في أمريكا وبالحقوق الدرامية. وقد وضعت نفسي بين يديه وكنت أغادر مكتبه بكل شعور بالارتياح. وقد شعرت بأن هناك حملاً هائلاً فظيعةً قد وقع من على كتفي.

وكانت هذه بداية صداقة استغرقت حوالي أكثر من أربعين عامًا.

ثم حدث بعد ذلك شيء لا يصدق. عرضت علي جريدة أخبار المساء ٥٠٠ دولار في رواية "لغز المنزل ميل" والتي غيرت عنوانها ليصبح اسمها "الرجل ذو البدله البنية" لأن العنوان السابق كان يشبه لحد كبير جريمة على الصلات. وقد كان لدى جريدة أخبار المساء رأيًا بتغيير العنوان وبالرغم من أنني كان لدي شعورًا محددًا

نحو عنوان الكتاب، إلا أن ذلك لم يزعج أي شخص في الجريدة. وكان يبدو لي هذا من أكثر الأشياء التي لم تصدق في حياتي. فأنا نفسي لم أكن أصدقها ولا آرثشي ولا بونكي. أما أمي فقد صدقت هذا بصعوبة أيضاً. فأبي ابنة لها تستطيع أن تحقق دخل مادي يصل إلى ٥٠٠ دولار في نشر رواية ما! بالطبع فإن هذا يكون مدهشاً ومثيراً بالنسبة لها!.

وكان يبدو أن هذا هو نمط الحياة دائماً أن الأمور السيئة تأتي مع بعضها البعض والأمور الجيدة تأتي أيضاً مع بعضها. فقد كان حظي جيداً مع أخبار المساء. وقد تلقي آرثشي خطاباً من صديق استرالي يدعي كليف بيلي اقترح أن يلتحق آرثشي بشركته. وقد ذهب ليقابله وتولى الوظيفة التي كان يتوق إليها منذ سنوات عديدة. وقد استطاع أن يزيل الغبار ويترك وظيفته الحالية وعمل في شركة كليف بيلي. وكان سعيداً بشكل رائع. هنا وأخيراً ظهرت المشروعات الرائعة المثيرة والدخول إلى عالم المال. وكنا وقتها في السماء السابعة من شدة فرحتنا.

وبصورة مباشرة اتجهت إلى تنفيذ المشروع الذي كنت احلم به طويلاً. وكنا نحاول أن نجد بيتاً صغيراً في الريف والذي يمكن لأرثشي أن يذهب منه إلى المدينة كل يوم، ويكون مزوداً بحديقة لروزلن بدلاً من أن نذهب كل يوم إلى حديقة بالخارج. وقد كنت أتوق إلى المعيشة في الريف. فلنبحث عن بيتاً صغيراً تكلفته قليلة لكي نتجه إليه.

وقد وافق آرثشي على خطتي واعتقد لأن الجولف الآن يشغل الكثير من اهتمامه. فقد تم اختياره حديثاً في نادي الجولف وتم البدء في عمل خطط لنا لقضاء عطلات نهاية الأسبوع لشراء جميع مستلزماتنا. ولم يفكر في أي شيء سوى الجولف. فقد كان يلعب مع أصدقاء كثيرين وقام بإعطاء وتدريس العديد من الدورات في الجولف بنجاح. وتدرجياً أصبحت أنا مشهورة ومعروفة على أنني زوجة لاعب الجولف.

وقال آرثشي "أنا لا أمانع من إقامتنا في الريف. فأنا اعتقد أنها جيدة وستكون جيدة بالطبع لروزلن. فهي تحب الريف وأنا اعرف انك أيضًا تحبينه، فإذا كان الأمر كذلك فإن هناك مكانًا واحدًا فقط يمكننا المعيشة به وهو سان ميجيل".

فقلت له "سان ميجيل! ولكني لم أعني هذا المكان عندما تحدثت عن حياة الريف ولكن بالطبع إن هذا المكان باهظ التكاليف أليس كذلك؟ إنهم فقط الأثرياء هم الذين يعيشون هناك".

فقال آرثشي "أوه! أتوقع أننا يمكننا أن نجد شيئًا ما وهو متفائل"

ثم سألني بعد يوم أو يومين عن كيفية إنفاق مبلغ الـ ٥٠٠ دولار التي تسلمتها من "أخبار المساء". فقلت له "إنه مبلغ كبير واعتقد أننا يجب أن ندخر هذا المال لوقت الحاجة".

فقال "أوه، لا اعتقد أنه علينا القلق بشأن هذا الآن وأنت تبدين انك ماهرة في الكتابة"

فقلت له "نعم ربما يمكنني أن أنفقه-أو أنفق بعضًا منه في بعض المشتريات لروزلن وشراء فستان للمساء أو أحذية ذهبية أو فضية بدلًا من السمراء".

وسألني ارتشي "لماذا لا تفكري في شراء سيارة؟"

فقلت له "شتري سيارة! ونظرت إليه بكل دهشة. وكان آخر شيء في أحلامي هو السيارة فلا يوجد أي شخص في دائرة معارفنا يملك سيارة. وكان ما يزال لدي اعتقادًا أن السيارة تكون للأثرياء. فهذه السيارات تجري وتمربك بمسافة عشرين- ثلاثين-أربعين-أو خمسون ميلًا في الساعة وبداخلها أشخاص يرتدون قبعاتهم وبقيت انظر إليه بكل دهشة سيارة!"

"ولم لا!"

ولم لا في الواقع؟ إنه ممكنًا. فأنا أجاثا يمكن أن يكون لدي سيارتي الخاصة وكان هناك شيئين أحلم بتحقيقهما في حياتي الأولى: هي أن يكون لدي سيارة.

والثانية: كانت قبل أربعين عامًا وهي أن أتناول العشاء مع الملكة في قصر باكنجهام.

إنها أشياء اعتقدت أنها لن تحدث لي أبدًا في حياتي أن يكون لدي سيارتي الخاصة؛ وان أتناول العشاء مع ملكة انجلترا.

أيتها الهرة؛ أيتها الهرة؛.. أين كنت؟

كنت في لندن لزيارة الملكة.

إنه كان شيئًا جيدًا مثل ميلاد الملكة أجاثا!

أيتها الهرة، أيتها الهرة،.. ماذا كنت تفعلين هناك؟

كنت أخيف فارًا صغيرًا تحت كرسي العرش الخاص بها.

ولم يكن لدي أي فرصة لتخويف أية فئران تحت كرسي الملكة إليزابيث الثانية، ولكنني استمتع بمسائي. فهي صغيرة وجميلة في رداءها البنفسجي الأحمر الداكن بمجوهراتها الجميلة- وسهولتها وبساطتها في الحديث. وأتذكر أنها أخبرتنا قصة ما عن كيفية استخدام غرفة للرسم ذات مساء، وفي منتصف المساء سقطت شلالات من السخام إلى أسفل وكان عليهم الخروج إلى خارج الغرفة. ومن المبهج أن تعرف أن الكوارث المحلية يمكن أن تقع في أعلى الدوائر.





الجزء السابع

أرض السعادة الضائعة



بينما كنا نبحث عن كوخنا الريفي، جاءتني أخبار سيئة من أفريقيا عن أخي **مونتي**، والذي لم يبرز دوره في حياة أي منا حتى قبيل الحرب، عندما كان يدير سفن الشحن على بحيرة فيكتوريا. كان يرسل إلى ماج خطابات من أناس كثيرون هناك، جميعهم متحمسين للفكرة. لو أمكنها فقط أن تزيد الرأسمال قليلاً إلى.. كانت أختي تظن أن ثمة شيء يمكن أن ينجح مونتي فيه. فهو يجيد أي شيء له علاقة بالسفن. لذلك تكفلت ماج بأجرة سفره إلى إنجلترا. وكان المخطط يشتمل على بناء مركب صغيرة في **إسيكس**. حقاً لقد كان هناك انتشاراً واسعاً لمثل هذا النوع من الحرف. فلم يكن هناك سفن صغيرة للشحن في ذلك الوقت على البحيرة. وعلى الرغم من ذلك، فإن الجزء الآخر من الخطة- هو أن مونتي سيكون القبطان- ولم يكن لدى أي أحد ثقة في أن المركب ستدار في أوقاتها، أو في إمكانية الاعتماد على الخدمة ذاتها.

"إنها لفكرة رائعة، الكثير من الأسقف يجب إقامتها. لكن ميللر الطيب العجوز يعتقد أنه لم يشعر بإحساس النشاط من قبل، أو أن وجهه لا يشبه وجه التابع؟ أعنى أنه رئيس نفسه.

لكن أختي المتفائلة وافقت على استثمار الجزء الأكبر من رأسمالها في إتمام بناء السفينة.

جيمس يعطيني ما يكفي من الأموال، ويمكنني استغلال جزء منها في المساعدة في آشفيلد وبذلك لا أكون ضيّعت مصدر الدخل.

كان زوج أختي غاضباً، حيث كانت هناك كراهية متبادلة بينه وبين مونتي. وكان متأكداً من أن ماج سوف تخسر أموالها لا محالة.

هبطت ماج إلى **إسيكس** عدة مرات، وبدأ كل شيء يسير على ما يرام.

الشيء الوحيد الذي كان يقلقها هو أن مونتي كان دائماً ما يأتي إلى لندن، يقيم في فندق باهظ التكلفة، يشتري كميات كبيرة من البيجانات الحريرية الفاخرة. وأزياء القبطان، عليها سوار من الياقوت، وحقيبة مسائية متقنة الصنع وغيرها من الهدايا الساحرة باهظة الثمن.

"لكن يا مونتي، إن المال للسفينة وليس لأن تشتري لي به الهدايا"

"لكنني أريد أن أقدم لك ألطف الهدايا، فأنت لا تشتري أي شيء لنفسك مطلقاً"

"وما هذا الشيء الذي يوجد على عتبة النافذة"

"هذه؟ إنها شجرة يابانية قزمة"

"لكنها باهظة الثمن، أليس كذلك؟"

"كلفني ٧٥ دولار، كنت دائماً أرغب في واحدة، انظري إلى شكلها، جميلة أليس كذلك؟"

"أوه مونتي، أتمنى لو تتوقف عن ذلك"

"مشكلتك تكمن في أن حياتك مع العجوز جيمس جعلتك تنسى كيف تستمتعين بها.

ثم اختفت الشجرة عندما زارته للمرة الثانية.

سألته متلهفة: "هل أعدتها إلى المحل مرة أخرى؟"

"أعيدها إلى المحل! رد مونتي مرتاعاً. "بالطبع لا. في الواقع أعطيتها لموظفة الاستقبال هنا، إنها فتاة لطيفة جداً لقد أعجبتها كثيراً، وكانت قلقة على أمها"

لم تجد ما ج ما تقوله.

فقال مونتي: "هيا بنا نخرج لتناول الغداء"

"حسنًا- ولكننا سنذهب إلى ليون"

"جميل جدًا"

نزلا إلى الشارع، سأل مونتي البواب أن يحضر لهما سيارة أجرة تاكسي، ركبا فيها وأعطاه مونتي نصف شلن. وأخبر السائق أن يذهب إلى بيركلي. فانفجرت ماج بالبكاء.

أخبرني مونتي فيما بعد أن "حقيقة الأمر هو أن جيمس شديد البخل لدرجة تحطمت معها روح ماج المسكينة بالكامل. يبدو أنها لا تفكر في أي شيء سوى الادخار"

"أليس من الأفضل أن تفكر في الادخار؟ ماذا لو نفذ المال قبل الانتهاء من السفينة؟"

ابتسم مونتي ابتسامة عريضة بطريقة شريفة.

"لا توجد أي مشكلة، سيضطر العجوز جيمس إلى التمويل".

مكث مونتي معهم لمدة خمسة أيام صعبة، وتجرع كميات كبيرة من الوديسكي. تسللت ماج في الخفاء وأحضرت مزيدًا من الزجاجات ثم وضعتها في حجرته، وهو ما أسعد مونتي كثيرًا.

كان مونتي منجذبًا إلى نان وات، وكان يأخذها إلى المسارح والمطاعم الفارهة.

أحيانًا تقول ماج في يأس: "هذا المركب لن يصل إلى أوغندا".

من المفترض أن يكون الأمر قد انقضى. ومونتي هو المسئول عن عدم انقضاؤه. لقد أحب "الباتينجا" كما سماها، وكان يريد لها أكثر من سفينة للشحن. لقد أمر بتركيبات أبنوسية وعاجية حجرة مغطاة بألواح صاج له، بالإضافة إلى سلّم خزفي

ضدّ الحريقَ بني مصنوع خصيصًا وأطلق عليها اسم الباتينجا، وكل هذا آخر انجازها.

كما أن الحرب قد اندلعت، ولن يكون لها أن تبحر إلى أفريقيا. ويجب أن تباع إلى الحكومة بأبخس الأثمان. عاد مونتي إلى الجيش—هذه المرة إلى كتائب البنادق الأفريقية الملكية.

وبذلك انتهت قصة الباتينجا....

لا يزال لدى المزيد.

والآن جاء خطاب من طبيب. "لقد جرح مونتي كما علمنا في ذراعه أثناء الحرب. يبدو أنه أثناء علاجه في المستشفى أصاب الجرح التلوث- إهمال من الممرض، استمرت العدوى وتكررت حتى بعد خروجه من المستشفى. استمر في عمله كصياد، لكن في نهاية المطاف نقل إلى مستشفى فرنسية مُدارة من قبل الراهبات وقد اشتد به المرض.

في البداية لم يرغب في الاتصال بأي من أقاربه. لكنه الآن في سكرات الموت—وأقصى حد لما يتبقى من حياته ستة أشهر—ولديه رجاء في أن يعود للمنزل حيث يرغب في أن يموت عند أهله. ومن الممكن أيضًا أن المناخ في إنجلترا قد يمد في عمره قليلًا.

تم عمل الترتيبات سريعًا لمرور مونتي بحرًا من مومباسا. كما بدأت أُمي في عمل التجهيزات في آشفيلد—لقد نُقِلَتْ وهي تملأها السعادة—لأنها ستكرس وقتها في الاعتناء به—ابنها الغالي. لقد بدأت تتصور علاقة أم بابنها، والتي كنت متأكدة من أنها لم تكن واقعية كليًا. حيث لم يحدث أبدًا أي انسجام بين أُمي ومونتي. لقد كانا متشابهين في جوانب كثيرة، إلا أن كلاهما كان له أسلوبه الخاص. وكان مونتي من أصعب المخلوقات التي يمكن أن تعاشرهم.

قالت أمي: "الآن الأمر مختلف، لا تنسى كم هو مريض هذا الولد المسكين"
أما أنا فأرى أن مونتي المريض سيكون بنفس صعوبة مونتي قبل مرضه.
فطبائع الناس لا تغيرها العلل. ومازلت أمل في الأفضل.
وجدت أمي صعوبة في إقناع جاريتهما المسنتين بفكرة استضافة خادم مونتي
الأفريقي.

"لا أظن أنه يمكننا النوم في نفس البيت مع رجل أسود، هذا ما لم أعود
عليه أنا وأختي".

اتخذت أمي إجراءاتها، فهي امرأة صعبة اللين، تناقشت معهما. وكان الإغراء
الذي قدمته لهما هو احتمال تمكثهما من تحويل الأفريقي من الإسلام للمسيحية.
حيث كانتا شديدتا التدين.

"يمكننا أن نقرأ عليه الكتاب المقدس" قالتا ذلك وعيونهما تلمع.

في تلك الأثناء أعدت أمي جناح قائمًا بذاته من ثلاثة غرف وحمام جديد.
تعطّف آرثشي وقال أنه سيذهب للقاء سفينة مونتي التي ترسى في تيلبوري.
كما أنه قد حجز له شقة صغيرة في بايزواتر حتى يرتاح فيها مع خادمه.
بينما كان آرثشي يستعد للانطلاق إلى تيلبوري، ناديت: "لا تدع مونتي يأخذك
إلى ريتز"

"ماذا قلت؟"

"أقول لا تدع مونتي يجعلك تأخذه إلى ريتز-وسوف أتأكد من أن الشقة
جاهزة، وأن مالكة الشقة على علم، وأتحقق من توافر المؤن"
"حسنًا هذا جيد"

"آمل ذلك، لكنه ربما يفضل ريتز"

"لا تقلقي، سوف أتمم كل شيء قبل أن يحين الغداء"

مرّ النهار ببطيء. وفي تمام الساعة ٦:٣٠ عاد آرتشي. وبدأ عليه الإرهاق.

"كل شيء على ما يرام. لقد تأكدت من أنه استقر. كان إخراجهم من السفينة مُتعبًا. لم تكن لديه أية أمتعة ويقول باستمرار "لدينا متسع من الوقت- فلم العجلة؟ الجميع كانوا قد خرجوا من السفينة، أما هوفكان يرفع أشياء عاليًا- لكنه بدا غير مكترث. وشيباني هذا شاب جيد- ومتعاون للغاية. واستطاع في النهاية أن يحرك الأشياء."

ثم توقف ومسح حلقه.

"في الحقيقة لم أخذه إلى ميدان باول. حيث بدا عاقد العزم على الذهاب إلى أحد الفنادق في شارع جيرمين. وقال أنه سيكون أكثر إراحة للجميع حتى لا يزعج أحد.

"إذن هذا هو مكانه.

'حسنًا- نعم.'

نَظَرْتُ إليه.

فقال آرتشي: يبدو ذلك معقولًا، حيث أن تلك هي رغبة مونتي التي أصر عليها، وأنا أعرفه جيدًا عندما يصمم على شيء.

أخذنا مونتي إلى متخصص في الأمراض الاستوائية، كما تم التوصية عليه. أعطى الاختصاصي توجيهاته كاملة إلى أمي. حيث كانت هناك فرصة للشفاء الجزئي: هواء نقي - نقع مستمر في حمامات مياه دافئة - حياة هادئة. كم كان الأمر صعبًا،

نظرًا لأنهم كانوا يعتبرون أنه كان تقريبًا يحتضر، أبقوه تحت العقاقير إلى الحد الذي يصعب عليه الآن أن يترك هذه العادة.

نقلنا مونتي وشيباني إلى شقة ميدان باول بعد مرور يوم أو اثنين، حيث استقروا في سعادة-بالرغم مما أثاره شيباني عندما كان ينزل إلى بائعي السجائر يمسك بعلبة من خمسين سيجارة ويقول: "إلى سيدي". ثم يترك المحل. لم يكن نظام الرصيد الدائن الكيني مقبولاً في بايزواتر.

انتقلا مونتي وشيباني إلى آشفيلد-ليتم تجريب مفهوم الأم والابن "بإنهاء أيامه في سلام". كاد الوضع أن يقتل أمي. فمونتي لديه أسلوب الحياة الأفريقية. فكرته عن الوجبات هي أن يطلبها حينما يشعر برغبة في الأكل، حتى لو كان ذلك في الرابعة صباحًا. كان ذلك أحد الأوقات المفضلة لديه. حيث يدق الجرس ويستدعى الخدم، ثم يطلب الرقائق وشرائح اللحم.

"لا أفهم يا أمي ب "عمل اعتبار للخدم" تدفعين لهم مقابل تجهيز الطعام، أليس كذلك؟"

"نعم -ولكن ليس في منتصف الليل"

"كان ذلك قبل شروق الشمس بساعة واحدة. وأنا تعودت على الاستيقاظ في ذلك الحين. وهو البداية الصحيحة لليوم"

كان شيباني هو من نجح في تسيير الأمور. وأحبته الخادمتان كثيرًا، واللذان قرأتا عليه الكتاب المقدس لتجدا منه إصغاء شديد الاهتمام. وحكى لهما شيباني قصص عن حياته في أوغندا، وعن مهارة سيده العالية في صيد الفيلة.

فقد خاطب مونتي بلطف أن يحسن معاملته مع أمه قائلاً له:

"هذه هي أمك يا بوانا، عليك أن تستأذنها قبل أن تحدثها".

بعد مرور عام، اضطر شيباني للعودة إلى أفريقيا إلى زوجته وعائلته، وبدأت الأمور تصعب. لم ينجح المرافقون الذكور لا مع مونتي ولا مع أمي. نزلت أنا وماج بالتناوب لتقديم المساعدة.

أخذت صحة مونتي تتحسن، ومعها ازدادت صعوبة السيطرة عليه. شعر بالملل وبغرض التسلية كان يطلق النار من خلال النافذة باستخدام مسدس. تدمر التجار وبعض من ضيوف أمي. لكن ذلك لم يجعله يرجع عما يفعله. "إحدى العوانس كانت تسير أسفل الطريق وتتمايل بقوامها. لم أستطع المقاومة—أطلقت طلقة أو اثنتين عن يمينها ويسارها. يا الهي! كيف جرت!

حتى ماج أطلق حولها رصاصات يومًا ما أثناء قيادتها للسيارة، وكانت مرعوبة للغاية.

"لا يمكنني تخيل السبب! لا يمكنني إيذاءها، هل هي تصدق أنني يمكن تعمد ذلك؟"

أشتكى أحدهم، جاءت الشرطة. أخرج مونتي رخصة سلاحه الناري، وتحدث عن حياته كصياد في كينيا، ورغبته في المراقبة. إحدى السخيفات أدركت أنه كان يصوب النار عليها. لكنه في الواقع رأى أرنب. وبكونه مونتي أفلت من الأمر، حيث أن الشرطة قبلت مبرراته كأمر طبيعي لرجل عاش حياة مثل التي عاشها المقدم ميللر.

"الحقيقة هي، يا صغيرتي، هو أنني لا أستطيع تحمل هذا الحصار الذي أعيش فيه هنا. لو أمكن أن يكون لي كوخ صغير في دارتمور—هذا ما أرغب فيه، هواء وفضاء—مجال للتنفس."

"أهذا ما تريده حقًا؟"

"بالطبع هو كذلك. فأمي العجوز المسكينة تصيبني بالجنون. وما يثيرني هي كل هذا هي الأوقات المحددة للوجبات. كل شيء روتيني. هذا ما لم أعود عليه.

لقد عثرت لمونتي على بيت صوان من طابق وأحد في دارتمور. كما أننا وجدنا- كنوع من الإعجاز-مديرة المنزل المناسبة للاهتمام به. كانت سيدة في الخامسة والستين-وعندما رأيناها للمرة الأولى كانت تبدو غير مناسبة بالمرّة. كان لديها شعر أصفر لامع مجعد موضوع عليه بروكسيد وكثير من أحمر الشفاه. كانت ترتدي زى أسود حريري. وهى أرملة لطبيب كان مدمن للمخدرات، وقد عاشت أغلب حياتها في فرنسا، وأنجبت من الأطفال ثلاثة عشر.

كانت بمثابة الاستجابة للدعاء-حيث استطاعت السيطرة على مونتي، وهذا ما لم يقدر عليه غيرها. كانت تهض وتطهو له وجباته في منتصف الليل إذا رغب في ذلك. لكن، قال مونتي بعد فترة قصيرة أنني أقلعت عن ذلك-وهو كما تعلمين شيء شاق على السيدة تايلور. إنها رياضية جيدة، لكنها ليست شابة.

قامت من تلقاء نفسها وبدون أن يطلب منها أحد بحفر الحديقة الصغيرة وزرعت البازلاء والبطاطس الجديدة والفاصوليا الفرنسية. كانت تصغي عندما يتكلم مونتي، وتبدو غير مهتمة عندما يصمت. كان هذا رائعاً.

استعادت الأم صحتها. لم تعد ماج قلقة. استمتع مونتي بالزيارات العائلية. وكان يحسن التصرف في مثل هذه المناسبات، يملئه الفخر بالوجبات اللذيذة التي تصنعها له السيدة تايلور.

كانت الثمانمائة دولار مقابل منزل دارتمور الصوان مبلغاً زهيداً بالنسبة لي أنا وماج.



وجدت أنا وآرتشي كوخنا في الريف—على الرغم من أنه لم يكن كوْحًا. فقد كانت سان ميجيل كما توقعت منطقة سكنية ذات تكاليف معيشية باهظة. كانت مليئة بالمنازل الحديثة الفاخرة المبنية حول ملعب الجولف. لم يكن بها أية أكواخ ريفية على الإطلاق. لكننا وجدنا منزل فيكتوري كبير وهو منزل سكوتسوود، يقع داخل حديقة كبرى مقسمًا إلى أربع شقق. اثنتان منها مسكونتان بالفعل—كليهما في الدور الأرضي—لكن كانت هناك شقتان في الطابق العلوي يجرى تشطيبهما وقمنا بفحصهما. كل شقة تتكون من ثلاث حجرات في الطابق الأول وحجرتان في الطابق الذي يليه. وبالطبع مطبخ وحمام. إحداهما كانت أكثر جاذبية من الأخرى—نظرًا لأشكال حجراتها الأفضل بالإضافة إلى المنظر الذي تطل عليه، لكن الأخرى بها حجرة إضافية صغيرة كما أنها كانت أقل سعرًا لذا اخترنا الاستقرار في الأخص ثمنًا. استغل المستأجرون الحديقة، وكانت المياه الساخنة متوافرة باستمرار. كان الإيجار أعلى من إيجار شقتنا في طريق أديسون، بيد أن الفارق لم يكن كبيرًا. أظن أنه كان ١٢٠ دولارلذا وقعنا العقد وأعدنا العدة للانتقال إليها.

كنا نذهب إليها باستمرار لمراقبة مدى تقدم النقاشون والمزخرفون—والذي كان دائمًا أقل بكثير مما وعدوا به. في كل مرة كنا نكتشف أن شيء ما به عيب. كانت أوراق الحائط أقلها عرضة للخطر. فالعيب الوحيد الذي قد يصيبها هو أن تقوم بوضع الورقة الخطأ، لكن من الوارد أن تخطئ في وضع ظلال الطلاءات بالإضافة إلى أننا لم نكن موجدين لمراقبة ما كان يحدث. ومع ذلك فقد تم الانتهاء من كل شيء في الوقت المناسب. كان لدينا حجرة معيشة كبرى بستائر جديدة من قماش الكريتون—صنعتها بنفسي. وفي حجرة الطعام الصغيرة كان لدينا بعض الستائر الفاخرة الأخرى لأننا كنا نحبا كثيرًا، من التوليب على أرضية بيضاء. في الطابق العلوي كان آرتشي لديه غرفة ملابس وغرفة فارغة للطوارئ وخشخاش ملون

وورود الذرة الزرقاء. وفي حجرة النوم اخترت ستائر من أعشاب الجريس والذي لم يكن اختيارًا جيدًا نظرًا لأن هذه الغرفة كانت تواجه جهة الشمال، فكانت أشعة الشمس نادرًا ما تدخلها. الوقت الوحيد الذي كانت تبدو فيه جميلة عندما يستلقى المرء على الفراش في منتصف النهار ويرى الضوء يبرق خلالها. سواء كانت على جانبي النافذة أو عند رؤيتها ليلاً، كانت الزرقة تتلاشى. في الواقع، كانت تشبه الزهور البرية الطبيعية بمجرد أن تأتي بها إلى المنزل تتحول إلى اللون الرمادي، تحزن وترفض أن ترفع رؤوسها. فالزهرة البرية هي زهرة سعادتها الوحيدة عندما تكون في الغابات. واسيت نفسي بكتابة أغنية شعبية عن الزهرة البرية:

حكاية شهر مايو

سار الملك ذات صباح بهيج في شهر مايو

قيل إن الملك جلس يرتاح، فغلبه النوم

وعندما أفاق، "وجد الليل مخيمًا

(ساعة المزاج الساحر)

وعشبة الجريس البرية، كانت ترقص في الغابة

أقام الملك مأدبة للزهور جميعها (ما عدا واحدة)

بعيون نهمة راقبهم، يبتغي واحدة بمفردها

كانت الزهرة هناك في نسيجها الحريري

الزنبق مع القلنسوة الخضراء

لكن عشبة الجريس البرية، ترقص وحدها في الغابة

الملك، عبس غاضبًا، ويداه على سيفه

أرسل رجاله للقبض عليها، وإحضارها إلى سيدهم

بالحبال الحيرية ربطوها

ثم وقفت بين يدي الملك

عشبة الجريس البرية، التي ترقص في الغابة

نهض الملك لتحياتها، العذراء التي يحلم بالزواج منها

تناول الملك تاجه الذهبي، ووضعه على رأسها

ثم ارتعش وبدأ شاحبا

والخدم يحدقون خائفين

في زهرة الجريس الرمادية، شاحبة جدًا كالشبح هناك

أيها الملك، تاجك الثقيل سوف يجعل رأسي ينحني بالهموم

حيطان قصرك ستقيدني، أنا التي أعيش طليقة كالهواء

الريح هو عشيقتي

وكذلك الشمس

وزهرة الجريس، البرية، لن تصبح أبدًا مليكتك

لبس الملك لباس الحزن عامًا، ولم يستطع احد تخفيف آلامه

سار الملك في طريق للعشاق

ووضع جانبًا تاجه الذهبي

ثم جال الغابة

أين هي زهرة الجريس، البرية، برقصها الحر الجامح

لقد لاقت رواية "الرجل ذو البدله البنيه" نجاحاً كبيراً. كما أنني تعرضت للضغط مرة أخرى من جانب مكتب بودلي لتجديد العقد معهم. لكنني رفضت. والكتاب الثاني الذي أرسلته إليهم كان مكون من قصة قصيرة والتي كتبها قبل ذلك بعدد لا بأس به من السنوات. كما أنني كنت معجبة بها كثيراً: لقد عالجت العديد من الأحداث الخارقة. قمت بتوسيعها قليلاً وأضفت عليها بعض الشخصيات ثم أرسلتها إليهم. ولم تحظى بقبولهم. وكنت متأكدة من ذلك. فلم يكن هناك في العقد ما يلزم بأن يكون أي كتاب أقدمه لهم إما قصة بوليسية أو رواية مثيرة. وما تم ذكره كان فقط: "الرواية القادمة" والتي جعلتها رواية كاملة - فقط - أرسلتها إليهم إما للقبول أو الرفض. تم رفضها لذا كان أمامي كتاب واحد فقط لأكتبه لهم، ومن بعده الحرية. الحرية بالإضافة إلى نصيحة **هيوز ماسي** - منذ ذلك الحين فصاعداً يجب أن أحصل على النصح الجيد فيما يتعلق بما يجب أن أفعل، والأهم من ذلك، مالا يجب أن أفعل.

كان الكتاب التالي الذي كتبته مرحاً للغاية، على نمط "الخصم السري". لقد كان أكثر مرحاً وأسرع في كتابته، كما أنه عكس حالة الخلو من الهموم التي كنت أشعر بها في تلك الفترة حيث كان كل شيء يسير على ما يرام. حياتي في **سان ميغيل** ومنتعة مراقبة روزلن وهي تنمو يوماً بعد يوم وأصبحت أكثر تشويقاً وتسلية. لم أتفهم أبداً رغبة البعض لو أن أطفالهم يظلوا رضع ويصيهم الهم عندما يكبروا كل عام. أنا نفسي أحياناً لا أطيق الانتظار: وأشعر برغبة شديدة في أن أرى كيف ستبدو روزلن بعد عام والعام الذي يليه وهكذا. في اعتقادي ليس هناك في هذا العالم ما هو أكثر إثارة من أن يكون لديك طفل ينتمي إليك ومع ذلك يكون غريباً بشكل غامض. لقد كنت أنت البوابة التي أتى من خلالها إلى هذا العالم، وستكونين أنت المسئولة عنه لفترة: بعدها سيتتركك ليتفتح على حياته الحرة الخاصة به - وأنت تراقبيه وهو يعيش حياته بحرية. إنه مثل نبتة غريبة تجلبها للبيت وتغرسها، ولا تطيق الانتظار حتى ترى كيف سيكون شكلها.

كان لدى روزلن دراجتها التي تجول بها بحماسة في جميع أنحاء الحديقة، تتعثر وتسقط مرات، لكن بدون أي اهتمام من جانبها. حذرتها أنا وسأيت ألا تتخطى البوابة، لكنني لا أظن أن أي منا كان حازماً في منعها. على أية حال لقد وقعت في المحذور، وتخطت البوابة مبكراً في الصباح عندما كنا مشغولين في الشقة. حيث ركبت دراجتها بسرعة أسفل التل في اتجاه الطريق الرئيسي، ولحسن الحظ سقطت قبل أن تصل إلى هناك، وقد أدى السقوط إلى إدخال اثنان من أسنانها الأمامية، وكنت خائفة من احتمال أن يضر ذلك بأسنانها القادمة عندما تبرز. اصطحبتها إلى طبيب الأسنان وجلست روزلن على الرغم من أنها لم تكن تشتكي من شيء على كرسي الطبيب وشفتاها مطبقة على أسنانها رافضة أن تفتح فمها لأحد. أي شيء تفوهت به أنا أو سأيت أو الطبيب كانت تقابله دون أن تنبس ببنت شفة، وظلت أسنانها في تشابكها. اضطررت إلى أن أخذها بعيداً. كنت غاضبة وقابلت روزلن كل محاولاتي لتوبيخها بالصمت. بعد تعرضها للتوبيخ من سأيت ومنى قررت بعد مرور يومان أن تذهب إلى طبيب الأسنان.

"هل أنت جادة هذه المرة يا روزلن، أم ستصرفين كالمرة السابقة؟"

"لا، هذه المرة سأفتح فمي"

"أظن أنك كنت خائفة؟"

"حسنًا، لا يمكن أن تطمئني بدرجة كبيرة إلى ما يمكن أن يفعله بك الغرباء أليس كذلك؟"

وافقتها الرأي، لكنني طمأنتها أن الجميع ممن تعرفهم هي وأعرفهم أنا في انجلترا يذهبون إلى أطباء الأسنان ويفتحون أفواههم وتُفعل بأسنانهم أشياء تؤدي في النهاية إلى منفعتهم. وفي هذه المرة ذهبت روزلن وتصرفت بشكل لائق. أزال الطبيب الأسنان المرتخية وقال أنها قد تضطر لارتداء طاقم أسنان فيما بعد، لكنه احتمال ضعيف.

لدى شعور بأن أطباء الأسنان لم يشبهوا الأطباء ممن كانوا في طفولتي. كان طبيب أسنان العائلة يدعى السيد هيرن، رجل صغير الحجم ومفعم بالنشاط ولديه شخصية ترهب مرضاه. أخذت إليه شقيقتي وهي صغيرة. سريعاً ما انفجرت ماج بالبكاء وهي لا تكاد تظهر من المقعد.

قال السيد هيرن: "لا يمكن أن أسمح بذلك، فأنا لا أسمح لمرضاي بالبكاء"

قالت ماج: "حقاً؟ في اندهاش شديد لدرجة أنها توقفت فجأة"

فقال السيد هيرن: "لا، إنه شيء سيء لذلك لا أسمح به"، وانتهى الأمر بسلام.

كنا جميعاً سعداء بوصولنا إلى سكوتسود: من المشوق العودة مرة أخرى إلى الريف: كان آرثي مسروراً. حيث أنه الآن اقرب ما يكون إلى ملعب جولف سان ميجيل. وكانت سايت سعيدة لأن ذلك سيوفر عليها الرحلات الطويلة بعربة الثيران إلى المنتزه، وكذلك روزلن لأن بها الحديقة لدراجتها الجميلة. لذا كان الجميع سعداء. على الرغم من أنه عند وصولنا مع شاحنة الأثاث، لم يكن هناك أي شيء جاهز. كان المختصون بالكهرباء لا يزالون يختبئون في الممرات. وكانت هناك صعوبة كبرى في تحريك أي قطعة أثاث. مشكلات الأحواض والصنابير والضوء الكهربائي كانت لا تنتهي. والمستوى العام لعدم الكفاءة كان غير قابل للتصديق.

الآن ظهرت رواية "الرجل ذو البدله البنية" في "أخبار المساء" واشترت "موريس كاولي" - والتي كانت سيارة جيدة جداً، يمكن الاعتماد عليها وأفضل صنفاً من السيارات في أيامنا هذه. الشيء التالي الذي علي القيام به هو أن أتعلم كيف أقودها.

عم الإضراب، وقبل تجاوز ثلاثة دروس مع آرثي، أخبرني أنني على أن أوصله إلى لندن.

"لكنني لا أستطيع. أنا لا اعلم شيئاً عن القيادة!"

"نعم أنت تستطيعين. إنك تتقدمين بشكل جيد"

كان آرثشي معلم جيد، لكن لم يكن هناك في مثل هذه الأيام مجالاً لانتظار اجتياز أي اختبار. ولم يكن هناك وجود لما يسمى برخصة القيادة. منذ اللحظة الأولى التي تتحكم فيها بالسيارة، تكون مسئولاً عما تفعله بها.

"لا أظن أنه باستطاعتي تغيير الاتجاه على الإطلاق." قلت ذلك ويملأني التردد،
"فالسيارة لا تسير في الاتجاه الذي أتوقعه"

فقال آرثشي مطمئناً: "لست مضطرة للرجوع، تستطيعين توجيه الدفة بشكل جيد-هذا هو كل ما يهم. إذا سرت بسرعة معقولة ستكونين على ما يرام، كما أنك تعلمين كيفية استخدام الكوابح"

أجيبته: "كان هذا هو أول شيء علمتني إياه"

"بالطبع فعلت. لا أرى سبباً لوجود أية مشاكل معك"

قلت مترددة " لكن المرور"

"يا الهي، لست بحاجة على الإطلاق للبدء به"

لقد سمع بوجود قطارات كهربية تنطلق من محطة هونسلو، حينئذ تكون مهمتي هي قيادة السيارة بسرعة فائقة مع آرثشي إلى هونسلو، بعدها يقوم آرثشي بلف السيارة ويضعها في اتجاه رحلة العودة، ويتركني أتعامل مع ما أمامي من أجهزة بينما يذهب هو إلى المدينة.

المرّة الأولى التي قمت فيها بذلك كانت من بين أسوأ المحن التي واجهتها في حياتي. لقد كنت أرعد خوفاً ومع ذلك تمكنت من أن أتقدم بشكل جيد. قمت بتوقيف المحرك مرة أو مرتين عن طريق الفرملة بأكثر مما أحتمله من عنف، كما كنت حذرة بشأن ما يمر من أشياء. بالطبع لم يكن المرور في الطرقات في ذلك الحين

مثل تلك الأيام ولم يكن يستدعى مهارات خاصة. طالما أنك تستطيع القيادة على نحو معتدل ولا تضطر إلى ركن السيارة أو تغيير الاتجاه أكثر من اللازم يكون كل شيء على ما يرام. كانت أسوأ لحظة عندما اضطررت إلى أن انتقل إلى سكوتسوود والزج بنفسني داخل جراج السيارات شديد الضيق بجوار سيارة جيراننا. هؤلاء الناس يسكنون في الشقة أسفل منا، زوجان صغيري السن يدعون "راونكليفز. أخبرت الزوجة زوجها قائلة: "لقد رأيت ساكنة الطابق الأول وهي عائدة بسيارتها هذا الصباح، لا أظن أنه قد سبق لها قيادة أي سيارة من قبل، حيث كانت تقود داخل الجراج وهي ترتعش بيضاء كبياض الورق. ظننت أنها ستصطدم بالحائط، لكنها لم تفعل".

لا أظن أن هناك أحد خلاف آرثشي كان سيمنحني الطمأنينة. كان دائماً ما يسلم بقدرتي على فعل أشياء أحمل تجاهها قدرًا كبيرًا من الشك. "بالطبع يمكنك فعل ذلك" يقول آرثشي "لم لا؟ إذا ظلت تعتقدين أنك غير قادرة على فعل الأشياء، فلن تفعلي شيئاً أبداً".

لقد اكتسبت قليلاً من الثقة، وبعد ثلاثة أو أربعة أيام تمكنت من الاختراق أكثر داخل لندن ومواجهة أهوال المرور. يالاً سعادتي بكون السيارة تحت تصرفي! لا أظن اليوم أن هناك من يمكنه إدراك الفرق الذي أحدثه ذلك في حياة المرء. أن تتمكن من أن تذهب إلى أي مكان تختاره - إلى أماكن لا تصل إليها قدمالك. إنها تسهم في توسيع الأفق. ومن أسباب سعادتي لامتلاكي السيارة هي أنني كنت أذهب إلى آشفيلد وأخذ أمني معي في نزهاة. لقد كانت مستمتعة ومتحمسة مثلي. لقد ذهبنا إلى كل الأماكن-دارتمور ومنازل الأصدقاء الذي لم تتمكن أبداً من رؤيتهم بسبب المواصلات وصعوباتها- كما أن البهجة المطلقة للقيادة كانت كافية لكلا منا. لا أظن أن هناك شيئاً منحني السعادة ومتعة الانجاز أكثر من سيارتي الموريسي كاوي.

لم أستخدم بشيء من آرتشي فيما يتعلق بالكتابة على الرغم من تعاونه معي في أغلب الأشياء العملية في حياتي. من حين لأخر كنت أشعر بدافع لأن أعرض عليه ما لدى من أفكار تتعلق بقصة جديدة أو حبكة الكتاب. عندما وصفت أحد الكتب مترددة بدا شديد التفاهة وعقيم والعديد من الصفات الأخرى التي لن أتوسع في ذكرها. قد يتعطف آرتشي بالإصغاء عندما يكون انتباهه منصرفاً لآخرين، في النهاية سألته خائفة: "ما رأيك هل تظن أنها ستكون جيدة؟"

رد آرتشي بأسلوب محبط "لا أرى فيها الكثير من الوصف، أليس كذلك؟ أو حتى التشويق؟"

"لذا أنت في الحقيقة لا تظن أنها ستنجح"

"أعتقد أنه بإمكانك الأفضل"

بعد ذلك شعرت بأن هذه الحبكة سقطت ميتة للأبد. وما حدث هو أنني أعدت إليها الحياة أو بالأحرى هي التي أحيت نفسها بعد مرور خمسة أو ستة سنوات. هذه المرة لم تتعرض للنقد وتطورت بشكل أكثر إقناعاً وأصبحت من بين الكتب المفضلة لي. المشكلة تكمن في الصعوبة التي يواجهها المؤلف عند التعبير بالكلمات في سياق الحديث. يمكنك القيام بذلك بقلم رصاص في يدك أو وأنت جالس في مقابل الآلة الكاتبة. ثم يخرج العمل مصاغاً بالفعل كما يجب أن يكون، لكنك لا تستطيع أن تصف الأشياء التي تكون بصدد كتابتها - أو على الأقل بالنسبة لي. في النهاية تعلمت ألا أتكلم أبداً بأي شيء عن الكتاب قبل أن أنتهي من كتابته. فالنقد الذي يتبع كتابته يكون مفيداً. يمكنك أن تعارض وجهة النظر أو حتى تسلم بها، لكنك على الأقل تدرك أنه أثر في أحد القراء. يكون وصفك عما ستقوم بكتابته عقيماً، ولا يحظى برضائك الفوري.

لا أظن أن المؤلف مؤهلاً للنقد. ما تنقده حتماً كنت ستكتبه بالطريقة هذه أو تلك لكن هذا لا يعني أن هذه الطريقة تتلاءم مع كاتب آخر. كل منا له طريقته الخاصة في التعبير عن نفسه.

أيضاً نجد الاعتقاد المخيف بأنك بهذه الطريقة قد تثبط عزيمة شخص لا يجب أن يصاب بذلك. فقد عرضت إحدى قصصي الأوائل على إحدى المؤلفات المشهورات عن طريق أحد الأصدقاء، كان تقريرها عنها عدائياً "بأن المؤلف لا يمكن أبداً أن يصبح كاتباً". ما كانت تعنيه بالفعل، على الرغم من أنها كاتبة وليست ناقدة هو أن من كتب القصة لا يزال ينقصه الاحتراف والكفاءة ولا يستطيع أن ينتج ما يستحق النشر. أي من الناقد أو المحرر كان سيكون أكثر تمييزاً لأن وظيفتهما هي ملاحظة ما هو محتمل. لذا فأنا لا أحب النقد وأظن أنه مضر للمؤلف.

الشيء الوحيد الذي يمكنني تقديمه ويعتبر نقداً هو حقيقة أن مشروع الكاتب لم يعمل أي حساب لسوق بضاعته. لا تفيد كتابة رواية من ٣٠٠٠٠ كلمة -وهو ليس بالعدد السهل نشره في الوقت الحاضر. "أوه" يجيب المؤلف "لكنه يجب أن يكون بهذا الطول" حسناً، قد يكون ذلك عادياً إن كنت عبقرياً. لكنك على الأرجح قد تكون تاجراً. فأنت تمتلك شيئاً ما تشعر بأنك تجيده وتستمتع كثيراً بالقيام به، كما أنك تريد أن تبيعه بشكل جيد. إذا كان الأمر كذلك فيجب أن تعطيه الأبعاد والمظهر المطلوب. إذا كنت نجاراً لا يصح أن تصنع كرسي يعلم مقعده خمسة أقدام عن الأرضية. حيث لن يرغب أحداً في الجلوس عليه. ولا يفيد قولك بأنك تعتقد أن الكرسي يبدو جميلاً بهذه الطريقة. فإذا كنت ترغب في كتابة كتاب قم بدراسة أحجام الكتب وأكتب في إطار حدود هذا الحجم. إذا كنت ترغب في كتابة نوع معين من القصص القصيرة لنوع معين من المجلات فإن عليك الالتزام بالطول وبنوع القصص التي تطبع في هذه المجلة. أما إذا أردت أن تكتب لنفسك فقط فهذه مسألة أخرى- لك أن تعطى أي طول وأن تكتبها بأي طريقة ترغب بها، لكنك ستضطر أن تكتفي بالسرور وحده بعد أن تنتهي من الكتابة. ليس من المنطقي القول بأن الفرد يكون عبقرياً بالفطرة- البعض يكون كذلك، لكنهم قليلون. لا، حيث أن المرء يعتبر تاجراً- تاجراً في تجارة جيدة وأميناً، عليك أن تتعلم

المهارات التقنية، ثم بعد ذلك في إطار التجارة يمكنك أن تطبق أفكارك الإبداعية الخاصة بك. لكنك يجب أن تدعن لنظام القالب.

والآن بدأ بزوغ فجر إمكانية أن تصبح مهنتي الكتابة. وكنت حتى ذلك الوقت غير متأكدة من ذلك. لا يزال لدي اعتقاد بأن تأليف الكتب هو فقط الوريث الطبيعي لتطوير مساند الأريكة.

قبل مغادرتنا للندن متجهين إلى الريف، أخذت دروسًا في النحت. حيث كنت من أشد المعجبين بهذا الفن -أكثر بكثير من الصور- وكان لدى رغبة حقيقية في أن أصبح نحّاتة. أصبت مبكرًا بخيبة أمل في حلبي هذا: حيث رأيت أن ذلك لم يكن في وسعي لأنني لم أكن أتمتع بالتصور البصري: لم أكن أجيد الرسم، لذا لم يكن في مقدوري النحت. كنت اعتقد أن الأمر سيكون مختلفًا مع التماثيل. أن الإحساس بالطين والتعامل معه يساعد في الشكل. لكنني أدركت أنني لا أستطيع حقًا إدراك الأشياء، فقد كان الأمر أشبه بصمم النغمات في الموسيقى.

لقد قمت بتأليف القليل من الأغاني من قبيل الخيلاء، مع تلحين بعض مما كتبت من أشعار. نظرت مرة أخرى إلى ما ألفته من موسيقى الفالز وأيقنت بأنني ما سمعت ما هو أكثر من ذلك تفاهة. بعض الأغاني لم تكن بهذا السوء. هناك من سلسلة كتب أشعار المهرج ما أسعدتني وتمنيت لو أنني تعلمت التناغم أو عرفت شيئًا عن التأليف.

كتبت مسرحية كئيبة تدور في الأساس حول سفاح القربى. وقد قوبلت بالرفض من جانب كل مدير أرسلتها إليه. "موضوع غير سار". الغريب في الأمر هو أنه في أيامنا الحالية تجد هذه النوعية هي المفضلة بالنسبة لأي مدير.

كما أنني كتبت مسرحية تاريخية عن أخناتون. أحببتها كثيرًا. كتب إلي فيما بعد جون جيلجود. وقال إن بها نقاط تشويقية، لكن إنتاجها سيكون باهظًا وليس بها مرح بما فيه الكفاية. لم أجمع بين الفكاهة وأخناتون، لكنني أدركت أنني كنت

مخطئة. فمصر كانت ومازالت مليئة بالفكاهة أكثر من أي مكان آخر بل هي التي
أبدعت فن الفكاهة منذ آلاف السنين-تلك هي الحياة في أي مكان وفي أي زمان -
وللتراجيديا مرحها أيضًا.

٣

لقد مررنا بالكثير من القلاقل منذ عودتنا من رحلتنا حول العالم حتى بدا رائعاً أن ندخل في مثل هذه الفترة السعيدة. ربما كان يجب على بعدها أن ألبّد بالهواجس. فقد سار كل شيء على خير ما يرام. حصل آرثشي على العمل الذي أحبه وكان صاحب العمل صديقه ولقد أحب زملاءه في العمل. لقد نال ما كان دائماً يتمناه، أن ينتهي إلى نادي جولف من الدرجة الأولى، وأن يلعب فيه في كل عطلة نهاية الأسبوع. كتاباتي كانت تسير بشكل جيد وبدأت في التفكير في أنني قد أستمّر في كتابة الكتب وكسب المال من خلالها.

هل استطعت أن أدرك أنه قد يكون هناك شيء ما غير سليم في هذه الفحوى الهادئة لأيامنا؟ لا أظن ذلك. ومع هذا، كان هناك قصور معين، على الرغم من أنني لم أعتبره من بين حساباتي الواضحة. لقد تغيبت عن أول صحبة لنا سويّاً مع آرثشي. وتغيبت عن العطلات الأسبوعية عندما كنا نذهب بالحافلة أو القطار لاستكشاف الأماكن.

والآن أصبحت عطلاتنا الأسبوعية أكثر الأوقات مللاً بالنسبة لي. كنت أرغب دائماً في أن أسأل البعض النزول في العطلة الأسبوعية بغرض تكرار رؤية بعض من أصدقائنا في لندن. ولم يكن آرثشي يحب ذلك، وقال أن ذلك يفسد عليه عطلاته. إذا قرر البعض منهم المبيت سيضطر إلى المكوث فترة أكبر في المنزل وربما تفوته جولة الجولف الثانية. اقترحت عليه أن يلعب التنس مرات بدلاً من الجولف، حيث أننا لدينا العديد من الأصدقاء ممن لعبنا معهم التنس في الساحات العامة داخل لندن. أصابه الارتياح وقال أن التنس سوف يسلبه مهارته في الجولف. والآن تجده يأخذ اللعبة على محمل الجد كما لو كانت عقيدة.

"انتبهني يمكنك أن تسألني أي من أصدقائك النزول كما شئت، لكن لا تسألني زوجان، لأنني سأضطر حينها للقيام بشيء ما".

لم يكن هذا بالأمر اليسير، حيث كان أغلب أصدقائنا متزوجون، ولم يكن بمقدوري أن أسأل الزوجة بدون زوجها. كانت لي صداقات في سان ميغيل، لكن هذا المجتمع كان يتكون بشكل أساسي من نوعان: متوسطي العمر ممن يعشقون الحدايق ولا يتحدثون عن أي شيء آخر، أو الأغنياء المرحون ممن يشربون كثيرًا ويسيرون الحفلات الرسمية، وهم ليسوا نوعي المفضل أو في الحقيقة هما مما يناسب آرتشي.

زوج واحد استطاع المبيت معنا في العطلة الأسبوعية هما نان وات وزوجها الثاني. والتي تزوجت من رجل أسمه **هيوغو بولوك** أثناء الحرب وأنجبت منه ابنة واحدة هي **جودي** لكن لم يكن زواجًا سعيدًا وانتهى بالانفصال. ثم تزوجت مرة أخرى من رجل يدعى **جورج كون** والذي كان أيضًا لاعب جولف وبذلك تم حل مشكلة العطلة الأسبوعية. كان جورج وآرتشي يلعبان معًا. أما أنا ونان فكنا نتبادل الإشاعات ونتحدث ونلعب بعض الجولف المتقطع على الأماكن المخصصة للسيدات. بعدها نصعد ونقابل الرجال في النادي ونحتسى مشروبًا هناك. على الأقل كان لنا أنا ونان أن نطلب مشروباتنا بأنفسنا: نصّف باينت من القشدة الخام المخفّفة بالحليب تمامًا كما كنا نشربها في المزرعة في ابني في الأيام الخوالي.

كان الأمر صادمًا لنا عندما تركتنا سايت لكنها كانت جادة في عملها وكانت تأمل لفترة في أن تحصل على وظيفة بالخارج. روزلن أشارت أنها ستذهب إلى المدرسة العام القادم وبالتالي لن تكون في حاجة إليها. وأن سايت سمعت عن وظيفة جيدة في سفارة بروكسل وتود أن تكون من نصيبها. إنها تكره فراقنا، لقد قالت ذلك، لكنها أرادت الترتي حتى تستطيع أن تذهب كمعلمة أطفال إلى أماكن في جميع أنحاء العالم وتذوق روعة الحياة. لم يكن أمامي إلا أن أتعاطف مع مثل وجهة النظر هذه، ووافقنا مضطرين على أن تذهب إلى بلجيكا.

فكرت حينها، بعد أن تذكرت سعادتي بماري وكم كان لطيفًا تعليمي للفرنسية وأني قد أحضر معلمة فرنسية لروزلن. كتبت إلى بونكي متحمسة تقول أنها تعرف

واحدة لكنها سويسرية وليست فرنسية، وأنها قابلتها، وإحدى صديقاتها كانت تعرف عائلتها في سويسرا". إنها فتاة جميلة، مارسيل- كما أنها لطيفة للغاية". كانت تعتقد أنها الشخص المناسب لروزلن وأنها ستتعاطف معها لأنها كانت دائماً خجولة وخائفة وبإمكانها الاعتناء بها. لا أعرف إن كنت أنا وبنوكي متفقين في تقديرنا لشخصية روزلن!

وصلت مارسيل في ميعادها. كنت مرتابة في البداية. كان وصف بونكي أنها لطيفة وجميلة وصغيرة، لكنها تركت لدي انطباعاً مختلفاً. لقد بدت لي خاملة، وعلى الرغم من حسن طباعها إلا أنها كسولة وغير مشوقة. كانت ذاك النوع ممن ليس بإمكانهم السيطرة على الأطفال. فروزلن التي كانت حسنة السلوك ومهذبة وفي المجمل مرضى عنها في الحياة اليومية أصبحت، غالباً في الليل، ما يمكنني فقط وصفه على أنه مس من الشيطان.

ما كان لي أن أصدق ذلك. بعدها أدركت ما يعلمه أغلب مدربي الأطفال أن الطفل يستجيب كما يستجيب الكلب أو أي حيوان آخر فهو يدرك معنى: السلطة. ومارسيل لا تمارس تلك السلطة. حيث كانت من حين لآخر تهز رأسها برفق: "روزلن! لا، لا، روزلن" بدون أدنى تأثير.

كان منظرهما في الخارج عندما يسيران معاً منظرًا يرثى له. فمارسيل كما اكتشفت مؤخراً أن كلتا قدميها مغطتان بالحبوب والأورام الملتببة. يمكنها فقط أن تعرج في خطى كئيبة. عندما اكتشفت ذلك أرسلتها إلى أخصائي أقدام. وعلى الرغم من ذلك لم يحدث أي تغيير في سرعتها. روزلن بكونها فتاة مليئة بالحياة كانت تنطلق بخطى واسعة بمظهرها البريطاني وذقنها في الهواء. تتدمر مارسيل بعد أن تخلفت عنها: "انتظريني! انتظريني. (بالفرنسية)".

ترد روزلن في غضب: "ألستا ذاهبتان للتمشي؟!"

بعدها تقوم مارسيل بأشد ما يكون من التفاهة بإغداق روزلن بعروض التصالح من الشيكولاتة في سان ميغيل. وهو أسوأ ما يمكن أن تقوم به. ثم تقبل

روزلن عروض التصالح قائلة: "شكرًا" بأدب جم. بعدها تعود إلى سوء التصرف. داخل المنزل كانت كشيطان صغير قد تخلع حذاءها وترميه على مارسيل وتعبس في وجهها وترفض أن تتناول عشاءها.

سألت آرتشي: "ماذا عساي أن أفعل؟ إنها حقًا سيئة. إنني أعاقبها لكن لا يبدو العقاب مفيدًا في تحسين سلوكها. يبدو أنها بدأت تستلذ بتعذيب الفتاة المسكينة" يرد آرتشي: "لا أظن أن الفتاة حقًا مهتمة. لم أرى في حياتي من هو أشد منها لا مبالاة"

قلت له: "أتمنى أن تسير الأمور إلى الأفضل"

لكن الأحوال لم تتبدل إلى الأفضل وتحولت إلى الأسوأ. لقد كنت حقًا قلقة لأنني لم أرغب في أن أرى طفلي تتحول إلى شيطان هائج. طالما أن روزلن كانت تتصرف بشكل سليم مع مريبتان ومعلمة رياض أطفال، لابد وأن يكون هناك عيبًا ما عند الطرف الآخر الذي قادها إلى أن تتصرف بهذا السوء مع هذه الفتاة بالذات. تساءلت "ألست تشعرين بالأسف تجاه مارسيل، والتي جاءت إلى بلد غريب عنها كهذا حيث لا يوجد من يتحدث لغتها؟"

ردت روزلن "إنها لديها الرغبة في المجيء إلى هنا، ما كان لها أن تأتي إن لم تكن تريد ذلك. إنها تتحدث الانجليزية بشكل جيد، إنها حقًا غبية؛ غبية للغاية" ليس هناك أصح من هذا.

فروزلن كانت تتعلم قليلًا من الفرنسية وليس الكثير. أحيانًا في الأيام الرطبة كنت أقترح عليهما أن يلعبا أحد الألعاب معًا، لكن روزلن أكدت لي أنه من المستحيل أن تتعلم حتى لعبة "جارى بيجار"، إنها حتى لا تتذكر أن الأص له أربعة، وللملك ثلاثة. وقد قالت ذلك باحتقار.

أخبرت بونكي أنها لم تكن بالاختيار الجيد.

"يا الهي، ظننت أنها كانت ستحب مارسيل"

أجبت: "إنها لا تحبها، الأمر أبعد ما يكون عن ذلك. إنها تتفنن في طرق تعذيب الفتاة المسكينة، بل وترمي الأشياء عليها"

"روزلن تلقى بالأشياء عليها!"

أجبتها: "نعم، وحالها يزداد سوءاً"

قررت في النهاية أننا لا يمكننا تحمل الأمر أكثر من ذلك. لماذا نعرض حياتنا للهدم؟ تحدثت إلى مارسيل وأخبرتها أنني أظن أن الأمر لم ينجح وأنها ربما تكون أسعد في مكان آخر، إنني سأزكيها وسأحاول أن أجد لها وظيفة إذا لم تكن تفضل الرجوع إلى سويسرا. برباطة جأش قالت مارسيل إنها استمتعت برؤيتها لانجلترا. لكنها فكرت بصفة عامة في العودة إلى برن. ودّعتنا، ومنحتها ألعاب شهر إضافي- وألححت عليها أن تبحث عن مكان آخر.

ما فكرت في الحصول عليه الآن هو سكرتيرة ومربية أطفال مزدوجة. فعندما تصل روزلن الخامسة ستذهب إلى المدرسة كل يوم، مدرسة محلية صغيرة. حينها يمكنني أن يكون لدى سكرتيرة وكاتبة لبعض الساعات رهن إشارتي. ربما أستطيع إملأ أعمالي الأدبية. بدت فكرة جيدة. وضعت إعلاناً في الجريدة أطلب فيه شخص يمكنه الاعتناء بطفلة في الخامسة ستذهب قريباً إلى المدرسة، كما سيقوم بدور سكرتير للكتابة الاختزالية وأضفت عبارة: "يفضل اسكتلندي الجنسية" لقد لاحظت الآن بعد أن رأيت الكثير من الأطفال ومرافقيهم، أن الاسكتلنديين مناسبين أكثر لمرافقة الأطفال. أما الفرنسيين فكانوا مربين لا حول لهم ولا قوة ودائماً ما يتم الاعتداء عليهم من قبل من يرافقوهم. الألمان جيدون وممنهجون لكن الألمانية لم تكن في الحقيقة هي اللغة التي كنت أرغب في تعليمها لروزلن. الايرلنديون مرحون لكنهم يحدثون مشاكل بالمنزل، الانجليز كانوا من كل الألوان. لكني لدى لهفة لشخص اسكتلندي.

تلقيت العديد من الردود على ما نشرت. ثم انتقلت إلى لندن في الوقت المناسب إلى أحد الفنادق الخاصة الصغرى بالقرب من لانكستر جيت لمقابلة الأنسة تشارلوت فيشر. لقد أعجبت بالأنسة فيشر بمجرد أن رأيته. كانت طويلة القامة وبنية الشعر، تبلغ حوالي الثالثة والعشرون. وكانت في تقديري لديها خبرة مع الأطفال. بدت متمكنة للغاية تمتلك وميض لطيف يختبئ خلف ذوق عام رفيع. أبوها كان أحد قساوسة الملك في ادنبرة. كانت تعرف الاختزال والطباعة. لكن لم يكن لديها خبرة كبيرة مع الاختزال في الوقت الحاضر. لقد أعجبتها فكرة العمل في وظيفة حيث يمكنها القيام بالعمل المكتبي بالإضافة إلى الاعتناء بطفلة.

"هناك شيء آخر" قلت بارتياح "هل....هل تعتقدين أنه بإمكانك-أقصد هل تجيدين التعامل مع النساء كبيرات السن؟".

نظرت إلى الأنسة فيشر نظرة غريبة. انتهت فجأة إلى أننا كنا جالسين داخل غرفة بها حوالي عشرين امرأة عجوز يقمن بالحياسة، يحبكن ويقرأن الجرائد المصورة. دارت أعينهن جميعًا تجاهي عندما طرحت هذا السؤال. عضت الأنسة فيشر شففتها حتى تمنع نفسها عن الضحك. كنت غائبة عن كل ما يحيط بي لأنني كنت أبحث عن طريقة أصوغ بها سؤالي. الآن أصبحت أومي بالتأكيد صعبة العشرة -كحال أغلب الناس عندما يتقدم بهن العمر. لكن الحال بالنسبة لأمي والتي كانت دائمًا أكثر استقلالية وسريعًا ما تسأم وتمل من الناس، كان أكثر صعوبة من غيرها. لم تستطع جيسى سوانيل بصفة خاصة تحمل الأمر.

"أظن ذلك" ردت تشارلوت فيشر، بصوت راضى "ما وجدت أي صعوبة على الإطلاق"

شرحت لها أن أومي متقدمة في السن وغريبة الأطوار بعض الشيء وتعتقد أنها تعرف كل شيء وليس من السهل التعامل معها. بما أن الأنسة تشارلوت بدا عليها تفهم ذلك اتفقنا على أن تأتي إلى بمجرد أن تتحرر من وظيفتها الحالية، والتي كانت

كما أتذكر الاعتناء بأطفال مليونير يسكن في بارك لاين. كان لديها أخت أكبر منها تعيش في لندن وستكون في غاية السعادة إذا تمكنت أختها من حين لآخر من أن تأتي لرؤيتها. قلت لها أنه لا مانع من ذلك.

لذا جاءت تشارلوت فيشر لتكون سكرتيري الخاصة وجاءت ماري فيشر للمساعدة في حالة وجود أي مشكلات إذا اقتضت الضرورة، ومكثتا معي كصديقة وسكرتيرة ومربية أطفال ومرافقة للكلب وكل شيء آخر لعدة سنوات. ولا تزال تشارلوت من بين أعز أصدقائي.

كان مجيء تشارلوت أو كارلو كما كانت تناديهما روزلن بعد مرور شهر بمثابة معجزة. فبمجرد أن خطت إلى داخل المنزل تحولت روزلن بشكل غامض إلى شخصيتها الأولى عندما كانت مع سايت. ربما رش عليها ماء مقدس! لقد ظل حذائها في قدميها ولم تلقيه على أحد وأصبحت تجيب بكل أدب. ووجدت سعادة كبيرة في صحبة كارلو واختفى الشيطان الهائج. "على الرغم من ذلك يجب أن أقول-أن تشارلوت أخبرتني فيما بعد "لقد بدت كحيوان مفترس عندما وصلت إلى هنا، يبدو أن أحداً لم يحاول تهذيبها منذ وقت طويل، وهذا ما جعلها تتماذى".

من هنا بدأت فترة العصر الذهبي. بمجرد دخول روزلن المدرسة بدأت أجهز لكتابة قصة. كنت خائفة من هذا الأمر حتى أنني كنت أؤجله يوماً بعد يوم. وفي النهاية حان وقتها: جلست أنا وتشارلوت كلا منا مقابل الآخر ومعها أوراقها وقلمها الرصاص. حدقت غير سعيدة في رف الموقد وبدأت أنطق بعض الجمل التجريبية. كان وقعها مريعاً. لم يكن في إمكاني قول أكثر من كلمة واحدة بدون أن أتردد وأتوقف. لا شيء مما قلت بدا طبيعي. استمرينا لمدة ساعة. بعد ذلك أخبرتني كارلو أنها كانت نفسها تخاف من اللحظة التي يبدأ فيها العمل الأدبي. على الرغم من أنها أخذت دورة تدريبية في الكتابة الاختزالية، إلا أنها لم تتلقى الكثير من التدريب عليها، وحاولت إنعاش مهاراتها من خلال حضور الخطب. كانت خائفة من أن أندفع

بسرعة كبيرة. لكن لا يجد أحد أي صعوبة في كتابة ما أقوله، حيث بإمكانه القيام بذلك بالطريقة المعتادة.

بعد هذه البداية الكارثية تحسنت الأوضاع، لكن بالنسبة للأعمال الإبداعية دائماً ما كنت أشعر بالسعادة عند الكتابة بحط اليد أو استخدام الآلة الكاتبة. من الغريب أن سماعك لصوتك يجعلك خجولاً وغير قادر على التعبير عن نفسك. حدث فقط منذ خمسة أو ستة سنوات، بعد أن انكسر رسخي، لم استطع استخدام يدي اليمنى، فاستخدمت الديكتافون ثم بالتدريج اعتدت سماع نبرة صوتي. ومن بين عيوب الديكتافون أو المسجل، هو أنه يجعلك مطنب إلى درجة كبيرة.

ما من شك في أن الجهد المبذول في الطباعة على الآلة أو الكتابة العادية يساعدني في الالتزام بالموضوع. واقتصاد الصياغة في اعتقادي يعتبر ضرورياً بشكل خاص بالنسبة للقصاص البوليسية. حيث لا يرغب المرء في قولبة نفس الشيء في قالب جديد ثلاث أو أربع مرات. لكن الأمر مغرياً عندما يتحدث المرء في الديكتافون ليقول نفس الشيء أكثر من مرة باستخدام مختلف الصيغ. بالطبع يمكنك قص ذلك فيما بعد لكن يكون ذلك مزعجاً ويفسد التدفق السلس الذي يصل إليه المرء. من المهم الاستفادة من حقيقة أن الإنسان كسول بالفطرة وبذلك لن تكون لديه رغبة في كتابة ما يزيد عما هو ضروري لتوصيل معناه.

بالطبع هناك طول مناسب لكل شيء. اعتقد أن الطول المناسب للقصة البوليسية ٥٠٠٠ كلمة، أعلم أن هذا يعتبر بالنسبة للناشرين في غاية القصر. من الممكن أن يكون القراء أنفسهم هم من يشعرون بتعرضهم للغش إذا دفعوا أموالاً ثم يجدوا أمامهم ٥٠ ألف كلمة فقط لذا يكون ٦٠ أو ٧٠ ألف كلمة أكثر قبولاً. إذا امتد كتابك إلى ما هو أكبر من ذلك، اعتقد أنك ستري أنه سيكون أفضل إذا كان أقصر. ٢٠ ألف كلمة يعتبر ممتاز بالنسبة للرواية المثيرة. لسوء الحظ تجد القصص من ذلك الحجم مساحة سوقية أقل، كما لا يجد مؤلفوها تقديراً مالياً

جيداً. لذلك يشعر المرء أنه من الأفضل أن يستكمل القصة ويتوسع فيها ليصل بطولها إلى طول الرواية. أعتقد أن تقنية القصة القصيرة لا تتناسب في الحقيقة مع القصة البوليسية على الإطلاق، قد تتناسب مع القصة المثيرة – لكن لا تتناسب مع القصة القصيرة سلسلة قصص السيد سعيد الحظ مكتب بودلي كانت جيدة بالنسبة لهذا المسار، لأنها كانت أطول من قصة المجالات المتوسطة.

جعلني هيو ماسي أتعاقد مع ناشر جديد هو ويليام كولين والتي لا زلت أنشر معه.

كان أول ما كتبت لهم "مقتل روجر أكرويد" وهو الأكثر نجاحاً حتى الآن. في الواقع لا يزال يُستشهد به. لقد عثرت على صيغة جيدة هناك- وأدين إلى زوج أختي جيمس بها والذي قال فيما مضى، بينما كان يضع قصة بوليسية: "في أيامنا هذه الجميع في النهاية يكتشف أنه مجرم حتى الشرطي". لقد كان تفكير أصيل للغاية، أمعنت التأمل فيه طويلاً. ثم بعد ذلك الفكرة ذاتها قدمها إلي اللورد لويس ماونت باتين، والذي كتب يقترح أن تُروى القصة باستخدام الضمير "أنا" بواسطة شخص أتضح فيما بعد أنه هو المجرم. وقد وصل الخطاب بينما كنت أعانى من مرض شديد. وأنا حتى الآن غير متأكدة من إعجابي بها.

رأيت أنها فكرة جيدة، وفكرت فيها لمدة طويلة. بالطبع بها صعوبات جمة. لقد أجفل عقلي أمام فكرة قتل هستنغز لأي أحد، وسيكون في كل الأحوال صعباً القيام بها بهذه الطريقة دون أن يصيبها الزيف. بالطبع يرى الكثير من الناس أن "مقتل روجر أكرويد" مخادعة. لكنهم إن أمعنوا في قراءتها سيدركون كم كانوا مخطئين. مثل هذه الفترات الزمنية القصيرة الواجب وجودها تختفي بشكل رائع في جملة غامضة، والدكتور شيبيرد في كتابته لها، كان يجد سعادة كبيرة عندما كان يكتب لا شيء سوى الحقيقة، مع أنها لم تكن الحقيقة كاملة.

وبعيداً عن "مقتل روجر أكرويد" كان النجاح هو السمة الغالبة على تلك الفترة. فقد التحقت روزلن بالمدرسة كما أنها سعدت بها كثيراً. كان لها أصدقاء

لطفاء وكان لدينا مسكن جميل به حديقة، وكانت لدي حبيتي السيارة مورييس، وكان معي كارلو فيشر، بالإضافة إلى العيش في سلام أُسرى. كان آرتشي يفكر ويتحدث ويحلم وينام ويكرس حياته للجولف، تحسنت عملية الهضم وبذلك قلت معاناته من سوء الهضم العصبي. كان كل شيء هو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة كما كان يقول د. بانجلوس سعيداً.

كانت حياتنا ينقصها شيئاً واحداً: وهو الكلب. حيث مات العزيز جوى ونحن بالخارج، لذا اشترينا كلب ترير أسميناه بيتر. بالطبع أصبح بيتر روح العائلة. كان ينام على سرير كارلو، كما كان ينعم بالكثير من الأخفاف والكرات طويلة العمر للكلاب.

كان إحساس الطمأنينة بخصوص المال جميلاً بعد كل ما مررنا به في الماضي- كنا نفكر في أشياء لم نكن لنفكر فيها أبداً. فاجأني آرتشي ذات يوم بقوله أنه يفكر ويرغب في الحصول على سيارة سريعة، لقد أثاره في اعتقادي النوع بنتلي.

قلت له مصدومة: "لكننا لدينا سيارة"

"نعم، لكنني أقصد شيئاً مميزاً"

أشرت إلى أنه "يمكننا الآن تحمل نفقات طفل آخر" كنت أفكر في الأمر ويملأني السرور.

لم يكن آرتشي مع فكرة الطفل الآخر: "لا أريد أحداً غير روزلن. فروزلن مقنعة وكافية جداً".

كان آرتشي يحب روزلن بجنون، كان يستمتع باللعب معها حتى أنها كانت تذهب معه إلى نوادي الجولف. أظن أنهما كانا متفاهمان أكثر مني أنا مع روزلن. كانا يتمتعان بنفس روح الفكاهة، ويدرك كلا منهما وجهة نظر الآخر. كان يعجبه كونها مشاكسة ونزعتها العقلية للشك. وفكرة أنها لن تقبل أي شيء على أنه أمراً مسلم

به. لقد كان قلقًا قبل وصول روزلن كونه خائفًا، كما كان يقول من أن أحدًا لن يلاحظه أبدًا. فيقول: "لهذا السبب أتمنى أن يكون لدينا ابنة، الولد سيكون أسوأ بكثير. يمكنني أن أتحمّل الابنة أما بالنسبة للولد فسيكون الأمر في غاية الصعوبة".

قال "إنجابنا للولد سيكون سيئًا مثل أي وقت مضى، وعلى أي حال لدينا الكثير من الوقت".

اتفقت معه فيما يتعلق بالوقت، وسلمت مترددة لرغبته في السيارة المستعملة "ديلاج" والتي رآها بالفعل ونجح في تخفيض سعرها. لقد أدخلت السرور علينا. لقد أحببت قيادتها كما كان الأمر بالنسبة لآرتشي على الرغم من استحواذ الجولف على حياته وتوافر القليل من الوقت لها.

قال آرتشي: "إن سان ميغيل مكان رائع للعيش فيه. إن به كل شيء نريده. يبعد مسافة ليست بالبعيدة عن لندن، كما أنهم يفتتحون الآن ملعب جولف وينتورث، ويقومون بتطوير العقارات هناك، أعتقد أنه ربما يكون لدينا منزل حقيقي خاص بنا".

لقد كانت فكرة سارة. على الرغم من أننا كنا نشعر بالراحة في سكوتسود، إلا أن هناك بعض العيوب. الإدارة بالأخص لم تكن موضع ثقة وتوزيع أسلاك الكهرباء كان يضعنا في كثير من المشكلات، المياه الساخنة المعلن عنها لم تكن مستمرة ولا ساخنة، وكان المكان يعاني من نقص عام في الصيانة. لقد فتننا بفكرة أن يكون لدينا المنزل الخاص بنا.

فكرنا في البداية في امتلاك منزل جديد في عقار وينتورث والذي سلم بالفعل إلى أحد المقاولين. من المخطط أن يكون به ملعبان للجولف—ربما ثلاثة فيما بعد، والمتبقي من الستين هكتارًا سيغطى بالمنازل من كل الأحجام. اعتدت أنا وآرتشي أن نقضى ليال صيفية سعيدة ونحن نتجول في وينتورث بحثًا عن موقع مناسب لنا. في النهاية اتفقنا على خيار من بين ثلاثة، بعدها تعرفنا على البنّاء المسئول عن

العقار، قررنا أننا بحاجة إلى حوالي هكتار ونصف من الأرض. فضلنا الصنوبر الطبيعي ومساحة مشجرة حتى لا نضطر إلى صيانة متكررة للحديقة. كان المقاول متعاون للغاية. شرحنا له أننا نرغب في منزل صغير إلى حد ما - لا أعرف كم كان تقييمنا لكلفته: أعتقد حوالي ٢٠٠٠ دولار، أخرج لنا مخططات لمنزل صغير بشع المنظر، ملئ بكل ما هو غير سار من السمات التزيينية الحديثة والذي سألنا بخصوصه سعرًا صادمًا وصل إلى ٥٣٠٠ دولار. أصابنا الاكتئاب. يبدو أنه ليس هناك أي فرصة لبناء أي شيء أقل ثمنًا - كان هذا هو أقل حد. انسحبنا بحزن. ومع ذلك قررنا أنه يجب أن أشتري سند في وينتورث مقابل ١٠٠ دولار والذي يؤهلي للعب أيام السبت والأحد في ملاعب الجولف هناك. بما أنه سيكون هناك ملعبان سيكون بإمكان المرء اللعب على الأقل على أحدهما دون أن يشعر بأنه أرنب.

وكان ما كان، شهدت طموحاتي في لعبة الجولف نقلة فجائية - لقد فزت بالفعل في مسابقة. وهو ما لم يحدث من قبل ولم يتكرر فيما بعد. وصل العائق إلى ٣٥، لكن مع هذا بدا غير ممكنًا أن أربح أي شيء. تقابلت في النهائيات مع السيدة بيريري - وهي امرأة لطيفة تكبرني بسنوات قليلة، ووصلت أيضًا إلى عائق ٣٥، كما كانت عصبية ولا يمكن الاعتماد عليها مثلي.

تقابلنا ونحن في غاية السعادة والرضا عن أنفسنا لوصولنا إلى هذه النقطة. تقاسمنا معًا الحفرة الأولى. وفيما بعد نجحت بيريري بشكل مفاجئ لها ومحبط بالنسبة لي في أن تربح ليس فقط الحفرة التالية لكن الحفرة التي تليها، حفرة أخرى وهكذا، حتى ما إذا وصلت إلى الحفرة التاسعة كانت أعلى مني في ثماني مرات. تبخرت أية آمال ضعيفة حتى في رفع مستواي، وبوصولي لهذه الدرجة أصبحت أكثر سعادة. حيث يمكنني الآن أن أستمر في الجولة بدون أن أصاب بالانزعاج حتى تحين اللحظة، والتي يقيناً ليست ببعيدة التي تربح فيها السيدة بيريري المباراة. والآن بدأت السيدة بيريري تنهار. حيث خسرت حفرة تلو الأخرى ثم حدث ما لا يمكن

تصديقه. لقد ربحت التسعة حفر التالية، وبذلك فزت عن طريق رفع واحدة على المرج الأخير. أظن أنني لازلت احتفظ في مكان ما بكأس الفضي.

بعد مرور عام أو عامين، بعد أن رأيت العديد والعديد من المنازل—والتي دائماً ما كانت إحدى هواياتي المفضلة—حصرنا اختياراتنا في اثنان. أحدهما لم يكن بالكبير وبه حديقة لطيفة، والآخر كان بالقرب من المحطة. كانت به حيطان مغطاة بألواح والكثير من دورات المياه وبرك في غرف النوم وغيرها من الرفاهيات. لقد مر عليه الكثير في السنوات الأخيرة ويقال أنه منزل مشنوم. أي شخص عاش فيه أصابه الحزن بطريقة أو بأخرى. أول شخص عاش فيه فقد أمواله، والثاني فقد زوجته. ولا أعلم ماذا حدث للمالكين التاليين لهما أظن أنهما انفصلا فقط وتفرقا. على أي حال، كان رخيص الثمن نظراً لأنه كان معروضاً للبيع منذ فترة كبيرة. كانت به حديقة جميلة وطويلة وضيقة، تشتمل على مرج وكذلك نهير به العديد من النباتات المائية وحديقة برية بها نباتات وردية.. الخ حيث توجد حديقة خضرجيدة ومن خلفه غابات القندول المتشابكة. أما كوننا نستطيع تحمل ثمنه أم لا فهي مسألة أخرى. على الرغم من أن كلا منا كان يتحصل على دخل مناسب—ربما كان دخلي مشكوكاً فيه، أما دخل آرتشي فمطمئن ومضمون—كنا بشكل مؤسف بلا رأس مال. بالرغم من ذلك، طرقتنا باب الرهن العقاري، وفي الوقت المناسب انتقلنا إليه.

اشترينا الستائر والمفروشات بما اقتضته الضرورة، وبدأنا حياة كانت بلا شك تفوق مواردنا المالية، على الرغم من أن حساباتنا على الورق كانت سليمة. احتفظنا بكلا من السيارتين "ديلاج" و"موريس". كما جلبنا المزيد من الخدم: زوج وزوجة وخادمة. كانت الزوجة تعمل خادمة مطبخ لدى إحدى العائلات الدوقية، وقيل أن زوجها كان يعمل كبير الخدم هناك. أما هوفلم يكن بالتأكيد يعلم الكثير عن مهنة كبير الخدم على الرغم من أن زوجته كانت طاهية أكثر من ممتازة. اكتشفنا في النهاية أنه كان حامل الأمتعة. لقد كان شديد الكسل. كان يقضى أغلب يومه مستلقياً في الفراش بخلاف الانتظار عند المائدة، بالأحرى هو جل ما كان يقوم به.

أيضاً كان يتخلل وجوده في الفراش ذهابه إلى الحانة. كان علينا أن نقرر إما أن نتخلص منهما أم لا. في جميع الأحوال كان الطبخ بالنسبة لنا أكثر أهمية، لذا أبقينا على كليهما.

وهكذا تقدمنا في طريقنا الذي يتسم بالفخامة والعظمة. وخلال عام بدأنا نشعر بالقلق. بدأ حسابنا المصري ينضب بشكل غير عادي. ومع القليل من التدابير اتفقنا على الاستمرار.

وباقترح من آرتشي قمنا بتسمية المنزل "ستايلز" نظراً لأن الكتاب الأول الذي دعمني في الحياة كان بعنوان "القضية الغامضة في ستايلز" وعلى الحائط علقنا اللوحة التي صنعت لتكون كغلاف خارجي والتي أهداها إلى مكتب "بودلي".

لكن ستايلز أثبت ما كان يصيب الآخرين في الماضي. فلقد كان منزل مشؤوم. لقد شعرت بذلك حين خطيت أولى خطواتي بداخله. كنت أرى أن الزخارف كانت مبهجة للغاية وغير طبيعية بالنسبة للريف. إذا قمنا بتغيير تصاميمه لتناسب الريف بدون كل هذه اللوحات والطلاءات والبريق الظاهري حينها سيبدو مختلفاً تماماً.

٤

السنة التالية من عمري واحدة من أكثر السنوات التي أكره استرجاعها. فكما يحدث دائماً في الحياة لا تأتي المصائب فرادى. فبعد حوالي شهر من رجوعي للمنزل عائدة من أجازة قصيرة في كورسيكا، أصيبت أُمي بالتهاب حاد في القصبة الهوائية. وكانت حينها في آشفيلد. ذهبت إليها بعدها حلت بونكي محلي. بعد ذلك أرسلت إلى بتلغراف تخبرني بأنها قررت نقل الأم إلى ابني حيث تعتقد أنها ستحظى هناك برعاية أفضل، بدأت الأم تتحسن لكنها لم تعد إلى سابق عهدها. كانت قليلاً ما تترك حجرتها. ظننت أن رثتها قد تأثرتا وكان عمرها في ذلك الوقت اثنان وسبعين عاماً. لم أتخيل مدى الخطورة التي صار إليها الوضع—ولا أظن أن بونكي تخيلت أيضاً—لكن بعد أسبوع أو أسبوعين وصلني برقية علمت منها أن آرتشي كان في أسبانيا للعمل.

وبينما كنت في طريقي إلى القطار المتجه إلى مانشستر، علمت فجأة أن أُمي قد ماتت. شعرت ببرودة كما لو أنه تم اجتياحي من رأسي إلى أخمص قدمي، بالإضافة إلى رجفة مميتة—وفكرت في الأمر: "أُمي ماتت".

كنت محقة. نظرت إليها بينما كانت ممددة على الفراش، وفكرت كم هو صحيحاً أنه بمجرد الوفاة فإن الخارج فقط هو ما يتبقى: فكل ما كانت تتصف به أُمي من دفء وشخصية نابضة كان بعيداً في مكان ما. لقد قالت لي مرات عديدة: "أحياناً يشعر المرء بلهفة شديدة للخروج من هذا الجسد—البالي القديم عديم الفائدة. يتوق المرء إلى أن يتحرر من هذا السجن". كان هذا هو ما رأيته يحدث لها الآن. لقد حررت من محبسها. لكن ما تبقى لنا هو الحزن على فراقها.

لم يتمكن آرتشي من حضور الجنازة حيث كان ما زال في أسبانيا. وعندما رجع بعدها بأسبوع كنت قد عدت إلى المنزل المشنوم "ستايلز". كنت دائماً على يقين من

أنه لديه كراهية تجاه الأمراض والموت. الجميع يعرف كل هذه الأشياء ورغم ذلك يجد صعوبة في إدراكها أو لا يعيرها اهتمام إلى أن يقع شيء طارئ. جاء إلى حجرتي وأذكر أنه كان محرّجًا للغاية، وهو ما جعله يضع قناع البهجة-شيء من قبيل "هيا ها نحن أولاء. الآن علينا أن ننسى كل شيء ونبتهج". يصعب على المرء تحمل الأمر عندما يفقد أحد ثلاثة ممن لا يحب أكثر منهم في دنياه.

قال: "لدى فكرة جيدة-على أن أعود مرة أخرى إلى أسبانيا الأسبوع القادم، ما رأيك في تأتي معي إلى هناك؟ يمكننا الاستمتاع كثيرًا، وأنا متأكد من أن ذلك سيصرف انتباهك عن ما حدث".

لم أكن أريد أن يلهيني شيء. أردت أن أصاحب آلامي وأتعود عليها. لذا شكرته وأخبرته بأنني أفضل البقاء. والآن أدركت كم كنت مخطئة. فشريط حياتي مع آرثشي يمر أمامي، كنا نشعر بالسعادة معًا ويطمئن كلا منا للآخر ولم يحدث أن فكر أي منا مجرد التفكير في الابتعاد عن الآخر. لكنه كان يمقت مشاعر الحزن في المنزل. وهذا ما جعله عرضة لمؤثرات أخرى.

ثم جاءت مشكلة تنظيف آشفيلد، حيث أنه خلال السنوات الأربع أو الخمس الماضية تراكمت داخله جميع أشكال القمامة ومتعلقات جدتي، كل الأشياء التي لم تكن أُمي تتكيف معها وكانت تخزنها. لم يكن هناك المال لعمل الإصلاحات. كان السقف يتساقط. وكانت بعض الغرف ترشح في وجود المطر. وكانت أُمي في أواخر أيامها تعيش فقط في حجرتين. شخصًا ما عليه النزول والتعامل مع كل هذه الأشياء؛ واضطرت أن أكون أنا هو هذا الشخص. كانت أختي منغمسة في شئونها الخاصة مع أنها وعدتني بالمجيء للأسبوعين أو ثلاثة في أغسطس. أقترح آرثشي أنه سيكون من الأفضل أن نترك ستايلز في الصيف وهو ما سيوفر لنا إيجارًا كبيرًا ويبعدنا عن مشاكل الميزانية. سيمكث هو في ناديه بلندن، وسأذهب أنا إلى توركاوي لتنظيف آشفيلد. وسيلتحق بي إلى هناك في أغسطس - وعندما تأتي بونكي يمكننا

أن نترك روزلن معها ونسافر للخارج. اتفقنا على إيطاليا، مكان لم يسبق لنا زيارته يسمى **الاسيو**."

لذا تركت آرثشي في لندن وذهبت إلى آشفيلد.

كنت مرهقة للغاية وأشعر بمرض خفيف. لكن تحويل هذا المنزل المليء بالذكريات، والعمل الشاق والليالي المؤرقة أصابني بحالة عصبية جعلتني لا أدري ماذا كنت أفعل. كنت أعمل عشر أو أحد عشر ساعة في اليوم ما بين فتح كل غرفة وحمل الأشياء من هنا وهناك. كان الأمر مخيفًا: الملابس المعثوثة، صناديق جدتي القديمة المليئة بفساتينها العتيقة - جميع الأشياء التي لم يرغب أحد في التخلص منها لكن حان الوقت للقيام بذلك. اضطررنا إلى رفع الأتاع الأسبوعية لعامل القمامة حتى يأخذ كل شيء. كانت هناك مواد صعبة مثل تاج زهرة الشمع الكبير والذي كَانَ إكليل جَدِّي أم أبي التذكاري. إنه موضوع تحت قبة زجاجية هائلة. لم أرغب في أن يستمر هذا التذكار الضخم معي في حياتي، لكن ماذا يستطيع المرء أن يفعل بشيء كهذا؟ لا يستطيع التخلص منه. في النهاية توصلت إلى حل. لظالما أعجبت طاهية أمِّي السَّيِّدَة بوتر به. قمت بإهدائه إليها والتي سعدت به كثيرًا.

كان آشفيلد هو أول منزل عاش فيه أبي وأمي بعد زواجهما. انتقلا إليه بعد ميلاد ماج بحوالي ستة أشهر. وعاشوا فيه جميعًا منذ ذلك الحين. مع الاستمرار في جلب الدواليب الجديدة للتخزين، شيئًا فشيئًا تحولت كل غرفة في المنزل إلى مخزن. حجرة الاستذكار والتي كانت شاهدة على العديد من أسعد أيام صباي، تحولت الآن إلى حجرة صغيرة لاستقبال جميع الصناديق والعلب والتي لم تتمكن جدتي من حشوها في غرفتها.

ضربة أخرى من ضربات القدر أصابتني، وهي فقدان لصحبة عزيزتي كارلو. كان أبوها وزوجته في أفريقيا ووصلتها أخبار مفاجئة من كينيا أن والدها مريض وأن الطبيب شخّص المرض بأنه سرطان. رغم أنه لم يعرف بالأمر حتى الآن، إلا أن

زوجته علمت ومن غير المتوقع أن يعيش أكثر من ستة أشهر. كانت كارلو مضطرة إلى العودة إلى أدنبرة بمجرد عودة والدها حتى تكون بجانبه في الشهور الأخيرة من حياته. ودّعها باكية. أما هي فكرهت أن تتركني في كل هذه الحيرة والحزن. لكن الأمر كان من بين الأولويات التي لا يمكن تجنبها. لا يزال أمامي حوالي ستة أسابيع أخرى لأنتهي من كل شيء. بعدها يمكنني أن أبدأ حياة جديدة.

كنت أعمل ككائن ذو قوى خارقة، وكنت متلهفة جدًا للعبور. جميع الصناديق والأغلفة يجب فحصها جيدًا: حيث ليس بإمكانني أن أتخلص من الأشياء بكل سهولة. من بين متعلقات جدتي لا يمكنك توقع ما ستجده. لقد أصرت على حزم الكثير من أمتعتها بنفسها عندما تركت إيلينغ، حيث كانت متأكدة من أننا سنتخلص من كنوزها الثمينة. كنت على وشك أن أتخلص من جميع الرسائل القديمة، لكنني اكتشفت أن مظلوفًا مجعّدًا كان به اثنا عشر ورقة نقدية فئة خمسة جنيه إسترليني كانت جدتي مثل سنجاب تخبئ بندوقها هنا وهناك حتى لا يضيع منها ويكون نافعًا في أهوال الحرب. ذات مرة وجدت دبوس ماسي ملفوف في جورب قديم.

بدأت أصاب بالحيرة، واختلطت على الأشياء. لم أشعر أبدًا بالجوع وكنت أكل القليل. أحيانًا كنت أجلس وأضع يدي على رأسي وأحاول أن أتذكر ماذا كنت أفعل. إذا كانت كارلو موجودة كنت سأستطيع الذهاب إلى لندن في عطلة عرضية لأرى آرثي لكنني لا أستطيع أن أترك روزلن وحدها في المنزل، وليس لدي مكان آخر للبقاء فيه.

اقترحت على آرثي أن ينزل في أجازة: والتي سوف تحدث فارقًا كبيرًا بالنسبة لي. فكتب لي يقول أن هذا يعتبر من الحماقّة. لقد كانت رحلة مكلفة، وبما أنه لا يمكنه النزول قبل يوم السبت وعليه أن يعود مساء الأحد سيكون الأمر عديم القيمة. تشككت أنه لا يريد أن يتغيب عن جولف الأحد-لكنني وضعت ذلك جانبًا كفكرة تافهة.

كان شعور فظيع بالوحدة ينتابني. أدركت لأول مرة في حياتي أنني أشعر بإعياء حقيقي دائماً ما كنت قوية جداً ولم أدرك أبداً كيف أن الحزن والقلق وكثرة العمل يمكن أن يؤثر على صحتك البدنية. لكنني انزعجت يوماً ما عندما كنت على وشك توقيع شيك، ولم أستطع تذكر الاسم الذي سأوقعه به. شعرت تماماً مثل أليس في "بلاد العجائب تَمُسُّ الشجرة".

قلت "لكنني بالطبع أعرف أسمى جيداً، لكن، لكن ما هو؟" جلست هناك والقلم في يدي وأنا أشعر بإحباط غير عادي. ما أوله؟ هل كان **بلانتش أموري**؟ بدا مألوفاً بالنسبة لي. ثم تذكرت أنه اسم شخصية ثانوية في أحد روايات الكاتب **ميكبيس ثاكري** وهو لم أقرأ له من سنوات.

تلقيت إنذاراً آخر بعدها يومين. أردت أن أدير السيارة والتي تستوجب إدارتها في العادة مقبض للتشغيل—إنني في الواقع لست متأكدة من أن السيارات هذه الأيام تحتاج لهذا المقبض عند التشغيل. أدت الكرنك أكثر من مرة وشيئاً لم يحدث. في النهاية انفجرت بالبكاء واستلقيت حزينة على الأريكة. أصابني ذلك بالقلق. أبكى لمجرد أن السيارة لا تعمل، لابد أنني جننت.

بعد مرور عدة سنوات، أخبرني شخص يمر بفترة من الحزن قائلاً: "لا أعلم ماذا أصابني إنني أبكى دون أي سبب. قبل أيام لم يأتي المكوجي فبكي، وفي اليوم التالي لم تعمل السيارة حينها أحسست بشيء ما بداخلي فقلت له: "أظن أنه عليك أن تكون أكثر حرصاً، فقد يكون ذلك بداية لانهييار عصبي، عليك أن تذهب لرؤية طبيب في هذا الشأن".

لم يكن لدي هذه الخبرة في تلك الأيام. أعرف أنني كنت منهكة للغاية، وأن الحزن على فقدان أمي كان لا يزال في أعماقي، على الرغم من أنني حاولت كثيراً إخراجها من تفكيري. وذلك لن يحدث إلا إذا أتى آرثي أو بونكي أو أي أحد ليكون معي.

لدى روزلن لكن بالطبع لا يمكنني أن أقول لها أي شيء يزعجها أو أن أتحدث إليها عن كوني حزينة أو قلقة أو مريضة. أما هي فقد كانت سعيدة وتستمتع جدًا بوجودها في آشفيلد ومتعاونة معي في أعمال الروتينية. كانت تحب حمل الأشياء والنزول بها لتضعها في صندوق القمامة. لا أظن أن أحدًا يرغب في ذلك-ربما يكون فيه شيئًا من المرح.

مضى الوقت، أصبح كل شيء تقريبًا مرتبًا وأخيرًا يمكنني أن أتطلع إلى نهاية حزني. حل شهر أغسطس- كان عيد ميلاد روزلن في الخامس من أغسطس. جاءت بونكي قبل هذا الموعد بيومين أو ثلاث، ووصل آرثشي في الثالث من نفس الشهر. كانت روزلن سعيدة للغاية بفكرة وجود الخالة بونكي معها خلال فترة الأسبوعين عندما كنت أنا وآرثشي في إيطاليا.

"ماذا عساي أن أفعل حتى أبعد الذكريات من أمام عيناى؟"

هكذا قال الشاعر جون كيتس. لكن هل باستطاعة المرء أن يبعدها؟ إذا استطاع استرجاع رحلة حياته، هل بإمكانه محو الذكريات التي لا يحبها؟ أو أن هذا يعتبر دربًا من دروب الجبن؟

في اعتقادي، أن المرء عليه أن يلقي نظرة مقتضبة ويقول: "نعم، إن هذا جزء من حياتي لكنه انتهى. إنه مجرد جديلة في نسيج وجودي. على أن أعترف به لأنه يمثل جزء منى. لكن لا فائدة من الانشغال به".

عندما وصلت بونكي إلى آشفيلد، شعرت بسعادة بالغة. بعدها جاء آرثشي.

أعتقد أن أقرب شيء يمكنني أن أصف به شعوري في تلك اللحظة هو أن أسترجع ذلك الكابوس الذي رأيته- عندما كنت أشعر بالرعب وأنا جالسة حول منضدة الشاي أنظر إلى صديقي المحبوب، ثم أدرك فجأة أن الشخص الذي كان جالس إنسان غريب. هذا في اعتقادي هو أفضل وصف لما كان عليه آرثشي عندما وصل.

قام بأداء حركات التحيات المعتادة، لكنه ببساطة شديدة لم يكن آرثشي. لم أكن أعرف ما به. لاحظت بونكي ذلك وقالت: "آرثشي يبدو غريب الأطوار- هل هو مريض أو به شيء؟" قلت لها ربما يكون كذلك. أما آرثشي فقال أنه على ما يرام. لكن حديثه معنا كان مقتضبًا، ثم انفرد بنفسه. سألته عن تذاكرنا إلى "الاسيو" فقال "حسنًا حسنًا، سأخبرك عنها لاحقًا".

لا أزال أشعر بأنه غريبًا. فكرت كثيرًا ما هذا الذي حدث. أصابني خوف مؤقت أن شيئًا ما حدث بالشركة. من غير الممكن أن يكون آرثشي قد اختلس أي مال؟ لا؛

لا يمكنني أن أصدق هذا الشيء. أم انه دخل في احد المعاملات التي ليس له حق فيها. هل هو واقع في مأزق مالي؟ شيء لا يريد أن يخبرني به؟ في النهاية اضطررت إلى أن أسأله.

"ماذا حدث يا آرتشي؟"

"ليس هناك شيء بعينه"

"لا، لابد أن هناك شيئاً ما"

"حسنًا، أرى أنه من الأفضل أن أخبرك شيئًا. إننا - إنني لا أملك أي تذاكر إلى "الأسيو" أشعر بعدم رغبة في السفر للخارج"

"إننا لسنا ذاهبين للخارج"

"لا. قلت لك أنني لا أرغب في ذلك"

"حسنًا، إنك ترغب في البقاء هنا، لتلعب مع روزلن أليس كذلك؟ حسنًا، أرى ذلك لطيفًا أيضًا"

فقال بغضب سريع "أنت لا تفهمين"

مرت على ما أظن أربعة وعشرين ساعة أخرى بعدها أخبرني بدون تردد:

"آسف لحدوث ذلك. هل تعرفين تلك الفتاة السمراء التي كانت تعمل سكرتيرة لدى بيلشر؟ استضفناها منذ عام في عطلة نهاية الأسبوع مع بيلشر، كما رأيناها في لندن مرة أو مرتين"

لم أستطع تذكر اسمها، لكنني كنت أعرف من التي كان يقصدها. قلت له:
"نعم"

"حسنًا، كنت أراها أثناء وجودي وحيدًا في لندن. كما أننا كثيرًا ما كنا نخرج
سويًا"

قلت له: "حسنًا، ولم لا تفعل؟"

فقال بنفاذ صبر: "لازلت لا تفهمين،" لقد وقعت في حبها، وأود الانفصال حالما تيسر ذلك".

أظن أنه بهذه الكلمات انتهى ذلك الجانب من حياتي - حياتي الناجحة والواقعة السعيدة. بالطبع لم يكن الأمر بهذه السرعة لأنني لم أستطع تصديقه. ظننت أنه شيئًا عابرًا. لم يكن هناك نهائيًا أي شك من هذا النوع في حياتنا. كنا سعداء معًا وفي غاية الانسجام. لم يكن أبدًا من هؤلاء الرجال الذين ينظرون كثيرًا إلى النساء من غير زوجاتهم. ربما يكون السبب هو فقدانه خلال الأشهر القليلة الماضية لرفيقة المرح الذي اعتاد عليه.

قال: "إنني أخبرتك ذات مرة منذ زمن طويل أنني أكره أن أرى غيري مريضًا أو تعيسًا - إن هذا يفسد كل شيء عليّ".

نعم، كان عليّ أن أدرك ذلك. لو أنني كنت أكثر ذكاءً، لو أنني عرفت زوجي أكثر - بدلًا من أقنع باعتباره مثاليًا - ربما تفاديت حدوث كل ذلك. لو أنني مُنحت فرصة أخرى، هل كان بإمكانني تجنب ما حدث؟ لو أنني لم أذهب إلى آشفيلد وتركته في لندن ما كان له أن يهتم بهذه الفتاة. ليس الأمر قاصر على هذه الفتاة بعينها. لكن ربما حدث ذلك مع غيرها لأنني بالضرورة لم أكن أملأ حياة آرتشي. لابد وأنه كان مستعدًا للوقوع في حب شخص أخرج على الرغم من أنه قد لا يكون مدرّجًا لذلك. أو أنها هي تلك الفتاة وحسب؟ هل لعب القدر معه لعبته بوقوعه في حبها فجأة؟ بالتأكيد لم تكن هذه المشاعر موجودة لديه في المناسبات القليلة التي قابلناها فيها في الماضي. بل إنه اعترض حتى عندما سألتها المبيت، وقال أن ذلك سيفسد عليه لعبته الجولف. على الرغم من أنه حين وقع في حبها، حدث ذلك بنفس الفجائية التي وقع بها في حيي.

فالأصدقاء والعلاقات يقل نفعها في وقت كهذا. فقد كانت وجهة نظرهم: "لكن هذا سخيف. أنتما دائماً سعيدان معاً. سوف يتجاوز الأمر. فهذا يحدث مع كثير من الأزواج".

اعتقدت ذلك أيضاً، أنه سيتجاوز الأمر. لكنه لم يفعل. وبدلاً من ذلك غادر سان ميغيل- في ذلك الحين عادت كارلو إلى- حيث أعلن المتخصصين الانجليز أن والدها غير مصاب بالسرطان- وكان وجودها هناك بمثابة عون ومواساة كبرى بالنسبة لي. لكنها كانت ذات بعد نظر وبصيرة أكثر مني. حيث قالت أن آرتشي لن يتجاوز الأمر. وعندما حزم الأمتعة في النهاية ورحل شعرت براحة-أنه اتخذ قراره.

ومع ذلك، عاد بعد أسبوعين. ربما قال أنه كان مخطئاً. وربما كان هذا خطأً لا يجب ارتكابه. قلت له أنني متأكدة من أن الأمر يتعلق بروزلن. فهو رغم كل شيء كان شديد الإخلاص لها، أليس كذلك؟ نعم، أقر هو أنه حقاً يحب روزلن.

"وهي أيضاً مولعة بك. إنها تحبك أكثر مني. إنها تريدني في مرضها لكنك بالنسبة لها الوالد الذي تحبه حقاً وتعتمد عليه، فكلما لديه نفس روح الفكاهة وأكثر قرباً لبعضكما البعض منها إلى. يجب أن تحاول أن تتجاوز الأمر. فأنا أعلم أن مثل هذه الأشياء تحدث كثيراً".

لكن هذا الرجوع كان في اعتقادي خطأً لأنه أثبت مدى حدة مشاعره. تجده مراراً وتكراراً يقول لي: "إنني لا أطيق ألا أحصل على ما أريد، كما أنني لا أتحمّل كوني غير سعيد. من غير الممكن أن يكون الجميع سعداء- لا بد وأن يكون هناك من هو تعيس".

منعت نفسي من أن أقول له: "لكن لماذا يجب أن يكون هذا الشخص هو أنا وليس أنت؟" مثل هذه الأشياء لا تفيد.

والشيء الذي لم أستطع فهمه هو قسوته المستمرة على أثناء تلك الفترة. نادراً ما كان يتحدث إلى أو يجيب عند التحدث إليه. والآن أدركت الأمر بشكل أفضل

حيث أنني رأيت غيري من الأزواج والزوجات، وزادت خبرتي في الحياة. لقد كان غير سعيد لأنه كان في اعتقادي من داخله يحبني كما أنه كان يكره بشدة أن يجرحني - لذا كان عليه أن يثبت لنفسه أنه بذلك لا يجرحني وأن ذلك في آخر المطاف سيكون أفضل بكثير بالنسبة لي، أنني يجب أن أحيا حياة سعيدة، أن أسافر، لدى كتاباتي والتي سأجد فيها المواساة. ونظرًا لأن ضميره كان يسبب له المتاعب لم يقوى على التصرف بمثل انعدام الرحمة. دائمًا ما كانت أُمي تقول انه قاسي القلب. أما أنا فلطالما وجدت فيه شواهد عديدة على عطفه وحسن سيرته وتعاونه عند عودة مونتي من كينيا. لكنه الآن قاسي لأنه كان يكافح من أجل سعادته. في السابق كنت معجبة بقسوته. والآن رأيت وجهًا آخر لها.

وانقلب المرض حزنًا ويأسًا وأسى. فلا حاجة للانشغال بالأمر. لقد صمدت لمدة عام على أمل أن يتغير. لكن ذلك لم يحدث.

وهكذا كانت نهاية حياتي الزوجية الأولى.

٦

في فبراير من العام التالي، ذهبت أنا وروزلن وكارلو إلى جزر الكناري. كان لدي بعض الصعوبة في التكيف مع هذا الوضع الجديد، لكنني أدركت أن الأمل الوحيد حتى أبدأ من جديد يكمن في أن أبتعد عن كل الأشياء التي كانت سببًا في تحطيم حياتي. لا يمكن أن يكون لي معيشة رغدة الآن في إنجلترا بعد كل ما مررت به. أما الجانب الوحيد المشرق في حياتي فكان روزلن. لو أمكن أن أنفرد بها وبصديقتي كارلو ربما تلتئم جروحي ويكون باستطاعتي مواجهة المستقبل. لكن الحياة في إنجلترا كانت لا تطاق.

في ظني يعود بغضي للصحافة وكراهيتي للصحفيين وللتجمعات لذلك الحين. لم يكن ذلك منصفًا بلا شك، لكنه كان طبيعيًا في تلك الظروف. شعرت وكأنني ثعلب مطارد تُحفر المأوى التي ألجأ إليها، وتعوي كلاب الصيد وهي تتبعني في كل مكان. كنت دائمًا أكره الشهرة من أي نوع، والآن لدي منها نصيبًا يجعلني في بعض الأحيان لا أتحمل الاستمرار في العيش.

أشارت أختي: "لكنك تستطيعين العيش في هدوء في آشفيلد".

أجبتها: "لا، لا أستطيع. إذا نعمت بالهدوء هناك لكن مع الوحدة فلن أفعل شيئًا غير التذكر- تذكر كل يوم سعيد مررت به هناك، وكل شيء فعلته وأنا سعيدة".

أهم شيء إذا جرحت مشاعرك عليك عدم تذكر الأوقات السعيدة. بإمكانك تذكر الأوقات الحزينة- هذا لا يهم- لكن مجرد أي شيء يذكرك بيوم سعيد- فهذا قد يقسمك إلى قسمين.

ظل آرثشي يعيش في "ستايلز" لفترة، لكنه كان يحاول بيعه-بعد موافقتي بالطبع نظرًا لأنني كنت أملك نصفه. والآن، أنا في أمس الحاجة إلى المال حيث أنني أمر بمأزق مالي شديد.

منذ وفاة أمي لم أستطع أن أكتب ولو كلمة واحدة. هذا العام هناك كتاب واجب الدفع وبعد إنفاق الكثير على ستايلز، لا يتوافر لدى أي مال. ما كنت أدخره من رأس مال محدود ذهب كله في شراء المنزل. والآن ليس لدى أي دخل من أي جهة ماعدا ما تمكنت من جمعه أو جمعته بنفسني. من الضروري أن أكتب كتاب آخر بأسرع ما يمكن، وأحصل منه على مقدم.

ساعدني هنا شقيق آرثي، كامبيل كريستي، والذي كان دائماً خير صديق وشخص رحيم وعطوف. اقترح علىّ جميع آخر اثنا عشر قصة تم نشرها "ذا سكيثش" حتى يمكن أن تأخذ شكل الكتاب. ساعدني في ما قمت به- حيث أنني لازلت غير قادرة على متابعة أي شيء من هذا النوع. في النهاية تم نشره تحت عنوان "الأربعة الكبار" ونال انتشاراً واسعاً. فكرت الآن أنني بمجرد أن بعدت بعيداً وهدأت ربما يمكنني بمساعدة كارلو أن أكتب كتاباً آخر.

الشخص الوحيد الذي كان بجانبني قلباً وقالباً، وأعاد إلى الطمأنينة كان زوج أختي، جيمس.

"أنت تبلين بلاءاً حسناً يا أجاثا." قال لي بصوته الهادئ "أنت تعلمين الأفضل لك، تماماً مثلما سأفعل لو كنت مكانك. عليك أن تبعدي. من الممكن أن يغير آرثي رأيه ويعود- أتمنى ذلك- لكنني حقاً لا أظنه سيفعل.. لا أظنه ذاك النوع من الناس. فهو عندما يتخذ قراراً يكون مؤكداً لا لبس فيه، لذا لا يجب أن أعول عليه"

قلت لا، إنني لست منشغلة به، لكنني كنت أعتقد أنه من الأفضل بالنسبة لروزلن أن أنتظر على الأقل سنة حتى يكون متأكداً تماماً مما يفعله.

لقد نشأت بالتأكيد، مثل أي شخص في زمني على الإحساس بالرعب تجاه الطلاق ولا أزال لدى هذا الشعور. إلى الآن أشعر بالذنب لأنني قبلت بمطلبه المستمر ووافقت على تطليقه. في كل مرة أنظر فيها إلى ابنتي، أشعر أنه كان يجب أن يكون لي وقفة وربما كان يجب على الاعتراض. فالمرء يكون مشوشاً إن لم يكن يريد الشيء

بنفسه. فأنا لم تكن لدى رغبة في تطبيق آرتشي- لقد كرهت فعل ذلك. أن تحطم زواجًا فهذا خطأ- أنا متأكدة من ذلك- فكم من زيجات فاشلة رأيت. وسمعت ما يكفى من قصصها الداخلية، لأدرك أنه بينما لا يكون الأمر شديد الخطورة في حالة عدم وجود أطفال، فإن الحال يكون مختلفًا عند وجودهم.

لقد عدت مرة أخرى إلى انجلترا- صلبة لا أثق فيمن حولي، لكن أستطيع التعامل معه. استأجرت شقة صغيرة في تشيلسي مع روزلن وكارلو، كما ذهبت مع صديقتي آيلين موريس والذي أصبح أخوها مدير مدرسة "هوريس هيل" لاستكشاف العديد من المدارس الابتدائية للفتيات. شعرت أنه بما أن روزلن بعدت عن منزلها وأصدقائها، وحيث أنه كان هناك القليل من الأطفال في مثل عمرها ممن أعرفهم الآن في توركاى، سيكون من الأفضل بالنسبة لها أن تذهب إلى مدرسة داخلية. على أي حال كانت هذه هي رغبتها. رأيت أنا وآيلين حوالي عشرة مدارس مختلفة. كان رأسي مشوشًا تمامًا عندما انتهينا، على الرغم من أن بعضًا منها جعلنا نضحك. ليس هناك بالتأكيد من هو أقل منى خبرة بهذه المدارس نظرًا لأنني لم يسبق لي أبدًا أن دخلت إحداها. لم يكن لدي أي شعور تجاه التدريس فيها بطريقة أو بأخرى. ومع ذلك قلت لنفسى ربما فاتني شيئًا لا أعرفه- قد يكون من الأفضل أن تعطى الفرصة لابنتك.

وبما أن روزلن كانت تملك قدرًا كبيرًا من الفطنة استشرتها في الأمر. فوجدتها متحمسة. لقد كانت مستمتعة بالمدرسة الصباحية التي كانت تذهب إليها في لندن لكنها رأت أنه سيكون لطيفًا أن تذهب إلى مدرسة ابتدائية في الخريف التالي. ثم قالت أنها ترغب في أن تذهب إلى مدرسة كبيرة -أكبر مدرسة موجودة هناك. اتفقنا على أن أحاول أن أجد مدرسة ابتدائية جميلة، واستقرينا على "تشيلتينهام" والتي كانت المدرسة الأكبر التي يمكن أن أفكر فيها للمستقبل.

المدرسة الأولى التي أعجبتني كانت في بيكسهيل: وتسمى كاليدونيا، وتديرها الآنسة وين وشريكها الآنسة باركر. لقد كانت تقليدية وتدار إدارة جيدة، كما أنني

أحببت الآنسة وين. لقد كانت ذا سلطة وشخصية. كل القواعد المدرسية بدت وكأنها من الأمور الروتينية لكنها كانت معقولة، وسمعت آيلين من خلال أصدقائها عن جودة الطعام. لقد أعجبني أيضًا مظهر الأطفال.

كانت المدرسة الأخرى التي أعجبتني من نوع مختلف تمامًا. حيث تستطيع الفتيات أن تحتفظ بحيواناتهم الأليفة إذا رغبن في ذلك، ولهم الحرية الكاملة في اختيار المواد الدراسية التي سيتعلمونها. كان هناك مدى واسع من الحرية فيما يقومون به، وإن لم يرغبوا في القيام بشيء ما، لا يتم الضغط عليهم للقيام به لأنهم كما كانت المديرية تقول "جاءوا ليقومون بأشياء تتفق مع ميولهم". وكان هناك قدر من التدريب الفني، كما أنني أيضًا أحببت المديرية. لقد كانت شخصية متفتحة وعطوفة ومفعمة بالحماس والأفكار.

عدت إلى المنزل فكرت في الأمر، وفي النهاية قررت أن آخذ روزلن معي في زيارة لكلا منهما. فعلنا ذلك، تركت لروزلن فرصة يومان حتى تقرر وبعدها سألتها: "والآن أيهما تفضلين؟"

كانت روزلن، والشكر للرب، دائمًا واثقة من قرارها. فقالت: "كاليدونيا"، "لا يجب أن أعجب بالأخرى. ستكون أشبه بالتواجد في حفلة. فلا أحد يريد أن يكون التواجد في المدرسة مثل حضور حفلة، أليس كذلك؟"

لذا استقرينا على كاليدونيا، والتي كانت اختيارًا موفقًا. التدريس كان ممتاز، والتلاميذ يجدون متعة فيما يتعلمونه. كانت شديدة التنظيم، لكن روزلن لم تكن ذلك النوع من الأطفال ممن يشجعون التنظيم. قالت: "لا أحد يحظى مطلقًا بأي راحة هناك. وهو ما لم أعجب به بتاتًا".

أحيانًا الأجوبة التي أحصل عليها لأسئلتني كانت تدهشني:

"في أي وقت تستيقظين من النوم في الصباح يا روزلن؟"

"لا أعلم، فهناك جرس يرن"

"ألا تريدان أن تعلّمي متى يرن الجرس؟"

"ولماذا أعرف؟ إنه بغرض إيقاظنا فقط، ثم نتناول الإفطار أظن بحوالي نصف ساعة"

كانت الأنسة وين لا تستمع لآراء الآباء. طلبت منها ذات مرة أن تسمح لروزلن أن تخرج معنا يوم الأحد مرتدية ملابسها العادية. حيث أننا كنا ذاهبين في نزهة وجولة بين المنحدرات.

أجابت: "جميع تلاميذي يخرجون يوم الأحد في ملابس الأحد. ولذلك كنا نحزم أنا وكارلو حقيبة صغيرة تضم ملابس روزلن الأكثر خشونة وفي غابة قريبة أو أيكة نبدل اللباس الحريري، قبعة القش والحذاء الأملس إلى ما هو أكثر ملائمة لطبيعة نزهتنا الوعرة. لم يكتشفنا أحد قط.

لقد كانت امرأة ذات شخصية رائعة. سألتها ذات مرة عما كانت تفعل إن أمطرت في اليوم الرياضي. "أمطار؟" أجابت بنبرة تملأها الدهشة. "كل ما أستطيع أن أتذكره هو أنه لم يسبق أن كانت هناك أمطاراً في اليوم الرياضي" يبدو أنها تستطيع أن تتحكم حتى في الأرصاد الجوية أو كما قالت إحدى صديقات روزلن أتوقع أن إرادة الخالق ستكون في جانب الأنسة وين".

لقد تمكنت من كتابة الجزء الأفضل من كتاب جديد عنوانه: "جريمة في القطار الأزرق" أثناء وجودنا في جزر الكناري. لم يكن الأمر سهلاً، وبالطبع لم يكن كذلك بالنسبة لروزلن. فروزلن على عكس أمها لم تكن تلك الطفلة التي تستطيع تسليتها نفسها بأي تمرين من صنع الخيال: حيث كانت تفضل ما هو ملموس. قم بإعطائها دراجة وستجدها تنطلق بها لمدة نصف ساعة. قم بإعطائها أصعب الألغاز ستجدها لا ترتاح حتى تجد الحل. لكن في حديقة فندق أوراتا في تينيريفي لم تجد

روزلن شيئاً تفعله غير التجول حول مشاتل الزهور أو من حين لآخر تلعب بالطوق، والذي كان لا يعنى بخلاف أمها، الكثير بالنسبة لها.

قلت لها انظري إلي يا روزلن: "يجب ألا تقاطعيني. فلدي ما يجب أن أنتهي منه. على أن أكتب كتاباً آخر. خلال الساعة القادمة سأكون مشغولة أنا وكارلو في القيام بذلك. فلا تقاطعينا"

فقال روزلن بعبوس "أوه، حسناً، ثم انصرفت. نظرت إلى كارلو وأنا جالسة هناك وقلبي في يدي ينتظر، أفكر وأفكر وأفكر وأنا أعصر عقلي. وفي النهاية بدأت مترددة. بعد مرور عدة دقائق، لاحظت أن روزلن كانت واقفة على الجانب الآخر من الطريق تنظر إلينا.

تساءلت: "ما هذا يا روزلن؟. ماذا تريدان؟"

أجابت: "هل مر الآن نصف الساعة؟"

"لا، مرت ثماني دقائق بالضبط. اذهبي بعيداً"

"حسناً"، ثم ذهبت.

استأنفت إملاء كلامي المتردد.

والآن، كانت روزلن هناك مرة أخرى.

"سوف أنادى عليك عندما ينتهي الوقت. فالوقت لم يحن بعد"

"حسناً يمكنني أن أبقى هنا، أليس كذلك؟ سأقف هنا، ولن أقاطعكما"

قلت لها وأنا غير راضية: "أرى أن تقفي هناك". ثم عدت للإملاء مرة أخرى.

لكن أنظار روزلن التي كانت موجهة نحوي كان لها مثل تأثير قنديل البحر. شعرت بشكل أقوى من أي وقت مضى أن كل شيء كنت أقوله كان غيبياً. كنت

أتعثّر وأتلعثم وأكرر ما أقوله. في الحقيقة أنا لا أعرف كيف قُدّر لهذا الكتاب الرديء، أن يُكتب!

بادئ ذي بدء، أنا لا أجد أي متعة في الكتابة ولا أي همّة. لقد وجدت الحبكة، حبكة مألوفة - مستوحاة بشكل جزئي من إحدى كتاباتي القصصية. لقد أدركت إلى أين كنت متجهة لكنني لا أستطيع أن أرى المشهد بعيوني وليس هناك حياة في الأشخاص. كانت تقودني رغبة يائسة في الواقع ضرورة أن أكتب كتاب آخر، لأحصل على المال.

وهي اللحظة التي تحولت فيها من هاوية إلى محترفة. لقد تحملت عناء الاحتراف، وهو أن تكتب حتى وإن لم تكن ترغب في ذلك، ليس مهمًا أن تعجب كثيرًا بما تكتبه ولا تكتب بشكل جيد. لطالما كرهت "جريمة في القطار الأزرق" لكنني انتهيت من كتابته وأرسلته إلى النشر. وحقق مبيعات مساوية لما حققه آخر كتاب لي. لذا كان عليّ أن أقنع نفسي بذلك - على الرغم من أنه لا يمكنني القول بأنني كنت يومًا فخورة به.

كانت أوراتافا جميلة. حيث تعلو الجبال الراسيات، بالإضافة إلى الزهور في حدائق الفندق - لكن كان هناك شيئان غير ساران، فبعد صباح مبكر جميل ومشرق تهبط السحب والضباب من الجبال عند الظهر، أما باقي اليوم فيسوده اللون الرمادي. في بعض الأحيان تهطل أمطارًا وتكون السباحة لمن يحرص عليها شيئًا مريعًا. تمد جسدك على شاطئ بركاني منحدر على وجهك وتحفر أصابعك في الرمال ثم تدع الموجات تتعالى لتغطيك. لكن عليك ألا تتركها تغطيك أكثر من اللازم. فالعديد من الناس غرقوا هناك. حيث كان من المستحيل النزول إلى البحر والسباحة وهو ما يستطيع القيام به فقط واحد أو اثنان من أقوى السباحين والذين غرق أحدهم أيضًا العام الماضي. لهذا السبب بعد مرور أسبوع انتقلنا إلى لاس بالماس في غران كناريا.

لا تزال لاس بالماس بالنسبة لي هي المكان المثالي للذهاب إليه في أشهر الشتاء. أعتقد أنه أصبح الآن مصيفًا سياحيًا وفقد كثيرًا من رونقه الأصلي. بعد ذلك صار كل شيئًا هادئًا ومستقرًا. فالقليل جدًا من الناس من كان يأتي إلى هناك، فيما عدا من كان يبقى لمدة شهر أو شهرين أثناء الشتاء ويفضله على ماديرا. كان به من الشواطئ الرائعة اثنان. كما أن درجة الحرارة كانت مثالية: وكان متوسط معدلاتها حوالي ٣٠ درجة مئوية وهو في اعتقادي هذه درجة حرارة الصيف. به نسيم أغلب فترات اليوم وفي المساء به الدفء الذي يسمح بالخروج بعد العشاء.

في هذه الأمسيات التي قضيتها مع كارلو تعرفت على اثنان من أعز أصدقائي: دكتور لوكاس وأخته السيدة ميك. والتي كانت أكبر كثيرًا من أخيها ولديها ثلاثة من الأبناء. أما هو فكان اختصاصي سُلّ، متزوج من أسترالية ولديه مصحة على الساحل الشرقي. في شبابه أصيب بالإعاقة إما بالسُلّ أو بشلل الأطفال فلست متأكدة- لكنه كان أحذب قليلًا وعليل صحيًا. لقد ولد معالج بالفطرة، على الرغم من ذلك كان ناجحًا جدًا مع مرضاه. قال ذات مرة: "إن شريكي يعتبر طبيبًا أفضل مني- أفضل من حيث مؤهلاته ولديه خبرة أكثر مني لكنه لا يستطيع أن يفعل لمرضاه ما أفعله أنا. فهم ينتكسون إذا أنا سافرت. إنني فقط أجعلهم يتحسنون".

كان جميع عائلته يعتبرونه أب لهم. وسريعًا ما نادينا أنا وكارلو بالأب أيضًا. كانت حنجرتي مُتَفَرِّحة. فقال ليراني: "إنك حزينة بسبب شيء ما، أليس كذلك؟ ما هو؟ مشاكل مع الزوج؟"

أجبتة نعم إنه كذلك وأخبرته ببعض مما حدث. كان يقويني ويشجعني قائلًا: "سيعود إن كنت تريدنه، عليك فقط أن تمنحيه الوقت، امنحيه الوقت الكثير. وعندما يعود لا تلوميه".

قلت له "لا أعتقد أنه سيعود لأنه ليس هذا الشخص. لا، وافقني الرأي، البعض ليس كذلك. ثم ابتسم وقال: "لكن معظمنا كذلك، يمكنني أن أقول لك

ذلك. فأنا كنت بعيداً ورجعت. على أي حال، تقبلي أي شيء يحدث أي كان واستمري. فأنت تتمتعين بقدر كبير من الشجاعة والقوة"

إنه والد عزيز علىّ. إنني أدين له بالكثير. فلديه تعاطف كبير مع جميع العيوب الإنسانية. وعندما توفي بعد ذلك بخمسة أو ستة سنوات، شعرت أنني فقدت أحد أفضل أصدقائي.

كان لدى روزلن خوف وحيد وهو أن تتحدث إليها جارية الغرفة الأسبانية.

سألتها: "ولم لا؟ يمكنك أن تتحدثي إليها"

"لا أستطيع، إنها أسبانية. تنادينني "سينيوريتا" بعدها تقول الكثير من الأشياء التي لا أفهمها"

"لا تكوني بهذا السخف يا روزلن"

"حسنًا.. يمكنك أن تذهبي لتناول العشاء، ولا أمانع أن أبقى بمفردي طالما أنا في فراشي، بعدها يمكنني أن أغلق عياني وأتظاهر بالنوم عندما تأتي الجارية الأسبانية"

غريبًا ما يحبه أو يكرهه الأطفال. فعندما وجدنا مركب للعودة كان خشبًا ثم ظهر بحار أسباني ضخم بشع للغاية، أخذ روزلن بين ذراعيه وقفز بها من المركب إلى الممر. ظننت أنها ستصرخ معترضة لكن هذا لم يحدث. وجدتتها تبتسم له بكل سرور.

قلت لها: "إنه أجني، وأنت لا تمانعين!"

أجابت إنه لم يتحدث إلىّ، وعلى أي حال أعجبنني وجهه—وجه قبيح لطيف.

لابد أن أذكر حادثة وقعت أثناء مغادرتنا لاس بالماس إلى انجلترا. وصلنا إلى بويرتو دي كروز للحاق بسفينة اتحاد القلعة، واكتشفنا أن الدمية بلوتيدي لم

تكن معنا. سريعاً ما أبيض وجه روزلن: "لن أغادر بدون بلوتيدي". تحدثنا لسائق الحافلة، ضغطنا عليه بإعطائه الهبات بالرغم من عدم رغبته في ذلك. من المؤكد أنه سيجد الدمية وبالتأكيد سيعود أدراجه كالريح. وفي تلك الأثناء كان متأكداً من أن البحارين لن يتركوا المركب تغادر بدون دمية الطفلة المفضلة. لم أوافق الرأي كنت أرى أن المركب ستغادر. لقد كان مركباً انجليزياً في الطريق من جنوب أفريقيا. إذا كانت مركباً اسبانياً كانت ستبقى بدون شك لساعتين إذا اقتضت الضرورة. على أية حال صار كل شيء على ما يرام، فبمجرد سماع أصوات الصافرات، وطلب من الجميع الانتظار على الشاطئ بدت الحافلة تقترب في سحابة من الغبار. برز السائق يقول إن الدمية الزرقاء قد سلمت إلى روزلن في الممر وضمتها إلى صدرها. وكانت هذه هي النهاية السعيدة لبقائنا هناك.



استقرت تقريبًا على الكيفية التي سأقضى بها حياتي من الآن فصاعدًا وبقي لي قرار واحد.

تقابلت أنا وأرتشي عن موعد. وبدأ مريضًا ومتعبًا. تحدثنا عن أشياء عادية وأشخاص نعرفهم. بعدها سألته عن شعوره الآن وما إذا كان متأكدًا أنه غير قادر على العودة مرة أخرى ليعيش معي أنا وروزلن. ذكرته ثانية بمدى حبها له، ومقدار الحيرة التي أصابتها بسبب غيابه.

ذات مرة قالت لي ببراءة: "أبي يحبني، ويريد أن يبقى معي. أنت التي ترفضين ذلك"

قلت له: "هذا يبين لك أنها بحاجة إليك، أليس بإمكانك فعل ذلك؟"

قال: "لا أستطيع. هناك شيئًا وحيدًا أرغب فيه. أريد أن أكون سعيدًا. ولا يمكن ذلك دون أن أتزوج نانسي. كانت في رحلة حول العالم خلال الشهور العشر الأخيرة لأن أسرتها كانت تأمل بإخراجها مما تمر به، لكن ذلك لم يحدث. هذا هو الشيء الوحيد الذي أستطيع أو أرغب به."

في النهاية حسم الأمر. كتبت إلى محاميّ وذهبت لرؤيتهم. تم وضع الأشياء في مسارها الصحيح. لم يكن هناك شيئًا آخر أفعله غير التفكير في مصيري. روزلن كانت في المدرسة وكانت كارلو وبونكي تذهبان لزيارتها. قررت أن أذوق طعم البهجة. يمكنني أن أذهب إلى جزر الهند الغربية أو جاميكا. قمت بتجهيز تذاكري.

وهنا يلعب القدر لعبته مرة أخرى. فقبل مغادرتي بيومين ذهبت لتناول الغداء مع بعض الأصدقاء في لندن. لم تكن معرفتي بهم قوية لكنهما كانا زوجان جميلان. وكان هناك أيضًا زوجان حديثي الزواج، ضابط بحري: القائد هاو وزوجته. جلست

بجانب القائد على الطاولة والذي تحدث معي عن بغداد. حيث كان عائداً للتو من هذا الجزء من العالم بعد إقامته في الخليج العربي. بعد تناول الطعام جاءت زوجته وجلست بجواري ودار بيننا حوار. قالت إن الناس دائماً تقول أن بغداد مدينة مريعة، لكنها وزوجها كانا مفتنونان بها. لقد تحدثا عنها وأثناء حديثهما كنت أزداد حماسة. قلت لهما أظن أن المرء عليه الذهاب إليها عن طريق البحر.

"يمكنك استقلال القطار اكسبريس السريع"

"اكسبريس السريع؟"

لطالما تمنيت أن أستقل قطار اكسبريس السريع. عندما كنت أسافر إلى فرنسا أو أسبانيا أو إيطاليا، كنت دائماً أراه واقفاً في كاليه، وكنت أتوق إلى أن أتسلقه. سيمبلون-اكسبريس السريع- ميلان، بلغراد، استانبول.....

لقد تعبت. كتب لي القائد هاو بعض الأماكن في بغداد التي يوصي بزيارتها. "لا تحصري نفسك في الوياح وامرأة صهيب وأمثالها. زوري الموصل-والبصرة-عليك أن تذهبي إلى أور".

قلت له: "أور؟" لقد قرأت في جريدة أخبار لندن المصوّرة عن اكتشافات ليونارد وولي الرائعة في أور. لقد كان دائماً يستهويني علم الآثار على الرغم من أنني لم أكن أعرف شيئاً عنه.

في صباح اليوم التالي ذهبت سريعاً لإلغاء تذاكري إلى جزر الهند الغربية، واستبدلتها بتذاكر وحجوزات لرحلة باكسبريس السريع إلى استانبول ومنها إلى دمشق ومن دمشق إلى بغداد عبر الصحراء. كنت أشعر بشوق وإثارة شديدين. سيستغرق الأمر أربعة أو خمسة أيام للحصول على التأشيرات وإنهاء كل شيء وبعدها أنطلق.

تساءلت كارلو بقليل من الارتياب: "كل ذلك بمفردك؟" ستذهبين بمفردك إلى الشرق الأوسط؟ وأنت لا تعرفين عنه شيئاً؟"

قلت لها: "سيكون كل شيء على ما يرام. على المرء أن يقوم ببعض الأشياء بمفرده أليس كذلك؟" لم يسبق لي القيام بذلك- ولا أرغب كثيرًا الآن في القيام به- لكنني فكرت: "إما الآن أو لا للأبد. إما أن أعلق بكل ما هو آمن أو أن أخذ المبادرة وأقوم بأشياء جديدة بمفردي".

وكان ذلك، فبعد خمسة أيام انطلقت إلى بغداد.

إنه حقًا اسم يسحر الآذان. لا أظن أنه كان في ذهني أية صورة واضحة عن بغداد وشكلها. بالطبع لم أتوقعها مدينة هارون الرشيد. لقد كانت فحسب مكانًا لم أفكر أبدًا في الذهاب إليه. لذا فهي أثارت في كل متع المجهول.

لقد سافرت حول العالم مع آرثي وزرت جزر الكناري مع كارلو وروزلن والآن ذاهبة بمفردي، وعلى أن أكتشف أي نوع من الشخصية أكون- هل صرت شخصية إتكالية تعتمد على الآخرين في كل شيء وهو ما كنت أخشاه. يُمكنُ أن أدلّل عاطفتي برؤية الأماكن- أي مكان أرغب في رؤيته. يمكنني أن أغير رأيي في لحظة مثلما فعلت عندما اخترت بغداد بدلًا من جزر الهند الغربية، ليس معي أي شخص أهتم لأمره. سأقيّم مدى إعجابي بالأمر. أدركت أنه كانت لي شخصية الكلاب: فالكلاب لا تذهب إلى أي مكان ما لم يقوم أحد باصطحابها. قد يكون قدرتي أن أكون هكذا دائمًا، وهو ما لم أتمناه.





الجزء الثامن الربيع الآخر



دائمًا ما كانت القطارات واحدة من الأشياء المفضلة لدي. ومن المؤسف أن القطارات في الوقت الحالي لم يعد بها محركات والتي كانت تعد بمثابة أصدقاء للمسافر أثناء الطريق الطويل.

لقد دخلت إلى عربة القطار في كالاس أثناء رحلتي إلى دوفر، وما زال بذاكرتي الرحلة البحرية التي كانت مرهقة لي واستقرت في قطار أحلامي. وقد أصبحت وقتها على معرفة ودراية بأهم مخاطر السفر الأولى. وكانت ترافقني في رحلتي في العربة امرأة في منتصف العمر وكانت امرأة أنيقة في مظهرها، ومن المسافرين المحنكين ومعها العديد من حقائب السفر الجميلة والصناديق التي كانت ما تزال عادة متبعة في السفر في تلك الفترة- وقد تبادلت أطراف الحديث معي. وكان هذا بالطبع شيئًا عاديًا حيث أننا كنا نسافر سويًا في نفس العربة من القطار والتي كانت مثلها مثل الكثير من عربات قطارات الدرجة الثانية تحتوي على مضجعين. وكان في بعض الأحيان من الأفضل أن تسافر في الدرجة الثانية أفضل من الدرجة الأولى، حيث أن العربة تكون أكبر كثيرًا في حجمها وتساعد المسافر على التحرك والتجول بحرية. وقد سألتني رفيقتي في الرحلة "إلى أين أنا ذاهبة. إلى إيطاليا؟ فأجبته "لا" إلى أبعد من هذا. ثم سألت مرة أخرى إذن إلى أين أنت ذاهبة؟ فأجبته أنني ذاهبة إلى بغداد. وكانت تعبيرات وجهها وقتها مفعمة بكل حيوية ونشاط. إنها عاشت في بغداد. فقالت يا لها من مصادفة جميلة. وقد ذكرت إن كنت أعرف أصدقاء لي في بغداد فأجبته أنني لن أقيم مع أصدقاء هناك.

"ولكن أين ستقيمين؟" لا يمكنك بالتأكيد أن تقيمي في فندق في بغداد.

وقد سألتها ولم لا؟. وقد فكرت مع نفسي أنه ليس هناك شيء آخر غير الفنادق، وهذا كان تفكيري الخاص، التفكير الذي لم أبوح به.

فردت "أوه! الإقامة في الفنادق هناك مستحيلة، فلا يمكنك القيام بذلك. سأخبرك بما يجب أن تقومين به: يجب أن تأتي إلينا!

فكنت انظر إليها في دهشة وأحملق بشدة.

فقالت "نعم. نعم، لن أأخذ منك أي رفض. كم من المدة قد خطي للإقامة هناك؟

فقلت لها "حسنًا، ربما لفترة قصيرة من الوقت.

فردت "على أي حال، تأتي إلينا نبدأ معًا ثم يمكننا أن نجعلك تذهبين إلى شخص آخر".

وكان هذا لطيفًا جدًا منها وكرم ذائد، ولكنني شعرت بتمرد في الحال. وبدأت أعي ماذا كان يعنيه القائد هاو عندما نصحني ألا أدع نفسي بالاندماج في الحياة الاجتماعية للمستعمرة الانجليزية. فقد رأيت نفسي مكتوفة الأيدي والقدمين. وحاولت أن أعطي وصفًا إلى حد ما لما خططت القيام به، ولكن السيدة (ج)- أخبرتني اسمها وبأن زوجها بالفعل في بغداد وأنها واحدة من أقدم المقيمين هناك- مما جعلني أترك أفكاري جانبًا.

"حسنًا. ستجدي كل شيء مختلف تمامًا عندما تصلين هناك. إن الحياة هناك جميلة. فهناك الكثير يلعبون التنس والآخرين يسرون. واعتقد أنك ستستمتعين هناك. إن الناس دائمًا ما يقولون إن بغداد مرعبة، ولكني لا أوافقهم الرأي. فهي بها الكثير من الحداثق الجميلة".

وقالت "اعتقد ستذهبين إلى تريبست وستأخذين المركب من هناك لبيروت؟

فقلت لها لا، سأذهب الطريق كله بالقطار السريع. وكانت تهرأسها قليلًا بعد ذلك. وقالت "لا أنصحك بهذا. فأنا لا اعتقد أنك ستحيينه. حسنًا، اعتقد أن القطار هذا لا يساعدك الآن. على أي حال، سوف نتقابل أتوقع هذا. سأعطيك

كارتني الخاص وبمجرد أن تصلي إلى بغداد، فإن زوجي سيأتي ويقابلك ويذهب بك مباشرة إلى منزلنا".

لم استطع الرد إلا أن أقول لها شكرًا وإنني لم اخطط بعد ولم استقر في تخطيطي لما سوف أقوم به. ولحسن الحظ، فإن السيدة (ج) لم تستطع أن تمضي الرحلة كلها معي- شكرًا يا الهي على هذا، فهي لم تتوقف عن الحديث مطلقًا، وستتجه إلى **تريست** وتأخذ المركب إلى بيروت. ولم أذكر لها أي شيء عن خططي للإقامة في **دمشق** و**استانبول** ولذلك استنتجت أنني غيرت رأي عن سفري إلى بغداد. ثم غادرنا اليوم التالي في **تريست** ومكثت لاستمتع مع نفسي.

كانت الرحلة تمثل لي كل ما تمنيته. فبعد **تريست** اتجهنا إلى **يوغوسلافيا** و**البلقان** وكان هناك المتعة والسحر والخيال للنظر إلى عالم مختلف تمامًا: النظر إلى ممرات ومداخل الجبال، ومشاهدة العربات التي تجرها الثيران، ومشاهدة مجموعات دراسية، والذهاب إلى الأماكن منها **نيش** و**بلجراد** ورؤية المحركات الضخمة والموتورات، ومشاهدة الحيوانات غريبة الشكل والتي تميزها علامات مختلفة ومتنوعة بشكل كبير. وبشكل طبيعي تعرفت على بعض الأشخاص والمعارف في الطريق ولكنني أقول صراحة أنه لم يكن من بينهم من تولي مسؤوليتي بذات الطريقة التي كانت فيها معرفتي الأولى بالسيدة العجوز. وقضيت وقت اليوم مع سيدة أمريكية ومهندس هولندي واثنان من السيدات الأتراك. ومع السيدات الأتراك لم يكن لي معهم حديثًا طويلًا بالرغم من كوني أتحدث الفرنسية قليلًا. ووجدت نفسي في موقف محرج لكوني لدي طفلة واحدة فقط وهي فتاة. إن السيدة التركية كما فهمت منها لديها ثلاثة عشر طفل توفي منهم خمسة وعلى الأقل ثلاث أو أربع تعرضوا لإجهاض. وقد عرضت علي كل علاج ممكنًا للمساعدة في زيادة عائلتي. فقد نصحتني وشجعتني بكل وسيلة ممكنة منها مثلًا الأعشاب واستخدام أنواع محددة من الثوم وأخيرًا أعطتني عنوان طبيب في باريس وكان ممتازًا على حد قولها.

في الواقع، لا يمكنك أن تدرك كيف تجد حماية وصداقة من العالم الخارجي إلا إذا سافرت بنفسك- والتي لا ترضي المرء دائماً. فكما وصفت لي هذه السيدة العديد من أنواع العلاجات المتنوعة والمختلفة، فقد أمدتني بالعديد من الأنواع المختلفة للأملح. وتحدث لي المهندس الهولندي بجدية إلى أين أنا ذاهبة وأين سأقيم في استانبول؟ وهو في الوقت ذاته حذرني من جميع أنواع المخاطر في المدينة. فقد قال لي: "عليك أن تكوني حذرة، فأنت سيدة مهذبة وذات نشأة جيدة وتعيشين في انجلترا واعتقد أنك محمية من زوجك أو من بعض العلاقات والأهل. فلا يجب عليك أن تصدقين ما يقوله لك الناس، ولا يجب أن تذهبين إلى أماكن للاستمتاع إلا إذا عرفتني إلي أين تؤخذين". وفي الواقع، فقد تعامل معي كما لو كنت فتاة بريئة في السابعة عشر من عمري. وقد شكرته وأكدت له أنني سأكون حريصة للغاية في التعامل مع الآخرين.

ومن أجل إنقاذي وحمايتي من الأخطار، دعاني لتناول العشاء في الليلة التي أصل فيها. وقال: "إن فندق **توكاتليان** فندق جيد فستكونين آمنة هناك. وسأصل بك حوالي التاسعة مساءً وسأخذك إلى مطعم جميل جداً. فهو يعمل من خلال السيدات الروسيات- وهن سيدات بيبضاوات جميعهن ذات أصول عريقة. وهن يطبخن بمهارة ويحتفظن بأجمل الديكورات في المطعم. وقلت له إن هذا لطيف منه كما أنه لطيفاً جداً.

وفي اليوم التالي عندما انتهى من عمله، اتصل بي ووضح بعض المناظر في اسطنبول ورتب جولة سياحية جيدة لي. وقال "لا تذهبين إلى أي مطعم آخر حيث إن هذا أجملهم- وهو باهظ التكلفة إلي حد ما- ولكني أؤكد لك أنه مطعم محترم للغاية.

ثم أوضح لي بعض من المناظر الأخرى في اسطنبول، وأخيراً عدنا إلى فندق توكاتليان. وقال "أسأل الآن، لا اعتقد أنه سيكون من الأكثر حكمة ألا أسأل" وهو ينظر إلي في دهشة.

فقلت له "أعتقد أنك حكيمًا ولطيفًا أيضًا"

ثم تنهد مرة أخرى وقال "إنه من دواعي سروري أن- ولكنني أري- نعم هذه هي الطريقة الصحيحة" ثم ضغط على يدي بدفع ورفع يدي إلى شفتاه ليقبلها ثم رحل من حياتي للأبد. وكان رجلًا لطيفًا ورقيقًا وأنا أدين له بأنني رأيت المناظر الجميلة في القسطنطينية.

واليوم التالي تم استدعائي من ممثلي كوك، وعبرنا من البوسفور إلى محطة حيدر باشا حيث كانت رحلتي في القطار السريع. وكنت سعيدة لأن المرشد معي. كان الجميع يصرخون ويطلبون انتباه ضابط الجمارك. وتعرفت على تقنيات آليات مترجمي الكوك. وقد قال لي "لقد أعطيتني ورقة بجنيه واحد الآن" وقد أعطيته جنيهاً. ووثب مباشرة على مقعد الجمارك ورفع الورقة لأعلى ثم قال "هنا هنا هنا" وكان يصرخ بصوت عالي. وهناك رجلًا كان يجري في اتجاهنا ووضع علامات من الطباشير الضخمة على أمتعتي وقال "أتمني لك رحلة سعيدة"- وأسرع ليلحق بالأشخاص الذين لم يتبعوا التعليمات الأخرى. وقال رجل الكوك "والآن عليك أن تستقري في القطار" وكنت في شك في المبلغ المالي التركي الباقي معي- بعض من الفكه في الواقع والتي أخذتها في العربة من قبل. وقال لي بحسم "من الأفضل أن تحتفظي بهذا المال ربما يكون مفيدًا لك. ومن الممكن أن تعطيني ورقة أخرى بجنيه واحد" وقد كنت اشك إلى حد كبير في هذا ولكنني على يقين بأن على المرء أن يتعلم من خلال الخبرة. وأعطيته ورقة أخرى وتركني بتحية.

وكان هناك اختلافًا كبيرًا في المرور من أوروبا عنه إلى آسيا. إنه شيء يشبه كما لو كان الوقت ليس هامًا. وكان القطار يجري بجانب بحر مارمارا والجبال التسليقية- وكان المنظر جميل بشكل لا يصدق عبر هذا الطريق الطويل. وكان الناس الموجودون في القطار مختلفين أيضًا- بالرغم من أنه من الصعب أن تصف وجه الاختلاف بينهم. ولكنني شعرت بالكثير من الاهتمام عما يدور حولي وإلى أين أنا ذاهبة. وعندما

توقفنا في المحطات استمتعت بالنظر إلى خارج القطار وأنا أرى الكثير من الأزياء الملونة المبهجة والعديد من الوجبات من الطعام المطبوع التي كان يتم تناولها وتوصيلها إلى القطار. وكان هناك الكثير من الطعام الملفوف في أوراق وأيضاً البيض الملون بألوان جميلة متنوعة- وجميع أنواع الأشياء. وأصبحت الوجبات تتسم بأنها عديمة الطعم ومليئة باللحم الدهنية غير المستساغة كلما اتجهت بعيداً عن الشرق.

ثم بعد ذلك في المساء التالي، وصلنا إلى المحطة وخرج الناس من القطار لينظروا إلى بوابات قليقيا وكانت لحظة من الجمال الرائع الذي لا يصدق لن أنساها أبداً. وقد مررت بهذا الطريق مرات عديدة فيما بعد سواء كنت قادمة أو آتية من الشرق الأدنى. وعندما تغير خط سير القطار، توقفت هناك في أوقات مختلفة في النهار والليل: أحياناً في الصباح الباكر والذي كان في الحقيقة رائعاً، وأحياناً أخرى في السادسة مساءً، وأحياناً في منتصف الليل. وكانت هذه هي المرة الأولى التي كنت فيها محظوظة. وقد خرجت مع الآخرين ووقفت هناك. وكانت الشمس في الغروب، وكان الجمال يفوق الخيال. وكنت سعيدة وقتها لأنني أتيت- وكنت مليئة بالامتنان والسعادة. ورجعت إلى القطار وبدأنا مرة أخرى في التحرك بجوار ممرات الجبال مارين من جانب إلى آخر وأحياناً أخرى بجوار النهر. ولذلك أتينا ببطء من تركيا إلى سوريا لمدينة حلب.

وقبل أن نصل إلى حلب، كان حظي سيئ قليلاً. كنت أعاني من لدغات البعوض على ذراعي وعنقي وعلى كاحلي وركبتي. وكنت في هذا الوقت كلي براءة بالنسبة لظروف السفر للخارج لدرجة أنني لم أدرك في البداية أنني لدغت بهذه الحشرات التي لم تكن بعوض ولكنها كانت حشرات تسمي بق الفراش، وظللت طوال حياتي أتشكك من مثل هذه الحشرات واللدغات. وهذه الحشرات تأتي من عربات السكك الحديدية الخشبية القديمة وتتغذى وهي في حالة من الجوع الشديد على عصارة المسافرين في القطار. وارتفعت درجة حرارتي إلى ١٠.٢ درجة وتورمت ذراعي. وفي النهاية وبمساعدة إحدى المسافرين الفرنسيين التجاريين،

غطيت أكمام بلوزتي ومعطفي- وذراعي تورمت بشدة داخل الأكمام. وعانيت وقتها من حى وصداع وحالة من البؤس وقلت لنفسي "يا له من خطأ فظيع لتفكيري في المجيء إلى هذه الرحلة! وبالرغم من هذا، فإن صديقي الفرنسي كان متعاونًا للغاية: نزل إلى الخارج وأحضر بعضًا من ثمار الكروم لي- الكروم الصغير الجميل الذي يمكنك الحصول عليه في هذا الجزء من العالم. وقال "لن تأتي شهيتك لأكله، فأنا أراك وأنت تعانين من الحمى، ومن الأفضل أن تلتصقي بهذه الثمار".

وبالرغم من أنني تعلمت كثيرًا من أمي وجدتي أن اغسل أي ثمار أتناولها عندما أكون بالخارج، إلا أنني لم أعني ولم اهتم بهذه النصيحة. وتناولت الكروم كل ربع ساعة مما خفض تأثير الحمى التي كنت أعاني منها. وبالتأكيد لم أرغب في تناول أي شيء آخر. وودعني صديقي الفرنسي في حلب، وفي اليوم التالي شعرت بالتحسن وبأنني أفضل من ذي قبل.

وعندما وصلت أخيرًا إلى دمشق، وبعد يوم طويل مرهق لي في القطار الذي كان يبدو أنه لا يستطيع السير لأكثر من خمسة أميال في الساعة، توقفت عند شيء ما مميز من الأشياء المحيطة بي والتي كانت تسمي محطة، فتوقفت في منتصف المحطة وكان هناك الكثير يصرخون. وفي النهاية خرجت إلى الخارج ورأيت أتوبيس أنيق مكتوبًا عليه فندق القصر، وهناك شخص كبير ساعدني في حمل أمتعتي مع اثنان من المسافرين الآخرين والذين تجمعوا معي وذهبنا إلى الفندق حيث كانت الغرفة محجوزة لي. وكان أفضل وأروع فندق حيث كان يتسم بأنه مصمم بالرخام- ولكن الإضاءة كانت ضعيفة لدرجة أنك من الصعب أن ترى المحيط بك. وبالصعود إلى أعلى من خلال سلالم من الرخام صعدت إلى شقة ضخمة، ثم أنت سيدة جميلة لخدمتي والتي تبدوا أنها تتحدث بعض الكلمات الفرنسية القليلة. وقد تحدثت إلي ثم تركتني.

ووجدت رجلًا يرتدي زى من القطن، يبدو أنه عامل هناك. وكان هناك الكثير من الماء المغلي على الأرضية لأغراض التنظيف والبخار والذي جعلني من الصعب أن

أرى هذا الرجل. وقد أماء برأسه وهو يبتسم وأعطاني إشارة تدل على أن كل شيء سيكون علي ما يرام ثم غادر. ورتب كل شيء قبل الرحيل وكان الماء الساخن يجري على الأرض. كنت غير واثقة بما سيقوم بعمله بعد ذلك. وفي الواقع لم أجرؤ أن أسأل عن الماء المغلي مرة أخرى. وكان هناك حوالي ثمانية أو عشرة عجلات صغيرة حول الجدران، كل واحدة منها تنتج ظاهرة مختلفة-منها مثلاً دش من الماء المغلي على رأسي. وفي النهاية خلعت قميص النوم والعديد من الأزياء الأخرى واغتسلت في البخار الذي أحببته أكثر من الماء غير النظيف. وللحظة ما شعرت بالحنين إلى الوطن. فإنه وقتاً طويلاً فعلاً. أتذكر أنني دخلت إلى غرفة جميلة بها تصميم سلين الرائع الأبيض واثنان من الحنفيات المكتوب عليها ساخن وبارد والتي تشغل لحالة الشخص المستخدم.

وبقدر ما أتذكر، قضيت ثلاثة أيام في دمشق والتي كنت خلالها أقوم بنشاط تفقد المناظر السياحية. وفي إحدى المرات، زرت **قلعة الحصن** برفقة مهندس أمريكي، وبعض من المهندسين ورجل دين عجوز. وتقابلنا للمرة الأولى ودخلنا إلى السيارة في الثامنة والنصف. وقد اعتقد رجل الدين أنني أنا والمهندس الأمريكي زوج وزوجته وكان يخاطبنا على هذا الوضع. وقال المهندس الأمريكي "أتمني ألا تنزعجي" فقلت له "لا على الإطلاق أنا في غاية الأسف أنه اعتقد أنك زوجي". وكانت هذه العبارة قد بدت غامضة إلى حد ما وضحكنا نحن الاثنان.

وتحدث إلينا رجل الدين العجوز عن مزايا الحياة الزوجية وتمنى لنا السعادة. وامتنعنا عن الشرح له حيث كان متزعجاً عندما صرخ المهندس الأمريكي في أذنيه "لسنا متزوجين ومن الأفضل أن يترك الأشياء والأمور كما هي. وقد أصر الرجل قائلاً "ولكن عليكم أن تتزوجا وهو يهز رأسه" وأكمل حديثه "كما تعلمون أن الحياة في خطيئة لا تستمر في الواقع-إنها لا تستمر".

ثم ذهبت لزيارة **بعلبك** الشيقة، فقد قمت بزيارة إلى البازارات في شارع يسمى **ستريت** واشترت العديد من الأطباق النحاسية الجذابة التي صنعت هناك. وكان

كل طبق من الأطباق مصنوعًا باليد وكل واحد منها مختلفًا عن الآخر. وأحيانًا يصمم على شكل سمكة أو بخيوط من الفضة والنحاس مرفوعة لأعلى. وهناك شيء ما رائع في كل مجموعة من الأطباق التي يصنعها الأب ثم يعلم الصنعة لابنه ثم تصل إلى الحفيد مع عدم نسخ أي من الأطباق عن طريق أي شخص آخر. وأتخيل أنك إذا ذهبت إلى دمشق الآن فستجد بعض من الحرفيين القدامى وعائلاتهم قد تركوا الصنعة: وقد حلت محلهم المصانع لتصنيع مثل هذه الأطباق. وبالفعل في تلك الأيام تجد الصناديق الخشبية والمناضد التي انتشرت وتنتج بشكل عالي على نمط واحد- والتي ما زال بعضها يصنع باليد ولكن بالطرق والأساليب الحديثة.

كما اشتريت أيضًا مجموعة من الأدراج وبعض من الأثاث والذي كان يذكرني بأرض الجن في الميثولوجيا القديمة. وكان كل هذا بمساعدة الشخص الذي كان يرشدني.

وقد قال لي "إنه ليس بجيد، إنه قديم يعود إلى خمسين أو ستين عامًا مضت، وهو مصنوع على طراز قديم. فهل تدركين ذلك فهو من طراز قديم جدًا"

فقلت له "أرى أنه ليس جديدًا وأنه ليس هناك العديد أو الكثير من هذا العمل في هذه الأيام. وربما لا يمكنك أن تجد حتى واحدًا من هذه الأطباق.

فلا يوجد أي شخص يصنع هذا العمل الرائع في هذه الأيام، يمكنك النظر إلى هذا الصندوق. أترى؟ إنه جميل للغاية وهذه أيضًا مجموعة أخرى من الأدراج. أترى؟ إن بها العديد من القطع الخشبية. أترى كم من الأجزاء الخشبية المتنوعة بها؟ إن بها خمسة وثمانون من القطع الخشبية.

وقد كان الشيء الوحيد الذي يؤرقني هو كيف أحضر هذه الأشياء إلى إنجلترا- ولكن من الواضح أنني من الممكن ألا أجد أية صعوبات في هذا. وفي النهاية قمت بمجموعة من الترتيبات الأخرى والحسابات التي جعلتني أشعر أنه بمجرد مرور تسعة أو عشرة أشهر سأنسى أشياءي الفضية اللؤلؤية في جنوب ديفون.

ولم تكن هذه هي نهاية القصة. فبالرغم من أنه كان شيء رائع في النظر إليه ورؤيته وكان يتم إنتاجه في الكثير من الوقت، بيد أنه كان هناك مخلوق ما يعبث بصندوق الجميل. قمت بفحص الأدراج، ولكني لم أجد أية علامات أو فتحات بها. وليلة بعد أخرى، وبعد منتصف الليل سمعت صوت ("جلجل..جلجل..جلجل").

وفي النهاية وجدت واحدًا من الأدراج بالخارج وحملته إلى لندن وكان مصنوعًا من الخشب الاستوائي. وقد أتفق الفاحصون أن هناك شيء ما سيء داخل تجاويف الخشب. وكان الحل هو أن نزيل الخشب كلية ونعيده من جديد. وهذا ربما يضيف المزيد من التكلفة. في الواقع فإن هذا يزيد ثلاثة أضعاف أو أكثر من ثمن الصندوق ذاته، ولم أعد مستعدة لتحمل تلك التكلفة.

وبعد مرور حوالي ثلاثة أسابيع، سمعت صوتًا مثيرًا "مدام هل يمكنك المجيء إلى المحل في الواقع أريدك أن تري ما معي". وكنت في لندن في هذا الوقت فأسرعت مباشرة-لأرى نزاعًا مثيرًا بين دودة وبزاقة. وكانت الدودة كبيرة وبيضاء اللون وقد استمتعت بوضوح بنظامها الغذائي على الخشب حتى أصبحت بدينة. فقد تغذت تقريبًا على جميع الخشب المحيط في درجين. وبعد بضعة أسابيع، أعيد الصندوق لي ومضيت ساعات الليل بعدها في صمت وهدوء.

بعد مرور وقت ممتع من مشاهدة المناظر الممتعة التي زادت من إعجابي بدمشق واستكشاف المزيد والمزيد منها، أتى اليوم الذي علي أن أقوم بمهمتي في الرحلة عبر الصحراء إلى بغداد. وفي ذلك الوقت كانت الخدمة تقدم لنا في أسطول ضخمة مكون من ستة عربات أو أتوبيسات والتي كانت تعمل عبر خط نيرن. وكان هناك أخوين يشغلانه وهما **جييري ونورمان نيرن** وكانوا من استراليا ويتميزون بكل مودة ولطف. وقد أصبحت على معرفة بهم في الليلة السابقة لرحلتي عندما كنا مشغولان في عمل صناديق من الورق المقوي للغذاء وقد دعوني وقتها لمساعدتهم.

وبدأ الأتوبيس سيره فجراً. كان هناك رجلان مسئولان عن مهمة القيادة وعندما أتيت متبعة لأمتعتي كانوا مشغولين في إلقاء بعض الحبال على السيارة وإلقاء السجاد على هذه الحبال.

وقال أحدهم "لا يمكنني أن أعلن أننا وصلنا ولكني لا أعني بعبور الصحراء دونهم"

وقال الآخر "هنا دوقة الوياح في هذا الاتجاه"

فقال الأول "يا الهي إن لدينا مشكلة هناك، أتوقع هذا فماذا تريد هذه المرة هل تعتقد؟"

فقال الآخر "كل شيء أصبح رأساً على عقب" وفي تلك اللحظة وصل موكب إلى الفندق. وللمفاجأة فأنا خائفة ألا يسعدنا هذا، فإن الشخص القادم ليس السيدة (ج) التي رحلت في تريس. وتخيلت أنها وصلت بالفعل إلى بغداد منذ ذهابي لرؤية المناظر الطبيعية.

فقالت لي "اعتقد أنك ستكونين في هذا الفوج" وحيثني بكل سرور. وقالت "إن كل شيء محدد وسأخذك معي إلي العلوية. لأنه من المستحيل بالنسبة لك أن تقيمين في أي فندق في بغداد.

فما عساي أستطيع أن أقول؟ فقد شعرت بأنني محاصرة. فلم اذهب إلى بغداد من قبل ولم أرى أية فنادق هناك. فربما صادفت بعض الحشرات المقززة منها بق الفراش أو الثعابين أو غيرها، ولذلك كان علي أن أتمتع ببعض الشكر. ولذلك علينا أن نريح أنفسنا لان الدوقة العلوية تعد واحدة من أصدقائي مثل السيدة (ج). وقد رفضت المقعد الذي كان في مؤخرة الأتوبيس حيث كانت مريضة. فيجب أن تكون هي في المقعد الأمامي خلف السائق. ولكن هذا المقعد تم حجزه من قبل سيدة عربية منذ أسابيع. وقد لوحث الدوقة بيدها فقط. وقد أعطت انطباع

أنها أول سيدة أوروبية في مدينة بغداد. ووصلت السيدة العربية ودافعت عن مقعدها. وأخذ زوجها المقعد. وقامت سيدة فرنسية أيضًا بنفس الطلب وأيضًا جنرال ألماني في نفس الموقف. ولا اعرف أي مناقشات طرحت. فكما هو معتاد على هذه الأرض فإن هناك أربعة من الأشخاص الذين كانوا يتسمون بالصبر والحلم لم يملكو المقاعد الأفضل وتم منحهم المقاعد الخلفية في السيارة. وتم حجب كل من الجنرال الألماني والسيدة الفرنسية والسيدة العربية. فلم أكن أبدًا من المحاربين الجيدين ولم انتهز أي فرصة، بالرغم من أن رقم مقعدي كان في أحد هذه المقاعد المرغوبة.

وفي الوقت الملائم، وبعد أن اندهشنا من الصحراء الرملية الرائعة برمالها الناعمة وصخورها، خمدت في النهاية بالإيحاء من خلال تماثل ورتابة الأشياء المحيطة وبكتاب مفتوح. لم أتعرض أبدًا في حياتي لإرهاق السيارة ولكن حركة العجلات الستة حيث كنت في الخلف كانت أكبر من الحركة في حالة ركوبك لسفينة وهذا ما جعلني أتعرض للألم والإرهاق قبل أن أعرف ماذا حدث لي. وشعرت بشعور مؤلم ولكن السيدة (ج) كانت حنونة ولطيفة معي. وقالت أنه في المرة القادمة علي أن أجلس في إحدى المقاعد الأمامية.

وكانت الرحلة التي استغرقت حوالي ثمانية وأربعين ساعة عبر الصحراء رائعة وساحرة. ومنحتني وأحدًا من المشاعر الغريبة الفضولية من إحساسي بالإحاطة بفجوة كبيرة. وكانت واحدة من الأشياء الأولى التي كان علي أن أدركها، هي أنه في فترة الظهيرة من المستحيل أن تعرف أنك تتجه إلى الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب. وقد عرفت أنه في ذلك الوقت من النهار تتجه العربات ذات العجلات الستة بعيدًا عن مسارها في السكك الحديدية. وفي واحدة من رحلاتي الأخرى عبر الصحراء فإن هذا حدث بالفعل. فقد كان أحد السائقين وهو من أكثر السائقين خبرة أكتشف أنه بعد مضي ساعتين أو ثلاث من القيادة عبر الصحراء في اتجاه دمشق وظهر أنه متجه للخلف نحو بغداد. وكان هناك متاهة وحيرة. وفي هذا الوقت ظهرت

سيارة على مسافة ما وهي تقذف طلق ناري ببندقية وقد اتخذ السائق دائرة أو حلقة أكثر اتساعاً من المعتاد. وقد أعتقد أنه وصل إلى مؤخرة العربة ولكنه بالفعل كان يقود في الاتجاه المعاكس.

وبين دمشق وبغداد ليس هناك شيء سوى امتداد كبير من الصحراء ولا توجد أي علامات أرضية، ومحطة واحدة في المكان بأكمله إنها: حصن الرطبة العملاق. ووصلنا في منتصف الليل. وفجأة وفي قلب الظلام كان هناك ضوء مشع ينير. لقد وصلنا. كانت البوابات الكبيرة للحصن مفتوحة. وبجانب الباب ارتفعت البنادق لأعلى حيث يوجد حراس مجهزين للامساك باللصوص المتنكرين في صورة مسافرين. كانت وجوههم الداكنة مخيفة للغاية. وسمح لنا بالمرور وإغلاق البوابات خلفنا. وكان هناك غرف قليلة مزودة بالسرائر لكل أسرة. كان لدينا وقتاً للراحة حوالي ثلاث ساعات وكان كل خمسة أو ستة من السيدات داخل غرفة. ثم مضينا مرة أخرى.

وحوالي الساعة الخامسة أو السادسة صباحاً وبعد بزوغ الفجر، تناولنا طعام الإفطار في الصحراء. ولا يوجد مكان في العالم ساحراً لتتناول فيه الإفطار المعد من بعض الأطعمة المعلبة والتي تم طهيها على الموقد أكثر روعة من الصحراء في الصباح الباكر. وكان هذا مع المزيد من أكواب الشاي الثقيل الذي يفي باحتياجات الإنسان في مثل هذا المكان ويعمل على تجديد طاقته. وأيضاً الألوان الجميلة في كل أنحاء الصحراء منها الأصفر والمشمشي والأزرق- مع الهواء العليل والتي كونت كلها مجموعة من الأشياء الساحرة مع بعضها البعض. وعملت جميع هذه الأشياء من حولي على سلب لبي. فهذا كان كل ما أتوق إليه وإلى رؤيته في رحلاتي. إنه شيء يأخذك بعيداً عن كل شيء- مع هواء الصباح العليل الجميل والهدوء وصمت الطيور والرمال التي تمر من خلال أصابعك والشمس المشرقة الساطعة ومذاق الطعام المعبأ والشاي. ماذا يوجد في الحياة من أشياء أخرى ينشدها المرء أكثر من هذا؟

ثم تحركنا مرة أخرى ووصلنا في النهاية إلى الفلوجه على نهر الفرات ومررنا عبر الكوبري بالمراكب ومررنا بالمحطة في الحبانية، ثم مضينا مرة أخرى حتي بدأنا نرى بساتين النخل الرائعة. وفي المسافة البعيدة وعلي اليسار رأينا القباء الذهبية في الكاظمية، ثم مررنا بكوبري آخر فوق نهر دجلة وبذلك وصلنا داخل بغداد- عبر شارع ملئ بالمباني الصخرية والتي بها مسجد جميل ذات قباء فيروزية اللون تقف شامخة وقد بدأ لي كما أنه في منتصف الشارع.

ولم يكن لدي فرصة حتى للنظر إلى الفندق. وقد نقلتنا السيدة (ج) وزوجها ايريك إلى سيارة مريحة، وتم نقلنا عبر شارع رئيسي في بغداد ومنطقة خارج المدينة بها صفوف رائعة من أشجار النخيل على جانب واحد من الطريق وقطعان من الجاموس التي كانت تشرب في بركة من الماء في الطريق. ولم أرى هذه الأشياء في حياتي من قبل.

ثم أتينا ومررنا بالمنازل والحدائق المليئة بالزهور- ولكنها لم تكن كثيرة. وكنت أنا هناك بالمكان الذي كنت أفكر به أحياناً-على أنه مثل أرض امرأة صهيب.

كان كل شيء في بغداد جميل ولطيف بالنسبة لي. فالجميع كانوا متعاونين وشعرت بالخلج من نفسي من الشعور المكبوت الذي كنت اشعر به. إن العلوية جزء من المدينة المستمرة، وهي مليئة بالتوبيسات والعديد من وسائل النقل ولكنها تبعد بضعة أميال عن المدينة نفسها. وللوصول إلى هناك، عليك أن يقودك شخص ما. وكان الركوب في الواقع ممتعاً.

وذات يوم من الأيام ذهبت إلى مدينة يطلق عليها مدينة الجاموس، يمكنك أن تراها من القطار القادم إلى بغداد من ناحية الشمال. وبالنظرة المجردة يبدو المكان مربع كحي من أحياء الفقراء به مساحة واسعة مليئة بالجاموس وإفرازاته الخارجية. ويسود المكان رائحة كريهة وبعض من الأكواخ المصنوعة من العلب القصديرية تمثل نموذجاً للفقير المدقع. وفي الحقيقة فإن هذا كان بعيداً تماماً عن الواقع. إن مالكي الجاموس من الأثرياء، وبالرغم من أنهم يعيشون في قذارة إلا أن الجاموسة الواحدة تقدر بحوالي ١٠٠ دولار أو أكثر- ربما أكثر من ذلك هذه الأيام. وأصحاب الجاموس يعدون أنفسهم من المحظوظين. وبالرغم من أنه يمكنك رؤية النساء يخوضون في الطين، إلا أنك يمكن أن ترى أساور من الفضة والفيروز تزين كاحلهم.

وقد تعلمت قريباً أنه ليس هناك شيء في الشرق الأدنى غير الموجود فيه بالفعل. فهناك القوانين والنظم التي تحكم الفرد في الحياة والسلوكيات والملاحظات والتي يعاد تعليمها مرة أخرى. فعندما ترى شخص ما يحفزك على الذهاب بعيداً وبعنف فأنت تتعامل مع هذا الموقف بسرعة وبالفعل فهو يدعوك لكي تقترب. ومن ناحية أخرى، فإذا دعاك فهو يخبرك أن تذهب بعيداً. رأيت مثلاً آخر على رجلين يبدوان للناظر على أنهما يتشاجران بعنف ويهددان بعضهما. في الواقع، فقد كانوا أخوة يقضيان وقت النهار بهذه الطريقة ويرفعان صوتهما لأنهما كسولين لدرجة

أنهما غير قادرين على الاقتراب من بعضهما أثناء الحديث. وأخبرني زوجي ماكس ذات مرة أنه في أول زيارة له صدم بالطريقة التي يتبعها الجميع في التحدث إلى العرب بصوت عالي. وقبل أن يعمل طويلاً مع العمال أكتشف أن أي علامة يتفوه بها في نبرة للصوت العادي تعتبر غير مسموعة- ليس لأنهم يعانون من الصم- حيث يعتبر المرء في هذه الحالة كما لو كان يتحدث مع نفسه، وأن أي شخص يرغب في أن يسمعه الآخرون يجب أن يحدثهم بصوت عالي.

وقد قدم الناس لي في العلوية المزيد من كرم الضيافة. ولعبت التنس ودخلت في العديد من السباقات، ورأيت المناظر الطبيعية، وذهبت مع الأصدقاء للتسوق- وشعرت كما لو كنت في انجلترا تمامًا. وبشكل جغرافي فأنا في بغداد بالفعل، ولكن روحياً اشعر أنني مازلت في انجلترا، وكانت فكرتي عن السفر هو الذهاب بعيداً عن انجلترا لزيارة ورؤية البلاد الأخرى. ووقتها قررت أن شيء ما يجب أن يحدث.

وقد أردت أن أزور مدينة أور. وقمت بالعديد من الاستفسارات والتساؤلات وكنت مسرورة لأجد من يشجعني ويحفزني ولم أجد رفض من أي أحد. وتم تنظيم الرحلة لي. وقالت لي السيدة (ج) "يجب أن تأخذي معك حملاً بالطبع، فسنحجز القطار لك لرحلتك وسترسلين خطاباً إلى السيد وولي وزوجته كي تخبرهم أنك وصلت وتترغبين في رؤية الأشياء. ويمكنك قضاء ليلتين في الاستراحة هناك ثم يقابلك زوجي إيريك عندما تعودين".

قلت إن ذلك لطيف منهم الاهتمام بشئوني ويتحلمان المشكلات لأجلي ومن الجميل أيضاً والشيء الذي لا يعرفونه هو أنني أيضاً أتحمل بعض المتاعب فيما يتعلق بترتيباتي عند العودة.

وفي هذا الوقت رتبت نفسي. ونظرت إلى الحمال وكان رجلاً طويلاً ورفيعاً وكان يعرف الكثير من الأمور. وبشكل رائع ساعدني على الدخول إلى العربة المريحة وتركني وهو يوضح أنه في موقف مناسب سيعود لكي يشير إلى غرفة الطعام الموجودة في المحطة.

وأول شيء قمت به بعدما تركني لم يكن قرارًا حكيماً: فقد فتحت النافذة. وكان شعوري بالاختناق في الداخل أكثر من قدرتي على التحمل. كنت أتوق إلى استنشاق هواء نقي. وما كان يأتي ويدخل من الخارج من خلال النافذة إلى داخل الغرفة كان هواء عليلاً ولكنه كان غير نظيف وساخن ومليء بالتراب ورأيت ستة وعشرون من الدبابير الضخمة. فشعرت بالخوف. وكانت الدبابير تدور حولي. ولم استطع أن أفكر وقتها هل من الأفضل أن أترك النافذة مفتوحة كي يكون للدبابير فرصة للخروج من النافذة، أم أنه من الأفضل أن أغلق النافذة لأترك نفسي مع الدبابير الموجودة بالداخل. وكان كل شيء مؤسفاً. وجلست في إحدى الأركان لمدة ساعة ونصف تقريباً حتى أتى الحمال لإنقاذي وأخذني إلى مطعم المحطة.

وكانت الوجبة التي ذهبت لتناولها مليئة بالدهون ولم تكن جيدة. ولم يكن هناك الكثير من الوقت لتناولها. ودقت الأجراس. وناداني خادمي المخلص وعدت إلى أمتعتي. وكانت النافذة مغلقة وطردت الدبابير من المكان. وبعد هذا كنت حريصة لما يدور حولي. فقد كان المكان كله لي- وكان يبدو مفيداً-كان الوقت يمر ببطء وكان من الصعب أن اقرأ أي شيء وقتها لأن القطار كان يجري بسرعة ومهتز سريعاً ولم استطع رؤية أي شيء من النافذة إلا الصحراء الرملية. وكانت رحلة طويلة ومتعبة لي بالوجبات الغذائية السيئة والنوم غير المريح.

وقد اختلفت الأوقات في النهار خلال السنوات العديدة التي قمت فيها برحلة مدينة أور ولكنها كانت غير ملائمة بشكل كبير. ففي هذه المناسبة، اعتقد أن الساعة الخامسة صباحاً كانت الساعة المحددة. ونزلت إلى المحطة ومضيت الوقت في غرفة نوم نظيفة حتى شعرت أنني بحاجة إلى الإفطار في الثامنة صباحاً. وبعد فترة قصيرة وصلت السيارة التي قيل أنها ستأخذني إلى المكان المحدد على بعد ميل ونصف من أعلى موقع الحفر. وبالرغم من أنني لا أعرف شيء عنه، إلا أنني كنت فخورة بشكل كبير. فقد حصلت على خبرة الآن في مجال التنقيب عن الآثار لسنوات عديدة، وأدركت كم أن الزائرين يأتون إلى هذه الأماكن لرؤية الأشياء

والتحدث إليهم وقضاء وقتاً مفيداً. وفي إحدى تلك الحفريات الناجحة مثل التي كانت في مدينة أور، كانت كل دقيقة مفيدة وكان الجميع يعمل. كانت الفتيات التي تتجول في المكان من أكثر الأشياء المثيرة. وفي ذلك الوقت قامت عائلة وولي بتسجيل بعض الشرائط عن الأشياء الجميلة: منها مثلاً بعض الأشخاص الذين كانوا في حفلة هناك. وتم استقبالي بكل ترحاب وكرم، وكان من المفترض أن اقدر هذا أكثر مما فعلت.

وكان من أسباب هذه المعاملة الجميلة أن السيدة كاثرين وولي، زوجة ليونارد وولي كانت قد انتهت للتو من قراءة أحد كتبي وهو "مقتل روجر أكرويد" وكانت مليئة بالحماس بعدما قرأت الرواية مما جعلها هي وزوجها يتعاملان معي على أنني شخصاً مهماً جداً. وكان هناك أفراد آخرون قد سئلوا عن قراءتهم للكتاب وعندما كانوا يجيبون بأنهم لم يقرءوه كان يتم توبيخهم.

وقد أراني ليونارد وولي بعض الأشياء، كما ذهبت معه لجولة من خلال الأب بوروز وهو كاهن يسوعي متخصص في كتابة النقوش ذات شخصية أصيلة. كانت الطريقة التي وصف بها الأشياء سهلة وجميلة، وكان ليونارد وولي يرى الأشياء بعين الخيال: المكان كما لو كان واقعي في نظره عام ١٥٠٠ قبل الميلاد أو قبلها بسنوات. وبينما كان يتحدث الأب بوروز شعرت أنه لا مجال للشك بأن هذا المنزل الموجود في الزاوية هو منزل إبراهيم- فقد أعيد بنائه في الماضي وكان يعتقد ويؤمن بذلك. كان أي شخص يستمع إليه يؤمن به أيضاً. بينما كانت رؤية الأب بوروز مختلفة تماماً. فقد وصف الفناء الواسع الكبير أو الشارع المليء بالمحلات وتشعر بكل الاهتمام معه، ومع ذلك فإنه يقول "بالطبع لا نعلم إذا ما كان ذلك حقيقي، فلا يوجد إنسان يستطيع التأكد من حقيقته. ولا أعتقد بصحته" وبنفس الطريقة يقول "نعم نعم، كانت هذه المحلات ولكن لا تفترض أنها أنشئت كما نتخيل أو نعتقد- فربما تكون مختلفة". وكان شخصاً شيقاً-وماهراً وودوداً. ومع ذلك فإنه كان في عزلة: فقد كان هناك شيئاً ما غير إنساني يقال عنه.

وذات مرة تحدث معي في وقت الغذاء وهو يصف لي أنواع القصص البوليسية التي يعتقد أنني يمكنني كتابتها بصورة جيدة والتي حفزني أيضاً على كتابتها. وحتى ذلك الوقت لم يكن لدي أي فكرة أنه يستمتع بقراءة القصص والروايات البوليسية. وقدم وصفاً موجزاً للقصة بالرغم من أنه غامضاً في الواقع، إلا أنه قدم صورة لمشكلة واقعية. وقد عزمت على أنني يوماً ما سوف أفعل شيء بخصوصها. ومرت سنوات عديدة ولكن يوماً ما أخربها بقدر ما أتذكر بعد مرور حوالي خمسة وعشرين عاماً أتتني الفكرة مرة أخرى ولم أقم بكتابة كتاب بل قصة طويلة قائمة على الدمج بين الظروف التي تحدث هو عنها في إيجاز من قبل. وكان الأب بوروز قد توفي في هذا الوقت، ولكنني تمنيت لو أنه يدرك أنني استخدمت أفكاره بامتنان. فقد ألهمني بأفكاره.

وكانت كاثرين وولي، والتي أصبحت واحدة من أهم أصدقائي في الأعوام التالية، شخصية غير عادية. وقد اختلف العديد من الناس حول شخصيتها. فبعض الناس لا يحبونها، والبعض الآخر يمجتها، والبعض يراها بين النقيضين. وذلك لأنها كانت تتسم بأنها تتحول من حالة مزاجية إلى حالة أخرى بسهولة جداً لدرجة أنك لا يمكنك أن تعرف أين أنت معها أو في أي حالة مزاجية تكون هي. وقد أعلن الناس أنه من المستحيل التعامل معها وأنها تتعامل معك بطريقة لا يمكنك تحملها، وفجأة يجدونها رائعة في التعامل معهم. بينما كان تعاملها معي إيجابياً، فإذا كنت في مكان منعزل مثل الصحراء وكان عليك أن تختار إحدى السيدات لتكون معك أو في أي مكان آخر وتحتاج إلي صديق، فإنها من أهم الشخصيات التي يمكنك أن تفكر بها بشكل عملي أكثر من أي شخص آخر. ولم تكن أي من الأمور التي كانت تحدث فيها تافهة أو مبتذلة، وكانت تحفزك في التفكير بطريقة عملية. وكانت قادرة على أن تتعامل معك بشكل وقح- في الواقع كان لها طريقة سيئة ولكنها كانت لا تستخدمها إلا في مواقف محددة، وكانت تتسم بأنها لا يمكن تصديقها- ولكنها عندما تريد أن تتعامل معك بطريقة رائعة فإنها تنجح في كل مرة.

لقد وقعت في حب مدينة أور بجمالها وبالتحديد في فترات المساء، وسمات المكان التي كانت تتسم بوجود البحر الواسع من الرمال وألوانها الذهبية الرائعة واللون المشمشي والوردي والأزرق والبنفسجي الذي يتغير كل دقيقة. وقد استمتعت بكل شيء حتى العمال والأولاد الصغار وأساليب الحياة كلها. وقد أتى شريط الماضي إلى مخيلتي ليجذبني إليه. فقد رأيت خنجرًا يظهر ببطيء بلونه الذهبي في الرمال وكان يشكل منظرًا رومانسيًا بشكل كبير. كما أن منظر الأواني التي كانت توضع في الأرض قد ملئتني شعورًا بالحنين كي أكون عالمة آثار. يا له من سوء الحظ، اعتقد أنني عشت حياة تافهة طائشة من قبل. وتذكرت بشعور من الخجل عندما كنت في القاهرة وأنا فتاة صغيرة مع أمي وهي تحاول أن تقنعني بالذهاب إلى الأقصر وأسوان لرؤية أمجاد الماضي الرائعة لمصر أول وأعظم حضارة في التاريخ وكيف أنني كنت أرغب فقط في مقابلة الرجال والرقص معهم حتى ساعات صباح اليوم التالي. حسنًا، اعتقد أن هناك وقتًا لكل شيء.

حفزني كاثرين وولي وزوجها على الإقامة معهم ليوم إضافي، لأرى المزيد من الاستكشافات وكنت مسرورة للموافقة. وكان الحمال من وجهة نظر السيدة (ج) ليس ضروريًا بالنسبة لي. وقد أخبرته كاثرين وولي بالعودة إلى بغداد وبأن يوم عودتي ليس مؤكدًا بعد. وبهذه الطريقة تمنيت أن أعود دون أن يلاحظني احد أو حتى ضيفي السابق وأقيم بنفسني في فندق قصر دجلة (إذا كان هذا هو أسمه-حيث تغير اسمه لأكثر من مرة ونسيت أسمه في المرة الأولى).

إن هذه الخطة لم تنتهي، لأن زوج السيدة (ج) كان يأخذ القطار من مدينة أور كل يوم. وكنت اقدره إلى حد كبير. شكرته بشدة وأخبرته كم أن زوجته لطيفة ولكنني شعرت أنه من الأفضل أن اذهب إلى الفندق ولقد نظمت بالفعل شئوني هناك. لذلك أوصلني إلى الفندق. ونظمت نفسي على هذا الأساس وشكرت زوج السيدة (ج) وقدمت له المزيد من الشكر والامتنان، وقبلت دعوة ما على التنس

حوالي ثلاث أو أربع مرات. وبهذه الطريقة استطعت أن اهرب من عبودية الحياة الاجتماعية على النمط الانجليزي. ولم اعد امرأة صهيب، فقد أصبحت سائحة.

ولم يكن الفندق سيئاً. فأنت تمر في البداية بكآبة: ردهة واسعة وغرفة لتناول الطعام بها ستائر منسدلة. في الطابق الأول هناك نوع من الشرفات حول غرفة النوم، ومنها بقدر ما استطيع رؤيته، أن أي شخص يمكنه أن يمر بك ليمضي معك الوقت خلال اليوم حتى أثناء نومك في الفراش. وهناك جانب واحد من الفندق يمر نحو نهر دجلة ويعد حلم السعادة مع رؤية العديد من المراكب المتنوعة في النهر. وفي وقت تناول الوجبات تنزل أسفل إلى مكان مظلم ولكن به مجموعة بسيطة من المصابيح الكهربائية والأنوار الضعيفة. وفي هذا المكان تستطيع تناول الوجبات الغذائية العديدة والتي كانت وجبات غريبة تتشابه مع بعضها- كتل وقطع ضخمة من اللحم المشوي والأرز والبطاطس والبيض بالطماطم والقربيط وغيره من أنواع الأطعمة المتعددة.

وكانت عائلة هاوس تمثل زوج رائع وسار لي في رحلتي، وقد تعرفت عليهم بالحديث معهم مرة أو مرتين. وقدرتهم كثيراً، حيث أنهم من بين الناس الذين تسعد عندما تتقابل معهم وتتعرف عليهم وأيضاً من الناس التي تساعدك على التعرف على أماكن مختلفة وشيقة من المدينة. وكانت بغداد بالرغم من الحياة الانجليزية التي كانت تميز العلوية، المدينة الشرقية الأولى التي رأيتها في الواقع- وكانت شرقية بالفعل. فيمكنك أن تتجول حول شارع رشيد وتجول أيضاً حول الممرات والشوارع الضيقة والعديد من الميادين والأسواق المختلفة: منها سوق كوبر.

كان أحد أصدقاء عائلة هاوس من الهنود البريطانيين يدعى "موريس فيكرز" والذي سررت بمعرفته وكان صديق جيد. فقد أخزني لأرى القبة الذهبية في الكاظمية من الحجرة العلوية ودلني على مناطق مختلفة من الأسواق- من التي لم أعتاد رؤيتها من قبل، علاوة على زيارة مناطق أخرى مختلفة. وقد ذهبنا معاً

للمشيية على النهر لأرى حدائق النخيل. وربما أقدر ما حدثني عنه أكثر مما رأيته معه. فقد تعلمت منه لأول مرة كيف أقدر الوقت-وهو الشيء الذي لم أفكر فيه قط. فبالنسبة إليه فإن الوقت ليس شيء شخصي بل قيمة جوهرية عليا.

إذا فكرت في الوقت واللامحدودية، فإن الأشياء الشخصية ستتوقف في التأثير عليك بنفس الطريقة. فالحزن والمعاناة وجميع الأشياء المحدودة في الحياة تتضح لك من خلال منظور مختلف بشكل كلي وكامل.

وقد سألتني إذا كنت قد قرأت كتاب "خبرة مع الوقت للمؤلف دونز" في الواقع لم أقرأه. فقد أعارني إياه، ومنذ ذلك الوقت أدركت أن هناك شيء ما حدث لي- ليس تغييراً في القلب ولا تغييراً بسيطاً في المظهر ولكنني أصبحت أرى الأشياء بشكل نسبي: فنفسني ليست ضخمة، وليس هناك مظهر وحيد للجميع، في عالم شاسع بمئات من العلاقات الداخلية به. فبين الحين والآخر يمكن أن تكون حذراً لملاحظة نفسك، فمن وجود الآخر توجد كينونة النفس. وكان كل هذا بسيط وساذج كي أبدأ به ولكنني شعرت منذ تلك اللحظة بإحساس من الراحة والمعرفة الواقعية للهدوء أكثر ذي من قبل. وكان هذا بالنسبة لي يمثل قمة الامتنان لموريس فيكرز لأنه استطاع أن يجعلني أنظر للحياة بنظرة أكثر عمقاً. وكان لديه مكتبة ضخمة من الكتب الفلسفية وغيرها من الكتب، واعتقد أنه كان صغيراً في السن. وفي بعض الأحيان كنت أتساءل إذا ما كان يمكننا أن نتقابل مرة أخرى ولكنني كنت أعتقد على وجه العموم أنني مقتنعة بأننا لا يجب أن نتقابل مرة أخرى. وكنا نشبه السفن التي كانت تمر في الليل. فقد أعطاني هدية وقبلتها: في الواقع إنها نوع من الهدايا لم يتم منحي إياها من قبل، حيث أنها هدية من موهبة العقل وليس فقط من القلب.

ولم يعد لدي الكثير من الوقت لقضائه في بغداد. حيث كنت قلقة لأكون في وطني حتى أعد نفسي للكريسماس. وأخبرت أنني علي الذهاب إلي البصرة وبالتحديد إلى الموصل- وقد حفزني موريس فيكرز وشجعني على الأخيرة. وأخبرني أنه إذا كان

لديه وقتًا فسيأخذني إلى هناك بنفسه. وكان هناك واحدة من الأشياء المثيرة والشيقة في بغداد وفي العراق بشكل عام، وهي أنه يوجد شخص هناك يرافقك إلى الأماكن. فيما عدا المسافرين المشهورين، وأيضًا النساء من النادر ما يذهبن لوحدهن. وبمجرد أنك تأمل السفر، فإن هناك شخص ما يقدم إليك صديق أو ابن عم أو زوج أو عم أو أي شخص تكون مهمته هي أن يرافقك في هذه الأماكن ويوضحها لك.

وفي الفندق تقابلت مع العقيد دوير في "البنادق الأفريقية الملكية". وكان قد سافر لجميع أنحاء العالم. كان عجوزًا، لكنه لا يعرف إلا القليل عن الشرق الأوسط. كانت محادثتنا عن كينيا وأوغندا. وذكرت له أن لدي أخ يعيش هناك منذ سنوات عديدة. وسألني عن اسمه وأخبرته أنه ميللر. فحملق بشدة ثم ظهر على وجهه تعبيرًا وقال أعرفه بالفعل: بنوع من الشك الشديد.

"هل تعني أنك تقولين أنك شقيقة ميللر؟ هل شقيقك هو باوفينج بيلي ميللر؟"

ولم اسمع أنا اسم باوفينج بيلي.

وقد أضاف: بائع القبعات؟

فقلت له "نعم فقد كان دائمًا مجنونًا مثل بائع القبعات"

"وأنت شقيقته! يا الهي، يا لك من طيبة القلب"

وقال لي "إنه واحدًا من الشخصيات الرائعة العظيمة التي قابلتها في حياتي. لا يمكنك أن توجهينه. ولا يمكنك أن تجعله يغير رأيه أو نظرتة، إنه عنيد للغاية ولكنك تحترمينه. إنه واحدًا من أكثر الشباب شجاعة الذين قابلتهم في حياتي".

وقد صدقت على كلامه قائلة "نعم"

وقال "هل هو في الحرب، فأنت تعرفين، فقد نظمت هذا الفوج في الحرب من قبل وانهزت الفرصة وكنت غالبًا ما أتقابل مع بعض الشخصيات التي تشبهه في سفريات. وكان بعض من هؤلاء الأشخاص من متصلبي الرأي وفي الغالب عبقرين ولذلك فهم في الغالب ما يبيئون بالفشل. وهم يعدون أفضل محاورين في العالم كله— ولكن عندما يحبون الحوار الذي يتحدثون فيه-هل تفهمين. وفي أوقات ومواقف أخرى لا يردون عليك حتى بإجابة واحدة- ولا يتحدثون.

وكل كلمة نطق بها كانت حقيقية.

وقال لي "أنت بالتأكيد أصغر منه كثيرًا، أليس كذلك؟"

"أصغر منه بعشر سنوات".

إنه سافر إلى الخارج وأنت ما تزالين طفلة صغيرة-أليس كذلك؟"

فقلت له "نعم أنا حتى لم أكن وقتها أعرفه جيدًا ولكنه أتى إلي منزلنا عند الرحيل"

وما حدث له مؤخرًا؟" "فما سمعته عنه أنه كان في المستشفى".

وشرحت له ظروف حياة أخي وكيف أنه رجع في النهاية إلى الوطن كي يموت هناك ولكنه استمر حيًا لسنوات عديدة بعد ذلك بالرغم من أن جميع الأطباء اجمعوا على أنه سيتوفي سريعًا.

وقد أضاف "بشكل طبيعى، وأنا أتذكر أنه كان يعاني من جراح في ذراعه. وكان مصرًا على فكرة عدم الذهاب إلى المستشفى. فكان في كل مرة يضعونه في المستشفى يخرج منها-وأخيرًا تم وضعه في المستشفى ولكن في اليوم الثالث نجح في الخروج دون أن يراه أحد— حيث كان هناك معركة تنتظره في الخارج، هل تعرفين هذا؟".....

فقلت له: كان لدي فكرة بسيطة عن هذا.

وأضاف "أنه كان متجهًا نحو قائده وكان شابًا تقليديًا- ومظهره يختلف تمامًا عن ميللر. وكان مسئولًا عن الأشخاص العنيدة في ذلك الوقت- لقد قام ميللر بعمل رائع. وعلي أية حال، فقد قال فجأة إن هذا هو المكان الذي يستطيعون فيه أن يدخلوا معركة مع الألمان، وكان رجاله يتشاجرون هناك. وقال القائد أن عليه عدم التمرد- وعليه إطاعة أوامره. إلا أن ميللر قال أنه لن يتحرك وأن رجاله لن يتحركوا أيضًا. وكان الجنود لا يتحركون- إلا إذا أرادهم ميللر. وعلي أية حال، فقد تم محاكمته عسكريًا. ولكن في ذلك الوقت وصلت قوة كبيرة من الجنود الألمان.

فسألته "هل دخلوا المعركة؟"

"بالتأكيد دخلوا المعركة- وانتصروا فيها. وكان هذا نصرًا حاسمًا للحملة. وبالطبع بعد ذلك، كان العقيد العجوز واتسيमान والذي يطلق عليه راش- في حالة من الغضب والجنون والثورة العارمة. فقد كان هناك في معركة بدون أسلحة بسبب عصيان أمره من ميللر الذي حول لمحاكمة عسكرية! ولكنه لم يتحول بالفعل للمحاكمة العسكرية فقد تغيرت الأمور. وعلى أية حال، فقد حدثت أشياء كثيرة- بيد أن تلك المعركة تذكر دائمًا بأنها معركة ميللر."

وقد سألني فجأة "هل كنت تحببته؟"

وكان سؤالًا صعبًا بالنسبة لي.

بعد قليل من الوقت أجبت على سؤاله "أحيانًا كنت أحبه وأعتقد أنني لم أعرفه بدرجة كافية حتى يكون بيننا ما يمكن أن تسميه بدفء أسري أو حنان. وفي بعض الأحيان كنت أياس منه وأحيانًا أخرى كان يصيبني الجنون بسببه- وفي بعض الأحيان أكون ساحرة ومعجبة به."

فقال العقيد دوير "كان لديه إمكانية سحر النساء بسهولة، فقد كانت النساء يتناولون الطعام معه. وفي بعض الأحيان ترغب بعض النساء في الزواج منه، وعادة

كما تعرفين يتزوجونه ويدربونه على بعض المهام أو الوظيفة الملائمة له. وأنا أخمن انه أنه لم يعد حيًا أليس كذلك"

"لا" لقد توفي منذ بضعة سنوات"

وأسفاه! لهذا حقًا؟"

فقلت له: غالبًا ما كنت أتساءل:

ما هو الحد الفاصل بين الفشل والنجاح؟ إن حياة أخي مونتي كانت تمثل بمثابة كارثة. فلم ينجح في أي شيء يحاول القيام به. ولكن ربما كان هذا فقط من ناحية الأمور المادية؟ ولكن لا يمكن لأحد أن يقرب ذلك، فبالرغم من فشله في الأمور المادية في حياته إلا أنه كان يستمتع بحياته ويمتع نفسه في الأمور الأخرى من الحياة؟.

"أنا اعتقد هذا فقد قال لي ذات مرة ببهجة شديدة "إنني عشت حياة إلى حد كبير شريرة. فأنا أدين للكثير من الأشخاص بمبالغ مالية كبيرة في جميع أنحاء العالم. وانتهكت قوانين العديد من الدول. وحصلت على مؤنة قليلة من العاج بطريقة غير مشروعة من أفريقيا. وهم يعلمون أن لدي هذا العاج ولكنهم غير قادرين على إيجاده! وهذا مما يسبب لأمي المسكينة وماج الكثير من القلق. ولا تعتقد أن القس البروتستانتي سيوافق على هذا. ولكني استمتع بحياتي في الكثير من الجوانب. فقد كنت أقضي وقتًا ممتعًا. ولم أقتنع بأي شيء سوى الأفضل".

لقد كان مونتي محظوظًا في زواجه بالسيدة تايلور، وهي إحدى النساء التي تجدها في وقت الحاجة فكانت معه وقت الشدة. فقد عاشا سويًا في سلام ومحبة في دارتمور. ثم تعرضت لمرض شديد. وكانت بطيئة في تحسينها من ناحية الشفاء وذلك برأي الأطباء. وكان عليها أن تذهب إلى مكان ما أكثر دفئًا-ربما يكون جنوب فرنسا.

وكان مونتي سعيداً، ويسافر كثيراً. وتوافقنا أنا وماج على أنه ليس ممكناً أن يطلب من السيدة تايلور الإقامة في دارتمور-بالرغم من أنها أكدت أنها لا تمانع، وترغب في ذلك بالفعل.

"لا يمكنني أن اترك المقدم ميللر الآن"

ولذلك فكرنا بطريقة أفضل، فقد رفضنا أفكار مونتي ورتبنا بدلاً من ذلك غرفة صغيرة في فندق عائلي صغير في جنوب فرنسا لكلا منهما. وقمت ببيع بيت الجرانيت الذي كان يتكون من طابق واحد ورأيتهم في القطار الأزرق. وكانوا يبدوان مسروران ولكن للأسف، أصيبت السيدة تايلور ببرد أثناء الرحلة وتطور إلى مرض في رئتها، وتوفت في المستشفى بعدها بأيام قليلة.

واخذوا مونتي إلى المستشفى في مرسيليا أيضاً. فقد أنهار بسبب وفاة زوجته. وأصبحت ماج تعرف أن هناك شيئاً ما يجب ترتيبه. وكانت الممرضة التي تتولي شئونه متعاطفة ومتعاونة للغاية. وكانت تفكر فيما يمكن أن تقوم به ويكون صحيحاً.

وبعد مرور أسبوع تلقينا برقية من مدير البنك الذي كان يترك في يده شئونه المالية والذي قال أنه وجد حلاً مرضياً. ولم تستطع ماج أن تذهب إليه ولذلك ذهبت أنا. وقابلني المدير ودعاني لتناول الغذاء. وكان في قمة الرقة والتعاطف معنا. ولكنه كان إلى حد كبير مراوغةً ولا أعرف لماذا. وفي الوقت الحالي اعتقد أنني من الممكن أن أكون قد وصلت إلى حل لهذا اللغز ومعرفة السبب. فقد كان عصبياً لما قالت شقيقات مونتي فيما يتعلق بالعرض الذي عرضه علينا. وقد عرضت الممرضة التي كانت تدعي تشارلوت أن تأخذ مونتي إلى شقتها وتكون مسئولة عنه. ومن المتوقع أن يكون مدير البنك منزعجاً من رفضنا نحن الاثنين-وأصبحت أنا وماج قريبين من الممرضة وقد تعلقت بها ماج. فقد أصبحت تشارلوت مسئولة عن مونتي وقد كان هو مغرمًا بها. وكانت تستمع إلى خطط مونتي التي تتعلق بالمعيشة على يخت كبير وغيرها من الخطط.

ثم توفي فجأة من نزيف في المخ أثناء جلوسه في إحدى الكافيتيات في يوم من الأيام، وقد بكت كلا من ماج وتشارلوت معًا في الطقوس الجنائزية. ودفن في المقبرة العسكرية في مرسليليا.

واعتقد أن مونتي متع نفسه إلى آخر عمره.

وأصبحت أنا والعقيد دوير أصدقاء مقربين بعد ذلك. وكنت في بعض الأحيان أذهب لأتناول طعام الغذاء معه وفي بعض الأحيان الأخرى كان هو يأتي لتناول الغذاء معي في الفندق الذي كنت أقيم به. وكان حديثنا دائمًا حول كينيا وكليمنجارو وأوغندا والبحيرة، كما كان حديثنا أيضًا مفعمًا بالكثير من القصص والروايات التي كانت تتعلق بشقيقي.

وبطريقة عسكرية قام العقيد دوير ببعض الترتيبات التي تتعلق بتسليتي واستمتاعي في رحلتي القادمة بالخارج. فقد قال لي "لقد قمت بتخطيط ثلاثة رحلات سفاري لك، ويجب علي أن أخصص بعض الوقت لك في أي وقت يناسبك. وأعتقد أنني يجب أن أقابلك في مكان ما في مصر- ثم بعد ذلك سأرتب رحلة على ظهر الجمل عبر شمال أفريقيا. وسيستغرق هذا شهرين ولكنها ستكون رحلة رائعة- شيء لا يمكن نسيانه. فيمكنني أن أأخذك إلى أماكن لا يستطيع أي من هؤلاء المرشدين أن يصلوا إليها- فأنا اعرف كل بوصة في هذه الدول". ثم لخص بعد ذلك بعض الخطط الخاصة بالسفر والرحلات والتي في الغالب تكون عن طريق عربة بعجل.

وفي بعض الأحيان كانت تراودني بعض الشكوك ما إذا كنت أستطيع تنفيذ هذه البرامج أم لا. وربما كنا نحن الاثنين نعرف أن هذه الأفكار هي في مملكة تفكيرنا. فقد كان رجلًا وحيدًا. واعتقد أن العقيد دوير كان يتدرج من المراتب العسكرية وكان له عمل عسكري رائع. وكانت له زوجة رفضت أن تترك إنجلترا. وقد كان يقول عنها أنها كانت لا تعني سوى بالمعيشة في منزل أنيق في مكان أنيق- ولم يعني أولاده أيضًا به عندما يأتي أو يغادر خارج البلاد. فقد كانوا يعتقدون أن أفكاره التي تتعلق بالسفر إلى الخارج إلى الأماكن البعيدة أفكارًا سخرية وغير واقعية.

وقال "أنا أرسل لها المال التي تريده لنفسها ولتعليم الأولاد. وأقلمت حياتي على المعيشة في أفريقيا ومصر وشمال أفريقيا والعراق والسعودية وغيرها. فهذه هي الحياة بالنسبة لي.

اعتقد انه بالرغم من وحدته، إلا أنه كان راضيًا وقانعًا. فقد كان يتمتع بروح الدعابة الجميلة وأخبرني العديد من القصص والروايات المسلية المضحكة عن العديد من الخدع والمكائد المتنوعة. وفي الوقت ذاته كان محافظًا على التقاليد، بالعديد من الصور فقد كان متدينًا، وذات أفكار صارمة عن الخطأ والصواب. وكان هناك راهب عجوز يصفه بطريقة أفضل.

أصبحنا في نوفمبر الآن، وبدأ الطقس في التغير. فلم يعد هناك أيًا مشرقة بالشمس وكان هناك بعض الأمطار التي تتساقط أحيانًا. وحجزت رحلتي إلى الوطن، وبدأت أفكر في مغادرة بغداد بكل حزن- ولكن لم يكن شعورًا بالأسف، لأنني كنت بالفعل قد خططت للمجيء مرة أخرى. وقد ألمحت عائلة وولي أن أزورهم العام التالي، وربما أقضي جزء من وقت الرحلة في طريقي للعودة إلى الوطن معهم، وكان هناك العديد من الدعوات التي وجهت لي.

وفي النهاية حجزت مقعد في مقدمة الأتوبيس حتى لا أزعج نفسي مرة أخرى. وبدأنا الإقلاع، وكنت قد تعلمت كثيرًا من غرائب الصحراء. فقد كانت تمطر، وكما هو العادة في تلك الدولة فإن هناك كتلة كبيرة من الطين تلتصق بقدمائك. فكانت لم تتوقف وأخيرًا التصقت بالطين. واهتز الأتوبيس ورفع نفسه. وفي النهاية ومع زيادة المطر الشديد كان علينا أن نعود مرة أخرى إلى بغداد. وكانت محاولتنا الثانية في اليوم التالي أفضل. وكان علينا أن نحفر أو نثبت أنفسنا مرة أو مرتين ولكن في النهاية مررنا بمدينة الرمادي، وعندما وصلنا إلى قلعة الرطبة كنا في الخارج في الصحراء مرة أخرى ولم يكن هناك أية صعوبات تحت أقدامنا.

إن أحد أهم متع السفر هو الرجوع إلى الوطن مرة أخرى. فقد كنت أتوق لرؤية روزلن وبونكي وعائلتها- وقد رأيتهم بنظرة جديدة من التقدير والامتنان.

وذهبنا لقضاء الكريسماس بالإقامة مع بونكي في تشيشير. وبعد ذلك إلى لندن حيث كان مع روزلن إحدى صديقاتها وتدعى بام تروس والتي قابلنا والدها ووالدتها من قبل في جزر الكناري. وخططنا أن نذهب لنرى تمثيلية صامتة ثم تذهب معنا بام إلى ديفونشاير حتى نهاية الأجازة.

وقضينا مساء سعيدًا بعد وصول بام حتى تم إيقافني في نفس الوقت من صوت يقول وقتها "هل لديك مانع أن آتي وأنام معك في فراشك يا سيدة كريستي؟ وقد شعرت وقتها بأنني أعيش إحدى أحلامي الشائعة التي كنت أحلم بها.

فقلت: أنا، لماذا، بالطبع يا بام. وقمت بتشغيل المصابيح ودخلت ونامت. وكنت مندهشة إلى حد ما لأنني كنت أعتبر بام طفلة عصبية. ومع هذا فقد كان هذا أكثر شيء مريح بالنسبة لها بلا شك. ولذلك نمنا مع بعضنا حتى الصباح.

وبعد رفع الستائر وإحضار الشاي، شغلت المصابيح ونظرت إلى بام. فلم أرى مثل هذا الوجه المغطى بالعديد من البقع من قبل. ولأحظت هي شيء ما غريب في تعبيرات وجهي وقالت لي: "أنت تحملقين إلي!"

"حسنًا، حسنًا، نعم أنا أحملق إليك"

فقالت بام: وأنا مندهشة أيضًا، فكيف حضرت إلى فراشك؟

"أنت آتيتي في المساء وقلتي أنك كنت تعانين من رؤية بعض الأحلام المزعجة"

فقالت: "هل بالفعل هذا ما حدث؟ لا أتذكر أي شيء عن هذا. فلا أستطيع

التفكير فيما حدث" ثم توقفت وقالت "هل هناك شيء آخر يتعلق بهذا الأمر؟

"حسنًا، نعم أنا آسفة أن هناك شيء ما يا بام، اعتقد أنك تعاني من الحصبة وأحضرت لها مرآة كي ترى وجهها فيها وتفحصه.

فقالت "أنا ابدوا غريبة في المرآة أليس كذلك؟" فوافقتها على رأيها.

"وماذا سنفعل الآن؟ هل يمكننا الذهاب إلى المسرح هذه الليلة؟

"أنا آسفة لا يمكننا الذهاب إلى المسرح الليلة، "أعتقد أن أول شيء يجب علينا القيام به هو أن نتصل تليفونيًا بأهلك".

واتصلت تليفونيًا ببیدا تروس والتي أتت في الحال. وألغت رحلتها وأخذت بام. وأخذت روزلن معي في السيارة واتجهنا إلى ديفونشاير حيث يمكننا الانتظار هناك عشرة أيام لمعرفة ما إذا كانت تعاني من الحصبة أم لا. ولم تكن القيادة سهلة بالنسبة لي لأنني كنت أعاني من ألم في قدمي منذ أسبوع وكانت القيادة مؤلمة بالنسبة لي.

أول شيء حدث بنهاية العشرة أيام هو أنني عانيت من صداع وظهرت لدي علامات الحمى.

وقد اقترحت روزلن قائلة "ربما تعاني أنت من الحصبة وليس أنا"

فقلت لها "لقد عانيت من الحصبة عندما كنت في الخامسة عشر، وأنا أعرف أن الناس من الممكن أن يعانون من الحصبة مرتين في العمر- وإلا فلماذا أشعر ببعض التعب؟

فاتصلت بأختي وكانت بونكي مستعدة دائمًا للمجيء للإنقاذ وقالت أنها بمجرد تلقيها لبرقية مني فإنها ستأتي في الحال وتتعامل معي أنا أو روزلن أو نحن الاثنين. وفي اليوم التالي شعرت بأني أسوأ واشتكت روزلن بأنها تعاني من برد وأن عيناها تؤلمها وكانت تعطس كثيرًا.

ووصلت بونكي مليئة بالحماس والحيوية للتعامل مع الكوارث ومعالجة المشكلات. وفي الوقت المناسب تم استدعاء الطبيب كارفر وصرح بأن روزلن تعاني بالفعل من الحصبة.

وقال "وماذا بك- مما تشتكي، إنك لا تبدين في صحة جيدة". فقلت له "شعرت أنني مريضة ومتعبة واعتقد أن درجة حرارتي مرتفعة" ثم توجه إلي ببعض الأسئلة الأخرى قائلاً "هل تلقيت أية لقاحات في السابق. لماذا لم تتلقين اللقاح في الذراع؟

"لأن علامات اللقاح تبدو واضحة في فستان السهرة"

فقال: "حسنًا، إنه لا ضرر من التلقيح في الساق ولكن يكون من المتعب أن تقودي لمسافة طويلة تصل إلى حوالي مئات الأميال. دعيني ألقى نظرة" وألقى نظرة علي مكان التلقيح ثم قال "إن ساقك منتفخة ومتورمة إلى حد كبير، ألم تدركين هذا بنفسك؟

فقلت: "حسنًا، نعم لقد أدركت هذا بنفسي ولكني اعتقدت أن اللقاح لا يسبب كل هذا الألم"

"نعم وأكثر، دعيني أقيس درجة حرارتك" قاسها وتعجب "يا الهي! ألم تقيسي درجة حرارتك؟

فقلت له "حسنًا، لقد قسستها أمس وكانت ١٠.٢ درجة وكنت اعتقد أنه من الممكن أن تنخفض بعد ذلك. فأنا أشعر إلى حد ما بشعور غريب وعرضي".

"عرضي، حرارتك تتعدى ١٠.٣، تفضلي بالنوم على فراشك وتنتظري لفحص بعض الأمور".

وبعد أن فحص أخبرني أنني علي التوجه إلى أي مكان للتمريض فورًا وسيُرسَل إلينا سيارة إسعاف. فقلت إن الإسعاف ليس له فائدة فلماذا لا اذهب في أي سيارة عادية أو في تاكسي؟

فقال "عليك أن تنفذين ما أخبرك به، ثم قال أرغب في التحدث إلى السيدة وات أولاً ودخلت بونكي وقالت "سأعتني بروزلن أثناء تلقيها علاج الحصبة وطوال فترة علاجها. وأخبرني الطبيب كارفر أنك في حالة سيئة للغاية فماذا فعلوا بك؟ هل سمموك باللقاح؟

قامت بونكي بتجميع الضرورات المطلوبة. واستلقيت على فراشي في انتظار سيارة الإسعاف متمنية أن استطيع أن اجمع أفكارى. فلدي شعور مفرع وكأنني موضوعة داخل صندوق زجاجي داخل محل أسماك: فكان كل شيء حولى يذكرني وكأنني سمكة على لوح ثلج ولكنني في الوقت ذاته كنت اشعر بأنني مثل زند الخشب المحترق من التدخين والنيران- إن الدمج بين الاثنين كان في الواقع شيء بشع. فبين الحين والآخر أحاول أن أفوق من هذا الكابوس غير السار وأبذل قصارى جهدي في ذلك قائلة لنفسى "أنا لست إلا أجاثا أنام على فراشي- فلا يوجد أي سمك هنا ولا يوجد أي محل أسماك ولست زند من الخشب". ومع هذا اشعر بعدها بقليل بأنني انزلق على جلد الغنم وبأن رؤوس الأسماك تحيطني من كل جانب. وكان هناك إحدى هذه الرؤوس البشعة. وأتذكر أنها كانت ضخمة ذات عيون جاحظة وفم كبير وكانت تنظر لي بطريقة بشعة.

ثم فتح باب الغرفة ودخلت امرأة مرتدية زى الممرضة وكان من الواضح أن سيارة الإسعاف قد وصلت، وكان معهم مقعد من النوع القابل للحمل. وقد عبرت عن شعوري بالرفض بالعديد من المعارضات- فلم يكن لدي أي رغبة للذهاب إلى أي مكان بمقعد قابل للحمل. وكنت استطيع أن انزل السلالم بمفردي وادخل إلى سيارة الإسعاف. فتم قهري من قبل الممرضة وهي تقول: "إنها تعليمات الطبيب، فالآن يا عزيزتي عليك بالجلوس هنا وسنقوم بتثبيتك بالحزام".

ولم أتذكر أي شيء أكثر رعباً في حياتي أكثر من نزولي من على السلالم ودخولي إلى سيارة الإسعاف حيث أنني كنت بدينة إلى حد ما- وكان العامل المساعد في سيارة

الإسعاف ضعيف البنية بشكل كبير. وقام هو والممرضة بوضعي بينهما لمساعدتي على الجلوس على المقعد. وبدأ في حملي إلى أسفل لأنزل السلالم. وكان المقعد يتصدع وقد سمعت صوتاً منه يدل على أنه سيتحطم إلى قطع صغيرة، وكاد المساعد في سيارة الإسعاف علي وشك الانزلاق والتزحلق على السلالم. وآتت اللحظة التي بدا فيها المقعد في الانهيار في منتصف السلم. وقال المساعد للممرضة "يا عزيزتي، عزيزتي، اعتقد أن المقعد سيتحطم إلى مجموعة من القطع الصغيرة"

فصرخت في هذا الوقت قائلة: "فلتدعوني أنزل من على هذا المقعد، دعوني أنزل من عليه"

وفكوا الحزام ومشيت إلى أسفل السلالم وأنا اشعر بأمان أكثر، واشعر بأنني أكثر سعادة وبأنهم في قمة الحماسة وسوء التصرف.

ورحلت سيارة الإسعاف ودخلت إلى غرفة التمريض. وكان هناك إحدى الممرضات الجميلات ذات شعر أحمر والتي ساعدتني على التوجه إلى الفراش والنوم عليه. وكانت الملاءات باردة ولكن ليست بدرجة كبيرة. وبدأت أتخيل أمامي مرة أخرى صورة الأسماك والثلج.

وقالت الممرضة: "حسناً وهي تنظر إلى ساقى باهتمام كبير. في المرة الماضية كان لدينا حالة ما والتي كانت ساقها لها نفس المرض والتي خرجت في اليوم الثالث".

ولحسن الحظ، كنت في هذه اللحظة مصابة بهذيان لدرجة أن كلماتها أصابتني بذهول— علي أية حال في هذه اللحظة لم يكن لدي أي اهتمام إذا قاموا بقطع ساقى الاثنين واذرعي أو حتى رأسي. ولكنني شعرت بأن الممرضة الصغيرة قد أعدت الفراش والملابس من أجلي- ورتبت الملاءات علي الفراش واعدته، وكانت تحاول أن تكون رقيقة معي ولكن رقتها وأدبها في التعامل لم يلقي نفس الاستحسان من قبل جميع المرضى داخل المستشفى.

ولحسن الحظ، تحسنت ساقى في اليوم الثالث. وبعد مرور أربعة أو خمسة أيام من الحمى المرتفعة والدم المسمم بدأت الأمور في طريقها للتحسن. وكنت مقتنعة أن دفعة من التلقيح هي التي ساعدت في مضاعفة المرض. وكان الأطباء يعتقدون أن هذا نتيجة أنني لم يتم تلقيحي منذ أن كنت طفلة رضيعة وأنا أصبت في ساقى من خلال القيادة من لندن والسير لمسافة طويلة.

وبعد مضي حوالي أسبوع كنت قد استعدت نفسي مرة أخرى، وكنت مهتمة أن أسمع من خلال الهاتف عن تقدم روزلن في الحصبة التي أصيبت بها. فقد كانت تشبه بام في أنها تحمل أعراض للطفح الجلدي الكثير الواضح. وقد استمتعت روزلن كثيرًا بإسعافات خالتها بونكي وكانت تنادي بصوت واضح في كل ليلة قائلة: "يا خالتي بونكي أترغبين في أن تخففي الطفح الجلدي من علي وجهي وجسدي مثلما فعلتي ليلة أمس؟ وقد وجدت أن هذا مريحًا جدًا"

وأتييت في الوقت المناسب إلى المنزل وكنت ما أزال مرتدية للملابس الثقيلة وقضينا جميعًا فترة نقاهة رائعة. ولم تذهب روزلن إلى المدرسة إلا بعد مرور أسبوعين من الدراسة عندما بدأت تشعر بأنها قوية ومشركة. ومر أسبوع أخروبينما في هذا الوقت كانت ساقى تتحسن، ثم رحلت، أولاً اتجهت إلى إيطاليا ثم إلى روما ولم استطع البقاء هناك كما خططت من قبل لأنني كان علي أن التحق بالمركب التي حجزتها إلى بيروت.

٤

سافرت في هذه المرة بمركب ليود تريستينو إلى بيروت وقضيت بضعة أيام هناك، ثم اتجهت لشركة نيرن للنقل لأصل من خلالها عبر الصحراء. كان الطريق من الإسكندرية عبر الساحل شاق ولم أكن اشعر بأني في صحة جيدة. كما لاحظت أيضاً سيدة أخرى على المركب. وكانت تدعي سايبيل بيرنيت والتي أخبرتني فيما بعد بأنها لم تكن تشعر أنها في حالة جيدة أيضاً. وكانت تنظر لي وتقول في نفسها: "إنها واحدة من أكثر النساء تعاسة التي قابلتهم في حياتي" وفي الوقت ذاته كان لدي نفس الشعور والتفكير فيما يتعلق بها. وقلت لنفسي "إنني لا أحب هذه المرأة ولا أحب القبعة التي ترتديها على رأسها كما أنني لا أحب جواربها الملونة التي ترتديها".

ومع هذا الشعور المتبادل من الكراهية تقدمنا للعبور للصحراء سوياً. وفجأة أصبحنا أصدقاء- وظللنا أصدقاء لأعوام عديدة. وكانت سايبيل تسمى **باوف بيرنيت** وهي زوجة السيد **تشارلز بنيت** لواء طيران وهي ذاهبة للالتحاق بزوجها. وكانت امرأة ذات أصول عريقة تتحدث بصراحة بأي شيء يخطر ببالها وتحب السفر والأماكن الغريبة، ولها منزل جميل في الجزائر، ولديها أربعة بنات وولدين من زواج سابق وتتمتع بالحياة لأقصى درجة. وكان معنا مجموعة من السيدات الأنجليكانيون **الكاثوليك** ذاهبون للعراق للقيام بجولات للعديد من الأماكن المقدسة. وكانت مسئولة عنهم امرأة تتسم بمظهر حاد عصبي وتدعي **الآنسة ويلبراهام**. وكان لها قدم ضخمة وترتدي حذاء اسود مسطح وخصلة من الشعر المستعار. وقالت سايبيل برنيت إنها تبدوا تماماً مثل الخنفساء وقد وافقتها الرأي. فقد كانت ذلك النوع من النساء اللاتي لا يمكن أن تتمالك نفسك من توجيه النقد اللاذع لهن. ولذلك فقد قامت سايبيل برنيت بنقدها في الحال.

قالت الآنسة **ويلبراهام** "معي أربعين من السيدات، وفي الواقع يجب أن أهني نفسي فجميعهم خوريات عدا واحدة. ولذلك فإن كل هذا هام جداً. ألا توافقيني الرأي؟

فقالت سايل برنيت: "اعتقد أنه عندما يكون جميع النساء خوريات يكون شيئًا مملًا. فأنت ترغبين في مجموعة من النوع الآخر"

ولم تبدي الأنسة ويلبراهام أي اهتمام لما ذكرته- وكانت هذه وجهة نظرها القوية: إنها لم تبدي أي اهتمام أبدًا. وقالت "نعم فأنا في الواقع أهني نفسي"

وكان مع الأنسة ويلبراهام صديقتها التي تليها في القيادة الأنسة آمي فيرجسون. كانت الأنسة فيرجسون مختصة بجميع حالات سيدات الأنجليكانيون الكاثوليك وأكثر في بعض الحالات من الأنسة ويلبراهام. كان الشيء الوحيد الذي يزعجها عدم قدرتها علي التعايش مع الأنسة ويلبراهام. وقد قالت أن "المشكلة هي أن مود تبدوا قوية بشكل رائع مفعمة بالنشاط والحيوية. بالطبع أنا في حالة صحية جيدة ولكني يجب أن اعترف أنني اشعر بالتعب في بعض الأحيان. وأنا في الخامسة والستين من عمري ولكن مود تقريبا في السبعين من عمرها".

وقالت الأنسة ويلبراهام عن آمي "إنها مخلوقة جميلة وجيدة ولكن لسوء الحظ فهي تبدوا متعبة ومرهقة بصورة مستمرة- مزعجة إلى أقصى درجة. وأعتقد أنها لا يمكنها تحمل هذه الحالة. ولم اشعر أنا أبدًا بأنني متعبة أو مرهقة" وكنا واثقين بما قالتها.

ووصلنا إلى بغداد وقابلت العديد من الأصدقاء القدامى هناك واستمتعت كثيرًا لأربعة أو خمسة أيام، ثم مع استلامي لبرقية من عائلة وولي اتجهت مرة أخرى إلى مدينة أور.

وقد رأيت عائلة وولي في لندن في يونيو الماضي، واستضيفتهم في المنزل الصغير الذي اشتريته مؤخرًا في قصر كريسويل. وقد كان منزلًا جميلًا واعتقد أنه واحدًا من بين أربعة أو خمسة من المنازل التي أنشئت في صورة أكواخ صغيرة: وهو على شكل كوخ صغير مبني على طراز قديم في الريف وعندما اشتريته كان به العديد من الاصطابات ومجموعة من الصناديق التي تحيط بالجدار، وكان به غرفة كبيرة في

الطابق الأرضي وغرفة نوم صغيرة تقع بينهما. وكان هناك سلم خشبي يستخدم للصعود إلى غرفتين حمام وغرفة صغيرة أخرى بجوارهما. ورسم هذا المنزل وبني بمساعدة احد البنائين. وكان الاصطابل الكبير في أسفل البيت به مجموعة من الصناديق الخشبية الموضوعة في ترتيب مسطح في موازاة الحائط وأعلاه كان هناك إفريز كبير من ورق الحائط الذي كان يبدو أنه على احدث طراز في ذلك الوقت، ولذلك فقد كان الدخول إلى الغرفة يشبه وكأنك تدخل إلى حديقة كوخ صغير. وكان هناك غرفة أخرى من الممكن تحويلها إلى جراج وكانت الغرفة التي تقع بينهما هي غرفة الخادمة. وفي الطابق العلوي كان الحمام الذي بني بشكل رائع بالعديد من رسومات الدلافين الخضراء حول الجدران وقد حولت غرفة الحمام الأكبر إلى غرفة طعام مع وجود أريكة بها يمكن أن تحول إلى فراش في الليل للنوم. أما الحجرة الصغيرة فكانت المطبخ، والغرفة الأخرى كانت غرفة نوم إضافية.

وقد قامت عائلة وولي أثناء إقامتهم في هذا المنزل بخطة جميلة من أجلي. فكان علي أن آتي إلى مدينة أور قبل نهاية الموسم بحوالي أسبوع، ثم بعد ذلك أسافر معهم عبر سوريا وإلى اليونان ومن اليونان اذهب إلى دلفي معهم أيضًا. وكنت سعيدة للغاية لهذه الخطة.

ووصلت إلى أور في منتصف عاصفة رملية. وتحملت العاصفة الرملية عندما زرتها المرة السابقة، ولكن العاصفة الرملية التي صادفتها هذه المرة كانت أكثر سوءًا واستمرت لأربعة أو خمسة أيام. فلم أكن اعرف وقتها أن قدرة الرمال تخترق بهذه الدرجة. وبالرغم من أن النوافذ كانت مغلقة، بيد أن الفراش في الليل كان مليئًا بالرمال. وعندما تتخلص من هذه الرمال على الأرض سرعان ما تجدها في الصباح التالي تلتصق بوجهك ورقبتك وبكل مكان في جسدك. فقد كانت حوالي خمسة أيام من العذاب الشديد. ومع هذا فقد كان لدينا أحاديثنا الممتعة والشيقة وكان الجميع ودودين وطيبين، واستمتعت بوقتي كثيرًا هناك.

وكان الأب بوروز هناك مرة أخرى وكذلك المهندس المعماري وايتبرن- وكان هناك في ذلك الوقت مساعد ليونارد وولي وهو ماكس مالوان، الذي كان معه منذ خمسة أعوام، ولكنه كان غائبًا العام السابق عندما كنت هناك. وكان شابًا رقيقًا ذو بشرة داكنة وهادئ- ونادرًا ما يتحدث ولكنه كان واعيًا ومدرِّكًا لكل شيء مطلوب منه.

وقد لاحظت في هذه المرة شيء ما لم ألاحظه من قبل: وهو الهدوء غير العادي للجميع الجالسين على المنضدة. فقد كان يبدو الموقف كما لو كانوا خائفين من التحدث. وبعد يوم أو يومين بدأت اكشف عن السبب. إن كاثرين وولي كانت امرأة متقلبة المزاج وكان لها قدرة هائلة على أن تجعل الناس في حالة مزاجية عصبية. وقد لاحظت أنها منتظرة: فقد كان هناك شخص ما يقدم إليها المزيد من اللبن مع القهوة أو الزبدة مع النخب وغيره من المشروبات. ولماذا أتعجب من أنهم جميعًا مفزوعين منها؟

ففي إحدى الأيام صباحًا عندما كانت في حالة مزاجية سيئة بدأت في اكتشاف المزيد والمزيد.

وقد قالت "اعتقد أنه لا يوجد أحد يقدم لي الملح" فوجدت في الحال أربعة أيادي قد دفعوها عبر المنضدة وهم في حالة من الخوف منها. ثم مَرَّ بعض الوقت والجميع في صمت كامل ثم بعد ذلك قام السيد وايتبرن بعصبية شديدة بالاتجاه للأمام وإعطائها بعض التوست.

"ألا ترى أن في مليء بالطعام يا سيد وايتبرن؟ وكان هذا هو رد الفعل الوحيد الذي قام بإظهاره نحوها ثم جلس مرة أخرى بعصبية وأكل الجميع التوست بكل شراهة قبل تقديمه إليها مرة أخرى. فرفضت وقالت "في الواقع اعتقد أن التوست لن ينتهي قبل أن يتناول ماكس قطعة منه"

نظرت إلى ماكس. وقد قدمت إليه القطعة الباقية من التوست. وأخذها بسرعة دون احتجاج. وبالفعل تناول قطعتين وأنا أتعجب لماذا لم يقل هذا. وبدأت في أن أدرك المزيد مع مرور الوقت.

وبدأ السيد وايتبرن يوضح لي بعض من هذه الألغاز: وقد قال "أترى فهي دائماً لها أولويات".

يا سيدة وولي

"نعم، فهم لا يجلسون بنفس الهيئة، أحياناً شخص وأحد، وأحياناً شخص آخر. أعني ليس كل شيء تقومون به خطأً أو أن كل شيء صحيحاً. فأنا أحد مراقبي البيت في الوقت الحالي".

وقد وضح لي أن **ماكس مالوان** هو الشخص الذي يقوم بعمل كل شيء صحيح. وربما يكون هذا لأنه كان بعيداً في الموسم السابق. لذلك فإنه يظهر نوع من التجديد أكثر من الآخرين، ولكنني اعتقد أن هذا لأنه في غضون خمسة أعوام تعلم فيها الطريقة التي يتعامل بها مع عائلة وولي. فكان يعرف متى يصمت ومتى يتحدث.

وقد أدركت في الحال كم كان ماكس جيداً في ترويض الآخرين. وكان يروض العمال بطريقة جيدة، وما هو أكثر صعوبة من ذلك أنه نجح في ترويض كاثرين وولي. وقد قالت كاثرين لي "بالطبع إن ماكس مساعد ممتاز. ولا أعلم كيف كنا سنتصرف بدونه في كل تلك السنوات. أعتقد أنك ستحبينه جداً. سأرسله معك إلى النجف وكربلاء. فمدينة النجف هي المدينة الإسلامية المقدسة للأموات. كما أن كربلاء بها مسجد رائع. ولذلك عندما نتجه إلى بغداد سيأخذك إلى هناك. فيمكنك الذهاب ورؤية مدينة **نيبور** في الطريق"

قلت "ألا يرغب هو في الذهاب إلى بغداد؟ أعني أنه لديه أصدقاء هناك لرؤيته قبل أن يعود إلى البيت". وكنت مرعوبة من فكرة البقاء مع شاب يتوق إلى بعض الحرية والاستمتاع في بغداد بعد مضي حوالي ثلاثة أشهر في الموسم في مدينة أور.

فقالت كاثرين بتأكيد: "لا، إن ماكس سيكون مسرورًا"

لا اعتقد أن ماكس سيكون مسرورًا، بالرغم من أنه ليس لدي شك في أنه يخفي حقيقة عدم الراحة. وقد اعتبرت وايتبرن كصديق، ورأيتة العام السابق لذلك تحدثت إليه عن ذلك.

"أكره القيام بذلك، هل تعتقد أنني يمكنني القول بأنني لا أرغب في رؤية نجف وكربلاء؟"

فقال وايتبرن: "حسنًا، اعتقد أنه عليك أن تريحهم. فإنه سيكون جيدًا وماكس لن يمانع أو يعارض. علي أية حال، أنا اعني أنه إذا عقدت كاثرين العزم على ذلك فإنه سينفذ.

كم يكون رائعًا أن ترى ذلك النموذج من النساء التي بمجرد أن تفكر في أمر ينفذ في الحال.

وبعد مرور بضعة أشهر، تذكرت أنني تحدثت إلى كاثرين ببعض الإعجاب عن زوجها لين. وقلت لها "إنه رائع، كم أنه مثالي وغير أناني، فالطريقة التي يستيقظ بها في المركب في الليل ويصنع لك الحساء الساخن. فلا يوجد الكثير من الأزواج يقومون بعمل هذا"

فقالت كاثرين وهي تنظر بدهشة: حقيقي؟ آوه، لكن لين يعتقد أن ذلك ميزة "وفي الواقع فإن كل شيء يتم القيام به من أجل كاثرين يعد في الواقع بمثابة امتيازًا. بالطبع عندما تصل إلى المنزل وتدرّك أنك قد رحلت بكتب المكتبة التي أحضرتها توًا وانك تتطلع إلى القراءة بكل شغف، لأنها تهتدت وقالت انه لا يوجد أي شيء للقراءة، فأنت تدرّك وقتها كم هي امرأة جديرة بالاحترام.

هناك مجموعة استثنائية من الناس هم فقط الذين لا يقعون تحت سيطرتها. وأتذكر في أحد الأيام التي كانت فيها كاثرين مريضة وكانت ترغب في جلب العديد من

الأشياء وبعض الأشياء التي يتم تنفيذها من أجلها. فقامت فريا ستارك والتي كانت تقييم معها، وكانت تتسم بأنها صارمة وشخصية مرحة وودودة وقالت لها: "إنك لست علي ما يرام يا عزيزتي، ولذلك اعتقد أن أفضل شيء يمكنك القيام به هو الخروج هذا اليوم" وقد خرجت بالفعل في هذا اليوم. ولم تعتبر كاثيرن أن هذا غريب، فقد اعتبرته فقط نموذج رائع لقوة شخصية فريا ستارك. وبالفعل أوضحت ذلك.

وبالرجوع إلى ماكس، فإن الجميع كان موافقًا على أن هذا شيء طبيعي وأنه من الطبيعي أيضًا أن شابًا يعمل بجدية ويضحي بنفسه ويقوم بكل الأعمال الشاقة. وكان ماكس من الواضح أنه يأخذ هذا الموضوع على أنه طبيعي. وقد شعرت ببعض العصبية من أجله. وكنت قلقة إذا كان يجب علي أن أوضح بعض الاعتذار أم لا. وقد أوضحت له أنني لم أقترح تلك الجولة، ولكن ماكس كان هادئًا فيما يتعلق بهذا الموضوع. وقال أنه لا يوجد أي شيء غريب للقيام به. فهو سيعود إلى البيت، وسيسافر أولاً مع عائلة وولي ثم يتجه إلى دلفي ثم إلى معبد بساي وإلى أماكن أخرى في اليونان. وهو نفسه يستمتع بالذهاب إلى نيبور. وكان موقع شيق، حيث استمتع دائماً بالذهاب إليه- وأيضًا يستمتع بزيارة نجف وكربلاء فهذه الأماكن بالفعل تستحق المشاهدة.

أتى يوم البدء. واستمتعت باليوم الذي قضيناه في نيبور، بالرغم من أنه كان مرهقًا. وقمنا بالقيادة لساعات ومشينا لمسافة طويلة حتى بلغنا موقع التنقيب. ولا اعتقد أن هذا يكون شيق إلا إذا كان معي شخص يشرح لي كل شيء. فقد أصبحت لي معرفة بالتنقيب عن زى قبل.

وفي النهاية، وفي حوالي الساعة مساء وصلنا إلى الديوانية، حيث قضينا الليل مع السيدة ديتشبرن. وكنت اتكأ على قدمي وداخلي رغبة للنوم، ولكنني نجحت في التخلص من الرمال الملتصقة في شعري وأزلتها من على وجهي ووضعت القليل من البودرة وارتديت ملابس المساء.

وكانت السيدة ديتشبرن تحب استضافة الضيوف كثيرًا. وتحدث كثيرًا وفي الواقع لا تتوقف عن الكلام إطلاقًا بصوت مشرق وواضح. وتم تقديعي إلى زوجها وجلست بجواره. وكان يبدوا رجلًا هادئًا وكان يجلس لفترات طويلة في صمت وهدوء شديد. وتحدثت عن بعض الملاحظات عن المناظر الطبيعية التي رأيته ولكنه لم يستجيب بالرد. وعلي الجانب الآخر مني كان هناك مبشر أمريكي. وكان أيضًا هو الآخر قليل الكلام. وعندما كنت أنظر إليه كنت ألاحظ أن يديه تتحركان وتستديرا أسفل المنضدة، وأنه كان يمزق منديلًا إلى قطع صغيرة. وقد وجدت أن هذا مزعجًا أكثر وتعجبت له. وكانت زوجته تجلس علي المنضدة وكانت هي أيضًا في حالة مزاجية عصبية. وكان مساء غريبًا. وكانت السيدة ديتشبرن تتحدث مع الجيران وتحدث إلى ماكس ولي. وكان ماكس يستجيب بشكل معقول لحديثها. وظل الزوج والزوجة المبشرين صامتين وكانت الزوجة تشاهد زوجها وكان ما زال يمزق المنديل إلى قطع صغيرة.

وفي إحدى الأحلام أتتني بعض الأفكار عن قصة بوليسية رائعة. وأثناء مشاهدتي له وهو يمزق المنديل إلى قطع صغيرة كنت اشعر بالنعاس وكنت على وشك أن أنام.

وفي هذا الوقت، تحدث صوت أجش في أذني اليسرى قائلاً "جميع علماء الآثار" وكان هو السيد ديتشبرن "هم كاذبون".

وفي هذا الوقت استيقظت من نومي وكنت استمع لما يقوله. وقد قذف بهذه الجملة نحوي في تحدي. ولم أشعر أنني مختصة بالدفاع عن علماء الآثار. وقلت "لماذا تعتقد أن جميع علماء الآثار كاذبون؟ فما الذي يكذبون فيه؟

فقال: "كل شيء، يقولون إنهم يعرفون تواريخ الأشياء، ومتى حدثت- وأن هذا الشيء يعود تاريخه إلى ٧٠٠٠ عام مضت والشيء الآخر يعود تاريخه إلى ٣٠٠٠ عام، وان هذا الملك حكم هنا، والملك الآخر حكم هناك! هذه أكاذيب! فجميعهم كاذبون، كلهم كاذبون بدون استثناء!

فقلت له "بالتأكيد لا يمكن أن يكون ذلك؟

فنطق السيد ديتشبرن بضحك بصوت عالي ثم بعد ذلك استمر في حالة من الصمت.

وتحدثت ببعض الكلمات القليلة للمبشر ولكني حصلت علي رد فعل قليل. ولكن السيد ديتشبرن قد تخلص من الصمت مرة أخرى وكشف عن بعض المفاتيح الممكنة من خلال قوله "كالمعتاد علي أن اخرج من غرفتي لمقابلة هذا الفتى عالم الآثار".

فقلت له بغير ارتياح "حسنًا، آسفة جدًا، لم أدرك هذا....

وقال السيد ديتشبرن "إن هذا يحدث كل مرة، فهي دائمًا تفعل هذا- اعني زوجتي. تطلب من شخص ما أن يأتي معنا. لا ليس أنت- فأنت لديك واحدًا من الغرف العادية للضيوف. نحن لدينا ثلاثة منها ولكن هذا ليس كافيًا ل ألسي. وهي عليها أن تملا جميع الغرف الموجودة بما فيها غرفتي. فكيف أتحملها.

فقلت له: "آسفة لم اشعر بالراحة ولكن بدأت أكرس كل طاقتي كي أظل مستيقظة.

وبعد العشاء بدأت اشعر بأني أود الذهاب إلى الفراش. وكانت السيدة ديتشبرن محبطة جدًا لان لديها خططًا لتنفيذ. ولكن في هذه المرة بدأت عيناى في الانغلاق. وصعدت إلى أعلى وخلعت ملابسى واستلقيت على الفراش.

وغادرنا في الخامسة من صباح اليوم التالي. في الواقع سفري إلى العراق عرفني بعض أساليب العيش في الحياة. وزرنا النجف والتي كانت في الواقع مكانًا رائعًا ساحرًا: مقبرة واقعية أو مدينة الموتى ورأيت بها العديد من النساء المحجبات المسلمات الذين ينتحبون ويتجولون فيها. وكانت مليئة بمجموعة من المتطرفين ولم يكن من السهل دائمًا زيارتها. فعليك أن تخبر الشرطة أولاً. والشرطة عليهم أن يتأكدوا أنه ليس هناك أي نوع من أنواع التعصب ممكن أن يحدث.

ومن النجف ذهبنا إلى كربلاء حيث يوجد مسجد جميل ذو قبة ذهبية رائعة. وقضينا الليل هناك في مقر الشرطة. ولم يكن الفراش الذي أعارطني كاثرين إياه مناسباً على الأرض وكان سريري في زنزانة صغيرة داخل قسم الشرطة. وكان لماكس زنزانة أخرى صغيرة، وحثني أن اطلب منه المساعدة إذا احتجت إلى ذلك ليلاً. وكنت في فترة نشأتي الفيكتورية أعتقد أنه من الغريب أن أوقظ شاباً لا اعرفه جيداً واطلب منه أن يوصلني إلى المغسلة، ولكن بالرغم من هذا، فإنه كان يبدو أمراً طبيعياً. وأيقظت ماكس واستدعى أحد رجال الشرطة الذي احضر لي مصباحاً ومررنا نحن الثلاثة عبر الممرات وفي النهاية وصلنا إلى غرفة بها فتحة في الأرضية. وانتظر كلا من ماكس ورجل الشرطة بكل أدب خارج الباب حتى أعود مرة أخرى إلى سريري.

وقام البوليس بتجهيز العشاء على المنضدة الموجودة بالخارج وكان القمر في هذه الليلة رائعاً، كما كان هناك صوتاً عالياً للضفادع. فدائماً عندما اسمع صوت الضفادع كنت أتذكر كربلاء في هذا المساء. وجلس رجل الشرطة معنا. وكان ماكس بين الحين والآخر يتحدث بعض الكلمات القليلة باللغة الانجليزية بحرص أكثر، ولكن الغالبية العظمى كانت تتحدث العربية مع ماكس الذي كان بين الحين والآخر يترجم بعض العبارات التي كانت توجه لي. وبعد مرور فترة من فترات الصمت التي كانت دائماً تشكل جزء من الاتصالات الشرقية والتواصل مع مشاعر الفرد، فإن رفيقنا كان يكسر هذا الصمت فجأة. وكان يقول "مرحباً بكم جميعاً أيها الروح المرحلة! وكنت انظر إليه بكل دهشة. وقد استمر كي ينهي القصيدة "لقد تعلمت أن هذا جيد جداً في الانجليزية" وقلت له أنه جيد جداً. وكان هذا يوضح أنه ينهي هذا الجزء في المحادثة. فأنا لا أتخيل نفسي أبداً آتية كل هذا الطريق إلى العراق كي احمل معي قصيدة "شيلي إلى طائر المقبرة" والتي تم سردها لي من خلال رجل شرطة عراقي في حديقة شرقية في منتصف الليل.

وتناولنا الإفطار في الصباح الباكر. وقدم إلينا البستاني وهو يحمل في يده باقة رائعة من الزهور الجميلة التي أقتطفها. ووقفت مبتسمة ابتسامة عريضة. وقدم أمامي دون لمحة وأعطى باقة الزهور الجميلة التي كانت في يده إلى ماكس بانحناءة شديدة دون النظر إلي. وضحك ماكس، وأوضح لي أننا الآن في الشرق حيث الهدايا تقدم إلى الرجال وليس للسيدات.

وأخذنا الأشياء معنا من الزهور الجميلة والخبز الطازج وبدأنا رحلتنا مرة أخرى. وكنا في طريقنا إلى بغداد لكي نري مدينة حصن الأخضر. والتي تقع بعيداً في الصحراء. كان المشهد رتيباً ومن أجل مرور الوقت كنا تغني ورأينا مدينة الأخضر الرائعة في عزلتها، وبعدما تركناها بحوالي ساعة أو ساعتين كان هناك بحيرة في طريق الصحراء مليئة بالمياه الزرقاء. وكان الجو حاراً وكنت أتوق للاستحمام. فقال ماكس "هل بالفعل ترغبين في هذا؟ فقلت له "ولم لا؟".

هل يمكنني هذا؟" ونظرت إلى حقيبة السفر وقلت "ولكنني ليس لدي أي ملابس للاستحمام".

وسألني ماكس "أليس معك أي شيء يفني بالغرض؟ وفي النهاية ارتديت حلة حريرية وردية اللون وزوج من السراويل القصيرة. وذهب السائق بعيداً بكل أدب ورقة كما هو حال كل العرب في الواقع. وارتدى ماكس الشورط القصير والحلة ولحق بي وسبحنا في المياه الزرقاء.

وكانت هذه اللحظة بمثابة الجنة بالنسبة لي حيث كان العالم يبدو كاملاً ورائعاً-أو على الأقل كان هذا شعوري حتى عدنا مرة أخرى إلى السيارة. وغاصت السيارة برفق في الرمال ولم تتحرك وأدركت أن هناك بعض من مخاطر السفر عبر الصحراء والقيادة فيها. وقام كلا من ماكس والسائق بسحب بعض من المفارش الفولاذية والعديد من الأشياء الأخرى من السيارة في محاولة لتحريرنا وإنقاذنا ولكن المحاولة باءت بالفشل. وتلت الساعات تلو الأخرى وكان الجو ما زال حاراً. ونمت أنا في جزء من السيارة في جانب منها.

واخبرني ماكس بعد ذلك- سواء كان حقيقة أم لا- أنه في تلك اللحظة قرر أن أكون زوجة له. وقال "أنت لم تشتكي أو تقولين أنه كان خطئي، أو أننا لا يجب أن نتوقف هناك. ولا تبدين أي اهتمام فيما يتعلق ببقائنا أو رحيلنا. حقيقة لقد بدأت في هذه اللحظة أفكر كم أنت رائعة".

كما قال: "بدأت أفكر في سمعتي. ولدي فن القدرة للنوم في أي لحظة وفي أي مكان".

ولم نكن في طريق كارفان هنا ومن غير الممكن أن تأتي أي عربة كبيرة في هذا الطريق لأيام كثيرة ربما تصل إلى أسبوع. وكان معنا حارسًا وفي النهاية قال أنه سيمشي ويعود في غضون أربعة وعشرين ساعة أو ثمانية وأربعين ساعة. وتركنا مع بعض القليل من الماء، وقال "نحن ما يسموننا زرع الصحراء لا نحتاج إلى الكثير من المياه". وكانت هذه تعد مغامرة ولكنني تمنيت أن تحول إلى رحلة سارة وممتعة. وفي الواقع لم يكن معنا الكثير من الماء المتوافر وهذا الشعور بأننا ليس لدينا الكثير من الماء في رحلتنا في الصحراء جعلني أشعر بالعطش. ومع هذا فقد كنا محظوظين. وحدثت معجزة. فبعد مرور حوالي ساعة، ظهرت عربة بها حوالي أربعة عشر من المسافرين. وكان يجلس بجوار السائق صديقنا الذي كنا نسميه جمل الصحراء وهو يلوح ببندقية.

وعلى فترات منفصلة في رحلتنا إلى بغداد كنا نتوقف كي ننظر إلى ما حولنا ونلتقط بعض القطع الفخارية. وكنت بصفة خاصة مسرورة بالقطع الصغيرة والألوان الرائعة الزاهية: الأخضر الفيروزي والأزرق والذهبي- وكانت أكثر من تلك التي أهتم بها ماكس كثيرًا ولكنه كان متسامحًا لخيالاتي وتخيلاتي وجمعنا حقيبة كبيرة من هذه القطع الفخارية الجميلة.

وبعد وصولنا لبغداد، عدت إلى الفندق، وخلعت معطفي المضاد للمطر الذي كنت أرتديه ووضعت جميع القطع الفخارية التي جمعناها في الماء ورتبتها. وأضاف

ماكس بعد خلع معطفه أربعة قطع أخرى من الفخار إلى العرض الذي كونه. ووجدته ينظر لي كنظرة المعلم لطفل أحرق- في الواقع كنت اعتقد في هذا الوقت أن هذا هو موقفه نحوي. فلقد كنت أحب الأشياء مثل المحارات البحرية مثلاً أو القطع الصغيرة من الصخور الملونة- وجميع الكنوز القديمة فقد كنت أجمعها وأنا طفلة صغيرة. فهناك أشياء أحبها واشعر أنها هي الكنوز الحقيقية في هذه الحياة، ومن هذه الأشياء ريش الطيور الملونة الزاهية وأوراق الشجر المزركشة- واشعر أن المرء يستمتع بها أكثر من استمتاعه بالأحجار الكريمة والزمرد أو اللعب الصغيرة باهظة الثمن.

كان قد وصل كل من كاثرين ولين وولي بالفعل إلى بغداد، ولم يكونوا مسرورين منا نظراً لوصولنا متأخرين أربعة وعشرين ساعة- وهذا يرجع إلى استخدامنا الطريق الملتوي إلى مدينة الأخضر. وتم تبرئتي من اللوم حيث تم أخذي إلى أماكن لم أكن اعرف إلى أين أنا ذاهبة وقتها.

وقالت كاثرين: "إن ماكس ربما يعرف أنه من الضروري أن نكون قلقين، فربما نذهب إلى الخارج لحضور حفلة ما أو نقوم بعمل أي شيء سخييف غير لائق" وقد كرر ماكس أسفه وعبر عن أنه لم يأتي إلى تفكيره أنهم سيكونون متزعجين.

وبعد مرور يومين تركنا بغداد بالقطار وتوجهنا إلى كركوك والموصل، في أول مرحلة في رحلتنا من العودة إلى الوطن. أتى صديقي العقيد ديور في المحطة الشمالية لرؤيتنا. وقد أعطاني بعض الملاحظات "يجب أن تدافع عن نفسك، أتعني ما أقول" وقال لي هذه العبارة سراً.

فقلت له "أدافع عن نفسي؟ ماذا تعني بذلك؟"

فأشار برأسه إلى مكان وجود كاثرين وولي، حيث كانت تتحدث إلى أحد أصدقائها. وقال "اقصد صاحبة العصمة التي تتحدث هناك".

"ولكنها لطيفة للغاية معي"

فقال "حسنًا، نعم، يمكنني الشعور بأنك تشعرين بالبهجة والسعادة معها فجميعنا شعر بهذا من وقت لآخر. ولكن لكي أكون صريحًا معك، فأنا ما أزال اشعر بذلك. إن هذه المرأة لها القدرة على أن تأخذني إلى ما تريد في أي وقت، ولكن كما قلت لك عليك أن تدافعين عن نفسك. فهي تستطيع أن تجعل الطيور تشعر بكل بهجة وتجعلهم يشعرون أن هذا هو الشيء الوحيد الطبيعي". وفي القطار ترى جميع الأشياء سواء المبهجة أو الكئيبة وهي من سمات السكك الحديدية في العراق. فقد رأيت هناك امرأة تندب لفراق حبيبها والتي عبرت عنه بشدة. ومع هذا فقد كان هذا شيء رومانسي للغاية: فهي تعبر عن شدة اللفة المتحركة داخلها. ثم بعد ذلك دخلت مع كاثرين إلى النوم حيث نمنا سوياً. وكان معنا ماكس ولين والآخرين.

ووصلنا إلى كركوك في صباح اليوم التالي، وتناولنا الإفطار في فندق رست هاوس وتحركنا في طريقنا إلى الموصل. واستغرقنا في هذه المرة من ست إلى ثماني ساعات معظمها في طريق محفور جدًا، وكان يشمل هذا عبور نهر *الزاب* بالمعدية. وكانت المركب بدائية للغاية.

وفي الموصل أقمنا في فندق رست هاوس، وكان به حديقة ساحرة. وكانت الموصل مركز حياتي لسنوات عديدة فيما بعد، ولكنها لم تجذبني وقتها لأن بها قليل من المناظر الطبيعية.

وهنا قابلت د. **ماكليود** وزوجته الذين كانوا في المستشفى، وأصبحوا من أصدقائي المقربين فيما بعد. وكان الاثنان أطباء، وبينما كان **بيتر ماكليود** مسئولاً عن إدارة المستشفى كانت زوجته **بيجي** تساعد من وقت لآخر في بعض العمليات المعينة. وهم يقومون بعملهم بطريقة معينة حيث أنه لم يكن يسمح له أن يرى أو يلمس المريض. فقد كان من المستحيل بالنسبة لامرأة مسلمة أن يجري لها رجل عملية جراحية، حتى إن كان الطبيب. وقمت بإحضار الشاشات، وكان د.ماكليود

منتظرًا خارج الشاشة وزوجته داخلها، وكان يوجهها كيف تتعامل وتتقدم وكانت هي بدورها تصف له حالة الأعضاء عند وصولها إليهم، وجميع التفاصيل الأخرى.

وبعد مضي يومين أو ثلاثة في الموصل بدأنا سفرنا بطريقة جيدة. فقد قضينا ليلة واحدة في فندق رست هاوس في تلعفر، والتي تبعد عن الموصل بحوالي ساعتين، ثم في الخامسة صباح اليوم التالي رحلنا بعربة في طريقنا عبر البلدة. وزرنا بعض المواقع على نهر الفرات، واتجهنا بعدها إلى الشمال بحثًا عن صديق قديم للين يدعى بصراوي والذي كان شيخًا لإحدى القبائل هناك. وبعد عبورنا للعديد من الطرق، وبعد أن ضللنا طريقنا ووجدناه مرة أخرى وصلنا في النهاية في المساء، وتم الترحيب بنا على أكمل وجه وقدمت لنا وجبة هائلة، وفي النهاية قضينا الليل هناك. كان هناك غرفتين في منزل مبني من الطوب اللبن والتي تم توضيحها لنا وكانت مزودة بفراشين جديدين في ركن كل غرفة. وكان ذلك يمثل صعوبة طفيفة لنا. فقد كانت إحدى الغرف بها سقف ممتاز فوق أحد الأركان- وكان هذا السقف يعمل على منع المياه من التساقط فوق السرير: الظاهرة التي كان بإمكاننا ملاحظتها لأن المطر بدأ في التساقط. أما السرير الآخر فكان في ركن وعرضه للتيارات الهوائية بكمية كبيرة من المياه التي كانت تتساقط عليه. والقينا نظرة على الغرفة الثانية. وكان بها سقفًا جيدًا وكانت اصغر والهواء والضوء بها أقل.

وقال لين: "اعتقد يا كاثرين أنه من الأفضل لك أنت وأجاثا أن تأخذوا الغرفة الأصغر المزودة بسريرين ونأخذ نحن الغرفة الأخرى".

فقالت كاثرين: "اعتقد أنني في حاجة بالفعل إلى الغرفة الأكبر وإلى السرير الجيد. فلن أستطيع النوم إذا تساقطت المياه على وجهي. وذهبت إلى الركن المفضل ووضعت أشياءها على السرير.

فقلت: "أتوقع أنني يمكن أن اسحب سريري إلى الخارج قليلًا وأتجنب الأسوأ.

فقالت كاثرين: "في الواقع لا افهم لماذا تجبر أجاثا على أخذ هذا السرير السيئ والسقف الذي يقطر فوقها. فليأخذ هذا السرير أحد الرجال. فمن الأفضل أن

يأخذ هذا السرير إما ماكس أو لين، والأخر يذهب في الغرفة الأخرى مع أجانا. وتم التفكير في هذا الاقتراح وسألت كاثيرن كل من ماكس ولين لمعرفة أي الأوضاع أفضل وأكثر إفادة، وفي النهاية تم إرسال ماكس لكي يأخذ الغرفة الصغيرة. وكان مضيفنا المبهج فقط هو من كان يبدو أنه سعيدًا بهذا التنظيم-حيث قام بالعديد من الملاحظات عن الطبيعة السفينة بالعربية إلى لين. وقال "فلتسدوا أنفسكم، فلتسدوا أنفسكم! إن الرجل سيكون سعيدًا على أي حال".

ولكن بحلول الصباح لم يكن أي منا سعيدًا. فقد استيقظت حوالي السادسة وكان المطر يتساقط على وجهي. وفي الركن الآخر كان ماكس عرضة للإمطار الغزيرة التي كانت تشبه الطوفان. وقام بإبعاد سريري بعيدًا، وابتعد سريره أيضًا بعيد عن الزاوية التي كان يتساقط بها المطر. وأتت كاثيرن أيضًا ولم يكن حالها أفضل منا فقد كانت تعاني هي الأخرى من تسرب المطر. ثم تناولنا وجبة وبعدها ذهبنا في رحلة حول المكان مع بصراوي، ثم اتجهنا في طريقنا مرة أخرى. وكان الطقس سيئ للغاية. وكان هناك أجزاء كثيرة في الطريق من الصعب عبورها.

ووصلنا في النهاية، وكانت ملابسنا مبللة بالماء، وكنا في غاية الإرهاق بوصولنا فندق بارون الراقى في حلب، حيث رحب بنا ابن صاحب الفندق ويدي كوكو بارون. وكان له رأس ضخمة مستديرة ووجه شاحب وعيون داكنة اللون.

وكان الشيء الوحيد الذي كنت أتوق إليه وقتها هو أن اخذ حمام ساخن. وقد اكتشفت أن الحمام كان شبيه بالحمام في الغرب وهو من النوع نصف الشرقي ونجحت في تشغيل بعض المياه الساخنة والتي نزلت كالمعتاد بسحب من البخار وكنت اشعر بالخوف منها. وحاولت إغلاقها ولكني لم انجح وكان علي أن أنادي ماكس ليساعدني في ذلك. ووصل وقام بتلطيف المياه الساخنة ثم اخبرني أن أعود إلى غرفتي. واخبرني أنه سيناديني عندما يجهز لي المياه عندما تكون لطيفة لكي استمتع بها. وعدت مرة أخرى إلى غرفتي. وانتظرت وقتًا طويلاً ولم يحدث أي شيء. وفي النهاية، ارتديت ملابسني وكان الباب مغلق. في هذه اللحظة أتى ماكس.

وقد سألته "أين حمامي؟

فقال "حسنًا، إن كاثرين وولي هناك الآن.

فقلت له "كاثرين؟ هل سمحت لها بدخول الحمام واستخدامه الذي قمت بإعداده من أجلي؟"

فقال "حسنًا، نعم، فقد كانت تريده".

وكان ينظر لي بعين صارمة. وشعرت بأن هذا ليس من الذوق العام والأدب في التعامل. وقلت "اعتقد أن هذا غير عادل. فسوف استخدم الحمام الذي أعدته من أجلي. إنه حمامي".

فقال ماكس "نعم، اعرف هذا. ولكن كاثرين أرادت أن تستخدمه".

ثم عدت إلى غرفتي، وظللت أفكر في كلمات العقيد دوير.

وظللت أتذكر هذه الكلمات حتى اليوم التالي. وتسبب المصباح الذي كان بالقرب من فراش كاثرين في مشكلة لها. حيث بقيت تعاني من الصداع الشديد. وبقيت في الفراش، ولذلك قمت بتبديل المصابيح ووضعت مصباحي بالقرب من فراشها. وأخذته إلى غرفتها وثبته أعلى وتركته في غرفتها. وفي الواقع كان هناك عجزًا في المصابيح الكهربائية ولذلك لم استطع القراءة إلا في الليلة التالية عندما استخدمت إحدى المصابيح الضعيفة في السقف الموجود أعلى. وفي اليوم التالي قررت كاثرين أن تغير غرفتها بوحدة تكون أكثر هدوءًا. ولأنه كان هناك إحدى المصابيح الجيدة في غرفتها الجديدة فإنها لن تقلق في إعادة المصباح الأخرى. ومع هذا فإن كاثرين هي كاثرين، فلتأخذه أو تتركه. وقد قررت أنني علي فيما بعد القيام بالمزيد لحماية مصالحي.

وفي اليوم التالي، وبالرغم من أن كاثرين لم يكن لديها أي حصى، إلا أنها ذكرت أنها تشعر بأنها مريضة. وكانت في حالة مزاجية سيئة لدرجة أنها لم تكن تتحمل الحديث مع أي شخص.

وقد قالت "لن أشعر بالتحسن إلا إذا خرجت من هنا وترككتوني بمفردي، فلن أستطيع تحمل الناس تأتي وتخرج من غرفة نومي طوال اليوم، فلن أشعر بالتحسن إلا إذا ترككتوني بمفردي". وقد سألتني إن كنت أريد أي شيء. واعتقد أنني أدركت شعورها لأنه كان يشبه شعوري الشخصي عندما كنت مريضة: فقد كنت أرغب أن يتركني الناس بمفردي ويمشون بعيدًا. إنه يشبه شعور الكلب الذي ينبج بعيدًا ويتجه إلى ركن هادئ ويتمني أن يترك وحده غير منزعجًا حتى تحدث معجزة ويشعر بنفسه مرة أخرى.

وقال لين بيأس "لا اعرف ماذا افعل، حقيقة فأنا لا اعرف ماذا افعل من أجلها"

وحيث أنني كنت مغرمة بلين، فقلت له "أتوقع بأنها تعرف شعورها الداخلي بنفسها ومن الأفضل أن نتركها. علي أن اتركها حتى هذا المساء ثم أرى بعد ذلك إذا ما كانت تشعر بتحسن"

ولذلك تم ترتيب هذا. فذهبت أنا وماكس إلى الخارج في زيارة لقلعة الحصن في قلعة سمعان، وقال لين أنه سيبقي في الفندق حتى يكون قريبًا إذا احتاجت إليه كاثرين في أي شيء.

وتحسن الطقس تدريجيًا وكانت قيادة جيدة. وقمنا بالقيادة عبر التلال، ورأيت في الطريق أسراب من الخراف ثم بعد ذلك رأينا أيضًا في أعلى الطريق قطعان من الماعز وبعض من الفتيان صغار السن. وفي النهاية، وصلنا إلى قلعة سمعان وتناولنا الغذاء. وجلسنا هناك واخبرني ماكس في هذا الوقت بعض المعلومات عنه وعن حياته وحظه الجيد في عثوره على وظيفة مع ليونارد وولي بمجرد أن تخرج من الجامعة. وجمعنا بعض القطع من الأواني الفخارية المتناثرة هنا وهناك؛ وأخيرًا رجعنا في طريقنا مع غروب الشمس.

وعند وصولنا واجهتنا مشكلة. كانت كاثرين غاضبة للطريقة التي ذهبنا بها وتركها وحدها.

قلت لها "ولكنك قلتي أنك ترغين في البقاء وحدك"

فقالت "من الممكن أن يقول المرء أشياء عندما لا يكون في حالة جيدة. ولكنك كيف تفكرين أنت وماكس أن تذهبان وتتركوني وحدي بهذه الطريقة التي لا رحمة فيها. أوه، ربما لا تفهمين أنت ما اعنيه، ولذلك فإن هذا لن يكون مهمًا بالنسبة لك، ولكن ماكس-ماكس الذي يعرفني جيدًا ويعرف أنني ربما أكون في حاجة إلى شيء ما- يذهب هو أيضًا بعيدًا بهذه الطريقة" ثم أغلقت عيناها وقالت "من الأفضل أن تتركيني وحدي الآن".

فقلت لها "ألا تحتاجين إلي أي شيء الآن، أو أن أبقى معك؟"

فقالت "لا، لا أريدك أن تقومين بأي شيء من أجلي. في الواقع أنا اشعر بالألم لكل هذا. أما بالنسبة للين فإن تصرفه كان مخزي للغاية"

فسألتها بكثير من الفضول "ماذا فعل؟"

فقالت "لقد تركني هنا وحيدة دون أي قطرة ماء لأشربها- دون قطرة من عصير الليمون، ولا أي شيء على الإطلاق. فقط نائمة هنا بائسة ظمأنة من العطش".

فقلت لها "ولماذا لم ترني الجرس له وتطلبي بعض الماء؟ وكان الشيء الخطأ الذي قلته. فنظرت كاثرين إلي بنظرة مدمرة بعينها. "لا استوعب أنك لم تفهمين أول شيء عنه. لكي تعتقدين أن لين ليس له قلب مثل هذا. بالطبع إذا كانت امرأة هنا، فإنه سيكون الأمر مختلف"

ولم نقرب من كاثرين في الصباح ولكنها تصرفت بالطريقة التي كانت معتادة عليها. كانت في حالة مزاجية رائعة مبتسمة وسعيدة لرؤيتنا وتشعر بالامتنان لأي شيء قمنا بعمله من أجلها.

وكانت في الواقع امرأة رائعة. وقد بدأت أفهمها شيئاً فشيئاً مع مرور الوقت، ولكنك لا يمكنك أن تتنبأ بأي حالة مزاجية هي فيها. ومن الممكن أن تشعر بأنها تتقن أي نوع من أنواع الفنون مثلاً- مغنية أو ممثلة ما- كما أن حالتها المزاجية يتم قبولها. وكانت تقريباً فنانة: فقد قامت بعمل نحت لرأس الملكة شوباد والتي تم عرضها بقلادة ذهبية مشهورة وعلي رأسها قبعة.

كما قامت أيضاً بعمل رأس لليونارد ورأس أخرى جميلة لشاب صغير وكانت غير واثقة بنفسها ودائماً ميالة لدعوة الآخرين لمساعدتها أو لقبول آرائهم. وانتظر ليونارد بالقرب منها ولم يقم بأي شيء. واعتقد أنها كرهته إلى حد ما. وربما أي امرأة أخرى من الممكن أن تفعل هذا. فلا توجد امرأة تحب رجل خاضع، ولين من سماته انه أوتوقراطي لدرجة كبيرة كان مجرد متملق في يدها.

وفي إحدى أيام الأحد قبل مغادرتنا حلب، أخذني ماكس في جولة سياحية لأماكن دينية.

وذهبنا إلى المارون والكاثوليك السوريين، والارثوزكس اليونان، والنسطوريين، واليعاقبة وللعديد من الطوائف الأخرى التي لا أتذكرها. من بينهم ما كنت أطلق عليهم "قسيسين البصلة". وقد وجدت أن الارثوزوكس اليونانيين أكثر الطوائف إزعاجاً، لذلك فقد بعدت عن ماكس واتجهت في الجانب الآخر من الكنيسة. وتم دفعي إلى شيء ما يشبه كشك الحصان. وكان هذا يشكل خدمة غامضة والتي وقع معظمها خلف ستارة إنذارية أو حجاب. وأتت الأصوات الرنانة من خلفها في الكنيسة مصحوبة بسحب من البخور. وفي الوقت المناسب هداني ماكس.

عندما انظر لحياتي الماضية، يبدو لي أن الأشياء التي تبقى واضحة في عقلي هي الأماكن التي ذهبت إليها. والتي تأتي إلى عقلي دفعة مفاجأة من السعادة- شجرة ما أو تل أو بيت أبيض في مكان ما أو قناة أو شكل التل. وكنت في اغلب الأحيان علي أن أفكر للحظة في أن أتذكر أين ومتى؟ ثم تأتي بعد ذلك الصورة واضحة وأعرفها.

أما الناس فليس لدي ذاكرة جيدة لهم. أتذكر أصدقائي المقربين، ولكن الناس الذين أقابلهم فقط فإنهم يمرون على عقلي مرور الكرام ولا أتذكرهم بعد ذلك. ففي بعض الأحيان أقول لنفسي "أنا لا انسي أي وجه" وأحياناً أخرى أقول "أنا لا أتذكر أي وجه" والفرق بالطبع واضح. ولكن تبقي الأماكن ثابتة في ذاكرتي. وغالباً ما أعود إلى مكان ما بعد خمسة أو ستة أعوام فأتذكر جيداً الطريق الذي قطعته لأصل هذا المكان وأتذكر حتى إذا كنت قد ذهبت إليه من قبل أم لا.

ولا اعرف لماذا تكون ذاكرتي نحو الأماكن جيدة، أما بالنسبة للأشخاص تكون ضعيفة للغاية. ربما يرجع هذا إلى كوني بعيدة النظر، حيث أن الناس يكونون بالقرب وفي المتناول لذلك أنساهم بسرعة، أما الأماكن التي رأيها بكل دقة فهي تكون بعيدة جداً لذا أتذكرها جيداً.

فأنا في الواقع قادرة علي كره مكان ما لأن التلال تبدو لي بالشكل الخاطئ- من المهم "أن تبدو هذه التلال لي بالشكل الصحيح. وبشكل عملي فإن جميع التلال في ديفونشاير تبدو بالشكل الصحيح. ولكن معظم التلال في سيسيليا تبدو بالشكل الخاطئ. ولذلك لا اهتم بسيسيليا. أما التلال في كورسيكا فهي أكثر جمالاً. أما في سويسرا فإن التلال والجبال تقف بالقرب منك. فجبال الجليد مملة وأي إثارة أو جمال لها يأتي من تأثيرات الضوء المتنوع المعكوس عليها والمناظر يمكن أن تكون مملة إلى حد ما. فأنت تتسلق طريق ما إلى قمة تل وتجد منظر شامل منثور أمامك. ولا يوجد أي شيء بعد. فأنت رأيها رائعة فإنها جميعاً أمامك.

واتجهنا بالمركب من حلب إلى اليونان، وتوقفنا في موانئ متعددة في الطريق. وأتذكر أنني ذهبت مع ماكس على الشاطئ إلى مرسين. وقضينا يومًا سعيدًا على الشاطئ وقمنا بالاستحمام في بحر ذات مياه دافئة رائعة. وقطف ماكس لي في هذا اليوم كميات كبيرة من نبات القطيفة الأصفر. وصنعتهم على شكل سلسلة وعلقها حول عنقي وتناولنا الغذاء سويًا في منتصف بحر رائج من نبات القطيفة الأصفر.

وكنت أتطلع إلى أن أرى مدينة دلفي مع عائلة وولي فقد تحدثوا عنها كثيرًا بطريقة شاعرية. وقد أصروا أن أكون ضيفتهم هناك مما اعتبرته لطفًا منهم. فقد شعرت بالفعل بالسعادة وكنت مليئة بالتوقع والحدس عندما وصلنا إلى أثينا.

ولكن تأتي الرياح دائمًا بما لا تشتهي السفن. يمكنني أن أتذكر وأنا أقف عند مكتب الفندق وأمسك بيدي البريد وعليه كمية من البرقيات. في اللحظة التي رأيتهم فيها أحاطتني كآبة شديدة لأن سبعة منها لا تعني أي شيء سوى أن هناك أخبارًا سيئة. ولم نكن على اتصال لمدة أسبوعين على الأقل، وألان جاءتني الأخبار السيئة. ففتحت واحدة من هذه البرقيات ولكن الأول كان هو الأخير بالفعل. وقد وضعتهم في ترتيب. وقد أخبروني أن روزلن كانت مريضة بمرض في الرئة. وقد تولت أختي مسئولية نقلها من المدرسة إلى تشيشير. وهناك برقية أخرى تخبرني أن حالتها خطيرة. أما الأخيرة وهي التي فتحتها في البداية تقول أن حالتها تتحسن إلى حد ما.

وفي هذه الآونة بالطبع يمكن لأي شخص أن يعود إلى وطنه في أقل من اثنا عشرة ساعة عن طريق خدمات الطيران التي تتوجه في كل يوم من بيريوس، ولكن في وقتها في عام ١٩٣٠ لم تكن مثل هذه التسهيلات موجودة. وفي أقل وقت إذا كنت تستطيع حجز مقعد، فإن القطار السريع التالي لا يمكنه أن يعيدني إلى لندن قبل مرور أربعة أيام على الأقل.

وعرف أصدقائي الثلاثة بالأخبار السيئة وحزنوا من أجلي. وقد ترك لين عمله واتجه للاتصال بوكالات السفر لإيجاد أقرب مقعد يمكن حجزه لي اقرب وقت. أما كأثرين فقد تحدثت معي بكل عطف وحنان. وماكس كان قليل الكلام ولكنه ذهب مع لين إلى وكالات السفر.

ومن خلال السير عبر الشارع، ومن تأثير الصدمة؛ وضعت قدمي في إحدى الفتحات التي تزرع فيها الأشجار. وألمني كاحلي بشدة وأصبحت غير قادرة على المشي. وجلست في الفتحة لانتظر لين وكأثرين، وبمجرد أن سألت عن ماكس كان قد أتى. ومعه اثنان من الأربطة ولاصقة طبية. ثم وضع لي أنه يمكنه الاعتناء بي في رحلتي إلى الوطن ويساعدني على شفاء كاحلي.

فقلت له "ولكنك سوف تذهب إلى معبد باساي، أليس لديك ميعاد لمقابلة شخص ما هناك؟

فقال لي "حسنًا، لقد غيرت خططي، اعتقد أنني في الواقع علي أن اذهب إلى الوطن، لذا يمكنني أن أكون قادرًا على السفر معك. ويمكنني مساعدتك على تناول الطعام في السيارة أو إحضار بعض الوجبات لك وأساعدك في أي شيء تحتاجين إليه"

وكان يبدو أن ذلك حقيقي ورائع للغاية. فقد اعتقدت هذا، وفي الواقع فكرت أيضًا في كم أن ماكس إنسان رائع. فهو هادئ ملئ بكلمات الحنان والحب. ويقوم بعمل الأشياء التي ترغب فيها لمساعدتك وتهديتك أكثر من أي شيء آخر. فلم يواسيني في روزلن أو يقول أنها ستكون بخير وأني لا يجب أن اقلق. فهو فقط كان يوافق على أنني في حالة سيئة. فلا توجد في ذلك الوقت عقاقير لمعالجة مرض الرئة وأن الخطر ربما يكون شديد وحقيقي.

وغادرت أنا وماكس في صباح اليوم التالي. وفي رحلتنا تحدثت معي كثيرًا عن عائلته وإخوته ووالدته التي كانت من أصل فرنسي ومولعة بالفنون وماهرة في

الرسم، وعن والده الذي كان يشبه أخي مونتي إلى حد ما- ولحسن الحظ كانت أسرته أكثر استقرارًا من الناحية المادية.

وفي ميلانو، كان لنا مغامرة. فقد تأخر القطار وكنت قد ربطت كاحلي باللاصقة الطبية التي أحضرها ماكس من أجلي- وسألت سائق العربة التي كنت فيها عن كم من الوقت يمكن أن ينتظر القطار. فقال "عشرون دقيقة" فأقترح ماكس أن نذهب لنشتري بعض البرتقال وذهبنا إلى سوق لبيع الفاكهة ثم عدنا إلى الرصيف. واعتقد أن خمسة دقائق مرت ولكن لا يوجد أي قطار على الرصيف وتم إخبارنا أنه غادر المحطة.

فقلت "غادر؟ اعتقد أنه ينتظر هنا على الرصيف عشرون دقيقة"

فقال أحد الأشخاص "نعم يا آنسه ولكنه وصل متأخرًا للغاية- ولذلك فقد انتظر وقتًا قصيرًا"

ونظرنا إلى بعضنا البعض في يأس. ثم أتى أحد الموظفين بالمحطة لمساعدتنا. واقترح علينا أن نقوم بتأجير سيارة سريعة تساوي القطار في حركتها، وقال أننا لدينا فرصة للحاق بالقطار في دومودوسولا وهي مسافة قصيرة.

فقد كانت رحلتنا تشبه عندما يكون المرء في السينما عند بداية العرض. في البداية كنا قبل وصول القطار ثم أصبح القطار قبلنا. والآن نشعر بكل يأس واللحظة التالية شعرنا بتحسن حيث سرنا عبر الطرق الجبلية وكان القطار يدخل ويخرج من الأنفاق. وفي النهاية وصلنا إلى دومودوسولا بعد وصول القطار بحوالي ثلاثة دقائق. وكان جميع المسافرين في القطار ينظرون إلينا من النوافذ- وكان الجميع الموجودين في عربتنا يترقبون إذا كنا سنلحق بالقطار أم لا.

وقال احد الركاب كبار السن وهو فرنسي كان يحاول مساعدتي لركوب القطار "حسنًا يا مدام "فلتتركيني أساعدك". في الواقع أن الفرنسيين كان لديهم قدرة كبيرة على ترتيب الأشياء.

ونتيجة لتأجيرنا لهذه السيارة باهظة الثمن، لم يكن لدينا الوقت لتضييعه في المفاوضة على السعر، لم يبق معي أنا ولا ماكس أي مال. وقد قابل ماكس أمه في باريس وأعتقد أنه اقترض بعض المال منها. وكنت أفكر في ماذا ستقول حماتي المستقبلية في فتاة شابة تركب القطار مع ابنها. وكان باقي من الوقت القليل لأنني كان علي أن اركب القطار المتجه إلى انجلترا لذلك اختفيت بكل اعتذار محير وأخذت المال الذي اقترضته منها. واعتقد أنها أصيبت بضرر بسببي.

ولا أتذكر إلا القليل عن هذه الرحلة مع ماكس عدا لطفه وحنانه غير العادي معي ورقته وتعاطفه. فقد نجح في أن يخرجني من حالة الحزن قليلاً من خلال حديثه معي كثيراً عن أفكاره وأعماله التي يقوم بها. كما ساعدني على التئام كاحلي بشكل متكرر وساعدني إلى سيارة تناول الطعام والتي اعتقد أنني لن أستطيع الوصول إليها بنفسني وخاصة أنني ركبت القطار السريع الذي أرهقني. وكانت هناك ملاحظة أتذكرها. فقد كنا نسير بجوار البحر على الريفيرا الايطالي. وكنت نصف نائمة وجالسة في مكاني في الخلف قليلاً وأتى ماكس إلى عرقي في القطار وجلس في المقابل لي. وقد استيقظت من نومي ووجدته ينظر لي بتعمق شديد. وقال لي "اعتقد أنك في الواقع لك وجه امرأة نبيلة من أصل عريق" وبالفعل فإن هذا أدهشني لدرجة أنني استيقظت من نومي. وكانت هذه الطريقة لوصفي لم أفكر أبداً فيها من قبل. وبالتأكيد لم يخبرني أي شخص من قبل عن هذا أو يصفني بهذا الوصف. فقلت له "وجه من أصل نبيل-هل أنا كذلك؟ ثم استغرقت في التفكير مرة أخرى. فقلت له "اعتقد لأنني لي أنف رومانية الشكل" نعم فإن الأنف الرومانية هي التي تعطيني مظهر الوجه النبيل إلى حد ما من المقطع الجانبي لوجهي. فأنا متأكدة أن بي العديد من الصفات: لي حالة مزاجية جيدة-ساذجة أحياناً-كثيرة النسيان-خجولة-محبة-كثيراً ما افتقد الثقة بنفسني- إلى حد كبير غير أنانية، ولكني من أصل عريق أو نبيلة-لا-فأنا لا أرى نفسي نبيلة كما يقول. ومع هذا، فقد بدأت في النوم مرة أخرى وأنا أحاول أن اظهر وجهي في شكل الأصل الروماني العريق- الوجه المليء المستدير أكثر من المقطع الجانبي.

٦

لقد كانت لحظة مرعبة عندما بدأت في ترك الهاتف عند وصولي إلى لندن. فليس لدي أي أخبار لمدة خمسة أيام حتى الآن. حسنًا، فقد شعرت بالارتياح عندما أخبرتني أختي أن روزلن قد أصبحت أفضل وأنها تتحسن كثيرًا. وفي غضون ستة ساعات كنت قد وصلت تشيشير.

وبالرغم من أن روزلن كانت تتحسن سريعًا، إلا أنني صدمت عندما رأيته. فلم يكن لدي إلا خبرة قليلة عن مدي سرعة تحسن الأطفال في أي مرض. كانت معظم خبرتي في التمريض للرجال الكبار وليس للأطفال وكانت الطريقة المربعة التي كان يبدو بها طفل ما شبه ميت في لحظة ما كانت غير معروفة بالنسبة لي عمليًا. فقد كان لروزلن مظهر الطفلة الكبيرة الأكثر طولًا ورفعًا، وكانت تجلس بطريقة على الكرسي ليست معتادة منها من قبل.

فمن أهم سمات شخصية روزلن هي طاقتها. فقد كانت ذلك النوع من الأطفال التي لا تسكن أبدًا في مكانها للحظة واحدة، فإذا كنت في الخارج أو قادمة من سفر أو من نزهة ما ورأتك كانت تقول بشقاوة "يتبقى على الأقل حوالي نصف ساعة على تجهيز العشاء-ماذا يمكننا عمله الآن؟" فكان من الطبيعي أن تأتي في أي وقت من خارج المنزل لتجدها تستقر في احد الأركان وهي واقفة علي رأسها. ماذا تفعلين على الأرض يا روزلن؟

فكانت تقول "لا أعرف، فيجب أن أقوم بعمل شيء ما".

ولكن هنا في ذاك الوقت تجلس روزلن ضعيفة وخالية من أي طاقة. وكان كل ما نطقت أختي به هو "إذا كنت رأيته من أسبوع مضى فإنها كانت تشبه الجثة الميتة".

وقد تحسنت روزلن سريعًا بشكل ملحوظ. وفي غضون أسبوع من عودتي انتقلت إلى ديفونشاير في أشفيلد، وكانت تبدو أنها عادت إلى حالتها السابقة من

النشاط والحيوية- بالرغم من أنني حذرتها كثيرًا من الحركة الكثيرة التي كانت تقوم بها.

وبشكل واضح عادت روزلن إلى المدرسة في حالة صحية جيدة وروح معنوية عالية. فقد كان كل شيء على ما يرام حتى اجتاحت المدرسة كلها حالة من الأنفلونزا المعدية والتي أصابت نصف الأطفال. واعتقد أن الأنفلونزا عندما تأتي بعد مرض الحصبة تتسبب في ألم الرئة. وكان الجميع قلق بشأن روزلن بالرغم من أن أختي اقترحت أن ننقلها بالسيارة إلى الشمال. وأصرت بونكي واثقة بأن هذا هو أفضل شيء- وفي الواقع فقد كان أفضل شيء بالفعل.

ولم يستطع أي شخص أن يحقق شفاء أفضل أكثر من روزلن. وقد قال لنا الطبيب أنها قوية وحالتها الصحية جيدة وفي لياقتها البدنية كما كانت تمامًا من قبل- كما أضاف "فهي تبدو مليئة بالنشاط والحيوية". فأخبرته أن روزلن نوع من الأطفال التي تقول دائمًا أنها جيدة وهي لا تعترف أبدًا أنها مريضة. ففي جزر الكناري كانت تعاني من التهاب اللوزتين ولكنها لم تلفظ بأي كلمة عن ذلك إلا أن تقول "اشعر أنني جيدة جدًا"

وقد تعلمت بالخبرة أن روزلن عندما تقول أنها جيدة جدًا، فإنه يكون أحد شيئين: إما أنها مريضة، أو أنها عبارة واقعية بالفعل.

إن الأمهات يكونون بالفعل مولعين بأطفالهم- فلماذا لا يكونون كذلك- ولكني لا اعتقد أن ابنتي كانت أكثر متعة. فقد كان لديها موهبة رائعة للإجابة غير المتوقعة. ومن الغالب أن تعرف ما سيقوله الأطفال مسبقًا، ولكن روزلن كانت عادة ما تفاجئني. فمن المحتمل أن يكون ذلك بسبب التأثير الأيرلندي فيها. إن والدة ارتشي كانت أيرلندية، واعتقد أنها كانت من سلالة أيرلندية وأنها اكتسبت هذه السمات من هذا الأصل الأيرلندي.

وقالت كارلولي "بالطبع فإن روزلن يمكن أن تكون مجنونة في بعض الأحيان، ففي بعض الأحيان أتعصب بشدة منها" وقد وجدت الأطفال الأخرى مميلين جدًا بعد سفرها. ربما تكون مجنونة ولكنها لم تكن مملة أبدًا.

فنحن كنا كذلك عندما كنا في الثالثة من عمرنا أو في السادسة أو العاشرة أو حتى في العشرين من عمرنا. وأكثر مرحلة تكون ملفتة هي عندما نكون في السادسة أو في السابعة من عمرنا لأننا في هذا الوقت لم نعرف التظاهر بأي شيء سوى حقيقتنا، بينما في العشرين نتظاهر بأن نكون شخص ما آخر غير حقيقتنا. فإذا كان هناك عقلية عصرية حديثة، فأنت تقولي على نفسك أنك من هذه العقلية، فإذا وجدت الفتيات منفوشة وطائشة تقولين على نفسك أنك منفوشة وطائشة. وبينما الحياة تسير، يكون من الصعب أن تستمري في الشخصية التي رسمتي نفسك بها، ولذلك تعودين إلى الفردية وتصبحين نفسك أنت. إن هذا أحيانًا يكون مربكًا بالنسبة للناس من حولك، ولكنه يشكل راحة كبيرة للشخص المعني.

وهنا أسأل عن هذا بالنسبة للكتابة. بالتأكيد عندما تبدأ في الكتابة، فعادة تكون في مخاض الإعجاب بكاتب ما ولا تتمالك نفسك من أن تتبع نمطه في الكتابة أو أسلوبه الخاص. وغالبًا فإن هذا الأسلوب من الكتابة لا يناسبك ولذلك تكتب بطريقة سيئة. ولكن مع مرور الوقت تكون أقل تأثرًا بالإعجاب. وتكون ما زلت معجب بمؤلفين معينين وأحيانًا تتمنى حتى أن تكون بمقدرتك الكتابة مثلهم ولكنك تعرف جيدًا أنك لا تستطيع. بافتراض أنك تلقيت تعليمًا متواضعًا في المجال الأدبي مثلاً. فإذا كنت استطيع الكتابة مثل إليزابيث بوين أو موريل سبارك أو غراهام غرين، فكنت سأقفز إلى السماء العالية من كثرة الفرحة والسعادة ولكنني أعرف أنني لا استطيع ولم أحاول أبدًا أن اكتب مثلهم أو أن انسخ كتاباتهم. فقد تعلمت أنني أنا ذاتي، وأني يمكنني القيام بأشياء محددة، وليس عمل كل الأشياء التي أرغب بها. وكما يقول الكتاب المقدس في إصحاح متى "وَمَنْ مِنْكُمْ إِذَا اهْتَمَّ يَقْدِرُ أَنْ يَزِيدَ عَلَى قَامَتِهِ ذِرَاعًا وَاحِدَةً؟"

وغالبًا ما كان يأتي إلى مخيلتي صورة الطبق الذي كان يعلق على جدار حضائتي وأنا طفلة صغيرة. واعتقد أنني فزت به في إحدى سباقات الزوارق. وكان مكتوبًا عليه "فلتكن سباقًا جيدًا إذا لم تستطع أن تكن قائدًا للقطار" - ولم أرى أبدًا شعارًا أفضل منه في حياتي. واعتقد أنني احتفظت بهذا الشعار. فقد كان لدي محاولات قليلة في هذا ولكنني لم أصر أبدًا على القيام بعمل الأشياء التي كنت افعلها بشكل سيء والتي لم يكن لدي لها أي شهية أو رغبة طبيعية. وكتبت رومر جودن في إحدى مؤلفاتها قائمة من الأشياء التي تحبها وأشياء أخرى لا تحبها. ووجدت أن هذا ممتع وشيق وقمت مباشرة بكتابة وتدوين قائمة بالأشياء التي أحبها أنا والتي لا أحبها. واعتقد أنني يمكنني أن أضيف إليها الآن الأشياء التي لا يمكن أن أقوم بها والأشياء التي يمكنني القيام بها. وبشكل طبيعي، فإن القائمة الأولى ستكون هي الأطول.

فأنا لم أكن جيدة أبدًا في الألعاب: ولست متحدثة جيدة ولن أكون أبدًا، ومن السهل علي أن اقترح أن اذهب بعيدًا بنفسني قبل أن اعرف ما أقوم به أو في حاجة للقيام به. ولا يمكنني الرسم ولا التلوين - ولا يمكنني عرض ملابس ما أو أي نوع من أنواع النحت، ولا يمكنني الجري إلا إذا أصدرت صوتًا عالي في الطريق - ولا يمكنني التحدث عما اعنيه بسهولة فيمكنني أن اكتبه بشكل أفضل. يمكنني تحمل أن أكون سريعة في مسألة مبدأ ما ولكن ليس في أي شيء آخر. بالرغم من أنني اعرف أن غداً هو الثلاثاء فإذا اخبرني شخص ما أكثر من أربعة مرات بأن غداً هو الأربعاء، فبعد المرة الرابعة سوف اقتنع بأن غداً هو الأربعاء وأتصرف طبقاً لذلك.

فماذا يمكنني القيام به؟ حسنًا، يمكنني أن أكتب. ويمكنني أن أكون موسيقية ناجحة ولكن ليست محترفة. فيمكنني أن أكون مرافقة جيدة للمطربين. ويمكنني ارتجال الأشياء عندما يكون هناك صعوبة - حيث يكون هذا انجازًا. ويمكنني عمل أشياء معينة منها استخدام دبابيس الشعر مثلًا في تعليقها في نافذة ما. ويمكنني التقاط أسنان أمي الناشذة للموسيقى من مكان سقوطها إلى سقف معهد

الموسيقي! وأحول الحاجز الذي شبك في شبكة التنس وانجح في فكه. ويمكنني إدعاء أنني أكون مفيدة في المنزل.. وهكذا. وألان ما هي الأشياء التي أحبها والتي لا أحبها.

فأنا لا أحب التجمهر أو الزحام، ولا الأصوات العالية أو الضوضاء أو الحديث المطول، أو الحفلات وخاصة الحفلات شبه الرسمية ولا أحب تدخين السجائر أو التدخين بوجه عام ولا أي نوع من الخمر إلا في الطبخ - لا أحب المربي أو المحار أو الطعام الدافئ- أو السماء الرمادية اللون أو أقدام الطيور. ومن أهم الأشياء التي لا أحبها: مذاق ورائحة اللبن الساخن.

بينما أحب شروق الشمس وأحب التفاح وأحب أي نوع من الموسيقي- أحب قطارات السكك الحديدية، وأحب الألغاز الرقمية وأي شيء يتعلق بالأرقام- أحب الذهاب إلى البحر والاستحمام والسباحة فيه، وأحب الهدوء والنوم والأحلام- أحب تناول الطعام وأحب رائحة القهوة - أحب الزنابق وزهور السوسن في الوديان- أحب معظم الكلاب-أحب الذهاب إلى المسرح.

ويمكنني عمل المزيد من القوائم التي تكون أهم من هذه، ولكن مرة أخرى فلن أكون إلا أنا وأنا اعتقد أنه يجب أن أعبر عن شخصية نفسي.

الآن بدأت الحياة مرة أخرى، وعلي أن أخذ مخزون من أصدقائي. وقمت أنا وكارلو بتقسيم الأصدقاء إلى نوعين: الأشخاص المحترقون، والكلاب المخلصة. وأحياناً نقول عن شخص ما "نعم، سنقوم بإعطائه درجة الكلاب المخلصة الفئة الأولى أو سنعطيه درجة الأشخاص المحترقون، الفئة الثالثة". لم يكن هناك الكثير من الأشخاص المحترقون ولكن كان هناك بعض منهم من غير المتوقعين: فالناس الذين يفكرون فيك هم أصدقاؤك الحقيقيين، ولكن الذين أصبحوا قلقين لانفصالهم عن شخص يكون قد حقق شهرة هم من النوع الخاطئ. إن هذا الاكتشاف بالطبع جعلني أكثر حساسية وأكثر ميلاً للانسحاب من التعامل مع

الناس. ومن ناحية أخرى، وجدت العديد من الأصدقاء غير المتوقعين مخلصين بدرجة كبيرة والذين أظهروا لي حبًا أكثر ولطفًا ومودة أكثر مما فعلوا من قبل.

اعتقد أنني أعجب بالإخلاص أكثر من أية فضيلة أخرى. فالإخلاص والشجاعة هم أفضل شيئين موجودين. فأي نوع من الشجاعة تثير إعجابي بدرجة كبيرة سواء أكانت تلك الشجاعة مادية أو معنوية. فهي من أهم الفضائل في الحياة. فإذا كنت تتحمل أن تعيش، فيمكنك أن تتحمل أن تعيش بهذه الشجاعة. فهي ضرورة حتمية.

وقد وجدت من بين أصدقائي المخلصين بعض الرجال. وهناك مبادئ مخلصية في حياة معظم النساء، فقد تأثرت بالتحديد بأحد هؤلاء ممن كان في طريقه إلى **دوبين**. فقد أرسل لي باقات زهور، وكتب لي مجموعة من الخطابات، وفي النهاية طلب مني الزواج. وكان أرمِلُ يكبرني ببعض السنوات. واخبرني أنه عندما قابلني في البداية اعتقد أنني صغيرة. وقد تأثرت بما قاله، ولكنني ليس لدي أي رغبة للزواج منه ولا حتى أي شعور نحوه. لقد كان صديقًا طيبًا مخلصًا وكان ذلك هو كل شيء بالنسبة لي. ومن المشجع أن تعرفي أن هناك شخص يعتني ويهتم بك- ولكن من الحماسة أن تتزوجي شخص ما ببساطة لأنك ترغبين في أن تشعري بالراحة.

وعلى أي حال، أنا لا أرغب في أن اشعر بالراحة. فقد كنت خائفة من الزواج. وقد أدركت كما أعتقد أن العديد من النساء تدرك أجلاً أم عاجلاً أن الشخص الوحيد الذي بإمكانه فعلاً إيدائك في الحياة هو الزوج. فلا يوجد أي شخص آخر أقرب منه إليك. ولا يوجد أي شخص آخر تعتمد عليه في الحياة بهذه الدرجة غيره. وقد قررت ألا أضع نفسي في رحمة أي شخص.

قال لي أحد أصدقائي من القوات الجوية في بغداد شيء أزعجني كثيرًا. فقد كان يتناقش حول متاعبه الزوجية فقال: "تعتقدين أنك نظمت حياتك، وبإمكانك أن تجعلها تسير بالطريقة التي ترغبينها ولكنها تصل في النهاية إلى إحدى النهايتين.

فإما أن تأخذين حبيبًا واحدًا أو أن تتخذين مجموعة من الأحباء معًا ويمكنك الاختيار بين هذين الاثنين. في بعض الأحيان كان لدي شعور حزين أن ما قاله صحيح. ولكنني اعتقد أن الأحباء الكثيرين لا يؤذونك. أما المحب الوحيد فبإمكانه أن يؤذيكَ، ولكن لا يمكنك بهذه الطريقة أن تفكري في الزواج.

وما يدهشني فعلاً هي كمية المحاولات التي يتم القيام بها بمجرد أن أكون في وضع مريب مع الانفصال عن زوج ما أو الطلاق منه. وقال لي أحد الشباب في الطائرة: "حسنًا فقد تم انفصالك عن زوجك أو الطلاق منه، فماذا يمكنك أن تتوقعين؟"

في البداية لم استطع أن أقرر سواء أكنت سعيدة أم منزعة لهذه التلميحات. واعتقدت على وجه العموم أنني كنت مسرورة. فلست كبيرة على المعرفة والاستشارة. ومن ناحية أخرى فإن هناك كثير من التعقيدات - ففي حالة أحد الايطاليين والذي لم افهمه جيدًا لأنني لا أتحدث الايطالية. سألي إذا كانت ضوضاء المركب قد أثرت علي وجعلتني مستيقظة طوال الليل فقلت له لان مكاني كان على جانب الميمنة من الرصيف. فقال لي "حسنًا، اعتقد أنك في غرفة رقم ثلاثة وثلاثين، لا يا الهي" فقلت له "إن غرفتي هي رقم ثمانية وستين" وكانت هذه محادثة بريئة من وجهة نظري؟ فلم أكن أدرك وقتها أن هذا السؤال عن رقم الغرفة من رجل ايطالي يعني أنه يرغب في زيارتك في الغرفة. ولم يكن هناك أي شيء آخر يقال. ولكن بعد منتصف الليل ظهر الرجل الايطالي. وتلاه بعد هذا مشهداً مضحكاً فأنا لا أتحدث الايطالية وهو يتحدث الانجليزية بقدر ضئيل جداً ولذلك تناقشنا بالفرنسية. وقد عبرت عن نقمتي وضيقى وهو أيضاً كذلك ولكن بطريقة مختلفة. إن المحادثة كانت تسير على النمط التالي:

"كيف تجرؤ علي المجيء إلى غرفتي؟"

"أنت دعوتيني إلى هنا"

"لم أقم بعمل أي شيء من هذا النوع"

"أنت فعلتي فقد أخبرتيني رقم غرفتك وكان ٦٨"

"حسنًا، أنت سألتني عن رقم الغرفة ما هو"

"بالطبع، أنا سألتك عن رقم الغرفة. سألتك عن رقم الغرفة لأنني أريد في

المجيء إلى غرفتك. وأنت أخبرتيني أنني يمكنني المجيء"

"لم أقم بعمل أي شيء من هذا القبيل"

واستمرت هذه المحادثة لبعض الوقت وبين الحين والآخر ثار بشدة حتى دفعته جانبًا كي يصمت. وكنت واثقة تمامًا أن طبيب السفارة وزوجته الذين كانا في الغرفة المجاورة يستنتجون أسوأ استنتاج. وقد حثته على الذهاب بعيدًا والمغادرة. وقد أصر هو على البقاء. وفي النهاية أرتفع غضبه وأثير إلى أن وصل إلى ذروته أكثر مني، وبدأت في الاعتذار له لعدم إدراكي لمعنى سؤاله. وفي النهاية نجحت في التخلص منه. وكنت ما زلت مجروحة ولكنني أدركت وقبلت أنني امرأة لست على خبرة كبيرة بالعالم الذي كان يعتقد. كما أوضحت له والذي يبدو أنه جعله أكثر هدوءًا أنني إنجليزية ولذلك فأنا صارمة بطبيعتي. وفي الصباح التالي نظرت إلى زوجة الطبيب نظره يملؤها البرود.

ولم انتظر الكثير من الوقت حتى اكتشفت أن روزلن وضعت في ترتيب محدد جميع معجبيني المختلفين من البداية بطريقة عملية محكمة. وقالت لي "حسنًا، اعتقد أنك بالطبع ستزوجين مرة أخرى في وقت ما، وبشكل طبيعي فأنا مهتمة قليلاً بمن سيكون هو زوج المستقبل"

وعاد ماكس من إقامته في فرنسا مع والدته. وقال أنه يعمل في المتحف البريطاني وتمنى أن يعرف مني إذا ما كنت في لندن أم لا. وهذا لم يبدو لي جيد حيث أنني استقرت في أشفيلد. ولكن حدث بعدها أن **مؤسسة كولينز** الذين

يقومون بنشر كتيبي، أقاموا حفلًا ضخمًا في سافوي والتي كانوا يريدون أن أحضرها لمقابلة الناشرين الأمريكيين والعديد من الأشخاص الآخرين هناك. وقد كان لدي الكثير من الارتباطات والمواعيد طوال هذا اليوم ولذلك في النهاية ذهبت عند مجيء الليل بالقطار ودعوت ماكس لكي يأتي ويتناول الإفطار معي في منزل عائلة ميو.

وكنْتُ مسرورة لرؤيته مرة أخرى، ولكن من الغريب أن اللحظة التي وصل فيها كنت مليئة بالخجل. وبعد قضاء الحفلة سويًا وبعض الأحاديث الودودة التي تبادلناها لا اعرف لماذا صعقت بشكل كبير. وهو أيضًا اعتقد انه كان خجولًا. ومع هذا فعند نهاية الإفطار والذي أعدته بنفسه له، رجعنا إلى طريقتنا القديمة في الحديث. وسألته إذا كان يمكنه البقاء معنا في ديفون وحددنا عطلة نهاية الأسبوع لتكون ملائمة له حيث يستطيع المجيء لكي يقضيها معنا. وكنْتُ اشعر بالفرح والسعادة لأنني لم أفقد الاتصال به..

وتابعت رواية "مقتل روجر أكرويد" برواية أخرى تحمل عنوان "لغز المنهات السبعة" وكانت هذه نتيجة لروايتي الأولى التي كانت تحمل عنوان "سر المدخن" وكانت هذه الرواية من السهل كتابتها ولا تتطلب الحبكة الدرامية الكبيرة أو التخطيط الكثير.

وكنْتُ قد حققت الكثير من الثقة نحو كتاباتي في هذا الوقت. وشعرت بأنني ليس لدي أي صعوبة في إنتاج كتاب كل عام مع بعض القصص القصيرة أيضًا. وكان الجزء الجميل في الكتابة في هذه الأيام هو أنني كنت أربطه بالأموال مباشرة. فإذا قررت مثلًا أن أكتب قصة ما فكنْتُ اعرف أنها ستحقق لي دخلًا ماديًا حوالي ٦٠ دولار أو أي مبلغ كان. واستطعت أن اخفض ضريبة الدخل- التي كانت في هذا الوقت ٤ أو ٥ بنس لكل جنيه. ولذلك عرفت أنني سأحصل على حوالي ٤٥ دولارًا صافي لي في كل رواية. وكان هذا يشجع إنتاجي بشكل كبير. وقلت لنفسني "يجب أن اخذ المسرح الموسيقي واخذ المقصورة واجلس داخلها. فكم سيتكلف

هذا؟ يمكنني التخمين حيث ذهبت إلى الآلة الكاتبة وجلست وأخذت أفكر واخطط وفي غضون أسبوع كنت قصة في عقلي. وفي الوقت المناسب كتبها ثم ذهبت للمقصورة في المسرح الموسيقي.

كم كانت حياتي مختلفة عما كانت عليه من آخر عشرة أو عشرين سنة. فلم أكن اعرف ما أدين به. ولا كم معي من المال. ولم أعرف أبدًا كمية المال التي سأحصل عليها العام القادم- وأي شخص يهتم بضريبة الدخل الخاص بي دائمًا ما يجادلني حول المشكلات التي تثار في كل عام مسبقًا، والتي لا يتم الاتفاق عليها. فماذا يمكن للشخص العمل في مثل تلك الظروف؟

ولكن كانت هذه الأيام أيام معقولة. وكان هناك فترة أخرى اسميها فترة النفوذ العالي. فقد بدأت انشرب تسلسل في أمريكا وكان المال يأتي من هذا، بالإضافة إلى أن المال الذي كان يأتي اكبر من أي وقت من حقوق النشر في بريطانيا، وكان أيضًا خاليًا من أي ضريبة للدخل. فلم أكن ألتقى المبالغ المالية التي كنت ألتقاها مؤخرًا ولكنني كنت أراها أنها ستأتي وكان يبدو لي أن كل ما علي القيام به هو أن أكون كادحة في عملي.

والآن غالبًا ما اشعر أنني سأكون علي ما يرام حتى إذا لم اكتب أي كلمة بعد ذلك، لأنني إذا قمت بهذا فإنه سيتسبب لي في الكثير من التعقيدات الإضافية.

وأتى ماكس إلى ديفون. وتقابلنا في **بادينغتون** ووصل في قطار منتصف الليل. ودائمًا ما تحدث الأمور عندما أكون بعيدًا. قد ودعتنا روزلن بروحها المعنوية الجميلة المعتادة منها ومباشرة تم إعلاني بكارثة، حيث قالت لي "إن الكلب **بيتر** قد عض **فريدي باوتر** في وجهها"

إن هذه الطفلة التي لدغها **بيتر** هي ابنة لمديرة خدمات الطبخ المنزلية، وأن هذه الأخبار سمعناها قبل عودتنا إلى البيت.

وقد شرحت روزلن أنه في الواقع لم يكن خطأ بيتر: فقد أخبرت فريدي باوتر ألا تضع وجهها بالقرب من بيتر وتقوم بمضايقته وإزعاجه.

"فقد أتت بالقرب من بيتر جدًا وهي تثرولذلك عضها بيتر"

فقلت لها "نعم ولكنني لا اعتقد أن السيدة باوتر ستدرك ذلك"

فقالت روزلن "حسنًا، هي لن تنزعج بشدة عما حدث ولكنها بالطبع لن تكون سعيدة به"

فقلت لها "لا لن تكون سعيدة بما حدث"

فقالت روزلن "على أي حال، إن فريدي شجاعة للغاية فيما يتعلق بالمشكلة" وأضافت "أنها دائمًا في دفاع عن رفقاءها في اللعب، إن الطفلة الصغيرة هي اصغر من بيتر بحوالي ثلاث سنوات وهي دائمًا تسعد بإعطائه أوامر والاعتناء به وتتنفن في القيام بدور الحامية له وأيضًا تكون مستبدة في ترتيب الألعاب التي يقومون بلعبها. وقالت مرة "إن حظ بيتر جيد لأنه لم يعض أنفه حتى الآن؟ فإذا حدث هذا، اعتقد أنني يجب أن اعطني بها بطريقة أو بأخرى- وأنا لا اعرف ماذا أفعل الآن، اعتقد أنها يجب أن تعقم أولًا أو شيء كهذا، أليس كذلك؟ وأنا لا اعرف جيدًا كيف تقوم بتعقيم أنفك. اعني أنك لا تستطيع بالطبع أن تغليها".

وتحول اليوم إلى واحدًا من تلك الأيام الحاسمة التي من الممكن أن يكون لطيفًا، ولكن بالنسبة لهؤلاء الذين لديهم خبرة بالطقس في ديفونشاير، فإن اليوم كان به أمطارًا إلى حد ما. واقترحت روزلن أن نذهب لنزهة خلوية في الحدائق في المستنقعات وكنت أفكر أنا في هذا، وأيضًا وافق ماكس وهو يبدوا عليه السعادة.

وبالنظر إلى الوراء، يمكنني أن أرى أن واحدًا من الأشياء التي كان أصدقائي يعانون منها هي تفاؤلي فيما يتعلق بالطقس واعتقادي غير الصحيح أن الطقس في المستنقعات سيكون أفضل من توركاي. وبالفعل فإن العكس ما حدث وقتها. فقد

اعتدت أن أقود سيارتي المكشوفة **موريس كاوى** التي استخدمها في الرحلات والتجولات والتي بها غطاء به العديد من الفتحات حتى إذا جلست في الخلف فإن الماء يكون خلف ظهرك إذا كان هناك أمطارا تتساقط. على أية حال، فإن الذهاب في نزهة خلوية مع عائلة كريستي يعتبر اختبارًا للقدرة على التحمل.

وبدأنا الرحلة وتساقطت الكثير من الأمطار. وأخبرت ماكس عن الكثير من جمال المستنقعات والتي لم يستطع أن يراها بفعل الضباب والمطر. وكان يعد اختبارًا جيدًا لصديقي الجديد من الشرق الأوسط. وكان بالتأكيد مغرمًا بي لتحملي هذا والاحتفاظ بكبريائه من أنه يستمتع بالطقس.

عندما وصلنا في النهاية إلى البيت وجففنا أنفسنا ثم استحمننا مرة أخرى في حمام الماء الساخن، لعبنا العديد من الألعاب الجميلة مع روزلن. وفي اليوم التالي، ولأنه كان أيضًا ممطرًا، ارتدينا معطفنا الواقي من المطر وتمشيننا في المطر مع كلبنا بيتر والذي كان مع فريدي باوتر.

وكنت سعيدة جدًا لكوني مع ماكس مرة أخرى. وأدركت كم أصبحت علاقتنا قربه جدًا. وأدركت أيضًا كم بدأنا نفهم بعضنا البعض قبل أن نتحدث. وبالرغم من هذا، فقد كانت صدمة لي عندما كنا في الليلة التالية وودعت ماكس وذهبت للقراءة وفوجئت بماكس ينقر على الباب وكان يمسك بكتاب في يده كنت قد أعرفته إياه.

وقال ماكس "شكرًا لك على إعارتك لي هذا الكتاب، في الواقع لقد استمتعت بقراءته كثيرًا" ثم وضعه بجانبني. ثم جلس عند نهاية سريري وهو ينظر إلي بتمعن وقال أنه يرغب في الزواج مني. بالطبع فإن الغالبية العظمى من النساء يعرفون جيدًا ما يمكن أن يحدث- في الواقع يمكنهم التنبؤ بأي عرض زواج قادم في غضون أيام ويمكنهم التعامل معه بإحدى الطريقتين: إما أن يظهرون عدم رضائهم بالمتقدم، وإما أن يتركوه يأتي إليهن ليحصل عليه. ولكنني اعرف الآن أن الإنسان يمكنه القول بعبقرية "أوه، يا سيد..... إنها مفاجأة لي!

ولم يخطر ببالي أبدًا أنني أنا وماكس يمكن أن نكون مما أتحدث عنهم. فقد كنا أصدقاء، وأصبحنا صديقين مقربين بسرعة كما كان يبدو لي أكثر من أي صديق تعرفت عليه من قبل.

وتبادلنا الأحاديث سويًا. فقلت له مباشرة إنني لا أستطيع. فسألني. لماذا لا تستطيعي؟ فقلت له لكل الأسباب. فقد كنت اكبر منه بأعوام- وقد اعترف هو بذلك وأخبرني أنه كان يريد دائمًا الزواج من امرأة تكبره قليلًا. وأخبرته أن هذا هراء وهو شيء سيء للقيام به. وأوضح لي أنه كاثوليكي وقال أنه فكر في هذا أيضًا- ففي الواقع، فقد قال أنه فكر في كل شيء. والشيء الوحيد الذي أعتقد أنني لم أقوله والذي كنت سأقوله بشكل طبيعي إذا شعرت أنني لا أريد الزواج منه، أنني لا أريد الزواج منه- لأنني شعرت بأن ليس هناك شيء في العالم سيكون أكثر سعادة بالنسبة لي من زواجي منه. إذا كان فقط هو اكبر مني أو كنت أصغر منه.

وتناقشنا على ما أعتقد حوالي ساعتين. وقد كان هادئًا ولم يظهر لي الكثير من الاحتجاجات في حديثه حيث كان رقيقًا وطيبًا.

ورحل المساء التالي بقطار وودعته وقد قال لي "أعتقد أنك ستتزوجيني- فلتفكري بالأمر عندما يكون لديك الكثير من الوقت"

وكان هذا مبكرًا جدًا في الصباح وكان من غير الممكن أن أقوم بتنظيم أفكاري ونقاشاتي مرة أخرى. وبعدها ودعته رجعت إلى المنزل في حالة من اليأس الشديد.

وسألت روزلن إذا كانت تحب ماكس. فقالت "نعم، تحبه جدًا فأنا أحبه أكثر من العقيد "ص" والسيد "ب" ويمكن أن أثق في روزلن كي اعرف ما يحدث ولكنها لا تصرح به مباشرة وبوضوح.

كم كانت تلك الأسابيع القليلة التي تلت ذلك مخيفة لي. كنت بائسة ومرتبكة. أولًا قررت أن أخرج شيء يمكن أن أرغب به هو أن أتزوج مرة أخرى، لأنني يجب أن

أكون في أمان، في أمان من أن أؤذى مرة أخرى، لا يوجد أي شيء أكثر حماقة من أن أتزوج رجل يصغرنى بسنوات عديدة، وأن ماكس صغير وهذا ليس عادلاً له- فإنه يجب أن يتزوج من فتاة صغيرة جميلة وأنني بدأت استمتع بحياتي كما أراها. ثم وبشكل غير متوقع، وجدت أن مناقشاتي هذه وأفكاري قد تغيرت. فقد كنت محقة عندما قلت أنه يصغرنى كثيرًا ولكننا مشتركين في أشياء كثيرة. فهو ليس مغرمًا بالحفلات وهو مرح وراقص جيد. وأنا واثقة أنني يمكنني زيارة المتاحف أيضًا كأي شخص وربما باهتمام أكبر من أي امرأة أخرى أصغر مني. فيمكنني أن أتجول حول جميع الكنائس في حلب واستمتع بها كما يمكنني الاستمتاع بماكس وهو يتحدث عن الكلاسيكيات، ويمكنني أن أتعلم الهجائية اليونانية وأقرأ العديد من الترجمات للملحمة الإلياذة الشعرية- وفي الواقع، يمكنني الاهتمام بعمل ماكس وبأفكاره أكثر من تعاملات آرتشي في المدينة.

ولكنني كنت أقول لنفسني "ولكنك لا يجب أن تتزوجين مرة أخرى، فلا يجب أن تكوني حمقاء"

وحدث كل شيء بشكل مكرر. فإذا كنت اعتبر ماكس زوج محتمل عندما قابلته، فكان يجب التفكير في هذا. فلم أقع في هذه العلاقة السعيدة بسهولة. ولكنني لم أرى أن ذلك سيحدث- وها نحن في غاية السعادة ونجد أنه من المتعة التحدث سويًا كما لو كنا متزوجين بالفعل.

وقمت باستشارة المشاورة الحكيمة لي روزلن فقلت لها "هل تمانعين إذا تزوجت مرة أخرى؟"

فقالت روزلن "حسنًا، أنا أتوقع ذلك منك، أعني أن هذا هو شيء طبيعي أليس كذلك؟"

فقلت "حسنًا، ربما"

فقالت "لا أحبك أن تتزوجين العقيد "ص" وقد وجدت أن هذا جديدًا حيث أن العقيد "ص" سبب الفوضى لروزلن وتظاهرت بالسعادة لبعض من الألعاب التي لعبها من أجل متعتها.

فذكرت أسم ماكس.

فقالت "اعتقد أنه هو الأفضل كثيرًا، وفي الواقع اعتقد أن هذا سيكون شيء جيد إذا تزوجتيه" وأضافت "ربما يكون لدينا مركب تخصصنا، ألا تعتقدين هذا؟ وأنه سيكون مفيدًا بشتى الطرق. فهو ذو مستوى جيد في التنس أليس كذلك؟ فيمكنه اللعب معي" ثم أوضحت إمكانياته بكل صراحة وهي تشرحها من وجهة نظرها الشخصية وقالت "وبيتريحبه أيضًا" في موافقة نهائية عليه.

وطوال الوقت، كان هذا الصيف واحدًا من أكثر المواسم صعوبة في حياتي. فقد كان جميع الأشخاص رافضين للفكرة. وربما نسبة قليلة هي التي شجعتني وحفزتني. فقد كانت أختي رافضة تمامًا بسبب فرق السن! حتى زوج أختي جيمس قد أبدى ملاحظة للاعتراض.

وقال لي "ألا تعتقدين أنه ربما يكون قد تأثر بالحياة التي استمتعت بها كثيرًا؟ حياة الآثار؟ حياة استمتاعك بكونك مع عائلة وولي في مدينة أور؟ ربما تكوني مخطئة فيما يتعلق باعتقادك أنك تملكين مشاعر حب نحوه"

ولكني كنت أعرف أن الأمر لم يكن كذلك.

وأضاف "بالطبع إنه موضوعك وشأنك" ولكن بونكي لم تكن تعتبر الأمر هو موضوعي أنا ولكنها كانت تعتبر أن هذا الشأن هو شأنها هي كي تنقذني من القيام بأي خطأ سخيف. أما كارلو، عزيزتي كارلو وشقيقتها فقد كانا يمثلان بالنسبة لي برجي القوي. فقاما بمساندتي بالرغم من أنني بكل صراحة اعتقد أنهما أيضًا كانا يعتبران أن القيام بمثل هذا الشيء يعد سخيفًا ولكنهما لم يقولوا لي هذا من قبل

أبدًا لأنهما نوع من الناس لا يحبان أن يؤثرًا على الآخرين بخططهم أو آرائهم الشخصية. وأنا واثقة من أن أنهما تعتقدان أنني ليس لدي الرغبة في الزواج من عقيد جذاب يبلغ من العمر اثنين وأربعين عامًا ولكنهما كان يشجعاني على تحقيق رغبتني.

وفي النهاية أرسلت لإخبار عائلة وولي. وكان يبدو عليهم أنهم سعداء بذلك. وبالتأكيد فقد كان لين مسرورًا، أما بالنسبة لكاثرين فقد كان الأمر أكثر صعوبة دائمًا في إخبارها.

وقد قالت بصرامة شديدة "لا يجب أن تتزوجينه لمدة عامين على الأقل"

فقلت لها "عامين؟"

لا إن هذا سوف يكون مميتًا"

فقلت "إن هذا سخيًا. فأنا أكبره بسنوات عديدة. فربما يكون لديه شبابًا مثل الذي كان لدي"

فقالت كاثرين "اعتقد أن هذا سيكون سيئ له، سيء جدًا في مثل هذا العمر أن يعتقد أنه بإمكانه أن يحظى بما يريده فجأة. اعتقد من الأفضل أن تجعله ينتظر - فترة انتظار طويلة"

ولم أكن أوافق على هذه الفكرة. وكانت تبدو لي وجهة نظر حادة ومتزمته إلى حد كبير.

وبالنسبة لماكس فقد قلت له أن زواجه مني سيكون خطأ، وأنه يجب أن يفكر بالأمر جيدًا.

فقال لي "لماذا تعتقدين أنني لم أفعل في الأشهر الثلاثة الأخيرة؟ فقد كنت أفكر بالأمر طوال الوقت عندما كنت في فرنسا. ثم قلت لنفسني عندما أراها ساعرف

مرة أخرى في حالة أن أتخيل أنا كل شيء" ولكن هذا لم يحدث فأنت كنت مثلما تذكرتك، وكنت كما أريدك"

فقلت له "ولكن هذا يمثل مخاطرة مفزعة"

فقال "إنه لا يمثل أي مخاطرة بالنسبة لي. ربما تعتقدين أنه مخاطرة بالنسبة لك ولكن هل تهتمك المخاطر؟" هل يستطيع المرء أن يذهب إلى أي مكان دون أن يصادف هذه المخاطر؟

فوافقت على كلامه فأنا لا أندم أبدًا على فعل أي شيء طالما اشعر معه بأمان. وكنت اشعر بالسعادة بعد ذلك. وكنت أقول لنفسي "حسنًا، إنها مخاطرتي ولكنني اعتقد أن الأمر يستحق أن يكون هناك خطرًا أن تجد شخص ما تكون سعيدًا معه. فسوف أكون حزينة إذا كان الأمر غير ذلك بالنسبة له ولكن هذا مخاطرته هو أيضًا وأنه يعتقد ذلك" واقترحت أننا يجب أن ننتظر ستة أشهر. فقال أن هذا لن يكون جيدًا وأضاف "فأنا علي أن اذهب إلى الخارج مرة أخرى إلى مدينة أور. واعتقد أننا علينا أن نتزوج في سبتمبر" وتحدثت إلى كارلو ورتبنا خططنا.

وقد كنت اشعر بالحزن وتمنيت أن الأمور تكون هادئة على قدر الإمكان. ووافقنا أنه علينا أن نذهب أنا وكارلو وماري فيشر وروزلن إلى جزيرة سكاي لقضاء ثلاثة أسابيع هناك. ويمكن أن نجري طقوس الزواج هناك، وسنزوج بكل هدوء في كنيسة القديس كولومبا في مدينة إدنبرة.

أخذت ماكس لزيارة بونكي وجيمس- كان جيمس حزينًا، أما بونكي كانت تسعى لمنع زواجنا.

وفي الواقع، فقد أوشكت الأمور على الاقتراب وكان ماكس قد أعطى اهتمامًا بعائلتي، وقال "هل قلتي جيمس وات؟ فقد كنت في نيوكولدج مع جاك وات"

وكنت خائفة من أن ماكس لن يحب أختي ولكن العكس هو ما حدث. حيث قال ماكس إنها أصيلة جدًا وقلقة جدًا بشأني- وأضاف أنها مسلية. وكان هذا دائمًا

هو الوصف النهائي لأختي "عزيرتي بونكي إن ابن أختي جاك قد اعتاد أن يقول لك "احبك- وأنت ممتعة وجميلة جدًا" وفي الواقع فإنه كان يوصفها جيدًا.

وانتهت الزيارة مع بونكي وهي منطلقة في عواصف من العبرات والدموع وكان جيمس حنونًا معي. ولحسن الحظ، فإن ابن أختي جاك لم يكن هناك. ربما سيكون منزعًا مما حدث.

وقال زوج أختي "عرفت في الحال عزمك على الزواج منه، وأنا اعرف انك لن تغيري رأيك"

فقلت له "حسنًا يا جيمي فأنت لا تعرف، فمن الممكن أن أغير رأيي كلية يومًا ما"

فقال "ليس حقيقي، حسنًا، أتمنى أن تسير الأمور في الاتجاه الصحيح. إنه لم يكن الشخص الذي اخترته من أجلك ولكنك تشعرين بشعور آخر، ولكنك دائمًا ما يكون لديك شعورًا أفضل أعتقد أنه نوع من الشباب الذي يستطيع القيام بأبعد مما نتخيل.

"فكم كنت أحب عزيري جيمس كثيرًا، فكم كان صبورًا ومعانيًا للكثير من الصعوبات. وقال "لا تمانعين يا بونكي فأنت تعرفين ما ترغب به"

وقد سألت بونكي إذا كانت ترغب في المجيء معنا إلى /دنبرة لحضور زواجانا، ولكنها اعتقدت أنه من الأفضل ألا تأتي. وقالت "سوف أبكي فقط وأزعج الجميع" وكنت اشعر بالامتنان كثيرًا لأن معي أصدقائي الاسكتلنديتين الهادئتين. ولذلك ذهبت إلى سكاي معهم ومع روزلن.

ووجدت سكاي جميلة، ولكني كنت أتمنى ألا تمطر كل يوم، وكان الطقس فقط مليئًا بالضباب. ومشينا أميال عبر المستنقعات ونبات الخلنج وكان هناك رائحة جميلة هادئة ناعمة للأرض مع بعض من النكهات الذكية.

وكانت إحدى ملاحظات روزلن قد تسببت في لفت أنظارنا إلى غرفة تناول الطعام في الفندق بعد وصولنا بيوم أو يومين. ولم يحضر بيتر الذي أحضرناه معنا، الوجبات في الغرف العامة، ولكن قالت روزلن بصوت عالي في منتصف الغذاء إلى كارلو "بالطبع يا كارلو فإن بيتر يجب أن يكون زوجك أليس كذلك؟" أعني أنه ينام في غرفتك وعلى فراشك أليس كذلك؟" واتجهت السيدات اللاتي كن ينزلن في الفندق بنظرة إلى كارلو.

وتحدثت معي روزلن أيضًا بالنصيحة حول موضوع الزواج. وقالت لي "أنت تعرفين عندما تتزوجين ماكس، عليك أن تنامي في فراشه؟"

فقلت لها "حسنًا، نعم"

"اعتقد أنك تعرفين لأنك تزوجتي من أبي ولكني اعتقد أنك لم تفكري في هذا" وقد أكدت لها أنني فكرت في كل شيء متعلق بالموضوع.

ومرت الأسابيع، ومشيت عند الأشجار ومررت بنوبات من البؤس الشديد عندما كنت أفكر أنني سوف أقوم بتصرف خاطئ وأدمر حياة ماكس.

وفي الوقت ذاته، فإن ماكس ألقى بنفسه في كمية إضافية من العمل في المتحف المصري وفي أماكن أخرى وأنهى رسوماته للأواني الفخارية والعمل في الآثار. وكان في الأسبوع الأخير قبل الزواج يمكث حتى الخامسة من صباح اليوم التالي كل ليلة ليرسم. وكان لدي شكًا أن كاثرين وولي قد حثت لين على أن تجعل العمل أكثر صعوبة ومشقة من ذي قبل حيث أنها كانت منزعة مني كثيرًا لعدم تأجيلي الزواج. وقبل مغادرتنا لندن، أتى لين ليراني. وكان في حيرة لأنني لم استطع التفكير فيما يشغله.

فقال لي "أنت تعرفين ربما يكون هذا غير ملائمًا لنا. أعني في أور وفي بغداد. أعني أن هذا لن يكون ملائمًا- أتفهمين ما أقول؟- فلن يكون هذا ممكنًا بأي شكل

لك أن تأتين العرض. أنا أعني أنه ليس هناك مكاناً لأي شخص باستثناء علماء الآثار"

فقلت "أعي ذلك جيداً- لقد تحدثنا حول هذا. فليس لدي أي معلومات مفيدة من أي نوع. واعتقدت أنا وماكس أن هذا سيكون أفضل كثيراً، وهو لا يرغب في أن يتركك في بداية الموسم، حيث يكون متبقي وقتاً قليلاً للغاية لإيجاد شخص آخر يحل محله"

توقف لين قائلاً " اعتقد هذا-أعني أن الناس ربما يعتقدون أنه من الغريب أن تأتي لأور"

فقلت "حسناً لا اعرف لماذا يجب أن يفكرون هكذا، فإنني سأتي في نهاية الموسم إلى بغداد"

"نعم أتمني أنك تأتي لقضاء بعض الأيام في أور فإنه يكون جيداً جداً أليس كذلك؟

فقلت مشجعة "حسناً".

فقال "ما اعتقده أنا- ما نعتقده نحن- أعني ما تعتقده كاثرين- أعني ما نعتقده نحن الاثنين"

فقلت "نعم"

"من الأفضل ألا تأتي لبغداد الآن. أعني أن تأتي معه ثم يذهب إلى أور وأنت إلى انجلترا، ألا تعتقدين ربما يبدو هذا غريباً؟ أعني لا اعرف أن مجلس الأمناء سيعتبر أن هذه فكرة جيدة".

وقد أثار هذا بالطبع مضايقتي. فلم أتمني أن آتي إلى أور. ولم اقترح هذا أبداً لأنني اعتقد أنه يكون شيئاً غير عادلاً؛ ولكنني اعتقد أنه لا يوجد سبب لعدم معي إلى بغداد إذا أردت هذا.

وبالفعل فقد كنت قد قررت مع ماكس أنني لا أريد في المجيء إلى بغداد: فإنها ستكون رحلة عديمة الفائدة. وسوف نذهب إلى اليونان لقضاء شهر العسل ومن أثينا سوف يذهب ماكس إلى العراق وأنا أعود إلى إنجلترا. وقد رتبنا بالفعل هذا ولكن في هذه اللحظة لن أقول هذا.

وقد أجبت ببعض الخشونة في كلامي "اعتقد يا لين من الصعب أن تقترح لي أين أسافروا أين لا أسافر في الشرق الأوسط. فإذا أردت أن أتي لبغداد فسأتي مع زوجي وهذا لا يخصك أنت"

"حسنا، فأنا أتمنى ألا تمانعين كما تعتقد كثيرين...."

وكان من المؤكد أن هذا كان تفكير كثيرين وليس لين. وبالرغم من أنني كنت مغرمة بها إلا أنني لن أسمح لها بتخطيط حياتي. وعندما رأيت ماكس، قلت أنه بالرغم من أنني لم اقترح أن أتي إلى بغداد، فلم أخبر لين عن هذا. وكان ماكس غاضبًا جدًا وكان علي أن أهدئه.

وقال لي "فأنا ما زلت مصرًا أن تأتي"

فقلت "هذا سيكون سخيًا. إنه يعني الكثير من التكلفة ومن البؤس أن أتركك هناك وأبعد عنك"

وكان وقتها أن أخبرني أنه تم قبوله من د. كامبل تومبسون وأن هناك إمكانية أنه في العام القادم سوف يذهب وينقب في منطقة نينوى في شمال العراق. ويجب علي أن أرافقه إلى هناك. وقد قال "لا شيء مستقر فإن كل شيء يجب ترتيبه. ولكنني لن أتركك وأبعد عنك ستة أشهر أخرى. إنه لا يكون لديه المزيد من الوقت لإيجاد خليفة له"

ومرت الأيام في سكاى وتم الإعلان عن زواجنا في الكنيسة، وكانت جميع النساء العجوزان يجلسن حولي بكل سعادة لحضور شيء رومانسي وجميل مثل الزواج.

وأتى ماكس إلى /دنبرة كما أتينا أنا وروزلن وكارلو وماري وبيتر من سكاي. وتزوجنا في كنيسة القديس كولومبا. وكان زواجنا هادئاً- لم يكن هناك أي مراسلين للصحف ولم تذاع أية تلميحات عن ذلك. فقد رحلنا مثل الأغنية القديمة على باب الكنيسة. وعاد ماكس إلى لندن لإنهاء عمله في أور لثلاثة أيام أخرى، بينما عدت اليوم التالي مع روزلن إلى **كريسويل بالاس** حيث استقبلني بيبي المخلص. وظل ماكس بعيداً ثم أتى بعد يومين إلى باب **كريسويل بالاس**. وقدنا إلى **دوفر** ومنها عبرنا القناة إلى أول مكان للتوقف فيه لقضاء شهر العسل- فينيسيا.

وقد خطط ماكس لشهر العسل بشكل كلي بنفسه: وأنه سوف يكون مفاجأة بالنسبة لي. وأنا واثقة أنه لم يستمتع أي أحد بقضاء شهر العسل مثلما استمتعنا نحن الاثنان به. وكان هناك فقط نقطة متضاربة واحدة أو مزعجة لنا وهي القطار السريع حتى بعد مراحل الأولى قبل فينيسيا كان مزعجاً جداً بظهور حشرات بق الفراش الناتجة من الأعمال الخشبية.





الجزء التاسع حياتي مع ماكس



قضينا شهر العسل في دوبروفنيك، ومن هناك لسبليت والتي لن أنساها قط. فكنا نتجول في المكان مساءً. ومن فندقنا كنا نتجول في زاوية إحدى الساحات وهناك كان يلوح في الأفق تمثال القديس غريغوريوس أسقف نيصص، واحدة من أروع أعمال النحات ميستروفيك. وهذا التمثال كان يعلو أي شيء والذي يعتبر من الأشياء العالقة في الذاكرة كإحدى المعالم البارزة.

وكنا نستمتع ونمزح بقوائم وجبات الطعام هناك. حيث كتبت باللغة اليوغسلافية ولم يكن لدينا بالطبع أي فكرة عما تعنيه. فكنا نشير إلى بعض الأكلات وننتظر ما سيتم تقديمه بشغف. أحياناً يتم تقديم طبق كبير من الدجاج أو بيض مسلوق مع صلصة بيضاء متبلة، وأحياناً يقدم نوع من الجولاش الفاخر. وكل الوجبات كبيرة ولم تكن أي من المطاعم ترغب في أن ندفع فاتورة الوجبة، فالنادل كان يتمم ببعض الكلمات الفرنسية أو الانجليزية أو الإيطالية ويقول: "ليست هذه الليلة يمكننا أن تذهبوا وتدفعوا غداً". أنا لا أعرف ماذا يحدث عندما يتناول الناس وجبات لمدة أسبوع دون أن تدفع وتنصرف على متن القارب. بالتأكيد في صباح اليوم الأخير عندما نذهب للدفع وجدنا صعوبة كبيرة في قبول مطعمنا المفضل للمال. فهم يقولون "يمكنكم أن تدفعوا فيما بعد" ولكننا كنا نحاول أن نشرح لهم أننا لا نستطيع أن ندفع لاحقاً لأننا على وشك المغادرة بالقارب في الثانية ظهراً" وتهد النادل بحزن وهو يحسب الفاتورة ويجلس في مهجعه، يحك في رأسه مستخدماً أقلام الرصاص متأوهاً وبعد حوالي خمس دقائق يقول لنا الحساب والذي يبدو معقولاً للغاية بالنسبة لكميات الطعام التي أكلناها. ثم تمنى لنا حظاً سعيداً عندما غادرنا المطعم.

كانت المرحلة الثانية من رحلتنا أسفل الساحل الدماسي، وعلى طول ساحل اليونان إلى باتراس كانت هناك باخرة صغيرة. وقد وقفنا على رصيف الانتظار وكنا

قلقين إلى حد ما. ثم فجأة رأينا القارب وكان صغيراً ولم نصدق أنه القارب الذي انتظرناه. وكان يحمل اسمًا غير عاديًا يتكون من الحروف الساكنة srbn ولم نتعلم قط كيفية نطقها. ولكن كان معناها قارب بالتأكيد. كان هناك أربعة راكبين على متن القارب في كابينة- ونحن واثنان آخران في الكابينة الثانية. والذين غادروا عند الميناء التالي- ولذلك بقينا وحدنا في المركب.

وقد تناولنا بعض الطعام على هذا القارب والذي لم أرى قط طعامًا لذيذاً مثله: منها لحم الضأن اللذيذ على شكل شريحات صغيرة، وخضراوات طازجة، وأرز وصلصة باذخة وأطعمة أخرى شهية على أسياخ. وتحدثنا مع القبطان بلغة إيطالية متقطعة. وقال "هل يعجبكم الطعام؟ فأنا مسرور أن لدينا طعامًا انجليزيًا" وهو طعام انجليزي جيد" كنت آمل بصدق أن لا يأتي انجلترا لأنه سيعرف ما هو الطعام الانجليزي حقًا! وقال أنه حصل على ترقية للانتقال إلى مركب أكبر ولكنه فضل البقاء في هذا القارب لأن به طبأً جيداً، وأنه يتمتع بحياة هادئة ومسالمة ولا يزعجه الراكبين وقد أوضح: "أن كونك على قارب ومسئول عن ركاب يسبب لك متاعب طوال الوقت. لذا لم أفضل الترقية"

وقضينا أيامًا قليلة ممتعة على هذا المركب الصربي الصغير. وقفنا في موانئ متعددة مثل سانتا انا وسانتا مورا وسانتي كارانتا. وكنا نذهب إلى الشاطئ ويوضح لنا القبطان أنه سيستخدم البوق قبل الرحيل بنصف ساعة للرجوع للقارب. لذا كنا نتجول حول بساتين الزيتون ونجلس وسط الأزهار. ونسمع فجأة صوت السفينة لنعود إليها. كم كان هذا ممتعاً عندما تجلس وسط بساتين الزيتون وتشعر بالسعادة البالغة كأنها جنة عدن-جنة الله على الأرض.

وقد وصلنا أخيراً باتراس، وودعنا القبطان وأخذنا قطاراً صغيراً أوصلنا إلى أولبيا. وهو لم يحمل الركاب فقط بل كان يحمل أيضاً العديد من بق الفراش التي استوطنت أرجل البنطلون الذي ارتديه. وفي اليوم التالي كان هناك تمزيق في الملابس لأن ساقى كانت منتفخة للغاية.

اليونان لا تحتاج إلى وصف. فاولبيا كانت جميلة كما كنت اعتقد. وفي اليوم التالي وصلنا إلى قرية أندريتسينا- ولا بد أن أقول بأننا لم نأخذ تدريبًا مسبقًا على ركوب البغال مما أرهقنا في رحلة استغرقت ١٤ ساعة وقد وصلت إلى مرحلة أنني لا اعرف هل سيكون من المؤلم أن أواصل المشي سيرًا أم أجلس على ظهر البغل. وعندما وصلنا أخيرًا، نزلنا من على ظهر البغل وكنت أعانى من صعوبة في المشي واقتربت من ماكس قائلة "إنك بالفعل لا تصلح أن تتزوج أي شخص لو أنك لا تعرف كيف يشعر الشخص بعد رحلة كهذه!

فكان من المفترض ألا تأخذ هذه الرحلة أكثر من ٨ ساعات بتقديرات ماكس. وكان علي أن أضيف تقديرات أخرى لتكهناته بالنسبة للرحلة.

وقد أخذنا يومين للتعافي في قرية أندريتسينا. واعترف أنني لم أندم على الزواج منه عمومًا، وربما كان يستطيع أن يتعلم الطريقة الصحيحة لمعاملة الزوجة إذا لم يأخذها لركوب البغال حتى يستطيع حساب المسافة بدقة. لذا عندما ركبنا البغال للذهاب إلى معبد باساي في مدة لم تزيد عن ٥ ساعات لم أشعر بالإرهاق على الإطلاق.

وذهبنا إلى مايكينا وبيداوروس، وقد أقمنا في الجناح الملكي في فندق في نافبليون- به معلقات مخملية حمراء وأربعة أعمدة ضخمة ذات ستائر مطرزة بالذهب. وتناولنا وجبة الإفطار على شرفة غير آمنة إلى حد ما ولكنها مزينة تنظر من خلالها تجاه الجزيرة في البحر، ثم نزلنا للاستحمام في البحر بين أعداد كبيرة من الأسماك الهلامية.

وقد تبدو بيداوروس جميلة بالنسبة لي ولكن بالفعل كان هناك اندفاعًا نحو الطابع الأثري للمرة الأولى. كان يومًا رائعًا فقد صعدت إلى قمة المسرح وجلست هناك وتركت ماكس في المتحف يشاهد الأثريات. وقد مروقتا طويلاً ولم يأتي ماكس ليأخذني. وأخيرًا نفذ صبري فنزلت وذهبت إلى المتحف. فلا يزال ماكس ينظر إلى الأرضية وينظر إلى النقوش بسعادة كبيرة.

فسألته "هل ما زلت تقرأ هذا الشيء؟"

فرد قائلاً "نعم فهي نقوشات غير عادية، انظري هنا-هلا شرحت لك ذلك؟

فقلت بحزم "لا أعتقد ذلك" فخارج المتحف يبدو أجمل للغاية"

فقال ماكس "نعم، فأنا متأكد من ذلك"

فقلت "هل تمنع أن نذهب خارجاً"

فقال مندهشاً "أوه، لا، فهنا كل شيء رائع، اعتقد ستستمتعين بمشاهدة هذه الكتابات المنقوشة.

فقلت "لا اعتقد أنني سأجد ذلك ممتعاً". فعدت إلى قمة المسرح. والتحق بي ماكس بعد ساعة تقريباً، وكان سعيداً بعد فكه رموز جملة يونانية غامضة وهو الذي كان يشغله طوال اليوم.

وقد بدت ديلفي جميلة بشكل لا يصدق. فذهبنا لجولة في محاولة لإيجاد مكان نبني منزلاً في يوم ما. أتذكر أنه كان حلمًا جميلاً. فعندما كنت هناك منذ عام أو عامين ورأيت حافلات ضخمة تأتي وحافلات تغادر ومقاهي وهدايا تذكارية وسياح كم كنت سعيدة لأننا لم نبني منزلنا هناك.

فنحن دائماً نختار مواقع للمنازل. وكان الفضل في هذا يعود لي، فالمنازل تعكس عاطفتي وأحاسيسي، فحقاً كانت لحظة في حياتي لم تمضي طويلاً قبل اندلاع الحرب العالمية الثانية. عندما كنت أملك ثمانية منازل، أصبحت شغوفة بإيجاد المنازل المهدمة والموجودة في الأحياء الفقيرة في لندن والعمل على ترميمها وتزيينها ووضع أثاثات بها. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية اضطررت دفع التأمين الخاص بالدمار الناتج عن الحرب على كل هذه المنازل، مما كلفني الكثير. وبالرغم من ذلك، في نهاية المطاف فقد حققت هذه المنازل أرباحاً جيدة عندما بعتهما. فقد

كانت هواية ممتعة واستمرت. وأنا مهتمة دائماً بالسير بين منازلٍ للاطمئنان على سلامتها وتخمين نوع الشخص الذي يعيش فيها الآن.

في اليوم الأخير ذهبنا من ديلفي إلى البحر في ايتي. وقد رافقنا شخص يوناني لكي يبين لنا الطريق وكان ماكس يتحدث معه، فماكس يحب الاستفسار عن كل شيء، وكان يوجه له العديد من الأسئلة عن أبناء البلد الذين يرافقونه. وفي هذه الأثناء كان يسأل المرشد عن أسماء الزهور المختلفة. وكان المرشد اليوناني حريص جداً بخصوص ذلك، فماكس يشير إلى الزهرة والرجل يقول اسمها وكان ماكس يكتب الاسم في نوتة وبعد كتابته حوالي ٢٥ نوع لاحظ وجود عدد من التكرارات. فقد كرر الاسم اليوناني الذي يطلق الآن على الزهرة الزرقاء ذات الأشواك الحادة وأدرك أن نفس الاسم مستخدم لإحدى الزهور الأولى وهي القطيفة الصفراء الكبيرة. وهذا ما اتضح لنا: فاليوناني كان يخبرنا أسماء العديد من الزهور على حد علمه لأنه لم يكن يعرف الكثير وبدأ يكرر نفس الأسماء لكل زهرة جديدة. واكتشف ماكس أن قائمة أسماء الزهور البرية التي سجلها لم تعد ذات فائدة على الإطلاق.

وعندما انتهينا من جولتنا في أثينا، وقد قضينا حوالي أربعة أو خمسة أيام وقعت هناك كارثة لقاطني مدينة عدن السعداء. وقد أصبت بوباء البطن الذي انتشر في الشرق الأوسط مثل بغداد وطهران... الخ. لذا أطلقت عليه وباء الأمعاء بأثينا ولكن ثبت أنه أسوأ من ذلك.

ونهضت بعد بضعة أيام ولكن حين خرجنا في رحلة شعرت أنني مريضة ولذا عدت مرة أخرى. فقد أصبت بحمى شديدة وفي النهاية وبعد العديد من المقاومة من جانبي وفشل كل الأدوية التي تناولتها، اتصلنا بطبيب وكان يونانيًا يتكلم الفرنسية وبالرغم من أن لغتي الفرنسية كانت جيدة ولكنني لم أعرف أي من المصطلحات الطبية.

وقد أرجع الطبيب سبب مرضي إلى تناول رؤوس البوري الأحمر، فوفقاً له أنها تحمل خطراً كبيراً خصوصاً للغرباء الذين لم يعتادوا على أكلها بطريقة صحيحة.

وأخبرني الطبيب بقصة مربعة عن أحد الوزراء الذي عانى لدرجة أنه أوشك على الموت وتعافى في اللحظات الأخيرة. فقد كنت مريضة لدرجة أنني يمكن أن أموت في أي لحظة! فدرجة حرارتي كانت ١٠.٥ ولم يوجد أي شيء يعمل على خفضها إلا أن الطبيب نجح في النهاية. وفجأة شعرت أنني شفيت وعدت للحياة. وكان التفكير في تناول الطعام أمرًا مربعًا وشعرت أنني لا أريد الحركة مرة أخرى- ولكن كنت في طريقي للتعافي وكنت أعلم ذلك. وقد أخبرت ماكس أنه بإمكانه الخروج اليوم التالي.

فقال لي "إنه أمر مربع فكيف استطيع أن أتركك يا حبيبتي؟"

وكان لدينا مشكلة وهي أن ماكس عليه الوصول إلى أور في الميعاد لبناء إضافات وكماليات للمنزل المبنى من الطوب المحروق الخاص بالبعثة ليكون جاهزًا لعائلة وولي، وبقية أعضاء البعثة سيصلون في غضون أسبوعين. وقد بنى ماكس غرفة سفرة جديدة وحمام جديد لكاثرين.

قال ماكس "هم سيتفهمون الوضع، أنا متأكد". ولكن قال في شك "علمت أنهم لن يتفهموا ذلك" وقد أوضح أنهم سيرجعون تقصير أداء وعمل ماكس بسببي. وقد أصبح من الواجب علينا أن يتواجد ماكس هناك في الميعاد. فأكدت عليه أنني سأصبح على ما يرام وأني أود أن اذهب هناك وربما استغرق أسبوعًا آخر للتعافي وأني سأعود مباشرة إلى الوطن بالقطار السريع.

فماكس المسكين يبدو كأنه ممزق إلى أشلاء لشعوره الانجليزي الرائع تجاه واجباته ومسؤولياته التي ألقاها عليه ليونارد وولي. فكان يقول له "إنني أثق فيك يا ماكس. فمن حقك أن تمتع نفسك ولكن من الضروري أن توعدي بأنك ستكون هناك في اليوم المحدد وتحمل المسؤولية"

فقلت له "أنت تعرف ما سيقوله لين"

فقال لي "ولكنك مريضة بالفعل".

فقلت له "اعلم أنني مريضة ولكنهم لن يصدقوا ذلك. فسيعتقدون أنني أريد أن تمكث معي. ولو أنك ظللت مجادلًا هكذا سترتفع درجة حرارتي مرة أخرى وسأكون حقًا مريضة جدًا"

لذا في النهاية كنا نشعر أننا نبلاء وغادر ماكس في طريقه للعمل.

والشخص الوحيد الذي كان يعارض كل ذلك هو الطبيب اليوناني والذي رفع يديه إلى السماء وكان يتلفظ بكلمات فرنسية بغضب "نعم، فالانجليز متشابهون- اعرف العديد منهم لديهم نفس الطباع في كل شيء فهم لديهم صفة التفاني في عملهم وواجباتهم. فما هو العمل، وما هو الواجب حقًا؟ فالزوجة إنسان أليس كذلك؟ والزوجة مريضة، هذه كل المسألة ألا تستحق الاهتمام- عندما تكون في محنة؟"

قلت "أنت لا تعي، فإنه مهم بالفعل، أعطى كلمته أنه سيكون هناك. وهو عليه مسؤولية كبيرة"

فقال "آه، ما هي المسؤولية؟ وما هو العمل؟ وما هو الواجب؟ لا شيء، لا مودة! فالانجليز معروفون بذلك، ما هذا البرود. كم هو مخيف أن تكوني متزوجة رجلًا انجليزيًا، أنا لا أتمنى ذلك لأي امرأة، حقًا لا أتمنى ذلك- فهم ليس لديهم أية عاطفة ولا إنسانية. وتعبت من المجادلة ولكني أكدت عليه أن ذلك هو الصواب.

وقال لي محذرًا "يجب أن تكوني حذرة جدًا، فالوزير الذي أخبرتك عنه- هل تعرفين كم استغرق من الوقت قبل عودته لحالته الطبيعية؟ حوالي شهر كامل."

فأخبرته أن المعدة الانجليزية ليست كذلك وقد أكدت أنني سأتعافى بسرعة. "ثم وأصل كلامه بالفرنسية وقال يمكنني أن أعد لك طبق صغير من المكرونة المسلوقة. ولم أكن أريد شيئًا وكنت أرقد في غرفة النوم وكان لون جدارها أخضر. وقد تناولت ثلاث معالق من المكرونة ثم وضعته جانبًا. وكان يبدو من المستحيل بالنسبة لي أن استمتع بالطعام مرة أخرى.

فكرت في ماكس. فقد وصل إلى بيروت في ذلك الوقت. في اليوم التالي سيبدأ ماكس رحلته من خلال قافلة نيون عبر الصحراء. فماكس المسكين قلق بشأنني.

ولحسن الحظ لم أعد قلقة بشأن نفسي. وفي الواقع شعرت بالإثارة في فعل شيء أو الذهاب إلى مكان ما. تناولت المزيد من المكرونة المسلوقة وأصبحت أتناول الجبن المبشور عليها وتجولت حول الغرفة ثلاث مرات كل صباح لكي تقوى ساقي على المشي. وقد أخبرت الطبيب عندما وصل أنني تحسنت.

فقال لي "هذا جيد، نعم أصبحتي أفضل، ألاحظ ذلك"

قلت له "في الواقع، إنني أصبحت قادرة على العودة إلى بلدي بعد غد.

"لا تتحدثي بهذه الحماسة، لقد أخبرتك بقصة الوزير"

وقد سئمت من قصة الوزير. واستدعيت موظف الفندق وجعلته يحجز لي مقعداً في القطار السريع المتجه للشرق في غضون ثلاثة أيام. فلم أخالف تعليمات الطبيب حتى آخر ليلة قبل أن أغادر. هو أتهمني بنكران الجميل والتهور وحذرني من أنني ربما يفوتني القطار وأموت على رصيف السكة الحديدية. فقلت له "أن المعدة الانجليزية تشفى بسرعة"

وقد غادرت في الوقت المناسب. وكنت أحاول تدعيم خطواتي المترنحة من خلال بواب الفندق في الطريق إلى القطار. ورقدت على سرير الطوابق بالقطار، بعد ذلك طلبت منهم أن يحضروا لي شوربة ساخنة ولكنها كانت دسمة وأنا لا أحب ذلك، وقد استغرقت قرابة شهر لكي أتعافى تماماً وأعود إلى سابق عهدي.

وصل ماكس بسلام إلى أور، ولكنه كان قلقاً للغاية بشأنني، وقد أرسل لي العديد من التلغرافات وهو في انتظار الرد مني والتي لم تصل بعد، وقد وضع كل طاقاته في العمل ووصل إلى أبعد ما كانت تتوقعه عائلة وولي.

فقد بنى حمام كاثرين كاملاً حسب مواصفاته الخاصة - صغيراً وضيقاً قدر الإمكان - وأضاف بعض الديكورات الأخرى، وتبدو أيضاً غرفة السفارة جيدة.

وصاحت كاثرين عندما وصلت قائلة له "ولكننا لا نعى بما فعلت كل هذا"

فرد ماكس متجهماً "ظننت أن ذلك يعتبر أفضل مما كان عليه" وقد شرح لهم أنه تركني على مشارف الموت في أثينا.

فقالت كاثرين "كان يجب عليك أن تبقى معها"

فقال ماكس: "أعتقد من الأفضل أن افعل ذلك" ولكنكما ضغطا علي، وكم كان العمل مهم"

خرجت كاثرين مع لين لتخبره بأن الحمام ليس كما تريده وتحبه. وتود أن تزيله وتعيد بناؤه مرة أخرى وهذا ما حدث - وبالرغم من ذلك، فقد هنأت ماكس على التصميم الرائع لغرفة المعيشة والتغيير الذي قام به فيها.

وفي هذا السن تعلمت جيداً كيف أتعامل مع الأشخاص المزاجيين والمتقلبين من كل الأنواع - الممثلين - المنتجين والمهندسين المعماريين والموسيقيين وكذلك مع الأشخاص أمثال كاثرين وولي. فقد كانت أُمي تبدو كذلك بعض الشيء، فقد كانت تبدو في وقت ما في حالة مرعبة وكنت أقول لها "تبدين يا أُمي يائسة. فترد علي مندهشة "يائسة؟ أنا؟ هل يبدو علي ذلك!

والعديد من أصدقائنا الممثلين كانوا يبدون مزاجيين. وعندما كان "تشارلز لافتون" يقوم بدور "هركول بوارو" ويحتسى المشروبات الغازية والأيس كريم معي أثناء البروفة. شرح وجهة نظره قائلاً "إنه لشيء جيد أن نتظاهر ونكون مزاجيين، حتى وإن لم نكن كذلك. فإن وجدت ذلك مساعداً بالنسبة لي يمكن أن يكون ذلك متعباً أيضاً خصوصاً إذا لم يحدث الشيء الذي نريده".

٢

يبدو أن أنشطتي الأدبية في هذه الفترة غامضة وغريبة في ذاكرتي. فقد اعتبرت نفسي مؤلفة واقعية. فكتبت كتبًا وقصصًا نشرت. وقد بدأت تعويد نفسي على الحقيقة بأنني اعتبرهم مصدرًا محدد للدخل. ولكن عندما كنت أملأ استمارة وأقوم بكتابة المهنة فإنني أجد من الشرف لي أن أكتب "امرأة متزوجة". فقد كنت امرأة متزوجة هذه كانت حالتي الاجتماعية وهذه مهنتي. فأكتب ذلك بخط جانبي عندما أكتب الكتب فإنني لا اقترب من كتابتي بدبلجتها بالاسم الأكبر للمهنة. فقد كنت أعتقد أن ذلك مثيرًا للسخرية.

حماتي لم تستطع تفهم ذلك. فتقول "أنت تكتبين بشكل جيد عزيزتي أجاثا، ولأنك تكتبين بطريقة رائعة فعليك بالتأكيد أن تكتبي شيئًا جيدًا وأكثر جدية وأهمية؟" شيئًا يستحق" هذا ما كانت تقصده. وجدت من الصعب أن أشرح لها وجهة نظري، بأن كتاباتي كانت للمتعة الشخصية.

فقد كنت أريد أن أكون كاتبة قصص بوليسية جيدة. وبالفعل مع الوقت كنت واثقة من نفسي بصورة كافية بأنني كاتبة قصص بوليسية جيدة، فبعض كتي راضية عنها وسعيدة بها ولكنها بالطبع لا تسرني تمامًا لأنني لا أفترض أن هذا ما يجب أن يحققه المرء بالطريقة التي يفكر بها عندما تكتب ملاحظات ومذكرات عن الفصل الأول أو عندما تسير وأنت تتمتع مع نفسك وترى أن القصة قد انكشفت وتم التوصل إلى حلها.

حماتي العزيزة كما اعتقد تريد أن أكتب سير ذاتية لبعض الشخصيات الشهيرة في العالم. أنا لا استطيع التفكير في عمل أي شيء أعلم بأنني سأكون غير محترفة فيه. على أي حال لا بد أن أظل متواضعة بما يكفي لأقول بدون تفكير "نعم فأنا بالفعل لست مؤلفة" وهذا كانت تصححه لي دائمًا روزلن وتقول "ولكنك مؤلفة. فأنت بالتأكيد من أشهر المؤلفين في هذا الوقت".

ماكس المسكين أَلقت عليه مسؤولية جادة ألا وهي الزواج. والذي اكتشفته أنه لم يقرأ أي رواية. وقد أجبرته كاثرين وولي على قراءة رواية **مقتل روجر أكرويد** ولكنه لم يكمل قراءة الرواية. وجاء شخص ناقش مغزى وخاتمة الرواية أمامه بعد ذلك فقال "هل يعتبر شيئًا مثيرًا وجيدًا عندما تقرأ كتاب وأنت تعرف نهايته؟" ومع ذلك فزوجي بدأ المهمة بكل شجاعة.

وبحلول هذا الوقت كنت قد كتبت عشرة كتب على الأقل، وقد بدأ ماكس في قراءة إحدى هذه الكتب ببطء. وهو يحب قراءة الكتب المتعمقة في علم الآثار أو الكتب المتعلقة بالموضوعات الكلاسيكية. ومن المضحك أن ترى ماكس وهو يقرأ قصص الخيال العلمي كأنه حملاً ثقيلاً ومع ذلك كان متعلقاً بقراءتها. وإني فخورة بأنه أتم المهمة التي فرضها على نفسه في نهاية المطاف.

والشيء المضحك بأنني امتلك ذاكرة قليلة عن الكتب التي كتبتها بعد زواجي. أعتقد أنني كنت أمتع نفسي كثيراً في الحياة العادية بأن الكتابة كانت مهمة كنت أؤدنها بشغف وإثارة. ولم يكن لدى مكاناً محدداً للكتابة والتي كانت غرفتي هو المكان الذي أكتب فيه. وهذا سبب لي الكثير من المتاعب في السنوات التي تلت ذلك، وعندما أجريت حواراً مع مديع كان أول شيء يريده أخذ صورة فوتوغرافية لمكان عملي قائلاً "أين تكتبين كتبك؟"

فقلت له "في أي مكان".

"بالتأكيد أن هناك مكاناً تفضليته لكتابة كتبك؟"

ولكن ليس لدي مكان محدد للكتابة. كل ما احتاجه منضدة ثابتة وطابعة. وبالرغم من ذلك فإنني كنت معتادة على كتابة الفصول الأولى للكتاب يدوياً ثم القيام بطابعتها. وكانت المنضدة الرخام في غرفة النوم مكاناً جيداً للكتابة وأيضاً منضدة غرفة السفارة كانت أيضاً مناسبة.

الكثير من أصدقائي كانوا يقولون لي "نحن لا نعرف متى تكتبين كتبك لأننا لم نراك تكتبين أو نراك تذهبين بعيدًا للكتابة.

وفعليًا فإن أعمالي تبدو جيدة إلى حد ما من عام ١٩٢٩ إلى ١٩٣٢ وهناك مجموعة من القصص القصيرة التي نشرتها مثل قصص "السيد كوين الغامض" التي تعتبر من القصص المفضلة لدى. كنت أستغرق ثلاثة أو أربعة أشهر في كتابتها أو ربما أطول. وقد أبدت المجلات إعجابها بهذه القصص ولكنني رفضت كل العروض لتقديم سلسلة لأية مجلة دورية. لأنني لم أريد أن تكون هناك سلسلة لقصة السيد كوين. وهو شخصية مستلهمة من قصائدي الأولى.

فالسيد كوين هو شخصية دخلت القصة فقط كعامل محفز ليس أكثر، فوجوده يؤثر على الأشخاص الآخرين ويؤدي إلى المزيد من الحقائق. بعضها تبدو غير متصلة والتي توجه الشخصية: فرجل في صورة مهرج يلبس ملابس مليئة بالألوان والتي تظهر من خلال نافذة زجاجية، وهو صديق للعشاق ومتعلق بالموت. فالسيد ساترثويت هو مبعوث السيد كوين فهو أيضًا شخصية مفضلة بالنسبة لي.

وقد نشرت أيضًا كتاب للقصص القصيرة باسم "شركاء في الجريمة" وكل قصة كتبت بأسلوب بوليسي خاص لذلك الوقت. وأتذكر قصص ثورنللي كولتون وأوستن فريمان وبالطبع شارلوك هولمز. وهذا شيقًا عندما ترى كتاب القصص البوليسية الأثني عشر التي اخترتها ما زالت معروفة جيدًا- وبعضها أسماء لعائلات والبعض الآخر تم حتفهم في ذاكرة النسيان. والقصص كلها بدت لي أنها كتبت بشكل جيد ومسلي بأساليبهم المختلفة. فقصّة شركاء في الجريمة فيها شخصيتين في دور مفتشين شبان وهما تومي وتيوبنس، وهما يعتبران من الشخصيات الأساسية في كتابي الثاني "الخصم السري". وكان من الممتع العودة إليهم للتغيير.

وقد نشرت رواية "جريمة في القرية" سنة ١٩٣٠. ولكنني لا أتذكر أين ومتى وكيف كتبها. ولماذا كتبها أو حتى ما تم اقتراحه في تحديد شخصية جديدة وهي-

الآنسة ماربل - لكي تمثل دور المفتش السري في الرواية. وبالتأكيد في هذا الوقت لم يكن لدي نية باستمرار الشخصية في باقي القصص. ولم أكن أعرف أنها أصبحت منافسة لشخصية هر كول بوارو.

فالناس لم تتوقف في الكتابة لي هذه الأيام مقترحين أن يجتمع هر كول بوارو مع الآنسة ماربل - ولكن لم يجب أن يحدث ذلك؟ أنا متأكدة أن ذلك لن يكون ممتعاً على الإطلاق. فهر كول بوارو شخصية أنانية لن يحب أن يتعلم من سيدة عانس كبيرة في السن، فهو مفتش بوليسي محترف ولا يتواجد في البيت على الإطلاق في علم الآنسة ماربل. وكلا الشخصيتان نجوم وهم نجوم بطريقتهم الخاصة. فلن أجعلهم يجتمعوا إذا لم أشعر بحاجة مفاجئة أو غير متوقعة لعمل ذلك.

وأنا أعتقد أنه من الممكن أن تثير الآنسة ماربل المتعة والتي تم أخذها من تصوير أخت د. شيبارد في قصة "مقتل روجر أكرويد". وهي تعتبر شخصيتي المفضلة في الكتاب- فهي مليئة بالفضول، تعرف كل شيء وتسمع كل شيء: خدمة تفتيشية سرية كاملة في المنزل. عندما تم إنتاج القصة كمسرحية، كانت إحدى الأشياء التي أحزنتني حذف شخصية كارولين. بدلاً من ذلك، قدمت شخصية الدكتور مع شقيقة أخرى - أصغر منه بكثير - فتاة جميلة والتي كانت توفر جوًا وممتعة رومانسية ل بوارو.

لم يكن لدى فكرة، عندما تم اقتراح الفكرة لأول مرة كم كانت المعاناة الرهيبة مع المسرحيات وذلك بسبب التعديلات التي تتم فيها. بالفعل كتبت مسرحية بوليسية بنفسني. ولا أتذكر متى بالضبط. ولم تتم الموافقة عليها من هيو ماسي. في الواقع اقترحوا أنه من الأفضل أن تنسى تمامًا، لذا فإنني لم أمضِ قدمًا فيها. وقد أطلقت عليها "القهوة السوداء". فهي مسرحية تقليدية عن جاسوس بالرغم من أن هناك أكليشيميات عديدة ولكنها لم تحتوى على ذلك. وبعد ذلك كان هناك صديقًا لي من أيام إقامتنا في سونينغدل يدعى السيد بورمان والذي كان على علاقة بالمسرح الملكي، أقترح لي أنه ربما يمكن إنتاجها.

ودائمًا يبدو غريبًا بالنسبة لي في الشخصية التي تقوم بدور هر كول بوارو والذي دائمًا ما يكون رجلًا ضخماً. تشارلز لافتون كان ذات وزن ثقيل، وفرانسييس سوليفان كان عريضاً وثميناً وطويل القامة والذي قام بدور بوارو في "القهوة السوداء". أعتقد أن أول إنتاج كان في مسرح إيفري مان في هامبستيد، ودور لوسيا قامت به جويس بلاند والتي أعتقد أنها ممثلة رائعة.

واستمر عرض مسرحية "القهوة السوداء" قرابة أربعة أو خمسة أشهر، ولكن تم إحيائها بعد ٢٠ عامًا مع بعض التعديلات البسيطة وأديت بشكل جيد.

وعادة ما تكون المسرحيات متشابهة في الحبكة الدرامية ويتمثل التغيير في الخصم. وهناك عصابة دولية على غرار **موريارتي** والتي تم تدعيمها أولاً بواسطة الألمان في الحرب العالمية الأولى، وبعدهم الشيوعيين وخلفهم الفاشيين، فنحن لدينا الروس والصينيين وقد عدنا إلى عصابة دولية مرة أخرى. والزعمة السيادية العالمية للرجبة الإجرامية دائمًا موجودة لدى البشر.

مسرحية "عذر غياب" هي المسرحية الأولى التي أنتجت من إحدى كتي - مقتل روجر أكرويد - قام بتعديلها مايكل مورتون. والذي كان يعمل على تعديل المسرحيات. أنا لم أحب اقتراحه الأول والذي أخذ من عمر هر كول بوارو حوالي ٢٠ عامًا وأطلق عليه: العاشق بوارو. وكان هناك العديد من الفتيات يقعن في حبه. فقد كنت معارضة بشدة تغيير شخصيته تمامًا. في نهاية المطاف، كنت مع جيرالد دو موريو، الذي كان ينتج لي ويدعمني وتم إزالة شخصية كارولين شيبارد الممتازة، أخت الطبيب، وتبديلها بامرأة شابة جذابة وتغيير أسمها إلى كارلى شيبارد فاستأت من إزالة شخصية كارولين المثالية: فقد أحببت الدور الذي تلعبه في حياة القرية، أحببت فكرة حياة القرية والتي تنعكس من خلال حياة الدكتور وأخته البارعة.

وأفكر في تلك اللحظة وأنا في شارع ساينت ميري ميد بالرغم من أنني لم أكن أعرفه، ولدت الآنسة ماربل مع الآنسة هارتنل، وزيرباي، وكولونيل، ومدام بانترى - فهم جميعًا كانوا هناك ومستعدين للمجيء للحياة والخروج على المسرح.

وأنا أقرأ الآن قصة "جريمة في القرية". لم أكن سعيدة كما كنت من قبل. فقد كان بها العديد من الشخصيات والحكايات الدرامية الفرعية، ولكن على أي حال فالحبكة الرئيسية للرواية هي الصوت. فالقرية حقيقية بالنسبة لي، فحقًا أن هناك العديد من القرى تشبهها إلى حد كبير حتى في هذه الأيام، خادمت صغيرات من دور الأيتام، وخادمت مدرّبين تدريبًا جيدًا، وأيضًا في هذه الأيام يوجد سيدات مهرة مثل أسلافهم.

وقد دخلت الآنسة ماربل بهدوء في حياتي، ولم أتخيل اختفاءها قط. فكتبت سلسلة من ستة قصص قصيرة لمجلة وقد اخترت ٦ أشخاص والذين اعتقد أنني أقابلهم مرة في الأسبوع في قرية صغيرة وأقوم بوصف بعض الجرائم التي ليس لها حل. بدأت مع الآنسة جين ماربل سيدة كبيرة والتي كانت تشبه إلى حد كبير جدتي- وسيدات كبيرات في السن اللاتي التقيت بهن في العديد من القرى حيث ذهبت للإقامة هناك عندما كنت صغيرة. وعلى أي حال لم تكن الآنسة ماربل صورة من جدتي، فهي كانت عصبية وربما يعود ذلك لكونها عانس ولكن يوجد شيء مشترك بينهما بأنها شخصية مرحة وأنها تتوقع الأسوأ دائمًا من كل شخص وكل شيء. وتقريبًا كل شيء يبدو مخيفًا يكون شكها في محله ويثبت صدقه.

وقد منحت الآنسة ماربل شيئًا ما من قدرات جراني في التكهن والتخمين. ولم تكن شخصية ماربل فظة أو قاسية فهي فقط لم تكن تثق بالناس. وبالرغم من أنها تتوقع الأسوأ لكنها غالبًا كانت تتقبل الناس بلطف وطيبة بالرغم مما كانوا يفعلونه.

وقد ظهرت الآنسة ماربل وهي في سن ٦٥-٧٠ عامًا وقد أعطيت آنسة ماربل خمسة زملاء لسلسلة القصص الستة. أولها ابن أخيها: روائي حديث والذي تناول موضوعات جريئة في كتبه مثل زنا المحارم والجنس والأوصاف الدنيئة لغرف النوم ودورات المياه- فكان الجانب الصارخ والجريء للحياة هو ما رآه ريموند ويست. فهو تعامل مع عمته الجميلة المحبوبة الكبيرة بكل لطف وتسامح كأنه لا يعلم أي شيء

في العالم. ثانياً ابتكرت شخصية امرأة شابة وهي رسامة حديثة. وكان هناك السيد بيتيجرو وهو محامى محلى كبير في السن والذي كان داهية، الطبيب المحلى شخص متدرب يعرف الحالات التي تأتى له ويقوم بحلها: وهناك رجل دين.

وكتبت ستة قصص أخرى للأنسة ماربل، أي سلسلة متكونة من ١٢ قصة والتي نشرت في انجلترا تحت عنوان: "ثلاثة عشر لغزاً" وفي أمريكا باسم "نادي الجريمة أو منتدى الثلاثة".

وكان "خطر في البيت الأخير" إحدى كتبي التي تركت انطباعاً قليلاً في ذهني ولا أستطيع حتى أن أتذكر كتابته. ربما بالفعل فكرت في الحبكة الدرامية بعض الوقت في السابق وذلك كانت عادتي دائماً. وغالباً ما يختلط الأمر علي بين وقت كتابة ونشر الكتاب. فالحبكات تظهر لدي كالحظات غريبة: فعندما أمشي على طول الشارع وأنظر إلى محلات بيع القبعات باهتمام خاص، فجأة تأتى في رأسي فكرة رائعة، وأفكر، فهي تعتبر وسيلة بارعة في التغطية والتستر على الجريمة. لذا فأى شخص لا يستطيع رؤية العقدة. بالطبع لا تزال كل تفاصيل العملية بحاجة إلى الصياغة، والناس بحاجة إلى التسلسل ببطء إلى أفكارى، ولكنني أقوم بتدوين فكري الرائعة في كتاب التمرين.

وهذا كان جيداً إلى حد كبير- فعادة ما أمتلك نصف دسنة من كتب التمارين، وعادة ما أقوم بعمل ملاحظات على الأفكار التي تثيرني مثل جرائم السموم أو المخدرات أو الحيل الذكية في النصب، كل ذلك أقوم بقراءته وتدوينه في ورق. بالطبع أحتفظ بكل هذه الأشياء وأصنفها بدقة وأضعها في ملفات والتي أنقذتني من الوقوع في متاعب. وهى أيضاً من دواعي سروري بعض الأحيان، وعندما انظر إلى كومة من المذكرات القديمة للعثور على شيء ما مثل: الحبكة المحتملة ل (افعلها بنفسك- الفتاة-الأخت غير الشقيقة-أغسطس) مع عمل تخطيط للحبكة. وكل ذلك تقريباً لا أتذكره الآن، ولكن غالباً ما يحفزني فإذا لم اكتب نفس الحبكة المطابقة، فعلى الأقل اكتب شيئاً مماثلاً.

فهناك حيكات تثير ذهني وأحب أن أفكر فيها مع العلم أن يومًا ما قمت بكتابتها. فأخذت رواية **مقتل روجر أكرويد** وقتًا طويلًا في التفكير قبل أن اكتب التفاصيل بثبات. وكان يأتي لدي أفكارًا أخرى بعد البدء في كتابة دور روث دراير. ففكرت كم كانت ذكية وكم كان تمثيلها جيدًا: فالطريقة المدهشة التي من خلالها قامت بالانتقال من زوجة مزعجة إلى فتاة قرية تخدم الكاتدرائية. والتفكير بها قادني إلى كتابة رواية "**موت اللورد ادجوير**".

وعندما بدأت في كتابة القصص البوليسية لم يكن لدي مزاج في انتقادهم أو التفكير بجدية في الجريمة. فالقصة البوليسية لم تكن فقط قصة مطاردة بل كانت أيضًا قصة تتناول قيم معينة. في الواقع كانت حكاية أخلاق كل فرد، ومطاردة الشر وانتصار الخير. وفي الحرب العالمية الأولى ١٩١٤. فاعل الشر ليس بطلاً فالعدو كان شريرًا أما البطل طيب فالأمر كان بسيطًا. فنحن لم نبدأ في الدخول في علم النفس. فقد كنت مثل أي شخص ألف كتبًا أو قرأها فدائمًا نكون ضد المجرم ونتعاطف مع الضحية البريء.

كان هناك استثناء واحد في البطل الشعبي **رافيلز** وهو لاعب كريكييت ناجح مع نظيره **باني**. اعتقد أنني شعرت بالصدمة قليلًا من رافيلز وعندما أعود الآن إلى الماضي فإنني أشعر بالصدمة أكثر مما كنت عليه سابقًا على الرغم من أنه كان ذلك موجودًا في تقاليد الماضي. فهو من نوع روبن هود. ولكن رافيلز كان باستثناء ذلك- فهو أرعن- فلم يكن هناك شخص يحلم أنه سيأتي الوقت ويقرأ كتب الجريمة لحبه في العنف والمتعة السادية في ممارسة الوحشية لذاتها. فيمكن أن يعتقد الشخص أن المجتمع ينتفض ضد هذه الأشياء ولكن على ما يبدو أن القسوة تقريبًا مثل الخبز والزبد الذي نتناوله كل يوم. وأنا أتساءل كيف يكون الأمر كذلك مستمرًا. عندما يعتبر الشخص أن الغالبية العظمى من الناس من فتيان وفتيات وشيوخ ومبدعين ومثقفين وهم يعملون أشياء لمساعدة الكبار في السن فهم حريصين على تقديم الخدمات. والأقلية كما أطلق عليهم اسم "الحاقدين" وهم قلة

إلى حد ما ولكن مثل كل الأقليات هذا ما يجعل الأغلبية بعيدة عن كل ما تفعله الأقليات.

وكنتيجة لتألفي كتب الجريمة اهتممت بدراسة علم الجريمة. وأنا مهتمة خصوصًا بقراءة الكتب المرتبطة بالمجرمين. وهؤلاء بلا شك موجودين في روايات مثل ريتشارد الثالث لشكسبير والذي كان يقول "الشر هو طريق الخير لي" هم اختاروا الشر، أنا اعتقد، مثل ما فعله شيطان ميلتون: فهو أراد أن يكون عظيم ويمتلك القوة، وأراد أن يصبح في مكانة الإله. فلم يكن يحبه ولم يكن لديه تواضع. فقلت لنفسي من خلال تأملي للحياة "إن لم يكن هناك تواضع لانتهى البشر".

ومن الأشياء الممتعة في كتابة القصص البوليسية أن هناك أنواع عديدة للاختيار مثل: مسرحية خفيفة ومثيرة أو قصة بوليسية معقدة مع حبكة مثيرة للاهتمام من الناحية الفنية، والتي تتطلب قدرًا كبيرًا من العمل ولكن دائمًا ما تكون مجزية، ومن ثم فما أصفه فقط في القصة البوليسية بأن هناك عاطفة خلفها- أي عاطفة مساعدة وإنقاذ البراءة، لأن البراءة هي الهدف والموضوع وليس الشعور بالذنب.

لا استطيع إعطاء حكم على هؤلاء الذين يقتلون- لكنني اعتقد أنهم أشرار بالنسبة للمجتمع. فهم لا يحملون إلا الكراهية، ولذا يمكن للشخص أن يشفق عليهم ولكن أنا لا أشفق أو ارق عليهم. فقلبك يشفق ويرق لرجل خارج من قرية منكوبة مصابة بالطاعون في العصور الوسطى لكي يندمج مع الأطفال الأصحاء والأبرياء في قرية مجاورة. فيجب حماية الأبرياء ويجب أن يعيشوا في سلام ومحبة مع جيرانهم.

والشيء الذي يزعجني أنه لا يوجد أحد يعتني بالأبرياء. عندما تقرأ عن قضية قتل فلا يوجد شخص يكون مشفقًا من صورة امرأة هرمة في محل سجناء صغير تهول للحصول على علبة سجناء للسفاح وتهاجم وتضرب حتى الموت. فلا تجد

شخص يتعاطف معها ويهتم بآلمها، ولم يوجد أحد شعر بعذاب الضحية- ولكن كانوا مشفقين على القاتل الشاب نظرًا لأنه شاب صغير.

لماذا لم يوافقوا على إعدامه؟ فنحن نتعود على حياة الذئاب في هذا البلد ولا نحاول تعليم الذئب أن يرقد مع الحمل- فأنا أشك بالفعل أننا نستطيع ذلك. فنحن نصطاد الخنزير البري في الجبال قبل أن يأتي ويقتل الأطفال. فهم أعدائنا ويجب التخلص منهم.

وماذا نفعل مع هؤلاء المملطخين بجرائم القسوة والكراهية. فحياة الآخرين تذهب هباءً ف هؤلاء غالبًا لديهم موطنًا وفرص جيدة وتعليم جيد ولكن يتحولون إلى "أشرار" في لغتنا الدارجة. فهل يوجد علاج للشر، ماذا نستطيع أن نفعل مع القاتل؟ فلا يوجد سجن مدى الحياة- أكثر قسوة من كأس شراب الشوكران (سم) في اليونان القديمة. فالإجابة النموذجية التي وجدناها، أشك، أنها كانت الانتقال إلى أرض واسعة وفارغة مع أشخاص بدائيين حيث يعيشون في ضواحي بدائية.

دعونا نواجه هذا الاعتقاد بأن ما نعتبره عيوبًا هي السمات الشخصية. بدون قسوة وبدون انعدام تام للرحمة، ربما لم يستمر هذا الإنسان في التواجد وربما قد محي. فربما كان الإنسان الشرير في هذه الأيام إنسانًا ناجحًا. أي أنه كان مهمًا ثم أصبح غير مهم أي يمثل خطر الآن.

ويبدو لي أن الأمل الوحيد أن يتم الحكم عليه بالخدمة الإلزامية لإفادة المجتمع عمومًا. فيمكن للمجرم أن يختار بين كأس الشوكران (السم) أو عرض نفسه للبحث التجريبي. على سبيل المثال، هناك العديد من مجالات البحث خصوصًا في الطب حيث أن موضوع الإنسان ضرورة حيوية، حيث أن التجارب على الحيوان لا تفيد في أبحاث معينة. في الوقت الحاضر يبدو لي أن العالم نفسه وهو الباحث المجد الذي يخاطر بحياته يحتاج إلى أشخاص يساعدونه في بحثه وقد يوجد أشخاص قبلوا فترة محددة لقيام التجارب عليهم بدلًا من الموت فإذا نجوا يمكنهم أن يفيدوا أنفسهم ويحرروا ويتم إزالة علامة قابيل من جباههم.

وهذا لا يجعل هناك فرق بينهم وبين الأشخاص العاديين فهم يقولون "حسنًا، كان لنا حظًا سعيدًا على أي حال" فإن حقيقة المجتمع بأنه يدين لهؤلاء بالشكر والذي يؤدي إلى بعض الفروق فينبغي ألا يضع الشخص أملًا كبيرًا ولكن عليه أن يضع أملًا قليلًا. وهم على الأقل لديهم فرصة لعمل جدير بالاهتمام وللهروب أيضًا من العقاب، وقد ينجحون في اقتناص هذه الفرصة مع البدء مرة أخرى. فربما لا يبدؤون بشكل مختلف؟ ومن المحتمل لا يشعرون حتى بالفخر بذاتهم؟

وإذا لم يكن ذلك، فيمكننا أن نقول الله يرحمهم. ليس في هذه الحياة ولكن في الآخرة فهم ينتقلون إلى الحياة الأخرى. ولكن الشيء المهم لا يزال يكمن في الأبرياء. هؤلاء الذين يعيشون بصدق وبلا خوف في هذا العصر والذين يطلبون الحماية والنجاة من الأذى. فهؤلاء هم القضية.

ربما تجد للشر علاج شافي- لكن هؤلاء يمكنهم أن يطيبوا قلوبنا مرة أخرى ويومًا ما ربما يعيدوا ترتيب جيناتنا وتغيير خلايانا. ونفكر أيضًا في عدد المشوهين، وهذا يكمن في اكتشاف الزيادة أو النقص في الغدد الدرقية.

وهذا يبدو أنه أخذ منى شوطًا طويلًا في القصص البوليسية. وهذا يفسر سبب اهتمامي الزائد بالضحايا عن المجرمين، فإنني أكون مليئة بالشعور بالانتصار خصوصًا عندما أنقذ الضحية من الوقوع في وادي ظلال الموت.

أو الرجوع من وادي ظلال الموت، وقد قررت عدم ترتيب هذا الكتاب أكثر من اللازم. فانا أتحدث إلى نفسي كثيرًا فكون الشخص كاتبًا أو مؤلفًا يعرضه لمحادثة نفسه كثيرًا.

فمنذ أن كنت في سن الرابعة كنت أتحدث مع القطط ولا زلت افعل ذلك إلى الآن.

في مارس من العام التالي ذهبت إلى أور. وقد قابلني ماكس في المحطة. فزواجنا كان لفترة قصيرة قبل الفراق. وما يثير دهشتي أنني كنت اشعر أنني قد عرفته وقابلته في يوم ما. وكان ماكس يكتب لي رسائله كاملة وكنت على علم دائماً بتقديمه في حفر الأثریات. وقبل رحلتنا إلى الوطن قضيت بضعة أيام في منزل الإرساليات والبعثات. واستقبلني كلا من لين وكاثرين بحرارة بالغة وأخذني ماكس إلى أعمال الحفر.

ولم نكن محظوظين بسبب الطقس لأنه كان هناك عاصفة ترابية ولقد لاحظت أن ماكس يغلق عينيه بشده بسبب الأتربة. بينما كنت أتعثر وأنا أمشي خلفه وأغمض عيني من شدة الرياح، ثم لاحظت ماكس يفتح عينيه على ما يبدو وكانت أول فكرة تطرأ إلي هي محاولة الوصول إلى المنزل. وكنت أتمسك بهذا المنزل، على الرغم من عدم الشعور بالراحة، فإنني كنت مهتمة للغاية بجميع الأشياء التي كان يكتبها ماكس.

وعند نهاية موسم البعثة، قررنا العودة للوطن عن طريق بلاد فارس. وحجزنا في طائرة صغيرة- بدأت رحلتها من بغداد لبلاد فارس. وكانت طائرة ذات محرك واحد وطيار واحد وكنا نشعر بالمغامرة. ربما كانت مغامرة إلى حد ما فكنا نحلق فوق قمم الجبال طوال الوقت.

وكانت المحطة الأولى في مطار حمدان والمحطة الثانية في طهران.

ومن طهران إلى شيراز، وأتذكر كم كانت تبدو جميلة- فهي مثل جوهرة الزمردة الخضراء في صحراء كبيرة ملونة بلون رمادي وبني وتبدو أن الزمردة أشد خضرة. وأخيراً وصلنا إلى مدينة خضراء بها واحة ونخيل وحدائق. لم أتخيل كيف تكون هناك صحراء في بلاد فارس، والآن فهمت سبب تقدير الفرس للحدائق لأنه كان من الصعب جداً إيجاد حدائق.

وقد ذهبنا إلى منزل جميل، أتذكره إلى الآن. وبعد سنوات في زيارتنا الثانية لشيراز حاولت جاهدة إيجاد مرة أخرى ولكنني فشلت. وفي المرة الثالثة نجحنا. فقد تعرفت عليه لأنه كان في إحدى الغرف صور متعددة مرسومة في ميداليات على الأسقف والجدران. وكان إحداها لجسر هولبورن. وعلى ما تبدو كانت لشاه في العصر الفيكتوري. وبعد زيارتنا للندن تم إرسال فنان للعودة هناك لمعرفة التعليمات حول رسم ميداليات متعددة لمناظر أراد تصويرها وبعد سنوات عديدة لا يزال جسر هولبورن كما هو مع وجود خدوش بسيطة. وكان المنزل قد تضرر بالفعل ولم يعد أحدًا يعيش فيه ولكنه لا يزال جميلًا، وبالرغم من خطورة المشي فيه إلا أنني استخدمته لإعداد قصة قصيرة بعنوان "منزل في شيراز".

ومن شيراز انتقلنا بالسيارة إلى أصفهان. وكانت على مسافة طويلة وعرة في الصحراء وبين حين وآخر كنا نمر على قرية قحله. وكنا نضطر أن نتوقف بالليل في منزل بدائي للاستراحة. وكان لدينا بساط ولوحات للنوم عليها والتي أعطاهَا لنا بعض الفلاحين.

مرت علينا ليلة قاسية ومؤلمة للغاية. فصلاية اللوحات لم تكن مريحة عند النوم عليهما، فالمرفقين والكوعين والأكتاف كان بهما رضوض في هذه الساعات القليلة وكان النوم غير مريح في غرفة نوم في فندق ببغداد. وقد اكتشفت السبب ووجدت أنه يوجد تحت الفراش لوحة ثقيلة موضوعة للحماية ضد التواء أو ترهل الشبكة السلكية للسيرير. وكانت هناك سيدة عراقية تستخدم الغرفة الأخيرة فكان الصبي المتواجد في الفندق يفسر لها وضع هذه اللوحة لأن الشخص لا يستطيع النوم بسبب الليونة لذا توضع اللوحة للحصول على راحة جيدة.

وقد استأنفنا مسيرتنا ووصلنا إلى أصفهان، ومنذ ذلك الوقت صنفنا أصفهان بالنسبة لي كأجمل مدينة في العالم. لم أشاهد أي شيء أجمل من ألوانها الرائعة، مثل الزهور والطيور والأرابيسك بألوانه الزرقاء والروز والذهبي، ومباني

خرافية وكل مكان به بلاط ملون وجميل-نعم إنها مدينة أرض الخيال. وبعد أن رأيته لأول مرة لم أزرها مرة أخرى منذ ما يقارب من ٢٠ عامًا وكنت مرعوبة من الذهاب هناك لأنني اعتقدت أنها ستصبح مختلفة تمامًا. ولحسن الحظ فقد تغيرت تغيرًا طفيفًا. وبطبيعة الحال كان هناك شوارع أكثر حداثة، وعدد قليل من المتاجر الحديثة، ولكن كل من المساجد الإسلامية العظيمة والمحاكم والبلاط والنافورات ما زالت موجودة، وكانت الناس أقل تعصبًا مع مرور الوقت فالمرء باستطاعته زيارة العديد من التصميمات الداخلية للمساجد التي كان يتعذر الوصول إليها من قبل.

قررنا أنا وماكس مواصلة رحلتنا للوطن عبر روسيا. وكان هناك صعوبة بالغة بخصوص جوازات السفر والفيزا والمال وكل شيء. لذلك ذهبنا إلى بنك إيران. والذي كان عبارة عن مبنى رائع فهو أكثر من وصفه كقصر وليس مجرد مؤسسة مالية- وفي الواقع كان من الصعب العثور على مكان الصرف، وأخيرًا وصلنا خلال ممر به مجموعة من النافورات في غرفة الانتظار الواسعة وكان هناك على مسافة شبان يرتدون بدل أوروبية يكتبون على منضدة شباك البنك في دفاتر ولكن بقدر ما كنت أرى في الشرق الأوسط أنك لا تجرى معاملات تجارية عند شباك البنك. فأنت دائمًا تحول إلى المدير، المدير الفرعي، أو على الأقل شخص يمثل المدير.

ويعطي موظف البنك إشارة إلى ساعي والذي يقف بزي جميل ويلوح لك للذهاب إلى أي قاعة من القاعات العديدة ويختفي، ومع مرور الوقت يعود ويشير لك لإتباعه ثم يأخذك إلى سلالم رخامية غاية في الروعة إلى الطابق العلوي ويقودك إلى باب غاية في الجمال. ويقوم مرشدك بالضغط عليه لفتحه ثم يذهب ويتركك تقف خارجًا، والبشاشة تكون على وجهه ويظهر نفسه مسرورًا بأنك جاوزت الاختبار بنجاح ودخلت الغرفة وتشعر كأنك لا تقل عن أحد أمراء أثيوبيا.

وترى رجلًا ساحرًا وهو بدين إلى حد ما يحييك بلغة انجليزية أو فرنسية بطلاقة ويشير إليك لتجلس ويقدم لك قهوة أو شاي ويسألك متى وصلت، وإذا كنت

تحب طهران ويسألك أيضًا من أي بلد أنت، وأخيرًا يسألك ما الشيء الذي تريده. فتتذكر الإجراءات الخاصة بشيكات المسافرين. ويطرق جرس على مكتبه ويدخل ساعي آخر ويقول السيد إبراهيم وصل، ويقوم الساعي بتقديم القهوة، ويكون هناك حديثًا مطوّلًا عن السفر والسياسة العامة للدولة وفشل أو نجاح المحاصيل.

وقد وصل السيد إبراهيم، وكان مرتديًا بدله أوروبية لونها بني أرجواني وهو في حوالي الثلاثين من عمره. وقد شرح المدير طلباتنا وذكرنا المبلغ الذي نريده وقدم ٦ استثمارات أو أكثر للتوقيع. وقد أختفي السيد إبراهيم ومن ثم انتظرنا طويلاً.

وفي هذه اللحظة تحدث ماكس عن إمكانية زهابنا لروسيا. فتمهد مدير البنك ورفع يديه قائلاً

"سوف تواجهكم صعوبات"

قال ماكس "نعم أتوقع أنه قد توجد صعوبات، ولكن بالتأكيد ليس أمرًا مستحيلًا، أليس كذلك؟ فلا يوجد شروط فعلية لعبور الحدود؟

فرد المدير "في الوقت الحالي لا يوجد تمثيلًا دبلوماسيًا لبلدك ولا يوجد قنصليات هناك"

فقال ماكس "لا" فهو يعرف أنه لا يوجد قنصليات هناك، ولكن يعي أنه لا يوجد حظر لدخول الانجليز للبلاد لو أرادوا ذلك.

فرد المدير "لا يوجد أي حظر على الإطلاق، ولكن بالطبع أنت تريد أن تأخذ المال معك"

فرد ماكس "بالتأكيد، أتوقع أنني سأأخذ المال معي.

قال مدير البنك بحزن "لا يوجد معاملات مالية قانونية بيننا"

وقد أصبت بالدهشة، فماكس يعرف الأساليب الشرقية في المعاملات التجارية فليس جديدًا عليه، ولكن هذا يبدو غريبًا لي فكيف تكون المعاملات البنكية غير قانونية وتمارس حتى الآن.

شرح مدير البنك قائلاً "هم يغيرون القوانين، يغيروها طوال الوقت وعلى أي حال فهي تتعارض مع بعضها. فهناك قانون ينص على أنه لا يجوز لك إخراج المال في استثمار واحدة، وقانون ينص على أنك لك الحق في امتلاك استثمار واحدة من خلالها تخرج المال. واستطرد "الشخص يقوم بالشيء الأفضل في هذا اليوم من الشهر الجاري فأنا أخبركم بذلك، وأضاف "ربما تفهمتم ما أقصده وراء ذلك فبإمكاني ترتيب هذه المعاملة المالية وإرسالها إلى سوق العملة. ويمكن أن أوفر لكم النوع الأنسب من المال الذي تأخذه ولكن كل ذلك سيكون غير قانوني"

وقال ماكس أنه يتفهم ذلك تمامًا، وقد كان المدير مسرورًا، وأخبرنا أنه يعتقد أننا سنستمتع بالرحلة كثيرًا. فقال "هل تودون الذهاب إلى قزوين بالسيارة؟ فإنها ستكون رحلة جميلة. فستذهبون إلى ريشت ومن ريشت ستذهبون بالقارب إلى باكو. وهو قارب روسي. لا أعرف أي شيء عنه، لا شيء على الإطلاق، ولكن يذهب الناس هناك بهذا القارب.

وتدل لهجته على أن الذين يذهبون من خلاله لا يعرف شيئًا عما يحدث لهم بعد ذلك. وقد حذرنا "لستم مضطرين لأخذ المال فقط ولكن يجب أن تأخذوا بعض الطعام. لا أعرف إذا كان هناك أي ترتيبات للحصول على الأطعمة في روسيا. وعلى أية حال لا يوجد ترتيبات للحصول على الطعام في القطار من باكو إلى باطوم -يجب عليكم أخذ كل شيء معكم".

وقد ناقشنا موضوع الإقامة في الفندق والمشاكل الأخرى، وجميعها صعبة على حد سواء.

وفي هذا الوقت حضر رجل آخر ببدله أرجوانية. كان أصغر من السيد إبراهيم، أسمه السيد محمد. وقد أحضر السيد محمد معه العديد من الاستثمارات والتي وقع عليها ماكس وطلب أيضًا مبالغ صغيرة من المال لشراء الطوابع اللازمة. وقد استدعى الساعي وأرسله إلى سوق العملة.

وقد ظهر السيد إبراهيم ثانية. وقد أظهر المبلغ الذي طلبناه على شكل فئات كبيرة بدلًا من فئات صغيرة كما طلبنا.

وقال بنبرة حزينة ولكن سيكون ذلك صعبًا للغاية". فكما ترون أحيانًا يكون لدينا العديد من فئة واحدة وأيام أخرى يكون لدينا الكثير من فئة أخرى. فهذا حظكم" فرد ماكس "ونحن نقبل حظنا السيئ في هذه الحالة".

وقد حاول المدير أن يكرم ضيافتنا بإرسال الساعي لطلب قهوة أخرى. واستدار قائلاً من الأفضل أن تأخذوا كل المال على قدر استطاعتكم لروسيا بالعملة الإيرانية، فهذه العملة غير قانونية في بلاد فارس ولكنها الشيء الوحيد الذي يمكن أن تستخدموه هنا لأنه سيتم تداولها في سوق المال".

وقد أرسل المدير ساعي آخر لسوق العملة لتغيير كميات كبيرة لتحويلها إلى العملة الإيرانية وقد تم تحويل هذه العملة إلى دولارات (ماريا تيريزا) وهي من الفضة النقية وثقيلة للغاية.

وقد سأل "هل جوازات سفركم جاهزة؟"

فقمنا بالرد عليه "أجل"

فتساءل أيضًا "هل صالحة للإتحاد السوفيتي؟" فقلنا "نعم" فكانت جوازات السفر صالحة لكل الدول الأوروبية بما فيها الإتحاد السوفيتي.

فاستطرد قائلاً "إذن كل شيء على ما يرام، فبدون شك التأشيرة ستكون سهلة، ويجب عليكم أن تجهزوا ترتيباتكم والسيارة التي تستقلونها—وسيوفر لكم

الفندق ذلك-ويجب عليكم أن تأخذوا طعامًا كافيًا لثلاث أو أربعة أيام. فالرحلة من باكو إلى باطوم تستمر عدة أيام".

فقال ماكس إنه أيضًا يحب أن يأخذ استراحة في تفليس.

"لذا يمكنكم الاستفسار عند الحصول على التأشيرة، بالرغم من أنني لا أعتقد أن ذلك ممكنًا"

وهذا ضايق ماكس. ومع ذلك، تقبل ماكس الأمر، فودعناه وشكرناه. وممر ساعتان ونصف.

وقد عدنا إلى فندقنا حيث نظام غذائنا رتيب إلى حد ما فقال النادل "يوجد لدينا اليوم كافيار جيد جدًا وطازج، وكنا متحمسين لتناول الكافيار. لأنه كان رخيص وتناولنا كميات كبيرة من الكافيار، وقد كلفنا فقط خمسة شلنات. وقد حدث لنا خفقان عندما تناولناه على الإفطار- فلا أحد يمكنه تناول الكافيار في الإفطار.

فسألت النادل "ماذا لديكم في الإفطار؟"

فرد "كافيار طازج"

فقلت "لا، أنا لا أريد الكافيار، أريد شيئًا آخر، بيض أو لحم خنزير مقدد؟"

فقال "لا يوجد شيئًا آخر. يوجد خبز".

فتساءلت بدهشة "لا يوجد شيئًا آخر على الإطلاق! وماذا عن البيض؟"

فقال النادل بحزم "الكافيار طازج جدًا"

نحن لدينا القليل من الكافيار وكمية كبيرة من الخبز. الشيء الوحيد الذي عرض لنا في وجبة الغذاء باستثناء الكافيار يسمى "لا تورت" وهو نوع من الحلويات المصنوعة من تورته المربي، ثقيلة، ولكن نكهتها لذيذة.

وتشاورنا مع النادل عن الطعام الذي يجب أن نأخذه معنا إلى روسيا. وكل ما ذكره النادل عمومًا هو الكافيار. فاتفقنا على أخذ علبتين كبيرتين منه. وقد اقترح أيضًا النادل أن نأخذ ستة بطات مطبوخة. بالإضافة إلى ذلك أخذنا خبز وعلبة بسكويت وعلب مربى ورطل من الشاي للسائق. فهل يمكننا تقديم هدية الشاي للسائق؟ على أي حال أخذنا شاي وقهوة.

بعد العشاء قمنا بمحادثة رجل فرنسي شاب وزوجته. والذي كان مهتم بسماع رحلتنا، وكان يهز رأسه قائلاً "هذا مستحيل، هذا مستحيل يا مدام. كيف تخاطرون بركوب قارب ريشت إلى باكو؟ قال ذلك بلغة فرنسية رائعة.

أصر الرجل الفرنسي بحزم قائلاً: "لا يمكنك أخذ المدام هنا";

ثم أشار بعدها إلى ماكس قائلاً: "أعتقد أنها مصابة بالعدوى، على أية حال لقد حصلنا على الكثير من بودة الحشرات وأشياء من هذا القبيل.

ومن ثم فقد بدأنا في التحرك في الوقت المناسب حاملين مبالغ من التومان وأعطينا أوراق اعتمادنا إلى القنصلية الروسية التي كانت حريصة على عدم السماح لنا بالنزول في تيفليس. كما استأجرنا سيارة جيدة وانطلقنا في رحلتنا.

وكانت الرحلة التي قمنا بها وصولًا إلى بحر قزوين جميلة. فقد تسلقنا أولًا التلال الصخرية المجردة، ومن ثم فعندما وصلنا إلى أعلى قمة بدأنا في النزول من الجانب الآخر حيث وجدنا أنفسنا في عالم آخر، وأخيرًا وصلنا إلى مدينة ريشت ذات الطقس الدافئ والأمطار المتساقطة.

وقد كان بصحبتنا مرشدًا حتى وصلنا إلى القارب الروسي حيث شعرنا ببعض الضجر. فقد كان كل شيء مختلفًا تمام الاختلاف عن إيران والعراق. أولًا كان القارب نظيفًا للغاية، حيث كان نظيفًا كنظافة المستشفى بل أكثر نظافة من المستشفى. كما كانت المقصورات الصغيرة الموجودة في القارب تحتوي على مراتب

سميكة محشوة بالقش وملاءات سرير مصنوعة من القطن الخشن وإبريق معدني بسيط وحوض. كما كان طاقم القارب يشبهون الإنسان الآلي: حيث كان طولهم جميعًا يبلغ ستة أقدام، وذوي شعر أشقر وكانت ترتسم على وجوههم علامات الصمت. وكانوا يتعاملون معنا بكل أدب، ولكن على الرغم من ذلك فإننا لم نكن نشعر أننا متواجدين في هذا المكان بالفعل. فقد كنت أنا وماكس نشعر تمامًا مثل الزوجين الانتحاريين في مسرحية قفزة إلى الخارج حيث كان الزوج وزوجته يتجولون في القارب مثلهم مثل الأشباح. فلم يكن أحد يتحدث إلينا ولم ينظر إلينا أحد ولم يعير لنا أحد أي اهتمام.

ومع ذلك ففي هذا الوقت رأينا أن الطعام يقدم في الصالون، ولذلك ذهبنا إلى الباب ونظرنا نظرة مليئة بالأمل، إلا أنه لم يشر إلينا أحد ولم يبدو أن أحدًا يرانا على الإطلاق. وأخيرًا استجمع ماكس شجاعته وبادر متسائلًا إذا كان بإمكاننا تناول بعض الطعام. إلا أنه يبدو أنهم لم يفهموا طلبه بوضوح. ولذلك حاول ماكس أن يتحدث بالفرنسية والعربية والفارسية التي يعرف القليل عنها، ولكن دون فائدة. وأخيرًا أشار بإصبعه بحزم إلى حلقه، وهي حركة قديمة معروفة للجميع. وعلى الفور قام الرجل بسحب مقعدين على الطاولة وجلسنا، ثم تم إحضار الطعام لنا. لقد كان طعامًا شهياً، وعلى الرغم من كونه بسيطاً لكن تكلفته كانت باهظة للغاية.

ثم بعد ذلك وصلنا إلى مدينة باكو، حيث التقينا بوكيل فندق إنتوريست الذي كان جذاباً ولديه كمًا كبيراً من المعلومات كما كان يتحدث الفرنسية بطلاقة. وقد نصحن أنه يعتقد أن علينا الذهاب لمشاهدة مسرحية فوست في الأوبرا. ومع ذلك فإنني لم أكن أرغب في ذلك حيث شعرت بأنني لم أقطع كل هذه المسافة إلى روسيا لكي أشاهد مسرحية فوست في الأوبرا. لذلك فإنه استطرد قائلاً أنه سيرتب لنا أحد العروض الترفيهية الأخرى. ومن ثم فبدلاً من الذهاب لمشاهدة مسرحية فوست ذهبنا لمشاهدة العديد من مواقع البناء المختلفة والشقق نصف المبنية.

وعند نزولنا من القارب كانت الإجراءات بسيطة، حيث توجه إلينا ستة أشخاص لحمل الأمتعة يشبهون الإنسان الآلي بترتيب أقدميتهم. وأخبرنا وكيل فندق إنتوربيست أن تكلفة حمل الأمتعة هي روبل واحد لكل قطعة. ثم تقدم إلينا حملة الأمتعة وحمل كل منهم قطعة واحدة. حيث حمل أحدهم حقيبة ماكس الثقيلة المليئة بالكتب وهو الأقل حظًا، فيما حمل شخص آخر منهم وهو سعيد الحظ شمسية واحدة -إلا أنه يجب أن ندفع نفس المبلغ لكليهما.

لقد كان الفندق الذي نزلنا فيه غريبًا أيضًا. حيث أعتقد أنه يوحى أنه كان في يوم من الأيام فندقًا فاخر، كما كان الأثاث كبير الحجم إلا أنه من الطراز القديم حيث تم طلاؤه باللون الأبيض كما كان مليئًا بنقوش الورود والأطفال الصغيرة على شكل ملائكة. ولسبب ما لا أعرفه كانت جميع أجزاء الأثاث في وسط الغرفة، ومع ذلك قام ناقلو الأثاث بتحريك أحد خزانات الملابس وأحد المناضد وأحد الخزانات ذات الأدراج وتركوا باقي الأثاث. وحتى السرائر لم تكن موضوعة قرب جدران الغرفة، ولكنها كانت من طراز جميل وكانت مريحة، وكان عليها ملاءات مصنوعة من القطن الخشن إلا أنها كانت صغيرة للغاية ولا تغطي المرتبة بالكامل.

وطلب ماكس بعض الماء الدافئ للحلاقة في صباح اليوم التالي، إلا أن الحظ لم يحالفه. فقد كانت كلمتي "ماء دافئ" هما الكلمتين الوحيدتين اللتين يعرف معناهما باللغة الروسية، إلى جانب كلمتي "من فضلك" و"شكرًا لك". هزت المرأة التي طلب منها ماكس هذا الطلب رأسها وأحضرت لنا في الحال إبريق كبير مليء بالماء البارد. فيما أن ماكس حاول نطق كلمة دافئ عدة مرات لكي تفهمها ولكن دون جدوى، كما حاول التوضيح بالإشارة حيث وضع آلة الحلاقة على ذقنه موضحًا لها سبب حاجته للماء الدافئ. لكنها هزت رأسها ونظرت إليه بتعجب واستنكار.

ومن ثم فإنني بادرت قائلة: "أعتقد أنك تبدو كأحد الأرستقراطيين المترفين بطلبك لماء دافئ للحلاقة. من الأفضل أن تكف عن هذا"

وقد بدا كل شيء في مدينة باكو وكأنه يوم العطلة الأسبوعية في اسكتلندا. حيث أنه لم يكن هناك أي مظهر من مظاهر الترف والمتعة في الشوارع، فقد كانت المتاجر مغلقة، وكان يقف أمام المتجر أو المتجرين الوحيدين المفتوحين وأمامهم صفوف طويلة من الزبائن، فقد كان الأشخاص ينتظرون بفارغ صبرهم طوال هذا الوقت للحصول على سلع غير جذابة.

وقد رأنا وكيل فندق إنتوريست ننتظر القطار، حيث كان صف الأشخاص المنتظرين للحصول على تذاكر طويل جدًا، ومن ثم فإنه صرح قائلاً: "سأبحث عن بعض المقاعد المحجوزة" ثم انطلق مبتعدًا. وظللنا نتحرك ببطء في الصف.

وفجأة بدأ أحد الأشخاص بالربت على ذراعي، لقد كانت سيدة أتت من مكان أمامي في الصف وكانت ترتسم على شفتيها ابتسامة عريضة. في الحقيقة كان كل الأشخاص الموجودين يبتسمون حتى لو لم يكن هناك أي شيء يستدعي الابتسام، حيث كانوا ودودين بطبيعتهم. ثم بعد ذلك أومأت إلينا السيدة مشيرة إلينا لكي نتقدم إلى الأمام في الصف. إلا أننا لم نفضل فعل ذلك وظللنا في الخلف، ولكن جميع الأشخاص الموجودين في الصف أصرروا على تقدمنا للأمام. حيث ربتوا على أذرعنا وأكتافنا وظلوا يومئون ويشيرون إلينا. وفي النهاية جذبنا أحدهم من ذراعنا وتحرك بنا بقوة إلى الأمام ثم تنحت السيدة المتواجدة في مقدمة الصف جانبًا وانحنيت لنا وراسمة ابتسامة على شفتيها. وهكذا اشترينا التذاكر التي نريدها من سورشيت.

ثم أتى وكيل فندق إنتوريست مرة أخرى قائلاً: "أوه، إنكم على استعداد للمغادرة"

فأجابه ماكس بارتياح: "لقد أعطانا هؤلاء الأشخاص اللطيفين أماكنهم. ليتك تستطيع التوضيح لهم أننا لم نرغب في أخذ أماكنهم"

إلا أنه استطرد قائلاً: "ولكنهم يفعلون ذلك دومًا، في الحقيقة إنهم يستمتعون بالرجوع إلى الخلف في الصف. ألا تعلم أن الوقوف في الصف يحتل مكانة كبيرة

عندهم. إنهم يحبون إطالة وقت وقوفهم في الصف بقدر الإمكان. حيث أنهم شديدي الأدب مع الأغراب".

إنهم كذلك فعلاً. وعند مغادرتنا لركوب القطار قاموا بالتلويح والإيماء لنا. إلا أن رصيف انتظار القطار كان مزدحمًا، ومع ذلك فقد اكتشفنا مؤخرًا أنه ليس هناك أحد من هذا الجمع بالكامل سيستقل القطار سوانا. فإنهم قد أتوا إلى هناك فقط للترفيه عن أنفسهم وللتمتع بفترة ظهيرتهم في هذا المكان. وفي النهاية تمكنا من الوصول إلى عربتنا الخاصة، وودعنا وكيل فندق إنتوريست وأكد لنا أنه سيقابلنا في باطوم خلال ثلاثة أيام وسيسير كل شيء على ما يرام.

وتابع: "أعتقد لم تجلبوا إبريق شاي معكم. لا تقلقوا ستعيركم إحدى السيدات واحدًا بدون شك"

وقد اكتشفت ما كان يعنيه وكيل فندق إنتوريست فيما بعد، عندما توقف القطار في أول محطة له بعد مرور ما يقرب من ساعتين، حيث ربت إحدى السيدات المسنات التي كانت بصحبتنا بقوة على كتفي، ولوحت لي بإبريق الشاي الخاص بها وحاولت التوضيح لنا من خلال أحد الفتيان الذي كان يقف في إحدى الزوايا والذي يتحدث الألمانية إن ما علينا فعله هو صب القليل من الشاي في إبريق الشاي الخاص بنا وأخذه معنا إلى غرفة المحرك حيث سيوفر لنا السائق ماء دافئ. وقد كنا أحضرنا أكواب معنا، فلهذا أكدت السيدة أنها ستقوم بالباقي ثم ذهبت، وعندما عادت كان معها كوبين من الشاي يتصاعد منهما البخار. ولهذا فتحنا حقائبنا وقدمنا البعض لأصدقائنا الجدد، وسارت رحلتنا على ما يرام طوال الطريق.

كما تناولنا الطعام بصورة جيدة إلى حد ما- حيث أننا لحسن الحظ حصلنا على لحم البط قبل أن يفسد، كما تناولنا بعضًا من الخبز الذي أصبح يابسًا. كما كنا نأمل أن نتمكن من شراء الخبز أثناء طريقنا إلا أن ذلك كان يبدو مستحيلًا.

حيث كنا على أمل أن نحصل على وجبة كافيار في أقرب وقت ممكن. فيما كان آخر يوم في رحلتنا بمثابة شبه مجاعة حيث لم يكن لدينا أي طعام متبقي سوى جناح البط وعلبتين من مربى الأناناس. ومع أن تناول علبة كاملة من مربى الأناناس بدون أي إضافات يسبب الغثيان إلا أنها تخفف من ألم الجوع.

وفي النهاية وصلنا إلى باطوم عند منتصف الليل حيث كانت السماء تهطل بالأمطار. وبطبيعة الحال لم تكن حجزنا في فندق، لذلك قضينا الساعات المتبقية من الليل في محطة القطار بجانب أمتعتنا. ولم يظهر أحد من وكلاء فندق إنتوريست لمقابلتنا. وقد كانت هناك عربة حنطور منتظرة ذات كابينة متهاكة شبيهة بعربات فيكتوريا ذات الطراز القديم ولكننا كالعادة كنا مجبرين على استقلالها، لذلك ساعدنا السائق في الركوب ثم وضع أمتعتنا حولنا. ثم أخبرناه بعد ذلك أننا نريد الذهاب إلى أحد الفنادق، فأومأ برأسه بصورة باعثة على الأمل وضرب الحصان بسوطه وانطلقنا مسرعين لدرجة أننا نكاد نسقط من العربة في الشوارع المبتلة بمياه الأمطار.

ثم وصلنا سريعاً إلى أحد الفنادق وأشار إلينا السائق بدخول الفندق أولاً، وقد اكتشفنا السبب وراء ذلك سريعاً، حيث أنه حالما دخلنا الفندق أخبرونا أنه ليست هناك غرف شاغرة. ولذلك تساءلنا عن أي الأماكن الأخرى التي يمكننا الذهاب إليها، ولكن الرجل هز رأسه فقط مشيراً إلى عدم معرفته بأي مكان. ثم خرجنا وانطلق بنا السائق مرة أخرى، حيث ذهبنا إلى ما يقرب من سبعة فنادق أخرى، ولكنها كلها كان لا يوجد بها غرف شاغرة.

وعند وصولنا إلى الفندق الثامن أشار ماكس إلى أنه كان يجب علينا أن نتخذ تدابير أكثر صرامة، حيث أننا لو كنا فعلنا ذلك كنا سنجد مكان للمبيت. وعند وصولنا ألقينا بأنفسنا على الأريكة الفخمة الموجودة في الصالة وبدت علينا ملامح الحيرة عندما علمنا أنه ليس هناك غرف شاغرة. وفي النهاية لوح إلينا موظفو

الاستقبال والموظفون الآخرون ونظروا إلينا في يأس إلا أن علامات الحيرة ظلت مرتسمة على وجهينا. وظللنا نتحدث لهم من حين لآخر بمختلف اللغات اعتقادًا منا أنهم قد يدركون أننا نريد غرفة لقضاء بقية الليلة فيها. وفي النهاية تركونا وذهبوا، ثم دخل إلينا السائق ووضع أمتعتنا بجانبنا ثم غادر مبتعدًا وودعنا ملوحًا لنا بيديه.

ثم بادرت متسائلة بغباء: "ألا تعتقد أننا كنا من الأفضل أن نحرق قواربنا الآن؟"

فأجاب ماكس: "هذا هو أملنا الوحيد، في حالة إذا ما لم نجد أي وسيلة للانتقال من هذا المكان. كما أن أمتعتنا موجودة هنا، أعتقد أنهم سيفعلون شيئًا ما حيالنا"

ومرت عشرون دقيقة، ثم ظهر لنا بصيص من الأمل متمثلًا في رجل عريض المنكبين يصل طوله إلى أكثر من ستة أقدام وذو شارب أسود مخيف مرتديًا حذاء لركوب الخيل ويبدو تمامًا مثل إحدى شخصيات الباليه الروسي. فحدقت في وجهه بإعجاب ثم ابتسم إلينا وربت على كتفينا بصورة ودية وأومأ إلينا بإتباعه. ثم صعد درجتين من درجات السلم باتجاه الطابق العلوي، ودفع بيديه باب علوي في السقف ثم أسند إلي أحد السلالم. لقد بدا الأمر غير طبيعيًا ولكن ليس أمامنا خيار آخر، ومن ثم قام ماكس بجذبي من يدي بعد صعوده وصعدنا إلى السطح. ثم قادنا الرجل الذي ما زال ملوحًا ومبتسمًا إلينا عبر السطح إلى سطح المنزل المجاور، ثم بعد ذلك قادنا إلى أحد الأبواب العلوية الأخرى، حيث رأينا غرفة علوية كبيرة ذات أساس جيد وسريرين. ثم ربت الرجل بيديه على السرير وأشار إلينا ثم اختفى، وبعد ذلك أحضر لنا جميع أمتعتنا. ولحسن الحظ أنه لم تكن معنا أمتعة كثيرة في هذا الوقت، فقد أخذوها منا في مدينة باكو وأخبرنا وكيل فندق إنتوريست أننا سوف نجدها بانتظارنا في باطوم. ولهذا كنا نأمل أن تصل أمتعتنا في اليوم التالي، وفي نفس الوقت كان كل ما نريده هو مجرد سرير للنوم.

وفي اليوم التالي كنا نريد السؤال عن الطريق إلى القارب الفرنسي الذي كان سيبحر في هذا اليوم إلى إستانبول والذي حجزنا تذاكر فيه مسبقًا. ولذلك حاولنا شرح ذلك إلى مضيفنا إلا أنه لم يفهمنا، ويبدو أنه لم يفهمنا أي شخص آخر. ولهذا خرجنا من الغرفة وبحثنا في الطرقات بأنفسنا عن الطريق، حيث أنني لم أكن أدرك قط مدى صعوبة البحث عن شاطئ البحر عندما لا تتمكن من رؤية البحر بسبب التلال التي تمنع الرؤية. ولهذا سلكنا أحد الطرق ثم سلكنا طريقًا ثانيًا ثم طريقًا ثالثًا حيث كنا نسأل دومًا عند مفترق كل طريق عن القارب باستخدام مختلف اللغات التي نعرفها وباستخدام كلمات مختلفة مثل "الميناء" أو "رصيف الميناء": إلا أنه لم يفهم أي شخص الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية. وفي النهاية تمكنا من إيجاد طريق عودتنا تجاه الفندق.

ثم رسم ماكس صورة على قصاصة ورقية تحتوي على قارب، ولهذا أدرك مضيفنا على الفور ما كنا نعنيه. فأخذنا تجاه غرفة الجلوس الكائنة في الطابق الأول وأجلسنا على الأريكة وشرح لنا باستخدام إشارات الصم والبكم أنه علينا أن ننتظر هنا. وبعد مرور نصف ساعة ظهر لنا مرة أخرى بصحبة رجل مسن في سيارة أجرة زرقاء متحدثًا بالفرنسية. ويبدو أن هذا الرجل المسن كان يعمل حاملًا للحقائب في أحد الفنادق في أحد الأوقات السابقة ومازال يتعامل مع الزوار. حيث أنه أوضح استعداداه على الفور أن يقودنا تجاه القارب وأن يحمل حقائبنا أيضًا إلى هناك.

ولكن في بادئ الأمر كان علينا طلب استعادة أمتعتنا التي كان ينبغي أن تصل من مدينة باكو. لذلك أخذنا الرجل المسن مباشرة إلى ما كان يبدو وكأنه أحد السجون ثم أخذونا هناك حيث وجدنا أمتعتنا في إحدى الزنانات شديدة الحراسة حيث جلسنا في منتصفها في صمت. ثم بعد ذلك حملها هذا الرجل المسن وانطلق بنا تجاه الميناء، وقد كان يتدمر طوال الطريق مما أثار غضبنا، حيث كان أخرشيء نأمل حدوثه هو أن ننتقد إحدى الحكومات التي لا يوجد بها قنصلية تابعة لنا، الأمر الذي يمكن أن ينقذنا في حالة حدوث فوضى.

لذلك حاولنا أن نهدي هذا الرجل المسن ونسكته ولكن دون جدوى. حيث قال: "أوه، إن الأشياء لا تتم وفقًا لما هو مقرر لها. هل تستطيع إيجاد سببًا لذلك؟ هل ترى هذا المعطف الذي أرتديه الآن؟ إنه معطف جيد، بالتأكيد، ولكنه ليس ملكي؟ لا، إنه ملك الحكومة. ففي الأيام الخوالي لم يكن لدي معطف واحد فقط، بل كان لدي أربعة معاطف. ربما لم يكونوا بنفس جودة هذا المعطف، ولكنهم كانوا ملكي. كانوا أربعة معاطف-معطف للشتاء ومعطف للصيف ومعطف للأمطار ومعطف أنيق..كان لدي أربعة معاطف!

في النهاية، تكلم بصوت هادئ وقال: "من الممنوع منعًا باتًا إعطاء أي بقشيش للخدمة هنا لذلك لو كنت تفكر في إعطائي أي شيء، فيمكنك أن تعطيني إياه أثناء سيرنا أسفل هذا الشارع الصغير هنا". فأني إشارة واضحة لن يتم تجاهلها، وبما أن خدماته لا تقدر بثمن فقد قسمنا علي أنفسنا مبلغًا كبيرًا من المال وأعطيناه له. ثم عبر عن استحسانه وتذمره من الحكومة، وفي النهاية أشار بكل فخر إلي أحواض السفن حيث القارب البحري كان ينتظر علي الرصيف.

لقد استمتعنا بنزهة رائعة عند البحر الأسود، الشيء الذي أتذكره بأنه كان أفضل ما في النزهة، هو أثناء وجودنا في ميناء اينيبولو، حيث وضعوا علي ظهر المركب ثمانية أو عشرة أزواج من الدببة البنية الصغيرة. وكما سمعت بأنهم كانوا ذاهبين إلي حديقة حيوان في مرسيليا وقد حزنت لأمرهم كثيرًا: حيث كانوا بالكامل علي هيئة دمي دببة، حتى يلقون مصيرهم السيئ-إما يتم إطلاقهم بالرصاص أو شيء ما آخر غير مقبول. حيث كان من المفترض أن يستمتعوا علي الأقل برحلة بحرية في البحر الأسود. وهذا ما يجعلني أضحك كلما تذكرت هذا البحار الفرنسي قوي البنية يعمل علي إطعام الدببة الصغيرة واحدًا تلو الآخر من خلال زجاجة الإطعام.



الشيء الثاني الذي حدث في حياتنا وكان علي قدر كبير من الأهمية هو أخذنا لزيارة د.كامبل تومبسن وزوجته في عطلة الأسبوع حتى يتم فحصي قبل أن يسمح لي بالذهاب إلي نينوي. وقام ماكس بالإعداد للذهاب والحفر معهم في الخريف والشتاء القادمين. لم تكن عائلة وولي سعداء بمغادرته أور ولكنه صمم علي التغيير.

قام سي. تي. كما هو معروف بذلك عادة، بإجراء بعض الاختبارات المعينة على الأشخاص. وكان إحدى هذه الاختبارات، اختبار: التدافع والمثابرة عبر البلاد. فأختار أشخاص مثلي يودون البقاء ويأخذهم خارجًا في يوم مطير، ومن الممكن أن يكون في بلد وعرة ويراقبهم أي نوع من الأحذية سيرتدونها، وما إذا كانوا قد كلوا وتعبوا وما إذا كانوا موافقين علي التنقيب خلال الحواجز والعبور من وسط الأخشاب. لقد كنت قادرة علي اجتياز الاختبار بنجاح، وذلك من خلال قيامي بالكثير من المشي والاستكشاف. لم تمثل البلد الوعرة بالنسبة لي أي رعب أو إرهاب. ولكنني كنت مسرورة لأنها لم تكن أرض محروثة بالكامل التي أعتقد أنها متعبة للغاية.

أما الاختبار الثاني فكان لاكتشاف عما إذا كنت سريعة الاهتياج للأكل. وقد اكتشف سي. تي أنني قادرة على أكل أي شيء، وهذا ما أسعده. كان شغوفًا أيضًا بقراءة قصصي البوليسية، والتي جعلته يقف في صفي ويؤيدني. وبعد أن قرر أنني أصلح للسفر إلى نينوي، فقد أعدت الأشياء اللازمة. وكان من المقرر لماكس أن يذهب هناك في سبتمبر، وألحق به في نهاية أكتوبر.

وكانت خطتي أن أقضي عدة أسابيع في الكتابة والاسترخاء في رودس، ثم بعد ذلك أبحر إلي ميناء الإسكندرية حيث أعرف القنصل البريطاني هناك. وهناك سأستقل سيارة لكي تأخذني إلى حلب، ومن حلب يمكنني أن أستقل القطار إلى

نصيبين علي الحدود التركية العراقية، ومن هناك سأستغرق حوالي ثماني ساعات حتى أصل إلى الموصل.

وكانت الخطة جيدة، وقد وافقني عليها ماكس والذي سيقابلني في الموصل- ولكن ترتيبات السفر في الشرق الأوسط نادرًا ما تتم وفق الخطة. من الممكن أن يكون البحر المتوسط هائجًا، وبعد أن دخلنا مرسين، كانت الأمواج ترتفع، وكنت راقدة أئن في سريري. شعر الخادم الإيطالي بالشفقة تجاهي، وانزعج من حقيقة أنني لم أعد أريد أن أكل أي شيء. وعلى فترات، كان يدخل رأسه ويحاول أن يغريني بأشياء من قائمة طعام اليوم. وكان يقول "أحضر لك مكرونة سباجيتي رائعة. إنها جيدة وغنية بصلصة الطماطم الجميلة- ستحبونها كثيرًا". تأوهت حينها وقلت "أوه". فمجرد فكرة المكرونة الاسباجيتي الدهنية الحارة مع صلصة الطماطم، هذا ما قد هزمني. وهو سيعود لاحقًا ويقول "عندي شيء لك ستحبينه الآن. أوراق الكرمة بزيت الزيتون-ملفوفة بالأرز، جيدة للغاية". بدأت أتأوه أكثر فأكثر. ومرة واحدة أحضر لي سلطانية شوربة، ولكن طبقة الدهن التي كانت عليها جعلتني أوافق عليها.

وعندما كنا نقرب من الإسكندرية وقفت على قدمي. وبينما كنت واقفة شاعرة بأني أفضل في هذه الرياح شديدة البرودة، أخبروني بأني مطلوبة في كابينة القبطان. وأخبروني بأن السفينة لن تكون قادرة علي دخول الإسكندرية حيث قال "إن الأمواج هائجة، ليس من السهل الوصول إلى هناك كما ترين". كان ذلك بالفعل شيء خطير. وبدأ لي أنه لن يمكنني حتى الاتصال بالقنصل.

وسألت "ماذا يمكنني أن أفعل؟"

وهز القبطان كتفيه وقال "ينبغي علينا أن نستمر إلى بيروت، وليس هناك مجال آخر"

لقد فزعنت!!! بيروت كانت في الاتجاه الخاطئ تمامًا، ومع ذلك فلا بد أن

أتحمل.

وقال القبطان بشجاعة "نحن لن نضع عليك مسئولية أكثر" "ولكننا غير قادرين أن نهبط هناك، فقررنا أن نأخذك إلى الميناء التالي"

وكان البحر هادئاً نوعاً ما في الوقت الذي وصلنا فيه إلى بيروت، ولكنه كان لا زال هائجاً، ثم انتقلت إلى قطار بطيء وأوصلني إلى حلب في مدة طويلة. ما أستطيع أن أتذكره أن المدة كانت يوماً كاملاً أو أكثر، على الأقل ستة عشرة ساعة. ولم يكن هناك في القطار أي نوع من المراحيض، وعندما تقف في المحطة لا تعرف إذا كان هناك مراحيض أم لا. فلا بد أن أتحمل ذلك لمدة ستة عشرة ساعة، ولكن لحسن الحظ أنني سلكت هذا الاتجاه.

وقد أخذت قطار الشرق السريع في اليوم التالي إلى تل كوتشيك، التي كانت المحطة النهائية في خط السكة الحديدية الذي يبدأ من برلين إلى بغداد، وفي تل كوتشيك كان حظي سيئ أكثر. فقد كان الطقس سيئاً للغاية وكان الطريق المؤدى إلى الموصل منجرقاً بالمياه. وكان لابد أن أقضى يومين في منزل الاستراحة- الذي كان بدائياً، ولم يكن لدى أي شيء أفعله هناك على الإطلاق، فتجولت حول شبكة الأسلاك الشائكة ومشيت مسافة قصيرة إلى الصحراء، ثم رجعت. وكانت الوجبات هي نفسها في كل مرة: بيض مقلي ودجاج جامد صعب القطع، وقرأت الكتاب الوحيد الذي كان معي، وبعد ذلك استغرقت في التفكير!

وفي النهاية، وصلت إلى منزل الاستراحة في الموصل. وبدأ الكلام غامضاً لي عندما وصلت إلى هناك، ووجدت ماكس واقفاً على درجات السلم لاستقبالي.

وسألته "لما لم تقلق علي عندما لم أصل من ثلاثة أيام؟"

فقال ماكس "أوه لا" إن هذا يحدث غالباً"

وانطلقنا إلى المنزل الذي اشتراه كامبل تومبسن بالقرب من التل الكبير في نينوى وكان بعيداً عن الموصل بما يقرب من ميل ونصف، وكان المنزل جذاباً- إنه

المنزل الذي يجب أن أفكر فيه بالحب والعاطفة، فكان ذو سقف مسطح وغرفة مرتفعة مربعة على جانب واحد منه، وشرفة رخامية جميلة. وكان لدي أنا وماكس غرفة في الطابق العلوي مفروشة بأثاث، وصناديق برتقالية وسريرين من أنواع سرائر المخيمات، وكان حول هذا البيت الصغير كمية من شجيرات الورد، وعندما وصلت كان بها الكثير من براعم الورد لونها وردي. واعتقدت أن هذه الورد ستختفي في صباح الغد، كيف ستبدو هذه الورد الجميلة ولكنها لم تختفي، ففي الصباح كانت براعم الورد لا زالت موجودة. هذه ظاهره طبيعية لم أستطيع أن أفهمها، فشمعية الورد لم تتفتح بالليل بالتأكيد، ولكن كانت الحقيقة أن هذه الورد تنمو لتنتج عطرًا ويأتي الناس في الرابعة صباحًا لكي يلتقطوها عندما تتفتح وبحلول الفجر يبقى المحصول القادم للورد كاملاً.

إن عمل ماكس يتطلب القدرة على ركوب الخيل. وكنت أشك كثيرًا في قدرته على ركوب الخيل في ذلك الوقت، ولكنه أصر على أنه يستطيع وقبل المجيء حضر مسابقة ركوب خيل في لندن. وكان شيء مقلق أن ندرك أن سى تى كان رجل اقتصادي في حياته، على الرغم من كونه أكثر الناس سخاء كان يدفع لعماله أقل أجره ممكنة في كثير من الأوقات. وكان واحدًا من الاقتصاديين الذي لم يدفع الكثير مقابل حصانه ومن ثم فكانت أي خيل يشتريها من الممكن أن تحمل صفات غير سارة تبقى مختبئة حتى يدبر لها طريقة لبيعها. وعادة ما يربها حتى لو كانت غير صالحة للسباق. وفي الطرق الموحلة في أعلى التل ظهر على ماكس اللامبالاة القصوى.

فقال سى تى لماكس "تذكر" قبل مغادرة إنجلترا "أنك لو سقطت من فوق حصانك فهذا يعنى أنه لن يحترمك عاملاً من عمالك أو يعطى لك قدر".

وبدأت الطقوس في الخامسة صباحًا، وصعد سى تى إلى سطح التل وشاركه ماكس وكان هناك بعض الإشارات المعينة، فيتم إرسال إشارة بمصباح في الليل إلى

المراقب في أعلى تل نينوى. وتبلغ هذه الرسالة أن الطقس مناسب للمضي قدمًا في العمل، وكان ذلك في الخريف مما يعنى أنها قد تمطر وذلك أمر مقلق، ولابد أن يأتي كثيرًا من العمال من على بعد ميلين أو ثلاث، ويبحثون عن ضوء منارة في التل ليعرفوا هل سيبدءون من المنزل أم لا. وفي الوقت المناسب غادر ماكس وسى تى راكبين خيولهم لكي يصعدوا إلى أعلى التل.

وتمشيت أنا وبربارا كامبل تومبسن إلى التل في حوالي الثامنة صباحًا حيث تناولن وجبة الإفطار معًا: بيض مسلوق وشاي وخبز بلدي. وفي هذه الأيام من شهر أكتوبر كان الجو لطيفًا، على الرغم من أنه في الأشهر الأخرى كان باردًا وحينئذ نرتدي ملابس ثقيلة. وكان التجوال بالبلد جميلًا: وتلوح من بعيد الجبال والتلال، وبعض الأحيان الجبال التركية والجليد يغطيها، وعند النظر إلى الطريق الآخر، ترى نهر دجله ومدينة الموصل ومآذنها. ثم عدنا إلى المنزل وقررنا الذهاب لنزهة الغداء مرة أخرى لاحقًا.

واختلفت مع سى تى ذات مرة ولكنه تقدم نحوى بلطف، وأعتزز لأنني شعرت انه قلل من شأني. وكل ما أريده أن أشتري طاولة من البازار. وأستطيع الاحتفاظ بملاسي في الصناديق البرتقالية، ولكنى استخدمها في الجلوس عليها، حيث أضعها بجانب السرير لكن كل ما أريده أن أمارس عملي الخاص، أن أكتب على طاولة ثابتة، وأن أضع تحتها قدمي، ولم يكن هناك أي استفسار من سى تى عن شراء الطاولة- وكنت أريد شرائها-ولكنه نظري نظرة وضيفة لأنني سأفقد مالي على شيء غير ضروري على الإطلاق. ولكنني أكدت له على أنها ضرورية للغاية.

وقد أوضحت له أن الكتابة هي عملي لذلك فإنني لابد من امتلاك أدوات مخصصه لذلك: آلة كاتبه وقلم رصاص وطاولة، أستطيع أن أجلس عليها، لذلك أعطى سى تى الطاولة لى على الفور، على الرغم من أنه كان غير راضيًا، وأصررت على امتلاك طاولة ثابتة ذات أربع أرجل، وذات سطح ثابت عندما ألمسه، والتي

كلفني ١٠ دولار- وأعتقد أن هذا الأمر تطلب منه خمسة عشر يومًا لكي يغفر لي هذا البذخ الفاخر. ومع ذلك سعدت عندما امتلكت الطاولة وأعتقد سى تى أن يستفسر بلطف عن تقدمي في عملي، وحينما كان يستفسر كنت أكتب كتابًا عن "موت اللورد ادجوير" والهيكال العظمي الذي أتى ليضيء مقبرة اللورد ادجوير الموجود في التل.

لقد كانت فكرة الذهاب إلى نينوي بالنسبة إلى ماكس هي لحفر حفرة عميقة في أحد تلال نينوي. فلم يكن سي تى متحمسًا، ولكنهم وافقوا مسبقًا على أن ماكس ينبغي أن يفعل ذلك. ففي علم الآثار أصبحت فترة ما قبل التاريخ هي الموضة السائدة في ذلك الوقت. حيث أن جميع الحفريات تقريبًا التي تمت حتى هذا الوقت كانت ذات طبيعة تاريخية، إلا أنه في الوقت الحالي أصبح الجميع مهتمين بحضارة ما قبل التاريخ التي لم يعرف عنها حتى ذلك الحين سوى القليل.

وقد فحصوا تلال غامضة في جميع أنحاء البلدة، وكانوا يلتقطون قطعًا من الفخار المطلي أينما ذهبوا ويضعون عليها علامات ويحفظونها في حقائب، كما كانوا يفحصون العينات-لقد كان هذا الأمر ممتعًا. فعلى الرغم من أنه كان قديمًا للغاية-إلا أنه كان حديثًا بالنسبة لنا!

ونظرًا إلى أن الكتابة لم تكن معروفة بعد في وقت صنع هذه الأواني الفخارية، فإن معرفة التاريخ الذي تعود إليه كان أمرًا صعبًا للغاية. حيث كان من الصعب معرفة ما إذا كانت إحدى هذه الأواني مصنوعة قبل الأخرى أم بعدها. وقد قامت عائلة وولي في أور بحفر حفرة بمستوى الفيضانات وأعماق، كما كانت الأنية الفخارية المطلية التابعة لتل عبيد تؤدي إلى تكهّنات كثيرة. كما كانت هناك حشرة لدغت ماكس- وفي الحقيقة كانت الحفرة العميقة التي حفرناها في نينوي مثيرة للغاية، حيث أنه سرعان ما اتضح أن هذا التل الكبير الذي يصل ارتفاعه إلى ٩٠ قدم، كان يعود ثلاثة أرباعه إلى عصور ما قبل التاريخ، وهو الأمر الذي لم يفكر فيه

أحد مطلقًا من ذي قبل. فيما كانت المستويات العلوية فقط من هذا التل تعود إلى العصر الآشوري.

وفيما بعد أصبحت الحفرة العميقة مخيفة جدًا، حيث أنه كان يتوجب عليهم أن يستمروا في أعمال الحفر بعمق ٩٠ قدم لكي يصلوا إلى التربة البكر. وقد انتهت هذه الأعمال بالكامل بحلول نهاية الفصل. فقد كان سي تي، الذي كان يتحلى بقدر كبير من الشجاعة؛ دومًا ينزل مع العمال بنفسه في بعض الأيام. إلا أنه كان يعاني من دوار المرتفعات، وكان ذلك يزعجه. بينما ماكس لم يكن يعاني من هذا الدوار كما كان سعيدًا لصعوده إلى أعلى وهبوطه إلى الأسفل.

بيد أن العمال كانوا بعيدون كل البعد عن إصابتهم بأي نوع من أنواع الدوار مثلهم مثل جميع العرب، حيث كانوا يهرولون صعودًا ونزولًا عبر الجسر الحلزوني الضيق الذي كان رطبًا وزلقًا في الصباح، وكانوا يرمون السلالم إلى بعضهم البعض ويحملون الأوساخ ويمازحون بعضهم بالتدافع والتزاحم على بعد شبر واحد من قمة التل.

وقد اعتاد سي تي على التأوه قائلاً: "أوه يا إلهي! ويشبك يديه حول رأسه ولا يستطيع النظر إليهم في الأسفل، كما كان يتمتم قائلاً: "سوف يلقي أحدهم نحبه قريبًا"

ولكن الشكر للرب لم يلقي أحدًا نحبه، فقد كانت أقدامهم مستقرة على الأرض كالجمال.

وفي يوم من أيام راحتنا، قررنا أن نؤجر سيارة ونذهب لنرى تل نمرود الكبير، الذي أكتشفه عالم الآثار البريطاني لايارد قبل مائة عام. وقد قابل ماكس بعض المصاعب في الوصول هناك بسبب سوء الطرق، حيث أن معظم الطرق كانت لا بد أن تكون من داخل البلد ولا يمكن العبور في الغالب من خلال الأودية وقنوات الري، ولكن في النهاية وصلنا وقمنا بنزهة هناك، وكما كان هذا المكان جميلًا. وكان

نهر دجلة على بعد ميلاً واحداً، وكان في تل أكروبوليس الكبير حجارة كبيرة على شكل رؤوس مطحونة في التربة. وكان هناك جناح هائل لمارد ضخمة. حيث أنه كان على امتداد مذهب لبلد مسالم رومانسي ومشرباً بالماضي.

وأذكر ماكس وهو يقول "هذا هو المكان الذي أرغب أن أحفر فيه، ولكن يجب أن يكون هذا الحفر على نطاق واسع. فلابد للمرء أن يجمع كثيراً من المال ولكن إن استطعت ذلك فهذا هو التل الذي اختاره، وبعيداً عن العالم كله" تهتت قائلة، آوه، لا افترض أن ذلك سيحدث أبداً"

ويسقط كتاب ماكس أمامي الآن "نمرود وبقاياها". وكم كنت سعيدة أن أمنيقي قد تحققت واستيقظ نمرود من سباتها الذي استمر مئات السنين. حيث بدأ لا يارد هذا العمل وأتمه زوجي.

فاكتشف أسرار أخرى له: مثل فورت شلمنصر العظيم خارج حدود المدينة، والقصور الأخرى في أجزاء التل الأخرى. وقصة كالخو، العاصمة العسكرية لأشور التي تم اكتشافها تاريخياً، نمرود معروفة الآن بما كانت معروفة به من قبل، وبالإضافة لذلك فقد تم عمل أجمل الأشياء على الإطلاق من قبل الحرفيين والفنانين وكما أفضل أن أسميهم بأنهم هم الذين جلبوا إلى متاحف العالم أشياء مصنوعة من العاج مبدعة ودقيقة بشكل رائع وأشياء أخرى جميلة.

وأخذت دوري في تنظيف الكثير من هذه الأشياء، وكان معي أدواتي الخاصة المفضلة تماماً كما يفعل أي محترف، عصا برتقالية، وربما إبرة حياكة رفيعة، وأداة طبيب أسنان التي ربما أعارها لي أو أعطاني إياها زوجي، وعلبة كريم من مستحضرات التجميل الخاصة بالوجه التي أعتبرها أكثر إفادة لي من أي شيء آخر لإزالة التراب بعيداً عن الشقوق بدون إضرار بالعاج القابل للتفتيت. وفي الحقيقة لم يكن هناك مثل كريم مستحضر التجميل الخاص بوجهي الذي نفذ ولم يبق شيء منه يكفي لوجهي المسكين بعد بضعة أسابيع!

كم كان هذا مثيرًا، بل هو يومًا من أكثر الأيام إثارة في حياتي- عندما أتى العمال إلى المنزل لتنظيف بئر آشوري، وإذا بشخص يصرخ "لقد وجدنا امرأة في البئر، هناك امرأة في البئر" وقاموا بجلبها ووضعوها على قطعة من الخيش وبها كمية كبيرة من الطين.

ولقد ساعدت بإزالة الطين عنها بلطف في حوض غسيل كبير، وظهرت الرأس شيئًا فشيئًا محفوظة بخمأه من حوالي ٢,٥٠٠ سنة، وكانت هذه هي أكبر رأس مصنوعة من العاج وجدت على الإطلاق، ناعمة وذات لون بني شاحب وشعر أسود وشفاف ملونه بابتسامة غامضة وتلك لواحدة من عوانس الأكروبوليس. أما سيدة البئر- وكانت تدعى **موناليزا**، كما كان مدير الآثار العراقي يسميها- أصبح لها مكان الآن في المتحف الجديد في بغداد، فكان هذا واحدًا من أكثر الأشياء التي وجدت إثارة على الإطلاق.

وكان هناك أشياء كثيرة مصنوعة من العاج، بعضها كان أكثر جمالًا من الرأس ومجموعة من الأبقار برؤوس محولة ترضع صغارها، وسيدات مصنوعة من العاج أمام الشباك ينظرون بالخارج، وكان هناك لوحتان رائعتان لزنجي مقتول من أنثى أسد حيث سقط هناك في مئزر ذهبي وبنقط ذهب في شعره ورأسه مرفوعة فيما يبدو وكأنه يقاتل فريسته. وخلفهم أوراق شجر من حديقة اللازورد، وأيضًا العقيق والذهب يشكلان الزهور وأوراق الشجر. ولحسن الحظ وجدنا اثنان من هذه الأشياء. وواحدة من هاتين اللوحتين الآن في المتحف البريطاني والأخرى في بغداد.

فالمرء لابد أن يفتخر بانتمائه إلى الجنس البشري عندما يرى الأشياء الرائعة التي صنعها البشر بأيديهم. فهم يعتبروا خالقين- ويجب أن يشتركوا في قليل من قداسة الخالق الذي خلق العالم بتلك الأشياء الموجودة به، ولكنه ترك أشياء كثيرة لكي تخلق. حيث ترك الأشياء التي تستطيع أيادي الإنسان أن تبذلها. وأعطى لهم

الفرصة أن يبدعوا فيها ليحذوا حذوه لأنهم خلقوا على صورته ليروا ما صنعوا ويروا أنه جيد.

ويعتبر الفخر بالخلق شيئاً غير عادياً. حتى النجار الذي يصنع حامل من الخشب للمناشف بشكل خاص لبيتوتنا يمتلك روح الخلق. وعندما نسأله لماذا وضع هذه الكمية الهائلة من الأقدام عليه عكس ما طلب منه، فيقول موبخاً "لابد أن أصنعها بهذه الطريقة لأنها بهذا الشكل جميلة" حسناً إنه صنع شيئاً غير مستحباً بالنسبة لنا، ولكنه شيئاً جميلاً بالنسبة له، وقد صنعه بروح الخلق، لأنها جميلة من وجهة نظره.

فالإنسان من الممكن أن يكون شريراً- أكثر شرّاً من أخيه الحيوان- ولكنه قد يرتفع أيضاً إلى السماوات بنشوة الخلق. وتقف كاتدرائيات انجلترا كأثار لعبادة الإنسان لخالقه. إنني أحب وردة تيودور- أعتقد أنها في واحدة من كنائس الملك كامبردج حيث وضع نحات الحجارة وجه مادونا في وسطه. لأنه يعتقد أن ملوك تيودور يعبدونها كثيراً، وأن الخالق الإله الذي من أجله بني هذا المكان للعبادة لم يكرم بشكل كاف.

وكان الموسم الأخير ل د. كامبل تومبسن. حيث كان متخصص بالكتابات الأثرية والسجل التاريخي، والذي كان أكثر إثارة بالنسبة له من الاهتمام بالجانب الأثري للحفر، فمثله مثل كافة المتخصصين بالكتابات الأثرية كان دائماً يأمل في العثور على كنز من الألواح.

كان هناك حفر كثير تم القيام به في نينوي التي كان من الصعب اكتشاف كل هذه المباني. وبالنسبة لماكس لم تكن مباني القصور مهمة بشكل خاص: فما يهتم به هي الحفر العميقة في اكتشاف أثار فترة ما قبل التاريخ، لأنه لم يكتشف منها إلا القليل.

وشكل ماكس خطة، رأيتها خطة مثيرة للغاية، لحفر تل صغير بنفسه في هذا الجزء من العالم. وهذه الخطة يتعين أن تكون صغيرة، لأنه سيكون من الصعب جمع مالاً كثيراً ولكنه اعتقد أنه يمكن القيام بها، وكان هذا من المهم أن يتم القيام به. فقد كان يعطي المشروع اهتماماً خاصاً، ومع مرور الوقت كان متقدماً في حفر حفرة عميقة في تربة بكر، في الوقت الذي وصل فيه إلى قاعدة كانت رقعة صغيرة من الأرض وعلى بعد أمتاراً قليلة فقط-كان هناك قليلاً من الشقوق- نظراً لصغر المساحة وكانت من أسفل إلى أعلى، ومنذ ذلك الحين وقد تم إعادة تسمية نينوى من أسفل لأعلى، نينوى ١ بجوار التربة البكر، ثم نينوى ٢ نينوى ٣ نينوى ٤ ثم نينوى ٥ في الفترة التي تم فيها تشغيل عجلة الفخار، كانت هناك أواني بأنماط مطلية ومنقوشة. وكان من سمات ذلك أن هناك أوعية مثل الكؤوس لها شكل خاص، وكانت الديكورات والدهانات رائعة ومبهجة. حتى الفخار نفسه-وبنيته-لم يكن من نوعية جيدة كما كانت من آلاف السنوات السابقة. وأدوات دقيقة ملونة باللون المشمشي الجميل تقريباً مثل الفخار الإغريقي ذات سطح أملس ومزجج وديكورات الهندسية مرسومة بنمط معين. وقال ماكس بأن هذا الفخار كان مثل الفخار الذي تم العثور عليه في تل حلف في سوريا ولكن أدرك ذلك في وقت متأخر، وعلى أي حال، كان هذا الفخار ذو جودة جيدة.

وكان هناك عمالاً يحضرون له أواني مختلفة من الفخار من القرى التي يعيشون فيها جميعاً داخل دائرة نصف قطرها من واحد إلى ثمانية أميال، وفي بعض التلال كان الفخار تقريباً من نوعية نينوى ٥. وبالإضافة إلى النوع المطلي كان هناك نوعاً آخر جميل من الأواني المنقوشة، وكان هناك أيضاً أدوات ذات لون أحمر وأدوات ذات لون رمادي ليست مطلية.

وكان هناك واحداً أو أكثر من الصخور الصغيرة التي غطت كافة طرق البلد حتى الجبال بشكل واضح وقد تمت الهجرة منها في وقت سابق. وكان هناك استفسارات حول الفخار المصنوع على العجل: هذا الفخار الجيد مصنوعاً يدوياً.

وكان هناك على وجه خاص تل صغير جدًا يدعى الأبرجية وهو على بعد ٤ أميال فقط شرق دائرة نينوى العظيمة. وفي هذه البثرة الصغيرة لم يكن هناك أي أثر لأي شيء بعد شقوق نينوى ٢ المطلية جيدًا.

وكان ماكس مستمتعًا بكل ذلك، وكنت أحثه لأنني كنت أعتقد أن اكتشاف شيء عن الفخار الجميل سيكون مثيرًا بشكل كبير. وقال ماكس أن ذلك سيكون مخاطرة ولا بد أن تكون القرية صغيرة بالفعل ومن الممكن أن تكون أهم قرية، وهذا أمرًا غير مضمون والناس الذين صنعوا هذا الفخار كانوا يعيشون هناك. وربما كان شغلهم بدائيًا ولكن الفخار كان غير ذلك، لأنه ذو جودة عالية، وهم لم يصنعوه من أجل مدينة نينوى العظيمة تقريبًا مثل *سوانزي* أو *ويدجود* المحلية، فلم تكن نينوى موجودة عندما كانوا يصبون طينهم، حيث لم تكن موجودة منذ آلاف السنين، لذلك نتساءل من أجل ماذا صنعوا ذلك الشيء؟ هل هو مجرد الحب في صنع شيء جميل؟

وبشكل طبيعي، اعتقدت سي تي أن ماكس كان مخطئًا في اهتمامه الكبير لعصور ما قبل التاريخ وكل هذا كان "ضجة حديثة" حول هذا الفخار، وقال أن السجلات التاريخية هي الشيء الوحيد الذي يستحق الاهتمام. فالرجل عندما يحكي قصته، لا يحكيها بكلمات منطوقة وإنما يحكيها بكلمات مكتوبة، فقد كانوا محقين في شعور سي تي. لأن السجلات التاريخية كانت بالفعل كاشفة بشكل فريد، ولكي يكتشف ماكس شيء جديد عن تاريخ الإنسان فيجب أن يستخدم ما يستطيع إخباره هو بنفسه في هذه الحالة من خلال ما صنعه بيده، وكنت محقة كثيرًا عندما لاحظت أن الفخار في هذه القرية الصغيرة كان جميلًا. واعتقدت أنني كنت محقة أيضًا عندما أسأل نفسي بشكل مستمر "لماذا؟" في كل وقت، لأن الناس الذين هم مثلي عندما يسألون "لماذا؟" فذلك هو ما يجعل الحياة مثيرة.

لقد استمتعت بخبرتي الأولى في الحفر بشكل كبير. أحببت الموصل وأصبحت مرتبطة كثيرًا بكلا من سي تي وبربارا، ولقد أتممت الانتقال النهائي للورد ادجوير

وتعقبت موته بنجاح. وعند زيارتنا لسى تى وزوجته، قرأت لهم المخطوطة الكتابية كلها بصوت عالي، وكانوا مقدرين ذلك جدًّا، وأعتقد أنهم هم الوحيدين الذين أقرأ لهم مخطوطة كتابية على الإطلاق - باستثناء أسرتي.

وفي فبراير من العام التالي، وعندما كنت أنا وماكس مرة أخرى في الموصل، وقد أقمنا في هذه المرة في منزل ضيافة، وكانت المفاوضات طوال الطريق من أجل الحفر في بثرة من تل الأريجية، أريجية الصغيرة التي لم يهتم بها أحد أو يعرف عنها أي شخص حتى الآن ولكن هذا الاسم كان يجب أن يصبح اسمًا معروفًا في جميع أنحاء العالم الأثري. ولقد أقنع ماكس جون روز الذي كان يعمل مهندسًا معماريًا في أور للعمل معنا، حيث كان صديقًا لنا وكان رسامًا جميلًا، كان ذا أسلوب هادئ في الكلام وذا دعابة لطيفة لا تقاوم. ولم يحدد جون قراره في بداية الأمر هل سيشاركنا في العمل أم لا، فهو لم يعد بالعودة إلى أور بالتأكيد ولكن كان مترددًا في الاستمرار في الأعمال الأثرية أو مزاوله الهندسة المعمارية، ومع ذلك وكما أوضح له ماكس أنها لن تكون مهمة طويلة - ستكون شهرين بالأكثر - ولن يكون هناك الكثير لتفعله على الأرجح.

وفي الحقيقة قال له بشكل مقنع "من الممكن أن تعتبرها أجازة، وقت جميل تقضيه من السنة، زهور جميلة، مناخ جيد - ليس هناك عواصف ترابية كما في جبال وتلال أور، سوف تستمتع بذلك بشكل كبير وراحة مطلقة لك" وأعرب جون عن اقتناعه.

وقال ماكس "إنها مخاطرة بالفعل" وكان هذا الوقت مقلقًا بالنسبة له، لأنه كان في بداية مهنته. وقد اخذ على عاتقه أن يحدد هذا الاختيار، وأنه قد ينجح أو قد يخفق في النتيجة.

وبدأ كل شيء بشكل غير ملائم، فكان الطقس سيئًا وسقطت أمطار، وكان من المستحيل أن تذهب إلى أي مكان بالسيارة، وهذا يثبت صعوبة اكتشاف مالك

الأرض التي يفترض أن يحفر فيها، وهناك صعوبة في الاستفسار عن ملكية الأراضي في الشرق الأوسط. لو كانت الأرض بعيدة عن المدينة بقدر كافي، فستكون تحت اختصاص أحد الشيوخ ويجب أن تكون مستعدًا بالمال وغير ذلك مع بعض الدعم من الحكومة للعمل على إعارة بعض السلطة وإقرار ملكية الأراضي، بمعنى أن الأراضي التي كانت محتلة في العصور القديمة تكون تابعة لملكية الحكومة وليست ملكية خاصة لمالك الأرض لكنني أشك لو أن الأرجحية التي كانت بثرة صغيرة على سطح الأرض كانت محتلة في العصور القديمة، لذلك يجب أن نتصل بمالك الأرض.

إن الأمر يبدو بسيطًا. حيث جاء رجل بشوش ومرح للغاية، وأكد لنا أنه هو المالك. ولكن في الأيام المقبلة سمعنا أنه لم يكن كذلك- وأن ابن عم زوجته الثانية هو المالك الحقيقي لهذه الأرض. وبعد أيام سمعنا أن الأرض لم تكن في الحقيقة ملك لأبن عم زوجته الثانية بل كان مشترك في ملكية الأرض مع أناس آخرين. وفي اليوم الثالث لهطول الأمطار بدون توقف، أرتمي ماكس على السرير وتأوه بشدة قائلاً ما رأيك؟ هناك تسعة عشر مالكا للأرض".

فقلت بدهشة "تسعة عشر مالكا لقطعة أرض صغيرة؟

"يبدو ذلك".

وفي النهاية وجدنا المالك الحقيقي. إنها كانت ابنة عم زوجة الرجل الأول فليس لديها الحق في التحكم في ممتلكاتها، ويجب أن يمثل من قبل زوجها وعدد من الأقارب الآخرين بمساعدة متصرف الموصل، في دائرة الآثار في بغداد والقنصل البريطاني وبعض المساعدين الآخرين وقد استقر كل شيء وقد حرر عقد. مع شروط جزائية شديدة على أي طرف إن لم يفي بمتطلبات الاتفاق. وقد كان زوج مالكة الأرض سعيدًا، وقد تم إدخال البند الذي ينص على أنه "في حال التدخل في أعمال حفرة بأي أسلوب أو تم إبطال العقد، فيجب عليه دفع ١٠٠٠ دولار" وقد تفاخر زوج المالكة قائلاً لأصدقائه:

"إنه أمرًا مهمًا للغاية فإذا لم أعطى كافة المساعدات بكامل طاقتي، وأن أحافظ على كافة الوعود التي قمت بها بالنيابة عن زوجتي، فسأفقد ١٠٠٠ دولار"

وأنا أقول ذلك في حال العقوبة المالية وكان كل ما يمكن أن يربحه هو حوالي ١٠ دينار.

وقد استأجرنا منزل صغير مثل الذي كنا قد إستأجرناه مع سى تى. وكان أبعد قليلاً من الموصل وأقرب إلى نينوى، ولكن به ذات السقف المسطح والشرفة الرخامية والنوافذ الرخامية ذات الطابع الكنسي، وعتبات رخامية والتي حلت محل الفخار. وكان لدينا طبخة وخادمة، وكلب قوى ينبج على كلاب الجيران الأخرى وعلى أي شخص يقترب من المنزل- وستة كلاب صغيرين ينتمون إلى هذا الكلب. ولدينا أيضاً شاحنة صغيرة ورجل إيرلندي يدعى جاليجر يعمل سائق حيث كان مقيماً هناك بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ولم يتخذ لنفسه منزلاً مرة أخرى.

لقد كان جاليجر شخص غير عادي. كان يحكي لنا حكايات رائعة. كان لديه قصة ملحمية عن اكتشافه لسمك الحفش على شواطئ بحر قزوين، وكيف يصطاده هو وصديقه ثم يعبثونه مع الثلج ويعبرون الجبال إلى إيران لبيعه مقابل سعر كبير. فعندما تستمع لحكاياته كأنك تستمتع بملحمة الإلياذة والوديسه علاوة على مغامرات كثيرة تحدث له في الطريق.

ولقد أمدنا جاليجر بمعلومات مفيدة عن ثمن حياة الإنسان في العراق وإيران. قائلاً "قتل الإنسان في إيران يكلف ٧ دولار بينما يكلف قتله في العراق ٣ دولار فقط".

ولا زال جاليجر لديه الكثير من الذكريات عن الخدمة في وقت الحرب، فقد كان دائماً يقوم بتدريب الكلاب على معظم الأساليب العسكرية. وقامت الكلاب الستة الصغيرة بالنبیح مرة واحدة. وقد كانت ملكة الجمال السويسرية هي المفضلة بالنسبة لماكس. وللأسف كانت الكلاب الصغيرة مزعجة بشكل كبير ولكنهم كانوا

يملكون السحر والجاذبية التي تملكها كافة الكلاب الصغيرة على مستوى العالم. فكانوا معتادين أن يأتوا إلى الشرفة بعد تناولنا للشاي ونقوم بإزالة القراد منهم. لأنهم كانوا دائماً ممثلين بالقراد، ولكننا نقوم ببذل أفضل ما لدينا للاعتناء بهم.

ولقد تبين أن جاليجر أيضاً قارئ جيد، وكنت معتادة أن أتسلم طروداً من الكتب مرسله من أختي كل أسبوع، حيث كنت أمررها عليه في الوقت المناسب. وكان يقرأها سريعاً وعلى ما يبدو أنه لم يحدد أشياء مفضلة لديه يقرأها فهو يحب السير الذاتية والخيال، وقصص الحب والروايات المثيرة أو الأعمال العلمية، تقريباً أي شيء. إنه كان مثل الرجل الجائع الذي يقول أي نوع من الطعام يمكن تناوله. لا يهمه نوع الطعام، بل يريد فقط أن يأكل، فجاليجر يريد أن يغذي عقله.

ولقد أخبرنا مرة عن "عمه فريد" "وقد ابتلعه تمساح في بورما، وقال بحزن شديد "إنه لم يكن يعرف ماذا عليه أن يفعل حيال ذلك بالفعل، ومع ذلك لقد اعتقدنا أن أفضل شيء هو أن نحصل على التمساح وهو مبتلع لعى وأن نرسله إلى بيت زوجته".

وقد كان يتحدث بصوت هادئ. وفي النهاية توصلت إلى استنتاج أن كل ما حكاه لنا كان حقيقي. إنه كان من نوعية الناس الذين يحدث لهم أشياء غير عادية.

وكان وقتاً عصيباً بالنسبة لنا. فحتى الآن لم يكن هناك شيء لإظهار ما إذا كانت مخاطرة ماكس مستمرة. لقد اكتشفنا مباني الفقراء المتهاكلة والمبنية من الطوب اللبن الذي يتأثر، وكان هناك شقوق من الفخار ساحرة في كل مكان، وبعض سكاكين الأحجار السوداء الجميلة بحواف مصنوعة بدقة، ولكن ليس هناك شيء خارج عن المألوف حتى الآن في طريقة البحث.

ودعم جون وماكس بعضهم وقال جون بأنه من السابق لأوانه أن نقول أننا نجحنا قبل وصول د. يوردان المدير الألماني للأثار في بغداد، وسنحصل على كافة

المستويات التي يتم قياسها والتي وصفت بشكل جيد، على أية حال لكي يتبين لنا كافة الأشياء التي نقوم بها في الحفر بشكل صحيح وبشكل علمي.

وفي يوم كان ماكس عائداً إلى البيت وكنت مشغولة في تصليح بعض الفخار، قال لي:

"قمنا باكتشاف رائع" "وجدنا متجر لفخار محترق. تعالي معي فالمنظر يبدو رائعاً"

وبالفعل كان كذلك، كان متجر الفخار هناك تحت التربة. وقد تم هجره عندما حرق ولكن هذا الحرق حفظه، حيث كان هناك أطباق رائعة وأواني وأكواب ولوحات وفخار متعدد الألوان، وكل شيء براقاً ومشرقاً في الشمس ومنه القرمزي والأسود والبرتقالي، فقد كان المشهد رائعاً.

ومنذ ذلك الحين انشغلنا للغاية ولم نعرف كيفية التعامل مع ذلك، حيث نستخرج وعاء بعد وعاء. وبعضهم تحطم من خلال سقوط السقف عليهم لكنهم لازالوا موجودين، ومن الممكن تقريباً إعادة هيكلتهم جميعاً، وبعضهم كان متفحماً بقدر قليل، ولكن حافظت عليهم حتى بعد سقوط السقف عليهم، ومنذ حوالي ستة آلاف سنة وهم موجودون بدون أن يلمسهم أحد. وكان هناك طبق مصقول هائل بلون أحمر غامق، وأشياء لونها روز وتصميمات جميلة حوله وهندسية الشكل. وكان هناك ٧٦ قطعة تم تجميعهم، ويمكن أن تراهم الآن في المتحف حيث هم موجودون بشكل رائع. وكان هناك أيضاً سلطانية كنت أحبها جداً والكثير من النماذج الجميلة.

لقد كنت في قمة السعادة. وكذلك ماكس وجون، وأتساءل كيف نعمل حتى نهاية الموسم!

لقد قمت بعمل بعض الواجبات المنزلية في هذا الخريف، وقد ذهبت إلى المدرسة الثانوية المحلية وتعلمت هناك من رجل صغير جذاب.

وقال لي "عليك تعلم كيفية الحصول على الزوايا الصحيحة" واعترفت أنني لم استطع ذلك.

وقال لي "بأن ذلك يجعل من الصعب وصف الأشياء".

ومع ذلك تعلمت أن أقيس وأحسب وأحل الأشياء إلى ثلثي الحجم الحقيقي، والآن قد حان الوقت الذي يجب أن أضع فيه كل ما تعلمته في الاختبار. كان هناك الكثير من الأشياء ينبغي علينا القيام بها لضمان النجاح. وكنت أتلقي مساعدات من جون.

وكان لابد أن يكون هناك أعمالاً للحفر طوال اليوم، وجون يقوم بعملية السحب. وقد أرهق بشدة وكان يترنح لتناول العشاء في الليل وكان يقول "أعتقد أنني سوف يصيبني العمى" أشعر بأن عيني أصبحت عليلية، كما أشعر بدوران يجعلني بالكاد أمشي، لقد كنت أقوم بالسحب بدون توقف وبأقصى سرعة منذ الثامنة صباحاً.

قال ماكس "وسيتعين علينا جميعاً أن نستمر بعد العشاء"

فقال جون باهتمام "أنت الذي أخبرني وقلت لي أنني سأتي هنا في أجازة!

ولكي نحتفل بنهاية الموسم قررنا أن ننظم سباقاً، والذي لم يتم القيام به من قبل. وسيكون هناك جوائز رائعة ومنافسة مفتوحة لكافة الناس.

وكنا نتحدث عن ذلك كثيراً، وتساءل كبار السن من الرجال عما إذا كانوا لن يفقدوا كرامتهم في التنافس في مثل هذا الحدث. فالكرامة شيء مهم. فالتنافس مع هؤلاء الشباب الذين من المحتمل أن يكونوا فتیاناً لا تبزغ حتى اللحى في وجوههم، هذا الشيء الظاهري لا ينم على الكرامة، ينظر للمرء من خلال جوهرة. ومع ذلك فقد اتفقوا على هذا الأمر في النهاية، وقد رتبنا كل التفاصيل حيث كان من المقرر أن يكون طول مضمار السباق ثلاثة أميال، وكان عليهم أن يعبروا نهر الخوصر الذي

كان خلف تل نينوي مباشرة. وقد وضعت القواعد بعناية فائقة، وكانت القاعدة الرئيسية أن لا يكون هناك مخالفات، أن لا يتسبب أحد في إسقاط أحد علي الأرض، وأن لا يكون هناك أي ارتطام أو عبور أو أي شيء من هذا القبيل. وعلي الرغم أننا نعتقد أنه بالكاد سيتم احترام أو إتباع تلك القواعد، إلا أننا كنا نأمل أن يتم تجنب أسوأ التجاوزات.

وفي بادئ الأمر، كانت الجوائز عبارة عن بقرة وعجل للمركز الأول، وخروف للمركز الثاني، وعنزة للمركز الثالث. وكانت هناك جوائز عديدة أصغر مثل-دجاج وأكياس من الطحين، ومن عشرة بيضات إلى مائة بيضة. وكان هناك أيضًا بالنسبة لكل من يكمل مضمار السباق، حفنة من التمر وحلاوة طحينية بقدر ما يستطيع المرء أن يأخذ في يديه المتشابكتين. ومن الممكن القول أن هذه الجوائز قد كلفتنا عشرة دولارات.

وقد أطلقنا على المسابقة اسم: رابطة الرياضيين الهواة الأرجبية. وكان النهر ممتلئًا على آخره في هذا الوقت، ولم يكن باستطاعة أي أحد أن يعبر الكوبري لكي يحضر ولكننا استدعينا سلاح الجو الملكي البريطاني لمراقبة السباق من الجو.

وجاء يوم السباق، وكان مشهدًا تاريخيًا لن ينسي. وأول ما حدث بالطبع هو أن كل متسابق قام بانطلاقة قوية للأمام عندما انطلقت رصاصة البداية من المسدس. وقد وقع معظمهم على وجوههم في نهر الخوصر، وفصل آخرون أنفسهم عن هذا الحشد الكبير واستمروا في الجري. لم يكن اللعب غير القانوني سيئ للغاية، وبالفعل لم يعمل أحد على إسقاط الآخر. فقد كان هناك قدر كبير من الرهان على السباق، ولكن لم يتم اختيار الحصان المرجح فوزه أو الذي يمكن أن يفوز. فقد فازت ثلاثة أحصنة داكنة وكان التصفيق لهم رائعًا. فالأول كان رجلًا رياضيًا قويًا، والثاني كان رجلًا محبوبًا وفقيرًا وكان يبدو عليه أنه سيموت جوعًا، أما الثالث فكان ولد شاب. ففي تلك الليلة كانت هناك سعادة غامرة: حيث رقص رؤساء العمال،

ورقص الرجال، وقام الرجل الذي فاز بالجائزة الثانية التي كانت عبارة عن خروف بذبحه في الحال، واحتفل مع كل أفراد عائلته وأصدقائه. كان يومًا عظيمًا بالنسبة لرابطة الرياضيين الهواة الأربجية.

وقالوا لنا: "بارك الله فيكم!" 'ستأتون مرة أخرى'. ثم ذهبنا بعد ذلك إلى بغداد، حيث كانت الاكتشافات في المتحف هناك، وهناك بدأ ماكس وجون روز في إخراجها ثم بدأ التقسيم. وقتها كنا في شهر مايو، وفي بغداد كان هناك ١٠.٨ شخص في الظل، حيث كان جون لا يطيق حرارة الجو وكان يبدو عليه التعب يوميًا. كنت محظوظة في أنني لم أكن جزءًا من فريق التعليب. فقد كنت أستطيع أن أبقى بالمنزل.

كانت الأحوال تسوء تدريجيًا في بغداد سياسيًا، علي الرغم من أننا كنا نأمل في العودة السنة القادمة، إما لكي ننتقل إلى تل آخر أو لكي ننقب عن الآثار في أربجية أبعد قليلًا. ولكننا كنا نشك في أن ذلك ممكنًا. وبعد أن غادرنا ظهرت مشكلة عند شحن الآثار، وكانت هناك صعوبة في إخراج حقائبنا، وفي النهاية أصبحت الأشياء مصقولة واستغرقت عدة أشهر ولهذا فقد رأينا أنه ليس من المستحب أن نذهب ونحفر السنة القادمة. ومرت عدة سنوات لم يأت أحد للحفر في العراق، فالجميع ذهب إلى سوريا، ولذلك قررنا أن نختار موقعًا مناسبًا في سوريا السنة القادمة.

وأخر شيء أتذكره والذي كان يبدو وكأنه نذيرًا لأشياء قادمة. كنا نتناول الشاي في منزل د. يوردان في بغداد. كان عازف بيانو جيد، وكان يعزف لنا في هذه الليلة موسيقى خاصة لبيتهوفن. كان ذو عقل سوي، وكنت أفكر وأنا أنظر إليه وأقول في بالي، يا له من رجل رائع. كانت تبدو عليه دائمًا علامات الأناقة والحذر. ثم جاءت سيرة اليهود من خلال شخص أنيق. فتغير وجهه في الحال، تغير بصورة غير عادية لم ألاحظها علي وجه أحد من قبل.

وقال: 'أنت لا تفهم، إن اليهود لدينا ربما يكونوا مختلفين عن اليهود لديكم. هم أناس غاضبون، يجب أن يبادوا، لن يحدث شيء بالفعل ولكن ذلك لا بد أن يحدث'.

نظرت إليه وأنا غير مصدقة. فقد كان يعني ذلك، وكانت هذه هي المرة الأولى التي أدرك فيها كإشارة أو تلميح مما كان سيحدث في ألمانيا. أعتقد أن كل الأشخاص الذين سافروا هناك قد أدركوا ذلك في هذا الوقت، ولكن بالنسبة للأشخاص العاديين في سنة ١٩٣٢ و١٩٣٣، كان هناك نقص كامل في عملية المعرفة المسبقة.

وفي هذا اليوم، وعندما كنا جالسين في حجرة الجلوس في منزل د. يوردان وهو يعزف البيانو، رأيت أول نازي- واكتشفت لاحقًا أن زوجته نازية وأشد شراسة من زوجها. وكانت لديهم مهمة يقومون بها هناك: ليس فقط أن يكونوا مديري للآثار أو يعملوا لصالح بلدهم، ولكن أيضًا لكي يتجسسوا على سفيرهم الألماني. هناك أشياء في الحياة تجعل المرء حزينًا حقًا عندما ينجح أحدا في جعل الأشخاص الآخرين أن يصدقوا.



عدنا لانجلترا بالنصر، وبدأ ماكس صيفه مشغولاً بكتابة قصته عن الرحلة. عرضنا بعض من اكتشافاتنا في المتحف البريطاني، وكان من المفترض أن يصدر كتاب ماكس عن **أرجية** هذا العام أو العام التالي- حيث كان من المفترض أن لا يضيع وقت في نشره وقال ماكس: ينوي كل علماء الآثار في تأجيل النشر لمدة طويلة، ولا بد للمعرفة أن تظهر للناس في أقرب وقت ممكن.

وأثناء الحرب العالمية الثانية، وعندما كنت أعمل في لندن، كتبت قصة عن الرحلة التي قضيناها في سوريا وسميتها: "**تعالى، أخبرني كيف تعيش**". وكنت سعيدة عند قراءتها من وقت لآخر، وكانت تذكرني بأيامنا في سوريا. سنة من الحفر تشبه السنة الأخرى- حيث كانت تحدث نفس الأشياء- ولا جدوى من هذا التكرار. فقد كانت سنوات سعيدة، استمتعنا بها كثيرًا، كما لنا قدرًا كبيرًا من النجاح في أعمال الحفر في تلك السنوات.

ما بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٨ كانت بالتحديد سنوات مرضية لأنها كانت خالية من الحروب الخارجية. وعندما بدأ ضغط العمل في التراكم، وخصوصًا النجاح في العمل بدأنا في الحصول على قدر قليل من الراحة، ولكنها كانت سنوات خالية من البهجة مملوءة بقدر كبير من العمل. نعم، ولكنها لم تكن ممتعة للجميع. كتبت قصصًا بوليسية، وكتب ماكس كتبًا أثرية وتقارير ومقالات. كنا مشغولين ولكن لم نكن تحت ضغط شديد.

وبينما كان من الصعب بالنسبة لماكس أن ينزل إلى **ديفونشاير** بالرغم من أنه كان يريد ذلك فقد قضينا أجازات روزلن هناك، ولكن في معظم الأوقات كنا نقيم في لندن، نتنقل من منزل لآخر من منازل، لكي نقرر أي من هذه المنازل الأفضل. كانت كارلو وماري يبحثان عن منزل مناسب أثناء وجودنا في سوريا لمدة عام. وقد

عرضوا علي قائمة من المنازل وقالوا بأنه يجب علي الذهاب وألقي نظرة علي المنزل رقم ٤٨ شيفيلد تراس. وعندما رأيته أردت أن أعيش فيه كما أردت دائماً أن أعيش في أي منزل آخر. كان منزلاً رائعاً باستثناء حقيقة أنه كان به سرداب. لم يكن به غرف عديدة ولكنها كانت كلها كبيرة ومجهزة بشكل جيد. كانت كما كنا نحتاجه بالضبط. وعندما دخلت الشقة كان يوجد غرفة طعام كبيرة على اليمين. وعلى اليسار كانت توجد غرفة الرسم. وفي الوسط يوجد حمام ومرحاض. وفي الطابق الأول بجانب حجرة الطعام على اليمين يوجد غرفة بنفس الحجم تخص مكتبة ماكس- ومكاناً واسعاً لوضع أكثر من منضدة كبيرة ليوضع عليها الورق وأجزاء من الفخار. وعلى يسار غرفة الرسم يوجد غرفة نوم مزدوجة لنا. وفي الطابق الذي أعلاه كان يوجد غرفتين كبيرتين وأخرى صغيرة، فالصغيرة كانت لروزلن، والغرفة الكبيرة التي بجانب غرفة مكتب ماكس كانت غرفة فارغة مزدوجة نستخدمها عند الحاجة. أما الغرفة التي على الجانب الأيسر، فقد قررت أنها ستكون غرفة عمل وجلوس لي. وقد اندهش الجميع من ذلك في حين أنني لم أعتقد أنني سأمتلك شيئاً كهذا من قبل، ولكنهم اتفقوا على أنه هو الوقت المناسب للعجوز أن تأخذ غرفة لنفسها.

أردت مكاناً هادئاً بعيداً عن الضجيج. فلن يكون هناك هاتفاً في الحجرة. كنت أريد أن يكون لدي بيانو كبير، منضدة كبيرة ومتيّنة، أريكة مريحة، كرسي مستقيم ثابت للكتابة وكرسي ذو ذراعين لاتكأ عليه، ولم أكن أريد أي شيء آخر. اشترت لنفسي بيانو شتاين واي وقد استمتعت بغرفتي بشكل كبير. لم يكن مسموح لأحد استخدام المكتبة أثناء وجودي بالمنزل، وكان يوجد جزء خاص للمدفأة في البيت، وأصبح لدي مكان خاص بي، وظلت مستمتعة به حتى تم تفجير المنزل في الحرب. لا أعرف لماذا لا يكون لدي شيئاً من نفس النوع مرة أخرى. أعتقد أنني اعتدت على استخدام منضدة غرفة الطعام أو الركن الذي كان يوجد به حوض الغسيل.

المنزل ٤٨ شيفيلد تراس كان منزلاً سعيداً، فلقد شعرت بذلك منذ اللحظة التي دخلته فيها. أعتقد لو أن شخصاً تربى وكبر في غرف واسعة كتلك التي كانت في

أشفيلد فسيفتقد الشعور بالسرور وقد يشعر بفراغ كبير. لقد عشت في منازل عديدة خلابة وصغيرة- مثل منزل شارع كامبدين ومنزل ميوز الصغير- ولكنها لم تكن مناسبة إلى حد ما. إنها ليست مسألة عظمة، فإنه يمكنك أن تمتلك شقة أنيقة وصغيرة وتشعر فيها بالراحة ويمكنك أن تسكن في مقر رئيس الدولة ولا تشعر بالراحة، ومن الممكن أن يسقط إلى قطع ولا يساوي شيء. هذا هو شعور الفراغ من حولك الذي يجب أن تتأقلم عليه. حقًا لو كان هناك أي تنظيف ستقوم به بنفسك. فإنه من الأسهل تنظيف غرفة كبيرة عن الدوران في الأركان وحول قطع الأثاث في غرفة صغيرة.

كان ماكس منخرطًا في مراقبة بناء مدخنة جديدة في مكتبته. فقد تعامل مع كثير من مصانع الطوب والمداخن المسئولة عن الطوب المحروق في الشرق الأوسط، وهي الوظيفة التي وجد نفسه فيها سعيدًا. ونظر عامل البناء بارتياح إلى الخرائط وقال "لن تستطيع أبدًا أن تبني هذه المداخن وفقًا للقواعد الصحيحة التي يجب إتباعها، ولكنها ليست كذلك.

وقال عامل البناء لماكس "ومداخنكم هذه لن تبني وفقًا لقواعد صحيحة، أقر لكم بذلك"

فرد عليه ماكس قائلاً "ولكنك تبنيها بالضبط كما أقول وسوف ترى".

أما بالنسبة للسيد وينذر فلم يرى مدخنة ماكس تدخن فجأة الشيء الذي جعله حزينًا. حيث كانت المدخنة ذات طوب آشوري مع كتابة مسمارية مكتوبة على رف الموقد. وتبعًا لذلك كانت الغرفة مرتبة بشكل نظيف كما لو أنها غرفة عالم آثار خاصة.

شيء واحد فقط هو ما ضايقني بعدما انتقلت إلى شيفيلد تراس، تلك الرائحة المنتشرة في غرفة نومنا. لم يشم ماكس هذه الرائحة، واعتقد أنني أتخيل ولكنني قولت بكل قوة أنني لا أتخيل: لقد شممت رائحة الغاز. وأشار ماكس قائلاً "لم يكن هناك غاز بالمنزل، لم يوضع أي غاز هنا".

ولكنني قلت "لا يسعني ذلك، أنا أشم رائحة الغاز".

أدخلت البنائين وعمال الغاز بالمنزل، وانحنوا جميعًا وظلوا يشتمون رائحة الغاز تحت السرير وأخبروني أنني كنت أتخيل ذلك.

"سيدتي بالطبع أي شيء هذا من الممكن أن يتحول ويتغير، طالما هناك شيء، على الرغم أننا لا نشم هذه الرائحة". ثم قال عامل الغاز "يمكن أن يكون فأر ميت. فقلت لا أعتقد أنه فأر، لأنني كنت سأشمها إذا كان كذلك- ولكنه من المحتمل أن تكون فأرًا صغيرًا جدًا".

فقلت "من المحتمل أنه لو كان كذلك فأنا أعتقد أنه فأر صغير جدًا ميت".

على أية حال. "سنرفع اللوحات".

وبالفعل رفعوا اللوحات ولكنهم لم يجدوا أي فأر ميت، لا كبير ولا صغير. ولكن سواء كان غازًا أم فأرًا ميتًا ولكنني مازلت أشم رائحة شيء ما.

لم أزل أطلب البنائين وعمال الغاز والسباكين وكل شخص كان يخطر ببالي. ونظروا إلي جميعًا ببغض في نهاية المطاف. وكلهم ضاقوا زرعًا بي-ماكس وروزلن وكارلو-كلهم قالوا لي، "إنها كانت تخيلات الأم". ولكنني قلت "ولكن الأم عرفت الغاز عندما شمته" واستمررت في قول ذلك. وفي النهاية، وبعد أن دفعت الجميع إلى الجنون تقريبًا، فقد ظهر أنني كنت على حق وبررت ما قلته. فقد كان هناك أنبوبة تحت غرفتي وكان الغاز يتسرب منها. وكنت أتساءل بأي عداد هذه الأنبوبة متصلة به؟ ولكن لم يكن هناك أحدًا يعرف- فلم يكن هناك عداد غاز في منزلنا- ولكن يوجد أنبوبة غاز مهملة والغاز ما زال يتسرب منها. كنت مسرورة بعد أن أثبتت أنني كنت على حق في هذه النقطة حيث أنني لم أطلق أن أعيش في هذه الغرفة لبعض الوقت. ويمكنني القول ما هو أكثر من ذلك، أنني كنت واثقة جدًا في براعة أنفي.

قبل الحصول علي منزل شيفيلد تراس، اشترت أنا وماكس منزلًا بالريف. فقد كنا نريد منزلًا صغيرًا أو كوخًا، وذلك لأن السفر من وإلى أشفيلد لقضاء

عطلات نهاية الأسبوع لم تكن معتادين عليه. فلو استطعنا امتلاك كوخ صغير في الريف ليس ببعيد عن لندن، فذلك سيصنع فرقاً.

إن الأماكن التي كانت مفضلة لماكس في لندن كانت قرب ستوك بريدج، حيث أقام بهذه المنطقة عندما كان صبيًا، أو مناطق أخرى بالقرب من أكسفورد. كان وقته الذي يقضيه في أكسفورد هو أسعد أوقات حياته. كان يعرف كل الريف الموجود حولها، وطالما كان يحب تيمز. ولذلك فقد سعدنا إلى تيمز أثناء بحثنا، ونظرنا إلى جورينج، ولينج فورد، بانج بورن. كان صعباً أن تجد منزلاً في تيمز، وذلك لأن المنازل هناك كانت إما بشعة من العصر الفيكتوري أو منازل أخرى من نوع الأكواخ التي غمرتها المياه أثناء الشتاء.

في النهاية، وجدت إعلان في التايمز، وكان ذلك قبل ذهابنا إلى سوريا بأسبوع في الخريف.

فقلت "ماكس، انظر، هناك إعلان عن منزل في ولينج فورد. أنت تعرف كم نحب ولينج فورد؟ الآن، لو كان ذلك منزلاً من تلك المنازل التي تطل على النهر. فلم يكن هناك شيء يسمح لنا بالذهاب إلى ولينج فورد عندما كنا هناك. اتصلنا بالعميل ثم نزلنا بسرعة.

كان منزلاً جميلاً صغيراً وكان قريباً من الطريق ولكن خلفه كانت توجد حديقة يوجد بها مطبخ - كان أكبر مما كنا نريد- وكان مما كان يعتقده ماكس دائماً شيئاً مثالياً: حيث كانت المروج موجودة وصولاً إلى النهر. وكان هناك جزءاً جميلاً من النهر ما يقرب من ميل بعيداً عن ولينج فورد. وبالمزمل خمس غرف، ثلاث غرف للجلوس، ومطبخ جميل يطل بالخارج على المطر الغزير من خلال نافذة غرفة الرسم، ورأينا أشجار أرز رائعة، أشجار الأرز اللبنانية، هذه الأشجار كانت موجودة فعلاً في الحقل، ولكن الحقل كان محاطاً بسيج في خندق، وفكرت في قرارة نفسي أننا من الممكن أن نحصل علي العشب الأخضر خلف هذه السياج، كما يمكننا دفع المروج أسفل

بعيداً حتى تكون أشجار الأرز هذه في وسط الأعشاب الخضراء، وحينئذ يمكننا شرب الشاي تحت هذه الأشجار في الأيام الحارة في فصل الصيف.

لم يكن هناك وقت للتفكير والتلكؤ، فالمنزل كان رخيص للغاية بالنسبة للبيع والتملك الحر، كما أننا قد شاورنا أنفسنا واقتنعنا بالمنزل. اتصلنا بالعميل، ووقعنا علي العقود وتحدثنا مع المحامين وموظفي المساحة ووافق عليه موظفي المساحة، واشترينا المنزل.

ولكن لسوء الحظ، لم نكن قادرين على رؤيته مرة أخرى إلا بعد تسعة أشهر، لقد غادرنا إلى سوريا وقضينا معظم الوقت هناك نتساءل عما إذا كنا حمقى. هل كان من المفترض أن نشترى كوخاً صغيراً بدلاً من منزل ذي النوافذ الضخمة والأقسام الجيدة. ولكن ولينج فورد كان مكاناً لطيفاً. يوجد به خدمة خاصة بالسكة الحديدية ولكنها رديئة، ولذلك لم يكن المكان الذي يقصده كل الناس، سواء من أكسفورد أو لندن. وقال ماكس، "أعتقد أننا سنكون سعداء جداً هنا".

وبالفعل كنا سعداء هناك لمدة تقرب من خمسة وثلاثين عاماً حتى الآن. لقد تم توسيع مكتبة ماكس مرتين بالنسبة لطولها الأصلي، وأصبح ماكس قادراً على النظر إلى النهر أسفل مكتبته. كان منزل ماكس يسمي وينتر بروك هاوس في ولينج فورد، أما بالنسبة لمنزلي فكان يوجد بأشفيلد، كما أعتقد أن منزل روزلن كان بأشفيلد أيضاً.

وهكذا استمرت حياتنا. كان ماكس مشغولاً بعمله بالآثار ومتحمساً لعمله هذا، أما أنا فكانت مشغولة بكتاباتي، وقد أصبحت الآن أكثر احترافية.

كان من الممتع أن أبدأ في كتابة كتب بشكل جزئي، وذلك لأنني لم أشعر أنني مؤلفة حقيقية وفي كل مرة كنت أندهش لأنني وجدت نفسي قادرة على كتابة كتب كانت تنشر بالفعل. الآن أكتب كتباً بشكل طبيعي، وكان هذا عملي الذي أؤديه. إن

الناس يطالبونني بالاستمرار بالكتابة. ولكن رغبتى الأبدية في فعل شيء معين ليست هي وظيفتي المناسبة، وكنت متأكدة في أنها لن تقبلي، في الحقيقة ستكون الحياة مملة لي إذا لم أقم بذلك.

وكنت ما أريده في ذلك الوقت هو كتابة شيء مختلف عن القصص البوليسية. ولذلك ومع شعوري بالذنب، فقد رأيت نفسي مستمتعة بكتابة قصة تسمى "خبز العملاق". كانت عن الموسيقى والخيانة هنا وهناك، حيث أنني عرفت شيئاً قليلاً عن موضوع القصة من وجهة نظر تقنية. وتمت مراجعتها بشكل جيد وبيعت بالشكل الذي كان متوقعاً. وهي القصة الأولى التي أكتبها باسم مستعار هو ماري ويستماكوت ولم يكن هناك أحد يعرف أنني التي كتبتها وعملت على حفظ هذا السر لمدة خمسة عشرة سنة.

ثم كتبت كتاباً آخر بنفس الاسم المستعار بعد سنة أو سنتين، وسميته "صوره غير مكتملة" هناك شخص واحد فقط هو الذي خمن السر: وهي نان وات واسمها حالياً نان كون. تمتلك نان ذاكرة حاضرة، وقد كتبت بعض الجمل عن بعض الأطفال، وقصيدة في الكتاب الأول فلفت انتباهها في الحال وقالت لنفسها "أجاثا كتبت ذلك، أنا متأكدة من ذلك".

وفي أحد الأيام وكزنتي في ضلوعي وقالت بتأثر: "لقد قرأت كتاباً أعجبنى جداً في أحد الأيام، ولكن دعيني أرى ما هذا؟ هل هذا دم قزم-نعم إنه كذلك-دم قزم!" ثم غمزت لي بعينها بطريقة شريرة. وعندما أوصلتها إلى المنزل، قلت لها: "الآن كيف خمنت معلومات حول خبز العملاق؟"

استطردت نان: بالتأكيد كنت أعرف أنه أنت-إنني أعرف الطريقة التي تتحدثين بها"

لقد كنت أكتب أغاني من حين لآخر، وفي الغالب كنت أكتب أغنيات شعبية- إلا أنني لم أعتقد مطلقاً أنه ستتاح لي فرصة عظيمة لاتخاذ خطوة مباشرة تجاه

التحول إلى قسم مختلف تمامًا من أقسام الكتابة واتخاذ هذه الخطوة أيضًا في سن لا يمكن القيام فيه بمغامرات بسهولة.

أعتقد أن ما دفعني لذلك كان انزعاجي من تبني الأشخاص لكتبي للعرض في المسرح بصورة لا أحبها. وعلى الرغم من أنني كتبت مسرحية "القهوة السوداء" إلا أنني لم أكن أنوي مطلقًا أن أصبح كاتبة روائية— فقد استمتعت بكتابة مسرحية "أخنائون"، ولكنني لم أعتقد مطلقًا أنها قد تحظى برواج في الأسواق. وقد تصادف لي أنني إذا لم أحب الطريقة التي يتبنى بها الأشخاص كتبي، فيجب عليّ أن أتبنّاها بنفسني حيث كان يبدو لي أن تبني كتبي في المسرح يعتبر أمرًا فاشلاً وهذا بسبب أنهم يلتزمون بالنص الأصلي. حيث تعتبر القصص البوليسية مختلفة تمامًا عن المسرحيات ومن ثم يعتبر تبنيها أصعب من تبني أي كتاب عادي. وتحتوي هذه القصص البوليسية على حبكة درامية معقدة بالإضافة إلى أنها غالبًا ما تحتوي على شخصيات كثيرة وأدلة كاذبة مما يجعلها مربكة وصعبة الفهم. فيما كان الهدف هو التبسيط.

وقد كتبت كتاب "ثم لم يبق أحد" حيث أنه كان فكرة التبني صعبة وهذه الفكرة أعجبتني. حيث كان من المقرر أن يموت عشرة أشخاص بدون أن يصبح الأمر مثيرًا للسخرية وبدون ظهور القاتل. لقد كتبت هذا الكتاب بعد تخطيط كبير وقد سعدت بإنتاج عملي حيث كان واضحًا وبسيطًا ومثيرًا، وكذلك يحتوي على تفسيرات معقولة تمامًا وفي الحقيقة كان يجب أن أضيف خاتمة إليه لكي يمكن تفسيره. كما أنه استقبل بحفاوة وترحاب- ولكن الشخص الذي حظي بالسعادة الحقيقية هو أنا- حيث أنني كنت أدرك مدى صعوبته أكثر من أي ناقد.

وفي الوقت الحالي تقدمت خطوة للأمام، حيث أنني فكرت بيني وبين نفسي أنه سيكون من المثير محاولة معرفة إذا كان بإمكانني تحويل هذا الكتاب إلى مسرحية أم لا. وقد بدا ذلك الأمر مستحيلًا للوهلة الأولى، بسبب أنه لن يستطيع أحد عمل

قصة بوليسية على المسرح ومن ثم كان عليّ أن أجري بعض تعديلات على النص. وقد بدا لي أنه بإمكانني تحويل هذا الكتاب إلى مسرحية جيدة من خلال إضافة تعديل واحد على القصة الأصلية. حيث كان يجب عليّ أن أجعل شخصيتين من شخصيات الكتاب بريئتين، ثم يستعيدون لم شملهم في النهاية ويخرجون من المحنة بسلام. وقد لا يتعارض هذا مع روح أغاني الأطفال الأصلية حيث أن هناك نسخة واحدة فقط من كتاب "ثم لم يبق أحد" تنتهي بـ "وتزوج ثم لم يبق منهم أحد".

وقد كتبت المسرحية، ولكنها لم تحظى بتشجيع كبير. فقد كان الحكم عليها أنه "من المستحيل أن يتم إنتاجها". وهي رواية "الذريعة" ومع ذلك قام تشارلس كوكران بأفضل ما بوسعه لإنتاجها، إلا أنه لسوء الحظ لم يتمكن من إقناع أنصاره للاتفاق معه في الرأي، حيث أنهم تحججوا بكل الحجج المعروفة - إنها غير قابلة للإنتاج ولا يمكن تمثيلها على المسرح فسيضحك الجمهور عليها. بيد أن كوكران شدد على كونه غير متفقا معهم، ولكن رده جاء كالتالي:

"أتمنى لك حظاً أوفر لتبني هذه المسرحية في المسرح، حيث أنني أتطلع إلى أن يتم ذلك".

وبالفعل حصلت على فرصتي في الوقت المناسب. حيث تمثل الشخص الذي كان حريصاً على فعل ذلك في بيرتي ماير، الذي تبنى في الأساس مسرحية "الذريعة" مع تشارلس لوغتن. وأنتجت إيرين هينشيل المسرحية حيث بذلت جهداً هائلاً من وجهة نظري. وقد كنت متشوقة للغاية إلى التعرف على وسائلها في الإنتاج، نظراً لأنها كانت مختلفة تماماً عن وسائل إنتاج غيرالد دو مورير. ففي بادئ الأمر، اعتقدت من وجهة نظري وبدون أي خبرة أنها متعثرة كما لو كانت غير واثقة من نفسها ولكن حالما شاهدت تطور أساليبها أدركت مدى إتقانها. وفي البداية تحسست طريقها نحو المسرح مع رؤية أحد الأشياء ولكن بدون سماع أي شيء، ومع رؤية

التحركات وأنماط الإضاءة أتساءل عن ما سيبدو عليه الناتج النهائي. وبعد ذلك وكما لو كان ذلك في مرحلة متأخرة، بدأت في التركيز على النص الأصلي. لقد كان ذلك مؤثراً. حيث تم بذل الجهد بشكل لائق وكانت أنماط الإضاءة جيدة جداً، مع وجود ثلاث أطفال في مشهد واحد. عندما كان الجميع يجلسون ممسكين بشموع مضيئة حيث انقطعت الأضواء.

ومع تمثيل المسرحية بشكل جيد يمكن الشعور بتزايد حدة التوتر والخوف والقلق الذي ينشأ بين الأشخاص وبعضهم البعض، وتم الإبداع في تمثيل حالات الوفاة بطريقة لم تسمح بحدوث ضحك أو توجي بأن المسرحية بأكملها تعتبر فيلم رعب سخي. إنني لا أصرح بأنها مسرحية أو أحد كتبي التي أحبها كثيراً أو حتى أنني أعتقد أنها أفضل كتبي، بيد أنني أعتقد بصورة ما أنه أحد الأعمال البارعة والأفضل من أي شيء آخر قمت بكتابته. كما أنني أعتقد أن كتاب "ثم لم يبقى أحد" هو الكتاب الذي جعل مني كاتبة مسرحيات ومؤلفة كتب أيضاً. ومن ثم فقد قررت أنه لن يتبنى أحد كتبي في المستقبل سوى أنا: لذلك فإنني سأحدد الكتب التي ينبغي تمثيلها على المسرح وهي الكتب التي تصلح لذلك فقط.

وكان الكتاب الثاني الذي حاولت كتابته هو "الأجوف" على الرغم من مرور عدة سنوات خطر على بالي في يوم من الأيام أن "الأجوف" قد يكون عنواناً لمسرحية جيدة. وقد صرحت بذلك لروزلن التي كان يتمثل الدور الهام في حياتها في محاولة دءوبة على عدم تشجيعي.

حيث صاحت روزلن في رعب: "أترغبين في تحويل كتاب **الأجوف** إلى مسرحية، ياللهول! إنه كتاب جيد كما أنني أحبه، ولكن لن يمكنك تحويله إلى مسرحية.

"فقلت لها معارضة: "بل يمكنني عمل ذلك".

تابعت روزلن بتهند قائلة: "أوه، أتمنى ألا تفعلين".

وعلى أي حال، استمتعت ببني وبين نفسي بتدوين أفكار حول كتاب **الأجوف**. وبالطبع فإنه كان بطريقة ما شبيهًا بالرواية أكثر من شبهه بالقصص البوليسية. وقد كان كتاب **الأجوف** هو أحد الكتب التي اعتقدت دومًا أنني دمرتها من خلال مقدمة **بوارو**. حيث أنني اعتدت على وجود **بوارو** في كتيبي، ومن ثم فإنه أصبح بطبيعة الحال هو هذا الشخص إلا أنه كان مخطئًا طوال الوقت. لقد فعل جميع أشياءه بصورة جيدة، ولكن ما مدى جودتها، ظلت أفكر فيما إذا كنت ألقت الكتاب بدونه. ولذلك فعندما بدأت في كتابة المسرحية استثنيت **هر كول بوارو** منها.

وبالفعل كتب **الأجوف** مع معارضة الآخرين لي بما فهم روزلن. فيما كان **بيتر ساندروز**، الذي أنتج لي العديد من المسرحيات في ذلك الحين، هو الوحيد الذي أعجب بهذه الرواية.

وعندما نجحت رواية **الأجوف** شعرت بالفخر. إنني أدرك بطبيعة الحال أن تأليف الكتب هي مهنتي الأساسية. كما بإمكانني إعداد حبات درامية وتأليف كتب حتى أبلغ من السن عتيا. هذا بالإضافة إلى أنني لم أشعر أبدًا باليأس حيال ما إذا كان بإمكانني التفكير في تأليف كتاب جديد.

وبالطبع يتوجب علي أن أقضى ثلاثة أسابيع أو ربما شهرًا عصيبًا، والذي يتوجب على الشخص قضائها عندما يحاول البدء في تأليف أحد الكتب، فليس هناك صراعًا يضاهي هذا الصراع، حيث أنك ترغب على الجلوس في إحدى الغرف تقضم الأقلام الرصاص أو تتأمل في الآلة الكاتبة أو تتجول في الغرفة أو تتمدد على الأريكة حيث تشعر بأنك تريد البكاء كثيرًا. ثم بعد ذلك تخرج من الغرفة وتزعج أحد الأشخاص المهمكين - وهو في العادة يكون ماكس حيث أنه ذو مزاج جيد، وأقول: "الأمر مزعج جدًا يا ماكس، هل تعلم أنني أشعر أنني نسيت كيفية التأليف - إنني ببساطة لا يمكنني التأليف مرة أخرى! إنني لن أولف كتبًا أخرى!

ومن ثم يستطرد ماكس: "أوه نعم، إنك لن تفعلين". لقد اعتاد على هذا الرد حيث يبدي قلقه في البداية، ولكنه في الوقت الحالي يشرد بنظره بعيداً ثم يعود إلى عمله ويتحدث بهدوء.

وكنْتُ أقول له "ولكنني أعلم أنني لن أستطيع التأليف. ليست هناك أي فكرة تخطر بذهني. لقد خطرت إلي فكرة ولكنها تبدو غير جيدة على الإطلاق في الوقت الحالي".

ثم رد ماكس "ينبغي عليك تجاوز هذه المرحلة فقط. لقد مررت بجميع هذه الأشياء من قبل. لقد قلت ذلك في السنة الماضية وقلت ذلك في السنة قبل الماضية".

ثم صرحت بصورة إيجابية قائلة: "ولكن الأمر مختلف حالياً".

وبطبيعة الحال لم يكن الأمر مختلفاً، إنه كان شبيهاً بما سبق تماماً. حيث أن الشخص دوماً ما ينسى ما شعر به مسبقاً عندما يشعر به مرة أخرى. إن جميع هذا البؤس واليأس وعدم القدرة على فعل أي شيء سيتحول في النهاية إلى أمراً خلاقاً. ولكن يبدو أن هذه المرحلة بالتحديد والتي يشعر الشخص فيها بالتعاسة يجب أن نمر بها جميعاً. فذلك يشبه عملية وضع أحد القوارض لإحضار ما تريده من نهاية جحر الأرانب. وحتى ذلك الحين تكون هناك العديد من الاضطرابات الداخلية، حتى تقضي وقتاً كبيراً تشعر خلاله بالملل - حيث أن الشخص لا يشعر بكونه طبيعياً على الإطلاق. ولا يمكن للشخص التفكير فيما يريد كتابته وفي حالة تناوله أحد الكتب فإنه لن يشعر بأنه يقرأ بصورة مناسبة. وفي حالة إذا ما أراد حل الكلمات المتقاطعة فإن ذهنه لن يكون حاضراً لحل الألغاز، فيشعر بتملك إحساس اليأس وعدم القدرة عليه.

ومن ثم وبدون وجود أية أسباب، تأخذك إحدى "الطاقات" الداخلية نحو البدء في المهمة. حيث تبدأ في القيام بمهمتك، وهذا يتولد لديك شعور بأنك

تستطيع فعل "ذلك"، وتنقشع الغيوم عن ذهنك. ثم تدرك فجأة وبقين مطلق ما تود قوله. وقد تتمشى خارج المنزل وتتجول في الطرقات متحدثًا إلى نفسك حيث تكرر المحادثة التي سيقوم بها مود مع إيلوين، وتحدد المكان الذي ستنتم فيه هذه المحادثة بالضبط، والمكان الذي سيكون الشخص الآخر واقفًا يراقبهم من بين الأشجار، وكيف أن طائر الذيال الصغير الميت المستلقي على الأرض تجعل "مود" تتذكر شيئًا قد نسيته، وما إلى ذلك من أفكار. وتعود إلى المنزل طائرًا من السعادة، أنت لم تقم بعمل شيء علي الإطلاق حتى الآن، ولكنك الآن هنا - منتصرًا.

في هذا الوقت، كانت كتابة المسرحيات تبدو لي شيئًا رائعًا، لأنها لم تكن وظيفتي بكل بساطة. لأنه لم يملكني شعور أنني ينبغي أن أفكر في مسرحية- كان ينبغي فقط أن أكتب المسرحية التي كنت أفكر فيها. وتعتبر كتابة المسرحيات أسهل بكثير من كتابة الكتب لأنك تستطيع رؤيتهم في عيون عقلك. لا يوجد شيء يعيقك عن الوصف الذي يعيقك أثناء كتابة الكتاب كما يعمل على إيقافك عن مسامرة ما يحدث. إن حدود المسرح تعمل على تبسيط الأشياء. حيث لا ينبغي عليك متابعة البطل وهو يصعد أو يهبط من السلم أو وهو خارج أو عائد من أرض التنس، أو التفكير في الأفكار التي ينبغي أن توصف. أنت ملتزم فقط بما تستطيع أن تراه أو تسمعه أو أن تتعامل معه. فالنظر والاستماع والشعور هو ما يجب أن تتعامل معه.

كان يجب علي أن أكتب كتابًا كل سنة- كنت متأكدة من ذلك. كانت الكتابة الدرامية تعتبر بالنسبة لي مغامرة- والتي كانت تتطلب دائمًا الصدمة. من الممكن أن تقوم بتأليف مسرحية بعد مسرحية ناجحة، وبعد ذلك، وبدون أي سبب، تبدأ سلسلة من التخبط. لماذا؟ لا أحد يعرف لماذا بالضبط. لقد رأيت ذلك بالفعل مع كثير من كتاب المسرح. لقد كانت هناك مسرحية والتي كانت تعتبر بالنسبة لي جيدة أو أفضل من مسرحيات أخرى ناجحة وعلى الرغم من ذلك تفشل- وذلك لأنها لم تلقي هوى الجمهور، أو لأنها كتبت في الوقت غير المناسب، أو أن طاقم الممثلين

قاموا بأدائها بشكل مختلف. نعم، كانت كتابة المسرحيات شيئاً لم أكن متأكدة أو واثقة منه. كانت مخاطرة كبيرة في كل مرة، وقد أحببتها بهذا الشكل.

لقد علمت بعد كتابتي مسرحية "الأجوف" أنه كان ينبغي علي أن أكتب مسرحية أخرى. ولو كان ذلك ممكناً، لكنت كتبت مسرحية مختلفة عن الكتاب. لقد كنت سأكتب المسرحية كمسرحية.

لاقت مدرسة كاليدونيا نجاحاً كبيراً بالنسبة لروزلن. وأعتقد أنها كانت من المدارس الرائعة التي عرفتھا، ومعلمھا من أفضل المعلمين على الإطلاق. فهم بكل تأكيد أبرزوا أفضل ما في روزلن. وكانت روزلن على قمة المدرسة، علي الرغم من أنها أشارت بقولھا "كان هذا ليس عادلاً، لأنه كانت هناك فتاة صينية أكثر مني مهارة." وأنا أعرف ماذا يفكرون فيه، يفكرون في أنه يجب أن تكون الأولى في المدرسة بنت إنجليزية". وأعتقد أنها كانت علي صواب فيما تقوله.

ومن كاليدونيا ذهبت روزلن إلى مدرسة بينيندن. وقد مللت منها منذ بدايتها- لم أعرف لماذا- فقد كانت مدرسة جيدة بكل المقاييس. ولكن لم تكن مهمة بالتعليم لأجل التعليم- اهتمت قليلاً بالمواد التي كنت مهمة بها، مثل التاريخ، ولكنها كانت جيدة في الرياضيات. وعندما كنت في سوريا، اعتدت أن يصلني رسائل منها تطلب مني أن أسمح لها بمغادرة بينيندن. كانت تكتب لي قائلة "أنا بالفعل لا أطيع أن أمكث سنة أخرى في هذا المكان". ومع ذلك، فقد شعرت بأن مكوثها في مدرسة لابد أن تنهيه بطريقة ملائمة، ولذلك كتبت إليها "أنها عندما تجتاز اختبار شهادة المدرسة- تستطيع أن تغادر بينيندن ويمكنها أن تنتقل إلى شكل آخر من أشكال التعليم.

كتبت إلي السيدة شيلدون، مديرة مدرسة روزلن "على الرغم من أن روزلن كانت شغوفة بالحصول على شهادة المدرسة الخاصة بالفصل الدراسي الثاني، إلا أنها تعتقد أنها ليس لديها أي فرصة في اجتياز الاختبار والحصول على الشهادة،

وليس هناك سبب يبرر لماذا لا تحاول". كانت وجهة نظر السيدة شيلدون خاطئة، وذلك لأن روزلن اجتازت شهادة المدرسة بكل سهولة. كان ينبغي عليها أن تكون فكرة عن بنت تبلغ الخامسة عشر.

السفر للخارج هو ما اتفقنا عليه سويًا. ظللت أنا وماكس مستمرين فيما وجدته مهمة مقلقة لاكتشاف المؤسسات المدرسية المتنوعة: عائلة في باريس وبعض البنات اللاتي تتم تربيتهم بكل عناية في إيفيان، على الأقل ثلاثة منهن كن معلمات موصي بهن في لويزيانا ومؤسسة في جستان حيث تستطيع البنات التزحلق على الجليد وممارسة ألعاب رياضية أخرى. وقد كنت سيئة في مقابلة الناس. وفي اللحظة التي جلست فيها أصبحت كالخرساء. ما شعرت به كان: "هل من الممكن أن أرسل بنتي إليك أم لا؟ هل من الممكن أن أعرف ما هو رأيك؟ كيف يمكنني أن أكتشف أنها تود أن تكون معك؟ وعلي أي حال ماذا عن ذلك كله؟" وبدلاً من ذلك، اعتدت أن أتهته وأسأل ما هي الأسئلة المنطقية في أي مما سمعته.

وبعد اجتماع مع العائلة، اجتمعنا على إقامتها في مدرسة مدام تشومي في جيستات. وقد ثبت إخفاقها. اعتدت أن أستقبل خطابات من روزلن مرتين أسبوعياً، "هذا المكان موحش أُمي، بالقطع موحش. البنات هنا-ليس لديهن أدنى فكرة عما يرغبون به! يلبسن السنود- وهذا ما سيظهر لك؟"

لم يظهر لي شيء. لم أرى لماذا يجب على البنات لبس السنود، ولم أعرف ما هو السنود.

"نحن نمشي اثنين اثنين كما نهوي! على حسب عمرنا! ولا يسمح لنا أبداً أن ننزل القرية لشراء أي شيء من المحل. إنه شيء موحش! سجن مطلق! لا يعلموننا أي شيء آخر. وبالنسبة للمراحيض التي تتحدثين عنها فهي لا تستخدم إطلاقاً. لم يرد أحد أن يقضي حاجته ولو مرة واحدة هناك! فلا يوجد هناك أي مياه دافئة في هذه الحمامات! وبالنسبة للتزحلق على الجليد بالطبع فهو بعيد. حيث يوجد القليل في شهر فبراير، ولكنني لم أعتقد بأنهم سيأخذوننا هناك."

أنقذنا روزلن من بؤسها هذا وأرسلناها إلى مدرسة في تشاتو دوكس، وبعد ذلك إلى عائلة من الطراز القديم في باريس. وفي طريق العودة من سوريا أخذناها من باريس ونأمل أن نتحدث باللغة الفرنسية. "كثيرًا أو قليلًا" وكانت حريصة على أن لا نسمع منها كلمة واحدة. وما حدث بعد ذلك هو أن سائق التاكسي الذي أخذنا من جير دوليو إلى منزل مدام لورن، حيث فتحت روزلن الشباك وأخرجت رأسها من خارج السيارة وخاطبته بلغة فرنسية حية واصطلاحية، حيث كانت تسأله لماذا بالضرورة يسلك هذه الشوارع وأخبرته عن الشوارع التي يجب عليه أن يسلكها، وكنت مسرورة بما اكتشفته من أن روزلن تستطيع أن تتحدث اللغة الفرنسية.

تحدثت أنا ومامد لورانت. أكدت لي أن روزلن تعتبر جيدة وكانت تتصرف كما يجب أن يكون: ولكن السيدة لورانت قالت "مامد، إنها باردة، برودة زائدة! ولعل هذا هو النخام البريطاني".

فقلت بعجالة أنها كانت متأكدة إلى حد ما أنه كان النخام البريطاني. ومرة أخرى مدام لورانت تؤكد لي أنها تحاول أن تكون مثل أم روزلن، "ولكن روزلن بها برود انجليزي".

وتنهدت مدام لورانت عندما تذكرت ما رفض قلبها إيضاحه.

ولإزال أمام روزلن ستة أشهر أو احتمال سنة تقضيها في التعليم. ولكنها قضت هذا الوقت مع عائلة بالقرب من مدينة ميونخ لتتعلم اللغة الألمانية وتأتي الموسم القادم إلى لندن.

وفي هذا الموسم كانت قد حققت النجاح، وقد أطلق على مظهرها كواحدة من أفضل المظاهر لفتاه في عمرها، وكانت مرحة وأعتقد أن هذا جعل لها قدرًا كبيرًا وأعطاهها ثقة وأخلاق جيدة.

وفتحت موضوع العمل مع روزلن وصديقتها الحميمة سوزان نورث.

وقلت لروزان بديكتاتورية "عليك أن تختاري شيئاً تفعله، ولا أهتم بماهية هذا الشيء. لماذا لم تتدربي كمدلّة؟ فهذا سيكون مفيداً في الحياة لاحقاً. أو أفترض أنك تقدرين تنظيم الزهور".

فقال سوزان "أوه، كل الأشخاص يفعلون ذلك"

وفي النهاية، فقد جاءت الفتاتان إلي وقالتا بأنهما يفكران في أنهما يحبّان أن يلتقطا صور فوتوغرافية. فقد كنت مبتهجة: كنت أتمنى أن أدرس بنفسني التصوير. فقد قمت بعمل معظم الصور الفوتوغرافية في الحفر وأعتقد أنه من المفيد بالنسبة لي أن أخذ بعض الدروس في أستوديو فوتوغرافي الذي لا أعرف عنه إلا القليل، فالكثير من أشياءنا تحتاج إلى أن نصورها في مكان مفتوح وليس في أحوال الأستوديو ولأن بعض منهم سيظل في سوريا فقد كان من المهم أن يكون لدينا أفضل الصور منها على قدر الإمكان.

فقالتا الفتاتان: "إننا لا نقصد ما تقصديه، إننا لا نقصد دروس التصوير الفوتوغرافي مطلقاً".

تساءلت في حيرة: "ماذا تقصدون؟"

"أوه، نقصد أن يتم تصويرنا أثناء ارتداءنا لملابس الاستحمام من أجل الإعلانات"

لقد أصابتني الدهشة حينها وبدا علي ذلك.

ثم استطردت قائلة: "لن يتم تصويركما أثناء ارتداء ملابس الاستحمام من أجل الإعلانات لن أفكر مطلقاً في قبول ذلك".

وصرحت روزلن بتنهّد قائلة: "إن أُمي من الطراز القديم. العديد من الفتيات يتم تصويرهن من أجل الإعلانات، إنهم يشعرون بالغيرة من بعضهن البعض"

تابعت سوزان: "كما أننا نعرف بعض المصورين، وأعتقد أنه يمكننا إقناع أحدهم بالتقاط صوراً لنا من أجل أحد إعلانات الصابون"

ولكنني استمررت في الاعتراض. وفي النهاية قالت روزلن أنها ستفكر في دروس التصوير. وأنها قد تحضر دروس تصوير عارضات الأزياء - حيث أنها لا تتطلب التصوير بارتداء ملابس الاستحمام. "إنها قد تكون ملابس حقيقية وستغطي الجسم حتى الرقبة إذا كنت تريد ذلك"

ومن ثم قمت بزيارة في يوم ما إلى مدرسة راينهارت للتصوير التجاري وكنت متشوقة للغاية وشعرت عند رجوعي إلى المنزل سأخبرهم أنني حجزت لنفسي دورة تدريبية في التصوير بدلاً من حجزها لهم. ولكنهن استغرقتن في نوبة ضحك. وصرحت روزلن: "لقد أعجبت أُمي بها بدلاً منا".

فيما قالت سوزان: "أوه، يا عزيزتي إنك ستشعرين بالتعب" فشعرت بالتعب بالفعل! فقد شعرت أنني متهاكة بعد مرور اليوم الأول حيث كنت أجري صعوداً ونزولاً على درجات السلالم الحجرية كما كنت أطور مهاراتي الخاصة واستعيد السيطرة عليها.

إن مدرسة راينهارت للتصوير لها العديد من الأقسام المختلفة بما فيها أحد الأقسام الخاصة بالتصوير التجاري، حيث تلقيت إحدى دوراتي التدريبية هناك. فقد كانت هناك نزعة في ذلك الوقت تجاه جعل جميع الأشياء تبدو مختلفة عما هي عليه بقدر الإمكان. فربما يكون عليك وضع ستة ملاعق كبيرة على أحد المناضد ثم تصعد على أحد السلالم النقالة حتى آخر درجة وتلتقي بعض النظرات القصيرة. كما كانت هناك نزعة أيضاً تجاه التقاط صور فوتوغرافية لأحد العناصر غير الموجودة في منتصف اللوحة ولكنها موجودة في مكان ما آخر في الزاوية اليسرى أو بعيداً عنها، أو صور فوتوغرافية لأحد الأوجه التي تعتبر جزءاً من وجه آخر. لقد كان ذلك هو أحدث شيء حينها. كما أنني أخذت إحدى الرؤوس المنحوتة من خشب

الزنان إلى المدرسة ذات مرة وأجريت بعض تجارب التصوير الفوتوغرافي المختلفة باستخدام جميع أنواع ترشيح الألوان-الأحمر والأخضر والأصفر- وتجربة جميع التأثيرات المختلفة غير الطبيعية التي يمكن الحصول عليها باستخدام كاميرات التصوير المختلفة ومختلف أنواع ترشيح الألواح.

إلا أن الشخص الوحيد الذي لم يشاركني في حماسي كان هو ماكس التيس. حيث أنه كان يريد أن يقوم بأعمال تصوير فوتوغرافي مناقضة لأعمالي. فقد كان ينبغي أن تبدو الأشياء كما هي عليها تمامًا مع توفير أكبر قدر ممكن من التفاصيل ووجهات النظر وما إلى ذلك.

وقد بادرت قائلة: "ألا تعتقد أن هذا العقد يبدو باهتًا أكثر من هذا؟"

فأجابني ماكس: "لا أعتقد ذلك. إن الطريقة التي قمت بتصويرها غير واضحة ومنحرفة"

"ولكنه يبدو جميلًا بهذه الطريقة!"

إنني لا أريده أن يبدو جميلًا. إنني أريده كما هو. كما أنك لم تضعين قضيب القياس فيه"

فردت "إن ذلك قد يفسد الجانب الفني للصورة إذا وضعت قضيب القياس، إنه يبدو بشعًا"

استطرد ماكس: "يجب عليك أن توضحني حجمه. إن ذلك الأمر هو الأكثر أهمية."

يمكنك وضعه في أسفل الصورة أليس كذلك، في التسمية التوضيحية للصورة؟"

"الأمر ليس كذلك، إنك ترغب في رؤية القياس على وجه التحديد."

ثم تهتدت بعمق، إنني أشعر أن قدراتي الفنية قد خذلتني حيث أنني قد حدثت تمامًا عن ما كنت أنوي فعله، لذلك طلبت من المعلم الخاص بي أن يعطيني دروسًا إضافية حول تصوير الأشياء من وجهة نظر محددة. إلا أنه شعر بالضجر إلى حد ما بسبب فعل ذلك، كما أنه استنكر النتائج. ومع ذلك فإن هذا الأمر كان يتحول إلى صالحٍ ويصبح مفيدًا لي.

فإنني قد تعلمت شيئًا واحدًا على الأقل: وهو أنه لم يكن هناك ما يسمى التقاط صورة فوتوغرافية لشيء ما ثم بعد ذلك التقاط صورة أخرى لأن الصورة الأولى لم تكن جيدة. فقد كان الجميع في مدرسة راينهارت يلتقطون ما لا يقل عن ١٠ صور نيجاتيف للعنصر الواحد. علاوة على ذلك، فقد كان العديد منهم يلتقطون عشرين صورة نيجاتيف. إلا أن هذا الأمر كان مرهقًا عند القيام به بانفراد، كما أنني اعتدت على الرجوع إلى المنزل مرهقة لدرجة أنني تمنيت لو لم أبدأ في هذا الأمر من الأساس. ومع ذلك تبددت هذه الأحاسيس في صباح اليوم التالي.

وقد أنتت روزلن في أحد السنوات إلى سوريا، واعتقد أنها استمتعت بمرافقتنا. حيث دربها ماكس على رسم أحد الصور. وفي الحقيقة إنها ترسم بصورة جيدة، وقد رسمت صورة رائعة إلا أن مشكلة روزلن تكمن في سعيها للكمال، على عكس أمها. فإنها إذا لم تشعر أنها ستتمكن من إنهاء أحد الأشياء بصورة كاملة فإنها تتخلص منها نهائيًا في حينها. وقد رسمت روزلن مجموعة من هذه الصور ثم تحدثت إلى ماكس قائلة: "إنها ليست جيدة على الإطلاق—سوف أقطعها"

فأجابها ماكس: "لا، لا تقطعيها".

ثم استطردت روزلن: سوف أقطعها"

وبعد ذلك دخلا في شجار مع بعضهما، حيث كانت روزلن تستشيط غضبًا كما كان ماكس غاضبًا. وأخيرًا تم إنقاذ رسومات الأواني المطلية، وتم وضعها في كتاب ماكس "قل براك"— إلا أن روزلن لم تصرح أبدًا أنها راضية عن هذه الصور.

ثم أحضر لنا أحد الشيوخ أحصنة وذهبت روزلن لركوبها بصحبة غويلفورد بيل وهو ابن أخ صديقي الاسترالي الشاب المهندس المعماري إلين بيل. إنه كان فتى محبوب جدًا وقد رسم بعض الرسومات شديدة الجمال بالقلم الرصاص للتعاويد الخاصة بنا في براك. إنها كانت تمثل أشياء صغيرة جميلة- مثل الضفادع والأسود والكباش والثيران- كما أن التظليل الدقيق الذي رسمه بالقلم الرصاص في تلك الرسومات أعطى صورة جمالية لها.

وفي هذا الصيف أتى غويلفورد للإقامة بصحبتنا في توركاى، وفي ذات يوم وصل إلى أسمعنا أن هناك منزلًا معروضًا للبيع وقد كنت أعرف هذا المنزل عندما كنت صغيرة- وهو منزل جرينواي الموجود في منطقة الدارت، حيث كانت أمي دومًا تقول أنه أكثر منزل يحظى بالكمال من بين جميع المنازل الموجودة في منطقة الدارت، كما أنني كنت أعتقد ذلك أيضًا.

ولهذا قلت لهم: "دعونا نذهب ونلقي نظرة عليه. سيكون من الممتع رؤيته مرة أخرى. إنني لم أره منذ أن كنت هنا بصحبة أمي في صغري".

ومن ثم ذهبنا إلى منزل جرينواي وقد كان يبدو شديد الجمال كما بدت الأرض حوله كذلك. فقد كان منزلًا جورجيًا أبيض اللون يعود للثمانينيات أو التسعينيات من القرن السابع عشر، مع وجود أشجار كثيفة طوال الطريق حتى منطقة الدارت، بالإضافة إلى وجود العديد من الشجيرات والأشجار المقلمة- إنه كان منزلًا مثاليًا أو هو منزل الأحلام. ونظرًا لأننا كنا نستطيع رؤيته، تساءلت عن سعر المنزل، على الرغم من أنني لم أكن مهتمة كثيرًا بسعره. ولكنني شعرت أنني لم أسمع الإجابة جيدًا.

"سنة عشر ألفًا، أهذا ما قلته للتو؟"

"سنة آلاف".

"سنة آلاف؟ إنني بالكاد أصدق هذا. ثم اتجهنا إلى منزلنا وأثناء الطريق تحدثنا عنه. حيث قولت: "إنه رخيص للغاية، إن مساحته تبلغ ثلاثة وثلاثون إكتر، كما أن حالته لا تبدو سيئة، يحتاج فقط إلى بعض الديكور".

وبادرني ماكس متسائلاً: "لماذا لا تشتريه؟"

لقد أذهلني هذا السؤال وتفاعلات به، حيث أنني لم أتوقعه من ماكس.

"إنك كنت قلقة حيال أشفيلد، أليس كذلك؟"

إنني أعرف ماذا يعنيه، إن أشفيلد منزلي قد تغير. حيث كانت منازل جيراننا تحيط بنا قبل ذلك - بالإضافة إلى فيلات أخرى من نفس النوع - ولكنها الآن تحجب الرؤية في الجزء الضيق من الحديقة بالإضافة إلى المدرسة الثانوية التي تفصل بيننا وبين البحر. كما أصبح الوضع صاخبًا طوال اليوم بسبب صراخ الأطفال. وعلى الجانب الآخر من المنزل أصبحت هناك مستشفى للأمراض العقلية. حيث كانت تصدر منها بعض الأصوات الغريبة، كما كان المرضى يظهرون بصورة مفاجئة في الحديقة. كنت أعتقد أنهم يتمتعون بكامل الحرية لفعل ما بدا لهم، إلا أن بعض الأحداث التعيسة حدثت لنا. ففي أحد الأحيان ظهر عقيد مفتول العضلات مرتديًا ملابس النوم ملوحًا بمضرب الجولف في إشارة إلى أنه يعتزم القضاء على جميع حيوانات الخلد الموجودة في الحديقة، وفي مرة أخرى جاء ليهاجم كلبنا الذي ينبج. ولذلك اعتذرت لنا الممرضات وأخذنه إلى المستشفى وصرحن بأنه في صحة جيدة إلا أنه يعاني من "اضطراب" بسيط، بيد أن هذا الأمر كان ينذر بالخطر حيث أن ذلك قد أفزع الأطفال الذين كانوا معنا لمرة أو مرتين.

وفي الوقت الذي كانت فيه جميع أنحاء توركاوي مناطق ريفية: كانت هناك ثلاث فيلات أعلى التل ثم يتلاشى الطريق بعدها داخل البلدة. كما أن الحقول الخضراء الخصبة التي اعتدت على الذهاب إليها لرؤية الحملان التي ترعى فيها

تلاشت واستبدلت بمجموعة من المنازل الصغيرة. ولم يعد أي شخص من الذين نعرفه يسكن هناك. ومع ذلك كانت أشفيلد محاكاة ساخرة لنفسها.

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا لم يكن سببًا كافيًا لشراء منزل جرينواي. إلا أنني أتعجب من كيف أن الفكرة خطرت ببالي. فلطالما كنت أدرك أن ماكس لم يكن يحب أشفيلد. مع أنه لم يصح لي بذلك، ولكنني كنت أعرف ذلك. كما أنني أعتقد أنه كان غيورًا منها بصورة أو بأخرى حيث أنها كانت تمثل جزءا من حياتي لم أكن أشاركه فيه— على حسب ظني. بالإضافة إلى أنه قال لي بشكل عفوي بخصوص منزل جرينواي: "لماذا لا تشتريه؟"

ولهذا فإننا قمنا استعلمنا عنه، حيث ساعدنا غويلفورد في ذلك الأمر من خلال فحص المنزل بصورة مهنية ثم قال: "حسنًا، سوف أنصحكم بشيء خفضوا نصف ثمنه"

"نخفض نصف الثمن؟"

"نعم، ألا ترون أن جميع هذا الجزء يعود إلى العصر الفيكتوري. كما يمكنكم صرف النظر عن هذا المنزل الذي يعود للقرن السابع عشر وشراء منزل آخر بجميع هذه الإضافات—غرفة للعب البيليارد وغرفة للدراسة وغرف نوم وحمامات جديدة في الطابق العلوي. حيث أنه سيكون منزلًا أفضل بكثير وذو سعر أرخص. إلا أن المنزل الأصلي في الحقيقة هو منزل جميل للغاية"

قولت: "لن يكون لدينا حمامات متبقية في حالة هدمنا المنزل الذي يعود للعصر الفيكتوري" ز

"يمكنكم بسهولة بناء حمامات جديدة في الطابق العلوي. وسيقلل من نسبكم بصورة كبيرة"

ومن ثم اشترينا جرينواي. وخولنا السلطة لغويلفورد، حيث أعاد تصميم المنزل على نفس الأساس القديم. ثم أضفنا الحمامات الجديدة في الطابق العلوي، وفي الطابق السفلي أضفنا حجرة لإيداع المعاطف وأبقينا على باقي الطابق السفلي دون تغيير. أتمنى لو أنني كنت أتمتع بنعمة البصيرة - فإذا كانت لدي هذه النعمة لكنت أضفت قطعة أرض أخرى إلى المنزل: مثل المخزن الواسع والحظائر الكبيرة التي تحتوي على خنازير ومخزن إضرام النيران وحجرة غسل الأطباق. فبدلاً من ذلك كنت سأخصص مطبخ صغير أستطيع من خلاله الانتقال إلى حجرة الطعام التي لا تبعد سوى خطوات قليلة والذي سيكون من السهل إدارته بدون أي مساعدة لصغر حجمه. إلا أنني أعتقد أنه لن يمكنني التخلي عن وجود مساعدة منزلية، لذلك قررنا ترك جزء المطبخ كما هو. وبعد أن أنهينا التعديلات وزين المنزل باللون الأبيض الزاهي انتقلنا إلى هناك.

وفور أن انتقلنا إلى هناك وكنا في غاية السعادة، اندلعت الحرب العالمية الثانية. إنها لم تكن مشابهة للحرب الأولى ١٩١٤. حيث أننا تلقينا تحذيرات مثل: دخول ميونخ، إلا أننا أنصتنا إلى ضمانات **تشمبرلين**، واعتقدنا أنها حقيقية عندما صرح قائلاً: "السلام يكمن في عصرنا"

بيد أن السلام لم يتحقق في عصرنا





الجزء العاشر

الحرب العالمية الثانية



وهكذا بدا أننا قد بدأنا نعاني مرة أخرى من ويلات الحرب. ولم تكن هذه الحرب مثل الحرب العالمية الأولى، كما كنت أتوقع أن تكون، لأنني أفترض دائماً أننا نتوقع تكرار حدوث الأشياء. فقد صاحب الحرب العالمية الأولى صدمة من عدم فهم للملابسات والأحداث، فقد كانت شيئاً لم نسمع به من قبل، إن لم يكن مستحيل الحدوث. وكانت أمراً لم يخطر لأحد على بال أن يحدث من قبل ولا بعد ذلك. أما هذه الحرب العالمية الثانية فقد كانت مختلفة.

في البداية كان هناك ما يشبه المفاجأة المصحوبة بالشك والارتباك في أن شيء ما قد يحدث. توقعت أن أسمع لندن تتعرض للقصف في الليلة الأولى، لكن لندن لم تتعرض للقصف.

أعتقد أن الجميع كان يحاول الاتصال بجميع معارفه وأحبابه. فقد اتصلت بي من الساحل الشرقي بيغي ماكليود، صديقتي الطيبة التي تعرفت عليها في رحلتي إلى الموصل حيث تعمل هي وزوجها هناك، لتطلب مني أن استقبل أطفالها في بيتي: "نحن هنا خائفون- فهذا هو المكان الذي يتوقع الجميع أن تبدأ الحرب فيه كما يقولون. وإذا كان بإمكانك أن تستقبلي أطفالنا، سأبدأ رحلتي إليك في السيارة لأوصلهم إليك". "قلت لها أن كل شيء سيكون على ما يرام وأنها يمكنها أن تحضرهم عندي هم والمرية أيضاً إذا كانت ترغب في ذلك، ورتب كل شيء.

ووصلت بيغي ماكليود اليوم التالي، وقد قضت يوم وليلة وهي تقود السيارة عبر أنحاء إنجلترا مع كريستال، طفلي الروحي، الذي كان في الثالثة من عمره، وديفيد، الذي كان في الخامسة. وكان الإرهاق بادياً على بيغي. حين قالت "لا أعرف كيف كنت أستطيع القيام بتلك الرحلة بدون البنزدرين." انظري، فلدى المزيد منه هنا. وأرغب كثيراً في إعطائك إياه. فقد يكون مفيداً لك فيما بعد عندما تكونين

مرهقة. ولا يزال لدى هذه اللعبة الصغيرة المسطحة من البنزيردين التي لم يسبق لي استخدامها. لقد احتفظت بها ربما قد احتاج إليها عندما يبلغ منى الإرهاق مبلغه".

قمنا بالاستعدادات اللازمة قدر المستطاع، في انتظار حدوث شيء ما. ولكن لم يحدث شيء، وبدأنا في ممارسة شئون حياتنا بصورة طبيعية والقيام ببعض الأنشطة الحربية اللازمة.

انضم ماكس إلى قوات الحماية الشعبية، والتي كانت في ذلك الوقت تشبه الأوبرا الهزلية حقًا. فلم يكن هناك سوى بندقية واحدة لكل ثمانية رجال على ما أعتقد. وكان ماكس يخرج معهم كل ليلة. بعض الرجال كان يستغل ذلك في الترفيه عن أنفسهم كثيرًا وكانت لدى بعض الزوجات شكوك عميقة حول ما كان يفعله أزواجهن خلف هذا التظاهر بحراسة البلاد. في الواقع مرت الشهور ولم يحدث شيء، وأصبحت هذه القوات تجمعًا احتفاليًا مبهجًا وصاخبًا. وفي النهاية قرر ماكس أن يذهب إلى لندن. فمثله مثل الكثيرين كان يرغب في أن يتم إرساله إلى الخارج، أو أن تسند إليه بعض الأعمال للقيام بها، ولكن يبدو أن كل ما كان يقال له من كل من قابلهم هو: "لا شيء يمكن القيام به في الوقت الحاضر" - لسنا في حاجة إلى أحد".

ذهبت إلى المستشفى في توركاوي وسألت عما إذا كان من الممكن السماح لي بالعمل في المستوصف لكي أجدد معلوماتي تحسبًا لإمكانية أن أكون مفيدة لهم في وقت لاحق. وبما أنه كان من المتوقع وجود إصابات في كل الأوقات، لذا فقد أبدت رئيسة المستوصف ترحيبًا كبيرًا بانضمامي إليهم. وعرفتني على مختلف الأدوية والأشياء التي تستخدم في الوقت الحاضر. على العموم فقد كانت الأمور أبسط بكثير مما كانت عليه في أيام شبابي، فهناك الكثير من الحبوب والأقراص والمساحيق والأشياء المعدة بالفعل والمعبأة في زجاجات.

لم تبدأ الحرب العالمية عندما بدأت فعلاً في لندن أو على الساحل الشرقي، ولكن بدأت في هذا الجزء القريب منا من العالم. وكان ديفيد ماكلويد، وهو الصبي

الأكثر ذكاء، شغوفًا بالطائرات، وبذل من وقته الكثير من أجل تعريفي بمختلف أنواعها. فقد عرض علي صور المقاتلات الألمانية التي تسمى **مسرشميتس** وغيرها من الطائرات، وأشار إلى طائرات **الهوريكانز** وطائرات **السبيتفاير** وهي تحلق في السماء.

وكان دائمًا ما يقول لي بعد فراغ صبره من عدم تعريفي على أنواع الطائرات "هل استطعت أن تميزي هذه الطائرة وتعرفتي عليها؟" يا ترى ما هو نوع تلك الطائرة التي تحلق هناك؟.

كانت الطائرة تحلق بعيدًا جدًا وكانت تبدو من بعيد كأنها نقطة، ولكنني قلت له أنها كانت إحدى طائرات **الهوريكانز** أملًا مني أن أكون على صواب هذه المرة.

لكن ديفيد قال بـ **اشمئزاز** 'لا'، 'إنك تخطئين في كل مرة. هذه هي إحدى طائرات **السبيتفاير**'.

وفي اليوم التالي أشار ناظرًا إلى السماء، هذه إحدى طائرات **مسرشميتس** تحلق فوقنا الآن".

"لا، لا يا عزيزي" "إنها ليست **مسرشميتس** الألمانية-بل إحدى طائراتنا من طراز **الهوريكانز**".

"إنها ليست إحدى طائرات **الهوريكانز**".

"إذن لابد أن تكون إحدى طائراتنا من طراز **السبيتفاير**"

"إنها ليست من طراز **السبيتفاير**، إنها طائرة **مسرشميتس** ألا يمكنك أن تميزي بين طائرة من طراز **مسرشميتس** وبين طائرة من طراز **الهوريكانز** أو من طراز **السبيتفاير**؟"

"قلت 'لا يمكن أن تكون **مسرشميتس**'. في اللحظة أسقطت الطائرة قنبلتين على جانب التل.

واكفهر وجهه وقال لي وفي صوته نبرة حزن "لقد قلت لك إنها طائرة مسرشمته".

بعد ظهر ذلك اليوم ذاته، انقضت طائرة على جميع القوارب التي كانت تبحر في النهر وأمطرتها بوابل من النيران عندما كان الأطفال في القارب ومعهم المربية. وقد تناثر الرصاص حول المربية والأطفال، وعادت المربية وهي ترتعش من الخوف وتقول "أعتقد أنه يستحسن أن تتصلي بالسيدة ماكلويد، لذلك اتصلت ببيغي، وذلك لننتفك على ما الذي يجب علينا فعله.

قالت بيغي "لم يحدث أي شيء هنا. وأظن أن الحرب قد تبدأ في أي وقت. ولا أعتقد أنهم يجب أن يأتوا إلى هنا، ألا تتفقين معي في ذلك؟"

قلت لها "ربما لن يكون هناك أي شيء أكثر من ذلك".

شعر ديفيد بالإنارة بخصوص القنابل، وأصر على الذهاب لرؤية الموقع الذي سقطت فيه هذه القنابل. وكانت قنبلتين قد سقطتا في النهر بالقرب من ديتشام والقنابل الأخرى سقطت على التل من خلفنا. وجدنا قنبلة بعد أن قمنا بالبحث في مجموعة من نباتات القراص الشائك والالتفاف حول سياج أو اثنين، وأخيرًا التقينا بثلاثة من المزارعين كانوا ينظرون إلى الحفرة التي صنعتها القنبلة التي انفجرت في الحقل، وإلى القنبلة الأخرى التي يبدو أنها قد سقطت دون أن تنفجر.

وقال أحد المزارعين وهو يركل القنبلة التي لم تنفجر بكل ما أوتى من قوة "سحقًا لهم، لقد تعودنا منهم على هذه القذارات، وأنا أسي إسقاط تلك الأشياء علينا- قذارة!"

وأخذ يركل القنبلة مرة أخرى. وكنت أرى أنه من الأفضل أن لا يفعل ذلك، ولكن كان من الواضح أنه يرغب في إظهار احتقاره لكل الأعمال التي يقوم بها هتلر.

وقال باستخفاف 'حتى إنها لا تنفجر بالشكل الصحيح'.

كانت القنابل صغيرة للغاية، بالمقارنة مع ما كنا نتعرض له في الحرب الأولى، ولكن كان ذلك دليلاً على أن القتال قد بدأ. وفي اليوم التالي وصلتنا أخبار من كورنورثي وهي قرية تقع على خط سكة حديد دبلن الساحلي، أن هناك طائرة قد انقضت على فناء المدرسة وأمطرته بوابل من النيران عندما كان الأطفال في الملعب. وقد تعرضت إحدى المدرسات لإصابة في الكتف.

وقد اتصلت بي بيغي مرة أخرى، وقالت أنها قد رتبت لانتقال الأطفال إلى خليج كولن حيث تقيم جدتهم. وكان يبدو أن الأمور مستتبة هناك على أية حال.

وغادر الأطفال، وكنت حزينة على تركهم يتعدون عني. وبعد ذلك بوقت قصير كتبت لي السيدة ارباوثنوت أنها تريد مني أن أؤجر المنزل لها. فيما أن القصف قد بدأ، فقد تقرر إجلاء الأطفال إلى أماكن مختلفة من إنجلترا. وقالت لي أنها تود أن تجعل من منزلي في جرينواي دار حضانة للأطفال الذين تم إجلاؤهم من سانت بانكراش.

لكن بعد ذلك بدا أن الحرب قد انتقلت من هذا الجزء من العالم، فلم يكن هناك المزيد من القصف، ووصل السيد ارباوثنوت وزوجته في الوقت المناسب، وتوليا القيام بمهام مدير المنزل وزوجته، وأنشأ دار حضانة لعشرة أطفال دون سن الخامسة واستعانا بمرضتين من المستشفى. وقررت أن أذهب إلى لندن ليلتئم شملي بماكس، الذي كان يعمل هناك في الإغاثة التركية.

وصلت إلى لندن بعد الغارات، وبعد أن التقت بماكس في بادينغتون، أخذني إلى شقة في شارع هاف مون. وقال معتذراً "أمشفق عليك، فحالة الشقة سيئة. يمكننا البحث عن شقة أخرى".

وعندما وصلت إلى الشقة ترددت قليلاً حيث أن المنزل الذي تقع فيه يقف وحيداً فلا توجد منازل حوله، ويبدو أن المنازل التي كانت حوله انهارت بسبب انفجار قنبلة قبل حوالي عشرة أيام، ولهذا كانت الشقة معروضة للإيجار، بعد أن

غادر أصحابها على عجل. ولا أستطيع القول أنني شعرت بالارتياح للإقامة في هذا البيت الذي تفوح منه رائحة فظيعة بسبب الأوساخ والشحوم والمعطرات الرخيصة.

وانتقلنا أنا وماكس بعد أسبوع إلى بارك بلايس، المتفرع من شارع سانت جيمس، وسكننا في شقة كانت من قبل من الشقق الفخمة الراقية. ومكثنا هناك لفترة قليلة، وكنا نعاني فيها من أصوات تساقط القنابل من حولنا. وكنت أشعر بالإشفاق على القائمون بالخدمة، الذين كانوا يضطرون إلى تقديم وجبات الطعام لنا في المساء ثم يعودون إلى منازلهم أثناء الغارات الجوية.

طلب مستأجرو منزلنا في شيفيلد تيراس السماح بفسخ عقد الإيجار، لذلك انتقلنا مرة أخرى.

وكانت روزلن قد قدمت طلبات للانضمام إلى القوات الجوية النسائية المساعدة، لكنها لم تكن متحمسة، وترى من الأفضل لها أن تنضم إلى الخدمات الأرضية التي تشارك فيها الفتيات.

وذهبت إلى القوة الجوية النسائية المساعدة لمقابلة شخصية. لكنها تعمدت أن تظهر أنها تفتقر إلى المقومات اللازمة. فعندما سئلت عن سبب رغبتها في الانضمام إلى القوة الجوية النسائية المساعدة أجابت: "لأن كل واحد لابد أن يفعل شيئاً وأن انضمها سيفيد الوطن كأني شيء آخر يمكن أن تقوم به". لكن هذا الرد على الرغم من صدقه وصراحته، لم يلقى في اعتقادي قبولاً حسناً. وفي وقت لاحق، بعد أن أمضت فترة وجيزة في تقديم الوجبات المدرسية والقيام ببعض الأعمال العسكرية في مكتب في مكان ما قالت أنها تعتقد أنها ترغب في الانضمام إلى خدمات النقل الجوية التي لم يكن المسئولون فيها متعالون متسلطون، كما كانت تقول، مثل المسئولون في القوات الجوية النسائية المساعدة. وقدمت مجموعة جديدة من طلبات الالتحاق.

ثم حدث أن انضم ماكس إلى سلاح الجو مما أثلج صدره. وقد ساعده صديقنا ستيفن جلانفيل، أستاذ علم المصريات. وكان هو وماكس في وزارة القوات الجوية، حيث كانا يشتركان في غرفة، وكانا من المدخنين - كان ماكس يدخن الباب - بشكل متواصل. وكان جميع أصدقائهم يطلقون على الغرفة التي يقيمان فيها "منزل القط الصغير" بسبب رائحة الدخان التي تنبعث منها.

وتوالى الأحداث بصورة مربكة. وأتذكر أنه تم قصف شيفيلد تيراس في عطلة نهاية الأسبوع عندما كنا مسافرين بعيداً عن لندن. وسقطت الألغام الأرضية بالضبط أمام المنزل، على الجانب الآخر من الشارع، ودمرت ثلاثة منازل بشكل كامل. وكان أثر ذلك واضحاً على المنزل رقم ٤٨ في شيفيلد تيراس والذي انهار فيه الطابق السفلي، وهو الطابق الذي يفترض أن يكون الأكثر أماناً، وتعرض السطح والطابق العلوي لبعض التلفيات، ولم يتعرض الطابق الأرضي والطوابق الأولى لأي أضرار تقريباً. ولم يعد منزلي في ستاينواي بعد ذلك إلى سابق عهده أبداً.

وحيث كنا أنا وماكس ننام دائماً في غرفة النوم الخاصة بنا، ولا ننزل أبداً إلى الطابق السفلي، فلا أعتقد أن أي ضرر كان سيصيبنا حتى لو كنا في المنزل. فأنا نفسي لم يسبق لي أن ذهبت إلى أي ملجأ خلال الحرب العالمية الثانية. وكنت دائماً أشعر بالرعب من أن ينهار علي الملجأ تحت الأرض - لذلك كنت أنام في سريري الخاص بغض النظر عن مكان وجودي. وتعودت في النهاية على الغارات في لندن لدرجة أنني لم أكن استيقظ على صرخها. وكنت أظن، ما بين اليقظة والنعاس، أنني قد سمعت صفارات الإنذار، أو أصوات قنابل انفجرت غير بعيد عني.

فأهمهم وأقول "يا عزيزي، إنها غارة أخرى!" ثم أعود لأكمل نومي وكأن شيئاً لم يحدث".

وكان من الآثار الصعبة للتفجير والقصف الذي حل بمنزلي في شيفيلد تيراس أنه كان من الصعب الحصول على مساحة تخزين في أي مكان في لندن في ذلك

الوقت. حيث أنه كان من الصعب الوصول إلى المنزل على الحالة التي هو عليها الآن، من خلال الباب الأمامي ولم يكن من الممكن الوصول إليه إلا من خلال سلم. وفي نهاية الأمر، تمكنت من إقناع شركة لنقل الأثاث، وخطرت لي فكرة بأن أأخذ الأثاث في **الينجفورد**، في ملعب الاسكواش الذي كنا قد بنيناه منذ حوالي سنة أو سنتين. لذلك تم نقل كل شيء إلى هناك. وكنت قد رتبت لوجود بعض البنائين المستعدين لهدم وتجهيز مدخل ملعب الاسكواش والبوابة إذا لزم الأمر- وهذا أمر كان لابد من القيام به لأن الأريكة والكراسي لا يمكن أن تدخل من خلال المدخل الضيق.

ثم انتقلت أنا وماكس إلى شقة في شارع **هامبستيد** في التجمع السكني المسمى **شق لاون**- وبدأت العمل في مستشفى الجامعة كصيدلانية.

وعندما صرح لي ماكس بما كان يعرفه بالفعل، وأعتقد انه كان يعرف من وقت طويل، أنه لابد أن يسافر إلى الخارج للشرق الأوسط وعلى الأرجح شمال أفريقيا أو مصر، كنت سعيدة من أجله. فقد كنت أعرف كيف أنه يتحرق شوقاً للذهاب، ويبدو أنه كان أيضاً على حق لأنه لابد من الاستفادة من معرفته باللغة العربية. وكان هذا أول فراق بيننا وأستمر لمدة عشر سنوات.

كانت شقق **لاون رود** مكان جيد للإقامة طالما أن ماكس مسافراً بعيداً. وهناك كان الناس ودودين. وكان هناك مطعم صغير، ويتسم المكان بجو مريح من البساطة وعدم التكلف. وخارج نافذة غرفة نومي- التي كانت في الطابق الثاني- كنت أرى الأشجار والشجيرات المزروعة على ضفة النهر خلف الشقق. وأمام نافذتي بالضبط كان هناك شجرة كرز بيضاء كبيرة تضاهي شكل الهرم بفرعها الضخمين. وكان الأثر الذي تركه منظر ضفة النهر علي يشبه إلى حد كبير ذلك الأثر الذي تشعر به وأنت تقرأ الفصل الثاني من مسرحية **باري "عزيزي بروتوس"** عندما ينظرون إلى النافذة ويجدون أن غابة لوب قد وصلت إلى زجاج النافذة. وكانت شجرة الكرز

مصدر بهجتي. فقد كانت أحد الأشياء التي تبهجني عندما استيقظ كل صباح في الربيع.

وكان هناك حديقة صغيرة على أحد جانبي مبنى الشقق، ويمكن للمرء في أمسيات الصيف أن يتناول بعض وجبات الطعام هناك، أو يستمتع بالجلوس فيها. بالإضافة إلى أن هامبستيد هيث لم تكن تبعد سوى عشر دقائق تقريبًا سيرًا على الأقدام، وكنت أذهب وأصطحب معي كلب كارلو المسمى جيمس سيرًا على الأقدام. وكنت أصطحب معي هذا الكلب المنحدر من سلالة ويلزية تسمى السيلهام، لأن كارلو كانت تعمل في ذلك الوقت في مصنع للذخيرة ولا يمكنها أن تأخذه معها إلى هناك. وكانت علاقتي بالجميع جيدة في مستشفى الجامعة: وقد سمحوا لي باصطحابه في الصيدلية. وكان سلوك جيمس مشرقًا. فقد كان يستلقي تحت أرفف الزجاجات بشكله الذي يشبه السجق الأبيض، وبين الحين والآخر تداعبه الخادمة وهي تقوم بأعمال التنظيف.

وقد نجحت روزلن في عدم اجتياز المقابلة والانضمام إلى القوات الجوية النسائية المساعدة. وأمضت فترة وجيزة في تقديم الوجبات المدرسية وبعض الأعمال العسكرية وأنواع مختلفة من أعمال الحرب، بدون أن تستقر، على قدر ما وصل إليه فهمي على أي شيء محدد. ملأت عددًا كبيرًا من أوراق واستمارات الانضمام وذكرت فيها الأماكن والأسماء وجميع المعلومات غير الضرورية التي لا بد أن تكون موجودة في هذه الاستمارات. وبعد ذلك قالت فجأة: "لقد مزقت كل تلك الاستمارات صباح اليوم. أنا لن أنضم على أية حال".

قلت بانفعال. "أحقًا، يا روزلن!، يجب أن تفكري وتقرري ماذا تريدان أن تفعلي. أنا لا يهمني ما تقومين به- قومي بما تريدان القيام به- ولكن لا أريدك أن تستمري على هذا المنوال تبدئين في فعل شيء، ثم بعد ذلك تقومين بتمزيق الاستمارات وتغيرين رأيك".

قالت روزلن "حسنًا، لقد فكرت في شيء أفضل للقيام به، وأضافت، ويظهر على وجهها التردد الشديد الذي يبدو على جميع الشباب من جيلها عندما يخبرون آبائهم بأي معلومات: "في واقع الأمر، لقد قررت الزواج بهوبير بريتشارد يوم الثلاثاء المقبل".

لم يكن في هذا الأمر أدنى مفاجأة، باستثناء حقيقة أن موعد الزفاف كان قد حدد له أن يتم يوم الثلاثاء من الأسبوع الذي يليه.

كان هوبير بريتشارد رائد في الجيش النظامي، وهو شاب من ويلز، كانت روزلن قد التقت به في منزل أختي، حيث كان موجودًا لكونه صديقًا لابن أختي جاك. وقد جاء مرة واحدة للبقاء معنا في غرينواي، وقد أحببته كثيرًا. فقد كان هادئًا وداكن البشرة وذكيًا للغاية وكان يمتلك عددًا من الكلاب السلوقية. وهو وروزلن أصدقاء منذ وقت ليس بقصير، ولكنني كنت قد فضلت أن أتخلى عن فكرة أن تتطور علاقتهما إلى شيء ذي بال.

قالت روزلن: أظن أنك تريد أن تحضري حفل الزفاف، يا أمي؟

قلت "بالطبع أريد أن أحضر حفل الزفاف"

"كنت أظن أنه من المفترض أن تفعلي... ولكن في الحقيقة هذا أمر لا لزوم له بالمرّة حسب ما أعتقد. ما أقصده هو أنه، ألا تظنين أن عدم حضورك حفل الزفاف سيكون حقًا أكثر بساطة وأقل إرهاقًا لك؟ فلابد أن نتزوج هناك في دنبي كما تعلمين، لأنه لا يمكنه الحصول على أجازة"

أكدت لها "لا تقلقي فكل شيء على ما يرام، سأذهب إلى دنبي".

قالت روزلن، على أمل أخير: "أأنت متأكدة من أنك تريدين حقًا حضور حفل الزفاف؟"

قلت لها بحزم: "نعم" ثم قلت لها: "لكنني مندهشة من أنك قد قلت لي أنك ستتزوجين، وكنت أتوقع أنك ستخبريني بعد الزفاف بدلاً من ذلك".

أحمر وجهه روزلن خجلاً، وأدركت أنني قد أصبت كبد الحقيقة.

ثم قلت لها "أظن أن هوبير هو من جعلك تقولين لي".

قالت: "حسنًا، نعم، بطريقة ما. وقال أيضًا أن عمري ما زال أقل من واحد وعشرون عامًا".

قلت لها: "حسنًا، ومن الأفضل لك أن تستعدى لوجودي هناك".

كان هناك شيء غامض يجعلني دائمًا أضحك من تصرفات روزلن، لا يمكنني الآن أن أمنع نفسي من الضحك.

سافرت مع روزلن إلى دنبي بالقطار. وجاء هيوبرت واصطحبها من الفندق في الصباح. وكان معه أحد أخوته من الضباط، وذهبنا إلى مكتب توثيق الزواج، حيث تم إجراء المراسم بأقل قدر من الأمور التي لا لزوم لها! وقد كانت العقبة الوحيدة في الإجراءات هو رفض موثق عقود الزواج المسن رفضًا قاطعًا أن يصدق أن اسم والد روزلن ولقبه كان مدونًا بالشكل الصحيح: 'العقيد أرشيبالد كريستي، DSO، CMG، RFC

حيث قال: "إذا كان والدها يعمل في السلاح الجوي، فلا يمكن أبدًا أن يكون برتبة عقيد"

فردت عليه روزلن: "لكنه كذلك فهذا هو لقبه ورتبته فعلاً".

'فقال لها موثق عقود الزواج: "إذن لا بد أن يكون مقدم".

فردت عليه روزلن: "لا، إنه ليس مقدم" وقد بذلت ما بوسعها لتبين له أنه منذ عشرين عامًا لم يكن سلاح الجو الملكي قد أنشئ بعد. وواصل موثق عقود الزواج القول أنه لم يسمع عنه، لذلك أدليت بشهادتي مؤيدة روزلن، وأخيرًا سجل الاسم واللقب على مضمض.

الوقت يمر، ليس ككابوس تظن أنه سيبقى معك بل إنه معك دائمًا. في الحقيقة، من الطبيعي أن تظن أنك ستقتل قريبًا، وأن من أحببتهم كثيرًا ربما سيموتون، وربما ستسمع عن مقتل أصدقاء لك. نوافذ محطمه، قنابل، ألغام، وأخيرًا قنابل الطائرات والصواريخ- كل هذه الأشياء مستمرة ليست كشيء غير مألوف ولكن كشيء طبيعي تمامًا. بعد ثلاث سنوات من الحرب والذي كان حدث يومي لم يكن لتتخيل أبدًا أنه سيأتي الوقت حيث لا وجود للحرب.

كان لدي خطط لأبقى نفسي مشغلة فكنت أعمل يومين بدوام كامل وثلاثة أيام بنصف دوام وصباح يوم السبت كنت أعمل بالتناوب في المستشفى أما باقي الوقت فكنت أكتب.

قررت أن أكتب روايتين في وقت واحد، حيث أن إحدى صعوبات الكتابة أنه فجأة تصبح مبتدلاً في الكتابة لذا عليك أن تنحيه جانبًا وتفعل شيئًا آخر- ولكنه لا يوجد أشياء أخرى لأفعلها. ولم أكن أريد الجلوس بلا فعل شيء، فظننت أنه إذا كتبت روايتين وتعاقبت في تأليفهما فأني سأبقى مفعمة بالحيوية من أجل عملي. واحدة كانت رواية "الجثة" في المكتبة والتي كنت أفكر في كتابتها منذ مدة طويلة، والأخرى كانت "ن أو ميم"؟ قصه جاسوسيه والتي كانت تكمله للرواية الثانية لي وهي الخصم السري قدمت فيها تومي وتوبنس. الآن بوجود ابن وبنت بالغين فتومي وتوبنس كانا يشعران بالملل بأنه لا أحد يريداهم في وقت الحرب. ومع ذلك لقد عادا كزوجين في منتصف العمر وتعقبوا الجواسيس بكل حماسه.

لم أجد صعوبة أبدًا في الكتابة أثناء الحرب كما أنتاب بعض الناس، أظن لأنني عزلت نفسي داخل منزلي، كان بإمكانني العيش داخل الرواية بين الناس الذين أكتب عنهم وأتممت بأحاديثهم وأراهم يخطون خطواتهم داخل الغرف التي ألفتها لهم.

وذهبت مرة أو مرتين للإقامة مع الممثل فرنسيس سوليفان وزوجته. وكان لهما منزلًا في هاسلمير وكان المنزل محاطًا بأشجار الغابات الكستنائية الإسبانية.

وكنت دائمًا اشعر بالأمان والاطمئنان في إقامتي مع الممثلين في وقت الحرب لأنه بالنسبة لهم فإن التمثيل وعالم المسرح هما العالم الواقعي والحقيقي وأي عالم آخر لا يعد واقعيًا. أما الحرب بالنسبة لهم فكانت بمثابة كابوس فظيع يمنعهم من الاستمرار في حياتهم وممارستها بالطريقة الملائمة، ولذلك فإن جميع أحاديثهم تتعلق بالأشخاص في المسرح والأشياء المسرحية وما يحدث ويدور في العالم المسرحي- حقًا فقد كان نوع من الانتعاش الرائع في نمط الحياة.

وبعد الإقامة معهم أعود مرة أخرى إلى لاون رود، وكنت أعطي وجهي كنوع من الحماية من الزواج المتكسر، وأضع مقعدًا إلى جوارِي وكان هناك اثنان من ممتلكاتي الغالية وهي: معطفي الفرو وزجاجة المياه الساخنة وهو الشيء الذي لا يمكن استبداله في ذلك الوقت. وبذلك أكون جاهزة ومستعدة لجميع حالات الطوارئ.

ثم حدث شيء غير متوقع. فتحت خطابًا تنويه أن الاميرالية البحرية تستعد لأخذ جرينواي.

فقد ذهبت إلى هناك وتقابلت مع ملازم أول في البحرية والذي كان مؤدبًا معي. وقال لي أنه لا يمكنه أن يمنحني أي وقت. وكان غير متأثر بمحنة السيدة اربامتهنوت التي حاولت في البداية أن ترفض الأمر، وهي الآن تطلب وقتًا كي تتشاور فيه مع وزارة الصحة كي تتخذ موقفًا لحضانتها. وقد تحركوا جميعًا وتركت هناك مع مجموعة من أصحاب المنازل والأثاث المطلوب نقله! وكانت المشكلة في أنه ليس هناك مكانًا لنقل الأثاث إليه. ومرة أخرى فلا يوجد أي مخزن أو مكان لتخزين الأثاث: كانت كل المخازن مليئة تقريبًا حتى السقف. وفي النهاية وافقت الاميرالية أنني يجب أن استفيد من غرفة الرسم والتي من الممكن أن أضع جميع قطع الأثاث بها لتخزينها، وكان هناك أيضًا غرفة أخرى صغيرة في الطابق الأرضي.

وبينما كنا نستمر في وضع الأثاث ونقله، تحدث معي البستاني هانافورد الذي كان مخلصاً لأي شخص يعمل لديه وأخذني جانباً وقال "انظري الآن ما ادرته لك منها" ولم يكن لدي أدنى فكرة عم يتحدث. ولكنني اصطحبته إلى برج الساعة الذي كان يعلو الإسطبلات. وهناك قادني إلى باب سري أوضحه لي بفخر شديد ووضع لي كمية هائلة من البصل على الأرض مغطاة بالقش مع كتلة كبيرة من التفاح.

وقال "إنها قالت لي من قبل هل هناك أي بصل أو تفاح باقي لأنها كانت ستأخذهم معها ولكنني لم أكن ادعها تأخذ أي تفاح أو بصل معها- ولم أخاف منها. وقلت لها إن معظم المحصول قد فسد وأعطيها كمية تكفيها. فلماذا تحتاج التفاح أو البصل إنها لن تأخذهم معها بعيداً إلى داخل البلاد أو إلى الساحل الشرقي أو إلى أي مكان ستذهب إليه".

وقد تأثرت بروح هانافورد العدائية، بالرغم من انه لم يكن هناك أي شيء أكثر من كونه محيراً أو مربكاً لي. فقد كنت أفضل طوال الوقت أن تأخذ السيدة ارباتهم معها كل كميات البصل والتفاح الموجودة، فالآن هذه الكميات موجودة ومتاحة من أجلي مع هانافورد وهو يشبه الكلب الذي يهز ذيله عندما يسترجع لك شيئاً لا تريده.

وجمعنا كميات من التفاح في حقائب وأرسلتها إلي بعض المعارف الذين لديهم أطفالاً يحبون التفاح. ولم استطع العودة إلى شقق لاون رود بكمية من البصل تصل لمائتي بصلة. وحاولت توزيعها على العديد من المستشفيات ولكن كان بها كميات إضافية لأي شخص يريد.

وبالرغم من أن الاميرالية كانت تقود المفاوضات، إلا أن أسطول الولايات المتحدة في طريقه إلى جرينواي. وكان المنزل الكبير مايبول الذي يعلونا في التل يلاءم ويأوي باقي الجنود في الأسطول، وأيضاً كان الضباط الموجودون في الأسطول الصغير في منزلنا.

ولا يمكنني الحديث كثيرًا عن عطف الأمريكيان وعنايتهم بمنزلنا. فقد كان شيئًا حتميًا بالطبع أن تكون جهات المطبخ عبارة عن خرائب- فقد كان عليهم أن يعدوا الطعام لحوالي أربعين شخصًا، وقد وضعوا بعض المواقد للاستخدام وكانت غير نظيفة ومدخنة- ولكنهم كانوا حريصين جدًا مع أبوابنا التي كانت مصنوعة من خشب الماهوجني: فقد أمر القائد أن يستخدموا أخشاب مستعملة لهم. كما كانوا يقدرون جمال المكان. وقد كان العديد من الجنود من هذا الأسطول من لويزيانا يشعرون بأنهم في وطنهم وبالتحديد مع النباتات المنغولية.

وحتى في وقت الحرب، أتى بعض الأقارب والمعارف للمستولين في جرينواي لمعرفة مكان أبنتهم ولتحديد موقعه. واخبروني كيف كتب عنه وكيف وصف المكان. فقد تجولت حول الحديقة معه في محاولة لتحديد أجزاء معينة منها قد أحيا كثيرًا، بالرغم من أن هذا لم يكن سهلًا بسبب الأشجار والمزروعات الكثيرة التي كانت مزروعة بالحديقة والأشياء الأخرى التي كانت موجودة.

وبحلول العام الثالث من الحرب لم يكن أي من المنازل المختلفة متاح لي في الوقت الذي كنت احتاج فيه إلى إحدى هذه المنازل. فمزل جرينواي أخزته الاميرالية- والينجفورد كان مليئًا بالجاليات، فقد أستأجر بعض من أصدقائنا- إحدى الأصدقاء المرضى وزوجته منزل والينجفورد ولحقوا بهم ابنتهم وطفلها. ومنزل ٤٨ ش. كامبين كنت قد بعته بسعر ممتاز. فقد سمحت كارلو لبعض الناس أن يروه. وأخبرتها أنني لن أبيعها بأقل من ٣.٥٠٠ دولار. وكان هذا المبلغ كبيرًا بالنسبة لنا في ذلك الوقت. وعادت كارلو وهي مسرورة حيث قالت "لقد جعلتهم يدفعون ٥٠٠ دولار إضافي واعتقد أنهم يستحقون ذلك".

فسألها "ماذا تقصدين بـ يستحقون ذلك؟".

فقالت "إنهم كانوا وقحين، قالوا أشياء عن المنزل أمامي غير لائقة ولم يكن من اللائق أن يقولون هذا الكلام" وأضافت " فقد قالوا يا لهذه الديكورات

والزخارف من أشياء سخيفة! وكل هذا الكم من ورق الحائط القبيح- فلسوف غيره في الحال! وقالت كارلو "إن هناك بعض الناس يتصرفون بطريقة وشكل غير لائق، ولذلك فقد اعتقدت أنه من الأفضل أن ألقنهم درسًا لا ينسونه أبدًا. ووضعت لهم سعر المنزل ٥٠٠ دولار. ودفعوا المبلغ في الحال.

إن لدي ذكريات حربية خاصة في جرينواي. ففي المكتبة صور أحد الفنانين جصي حول قمة الجدران. فقد كان الرسم يصور الأماكن التي ذهب إليها هذا الأسطول الصغير بادئًا طريقه في كي ويست بفلوريدا وبرمودا ومقاطعة ناسو والمغرب وغيرها، وأخيرًا انتهى في غابات جرينواي والبيت الأبيض التي كانت واضحة خلال الغابات والأشجار. ووراء هذا مرة أخرى تظهر لنا فتاة شديدة الجمال- وهي تشبه التمثال العاري رائع الجمال- والذي افترضت دائمًا أنه كان يمثل آمال وأمنيات الكثير عندما كانت الحرب على وشك الانتهاء. وقد كتب لي القائد وطلب مني إذا كنت أرغب في اقتناء هذه اللوحة الجصية. وقد أجبت مسرعة قائلة أن هذه تعد تذكارات تاريخي وأنا سأكون مسرورة كل السرور باقتناء هذا التذكارات التاريخي. وكان يعلو هذا التذكارات لوحة فنية أخرى تمثل الرؤساء ونستون تشرشل وستالين وروزفلت. وقد تمنيت أن اعرف اسم الفنان.

وعندما غادرت جرينواي كنت واثقة أنها ستقذف ولن أراها مرة أخرى، ولحسن الحظ، كانت كل أحاسيسي الداخلية خاطئة. فلم تمس بجرينواي. وأضيفت أربعة عشر من المغاسل بدلًا من مواضع حفظ اللحوم، وكان علي أن أتشاجر مع الاميرالية البحرية حتى أعيدها مرة أخرى.

ولد حفيدي ماثيو في تشيشير في ٢١ سبتمبر ١٩٤٣ في منزل تميمض بالقرب من منزل أختي. وكانت بونكي مخصصة وقتها لروزلن كما اعتادت وكانت سعيدة أن تأتي لرعاية الطفل الرضيع. كانت أختي أكثر امرأة نشيطة رأيته في حياتي: فهي نوع من الدينامو البشري. فمئذ وفاة حماها، أتت هي وجيمس للإقامة في ابني، والذي كما ذكرت من قبل كان منزلًا كبيرًا ورائعًا، فقد كان به أربعة عشر من غرف النوم والعديد من غرف الجلوس المتنوعة. والذي كان به في الأيام الأولى من صباي عندما كنت أقيم هناك ١٦ من الخدم. والآن لا يوجد أي شخص بالمنزل باستثناء أختي وخادمة للمطبخ التي منذ زواجها أتت لتطبخ الوجبات كل يوم هناك.

وعندما أقمت هناك، كنت اسمع أختي تتحرك وتتجول وكانت تستيقظ في حوالي الخامسة والنصف كل صباح. وتنظف المنزل بالكامل - تقوم بإزالة التراب ثم ترتيبه وكمنسه ثم إشعال الدفايات وتنظيف الأواني النحاسية وتلميع الأثاث ثم تبدأ في استدعاء الناس لتناول الشاي مبكرًا. وبعد تناول الإفطار تنظف الحمامات ثم غرف النوم. وبحلول العاشرة والنصف لم يعد هناك أية أعمال منزلية مطلوبة منها، ولذلك كانت تندفع إلى حديقة المطبخ - المليئة بثمار البطاطس الجديدة وصفوفًا من نبات البازلاء والفول الفرنسي والهليون والقليل من الجزر وجميع أنواع الخضراوات. ولا يوجد أبدًا في حديقة بونكي أي نوع من أنواع الأعشاب الضارة. كما لم تكن براعم الورود أو المزهرة المحاطة بالمنزل بها أي نوع من الأعشاب الضارة.

وكانت تأخذ الطعام إلى الكلب ودائمًا ما يكون موضوعًا في غرفة البلياردو. وفي إحدى الأيام صباحًا أتت ونظرت إلى غرفة البلياردو ورأت الطعام موضوعًا بهدوء في السلة، ولكن يوجد قنبلة في الجزء الرئيسي من الغرفة. ولكن في الليلة السابقة لتلك الليلة كان هناك الكثير من أدوات الإحراق على السقف وكان الجميع هناك

للمساعدة. إن هذه القنبلة أحضرت إلى غرفة البلياردو ولم يسمع بها أي شخص بسبب الضوضاء العالية ولم تنفجر.

واتصلت أختي ببعض الأشخاص والذين اندفعوا مباشرة وبسرعة. وبعد فحصها قالوا إن على الجميع الخروج والبعد عنها خلال عشرين دقيقة.

"هل أخذتي أي شيء ضروري معك"

فقالت "وماذا تعتقدين أن أخذ معي؟ إنني ارتبك في هذه المواقف"

فسألتهما "حسنًا، ماذا أخذت؟"

فقالت "أولاً أخذت المتعلقات الشخصية الخاصة بكل من نيجيل وروني، لأنني اعتقد أنه سيكون شيئًا مخيفًا إذا حدث أي شيء لهما. وأخذت معي فرشاة الأسنان واعتقد أنني لا أتذكر أي شيء آخر كي أخذه معي. فنظرت في جميع أنحاء المنزل ولكن عقلي لم يتسع لأي شيء آخر. ولكني أخذت هذه الباقة من الورود الجميلة الموجودة في غرفة الرسم".

فقلت "لم اعتقد أبدًا أنك مغرمة بهذه الباقة من الورود"

فقالت بونكي "لست مغرمة لهذه الدرجة ولكنه هو الفضول"

فقلت "ألن تأخذين معك مجوهراتك أو معطفك الفرو؟"

فقالت "لم أفكر أبدًا في هذه الأشياء"

وأخذوا القنبلة بعيدًا وفجروها، ولحسن الحظ لم تقع أي حوادث أخرى مثل هذا النوع.

وفي الوقت المناسب تلقيت برقية من بونكي، واندفعت إلى هناك كي أجد روزلن تبدو فخورة بنفسها داخل منزل للتمريض وتشعر بالاعتزاز لقوة طفلها وحجمه مقارنة بالأطفال الأخرى.

وقالت "إنه يشبه الوحش، فهو طفل كبير ضخم - يبدو كالوحش الحقيقي بالفعل! وكانت تظهر على وجهها علامات السعادة والامتنان.

ونظرت إلى الوحش كما وصفته. فقد كان الطفل يبدو بصحة جيدة وسعيد، وكان له وجهًا جعد بابتسامة خفيفة عليه تعبر عن اللطف والمودة.

وقالت "انظري فقد نسيت كم يبلغ طوله في آخر مرة اخبروني بها- ولكنه يبدو كالوحش!".

وقد كان الجميع سعيدًا بالطفل. وعندما أتى زوجها هوبير لرؤية الطفل كان هناك في الواقع سعادة كبيرة. فقد كان هوبير وروزلن سعداء.

وقد تم الاستعداد بأن تذهب روزلن لكي تعيش في ويلز بعد ولادة الطفل. وقد توفي والد هوبير في ديسمبر ١٩٤٢ وانتقلت أمه إلى منزل أصغر. كان على روزلن أن تبقى في تشيشير لثلاثة أسابيع بعد ولادتها ثم تأتي إحدى الممرضات لتكون معها لكي تعتني بالطفل وبها أثناء إقامتها في ويلز. وهناك سأساعدها أنا أيضًا بمجرد أن تصبح الأمور على استعداد لها كي تذهب.

ولم يكن بالطبع أي شيء سهلًا في وقت الحرب. فقد أتت كلا من روزلن والممرضة إلى لندن وأقاما في ٤٧ شارع كامبين. وحيث أن روزلن ما تزال ضعيفة فقد اعتدت أنأتي من هامبستيد كي اطبخ العشاء لهما في المساء. واعد الإفطار في الصباح أيضًا، ولكن الممرضة التي كانت واثقة بأن عملها ينحصر في كونها ممرضة مستشفى ولم يكن لها أي مسئولية أخرى في المنزل كي تقوم بها، قد أعلنت أنها ترغب في التعامل مع طعام الإفطار بنفسها وتتولى مسئولية إعدادها. ولسوء الحظ، فإن حالات القنابل كانت تسوء مرة أخرى. فقد كنا نجلس ليلة تلو الأخرى في قلق شديد. وعندما انتهى الإنذار دفعنا ماثيو في أسفل منضدة عليها بعض من الأكواب ولم نجد أي شيء أكثر ثقلًا من هذه المنضدة حتى نضعه أسفلها. وقد كان هذا

يشكل قلقًا بالنسبة لام صغيرة. وتمنيت مع الأسف أن يكون منزل جرينواي ما زال موجودًا للإقامة به.

وكان ماكس في شمال إفريقيا. وبدأ في مصر ولكنه الآن في طرابلس. ثم ذهب بعد ذلك إلى صحراء فزان. وكانت الخطابات بطيئة جدًا في ذلك الوقت وأحيانًا لم تكن تأتيني أية أخبار منه لمدة تصل إلى شهر كامل أو أكثر. وكان ابن أختي جاك بالخارج أيضًا في إيران.

وكان ستيفن جلانفيل ما يزال في لندن وكنت سعيدة أن أقابله هناك. وكان في بعض الأحيان يتصل بي هاتفياً في المستشفى ويأخذني إلى منزله في هاي غايت لتناول العشاء سويًا. وكنا نحتفل عادة إذا تلقى أحد منا أي كمية من الغذاء.

"لدي بعض الزبد الذي أحضرته من أمريكا- هل من الممكن أن تحضري علبة من الحساء؟

"لقد تم إرسال علبتين لي من السرطان البحري ودسته كاملة من البيض".

وذات يوم أعلن أن لديه كمية من اسماك الرنجة الطازجة التي أحضرها من الساحل الشرقي. ووصلنا إلى المطبخ وكشف ستيفن لفة الطعام التي كانت معه وفتحها. وآسفاه- وآسفاه. يا لها من اسماك رنجة لذيذة ولكنها فسدت. لقد كان هناك مكانًا واحدًا لها الآن- غلاية المياه الساخنة.

وقد بدأ بعض من الأصدقاء والمعارف في الاختفاء في تلك المرحلة من الحرب. ولم تعد على اتصال بالناس الذين اعتدت على معرفتهم ومقابلتهم، ونادرًا ما تكتب حتى إلى أصدقائك.

وكان هناك اثنان من الأصدقاء المقربين اعتدت أن أراهما وهما سيدني وماري سميث. والذي كان مدير لقسم المتاحف المصرية والأشورية في المتحف البريطاني، وهو رجل له معتقدات مثيرة وشيقة. كانت آرائه عن أي شيء تختلف عن آراء أي

شخص آخر، وإذا قضيت نصف ساعة أتحدث إليه اتركه وأنا محفزة بأفكاره ومعتقداته التي وضعها أمامي. فقد كان دائمًا لديه مقاومة شديدة لي، ولذلك فقد كان علي أن أجادل كل نقطة يتحدث إلي فيها. فلم يستطع ولم يرغب في الاتفاق مع الآخرين في آرائهم. فمجرد معارضته للآخرين أو رفضه لهم، فإنه لا يلين أبدًا أو يعود إلى رأيهم. ومن ناحية أخرى، فإذا كنت صديقًا له، فسيكون صديقًا حقيقيًا لك. أما عن زوجته ماري فقد كانت فنانة رائعة في الرسم وماهرة وامرأة جميلة ذات شعر رمادي جميل وعنق طويل ممشوق. كما كان لديها إحساسًا رائعًا والذي يشبه النكهة الجميلة لعشاء لذيذ.

وكانت عائلة سميث لطيفة معي، كانوا يعيشون بالقرب مني ودائمًا يرحبون بي عندما أزورهم بعد عملي بالمستشفى، وأتحدث إلى سيدني لساعة كاملة. وكان يعيرني كتبًا يعتقد أنني سأستمتع بقراءتها، وكان يجلس مثل فيلسوف حكيم بينما كنت اجلس عند قدميه واشعر كتابعة متواضعة.

وقد استمتع بقصصي البوليسية، بالرغم من أن نقده لها كان مختلفًا عن أي نقد آخر. ففيما يتعلق بأي شيء اعتقد أنه سيء كان يقول لي "إن هذه النقطة هي أفضل نقطة في هذا الكتاب". وفيما يتعلق بأي شيء كنت مسرورة له كان يقول "لا إنه ليس جيدًا فأنت دون المستوى هنا".

في إحدى الأيام هاجمني ستيفن جلانفيل قائلاً "لدي مشروعًا ما وفكرت فيه من أجلك"

"حسنًا، ما هو؟"

"أريدك أن تكتبي قصة بوليسية عن مصر القديمة"

"عن مصر القديمة؟"

"نعم"

"ولكني لا أستطيع"

"تستطيعين بالفعل. إنها لا تشكل أي صعوبة. فلا يوجد أي سبب حتى تكون القصة البوليسية صعبة في كتابتها والتي يتم تأليفها عن مصر القديمة في عام ١٩٤٣ في إنجلترا"

وقد أدركت ما يعنيه. إن الناس هم أنفسهم في أي قرن وفي أي زمان أو في أي مكان.

وقال أيضًا "إن هذا سيكون شيقًا ومثيرًا للغاية، يجب على المرء أن يكون لديه قصة بوليسية مكتوبة، حتى يستطيع أي شخص يكون معنيًا بقراءة القصص البوليسية ومهمتها في الوقت ذاته بتلك الحضارة العظيمة مما ينعكس عليه بالسعادة والسرور".

ومرة أخرى قلت له لا أستطيع القيام بمثل هذا العمل. فليس لدي معلومات كافية. ولكن ستيفن كان مقنعًا وبحلول نهاية المساء أقنعتني أنني قادرة على كتابة هذا النوع من القصص.

فقال "أنت قرأني بالفعل الكثير في علم المصريات، فلست مهتمة فقط ببلاد ما بين النهرين"

وكان هذا صحيحًا حيث أن من أفضل الكتب التي عشقتها في الماضي كتاب "فجر الضمير" للكاتب هنري برستيد، وقد قرأت الكثير عن الحضارة المصرية العظيمة كأول وأعظم حضارة في التاريخ عندما كتبت مسرحيتي عن اخناتون.

وأكمل "كل ما تحتاجين إليه هو أن تركزين على فترة ما أو حدث ما أو موقف محدد بعينه"

فقلت له "ولكن عليك أن تعطيني بعض الأفكار والتي تتعلق مثلًا بالوقت أو

المكان"

فقال ستيفن "حسنًا، هناك حدثًا ما أو حدثين ربما يفيان بالغرض" وأشار بواحد أو اثنان من الأحداث في إحدى الكتب التي التقطها من على الرف. ثم أعطاني نصف دسته من الكتب أو أكثر قليلًا وبعض الكتب الأخرى التي أخذتها معي إلى شقتي في **لاون رود** وقال "غداً هو يوم السبت يمكنك أن يكون لديك يومين تستغلينهما في القراءة وتري ما يجذبك وما يعلق بخيالك".

وفي النهاية لاحظت ثلاث نقاط شيقة- ولكن لا يوجد أي منها أحداثًا مشهورة أو شخصيات معروفة، لأنني اعتقد أن هذا هو ما يجعل الروايات المكتوبة في الفترات التاريخية تبدو زائفة. فلا أحد يعرف حقيقة أي شيء عن شكل الملك بيبي أو الملكة **حتشبسوت**، وحتى التظاهر بأنك تعرف عن هذا الموضوع فإنه يعد نوع من الغطرسة. ولكن يمكنك أن تضع شخصية ما من خيالك في تلك الأوقات، وطالما أنك تعرف بقدر كافي اللون الشعبي والشعور العام لتلك الفترة، فإن ذلك يعتبر صحيحًا. وكانت إحدى اختياراتي عن حادثة في الأسرة الرابعة، وما بعدها- بوقت كبير، أفكر في رمسيس الأخير (رمسيس الـ ١١ - **ورمسيس الثالث** وهو الذي قررت أن اكتب عنه، والذي سحب من الحروف التي نشرت حديثًا من **الكاهن كا** في الأسرة الحادية عشر.

إن هذه الأحرف كانت مرسومة لتوضح صورة لأسرة حية: كان فيها الأب من النوع العنيد وكان منزعجًا من أولاده الذين لا ينفذون ما يقوله: وكان أحد هؤلاء الأولاد مطيعًا ولكنه غير ذكي، والأخر كان حاد المزاج ومسرف. وكانت الخطابات التي كتبها الأب إلى ولديه عن كيفية اهتمامه بامرأة في منتصف العمر، وهي من الواضح أنها كانت إحدى معارفه الفقيرة التي كانت تعيش مع عائلتها، بينما كان الأطفال يكبرون في حالة من الكراهية لأسرتها لأنهم غالبًا ما يكونون ممتلكون وصانعي الأذى.

وكان الرجل العجوز يضع قواعد عما يجب فعله مع الزيت والشعير. فهم نوع من البشر لا يسمحون لغيرهم أن يخدعوهم أو يغشوهم في كمية الطعام. وكانت

العائلة بأكملها تكبر بوضوح أمامي. وقد أضفت ابنة أخرى وبعض التفاصيل من نصين آخرين أو أكثر- ووصول زوجة جديدة والتي كان الأب مغرمًا بها كما كان هناك غلامًا صغيرًا وجدة جشعة وعنيفة.

وبدأت العمل بإثارة. ولم يكن هناك أي كتاب في يدي في ذلك الوقت. وكانت مسرحية "ثم لم يبقى أحد" تعمل بنجاح في مسرح جيمس حتى تم تفجير المسرح، ثم نقل بعد ذلك إلى كامبردج لبضعة أشهر أخرى. وكنت أفكر في فكرة جديدة في كتابة أحد الكتب، ثم بدأت في لحظة ما في كتابة قصبة بوليسية مصرية.

فلا يوجد أدنى شك أن ستيفن هو من حفزني. كما أنه ليس هناك شك أنه إذا ظل ستيفن مصممًا على أن اكتب قصة بوليسية عن مصر القديمة فإنني يجب علي القيام بذلك. فقد كان هذا النوع الذي يصمم على إقناع الشخص الذي أمامه بعمل أي شيء.

وكما أوضحت له في الأسابيع والأشهر المتتالية، أنه من المؤكد أنه سيندم أن حثني على القيام بشيء مثل هذا. فقد كنت دائمًا اطلب منه معلومات والتي كما قال تستغرق منه فقط ثلاثة دقائق لكي أسأل عنها ولكن كانت تستغرق في البحث قراءة ثمانية من الكتب المختلفة لكي يجدها. فقد كنت أسأله العديد من التساؤلات منها مثلًا "ستيفن" ماذا كان هؤلاء الأشخاص يأكلون في وجباتهم؟ كيف كانوا يطهون اللحوم؟ هل كان هناك أي شيء خاص في الأعياد الخاصة؟ هل كان الرجال والسيدات يتناولون الطعام معًا؟ وما هي نوع الغرف التي كانوا ينامون بها؟

وكانت تظهر على ستيفن علامات الضيق، وكان عليه أن يبحث عن إجابات لهذه الأشياء وتوضيحها وتوضيح أنه علينا أن نستدل على هذه الإجابات من خلال الأدلة. وكان هنا صورًا لطيور وأخرى للأوراق ولفروع الأشجار ونباتات العنب الذي كان يتم التقاطه- وغيرها من الصور. وعلى أية حال، فقد كان لدي الكثير لكي أعيش حياتي اليومية وكأنني منحدر في هذه الفترة، ثم رجعت ببعض التساؤلات الأخرى الإضافية.

وكان من بين هذه التساؤلات الأخرى "هل كانوا يتناولون الطعام على المنضدة أم على الأرض؟ هل كانت النساء يشغلن جزء منفصل من المنزل؟ هل كن يحتفظن بالملابس الكتانية في دواليب الملابس؟ وما هو نوع المنازل التي كانوا يقطنونها؟

في الواقع، فقد كانت المنازل أكثر صعوبة في إيجادها ووصفها من المعابد أو القصور، حيث أن القصور والمعابد كانت ما تزال موجودة، بينما المنازل كانت تصنع من مواد قابلة التلف.

وتناقش ستيفن كثيرًا معي حول نقطة واحدة وهي عن الخاتمة، وأشعر بالأسف كي أقول أنني نزلت على رغبته في النهاية. فقد كنت دائمًا مزعجة من نفسي للقيام بهذا. فقد كان لديه نوع من التأثير القوي عن مثل هذا النوع من الأشياء. وقد كان ايجابي جدًا لدرجة أنه كان واثقًا أنك لا يمكنك إلا أن تشك بنفسك. وعلي العموم وبالرغم من أنني اجعل جميع موضوعاتي واضحة للجميع، إلا أنني لم استسلم أبدًا لأي شخص لإتباعه فيما أكتب.

فإذا كنت اعتقد أن لدي شيء ما صحيح في كتاب ما- فلا أتنازل عنه بسهولة. وفي حالة ما إذا كان لا يروق لي بشكل أفضل فمن الممكن التنازل. كانت نقطة مثيرة للجدل- ولكنني ما زلت أفكر الآن عندما أعيد قراءة الكتاب لو أنني بإمكانني إعادة كتابة النهاية مرة أخرى- والتي توضح لك أنه عليك التمسك بأسلحتك وإلا ستكون غير راضي عن نفسك. ولكنني كنت أشعر ببعض التشويش بسبب الامتنان الذي شعرت به نحو ستيفن لكل القلق الذي سببته له، وحقيقة أن هذه كانت فكرته كي أبدأ بها. وعلي أي حال فإن رواية "في النهاية يأتي الموت" كتبت كما ينبغي.

وبعد ذلك بفترة قصيرة، ألقت الكتاب الذي رضيت عنه تمامًا. الكتاب الذي لطالما أردت كتابته. لقد كتبت به بكل رضا وبكل إخلاص.. كتبت به كما عانيت أن أكتبه. وقد كان بالاسم المستعار ماري ويستماكوت، والذي كان واضحًا في عقلي ومخيلتي. فقد كان يمثل صورة لامرأة ذات صورة كاملة عن نفسها عما كانت عليه في

الماضي، وعما كانت مخطئة فيه بشكل كامل. ومن خلال تصرفاتها الشخصية ومشاعرها ومعتقداتها، تم كشف هذا للقارئ بطريقة سهلة. وكانت تتقابل مع نفسها بشكل مستمر وهي لا تتعرف على نفسها في الرواية ولكنها كانت تشعر بالقلق والخوف بشكل كبير. وما ساعدها على هذا الشعور هو حقيقة أنها كانت للمرة الأولى في حياتها وحيدة- وحيدة بشكل كلي وكامل- لمدة أربعة أو خمسة أيام.

إن لدي الخلفية الآن، والتي لم أصل إليها من قبل في مخيلتي. فهي واحدة من تلك الاستراحات التي نمر بها خلال رحلتنا في بلاد ما وراء النهرين، حيث تشل حركتك ولا يمكنك التحرك، فلا يوجد أي شخص إلا السكان الأصليون الذين يتحدثون الانجليزية بصعوبة شديدة- والذين يحضرون لك الوجبات ويهزون رؤوسهم موافقة على ما تقوله. فلا يوجد أي مكان آخر كي تذهب إليه ولا أي شخص آخر كي تراه وما تزال هناك حتى يمكنك الرجوع أو الاستمرار. ولذلك فأنت تجلس وتفكر في نفسك وتقرأ الكتايبين الذين في حوزتك. وتفكر في نفسك. وكنت دائماً اشعر أن نقطة البداية لدي معروفة- وهي عندما غادرت فيكتوريا في اتجاهها لكي ترى إحدى بناتها التي تزوجت بالخارج، وتعود مع تحرك القطار إلى خارج المحطة وتودع زوجها. والألم المفاجئ الذي حدث لها عندما مشى مباشرة مثل رجل ما شعر فجأة بالارتياح بشكل فطيع والذي حرر من العبودية وسيقضي أجازة طويلة. وكان من المفاجئ أنها لا تصدق عيناها. بالطبع فقد كانت مخطئة وبالطبع فإن رودني ستفتقدها بشدة - وأن هذا الشعور سيبقي في ذاكرتها ويشعرها بالقلق- ثم تبقي وحيدة مرة أخرى وتبدأ التفكير. إن نمط حياتها يبدأ في التغير شيئاً فشيئاً. إنه سيتجه نحو الصعوبة إلى حد ما من الناحية الفنية، مع شعور نامي من التوتر والضغط ومن عدم السهولة، وهو نوع من الإحساس الذي يكون لدى أي شخص، وأحياناً أفكر- من أنا؟ وماذا أبدوا في الواقع؟ وماذا يفكر بي الناس الذين أحبهم؟ هل يفكرون بي كما اعتقد؟

إن العالم بأكمله يبدوا مختلفًا، فأنت تبدأ في أن تراه بطريقة مختلفة. وما تزال تحتفظ باطمئنان نفسك وتهديتها ولكن يأتي القلق والشك عندما ترجع للماضي.

وقد كتبت هذا الكتاب في ثلاثة أيام في الشقة. في اليوم الثالث اعتذرت عن الذهاب للمستشفى لأنني لم أجروء على ترك كتابي عند هذه النقطة- فقد كان علي أن استمر حتى انهيته. لم يكن كتابًا طويلًا- كان يتكون من حوالي خمسين ألف كلمة- لكنه كان معي منذ وقت طويل.

إنه شعورًا غريبًا أن يكون لديك كتابًا ينمو داخلك، وربما تعرف منذ ستة أو سبعة أعوام أنك ستكتب يومًا هذا الكتاب، وأنت تعرف أنه ينمو ويكبر طوال الوقت حتى تصل بالفعل إلى ما ترغبه. نعم، فهو هناك بالفعل- فهو يأتي بوضوح بعيدًا عن الضباب. فجميع الناس هناك مستعدين منتظرين في وضع استعداد للمجيء إلى مرحلة يتم فيها معرفة تلميحاتهم- ثم فجأة تجد أن هناك إحدى الأوامر المفاجئة والواضحة: الآن!

الآن هو وقت استعدادك. فالآن أنت تعرف كل شيء عنه. حسنًا، إن مباركة العمل تكون قادرة على عمله هنا وهناك، الآن هي بالفعل الآن.

فقد كنت اشعر بالخوف الشديد من المقاطعات، ومن أي شيء يقطع تدفق استمرارية الأفكار. وبعد أن بدأت في كتابة الفصل الأول، تقدمت لأكتب الفصل الأخير لأنني كنت اعرف بوضوح أين أنا متجهة على الورق. فلم أكن مضطرة أن أقاطع أي شيء- فقد بدأت بالفعل فيه مباشرة.

ولا اعتقد أنني شعرت بالإرهاق. فعندما انتهيت، ورأيت أن الفصل الأول الذي كتبتة في البداية لا يحتاج إلى تغيير أي كلمة، كنت اذهب إلى فراشي وعلى قدر ما أتذكر كنت أنام أكثر أو أقل من أربعة وعشرين ساعة متواصلة. ثم استيقظ

لأتناول طعام العشاء وفي اليوم التالي أكون قادرة على الذهاب إلى المستشفى مرة أخرى.

وقد كنت ابدوا مندهشة من أن الجميع منزعجين مني هناك. فقد كان زملائي يقولون لي "بالتأكيد أنت تشعرين بالتعب، فهناك دوائر واضحة جدًا أسفل عينيك" إنه كان التعب والإرهاق فقط ولكن هذا التعب والإرهاق يستحق تحملهما عندما نكتب دون أية صعوبات على الإطلاق، باستثناء المجهود البدني. وعلى أي حال، فقد كانت تجربة مجزية كي يمر بها المرء.

وقد سميت الكتاب "غائب في الربيع" وقد استعرت الاسم من قصيدة مكونة من أربعة عشر بيتًا من قصائد شكسبير والتي تبدأ بتلك الكلمات "كنت غائبًا عنك في الربيع" ولا اعرف بالطبع كيف كان يبدو. فربما كان الكتاب غيبًا أو مكتوبًا بشكل سيء على الإطلاق. ولكنني كتبته بكل رضا وإخلاص، فقد كتبته كما كنت أريد، وهذا هو العمل الذي يفخر به كل مؤلف.

وبعد مرور سنوات قليلة بعد ذلك، كتبت كتاب آخر بالاسم المستعار أيضًا ماري ويستماكوت يسمى "زهرة وشجرة توت" وهو واحدًا من الكتب التي يمكنني أن أقرأها بسعادة كبيرة، بالرغم من أنه غير مؤثر مثل "غائب في الربيع". ولكن مرة أخرى، فقد كانت الفكرة التي يتناولها الكتاب داخلي من وقت طويل - في الواقع منذ ١٩٢٩. وهي فقط مجرد صورة استكشافية والتي كنت اعرف أنها سوف تخرج إلى الحياة في يوم من الأيام.

إن المرء يتعجب ويتساءل من أين تأتي هذه الأشياء- أعني الأمور التي تعد ضرورة. أحيانًا، اعتقد أن هذه هي اللحظة التي يشعر فيها الإنسان أنه قريب من الله، لأنه سمح لك أن تشعر بالقليل من السعادة بالخلق النقي. فأنت قادرًا على أن تخلق شيء ما لغيرك. لذلك تعرف علاقتك مع الإله، كما لو كنت في اليوم السابع، عندما ترى أن ما قمت بعمله شيء جيد.

وكان علي أن أغير من عملي الأدبي المعتاد. فقد كتبت كتابًا خارج عن المألوف في استعادة ذكريات الماضي لأنني كنت قد انفصلت عن ماكس ولم يكن بإمكانني أن أحصل على أي أخبار عنه إلا نادرًا، ولاحقًا في ذاكرتي في ذلك الوقت الأيام التي كنا قد قضيناها سويًا في الأرجية وفي سوريا. فقد كنت أرغب في استعادة حياتنا مرة أخرى، والاستمتاع بإعادة الذكريات- ولذلك كتبت "تعال أخبرني كيف تعيش" وهو كتاب مرح وخفيف ولكنه يعكس الأوقات التي قضيناها معًا والعديد من الأشياء السخيفة التي كنت قد نسيتها. وقد أحب الناس هذا الكتاب للغاية. فقد كان هناك طبعة صغيرة فقط منه لأن الأوراق كانت قصيرة.

قال لي سيدني سميث "بالطبع، لا يمكنك نشر هذا يا أجاثا"

فقلت له "سأقوم بنشره"

"لا، من الأفضل لك ألا تنشره"

"ولكني أرغب في ذلك"

فنظر سيدني سميث لي وهو غير موافق. فلم تكن هذه نوع من المشاعر التي يوافق عليها. إن قيامك بعمل ما ترغب به شخصيًا لا يتوافق مع نظرة سيدني.

"إن ماكس ربما لا يحب هذا"

وكنيت أفكر في كلامه بشك.

فقلت له "لا اعتقد أنه سيمنع، فربما يحب أن يتذكر معي جميع الأشياء التي قمنا بها سويًا. ولم أحاول أبدًا أن اكتب عن علم الآثار لأنني اعرف أنني سأرتكب أخطاء سخيفة. ولكن هذا مختلف، إن هذا شيء شخصي. وسأقوم بنشره" وقلت له أيضًا "أريد شيء ما أتذكره. فلا يمكنك أن تثق في ذاكرتك الشخصية. فالأمور تسير، فهذا هو السبب الهام لنشر هذا الكتاب".

"حسنًا، إن هذا ما يزال أمرًا مشكوكًا فيه" وكانت هذه العبارة تمثل شيئًا مسلم به من سيدني.

وقالت زوجته ماري "إن هذا هراء، بالطبع يمكنك نشره فلم لا؟ إنه شيق للغاية. وأنا أعني جيدًا ما تقصدينه بأن تتذكري ذكرياتكما سويًا وتقرئينها في الكتاب".

وكان الناس الآخريين الذين لم يحبوه هم ناشري كتي. فقد كانوا يشكون وغير موافقين وخائفين. فقد كانوا يكرهون ماري ويستماكوت أن تكتب أي شيء. وهم الآن يستعدون لكي يكونون شاكين في "تعال أخبرني كيف تعيش" أو أي شيء في الواقع يأخذني بعيدًا عن القصص الغامضة. ومع هذا، فقد كان الكتاب يمثل نجاحًا، واعتقد أنهم يندمون على أن أوراقه كانت قصيرة. ونشرته تحت اسم "أجاثا كريستي مالوان" حتى لا يتم تشويشه مع القصص البوليسية.



هناك العديد من الأشياء التي لا يحب المرء أن تظل عالقة في ذهنه مرة أخرى. أشياء عليك أن تقبلها لأنها حدثت ولكنك لا ترغب في التفكير فيها مرة أخرى. اتصلت بي روزلن في إحدى الأيام وأخبرتني أن هوبير الذي كان في فرنسا الآن لقضاء بعض الوقت أفادت التقارير بفقدانه، ربما يكون قد قتل.

اعتقد أن هذا أكثر شيئاً بشعاً قد حدث لأي زوجة شابة في وقت الحرب. الإثارة المخيفة. إن قتل زوجك هو شيء سيء بدرجة كافية ولكنه شيء ما تعيش به داخلك وأنت تعرف أنك تملكه داخلك. إن هذا اليأس قاسي للغاية... ولا يوجد أي شخص يمكنه مساعدتك فيه.

وذهبت حتى ألحق بها ومكثت في بوليراتش لبعض الوقت. وكنا نأمل - بالطبع - يتمني المرء دائماً ويكون داخله الأمل - ولكنني لا اعتقد أن روزلن كانت من هؤلاء البشر الذين يبقى لديهم الأمل. كانت ممن يتوقعون الأسوأ. واعتقد أنه كان هناك شيئاً ما عن هوبير - ليس بالضبط الكآبة ولكن تلك اللمسة الخاصة بإنسان لديك إحساس أنه لن يعيش طويلاً. كان شخصاً عزيزاً ولطيفاً معي، واعتقد أنه كان لديه موهبة رائعة ليس في الشعر، ولكن في شيء ما من هذا القبيل. وتمنيت أن يكون لدي فرصة كي اعرفه أكثر حيث كانت مجرد مقابلات وزيارات قصيرة.

ولم تمضي سوى عدة أشهر حتى وصلت إلينا أخباراً جديدة. أعتقد أن روزلن كان لديها أخباراً كاملة قبل أن تخبرني بأي شيء. وقد تصرف كالمعتاد بشجاعة غير عادية. وأخيراً، فإن كراهية القيام بشيء وأنت تعرفه كان شيئاً حتمياً حيث قالت بشجاعة "اعتقد أنه من الأفضل أن ترين هذا" وأعطتني البرقية التي أفادت أن هوبير قد تم تصنيفه الآن من بين الموتى بالفعل.

من أبشع الأشياء في الحياة وأكثرها صعوبة على التحمل أن تعرف أن هناك شخص تحبه بشدة ولا يمكنك إنقاذه من المعاناة. فيمكنك مساعدة الناس في

بعض المشكلات، ولكن لا يمكنك إلا المساعدة القليلة في تخفيف ألم القلب. اعتقد أنني ربما أكون مخطئة أن أفضل شيء يمكنني عمله لروزلن هو أن أقول لها القليل. اعتقد أن هذا هو شعوري الخاص. فأنت تأمل ألا يتحدث إليك أحد أو يذكرك كثيرًا بالموضوع. أمل أن هذا يكون الأفضل لها، ولكن لا يمكنك معرفة ما يكمن في شخص الآخر. ربما من الأسهل لها أن يكون لدي هذا النوع المصمم من الأمهات التي تصر على أن تكون معبرة. إن المرء لا يريد بالطبع أن يؤذي الشخص الذي يحبه - ولا أن يقوم بشيء خاطئ له. والإنسان يشعر أن عليه أن يعرف ولكنه لا يمكن أن يكون واثقًا أبدًا.

واستمرت في الإقامة في **بوليراتش** في المنزل الكبير الخالي مع ماثيو - غلام صغير والذي كان دائمًا في ذاكرتي غلامًا سعيدًا: فقد كان ومازال لديه رصيد كبير من السعادة. وكنت سعيدة أن هوبر رأى ابنه، وأنه عرف أن لديه ولد، بالرغم من أن منتهي القسوة معرفة أنه لن يعود ويعيش في المنزل الذي أحبه، أو أن يعيش مع ابنه الذي أحبه وتمناه كثيرًا.

أحيانًا لا يمكن للمرء أن يتمالك نفسه في أن يكون لديه مدى كبير من الغضب عندما يفكر في الحرب. ففي انجلترا كان لدينا الكثير من الحروب في وقت قصير. إن الحرب العالمية الأولى كانت تبدو لا تصدق، وغير ضرورية. ولكن كان الأمل أن الرغبة في اندلاع الحرب لن تعود مرة أخرى في نفس القلوب الألمانية. ولكن حدث بالفعل - فنحن نعرف من الوثائق والمستندات التي تعد جزءا من التاريخ أن الألمان كانوا يخططون للحرب قبل اندلاع الحرب الثانية بسنوات.

ولكن يترك المرء بالإحساس الفظيع الآن أن الحرب لا تضيف أي شيء وأن انتصارك في حرب يعادل تمامًا الكارثة عندما تخسر حرب أخرى! اعتقد أن الحرب كان لها وقتها ومكانها فإذا لم تكن محبًا للحرب، فلن تستطيع العيش لترى ذريتك - لسوف تموت. ولكي تكون أكثر رقة وتتنازل بسهولة، فإن الحرب تمثل كارثة أنها

ضرورة حتمية، لأنك ستهلك أنت أو يهلك الآخرون. مثلك مثل طائر أو حيوان يجب عليك النضال من أجل موطنك. فالحرب تحضر لنا الأرض والطعام والنساء- الأشياء التي تحتاج إليها لكي تعيش وتبقى على قيد الحياة. ولكن يجب علينا الآن معرفة أننا يجب أن نتجنب الحرب، ليس بسبب طبيعتنا الرقيقة أو لعدم رغبتنا في إيذاء الآخرين أو ظلمهم فحسب، ولكن لأن الحرب لم تعد مربحة، فليس علينا أن نبقي على الحرب ولكن عداواتنا ستزال عن طريق الحرب. إن عصر النمر قد انتهى، ومما لا شك فيه أننا نعيش عصر الأشرار واللصوص. ولكن هذا يعتبر جيد- فهو يمثل مرحلة من مراحل الصعود.

اعتقد أن هناك نوع من الإرادة الجيدة. نحن نفكر عندما نسمع عن الكوارث أو الزلازل التي تقع على الجنس البشري. ونريد أن نساعد. إن هذا يعتبر إنجازًا حقيقيًا والذي أعتقد أنه سيقودنا إلى وضع ما- لا شيء يحدث سريعًا- ولكن يمكننا أن نأمل. اعتقد أننا أحيانًا لا نقدر الفضيلة الثانية من الفضائل الثلاث-الإيمان والأمل والمحبة. إن الإيمان لدينا الكثير كي نقوله عنه، إنه يمكن أن يجعلك قاسي وغير متسامح، فلذلك يمكن أن تسيء للإيمان. أما الحب الذي نعرفه في قلوبنا فهو الجواهر. ولكن كيف يمكننا أن ننسى دائمًا أن هناك الأمل، وأننا نادرًا ما نفكر في الأمل؟ فنحن علي استعداد أن نشعر باليأس بسرعة وعلى استعداد أن نقول "ما هي فائدة القيام بأي شيء؟ إن الأمل هو الفضيلة التي يجب أن نزرعها في هذه الأيام وفي هذا العصر.

إننا جعلنا من أنفسنا دولة رفاهية، والتي منحتنا الحرية من الخوف ومنحتنا كذلك الأمن وتوفير الحياة المعيشية وأكثر من ذلك قليلًا، ومع ذلك فإنه يبدو لي الآن أن دولة الرفاهية هذه كل عام تزداد صعوبة لأي فرد في الاطلاع تجاه المستقبل. لا شيء يستحق لماذا؟ لأننا لم نعد نناضل من أجل وجودنا؟ فهل ما زالت الحياة مثيرة وشيقة؟ لا يمكننا تقدير حقيقة أننا ما زلنا على قيد الحياة. ربما نحن

في حاجة إلى صعوبات الفراغ، وإلى عوالم جديدة تفتح أمامنا، وإلى وجود نوع من الصعوبة، وإلى الألم والمرض، وإلى الحنين الشره للبقاء!

حسنًا، فأنا إنسانه متفائلة. إن الفضيلة الوحيدة التي اعتقد أنها لن تنتهي بالنسبة لي هي الأمل. ولهذا أجد ماثيو العزيز يتعلق مثلي بالأمل. كان لديه حالة مزاجية جيدة متفائلة. وأتذكر ذات مرة عندما كان في المدرسة الابتدائية وكان ماكس يسأله هل يعتقد أن لديه أي فرصه في الحصول على أي من المراكز الأولى في لعبة الكريكت، فأجابه بابتسامه "نعم، دائمًا هناك أمل!

إن المرء عليه أن يتبع شيئًا كهذا، ويكون لديه مثل هذا الشعاري في الحياة. كان يصيبي الجنون والغضب عندما اسمع أن هناك زوجين في منتصف العمر يعيشان في فرنسا عند اندلاع الحرب. وعندما اعتقدوا أن الألمان قادمون في طريقهم عبر فرنسا فقد قررا أن الشيء الوحيد الذي يجب القيام به هو الانتحار والذي فعلاه. ولكن للأسف فلم يفعلان أي شيء جيد فلم يفيدا أحد بانتحارهما. حيث كان بإمكانهما أن يعيشان حياة صعبة من التحمل والنضال من أجل البقاء. فلماذا يقلع المرء عن أي أمل موجود حتى الموت؟

فهذا يذكرني بقصة اعتادت جدتي الروحية الأمريكية أن تخبرني إياها لأعوام وأعوام عن اثنين من الضفادع وقعا في دلو من اللبن. فقال أحدهما "أنا اغرق أنا اغرق وقال الضفدع الآخر "أنا لن اغرق" فقال الضفدع الأول "فكيف تتوقف عن الغرق؟" فقال الضفدع الثاني "لماذا؟ علي أن اندفع بقوة في اتجاه دائري مثل المجنون" وفي الصباح التالي غرق الضفدع الأول، والثاني اندفع في اتجاه دائري طوال الليل وكان جالسًا هناك في الدلو.

اعتقد أن الجميع كان لديهم قلق قليل في الأعوام الأخيرة من الحرب. حتى في بداية الحرب فقد كان هناك شعورًا أن هناك نهاية للحرب، والعديد الذي قالوا هذا لم يتراجعوا عما ذكروه.

بدأت في الشعور بالقلق. إن معظم المرضى انتقلوا خارج لندن. وأحياناً أشعر بأن الحال لم يكن مثلما كان في الحرب الأولى، وأني أعالج الرجال المجروحين من الخنادق. وقد أحضرت الأمهات أولادهن إلى عالم من الرفاهية- واعتقد أنهن فعلمن الكثير حتى يحتفظن بهم في المنزل.

اعتقد أنه كان هناك مشروعان في ذلك الوقت قمت بهما. كان هناك إحدى صديقاتي والتي كانت في القوات الجوية النسائية المساعدة قد رتبت لي أن أرى صديقة لها للقيام ببعض العمل الفوتوغرافي. وقد اندهشت لما كان يبدو أنه أميلاً من الممرات تحت سطح الأرض واستقبلي ملازم أول شاب والذي أخافني في البداية حتى الموت. وبالرغم من أنني كان لدي الكثير من الخبرة في التصوير الفوتوغرافي، إلا أن الشيء الوحيد الذي لم أقم به من قبل ولم أكن اعرف أي شيء عنه هو التصوير الفوتوغرافي في الجو. لذلك فقد وجدت أنه من المستحيل عملياً القيام بأي صورة فوتوغرافية لي. والشيء الوحيد الذي كان بإمكانني التصوير به هو قاعدة أوصلو، ولكنني لم يكن لدي الجرأة أن أقول هذا الشيء. وكنت قد التقطت العديد من اللقطات. وتهد الملازم الشاب ونظر لي برقة وقال "اعتقد من الأفضل لك أن تعودين إلى عملك بالمستشفى".

مع بداية الحرب كتب إلي جراهام جرين وسألني إذا كنت أود القيام بعمل دعائي. واعتقد أنني لست تلك الكاتبة التي يمكن أن تكون جيدة في الدعاية، لأنني افتقد الموهبة. فيجب أن تكون قادراً على قول أن منتج س مثلاً أسود من الليل، وأن تشعر به. ولا اعتقد أنني يمكنني فعل ذلك.

ولكن كنت اشعر بالقلق يومياً وأريد عملاً له علاقة بالحرب. فقد حصلت على عرض أن أكون عاملة مساعدة لطبيب في ويندوفر وكان ذلك بالقرب من سكن بعض الأصدقاء. واعتقد أن هذا سيكون جيد بالنسبة لي، وأود أن أكون في الريف. ولكن ربما يرجع ماكس من شمال أفريقيا- بعد ثلاثة أعوام- فلسوف اشعر أنني أتعامل مع طبيبي بشكل سيء.

كما كان لدي مشروعًا مسرحيًا. فقد كان ممكنًا أن اذهب مع معهد الفن المسرحي كمنتجة إضافية أو شيء من هذا القبيل في جولة إلى شمال إفريقيا. واندعشت بهذه الفكرة. وكان من حسن حظي أنني لم أقم بذلك. وقبل أن أغادر انجلترا بأسبوعين تلقيت خطابًا من ماكس يقول أنه من المحتمل أن يعود من شمال إفريقيا إلى الوزارة الجوية في غضون أسبوعين. فيا للأسف، إذا سافرت لجنوب أفريقيا مع معهد الفن المسرحي يمكن أن يرجع في ذلك الوقت إلى البيت.

ومرت الأسابيع الثلاثة التالية في حزن وكآبة. فكنت منتظرة لأسبوعين. وفي فترة ثلاثة أسابيع أو ربما أطول قلت لنفسني إن هذه الأشياء عادة ما تستغرق وقتًا أطول مما يتوقعه المرء.

ذهبت في عطلة نهاية الأسبوع إلى روزلن في ويلز وعدت مرة أخرى في قطار متأخر في مساء الأحد. وكان نوع من هذه القطارات التي على المرء تحملها في وقت الحرب. كان البرد قارسًا، فعندما يصل المرء إلى محطة **بادينغتون** لا يكون هناك وسائل مواصلات أخرى في أي مكان. وأخذت عدة قطارات ووصلت إلى محطة هامبستيد وهي ليست بعيدة عن شقة **لاون رود**، ومن هناك مشيت إلى المنزل حاملة حقيبة سفري في يدي. ووصلت وأنا متعبة وأشعر بالبرد وبدأت اشغل الغاز وخلعت معطفي ووضعت حقيبة سفري على الأرض. ووضعت أسماك السلمون التي كانت معي في طاسة. ثم سمعت صوت ضجيج بالخارج وتساءلت ما هذا. وخرجت إلى الشرفة ونظرت إلى أسفل من السلالم. ورأيت شخصًا يحمل كل شيء تتخيله - ربما يكون الفارس الأبيض تشبيهاً جميلاً له. بيد أنه لا يوجد شك من يكون هذا - إنه **زوجي**! وبعد دقيقتين عرفت أن جميع مخاوفي تلاشت. إنه كان **ماكس**! أشعر أنه غادر بالأمس وعاد مرة أخرى. وعدنا سوياً. وكنت أشم رائحة فظيعة لأسماك السلمون التي كانت تتجه إلى أنوفنا.

فسألني ماكس "ماذا بحق السماء تأكلين؟"

فقلت له "اسماك السلمون من الأفضل أن تتناول واحدة" ثم نظرنا إلى بعضنا البعض وقلت له "ماكس! أنت تزن أكثر من حجرين"

"وأنت لم تفقدي أي من وزنك"

"بسبب البطاطس فعندما لا يكون لديك لحوم أو شيء، يكون لديك البطاطس والخبز لتتناوله"

فقد كان هناك زيادة في الوزن أكثر من ذي قبل.

فقلت له "إن المعيشة في صحراء فيزان يجب أن تجعلك نحيفًا، فقال ماكس "ليس الأمر كذلك فهناك لا يوجد أي شيء آخر كي تقوم به باستثناء أن تجلس وتتناول الأطعمة الدهنية والبيرة".

يا له من مساء رائع وجميل، فقد تناولنا اسماك السلمون معًا وكنا نشعر بسعادة غامرة.





الجزء الحادي عشر الخريف



كتبت هذه الأوراق عام ١٩٦٥ ولكن الأحداث الواقعية حدثت عام ١٩٤٥. إنها حقًا عشرون عامًا ولكنها لا تبدو هكذا على الإطلاق. إن سنوات الحرب لا تبدو سنوات واقعية. فقد كانت بمثابة كابوس فظيع توقفت فيها الحقيقة. وكنت أقول دائمًا لبعض السنوات التي تلت بعدها "أوه، إن هذا حدث وهذا حدث منذ خمسة أعوام" ولكن كان علي في كل عام أن أضيف حوالي خمسة أعوام أخرى إضافية. والآن، عندما أقول لنفسني منذ سنوات قليلة، أعني العديد من السنوات. إن الوقت تغير بالنسبة لي مثلما تغير تمامًا بالنسبة لكل من عاصر الحرب.

وبدأت حياتي مرة أخرى، أولًا مع نهاية الحرب مع ألمانيا. بالرغم من أنه من الناحية التقنية أن الحرب قد استمرت مع اليابان، إلا أن حربنا قد انتهت وقتها بالفعل. ثم أنت مسئولية التقاط جميع الأجزاء والقطع المتناثرة هنا وهناك في كل مكان- وهي مقتطفات من حياة المرء.

وبعد أن قمنا ببعض الرحلات، عاد ماكس مرة أخرى إلى وزارة الجوية. وقررت الاميرالية البحرية القيام ببعض الإجراءات كالاعتاد بعد القيام بالملاحظات- وكان اليوم الذي اختاروه لهذا يوم الكريسماس. كان حظنا سيء في هذا الوقت حيث أن المولد الكهربائي الذي من خلاله نعد التيار الكهربائي لدينا في هذا الوقت كان قد أوشك على النفاذ. وقد أخبرني القائد الأمريكي في الكثير من الأوقات أنه كان خائفًا من التعطيل كلية وقال "على أي حال، سنضع واحدًا جديدًا عند استبداله، ولذلك فإن هناك شيء ما عليك أن تتطلعين إليه" وللأسف فإن المنزل لم يكن جاهزًا عندما وضعت خطة وجدول لاستبدال المحرك الكهربائي.

وكان منزلنا في جرينواي جميل للغاية عندما ذهبنا إلى هناك في يوم من أيام الشتاء المشمسة- ولكنه كان بري- بري مثل غابة جميلة. فقد اختفت الممرات أما حديقة المطبخ التي كان يزرع بها الجزر والأناناس، فقد تحولت كلها إلى كتلة من

الأعشاب الضاربة وأيضًا لم تشذب أشجار الفاكهة. وكان من المحزن أن ترى هذا المنظر ولكن كان جماله ما يزال موجودًا. إن داخل المنزل لم يكن سيئ بنفس الدرجة التي كنا خائفين منها. فلم يكن هناك أي مشمع للأرضية موجود ولكننا لم يسمح لنا بإحضار غيره لأن الاميرالية قد أخذته ودفعت لنا حسابه عندما تركوه. أما المطبخ فكان لا يوصف، حيث كانت الأوساخ في كل مكان والدهون على الجدران وكان هناك أربعة عشر من المغاسل عبر الممر الموجود هناك.

وكان هناك رجلًا رائعًا قد حارب من أجلي مع الاميرالية ويجب أن اعترف وأقول أن الاميرالية تحتاج إلى بعض من التشاجر معها. كان السيد ادم نصيرًا لي. وقد أخبرني شخص ما أنه هو الوحيد القادر على عصر الدماء من الحجارة أو انتزاع الأموال من الاميرالية!

وقد رفضوا السماح لنا بإعادة تزيين الغرف بحجة أن المنزل كان مدهونًا فقط منذ عام واحد أو عامين قبل مغادرتهم- ولذلك فإنهم سيسمحون بطلاء جزء واحد فقط من كل غرفة. فكيف تقوم بدهان ثلاثة أرباع الغرفة؟ إن المنزل كان متدهورًا ومتلفًا إلى حد كبير بسبب بعض الحجارة التي أزالوها والعديد من الأشياء الأخرى التي قاموا بها وكانت هذه تعد خسارة للمنزل مكلفة والتي يجب أن يدفعون من أجل تعويض هذه الخسارة- وعندما حصل على المال مقابل هذه الخسائر يمكنني القيام بإعادة ترميم ما تم تكسيه وأيضًا أقوم بزخرفة المطبخ مرة أخرى.

كان هناك معركة أخرى بخصوص المغاسل لأنهم قالوا إنها يجب أن تكون مسئولة مني في التحسينات. فقلت من الصعب أن نحسن أربعة عشر من المغاسل التي لا تحتاجونها في ممرات المطبخ. وما تحتاجونه هو مكان حفظ اللحوم وسقيفة الخشب والمخزن الذي كان هناك في الأصل. وقالوا إن جميع المغاسل ستمثل تطورًا جيدًا إذا حول المكان إلى مدرسة للفتيات. وقد أوضحت أن المكان لن يحول إلى مدرسة للفتيات. ويمكنهم أن يتركوا لي مغسلًا واحدًا. ومع هذا فهم لم يفعلوا هذا. فإما أن يأخذون جميع المغاسل بعيدًا عن المكان أو أن أدفع أنا تكلفتها لتركيها

واستصلاح أي تلف بها. ولذلك قلت مثلما قالت الملكة الحمراء "فلتأخذنها جميعاً بعيداً!"

وكان هذا يعني الكثير من المشكلات والتكلفة أيضاً للاميرالية ولكنهم كان عليهم أن يأخذوها بعيداً عن المكان. ثم سمح السيد آدم أن يعود جنودهم مرة أخرى لأخذ هذه المغاسل بعيداً بشكل جيد، حيث أنهم يتركون المواسير والعديد من الأشياء الأخرى وأيضاً من أجل إصلاح حجرة المؤن وأدوات المائدة ومواضع حفظ اللحوم. وكانت بالفعل معركة طويلة وموحشة.

وفي الوقت المناسب، أتى الناقلون وأعادوا توزيع الأثاث في جميع أنحاء المنزل. وكان من المدهش أن يكون شيئاً صغيراً قد تلف أو أفسد، علاوة على وجود حشرات السجاد. وتم إخبارهم أن يجعلونه مقاوماً للعث لكنهم أهملوا ذلك من خلال التفاؤل المزيف "كل شيء سيكون على ما يرام مع انتهاء الكريسماس" وأتلفت بعض الكتب-ولكن من المدهش أن ما تلف كان قليلاً، ولا شيء حدث لسقف غرفة الرسم وكان قد تبقي جميع الأثاث بها في حالة جيدة بشكل ملحوظ.

كم بدت غرينواي الجميلة رائعة ولكنني كنت أتساءل إذا ما كان يمكننا توضيح أي من الطرق والممرات مرة أخرى أو حتى أن نجد أين هي. فلقد أصبح المكان أكثر برية في كل يوم وكان يتم اعتباره كذلك من قبل الجيران. فقد كانوا يستيقظون من النوم وهم يسحبون فروع النباتات الوردية ويدمرون الشجيرات بإهمال كبير. وبالطبع، أصبح المكان فارغاً لفترة من الوقت بعد مغادرة الاميرالية للمكان. وكنا في لندن وكان ماكس ما يزال في الوزارة الجوية. ولم يكن هناك وكيلاً لتدبر الأمور وأتى الجميع كل يساعد نفسه بحرية في كل شيء. ليس في جمع الزهور فحسب ولكن أيضاً في تقطيع الفروع في أي مكان.

وكنا قادرين على الاستقرار في النهاية، وبدأت الحياة مرة أخرى بالرغم من أنها لم تكن مثلما كانت من قبل. وكان هناك شعوراً بالارتياح من أن السلام قد تحقق

في النهاية ولكن ليس هناك تأكيدًا في مستقبل السلام أو في الواقع ليس هناك أي ثقة من أي شيء. واستمرينا برفق سويًا نشعر بالامتنان لوجودنا معًا في محاولة لاستمرار الحياة مرة أخرى ولرؤية ما نحن قادرين على القيام به من أجل سير الحياة الطبيعية. وقد كان العمل مقلقًا أيضًا. فقد كان هناك الكثير من الاستثمارات التي في حاجة لكي تملأ، والعقود التي في حاجة لتوقيعها، والعديد من تعقيدات الضرائب- وكان هناك فوضى كلية من الأشياء التي لا يفهمها المرء.

والآن فقط أدركت بشكل كامل من خلال النظر إلى الوراء وقت الحرب أنني مررت بكم هائل غير معقول من الهراء خلال تلك السنوات. وقد افترضت هذا لأنه لم يكن هناك ما يلهينا في الحياة الاجتماعية، فلم أكن أخرج في المساء إلى الخارج أبدًا.

فإلى جانب ما ذكرته بالفعل، قمت بكتابة كتابين إضافيين خلال السنوات الأولى من الحرب. وكان هذا توقعًا لقتلي في الغارات والتي كانت تبدوا في أعلى درجة أثناء عملي في لندن. وكان الكتاب الأول لروزلن والذي كتبته في البداية- وهو كتاب به هركول بوارو- والثاني لماكس- وبه الأنسة ماربل. فعند كتابة هذين الكتابين وضعتهما في شكل هدية بشكل رسمي لتقديمهما إلى كلا من ماكس وروزلن. ولم يصيب هذين الكتابين التلف.

فقد أوضحت لهما "إن هذه الكتب ستبهجكم كثيرًا عندما تعودون من جنازتي عندما تفكران في أن كل واحد منكما يملك كتابًا من هذين الكتابين" وضحكننا جميعًا كثيرًا على هذا الموقف.

لا أستطيع أن أفهم لماذا يكون الناس دائمًا في حيرة في مناقشة أي شيء يتعلق بالموت. إن عميلي السيد /دموند كورك كان دائمًا معتاد أن يبدو منزعجًا في الغالب عندما كنت أثير قضية " نعم، ولكن أفترض أنني توفيت؟" ولكن في الواقع، إن قضية الموت هامة جدًا هذه الآونة لدرجة أنها تستحق المناقشة. وبقدر ما

يمكنني فهمه من أحاديث المحامين وعاملي الضرائب الذين اخبروني عن رسوم الموت- وهي رسوم قليلة جداً مما فهمته-إن موتي سيكون كارثة لا تضاهي بالنسبة لجميع علاقتي ومعارفي وأملهم هو أن أبقى على قيد الحياة بقدر المستطاع!

وبالنظر لارتفاع الضرائب، كنت مسرورة لاعتقاد أنه لم يعد هناك الكثير من العمل الشاق للقيام به: إن كتابة كتاب واحد في العام يمثل متسعاً من الوقت. فإذا كتبت كتابين، فيجب أن ابذل قصارى جهدي في كتابة الآخر وأعطي نفسي عملاً إضافياً آخر. وبالتأكيد، لم يعد هناك الحافز القديم. فإذا كان هناك شيء ما غير عاديًا أريد فعلًا القيام به، فإن ذلك سيكون مختلفًا.

ثم بعد ذلك اتصلت بي إذاعة ال بي بي سي وطلبت مني إذا كنت أرغب في القيام بعمل مسرحية قصيرة لبرنامج ما والذي كانوا يعدون فيه لبعض المهام التي يقومون بها مع الملكة ماري. والتي عبرت عن أمنيته للقيام بشيء مني، حيث أنها كانت تحب كتي. هل نجحت في ذلك؟ فقد جذبتني الفكرة. اعتقدت أنها صعبة، ثم قمت بترتيب ذلك وقلت. نعم. في إحدى المرات أتت إلي فكرة اعتقدت أنني يمكنني القيام بعملها وكتبت مخطط صغير للإذاعة يسمى "ثلاثة فئران عميان" وبقدر ما اعرف فإن الملكة ماري كانت سعيدة بهذا العمل الأدبي.

وكان هذا يبدو أنه نهاية، ولكن بعد ذلك أقترح أنني يمكنني تكبير العمل إلى قصة قصيرة. وكنت قد كتبت قصة "الأجوف" للمسرح والتي أنتجها بيتر ساندروز وكانت هذه القصة ناجحة. وقد استمتعت بنفسني وكنت سعيدة لأنني بدأت في التفكير في مقالات وموضوعات أبعد في كتابة المسرحيات. كنت أقول لنفسني "لماذا لا أكتب مسرحية بدلاً من كتاب؟ إنها ستكون أكثر متعة. إن كتاب واحد في العام يفي بالأموال ولذلك يمكنني أن أمتع نفسي بوسيلة مختلفة تمامًا.

وكلما فكرت في مسرحية "ثلاثة فئران عميان" كلما شعرت أكثر أنها ربما تمتد لمسرحية إذاعية تستغرق حوالي عشرون دقيقة. وكانت تحتاج إلى زوج إضافي من

الشخصيات وحبكة درامية وعمل بطيء حتى الوصول إلى الذروة. اعتقد أن واحدًا من مميزات مسرحية "المصيدة" هي حقيقة أنها كتبت بالفعل بالتفصيل حتى تعد أنها بمثابة عظام الهيكل العظمي المغطى باللحم. إن هذا أعطاهم التأسيس الجيد.

وبالنسبة لعنوانها، يجب أن أدين بكل الشكر والامتنان إلى زوج ابنتي انتوني هيكس. ففي الواقع لم اذكر انتوني من قبل ولكنه بالطبع ليس مجرد ذكرى لأنه بالفعل معنا. وفي الواقع لا أعرف ماذا كنت افعل بدونه في الحياة. فلا يعد فقط واحدًا من أكثر الناس رقة من الذين عرفتهم، ولكنه أيضًا شخصية شيقة وجذابة للغاية. فهو لديه أفكارًا. فيمكنه أن يعد أي منضدة عشاء من خلال تقديم "مشكلة" ما فجأة، لا، فكان في كل مرة يجادل الجميع بغضب شديد.

ففي إحدى المرات درس لغة السنسكريتية ولغة سكان التبت، ويمكنه أيضًا أن يقرأ المعلومات عن الفراشات - القانون- الطوابع- الطيور- التحف والانتيكات- الطقس- والمناخ. فإذا أخطأ مرة، فهو يتناقش حول قضية الخمر على مدى بعيد ولوقت طويل.

عندما كان العنوان الأصلي لمسرحية "ثلاثة فئران عميان" مستخدمًا، كان هناك بالفعل مسرحية بهذا الاسم- وكنا نشغل تفكيرنا في العناوين. ثم أتى انتوني بعنوان "المصيدة". التي تم تبنيه. ولم يأتي أبدًا إلى تفكيرنا أن هذه المسرحية ستشكل تاريخًا مسرحيًا في حياة المسرح.

دائمًا ما يسألني الناس عن سبب نجاح "المصيدة" وبعيدًا عن الرد بإجابة غامضة أو غير واضحة، فكنت دائمًا ما أقول أنه الحظ. لأنه هو فعلاً الحظ بنسبة تسعين بالمائة هو السبب في نجاح هذا العمل الأدبي. أو على الأقل يجب أن أقول- إن السبب الوحيد الذي يمكنني أن أحده هو أن بها شيء ما في كل إنسان: فجميع الناس في كافة الأعمار المختلفة يمكنهم أن يروه. والشباب يستمتعون به والكبار أيضًا. فماثيو وأصدقائه وأصدقاء الجامعة ذهبوا ليروا هذا العمل واستمتعوا به.

ولكنني اعتقد أن هذا العمل الفني يمكن أن يطلق عليه اسم مسرحية خفيفة بها خفة الظل كما أنها مكتوبة بشكل جيد. والشيء غير الواضح هو أنك تود أن تعرف ما حدث بعد ذلك ولا يمكنك أن ترى إلى أين الدقائق التالية ستأخذك. اعتقد أنه بالرغم من أن هناك نزعة بالنسبة لجميع المسرحيات أن تتجه لأن تمثل إن آجلاً أم عاجلاً كما لو كان الناس بها عبارة عن رسومات كاريكاتيرية، إلا أن الناس في مسرحية المصيدة" يمكن أن يكونون جميعاً واقعيين.

كان هناك إحدى الحالات التي كان فيها ثلاثة أطفال أهملوا ورفضوا بعد أن وضعوا بناء على أمر من المجلس داخل مزرعة. وقد توفي واحدًا منهم، وهناك رغبة بأن يكبر احد الأطفال وبداخله رغبة شديدة للانتقام. وكان هناك حالة إجرامية أخرى حيث قام شخص ما بتدليل طفل والتعلق به لسنوات عديدة، ثم عاد لينتقم منه. إن هذا الجزء من الحبكة الدرامية لم يكن مستحيلًا.

الشخصيات ذاتها: امرأة شابة تكافح مع الحياة وقررت أن تعيش فقط للمستقبل، والشاب الذي يرفض مواجهة الحياة ويتوق أن يولد من جديد. والطفل الذي مع السيدة الوحشية التي تؤذي جيبي- وجميع هؤلاء الشخصيات يبدوون لي واقعيين وطبيين عندما تشاهدهم على المسرح.

وقد لعب كلا من ريتشارد اتينبورو وزوجته شيلا سيم دور القيادات الأولى في الإنتاج الأدبي الأول. ويا له من أداء رائع لهما. فقد أحبا المسرحية وامنوا بها وأعطى لها ريتشارد اتينبورو قدرًا كبيرًا من الاهتمام والتفكير في لعب دوره وتمثيله. شخصيًا استمتعت بها للغاية.

ثم أنتجت في النهاية. ويجب أن اعترف أنني لم يكن لدي أي شعور بالنجاح العظيم أو أي شيء يشبه هذا. فقد اعتقدت أنها جيدة وتسير بشكل جيد ولكنني لا أتذكر بالضبط ميعاد العرض الأول لها: اعتقد أن البداية كانت في أكسفورد- وعندما ذهبت مع بعض الصديقات اعتقدت أنها وقعت بين كرسيين. وقد وضعت

بها العديد من المواقف المتناغمة: حيث كان هناك الكثير من الضحك فيها. نعم، فقد كنت مكتئبة إلى حد ما، أتذكر هذا.

ومن ناحية أخرى، أشار *بيتر ساندروز* برأسه برفق نحوي وقال "لا تقلقي! توقعاتي تقول أنها ستستمر في العرض لمدة عام-أربعة عشر شهرًا بالضبط".

فقلت له "اعتقد ليس بالضبط ربما يكون الوقت ثمانية أشهر، نعم، اعتقد أنه ثمانية أشهر".

والآن، وكما كتبت فإنها تعرض إلى العام الثالث عشر. واسمع أنها تحقق الآن نجاحًا جديدًا- وما زال الناس يذهبون لمشاهدتها.

ويجب أن اعترف أنها تبدوا بالنسبة لي شيء لا يصدق. لماذا تستمر مسرحية سارة وممتعة لثلاثة عشر عامًا. لا شك في أن هناك معجزة ما قد حدثت.

ومن يحصل على أرباحها؟ بشكل أساسي، بالطبع فهي تتجه نحو الضرائب مثلما هو الحال مع أي شيء آخر. ولكن بعيدًا عن الضرائب من الذي يحصل على الأرباح؟ لقد منحت العديد من كتبي وقصصي القصيرة إلى أشخاص آخرين. فحقوق الطبع في إحدى القصص القصيرة "*الحرم*" أعطيتها إلى مؤسسة *وستمنستر ابي* وهناك العديد من القصص الأخرى منحتها إلى بعض من أصدقائي. حقيقة أنك تجلس وتكتب شيء ما ليمر عائدته مباشرة منك إلى شخص آخر هو في الواقع شعورًا أكثر سعادة من أن تمسك في يدك شيكات مالية أو شيء من هذا القبيل. فربما تقول أنه هو نفس الشيء في النهاية أو أن الأمور كلها واحد، ولكنها ليست كذلك. هناك واحدًا من كتبي ينسب إلي أخو زوجي بالرغم من أنه نشر منذ عدة سنوات، إلا أنهم ما يزالوا يعملون بشكل رائع معه. وأعطيت نصيبي في حقوق فيلم "*إعلان عن جريمة*" إلى روزلن.

ومسرحية "*المصيدة*" وهبتها إلى حفيدي، ماثيو، بالطبع كان دائمًا هو أكثر الأشخاص حظًا في العائلة، وسوف أعطي ماثيو المبلغ المالي الكبير كهدية له.

من بين المرات التي ما تزال تعلق بذاكرتي إحدى الليالي في المسرح، بالتحديد الليلة الأولى لعرض مسرحية "إعلان عن جريمة" ويمكنني القول أنها كانت الليلة الأولى التي استمتعت بها.

إن الليالي الأولى عادة ما تكون مؤلمة. وهناك سببين لذلك. الأول-ليس دافعاً حقيراً-إن الممثلين غير الكفاء عليهم أن يتجهوا هذا الاتجاه، والثاني أنه من غير العادل ألا يكون المؤلف هناك كي يشاركهم ألأمهم. وقد عرفت بعض من هذه الآلام في أول ليلة في البي. كان السيناريو يدعو كبير الخدم والدكتور أن يطرقوا باب الدراسة المغلق عدة مرات، وبعد ذلك يأتي الاتزار لفتحه بالقوة، ففي الليلة الأولى لم ينتظر باب الدراسة حتى يتم فتحه، فقد فتح في البداية قبل أن يبدأ أي شخص وكان العرض في شكل نهائي. مما جعلني اشعر بالعصبية ثم بعد ذلك الكثير منها الأبواب المغلقة والأضواء التي لم تكن في وضع الاستعداد. إن هذه بالفعل هي أوجه الألم أو الكآبة الحقيقية التي صادفتها أو عرفتها عن المسرح.

والسبب الآخر وراء الذهاب في الليالي الأولى هو بالطبع الفضول. فأنت تعرف أنك ستكرهها: وأنت ستشعر باليأس والكآبة وستلاحظ جميع الأشياء التي تتجه في الاتجاه الخاطئ وجميع السطور التي يتم إخمادها وجميع الفجوات التي تنشر. ولكنك تذهب بسبب هذا الطفل الصغير وبسبب فضوله- لأنك ترغب في المعرفة بنفسك. ولذلك تكون هناك وتشعر بالبرد وترتعث وأحياناً بالحرارة وتأمل في أن لا يلاحظك أحد وتخفي نفسك في الصفوف الأولى من الدائرة.

إن الليلة الأولى من مسرحية "إعلان عن جريمة" لم تكن سيئة. فقد كانت إحدى مسرحياتي التي أحببتها كثيراً. وكنت راضية بهذه المسرحية كما كان الحال مع مسرحيات أخرى. فلم أكن أرغب في كتابتها: وكنت في البداية خائفة من كتابتها وتم

قهري على ذلك من قبل بيتر ساندروز الذي كان لديه قدرة فائقة على الإقناع. والذي قال لي "بالطبع يمكنك القيام بهذا العمل".

"أنا لا اعرف أي شيء عن الإجراءات القضائية. سأصرف بحماقة إذا قمت بعمل هذا"

"إن هذا سهلاً فيمكنك أن تقومي بقراءتها وتأخذين بعض الأفكار عن القانون"

"لا يمكنني أن اكتب مشهداً واحداً يقع في المحكمة"

"يمكنك كتابته- فقد شاهدتي العديد من مشاهد المحاكم في المسرحيات ويمكنك المحاولة"

"أوه لا أعرف..... لا اعتقد أنني يمكنني كتابة مثل هذا العمل".

واستمر بيتر ساندروز في قوله أنني بالطبع استطيع، وعلي أن أبدأ لأنه يريد هذه المسرحية بسرعة. وكنت سهلة الانقياد بالإقناع. فقرأت كميات كبيرة من سلسلة محاكمات مشهورة وسألت كثير من الأسئلة لمحامين الإجراءات والمرافعات وفي النهاية اهتممت بالموضوع، وفجأة شعرت أنني مستمتعة وأنها لحظة رائعة في كتابة ما لا يستغرق طويلاً، ولكنه يشبه ما يحمل الشخص على موجة عالية إلى الشاطئ. فقد قلت لنفسي "إن هذا جميل للغاية-فسأقوم بهذا العمل -إنه جيد- الآن فأين يجب أن نتجه؟" إنها لحظة لا تقدر بثمن من رؤية الأشياء - ليس على المسرح ولكن في عقلك وعينيك. إنه الشيء الواقعي في محكمة واقعية في عقلي. فقد رأيت الأب اليائس العصبي والمرأة التي أتت للشهادة لإعطاء دليلاً ليس لحبيبها ولكن للملك. إنها واحدة من أسرع ما كتبت- اعتقد أنها لم تستغرق مني سوى أسبوعين أو ثلاثة بعد قراءتي الأولى.

وبشكل طبيعي، فقد كان هناك بعض التغييرات في الإجراءات، وكان علي أيضاً أن أقاوم النهاية في المسرحية. لم يحبها أحد ولم يرغب فيها احد وقال الجميع

أنها ستفسد المسرحية كلها. فقد قال الجميع "لا يمكنك أن تعلمي مثل هذا العمل" وكان الجميع يرغبون في نهاية مختلفة – وبشكل مفضل مثل التي كانت في القصة القصيرة الأصلية التي كتبها منذ سنوات. ولكن القصة القصيرة ليست مثل المسرحية. إن القصة القصيرة لا يوجد بها مشهداً في المحكمة ولا توجد بها محاكمة للقاتل. فقد كانت فقط تخطيطاً لشخص متهم وشاهدة مهمة غامضة وقد وصلت إلى النهاية. وغالباً لا أصل إلى نهاية الأشياء بسهولة، ففي الغالب لا يكون لدي إقناعاً كافياً ولكنني في هذه المسرحية كان لدي إقناعاً كافياً. فقد أردت هذه النهاية. فقد أردتها بشدة لدرجة أنني لم أكن أرغب في كتابة المسرحية دون أن أضع هذه النهاية.

وقد وضعت نهايتي وحددتها وكانت ناجحة. وقال بعض المشاهدين إنها كانت مزدوجة ولكنني كنت اعرف أنها لم تكن كذلك، فقد كانت منطقية. كانت تمثل ما حدث وما يمكن أن يحدث وربما يحدث في نظري – وربما يحدث بأقل عنف، ولكن النفسية تكون صحيحة، والحقيقة التي تكمن خلفها كانت واضحة طوال المسرحية وطوال وقت عرضها.

وقد أعطاني النصيحة محامي المرافعة وكاتب العدل وأتوا إلى مشاهدة المسرحية مرتين. وكان أكثر أوجه النقد اللاذع من كاتب العدل. قائلاً "حسناً، إن المسرحية كلها خطأ بالنسبة لي لأنك تجعلين محاكمة مثل هذه والتي تستغرق ثلاثة أو أربعة أيام على الأقل، وتختصرها إلى ساعة ونصف أو ساعتين". إنه بالطبع ليس على حق حيث أننا كان علينا أن نشرح له أن جميع مشاهد المحكمة في المسرحيات يجب أن تعطى فائدة الترخيص المسرحي وأن ثلاثة أيام يجب اختصارها في فترة زمنية تعد في ساعات وليس في أيام. وقد ساعد الستار هنا وهناك، ولكن في مسرحية إعلان عن جريمة" فإن الاستمرارية في مشهد المحكمة اعتقدت كانت ذات قيمة.

وعلى أية حال، فقد استمتعت بهذا المساء عندما عرضت المسرحية للمرة الأولى. واعتقدت أنني ذهبت إليها وأنا مليئة بالخوف ولكن بمجرد أن أزيح الستار بدأت

سعادتي. فقد كانت هذه المسرحية اقرب عمل من أعمالي إلى ذهني. وكانت الشخصيات القانونية التي رسمتها بوضوح واضحة: فقد كان ديريك بلومفيلد الشاب المتهم، حيث أنني عرفت القليل عن القانون واعتمد نجاح المسرحية على شخصية باترشيا جيسيل التي كان لها أصعب دور في المسرحية. فلم أرى ممثلة أكثر كفى منها. إن الدور كان صعباً وخاصة في الفصل الأول. وقد كانوا مترددين ومتحفظين وكانت القوى الكلية للتمثيل في العيون. وقد اقترحت هذا- شخصية مهمة غامضة. وما زلت أفكر فيها وهي تمثل دور رومين هيلدر وهو أحد أفضل أداء رأيته على خشبة المسرح.

ولذلك فقد كنت سعيدة وزادت سعادتي بعد مقابلة الجمهور. فقد نهضت بعيداً بعد إسدال الستار في نهاية المسرحية. وفي لحظات قليلة، وبينما كنت انتظر سيارتي، كنت محاطة بازدهام كبير من الأصدقاء وأفراد من الجمهور الذين عرفوني وشجعوني قائلين "لقد كنت رائعة في هذه المسرحية فقد أحببنا كل لحظة فيها". وقام الكثير من المشاهدين بتقديم الكتب لأقوم بالتوقيع والإمضاء عليها وأنا اشعر بالسعادة والمرح. ولم أشعر في هذا الوقت بعصبيتي ولا بوعي الشعور. نعم فقد كان مساء رائعاً، وما أزال اشعر بالفخر به، وبين الحين والأخر اتجه بذاكرتي إلى هذا المساء وانظر إليه وأقول لنفسني "كانت تلك الليلة.. إنها ليلتي!".

وكان هناك مناسبة أخرى أتذكرها بفخر شديد ولكنني يجب أن اعترف بمدي معاناتي بها وهي في الذكرى السنوية العاشرة لمسرحية "المصيدة". فقد كان هناك حفلاً لها- وكان علي أن أحضر الحفلة. ولم أعارض ذهابي إلى الحفلات المسرحية الصغيرة أو أي شيء من هذا القبيل، فقد كنت بين لأصدقائي وقتها وبالرغم من أنني كنت عصبية، إلا أنني استطعت الحضور. ولكنها كانت حفلة رائعة في سافوي. فقد كان بها كل شيء مخيف موجود في الحفلات: تكتلات من الناس والتلفاز والأنوار والتصوير الفوتوغرافي والصحفيين والأحاديث، ولم يكن هناك أي شخص في العالم غير كفى لتمثيل دور البطلة أكثر مني. وكنت في هذا الوقت غير راغبة في

تقديم أي حديث ولكنني كنت قادرة على الإصرار في التفوه بعض الكلمات البسيطة- وهو شيء لم افعله من قبل. لا يمكنني أن أقوم بعمل أحاديث فلم أقم بها من قبل ولن أقوم بها وإنه حقًا لشيء جيد جدًا أنني لا أقوم بإجراء أحاديث لأنني كنت دائمًا اشعر أنني سأكون سيئة فيها.

وقد كنت أعرف أن أي حديث سألقيه في هذه الليلة سيكون سيئًا. وحاولت أن أفكر في شيء ما لكي أقوله وبعد ذلك أقلعت عن ذلك، لأن التفكير فيه سيجعل الموقف أكثر سوءًا. فمن الأفضل كثيرًا أن لا أفكر في أي شيء على الإطلاق وعندما أتت اللحظة المخيفة، التي علي أن أقول شيء ما- على أية حالة لن يكون أكثر سوءًا من إلقائي لأي حديث.

وبدأت الحفلة بطريقة غير مبشرة. وسألني بيتر ساندروز أن اذهب إلى سافوي قبل بداية الجدول بحوالي نصف ساعة (كنت اشعر أن هناك شيء ما سيحدث) وقمت بعمل ما اخبرني به بيتر ووصلت بمفردي بشجاعة إلى سافوي. ولكنني عندما حاولت أن ادخل إلى الغرفة الخاصة التي حجزت للحفلة، استدرت إلى الخلف. "ليس هناك رسم الدخول يا مدام. هناك عشرين دقيقة أخرى قبل السماح لأي شخص للدخول" فقلت "أنا السيدة كريستي وقد تم إخباري أن ادخل" فأنا لا اعرف. ربما يكون هذا بسبب شعوري بالخوف والخجل الذي لا مفر منه.

إن هذا سخيًا للغاية لأن المناسبات الاجتماعية العادية لا تجعلني أشعر بالخجل. فلا استمتع بالحفلات الكبيرة ولكن يمكنني الذهاب إليها وما اشعر به لا يكون خجلًا. اعتقد أن هذا هو الشعور- فأنا لا اعرف إذا كان كل المؤلفين يشعرون به أم لا ولكنني اعتقد أن هذا يحدث كثيرًا لدرجة أنني أظاھر بشيء ما ليس هو حقيقي لأنني حتى في هذه الأيام لا اشعر كما لو كنت أنا المؤلفة. فما زلت اشعر أنني أظاھر بأنني مؤلفة. ربما أكون مثل حفيدي ماثيو عندما كان عمره سنتين وهو ينزل من السلالم ويطمئن نفسه بقوله "أنا ماثيو أنزل من على السلالم". ولذلك ذهبت

إلى سافوي وقلت لنفسي "أنا أجاثا تتظاهر بأن تكون مؤلفة ناجحة وهي ذاهبة إلى حفلتها الكبيرة وهي تبدوا كما لو كانت شخص ما آخر أو تقوم بعمل أي حديث لا تستطيع عمله أو تقوم بعمل شيء ما هي لا تتقنه من وجهة نظرها هي".

وعلى أية حال، فقد قبلت الرفض وتجولت بيأس حول الممرات في سافوي أحاول أو استعيد شجاعتي للعودة وأقول مثل الكاتبة مارجوت سكويث "إنها أنا" ولحسن الحظ أنقذتني فيرتي هادسون المديرية العامة لبيتر ساندروز. ولم تتمالك نفسها من الضحك وضحك أيضًا بيتر ساندروز كثيرًا. كنت عرضة للتقيل من الممثلات. وكنت اعرف أننا سنظهر في الأخبار في اليوم التالي وكانت الممثلة تبدوا جميلة وواثقة من نفسها في دورها، بينما كان يبدو علي الخوف والرهبة.

وقد استطعت أن أقدم حديث دون خوف من ووقوع كارثة. وكان فقط عبارة عن كلمات بسيطة وقليلة وكان الناس يشعرون بالتعاطف تجاهه: فقد اخبرني الجميع أن كل شيء على ما يرام. ولم أكن أصدقهم على قدر كبير ولكنني كنت اعتقد أنه شيء جيد إلى حد كبير. وكان الناس آسفين لعدم خبرتي الكافية في الحديث وقد أدركوا أنني أحاول أن ابذل قصارى جهدي وقد شعروا بكل الحب نحوي. أما ابنتي لم توافق على هذا. وقالت "إن عليك أن تواجهين المزيد من المشكلات يا أمي وان تعدين شيء ما".

وقال بيتر ساندروز "لقد قمتي بعمل تاريخ مسرحي هذه الليلة" والذي بذل قصارى جهده لتشجيعي. وأعتقد أن ما قاله صحيح إلى حد ما.



أقمنا منذ بضعة سنوات في سفارة فيينا، عندما كان السيد جيمس والسيدة بوكر هناك وأخذتني السيدة أليسا بوكر بجدية لأداء مهمة عندما أتى الصحفيين ليسجلوا معي حديث.

وقد صرخت بصوتها المميز "ولكن يا أجاثا أنا لا أفهمك! فإذا كنت أنا مكانك، لكنت سأشعر بالبهجة وسأكون فخورة بذلك. وسأقول: نعم! فلتأتي فلتأتي؛ واجلسي! فما قمت بعمله اعرفه جيدًا. فأنا أفضل كاتبة قصص بوليسية في العالم. نعم أنا فخورة بالحقيقة. نعم نعم بالطبع أنا سأخبرك. ولكنني مسرورة. حسنًا نعم، أنا ماهرة جدًا في الواقع. فيجب أن اشعر أنني ماهرة للغاية بأني لم استطع التوقف عن الحديث عنها طوال الوقت".

فضحكت وقلت "أتمني الأفضل، أن نتغير وتكوني أنتي مكاني يا أليسا في النصف ساعة القادمة. فأنت تقومين بالمقابلة الشخصية بطريقة رائعة واعتقد أنهم سيحبونك. ولكنني لست مؤهلة مطلقًا للقيام بالأشياء بشكل محكم إذا كنت سأقوم بها على الملأ".

وعلى العموم لدي شعورًا كافيًا بألا أقوم بعمل شيء أمام الجمهور إلا إذا كانت تلك الأشياء ضرورية أو ستتأذى مشاعر الناس إذا لم أقم بها. فعندما لا تقوم بعمل شيء ما بطريقة جيدة، فمن الحكمة ألا تقوم بعمله وألا تحاول ذلك. في الواقع لا أجد أي سبب عن محاولة المؤلفين بذلك- إنه ليس جزء من عملهم. هناك العديد من المهن حيث الشخصيات والعلاقات الاجتماعية تهم-مثلًا، إذا كنت ممثلًا أو شخصية عامة. أما مهمة المؤلف هي ببساطة الكتابة. إن المؤلفين هم مخلوقات غير واثقين بأنفسهم- ولذلك فهم في حاجة إلى المزيد من التشجيع والتحفيز.

والمسرحية الثالثة التي كان علي أن أقوم بها في لندن (في ذات الوقت) كانت هي "نسيج العنكبوت" والتي كتبها خصيصًا لمارجريت لوكوود. فقد طلب مني بيتر

ساندرز أن أقابلها وأتحدث عنها. وقالت أنها أحببت فكرة كتابتي لمسرحية لها، فسألتها بالتحديد أي نوع من المسرحيات تودين القيام به. فقالت في الحال أنها لا تريد أن تكون المسرحية ميلودرامية أو مثيرة وأنها قامت بعمل العديد من الأفلام مؤخرًا والتي قامت فيها بدور "امرأة شريرة". ولذلك ترغب في القيام بدور كوميدى. واعتقد أنها كانت على حق لأن لديها رغبة قوية للكوميديا، بالإضافة لقدرتها على أن تكون درامية. فقد كانت ممثلة جيدة وكان لها توقيت كامل شجعها على الاتجاه الصحيح وإعطاء الأشياء حقها في التعامل.

وقد استمتعت بنفسى أثناء كتابة دور **كلاريسا** في مسرحية "نسيج العنكبوت". كان هناك في البداية اعتراضًا قليلًا على العنوان وكنا مترددين بين عنوان "كلاريسا تجد الجسد" وبين "نسيج العنكبوت" ولكننا اخترنا "نسيج العنكبوت" واستمر عرضها حوالي عامين وكنت مسرورة بها. وعندما كانت مارجريت مع مفتش البوليس تقودهم إلى طريق الحديقة كانت رائعة وهي تغني.

وبعد ذلك كان علي أن اكتب مسرحية تسمى "الحادث" ومسرحية أخرى بالرغم من أنها لم تلقي نجاحًا مع الجمهور، إلا إنها كانت مرضية لي. وكانت تحمل عنوان "حكم المؤلفين" وهو عنوان سيء. وهناك مسرحية أخرى اعتقدت أنها الأفضل في كتابتها باستثناء مسرحية "إعلان عن جريمة" إلا أنها فشلت اعتقد لأنها ليست قصة بوليسية. فقد كانت مسرحية تعني بالجريمة وتعني بقضية كم مدى تضحيتك ليس بنفسك ولكن بهؤلاء الذين تحبهم وما تؤمن به.

ومن بين كتاباتي البوليسية، اعتقد أن الكتاين الذين هذا برضائي هما "البيت المائل" و"محنة البريء". فعندما أعدت قراءتهم في اليوم التالي، وجدت أن هناك قصة أخرى سعيدة بها وهي "الأصبع المتحرك". فهي اختبار رائع لإعادة قراءة ما كتبه الشخص منذ سبعة عشر عامًا. إن وجهات النظر الشخصية تتغير. فالبعض لا يتحمل اختبار الوقت والبعض الآخر يتحملة.

ذات مرة كان لي حديث صحفي مع إحدى الفتيات الهنديات (وسألتني العديد من الأسئلة السخيفة بالفعل) والتي كانت تضمن "هل كتبت من قبل ونشرت كتابًا تعتبرينه بالفعل سيء؟ فأجبتها بكل كرامة واعتزاز أنني لم افعل ذلك من قبل. وقلت لها بأن أي كتاب كتبت كان بالضبط ما أريده، وإذا اعتقدت أن هناك كتابًا سيئًا لا أنشره على الإطلاق.

ومع هذا، فقد أتيت بالقرب من هذا، اعتقد في رواية "جريمة في القطار الأزرق". ففي كل مرة أعيد قراءة العمل اعتقد أنه اعتيادي ومبتذل وملئ بالكلاشيات وبه حبكة درامية غير مثيرة. بينما أخبرني العديد من الناس أنهم أحبوه. فقد قيل عن المؤلفين أنهم ليسوا خبراء بكتبهم.

كم يكون محزنًا عندما لا أستطيع الكتابة مرة أخرى، بالرغم من أنني لا يجب أن أكون طماعا. وبعد كل هذا، فلكي أكون قادرة على الاستمرار في الكتابة وأنا في الخامسة والسبعين هو شيء محظوظ للغاية. فالمرء يجب أن يكون مسرورًا ويعد نفسه للاعتزال. وفي الواقع فقد كنت أفكر أنني سأستقيل هذا العام ولكني أغريت بحقيقة أن كتابي الأخير قد حقق نسبة عالية من المبيعات أكثر من أي من الكتب السابقة: وكانت تبدو لي لحظة حمقاء التي فكرت فيها في التوقف عن الكتابة. ربما الآن من الأفضل أن أضع النهاية في الثمانين من عمري.

لقد استمتعت بالازدهار الثاني الذي يأتي عندما تنتهي حياة العواطف والعلاقات الشخصية وفجأة تجد نفسك في عمر الخمسين وتقول أن هناك حياة جديدة قد فتحت أمامك مليئة بالأشياء. يمكنك أن تفكر فيها أو أن تدرسها أو أن تقرأ عنها. تجد أنك تحب الذهاب إلى عروض الصور أو إلى الحفلات الموسيقية أو إلى الأوبرا بنفس الحماس الذي كنت تذهب فيه وأنت في العشرين أو الخامسة والعشرين. وتعتقد أنه في فترة من الفترات فإن حياتك الشخصية قد امتصت كل طاقاتك لكن الآن أنت حر مرة أخرى في أن تنظر حولك. فيمكنك الاستمتاع بوقت

فراغك ويمكنك الاستمتاع بالأشياء. فأنت ما تزال صغير بدرجة كافية لزيارة الأماكن الأجنبية. إنها مجموعة من الأفكار والمعتقدات التي تثار داخلك. ومعها بالطبع تتجه غرامة زيادة العمر- وتكتشف أن جسدك يؤمك في أي مكان تذهب إليه: إما أن تصاب بالروماتيزم في الشتاء أو أن تشعر بألم شديد في عنقك أو أن يكون لديك مشكلة في ركبتك مما لا يمكنك الوقوف كثيرًا أو السير عبر التلال- جميع هذه الأشياء تحدث لك ويجب عليك تحملها. ولكن شعور المرء بالامتنان نحو هبة الحياة اعتقد أنه أقوى وأكثر حيوية خلال هذه السنوات من ذي قبل. إنه تحمل بعض من أوجه الحقيقة وتركيز الأحلام وأنا ما زلت استمتع بالأحلام بشدة.

٤

بحلول عام ١٩٤٨ انتشر علم الآثار بشدة حيث كان الجميع يتحدث عن العروض الممكنة ويضع الخطط لزيارة الشرق الأوسط. وكانت الظروف مفضلة مرة أخرى للتنقيب في العراق.

وقد وفرت سوريا عروض التنقيب قبل الحرب، ولكن السلطات العراقية وقسم الآثار كان عرضهم مغري. وبالرغم من أن أي شيء فريد من نوعه يوضع في متحف بغداد، بيد أن أي أثر مزدوج كما كانوا يسمونه يقسم ويحصل المكتشف على نصيب جيد منه. ولذلك بعد الحرب وبعد أن ذهب الناس لاماكن هنا وهناك بدءوا في استئناف عملهم في هذا البلد. وتم تعيين مسئولاً عن علم الآثار بعد الحرب وأصبح ماكس أستاذًا في معهد الآثار في جامعة لندن. وكان لديه الكثير من الوقت لشهور عديدة كل عام للعمل في هذا المجال.

وبدأنا مرة أخرى بسعادة كبيرة بعد انقضاء حوالي عشرة أعوام من بدء عملنا في الشرق الأوسط. ولم يكن هناك قطارًا سريعًا في هذا الوقت، وأسفاه! فلم يعد الوسيلة الأقل تكلفة- وفي الواقع لا يمكننا أن نصل في رحلة جيدة بالقطار السريع في هذه الآونة. وفي هذه المرة كسرنا حاجز الروتين الممل وسافرنا بالطائرة. ولكن لا يمكن للمرء تجاهل الوقت الذي يوفر عن طريق السفر بالطائرة. فلم يعد هناك المزيد من الرحلات في الصحراء من خلال خط نيرن، فأنت تطير من لندن إلى بغداد وهذا هو كل شيء. ففي الأعوام الماضية كان المرء يقضي ليلة هنا أو ليلة هناك على الطريق، ولكن قد بدأ السفر بدون متعة وبنفقة زائدة دون أن تشعر بالسعادة.

وعلى أي حال، وصلنا بغداد أنا وماكس مع روبرت هاملتون والذي قام بأعمال الاستكشاف مع كامبل تومبسن وأصبح فيما بعد أمينًا في المتحف في أورشليم. وفي الوقت المناسب، ذهبنا معًا لزيارة المواقع الموجودة في شمال العراق،

بين نهر الزاب الصغير والعظيم، حتى وصلنا إلى مدينة *أربيل*. واتجهنا من هناك نحو الموصل وفي الطريق قمنا بزيارتنا الثانية إلى نمرود.

وكانت نمرود جزء جميل من البلد بقدر ما أتذكر في زيارتنا منذ زمن بعيد. وفحص ماكس هذا الجزء بحماس هذه المرة. ولكنه بالرغم من أنه لم يقل أي شيء، فإن هناك شيء ما ربما يكون قد حدث. وتزهدنا مرة أخرى، وزرنا العديد من المتاريس ثم وصلنا إلى الموصل.

وكانت نتيجة هذه الجولة أن ماكس في النهاية أتى وقال أن كل ما يرغب في القيام به هو أن ينقب في نمرود. وقال "إنه موقع كبير وتاريخي- موقعًا يجب أن يتم التنقيب فيه. فلم يلمسه أي شخص لما يقرب من مائة عام. ولا حتى العالم *لايارد*. فقد لمس لا يارد أهدابه فقط. وقد وجد بعض القطع الصغيرة الجميلة من العاج- لذلك فإن هناك تكومات منه. فهو واحدًا من المواقع الثلاثة الهامة في آشور. وكانت آشور هي العاصمة الدينية و*نينوى* هي العاصمة السياسية، وكانت نمرود أو كما كان يطلق عليها في ذلك الحين كالحو هي العاصمة العسكرية. فيجب أن تستكشف. فإنها تعني العديد من الناس، والمزيد من المال، وسوف تستغرق سنوات عديدة. فهي بالنسبة لنا فرصة العمر إذا كنا محظوظين. ولكونها واحدة من المواقع العظيمة وواحدة من الأماكن التاريخية التي يتم استكشافها، فسوف تضيف شيء إلى المعرفة الإنسانية".

وقد سألته إذا كان يستمتع بالأواني الفخارية الموجودة فيما قبل التاريخ. فقال نعم: ولذلك تمت الإجابة على العديد من الأسئلة الآن التي كان معني بها في نمرود كموقع تاريخي للاستكشاف.

"إنها ستوضع في نفس مرتبة مقبرة توت عنخ آمون، وأور"، وقال يمكن أن تطلي المال.

وكان المال على وشك المجيء ولسنا في حاجة إلى الكثير من المال كي نبدأ ولكن كما تسير الأمور معنا فمن الواضح أن حاجتنا للمال قد زادت بزيادة الوقت. وكان

متحف المتروبوليتان في نيويورك واحدًا من اكبر المساهمين: وكان هناك المزيد من المال من مدرسة علم الآثار الميداني جروتريد بيل في العراق. والعديد من المساهمين الآخرين: متاحف الاشموليان، وفيترزويليام، وبرمنغهام. ومن ثم بدأنا عملنا في العشرة أعوام التالية.

وهذا العام وهذا الشهر بالذات، سينشر كتاب زوجي "نمرود وبقاياها" والذي استغرق عشرة أعوام في كتابته. فقد كان دائمًا لديه مخاوف من أنه ربما لا يعيش حتى يكمل كتابه. فالحياة غير مطمئنه، والأمور تشبه ضغط الدم الذي يرتفع تارة وينخفض تارة، وباقي جميع الأمراض والمحن تبدوا في انتظار شخص ما وبالتحديد للرجال. ولكنها الحياة: فأنا فخورة بزوجي وسعيدة من أجله. ويبدوا لي نوع من المعجزات الإلهية أننا نجحنا في عملنا الذي نرغب في القيام به.

ولا يمكن لشيء أن يكون فاصلًا أكثر من العمل. فأنا لم أكن طموحة، بينما ماكس كان طموح للغاية، ومع ذلك فنحن نكمل بعضنا البعض واعتقد أننا نساعد بعضنا البعض. وغالبًا ما يسألني على حكلي على بعض النقاط المحددة، وبينما أبقى دائمًا ناضجة واعرف الكثير عن تخصصه في الآثار – بينما في الواقع منذ عدة سنوات، عندما كنت أقول لماكس بحزن إنني متحسرة أنني لم أعي أي شيء في علم الآثار عندما كنت فتاة صغيرة، حتى أكون أكثر قدرة على الإمام بالأمور فقال لي "ألا تدركين أنه حتى تلك اللحظة لا تعرفين عن الأواني الفخارية الموجودة ما قبل التاريخ أكثر من أية امرأة أخرى في انجلترا".

في تلك اللحظة ربما أعلم أكثر، بالرغم من أن الأمور لا تستمر كذلك. فلن يكون لي موقفًا محترفًا أو أتذكر التواريخ الدقيقة للملوك الأشوريين، لكنني اهتم بالمجالات الخصبة لعلم الآثار وما يكشفه لنا. فأحب أن اكتشف كلبًا صغيرًا مدفون تحت عتبة ما محفورًا عليه هذه الكلمات "لا تتوقف عن التفكير، فلتلدغه!". مثل هذا الشعار لكلب حراسة مثلًا يمكنك أن تراه مكتوبًا على الطهي،

وعندما يراه شخص ما يضحك. وهناك مثلاً في ظروف أخرى والتي في ظلها ترغب في تبني ولد صغير. ويمكنك أن ترى الملك شلمناصر يبني حديقته ويرسل الحيوانات الأجنبية من حملته ويحاول أن يزرع أشجاراً جديدة ونباتات. ودائماً شره، فقد كنت مندهشة عندما اكتشفنا وصفاً من مأكولات الملك والذي رتب فيه جميع الأشياء التي يجب أن يتناولوها. والشيء الغريب الذي أدهشني في القائمة التي رتب فيها الطعام الذي سيتناولونه هو أنه بعد ترتيب مائة خروف وستمائة بقرة وكميات هائلة من هذا النوع في النهاية يضعون عشرين رغيفاً من الخبز فقط، لماذا يضعون هذه الكمية القليلة من الخبز؟ في الواقع ما لزوم الخبز أصلاً؟.

فلم يكن لدي أبداً معرفة علمية جيدة بالتنقيب لكي أتمتع بالمستويات والخطط وجميع الأشياء التي تناقشها المدرسة الحديثة. فأنا مهتمة بالفن الذي يبعد عن هذا العلم. ولكن بالنسبة لي لا يوجد أي عمل أكثر روعة وجاذبية من العمل الذي يقوم به الإنسان بيديه: الأدوات الموسيقية من العاج التي يستخدمها الموسيقيين والأشياء المنحوتة مثلاً منها الولد الذي له أجنحة ورأس امرأة جميلة مثلاً أو امرأة أخرى قبيحة ولكنها مليئة بالطاقة والشخصية.

وعشنا لفترة من الزمن في منزل الشيخ في قرية والذي يقع بالقرب من نهر دجلة. كان بالمنزل غرفة في الطابق السفلي لتناول الطعام وكان المطبخ بجوار هذه الغرفة وكان هناك غرفتين في الطابق العلوي- واحدة لماكس ولي، والثانية غرفة صغيرة فوق المطبخ لروبرت. وكان علي أن أقوم ببعض التنظيم في غرفة تناول الطعام في المساء، ولذلك فإن كلا من ماكس وروبرت يتجهون إلى الغرفة الموجودة في الطابق العلوي. وفي كل مرة يسيرون ويتجولان فيها يجدون هناك قطع من الطهي تقع وتتساقط من السقف. وقبل أن نبدأ الدفعة التالية، كنت اصعد لأعلى وأقول بغضب شديد "تذكرا أنني انظم بعض الأمور وأصلح بعض الأشياء أسفلكما، ففي كل مرة تتحركان فيها هناك بعض الأشياء تتساقط. ألا يمكنكما الحديث فقط دون التحرك؟".

وقد اعتادوا أن يثاروا في النهاية ويندفعون إلى حقيبة سفر لكي يلتقطون منها كتاب ما للاستشارة ويسقطون عليها الطمي الجاف مرة أخرى.

وكان في الفناء عشًا تعيش به بعض من طيور اللقالق التي اعتادت أن تصنع صوتًا صاخبًا وضوضاء عالية بأجنحتها التي كانت تشبه صوت العظام التي ترتطم ببعضها. وهذه الطيور يتم الاهتمام بها في الشرق الأوسط ويتعامل معها الجميع بكل احترام وحب.

وعندما غادرنا في نهاية الموسم الأول، نظمنا كل شيء لبناء منزل من الطوب في متراس ما. وكان الطوب مصنوعًا وجافًا وتم ترتيب السقف للبناء من هذا الطوب.

وعندما أتينا في العام التالي كنا فخورين جدًا بمنزلنا. وكان هناك مطبخ وبجواره غرفة لتناول الطعام وغرفة أخرى للجلوس وكان بجوارهما مكتب للرسم وغرفة أخرى للتحف القديمة. وكنا ننام في خيم. وبعد مرور عام أو عامان انتقلنا إلى المنزل: وكان به مكتب صغير به مقعد ونافذة أمامية والتي من خلالها يمكننا النظر إلى الخارج. وكان بالقرب منه مكتب الرسم وغرفة للعمل بها العديد من الأشياء التي يتم إصلاحها. وبين الحين والآخر كانت تهب عاصفة ترابية فظيعة ورياحًا والتي لا أعلم من أين تأتي. وكنا نسرع في الحال إلى الخيام التي كنا ننام فيها من قبل. في النهاية انهارت هذه الخيام بتغير مفاجئ وقاموا بدفن شخص ما تحت طياتها.

وفي النهاية، بعد مرور عام أو عامين سمح لي بإضافة غرفة أخرى إلى المنزل. والتي دفعت تكاليفها. ولذلك دفعت ٥٠ دولار لبنائها وكانت غرفة مربعة صغيرة من الطوب والتي أقوم فيها بكتابة هذا الكتاب. وبها نافذة ومنضدة وكروسي وبواقى كراسي أخرى وكان من الصعب الجلوس عليها ولكنها كانت ما تزال مريحة إلى حد ما. وقمت بتعليق صورتين على الجدار رسمهما اثنان من الفنانين العراقيين. وكانت

إحدى هاتين الصورتين تمثل بقرة حزينة تقف بجوار شجرة؛ والثانية تمثل رسمًا مختلف الألوان لكل لون يمكنك تخيله والذي كان يبدو في البداية على أنه خليطًا من الألوان ولكن فجأة كان يظهر في شكل حمارين وهناك رجلان يقودهما في الطريق وهي صورة كنت دائمًا أفكر فيها. وقد تركتها في النهاية لأنها كانت ملفتة للجميع وتم تحريكها ونقلها إلى غرفة الجلوس الرئيسية. ولكنني أفكر في أن أتي في يوم من الأيام في استعادتها مرة أخرى.

وعلى الباب قام دونالد ويسمان أحد علماء النقوش الأثرية بتثبيت الإعلان وفيه الكتابة المسمارية القديمة والذي يعلن فيه أن هذا هو "بيت أجاثا". وفي بيت أجاثا كنت أذهب في كل يوم للقيام بعمل. وكنت اقضي الغالبية العظمى من اليوم في التصوير الفوتوغرافي أو في تصليح الأشياء المصنوعة من العاج وتنظيفها.

وكان لدينا مجموعة رائعة من الطباخين. كان أحدهم مجنون، وهو هندي برتغالي. وكان يطبخ بمهارة ولكنه أصبح أكثر بطئًا مع مرور الوقت. وفي النهاية أتى الأولاد في المطبخ وقالوا أنهم قلقين بشأن جوزيف- فقد أصبح غريب الأطوار. وفي إحدى الأيام كان مفقودًا وقمنا بالبحث وإبلاغ الشرطة عنه ولكن في النهاية أحضره أهالي الشيخ إلينا مرة أخرى. وقد أوضح لنا أن لديه أمرًا من الرب وأن عليه أن ينفذ أوامره ولكن تم إخباره الآن أن يعود ويؤكد إرادة الرب. وكان يبدو أن هناك بعض الالتباس في عقله بين الإله وماكس. فقد تجول حول المنزل ثم ركع على ركبتيه أمام ماكس وقبل سرواله من أسفل وكان محيرًا كثيرًا بالنسبة لماكس. فقال ماكس له:

"قم يا جوزيف/ ماذا بك"

"يجب أن افعل ما تأمرني به يا إلهي، أخبرني إلى أين أذهب، وسوف أذهب إلى ما تأمرني به، أرسلني إلى البصرة، سأذهب إلى البصرة. أخبرني أن أزور بغداد وسوف أزور بغداد أو أن اذهب إلى الجليد في القطب الشمالي سأذهب إلى القطب الشمالي".

قال له ماكس متقبلاً دور الإله "إنني آمرك أن تتجه إلى المطبخ حالاً لكي تطبخ لنا الطعام عندما نحتاج إليه".

فقال جوزيف "سأذهب يا إلهي، ثم قبل سروال ماكس مرة أخرى من أسفل وتركه إلى المطبخ. وفي النهاية كان علينا أن نرسله إلى بغداد، وقد سقط المال من جيبه وأرسلنا الأموال إلى أقاربه.

وكان الخادم الثاني في منزلنا هو دانيال وقال أن لديه معرفة قليلة عن الطبخ وأنه سيعمل لدينا لثلاثة أسابيع أخيرة في الموسم. وكان يطعمنا بشكل كلي على ما كان يطلق عليه اسم "الببيض الاسكتلندي". وقد أخزى دانيال نفسه قبل الرحيل. وكانت له مشاجرة مع سائقنا الذي أخبرنا أنه اخذ معه في أشياءه أربعة وعشرين علبة من السردين والعديد من الأطعمة الشهية الأخرى. وقد تم إخبار دانيال أنه مرفوض كإنسان مسيحي وكخادم وأنه أنزل من منزلة المسيحي في أعين العرب، وأنه لن يبق معنا. فقد كان أسوأ خادم رأيناه على الإطلاق.

وبالنسبة ل **هاري ساكس**، أحد علماء النقوش الأثرية، ذهب له دانيال وقال له ذات مرة "أنت الرجل الوحيد الجيد في هذا الاستكشاف، وأنت قرأت كتابك المقدس- لقد رأيتك وأنت تقرأه، ولأنك رجل طيب، فسوف تعطيني أفضل سروال لديك"

فقال له هاري ساكس "في الواقع لن افعل شيء من هذا القبيل"

فقال له "ستكون مسيحيًا، إذا قمت بإعطائي سروالك المفضل"

فقال له هاري ساكس "ولا أفضل ولا أسوأ سروال فأنا احتاج الاثنان" فحاول دانيال أن يأخذ أي شيء في مكان آخر وقد كان كسولاً للغاية، ودائمًا ينظف الحذاء بعد الظلام حتى لا يراه أحد أنه ينظف الحذاء على الإطلاق، لأنه كان لا يرغب في أن يراه الجميع إلا وهو جالسًا يدخن.

وكان أفضل خادم لدينا هو مايكل والذي كان في خدمتنا مع القنصلية البريطانية في الموصل. وكان له وجهًا كثيبًا وأعين ضخمة. وكان دائم الشجار مع زوجته. وفي إحدى المرات حاولت قتله بسكين. وفي النهاية أقنعه الطبيب أن يأخذها إلى بغداد.

قال مايكل "فقد كتب لي في إحدى الأيام وقال أنها مسألة مال فقط. فإذا أعطيته ٢٠٠ دولار فإنه سيحاول أن يعالجها".

وقد حثه ماكس على أن يأخذها للمستشفى الذي دفع فيه الفاتورة وألا تكون ضحية للدجالين.

فقال مايكل "لا إنه رجل كبير، ويعيش في شارع كبير في منزل وأسع. لذلك هو الأفضل"

وكانت الحياة في نمرود في السنوات الثلاثة أو الأربعة الأولى بسيطة. كان الطقس أحياناً سيئ مما كان غير مشجع لي في استقبال العديد من الزائرين. وكانت بعض الطرق سيئة ولكن في إحدى المرات تعرضنا لبعض الحيل في الطريق الرئيسي والطريق الفعلي إلى الموصل.

وكان هذا سيئ للغاية. ففي السنوات الثلاثة الأخيرة كان بإمكاننا تعيين شخص للقيام بلا شيء سوى أن يوضح لنا الناس المتجولين. يتصرفون بالمجاملات ويقدمون مشروبات الشاي أو القهوة. وأتت في ذلك الوقت حافلات من أطفال المدارس. وكان هذا واحداً من المشكلات الكبرى لأنه كان هناك الكثير من أعمال الاستكشافات في كل مكان وكانت قمم هذه الأعمال غير آمنة إلا إذا كنت تعرف بالضبط أين تسير. وقد طلبنا من معلمي المدرسة أن يبقوا التلاميذ بعيداً عن أعمال الاستكشاف الفعلية ولكنهم بالطبع أتبعوا الموقف الاعتيادي بقولهم "إن شاء الله كل شيء سيكون جيد" وكان هناك الكثير من الأطفال الصغار والرضع الذين أحضروهم آبائهم.

وقال روبرت هاملتون في نبرة صوت غير راضية "هذا المكان هو لا شيء سوى أنه دار حضانة" وهو ينظر حول المكان ثم تنهد وقال "سأذهب إلى الخارج وأقيس هذه الأوراق".

وقمنا جميعاً بالصراخ في وجه روبرت كنوع من الاحتجاج "والآن يا روبرت أنت لديك خمسة أبناء، فأنت الشخص الوحيد الذي يجب أن يكون مسئولاً عن دار الحضانة فلا يمكنك أن تترك هؤلاء العزّاب أن يعتنوا بالأطفال الرضع!".

وكان روبرت ينظر إلينا بكل برود ثم رحل.

وكانت هذه أياماً جميلة. فكانت كل سنة لها بهدجتها ومرحها بالرغم من أن الحياة في كل عام تصبح أكثر تعقيداً وأكثر تطوراً وأكثر مدنية.

أما بالنسبة للمتّراس، فقد جماله الأولى نتيجة النفايات. وكان هناك تجمعات من النحل والطيور الجميلة الصغيرة ذات الأجنحة الذهبية اللون وخضراء وبرتقالية تتطاير على المتّراس- وتأتي كل ربيع والطيور الأكبر منها الزرقاء والبرتقالية اللون والتي كان لها طريقة غريبة للطيّان فجأة في السماء. وفي الأسطورة تعاقبها عشتار بلدغها في الجناح لأنها أهانتها إلى حد ما.

والآن تنام نمرود

وهنا كانت المدينة العظيمة كالخو. ثم نامت كالخو....

هنا أتى العالم لا يارد لإزعاج هدوئها، ومرة أخرى فإن كالخو- نمرود تغض في النوم.....

وهنا أتى ماكس مالوان وزوجته، والآن مرة أخرى تنام كالخو.....

من سوف يقلقها في المرة القادمة؟

لا نعلم.

لم اذكر حتى الآن منزلنا في بغداد. فقد كان لدينا منزلًا تركيًّا في الضفة الغربية من نهر دجلة. وكان يعتقد أنه مبني على طراز غريب وكنا مغرمين به للغاية، ولم نكن نرغب في أحد المنازل الحديثة ولكن كان منزلنا التركي يتسم بالهدوء والجمال وكان به فناء واسع وأشجار النخيل الجميلة. وكان خلفنا حدائق النخيل ومنزل صغير آخر مربع. وكان الأطفال يلعبون هناك بسعادة. وكان النساء يسيرن هنا وهناك ويدخلون ويخرجون عبر النهر لغسل أوانيهن وطاساتهن. وكان الغني والفقير يعيشان جنبًا إلى جنب مع بعضهم البعض في بغداد.

فكم أصبحت جميلة ورائعة منذ أن رأيته للمرة الأولى. إن الغالبية العظمى من مهندسي المعمار الحديثين مشاكسين ومن وجهة نظري غير ملائمين. والذين قاموا بنسخ شكل المباني من المجلات الحديثة- المجلات الألمانية والفرنسية والاطالية. فلم تعد تتجه إلى أسفل في سرداب بارد في حرارة اليوم الشديدة، والنوافذ ليست صغيرة في قمة الجدران والتي تحافظ على الجو معتدلًا أثناء حرارة الشمس. وبشكل عام، فإن أعمال السمكرة أو أنابيب المياه أفضل الآن- ونادرًا ما تكون حالتها سيئة. إن أعمال السمكرة الحديثة تبدو جيدة وبها أحواض ومراحيض ملائمة ولكن تصريف مياه المجاري يكون صعبًا إلى حد ما. فهي تصرف نفسها بالطريقة القديمة وتبدوا دائمًا كمية المياه غير ملائمة. إن هناك شيء ما مربكًا فيما يتعلق بالحمامات الحديثة الجميلة وما يتعلق بها من تصريف المياه ومحتوى المياه الإضافي.

ويجب أن أنوه أن أول زيارة لنا إلى تل الأبرجية الأثري كانت بعد حوالي خمسة عشر عامًا. وتعرفنا على المكان بسرعة في القرية. ووجدنا صرخات وتحيات والعديد من مظاهر الترحاب من الناس هناك. وقال لي أحد الرجال ذات مرة "أتذكركيني فقد كنت لاعب كرة سلة عندما غادرت المكان، والآن ابلغ من العمر أربعة وعشرين سنة، ولدي زوجة وابن كبير-سأريه لك".

وكان الجميع مذهولين أن ماكس لم يستطع أن يتذكر كل وجه وكل اسم مر به من قبل. وقد استعادوا السباقات الشهيرة التي مرت. وكنا نتقابل مع أصدقائنا منذ حوالي خمسة عشر عامًا.

وفي إحدى الأيام أثناء ما كنت أقود السيارة للموصل في العربة اللوري، كان رجل الشرطة يوجه المرور وقد أوقفني فجأة وأشار إلى رجل المرور بعصاه قائلاً "ماما، ماما"، وتقدم ليسبق العربة التي أقودها وامسكني بيده ليسلم علي.

وقال لي "يا لها من فرحة لكي أراك ثانية يا أمي، أنا علي- أنا علي، الذي كنت لعب معكم هل تتذكريني؟ الآن أصبحت ضابط شرطة".

وهكذا، في كل مرة أقود فيها السيارة إلى الموصل أقابل علي، وفي اللحظة التي يرانا فيها يتوقف كل المرور في الشارع ويتعطل. وتبادلنا السلامات ثم سارت عربة اللوري التي نقودها وتقدمت. فكم من الجميل والرائع أن تقابل هؤلاء الأصدقاء مرة أخرى. وهم أناس يتسمون بدفء القلب والمودة والبساطة والمرح والقدرة على الضحك والفكاهة مع مواجهة كل الصعاب. في الواقع، إن العرب شخصيات عظيمة في الضحك والفكاهة وفي كرم الضيافة. فعندما يحدث أن تمر بقرية ما حيث يعيش واحدًا من عمالك هناك، فإنه يصمم على أن تدخل إلى منزله لتتناول بعض المشروبات. ويكون الغالبية العظمى من هؤلاء شخصيات رائعة وأصدقاء طبيين.

فكم أحببت هذه المنطقة من العالم.

وما أزال أحبها وسأظل أحبها إلى الأبد.



الخاتمة

اجتاحني رغبة في كتابة سيرتي الذاتية فجأة في "منزلي" المسمى "بيت أجانا" في نمروء.

ولقد راجعت ما كتبته من قبل وأنا راضية عن كل ما كتبته. لقد فعلت ما أردت فعله. كنت في رحلة. لم تكن تلك الرحلة عودة إلى الماضي أكثر منها رحلة للمستقبل- حيث كنت أبدأ من جديد.. بداية جديدة، ثم أعود إلى ما كنت عليه قبل الشروع في هذه الرحلة للمستقبل- ولم أكن مقيدة لا بالزمان ولا بالمكان. وكان بوسعي أن أطيل المكوث في أي مكان احتجت إلى إطالة المكوث فيه، كما كان متاحاً لي أن أتنقل بين الماضي والمستقبل بالطريقة التي أتمناها وأريدها.

ولقد تذكرت، أظن ذلك،- كل ما أردت تذكره. تذكرت الكثير من الأمور والأشياء السخيفة التي ليس لها سبب منطقي. لكن هذه هي الطريقة التي جبلنا عليها نحن المخلوقات البشرية.

والآن بعد أن وصلت إلى سن الخامسة والسبعين، يبدو أن الوقت قد حان للتوقف. لأنه إذا تعلق الأمر بحياة الإنسان، فإن هذا هو كل ما يمكن قوله.

فأنا الآن أعيش في الوقت الضائع، منتظرة في غرفة ما نهايتي التي ستأتي لا محالة. ومن ثم أنتقل للمرحلة التالية، أيا كانت. ولحسن الحظ فإن المرء لا يحتاج إلى بذل أي عناء في ذلك.

أنا على أتم استعداد الآن لتقبل الموت. لقد كنت من القلائل المحظوظين في هذه الدنيا. فمعي زوجي وابنتي وحفيدي، وزوج ابنتي العطوف-وهؤلاء هم الذين ملئوا علي حياتي في هذا العالم. وحتى الآن لم أصل بعد إلى المرحلة التي أكون فيها مصدر إزعاج وعبء عليهم جميعاً

لقد كنت مغرمة دائماً بشعب الاسكيمو. ففي يوم من الأيام الصافية يتم إعداد وجبة لذيذة للأُم المسنة الغالية، وبعد ذلك تمضي بعيداً مشياً على الجليد ولا تعود.....

على المرء أن يكون فخوراً بنفسه وهو يغادر الحياة على هذا النحو-بكرامة وعزيمة وإصرار.

من السهل علي بطبيعة الحال، كتابة هذه الكلمات العظيمة. لكن ما سيحدث في حقيقة الأمر هو أنني سأظل على قيد الحياة، على الأرجح حتى أبلغ ثلاثة وتسعون عاماً، حتى أجعل من يحيطون بي يتذمرون من عدم قدرتي على سماع ما يقولونه لي، وأظل أشكو بمرارة من أجهزة السمع الحديثة، وأطرح أسئلة لا حصر لها، ثم أنسى فوراً أنهم أجابوا عليها وأطلب إجابات على نفس الأسئلة مرة أخرى. وأدخل في معركة مع إحدى الممرضات وأتهمها بتسميمي، أو أهرب من أحد دور رعاية المسنات، مما يسبب الكثير من المشاكل والمعاناة التي لا نهاية لها لعائلي. وعندما أستسلم لقدرتي في النهاية بسبب التهاب الشعب الهوائية، تتردد من حولي الهمسات التي تقول "ليس بوسع المرء إلا أن ينظر إلى هذا الأمر على أنه حقاً هو الإغاثة الرحيمة....."، وسوف يكون هذا الأمر فعلاً هو الإغاثة الرحيمة (لهم) وأفضل ما يمكن أن يحدث.

وحتى ذلك الحين، علي أن أمتع نفسي بالملذات لكي أشعر بالطمأنينة والارتياح وأنا ما زلت على قيد الحياة أنتظر الموت. ولكن مع كل عام يمر، لابد أن يتم شطب بند من لائحة الملذات.

فالسير لمسافات طويلة، لا أستطيعه للأسف الشديد، والاستحمام في البحر لا أقدر عليه، ولا أستطيع تناول شرائح اللحم ولا شرائح التفاح ولا العليق الغض (بسبب مشاكل الأسنان) ولا يمكنني قراءة الحروف المطبوعة الصغيرة. ولكن هناك قدراً كبيراً من الملذات ما زال متاحاً لي مثل الذهاب إلى الأوبرا والحفلات الموسيقية

والقراءة والمتعة الكبيرة في الاستلقاء على السرير والخلود إلى النوم والاستمتاع بالرؤى والأحلام من كل نوع، وفي كثير من الأحيان قد يأتي بعض الشباب لرؤيتي ويكونون لطيفين وودودين معي بصورة لم أكن أتخيلها. لكن أفضل شيء تقريبًا بالنسبة لي، هو أن استمتع بالجلوس تحت أشعة الشمس- حين يغلبني النعاس رويدًا رويدًا... وهناك أتذكر أين كنت مرة أخرى- "إنني أتذكر، إنني أتذكر البيت الذي ولدت فيه.....

وأعود بذهني إلى ذلك المكان دائمًا... آشفيلد.

آه يا بيتي العزيز، يا عشي، ويا موطني.

يا مسكني في الأيام الماضية... آه يا بيتي العزيز...!

كم يعني ذلك المكان بالنسبة لي. فعندما أحلم، لا أحلم بذكريات في جرينواي أو ونتربروك. إنما أحلم بذكريات في آشفيلد، نفس الأماكن القديمة المألوفة لي حيث ترعرعت، على الرغم من أن الناس في الحلم هم من نراهم اليوم. وأتعجب كيف أستطيع تذكر كل تلك التفاصيل: الستارة الحمراء البالية التي كنت أمر بها وأنا في طريقي إلى المطبخ، وحواجز النافذة المصنوع من النحاس بلونه الأصفر مثل زهرة نبات دوار الشمس في القاعة، والسجادة التركية المفروشة على السلم، وجدران الفصل الكبير المغطاة بورق الحائط المنقوش باللونين الأزرق الداكن والذهبي.

ذهبت هناك- لكن ليس لرؤية آشفيلد، ولكن لرؤية المكان الذي كانت فيه آشفيلد. كنت أعرف أنني ذاهبة إليها لا محالة. كان لزامًا علي أن أذهب حتى لو سبب لي ذلك الكثير من الألم.

قبل ثلاث سنوات كتب لي شخص رسالة، يسألني فيها عما إذا كنت أعرف أن المنزل قد تقرر هدمه، وأنه خطط لبناء عدد من العقارات الجديدة مكانه. وكان

الناس يتساءلون عما إذا كنت أستطيع القيام بأي شيء لإنقاذ هذا المنزل الجميل عندما سمعوا أنني عشت فيه من قبل.

ذهبت لرؤية المحامي الخاص بي. وسألته عما إذا كان من الممكن أن أشتري المنزل ونقدمه إلى دار للمسنين هدية منى.. لعل وعسى. لكن ذلك لم يكن ممكنًا. فقد تم بيع أربعة أو خمسة فيلات وحدائق كبيرة جميعًا كوحدة واحدة- لكي تهدم، ويتم بناء "العقارات" الجديدة مكانها. لذا فلم تكن هناك أي فرصة لإنقاذ منزلي العزيز علي في آشفيلد.

ومرت سنة ونصف قبل أن أحسم أمري وأتخذ القرار بالذهاب إلى هناك من طريق بارتون...

ولم يكن هناك أي شيء يمكن أن ينشط الذاكرة. كانت أكثر المنازل صغيرة وسيئة التصميم ولم يسبق لي أن رأيت مثل هذا المنظر الرديء من قبل. فلم تبقى أي شجرة من الأشجار التي كنت أعرفها. اختفت أشجار الرماد من الغابة، كما اختفى ما تبقى من شجرة الزان الكبيرة، وشجرة ولنجتونيا، وأشجار الصنوبر والدردار التي كانت متراصة بجوار حديقة المطبخ، وشجرة البلوط الأخضر الداكن- ولم استطع أن أحدد مكان المنزل حتى في خيالي. لكن ما لبثت أن رأيت الدليل الوحيد الذي يدلني على مكان المنزل ألا وهو بقايا شجرة ذيل القرد التي استمرت في تحديها لعوامل التغيير وظلت تكافح لتظل باقية في الفناء الخلفي المزدحم بالقمامة. ولم يبق أي أثر للحديقة. كانت الأرض كلها مغطاة بالإسفلت. بل لم يكن هناك أي فرع من العشب الأخضر. قلت لها "إنك لشجاعة أيتها الشجرة " قلت ذلك، وعدت من حيث أتيت.

ولكن اهتمامي بالأمر بدأ يقل بعد أن كنت قد رأيت ما حدث. وأدركت أن آشفيلد التي كانت موجودة بالفعل من قبل قد ولى زمانها. وبما أن كل ما كان قائمًا

في الكون لا يزال موجودًا، فإن آشفيلد لا تزال هي آشفيلد. ولم يعد التفكير في الأمر يسبب لي الكثير من الحزن والألم.

فقد نرى طفلة وهي تمص لعبة من البلاستيك وتصدر ضجيجًا وهي تخط بعنف على غطاء سلة القمامة، ثم نراها وهي تحرق في وجه طفلة أخرى، شعرها أجعد أصفر محمر باهت اللون ذات وجه ملائكي. والطفلة ذات الوجه الملائكي واقفة داخل حلقة من العشب الأخضر الخيالي بجوار شجرة ذيل القرد وتمسك بيدها طوقًا. وتحرق في السفينة البلاستيكية التي تمصها الطفلة الأولى، والطفلة الأولى تحرق في الطوق الذي تمسكه الطفلة ذات الوجه الملائكي. وهي لا تعرف ما هو الطوق. ولا تدري أنها قد رأت شبحًا...

وداعًا يا آشفيلد.

وهناك أشياء أخرى كثيرة يمكنني تذكرها: المشي نحو ضريح اليزيديين على سجادة من الزهور في الشيخ عدي..وجمال المساجد المفروشة بالبلاط في أصفهان- تلك المدينة الخرافية..ومنظر غروب الشمس ذو اللون الأحمر خارج المنزل في نمرود...والخروج من القطار في سكون الليل للنزول في ممر بوابات سيليسيان الذي يخترق جبال طوروس... وأشجار الغابة الجديدة في الخريف.. والسباحة في البحر في تورباي مع روزلن... ومشاهدة ماثيو وهو يلعب في مباراة إيتون وهارو... ووصول ماكس إلى البيت عائداً من الحرب ومنظره وهو يأكل الرنجة معي.... والكثير والكثير من الأشياء- بعضها خفيف، وبعضها مضحك، وبعضها جميل.

وقد تمكنت من تحقيق حلمين كبيرين: تناول الطعام مع ملكة انجلترا (كم كانت ستكون سعادة نيرسي "أيتها الهرة، أيتها الهرة، أين كنت؟"). وامتلاك سيارة مورييس ذات مقدمة تشبه الزجاج! أما أكثر الخبرات التي مررت بها إثارة للمشاعر كانت عندما قفز طائر الكناري "غولدي" من على حامل الستارة بعد أن قضيت يومًا انتظر نزوله وبعد أن يُست من انتظار نزوله من عليه.

الطفل يقول "الشكر للرب على تناول وجبة العشاء اللذيذة".

ماذا يمكنني أن أقول وأنا في الخامسة والسبعين؟ "أشكر الرب على حياتي الرائعة، وعلى كل الحب الذي استمتعت به".

الينجفورد.

في الحادي عشر من أكتوبر سنة ١٩٦٥.



الفهرس

٧	نبذه عن الكتاب: كلمة المترجم
٩	مقدمة
١٣	تمهيد
١٥	استهلال
١٩	الجزء الأول - أشفيلد
٨٥	الجزء الثاني - بنات وأولاد يأتون للعب
١٤٥	الجزء الثالث - نضوجي
٢٠٣	الجزء الرابع - مغازلة وملاطفة وخطوبة ثم زواج
٢٨٧	الجزء الخامس - الحرب
٣٧٥	الجزء السادس - حول العالم
٤٢٣	الجزء السابع - أرض السعادة الضائعة
٤٨٥	الجزء الثامن - الربيع الآخر
٥٦٩	الجزء التاسع - حياتي مع ماكس
٦٥٣	الجزء العاشر - الحرب العالمية الثانية
٦٩٣	الجزء الحادي عشر - الخريف
٧٢٥	الخاتمة
٧٣١	الفهرس

